المركز القومى للترجمة

2694





يوميات إيجناس جولدتسيهر

نشرها: أليكسندر شايبر

ترجمها وقدم لها وعلق عليها: محمد عونى عبد الرءوف

شارك فى الترجمة: عبد الحميد مرزوق



بدأ جولدتسيهر في كتابة يومياته الكاملة في اليوم الذي بلغ فيه الأربعين عام 1890م، واستمرَ في كتابتها حتى عام 1919م؛ قبل وفاته بعامين.
ونشرت هذه اليوميات بعد وفاته بزمن طويل في 1977 -1978م. وورد بها الكثير من آرائه في الأديان السماوية الثلاثة، وصلته بمعتنقيها، وبخاصة الإسلام والمسلمون.

وتضم هذه اليوميات ما مرّ به في حياته من أحداث، وما عاناه من تجارب جعلت حياته شديدة المرارة، عدا بعض أيام سعيدة نعم فيها بالهدوء، وقابل فيها رجالاً يقدرون مكانته العلمية. وبخاصة أثناء وجوده في الشام ومصر؛ حيث يذكر ما قابله فيهما بالخير، ويشيد بما لاقاه فيهما من صداقة وود.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح

يَوميَّات إيجناس جولدتسيهر

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2694
- يوميات إيجناس جولدتسيهر
- أليكسندر شايبر
- محمد عونى عبد الرءوف، وعبد الحميد مرزوق
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:
Tagebuch
Von: Ignaz Goldziher
Herausgegeben von: Alexander Scheiber

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: netegypt@netegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

يَوميَّات إيجناس جولدتسيهر

نـــــــــــــــشرها : أليكـــــــسندر شــــــايبر

ترجمها وقدم لها وعلق عليها : محمَّد عوني عبد الرَّءوف

شـــــارك فـــى الترجمـــــة : عبـــد الحميـــد مـــرزوق



2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جولدتسيهر، إيجناس.
يوميّات إيجناس جولدتسيهر، مقدمة نقدية: أليكسندر شايبر/
ترجمة: محمَّد عوني عبد الرؤوف / عبد الحميد مرزوق /
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦
٨٢٤ ص، ٢٤ سم
١ - جولدتسيهر، إيجناس، ١٨٥٠ - ١٩٢١
(أ) عبد الرؤوف، محمَّد عوني (مترجم)
(ب) مرزوق ، عبد الحميد، ١٩٥٧ (مترجم مشارك)
(جـ) شايبر ، اليكسندر (محرر)
(د) العنوان ٩٢٠

رقم الإيداع: ١٦١٥٨ /٢٠١٥
الترقيم الدولى 5 - 0380 - 92 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

شكر يعبّر عن امتناني

أمّا الجميل الذي يطوّق عنقي، وسأظلّ ألهج بذكره فما قدّمته الزميلة المَبجلة الأستاذ الدكتور: إيمان السّعيد جلال؛ إذ تكرّمت عليّ بمراجعة ما ترجمته عن الصفحات المائة والثلاثين الأولى من الأصل الألماني، وما جعلته أول الترجمة من تقديم ودراسة.

وما قدّمته تلميذتاي د. هناء كامل علي، وأ. هالة جمال القاضي– تكرمًا – من صف الكتاب، ومراجعة الدراسة، وضبط الفهارس.

وأما الشكر امتنانًا فلمن قدّموا مساعدة جليلة من الزملاء الأجلاء والأبناء الأعزاء أيضًا:

- أ. د: محمد حمدي إبراهيم، لتكرّمه عليّ بترجمة ما ورد باللغتين اليونانية واللاتينة باليوميات.
- أ. د: علوية الحكيم، لترجمة العبارات التي وردت باللغة الفرنسية.
- د. محمد السامي، لمساعدته في التعريف بالمصطلحات العبرية ولكتابتها بالحروف العبرية.
- د. هدى عبد الغني باز، لتزويدي بمعلومات عن شيوخ الأزهر.

٢٠١٤/٣/٣١

عوني عبد الرءوف

تصدير

أحمد الله تعالى على التوفيق في تقديم هذه الترجمة ليوميات إيجناس جولدتسيهر، ليصبح عدد ما تُرجم له من أعمال ثلاثة؛ عملان من دراساته، وكان لى شرفُ تقديم الطبعة الأخيرة منهما، بتكليف من المركز القومى للترجمة، حيث صدرا بالعددين ١٩٥١، ١٩٦٣ من سلسلة ميراث الترجمة / عام ٢٠١٣:

الأول: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: د. عبد الحليم النجار.

الثانى: العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمة: د. محمَّد يوسف موسى، د. على حسين عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق.

وقد اقتصر ما قدمتُه فى طبعة المركز القومى للترجمة على المقدمة والدراسة وإعداد قائمة المراجع.

أما العمل الثالث – الذي أشرف بتقديمه اليوم – فهو ترجمة اليوميات التي كتبها جولدتسيهر، ويشاركنى فى الترجمة د. عبد الحميد مرزوق. وقد راجعتها د. إيمان السَّعيد جلال.

قمتُ بتقديم الترجمة، وعرضتُ ما جاء باليوميات وعلقتُ عليه، وألحقت بالترجمة ملاحق أعرِّف فيها بما ورد باليوميات من أعلام المشرقيين والغربيين وبأعمالهم، ثم ما ورد بها أيضًا من أعلام اليهود، وبعض مصطلحاتهم. وعقبت على ذلك ببعض خطابات المستشرقين التى أرسلت إلى

الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية آنذاك، اعتذارًا عن عدم التمكن من قبول دعوته لهم للتدريس بالجامعة[١].

وإني لآمل – بعد تقديم هذه الأعمال الثلاثة – أن تصبح صورة جولدتسيهر الشخصية والعلمية والإنسانية واضحة، ليتمكن القارئ العربي من إصدار حكم صادق عليه، وأن يتبين منزلته بين زملائه المستشرقين، وما قدم من جهد في دراسة العقيدة الإسلامية والحضارة العربية.

والأمل موصول لتقديم أعمال ودراسات أخرى لجولدتسيهر وغيره من المستشرقين في ترجمات عربية، لنتعرف على وجهات النظر عند الآخر سلبًا وإيجابًا، وكي نستطيع أن نتعرض لها بالتحليل والنقد، والإفادة منها أو الإعراض عنها.

والله الموفق، وبه نستعين

محمَّد عوني عبد الرءوف

المعادي في ٢٠١٣/٩/١

---

(١) نقلا عن الأستاذ أحمد بدير: الأجانب في الجامعة المصرية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨، ص٤٧ وما يليها.

مقدمة الترجمة

في عام ١٨٩٠ نشر جولدتسيهر الجزء الثاني من كتابه "دراسات إسلامية" *Muhammedanische Studien* وكان ذلك يوم عيد ميلاده الأربعين. وفي اليوم نفسه بدأ في كتابة يومياته الكاملة، واستمر في كتابتها حتى عام ١٩١٩، قبل وفاته بعامين (١٩٢١).

وكان هذا الجزء الثاني من "دراسات إسلامية" عن الحديث الشريف، وكان أنضج دراسةً مما كتبه من قبل. أما اليوميات فلم تكن في مستوى الدقة العلمية التي كتب بها في الدراسات الإسلامية؛ إذ إنها كانت تتميز بأنها اجترار لما مر به في حياته من أحداث، وما عاناه من التجارب التي جعلت حياته شديدة المرارة، عدا بعض أيام سعيدة نعم فيها بالهدوء والراحة النفسية، والمتعة بلقاء الأصدقاء أو الرجال الذين يقدّرون مكانته العلمية، بعيدًا عن زملائه في العقيدة والملة، ومن ثم فإنه لم يكن في كل ما كتبه في يومياته متوازنًا. وهو لم يكن يقصد أن يقدم هذه اليوميات للطباعة والنشر؛ إذ إنه يريد أن يُطلع عليها نجليه وأحفاده فقط، كي يفيدوا منها، ويعرفوا سيرته ويترحموا عليه بعدها. وهذا هو كل ما أراده. ومن ثم لم تنشر هذه اليوميات إلا بعد وفاته بزمن طويل، حين دفع بها نجله الأصغر إلى أحد أصدقائه، وهو أليكسندر شايبر *Alexander Scheiber* الذي نشرها بدار النشر بريل بليدن ١٩٧٧/١٩٧٨.

ولم أحاول الإقدام على ترجمة هذه اليوميات إلا بعد أن طالعت هجوم العلماء العرب، وبخاصة المصريون على هذا المستشرق، بعد اطلاعهم على ما تُرجم من كتبه إلى اللغة العربية؛ إذ تُرجم له كتابان:

١- "مذاهب التفسير الإسلامي"، ترجم دكتور علي حسن عبد القادر جزءًا منه عن الترجمة الفرنسية ونشره، ثم ترجمه دكتور عبد الحليم النجار عن الألمانية مباشرة، وصدر عن دار اقرأ سنة ١٩٥٤.

٢- "العقيدة والشريعة في الإسلام"، ترجمه الأساتذة: د. محمَّد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق عن الترجمة الفرنسية، ونشر ببغداد سنة ١٩٥٩.

وقد أعدتُ نشر الكتابين بتكليف من الأستاذ الدكتور جابر عصفور مدير المركز القومي للترجمة عام ٢٠١١، مع كتابة مقدمة ودراسة لكل من الكتابين، وصدرا عن المركز عام ٢٠١٣، وذلك في سلسلة "ميراث الترجمة". وقد حفزني على الإسراع في نشرهما ما قدمَتْه شعبة التعليم الأزهري بالمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا من دراسة عن "دور التعليم الأزهري في دراسة الاستشراق والغزو الثقافي" في ٢٠٠٥/٣/٥. وجاء أول بند بالتوصيات عن ضرورة إنشاء وحدة ذات طابع خاص تابعة لجامعة الأزهر، تكون مهمتها العكوف على فحص وتمحيص ما كتبه المستشرقون، والرد عليه، بما يوضح سماحة الإسلام وقبول المسلم للآخر، على أن تضم هذه الوحدة فريقًا من الخبراء المتخصصين في العلوم الآتية: علم الأديان المقارن، اللغات الأجنبية باختلاف أنواعها، المناهج،

الاجتماع، مع تكليف أساتذة كليات التربية التابعة للأزهر، المتخصصين في المناهج الدراسية، بتحليل محتوى الكتب الصادرة من المستشرقين، لإبراز أهم ما ورد بها من هجوم على الإسلام والمسلمين، حتى يمكن وضع استراتيجية تحدد كيفية المواجهة والتصدي لكل معاداة للإسلام والمسلمين.

وعند قراءة الدراسة وتقسيم كتب المستشرقين ومؤلفاتهم إلى مجموعات، ذكر سيادة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم اسم جولدتسيهر ضمن مجموعة المهاجمين للإسلام، الذين تغلب على كتاباتهم صفة الهجوم المباشر عليه، والذين كالوا له التهم جزافًا بغير دليل في كثير من الأحيان، أو بأدلة غير مقنعة، وذكر من أمثلتهم: مرجليوث، وفيلهاوزن، ثم أضاف اسم جولدتسيهر رغم أنه لم يكن موجودًا بالدراسة المقدمة.

وقد راجعتُ ما وُجِّه من نقد لكتابي جولدتسيهر المترجمين فوجدت بين مَنْ وجهوا النقد إليهما عالمين جليلين هما: الشيخ محمد الغزالي في كتابه "دفاع عن العقيدة والشريعة"، والأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل في كتابه: "الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية".

وقد أردتُ بترجمتي كتاب "يوميات جولدتسيهر"، بوصفه كتابًا ثالثًا يُضاف إلى المكتبة العربية من أعمال هذا الرجل المطعون على مقاصده، أن أعين على استجلاء وجه الحقيقة؛ حيث ورد باليوميات الكثير من آرائه في الأديان السماوية الثلاثة؛ وصلته وعلاقته بمعتنقيها وبخاصة الإسلام والمسلمون، كي يتمكن السادة الأجلاء والعلماء المختصون بالدراسات

القرآنية ودراسات الحديث الشريف والمتخصصون في علم الأديان المقارن وكذلك السادة المختصون بالدراسات الدينية المسيحية أن يستقرئوا ما جاء لدى جولدتسيهر من آراء أو إشارات عن الإسلام وعن الديانة المسيحية والطقوس الدينية وممارستها. ولعل الوحدة التي كونتها الجامعة الأزهرية من الخبراء المتخصصين في علم الأديان المقارن واللغات الأجنبية والمناهج وعلم الاجتماع يمكن أن تساعد في هذا الصدد، فيتمكنوا من التعليق على ما جاء بأعماله الثلاثة المترجَمة، راجيًا أن أكون قد وفقتُ فيما أجتهدُ في تقديمه إليهم جميعًا.

والله الموفق، وبه نستعين.

محمَّد عوني عبد الرءوف

مقدمة نقدية

جولدتسيهر.. مستشرق ثار حوله جدلٌ كثير

أولا: عن يوميات جولدتسيهر:

لم تُنشر اليوميات إلا عام ١٩٧٧/ ١٩٧٨ بعد سنوات طويلة من وفاة جولدتسيهر في ١٩٢١؛ إذ إنه عندما كتبها أراد أن يقدمها لابنيه وأحفاده، كي يعلموا ما لقيه في حياته من عناء وسوء معاملة، وبخاصة من بني جنسه، وليكتسبوا خبرة ويفيدوا من تجاربه. وبعد وفاته، دفع ابنه الأصغر الأستاذ كارل جولدتسيهر ***Prof. Karl Goldziher*** بيوميات أبيه إلى المستشرق أليكسندر شايبر (١٩١٣ – ١٩٨٥) ***Alexander Scheiber*** لينشرها.

وحينما نشرت تأسف البعض صراحة من نشر الكتاب دون تقديم مختصر لما ورد به. وكانت مفاجأة لمن تابع أعمال جولدتسيهر؛ إذ تبين الفرق بين دراسة الكاتب الباحث المتزن الذي لا يدبج سطرًا قبل أن يتأنى في التفكير، ويدلل على ما يكتب ببراهين من المراجع التي يستند إليها، بمخطوطات التراث العربي التي يتتبّعها بمكتبات أوربا، أو سبق لزملاء مستشرقين أن حققوها، أو حصل عليها مدونة من الشرق العربي أثناء رحلته إليه، وصرح في يومياته أنه سينتفع بها في دراسته وكتاباته أكثر من خمسة عشر عامًا بعد رجوعه إلى أوربا.

كانت الصدمة عظيمة؛ إذ لم يتوقّع أحد أن يصدر عن هذا الكاتب المتزن كل هذا الجيشان العاطفي؛ إذ تكشف اليوميات في مواقع كثيرة منها

عن تعصب ديني صريح – وبخاصة للإسلام – صادر عن كاتب رفيع الثقافة، ويمكن أن نجد شيئًا من هذا في الجزء الخاص برحلته إلى الشرق الأوسط، ومنها تعليقه المشهور حول رغبته في البقاء بدمشق (ص٥٩).

وهو يكتب هذا بيومياته عند استعادته الأحداث التي مرّت به وعايشها قبل ستة عشر عامًا، وينقل أيضًا عن يومياته الصغيرة حول رحلته إلى سوريا ومصر (في عامي ١٨٧٣ و١٨٧٤) يومًا بيوم، وقد نشرها رافائيل باتاي *Raphael Patai* بالإنجليزية عام ١٩٨٧ بديترويت / بالولايات المتحدة، وذلك نقلا عن مخطوطة ألمانية قدمها له شايبر.

ثانيًا: النقد الذي وُجّه إلى جولدتسيهر:

في دراسة للأستاذ جون فان إس *John van Ess*[1] بعنوان:

Goldziher as a Contemporary of Islamic Reform.

يتساءل: "لماذا كانت صورة جولدتسيهر في العالم الإسلامي بهذا القبح رغم أن صورة الإسلام عنده كانت إيجابية فوق التصور؟ لماذا يتخذ المسلمون في أيامنا هذه موقفًا ضد جولدتسيهر؟".

ويحاول فان إس أن يجيب عن هذا السؤال، ويعلل ذلك بأنه عندهم نموذج للاستشراق، وأنهم لا يحسنون الظن بالمستشرقين، لأنهم يظنون أن ما يقوله جولدتسيهر عن الحديث النبوي في الجزء الثاني من كتابه "دراسات إسلامية" يخالف ما جاء بالجزء الأول، وكان آنذاك شابًا يبلغ من العمر ٢٣

---

(١) نُشرت في كتاب:
Goldziher Memorial Conference, edited by Éva Apor and Istvan Ormos / Budapest 2005.

عامًا فقط؛ إذ إن تحليله للحديث في الجزء الأول لا يحتاج إلى تفسير، ولذلك وجد في الدراسات الأوربية قبولا واستحسانًا. وكان هو ما زال متأثرًا بما لقيه من معاملة طيبة أثناء زيارته لسوريا ومصر؛ فهو يتكلم العربية، وإن كان قد تعرض للنقد والملحوظات والإضافات. ويواصل فان إس القول بأنه عندما تُرجم كتاباه: "مذاهب التفسير الإسلامي" و"العقيدة والشريعة في الإسلام" ازداد الصدام وتطور، بعد أن لاحظ أحد تلاميذ د. عبد القادر[1] أن أستاذه يترجم ما كتبه جولدتسيهر في كتابه "دراسات إسلامية" وفي كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" ترجمة حرفية. وأنه حينما بدأ في تدريس مادة "تاريخ التشريع الإسلامي"[2] قال في أول محاضرة يلقيها على طلاب السنتين الثانية والثالثة في قسم تخصص المادة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع العالمية (من درجة أستاذ في كلية الشريعة عن تاريخ التشريع الإسلامي) "إنني سأدرس لكم التشريع الإسلامي، ولكن على طريقة علمية لا عهد للأزهر بها. وإني أعترف لكم بأنني تعلمت في الأزهر قرابة أربعة عشر عامًا، فلم أفهم الإسلام، ولكني فهمت الإسلام حين دراستي في ألمانيا"[3].

فعلق التلميذ – واسمه مصطفى السباعي – على قوله فيما بينه وبين زملائه، وقالوا فيما بينهم: "لنستمع إلى أستاذنا لعله حقًا قد علم شيئًا جديرًا

---

(١) المقصود هو د.علي حسن عبد القادر الأستاذ بالأزهر، وهو ثالث ثلاثة ترجموا كتاب "العقيدة والشريعة"، ثم نشر كتابه "نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي".

(٢) بعد عودته من ألمانيا التي قضى بها أربع سنوات انتهى فيها من دراسته، وعُين بالأزهر الشريف.

(٣) د. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٩، ص١٢.

بأن نعلمه عن الإسلام مما لا عهد للأزهر به"، وابتدأ درسه عن تاريخ السنة النبوية ترجمة حرفية من كتاب ضخم بين يديه، علمنا فيما بعد أنه كتاب جولدتسيهر "دراسات إسلامية"، وكان أستاذنا ينقل عبارته، ويتبناها على أنها حقيقة علمية. واستمر في دروسه نناقشه فيما يبدو لنا - نحن الطلاب - أنه غير صحيح، فكان يأبى أن يخالف جولدتسيهر بشيء مما ورد في هذا الكتاب، حتى إذا وصل في دروسه إلى الحديث عن الزهري، واتهامه بوضع الأحاديث للأمويين ناقشتُه في ذلك، بحسب معلوماتي عن الزهري من أنه إمام السُّنة، وموضع ثقة العلماء جميعًا، فلم يرجع عن رأيه، مما حملني على أن أطلب منه ترجمة ما قاله جولدتسيهر عن الزهري تمامًا، فترجمه لي في ورقتين بخط يده"[1].

ويستمر د. مصطفى السباعي في روايته، ويبين كيف شُغل بتتبع ما كتبه شيخه بمخطوطات كتب التراث بمكتبة الأزهر، مدة ثلاثة أشهر حتى اهتدى إلى المعلومات الصحيحة كما يقول[2].

ثم يروي: "قلت لأستاذنا دكتور عبد القادر: لقد تبين لي أن جولدتسيهر قد حرّف نصوص الأقدمين فيما يتعلق بالزهري. فأجابني بقوله: لا يمكن هـذا؛ لأن المستشـرقين - وخاصـة جـولدتسيهر - قوم علماء منصفون لا يحرفون النصوص ولا الحقائق"[3].

ثم ألقى مصطفى السباعي محاضرة تناول فيها ما انتهى إليه في دار جمعية الهداية الإسلامية، حضرها د. عبد القادر الذي نهض بعد المحاضرة،

---

(١) السابق ص٣، ٤، وليرجع إلى ترجمة مصطفى السباعي بملحق الأعلام في هذا الكتاب.

(٢) يعني كتب مصطلح الحديث وصحة الإسناد، ومنزلة الرواة.

(٣) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص١٣.

وقال بصوت سمعه الحاضرون جميعًا: إنني أعترف بأنني لم أكن أعرف من هو الزهري حتى عرفته الآن، وليس لي اعتراض على كل ما ذكرته"(١).

ويمضي السباعي في روايته فيذكر أن رئيس الجمعية الأستاذ محمد الخضر حسين (الذي أصبح شيخ الأزهر فيما بعد) قال:"إن بحثك هذا فتح جديد في بحث المستشرقين، وأرجو أن تعطيني نسخة من هذه المحاضرة، لأبعث بها إلى المجلات العلمية التي تعنى ببحوث المستشرقين في ألمانيا. وإني أعتقد أنها ستحدث دويًا في أوساط المستشرقين"(٢).

وتمثّل محاضرة مصطفى السباعي المبادرة في الهجوم على أعمال جولدتسيهر في العالم العربي، أعقبها دراسات عديدة تتناول كتابيه بالنقد، نذكر منها:

ما ورد لدى د. محمد حسن حسن جبل بكتابه "الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية" من أن بعض العلماء المسلمين قاموا بالرد على مطاعن جولدتسيهر في القرآن، وهو يعرض هذه الردود ويقيّمها، ومنها:

١-ردّ العلامة محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط (كاتب مصحف مكة المكرمة) وذلك في كتابه "تاريخ القرآن وغرائب رسمه"- في طبعتيه الأولى ١٣٦٥هـ، والثانية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م - وقد بنى رده على مقولة جولدتسيهر إن القراءات نشأت عن الاجتهاد

---

(١) السابق، ص١٣.

(٢) السابق.

الشخصي الحر في إعجام الرسم القرآني وشكله، لأنه كُتب أولا مجردًا من الإعجام والشكل، فردّ هذه المقولة بأن "القراءات كانت أسبق من الرسم".

٢- الدكتور عبد الوهاب حمودة في كتابه "اللهجات والقراءات" ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م، وردّ ردًا علميًا جيدًا.

٣- الدكتور عبد الفتاح شلبي في كتابه "رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين" ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م. وردّ ردًا مجتزًا.

٤- الدكتور عبد الحليم النجار الذي قال عنه د. محمد جبل إنه قدم "تعليقات تعد من أحسن الردود على مطاعن جولدتسيهر". وذلك في ترجمته الثانية لكتاب "مذاهب التفسير الإسلامي" بذيل الترجمة.

٥- الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين" ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ "وفيه جهد طيب مشكور" كما يصفه د. جبل.

٦- الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة في كتابه "دراسات في مناهج المفسرين" ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩، "أقام رده على مطاعن جولدتسيهر على تعليقات د. عبد الحليم النجار".

٧- الدكتور شعبان محمد إسماعيل في كتابه: "القراءات: أحكامها، ومصادرها" ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

٨- الدكتور حسن ضياء الدين العتر في كتابه: "الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها" (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م).

٩- الشيخ محمد الغزالي: "دفاع عن العقيدة والشريعة" تناول فيه فصول كتاب جولدتسيهر "العقيدة والشريعة" بالنقد الإجمالي في ردود عامة وإجمالية دون تركيز على المصادر والمراجع، معتمدًا أحيانًا في رده على علماء وشيوخ معاصرين.

وبالإضافة لما أورده د. جبل يمكن أن نجد لدى الشيخ الغزالي في كتابه سالف الذكر ص٣: "إن هذا المستشرق من أعمدة المستشرقين ودهاتهم، ولا شك أنه قرأ كثيرًا من الأصول والمصنفات الإسلامية، ولكنه منذ قرأ وكتب، لم يحمل بين جنبيه إلا فؤادًا مترعًا بتكذيب الإسلام، فهو يدس إصبعه في كل شيء ليتخذ من أي شيء دليلا على أن محمدًا كاذب، وقرآنه مفتعلٌ وسنته مختلقة، والإسلامَ كله – منذ جاء إلى أن بلَغنا – مجموعة من المفتريات. ورجل مصطبغ الفكر والشعور بهذا المبدأ الثابت لا يجوز أن تكون له حرمة أهل العلم".

ويواصل الغزالي في ص١١ "فيجب أن يكون القرار الذي أصدره الأزهر قبل بضع سنين في ترجمة أمثال جولدتسيهر ونشرها مشروطا باستيفاء الردود عليها كاملة غير منقوصة وفي غير هوادة، وإلا كان الأزهر يعمل نقيض واجبه، ويؤدي عكس رسالته".

١٠- الدكتور علي حسن عبد القادر: تعقيب إجمالي على موضوعات كتاب "المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن".

١١- الدكتور نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث.

١٢- الدكتور محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار القدس، ١٩٩٩.

١٣- الدكتور عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة للنشر والتوزيع د. ت.

١٤- الدكتور ساسي سالم الحاج: "الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية" (١٩٩١، ١٩٩٣، ١٩٩٧).

١٥- الدكتور رشاد محمد سالم:"القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية". (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م).

١٦- الدكتور مصطفى السباعي في كتابه "الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم"، دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

١٧- جلال عبد الباقي في رسالته للدكتوراه وعنوانها: "آراء جولدتسيهر في تفسير القرآن".

وتعرض لجولدتسيهر – أيضًا – دارسون كتبوا بغير العربية، انتقدوا أفكاره بطريقة مبتدعة وجدل موضوعي مثل:

١- فؤاد سيزكين الذي كتب باللغة التركية:

Buhârinin kaynaklars hakkinda, Arastumaler, Istanbul 1956.

٢- محمد مصطفى العظمي الذي كتب باللغة الإنجليزية كتابًا بعنوان:

Studies in Early Ḥadith Literature with a critical edition of some early tests, Beirut 1968.

وتعرض بالمقدمة لجولدتسيهر، وإن لم يذكر اسمه، فهاجمه وناقش آراءه التي أثارها عليه السباعي، الذي كان أستاذًا للعظمي، عن رأي جولدتسيهر في الزهري.

وقد أخذوا على ما ورد بكتابَي جولدتسيهر:

- تخلى عنه قلم العالم النزيه في نقد المسائل نقدًا سليمًا، ومعالجتها في جو علمي لا تشوبه الأهواء، ولا تعكر صفاءه الأوهام والشكوك (دكتور علي حسن عبد القادر).

- شكوكه في الحديث النبوي الشريف والتجني على رواته، والقول بوجود أحاديث موضوعة، ومزورة، (الشيخ الغزالي) وأنه وُضع في القرنين أو الثلاثة الأولى للهجرة.

- انتقاده للسند والمتن، وأن العلماء المسلمين اهتموا بالنقد الخارجي وحكموا على الأحاديث بحسب شكلها الخارجي، ولم يهتموا بنقد متن الحديث (د. نور الدين عتر، د. محمد بهاء الدين).

- تناقضات جولدتسيهر، ومنهجه المضطرب في تناول القراءات القرآنية ومغالطاته وزعمه بأن القراءات تزداد مع مرور الزمن، مع كثير من الأمثلة الموضحة (دكتور محمد حسن جبل).

- صلة التشريع وما ورد بالقرآن الكريم بما جاء بالديانات السابقة السماوية أو الوضعية (د. محمد بهاء الدين).

- رجوع جولدتسيهر واستشهاده بكتب لا صلة لها بعلم الحديث، واعتماده عليها في دراساته العلمية.

ولم يكن هجوم بعض الدارسين العرب على جولدتسيهر والمستشرقين فحسب، بل تناولوا بالهجوم والنقد العنيف والتجريح مَنْ أنصفه من العلماء العرب وأعلام الثقافة في الوطن العربي، فتعرضوا لكل من:

١- الأستاذ أحمد أمين، إذ كتب دكتور محمد بهاء الدين في كتابه "المستشرقون والحديث النبوي": "ثم جاء أحمد أمين ليضرب بأوفر سهم في هذا الميدان، مرددًا أكاذيب وأباطيل جولدتسيهر وغيره من المستشرقين حول الأحاديث النبوية، متونها وأسانيدها ورجالها ومكانتها التشريعية في الإسلام. وذلك حينما ألف كتابه "فجر الإسلام" سنة ١٩٢٩، وعقد فصلا خاصًا فيه عن الحديث يأتي بأفكار وآراء حوله. وهي لا تخرج بجملتها عن أفكار وآراء المستشرقين، ولكن دون أن ينسبها إليهم، لحاجة في نفس يعقوب، إلا أنه أظهرها لبعض خلانه"[١].

ويواصل دكتور بهاء الدين: "ومما يدل على أن أحمد أمين كان في مقدمة الطاعنين في الحديث النبوي والمشككين فيه أنه حينما نشر إسماعيل أدهم سنة ١٣٥٣هـ (أي ١٩٣٤م) رسالة عن "تاريخ السُّنة" أعلن فيها أن الأحاديث الموجودة ليست ثابتة الأصول والدعائم، بل هي مشكوك فيها، ويغلب عليها صفة الوضع. قوبلت هذه الرسالة بالرفض من قبل المسلمين وعلمائهم، واضطرت الحكومة المصرية إلى مصادرتها دافع عن نفسه قائلا: إن ما ذهبتُ إليه من الشك في صحة الحديث يشاطرني فيه جماعة من كبار الأدباء والعلماء، وفي مقدمتهم أحمد أمين، فلم ينكر ما نسبه إليه زميله فيما بعد"[٢].

وقال الدكتور. محمد بهاء الدين عن الأستاذ محمود أبو رية وعما جاء به في كتابه "أضواء على السنة المحمدية" ص١٤٨: "فنشر فيه مزاعم

---

(١) د. محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، دار القدس، ١٩٩٩، ص٢٦٧.

(٢) السابق ص٢٧٠.

واتهامات تجاوز الحد حول الحديث. وأخذ يخلط بين كل ما قاله من سبقه من المستشرقين ومن سار على طريقهم من المسلمين. فجاء كتابه مزيجًا من مختلف الآراء والأفكار التي قيلت للتشكيك في الحديث النبوي كمصدر للتشريع الإسلامي"[1].

ويحيل الدكتور. بهاء الدين إلى محمود أبو رية الذي يقول: "ومن شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، فليرجع إلى التفسير والحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال جولدتسيهر، وفون كريمر، وغيرهما"[2].

٢- الدكتور. طه حسين الذي نقل عنه محمد بهاء الدين "كيف نتصور أستاذًا للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة، حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة. وإنما يُلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا"[3]. (من تاريخ الأدب العربي للدكتور طه حسين ج١ ص١٩).

وينقل الدكتور. محمد بهاء الدين تعقيبًا للدكتور السباعي بكتابه "الاستشراق والمستشرقون" ص١٠ عن مدى تأثر دكتور طه حسين بالمستشرقين في آرائه السالفة قائلا: "فما جاء في كتاب طه حسين كان

---

(١) السابق، ٢٧١.

(٢) السابق ص٢٧١.

(٣) السابق ص٢٨٩.

ترديدًا لآراء غلاة المستشرقين أمثال مرجليوث الذي نقل طه حسين آراءه في كتابه ونسبها إلى نفسه"[1].

على أن عددًا غير قليل من الدارسين العرب قدَّر جهود المستشرقين، وأشاد بفضلهم مثل:

- الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون" حيث يقول: فلو لم يقدر لتراثنا من مخطوطات وآثار، تلك الأيدي فتجمعه وتكشف عنه، وتحل رموزه، ثم ترتبه وتصونه وتفهرسه، وتيسر سبل الانتفاع به، لما قدر لجلة آثارنا أن ترى الشمس، ولفقد قدر عظيم من مخطوطاتنا، وظل آخر طي الكتمان، إلا من أسمائه في الفهرست لابن النديم وكتب الأعلام والسير، ولعفى النسيان على غيره، ولما استطعنا تصويره كما فعل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، والمكتبات العامة والعلماء، وتحقيقه والتصنيف فيه، ولا عرفنا قدره وأثره في الأمم الأخرى، ولو أن المستشرقين أرادوا بتراثنا شرًّا، كما زعم البعض منا، لما استنقذوا أحجاره وأوراقه من الضياع، بل عمدوا إلى طيه، إن لم يكن عن العالم فعنا"[2].
- ويقول الدكتور مصطفى السباعي[3]:

"في الحق إن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما

(١) السابق ص٢٩٠.

(٢) نجيب العقيقي، المستشرقون، جـ٣، ص١٢٧.

(٣) الاستشراق والمستشرقون، ص١٥.

تطرقوا إليه من أبحاث. ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم: "يَجرِ مَنَّكُم شَنَئَانُ قَومٍ عَلَى أَلَّا تَعدِلُوا آعدِلُواْ هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَى ﴿٨﴾"[١].

ويعلّق دكتور محمد بهاء الدين على هذه المقولة: "وفي الواقع إن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابًا أو سلبًا، لهذا فلا يمكن تجاهله أو الاكتفاء بمجرد رفضه، فهو موضوع يفرض نفسه، ويتطلب دراسة أبحاثه وتأثيراته بالنسبة للإسلام والمسلمين"[٢].

ويعود دكتور محمد بهاء الدين فيقول: "فليس من العدل القول إن جميع المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية قد أبرزوا الأحقاد ضد الإسلام، وإن كانت محاولة الدس وفتح المنافذ للطعن هي السمة الغالبة على أكثر دراساتهم"[٣].

"ولا شك أن الاستشراق قدم خلال مهمته في الفكر الإسلامي أشياء نافعة لا يمكن تجاهلها، وخاصة في مجال إحياء التراث والتبويب والفهرسة وجمع المخطوطات وغير ذلك من أعمال قام بها المستشرقون، فتركت آثارًا جانبية على مسار النهضة الحديثة في البلاد العربية والإسلامية، كما أن بين المستشرقين أناسًا أصحاب حياد وإنصاف، ولهم كتابات وآراء معتبرة، ولهم مواقف جريئة وصريحة إزاء الإسلام، وأهله صرحوا فيها بالحق، والحقيقة الإسلامية"[٤].

---

(١) سورة المائدة: آية ٨.

(٢) د. محمد بهاء الدين، المستشرقون والحديث النبوي، ص٢٩٣.

(٣) السابق، ص٢٩٥.

(٤) السابق، ص٢٩٥.

ثمّ يقول: "فهناك مجموعة من العوامل تدعونا إلى الاهتمام بالدراسات الاستشراقية الإسلامية:

١- حبّ الاطلاع على آراء المفكرين غير المسلمين في الإسلام وفي كتابه ونبيه، ولا سيما المستشرقون الذين نظروا إليه من عدة زوايا، بحسب ثقافة كل باحث وتخصّصه وهوايته.

٢- الردّ على مطاعن المستشرقين المتعصّبين على الإسلام والمسلمين وتفنيد ادّعاءاتهم والكشف عن مفترياتهم في حق الإسلام وتراثه.

٣- تصحيح ما وقع فيه المستشرقون من أخطاء لغوية أو علمية أو تاريخية عن جهل أو عن سوء فهم وضيق نظر.

٤- الإفادة من بحوث المستشرقين بالأخص تلك التي نلمس فيها تحررًا من ضوابط الأيديولوجيا الكنسية الاستعمارية، ويغلب عليها الطابع العلمي المجرد من الأهواء والأحكام المسبقة.

منزلة جولدتسيهر بين مَنْ قدَّره من العلماء العرب:

على أن الأمر لا يخلو من بعض الآراء التي قدَّرته ومنها قول د. محمد يوسف موسى في مقدمة ترجمة "العقيدة والشريعة" ص٥، ٦: "والكتاب دراسة تفصيلية للإسلام من جميع نواحيه: من ناحية رسوله، والشريعة ونموها، والعقيدة وتطورها، والزهد والتصوف ونشأتهما، والعوامل التي أثرت فيهما. والفرق الإسلامية المختلفة، ثم الحركات الأخيرة الإصلاحية في رأي أصحابها. وقد استند المؤلف في كل قسم من أقسام الكتاب، وكل بحث من

بحوثه، إلى طائفة كبيرة من المراجع الإسلامية الموثوق بها؛ ويسعفه عقله الألمعي وبصيرته النافذة. ومع هذا، فقد انساق إلى أخطاء غير يسيرة بعوامل قد يكون منها أنه لم يستطع أن ينفذ تمامًا إلى روح الإسلام ومبادئه وأصوله. وقد يكون منها كذلك ما هو طبيعي في كل ذي دين وثقافة خاصة من العصبية لدينه وثقافته".

ثالثا: منهج جولدتسيهر في دراساته الإسلامية:

– يشير جولدتسيهر في يومياته عدة مرات إلى إعجابه بابن حزم وبطريقته الجدلية (ص٤٧، ٤٨، ٨٩، ٩٢، ١٩٣). ويرجع أيضًا إلى الجدليين الإسلاميين (ص٨٩)، وينقل عنهم جزازات. وهو يعيد قراءة ابن حزم مرة أخرى مع قراءة سلسلة من الكتب عن العقيدة الإسلامية (ص٩٢). ويذكر أنه رجع إلى "مخطوطات فخمة" لابن حزم في ص١٩٣. ولم يكن مقيدًا بمذهب إسلامي معين، فكل المذاهب الإسلامية عنده سواء.

– وقد طلبت منه حكومة الجزائر (حاكم الجزائر العام) أن يكتب مقدمة لكتاب عن سيرة محمد بن تومرت (١٠٨٧ – ١١٣٠هـ) وهو مصلح ديني، اتصل عن قرب بآراء ابن حزم، ووضع أساس دولة الموحدين فكتبها (ص٢٣٠، ٢٣٥ باليوميات).

– كان ينظر إلى المذاهب والنظريات والآراء نظرة زمانية، لا نظرة مكانية، نظرة حركية لا نظرة سكونية، نظرة تاريخية لا نظرة مذهبية. أي كان ينظر إلى هذا المذهب أو ذاك في الفقه والتفسير ورواية الحديث والعقائد على أنه كالكائن الحيّ سواءً بسواء: يولد وينمو وينضج، وليس طائفة من

الصيغ الجامدة والتصورات المجردة التي قيلت مرة واحدة وإلى الأبد؛ فهو إذا عرض المذهب عرض قانون حياته وتطوره، وإذا بحث في نسيجه الحي وجس عروقه النابضة بالحياة[1].

- كان معجبًا بطريقة المستشرقين الهولنديين في دراسة الأديان بمفهوم تحليل النصوص كما ينبغي، والالتزام بالتقاليد الفلسفية في نقد الوثائق الدينية التي تختلف في دلالتها عن الطريقة المعتادة لقراءة هذه النصوص، وبطريقة مقارنة الأديان.

- تأثر بكتابات جايجر *Geyger* واتبع نظامه في التفكير، وهو ما زال في السابعة عشرة من عمره.

- ويذكر أنه تأثر بآراء المعتزلة، وإن اختلف مع عدد منهم في بعض الآراء، ولكنه كان يوافق ما رأوه عن المتن قبل الإسناد، ولذلك يستشهد في يومياته ص٢١٥ بنص حديث ورد لدى ياقوت الحموي، وبحديث آخر ورد على لسان جارية، بحكاية من حكايات ألف ليلة وليلة.

- وهذا يتفق مع رأي زملائه المستشرقين الذين كانوا يجتهدون في تحليل النصوص الدينية الذي أدى بهم إلى اكتشافات عديدة، وبخاصة بعد أن كثرت الحفريات في مناطق كثيرة بالمشرق العربي، وتمكن العلماء من قراءة النقوش الأكدية والأوجريتية وغيرها، فتبين الناس أنها تخالف ما ورد بالتوراة، وتسبب هذا في بلبلة الأفكار الدينية.

---

(١) نقلا بتصرّف عن د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين ١٩٩٣، ص١٩٩.

وبتحليل النصوص الدينية تبين أن التوراة تعتمد على أربعة مصادر: المصدر اليهوي، والمصدر الإيلوهيمي، والمصدر الكهنوتي، وسفر التثنية[١]. وتبين أيضًا – فيما ورد عن فيلهاوزن ***Wellhausen*** – أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى يلزم أن يضم إليها سفر يشوع الذي يليها لتصبح أسفار موسى الستة ***Hexateuch*** وليس الخمسة فقط ***Pentateuch***[٢]، وأن سفري صموئيل الأول والثاني يرجعان أيضًا إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والتاريخ، ويعدان سفرًا واحدًا ضمن هذه المجموعة من الأسفار.

- في تلك الحقبة الزمنية التي عاشها جولدتسيهر (النصف الثاني من القرن التاسع عشر والخمس الأول من القرن العشرين) بدأت الدراسات الدينية المقارنة، ولكنها للأسف لم تمارَس باعتبارها مقارنات، بل اعتبروها محاكاة وتقليدًا لما ورد بالتوراة، أو ورد بديانات غير سماوية مثل المجوسية والزرادشتية، وغيرهما.

والحق أن الأمر ليس كذلك، فما ورد متشابهًا بين الديانات السماوية إنما يرجع إلى أن المصدر واحدَ، وهو اللوح المحفوظ. أما التشابه بين ما ورد بالأديان الوضعية والسماوية فمعظمه يرجع إلى ما يجب أن يكون عليه الخُلُق البشري، كي يصلح المجتمع الإنساني، أو لكي تعيش مجموعة الناس في بيئة واحدة في سلام، ولا يتأذى منه أحد، ولم يلجأ الإنسان في المجتمعات المبكرة إلى الطوطمية إلا للخوف من الشر والرغبة في اتباع الخير.

---

(١) هذا الترتيب مخالف لترتيب الترجمة السّبعينية.

(٢) يُرجع إلى رأي فيلهاوزن في كتابي "جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة"، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦، جـ٢، ص١١٨، ١١٩.

– كان جولدتسيهر ينهج في أبحاثه منهجًا استدلاليا، يقبل على النصوص، ويحاول التوفيق بينها وبين ما يوحي به ظاهر النص حتى يتلاءم المعنى المقصود، بل يدع النص نفسه يقدم ما يريد ظاهره أن يقدم ثم يجمع ما تقوله النصوص جميعًا. ويضم الواحد إلى الآخر لتعبر جميعًا عن المعنى المراد.

فهو يعتمد على النصوص كل الاعتماد، ويسوق العديد منها تأييدًا لأقواله دون أن يُكرهها على معنى يفرضه عليها، أو يتوهمه من دلالتها الظاهرة، فمنهجه منهج استدلالي يعتمد على البصيرة والوجدان، استطاع به أن يتجنب خطر الضيق والسطحية في المنهج العلمي الدقيق، وخطر الإفراط في السعة والتأويلات البعيدة الخيالية في المنهج الاستدلالي(١).

رابعًا: منزلته العلمية:

اكتشفت الحضارة الإسلامية في أوربا بفضل دارسي الإسلاميات، وكان هذا الاكتشاف نتيجة اجتهاد مستشرقين أوربيين توفروا على دراستها في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وأسفرت تلك الدراسات عن فكرة تدور حول مدنية إسلامية عالمية. ونتيجة لذلك تحرر شباب المسلمين المثقفين من عُقد النقص المزمنة التي كانت تلاحقهم تجاه ثقافة التحرير الأدبية الأوربية. وكان انتحار أوربا في حربين متتاليتين عالميتين، وتحرير البلاد الإسلامية التي كانت تحت الاستعمار الأوربي عاملا أساسيًا في تقوية

(١) مقدمة طبعة المركز القومي للترجمة لكتاب "مذاهب التفسير الإسلامي"، عوني عبد الرءوف، ص٤٥.

شعور المسلمين بالتحرر والاستقلال والافتخار بقوميتهم ودينهم، ثم ازداد هذا الافتخار باكتشاف البترول في بلادهم.

وكانت الصحيفة ربع السنوية "الإسلام *Der Islam*" التي أنشأها كارل هاينريش بيكر (١٨٧٦ – ١٩٣٣) *Carl Heinrich Becker* عام ١٩٠١ العامل الرئيس في نشر الفكرة الإسلامية.

ويقرر بيكر أن المسئول عن نشر هذه الفكرة أربعة مستشرقين متخصصين في الدراسات الإسلامية، وأن أهمهم هو جولدتسيهر (كما يشير إلى ذلك في يومياته). وعندما كتب بيكر نعيًا لجولدتسيهر بيَّن أنه كان يقرأ يوميًا صفحة من صفحات التلمود، وأنه استطاع أن يدرك حقيقة الإسلام، جاعلا فكرة التشريع الإسلامي نقطة الانطلاق في دراساته، وأفلح في أن يقدم أفكار المدنية الإسلامية. وقرر بيكر أنه كان مهتمًا بالحياة العامة عند المسلمين اهتمامه بالأفكار الفلسفية الإسلامية وأفكار التصوف الإسلامي، فضلا عن توفره على دراسة التاريخ الإسلامي السياسي، والشعر العربي القديم، قبل ابتداع مصطلح الدراسة البيئية ***area study***.

وقد تناول المستشرق المجري برنارد هيللر (١٨٥٧ – ١٩٤٣) ***Heller, B.*** الذي نشر أعمال جولدتسيهر العلمية في مائة صفحة مباحثه الإسلامية واليهودية، وما نشره من مقالات في دوائر المعارف والمجلات العلمية، ترجمةً لحياته، مدللا بالشواهد على قيمته ومرتبته العلمية. وأضاف إليها المستشرق الروسي كرتشكوفسكي (١٨٨٣ – ١٩٥١) ***Kratchkovski*** في ذكرى جولدتسيهر سنه ١٩٤٨عددًا غير قليل من المقالات.

وذكر هيللر أن جولدتسيهر أول من قدم نقدًا تاريخيًا للدراسات الإسلامية، وعبّر عن تقديره للتمدن العربي والشريعة الإسلامية.

وبين أنه أفاد كثيرًا من معرفته بالديانتين اليهودية والمسيحية، ودراساته للكتب الدينية المختلفة مثل التوراة والإنجيل والتلمود والمدراش في إقامة موازنات مع ما في الإسلام من مواد تاريخية أو تشريعية، وإن كان قد أخطأ في اعتبار هذا كله نقلا عن التوراة أو امتدادًا لها. ناسيًا أن مصدر الكتب السماوية واحد، وأنه لا يمكن أن يقع بين هذه الكتب الدينية مخالفات، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مقارنة أديان.

وقد رجع ناشر يوميات جولدتسيهر المستشرق المجري أليكسندر شايبر ***Alexander Scheiber*** في ملحوظاته عن اليوميات إلى ما كتبه هيللر، ويمكن تبين ذلك بقائمة أعمال المستشرقين عن جولدتسيهر آخر الكتاب، وهي من وضع شايبر.

ولهذا كله أطلق على جولدتسيهر "أبو الإسلاميات ***Father of Islamology***" (أو مؤسس الإسلاميات)، وأطلق عليه أيضًا "صاحب الملل والنحل"[١] لمعرفته الدقيقة بالملل والنحل دقةً كافأ بها الشهرستانى صاحب "كتاب الملل والنحل".

خامسًا: مكتبة جولدتسيهر:

عندما غادر جولدتسيهر مصر صرح أنه حمل من الكتب العربية زادًا يكفيه في دراساته أكثر من خمسة عشر عامًا، جمعها من الشام ومصر في صناديق كثيرة، منها صندوق مليء بكتب عربية.

---

(١) لقّبه بذلك الأمير شكيب أرسلان. (راجع اليوميات ص٣٠٨، ٣٠٩).

ويكتب في يومياته:"قسمتها بالباخرة، ولم أكن أعلم أن هذا الصندوق الممتلئ بالمصادر اللازمة لدراساتي سيكون السلوى الوحيدة لي في السنوات التالية"[1].

ويقول نجيب العقيقي إن مكتبة جولدتسيهر "أربت على ٤٠ ألف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب، أسبغ على القسم الشرقي منها قيمة علمية بما علقه عليه من الحواشي والاستدراكات والتحقيقات. وأضاف إليها نسخًا تبلغ الآلاف، عدا مقالات المجلات العلمية التي أهداها إليه المستشرقون من جميع أنحاء العالم، تقديرًا لعلمه واعترافًا بفضله".

وهو يكتب في يومياته كثيرًا عن الكتب العربية التي حملها معه من مصر، ولو رجعنا إلى ثبت المصادر العربية الذي جمعتُه من صفحات كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي" الصادر عن المركز القومي للترجمة عام ٢٠١٣، لوجدنا أنه رجع في هذا الكتاب وحده إلى ٢٠٧ كتب عربية و١٢٥ كتابًا بلغات أوربية، ووجدنا أن معظم هذه الكتب ورد ذكره باليوميات، وأنه يصرح بقراءته هذه الكتب، ويستشهد بها، ويرجع في دراساته إليها، وأحيانًا يصرح بأنه قرأ بعضها مرتين. وهذا يدل على دقته، وعدم التدليس في كتاباته.

ومن هذه القائمة أيضًا، ومن إشاراته لما قرأه في يومياته، نجد أنه كان يقرأ بعض هذه الكتب مخطوطًا، لأنه لم يكن قد حُقق بعد، ومن هذه المخطوطات ما هو ما زال مخطوطًا ولم يُحَقق، ولا نعرف عنه شيئًا بالشرق العربي.

(١) اليوميات عن عام ١٨٧٥، ص٧٤، ٧٥.

- وقد عُني عناية خاصة بكتب الحديث النبوي الشريف، لأنها كانت معروفة في زمانه، مثل:

– صحيح البخاري بشرح القسطلاني.

– كتب السيوطي، وله بها عناية خاصّة، ومنها: المزهر، والإتقان في علوم القرآن، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.

أما عن كتبه ومؤلفاته الإسلامية فقد تحدثتُ عنها بمقدمة طبعة كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي"[1] وهي:

١– الظاهرية: تعاليمهم وتاريخهم.

- Die Zahiriten, Ihr Lehrsystem und ihre Geschichte, Leipzing 1884.

٢– دراسات إسلامية (جزآن).

- Muhammedanische Studien 2 vols., Halle1889 – 1890.

٣– تطور الحديث

- Über die Entwicklung des Hadith 1890.

٤– دراسات عن تاريخ تعلم اللغة العربية

- Beiträge zur Geschichte der Sprachgelehrsamkeit, bei den Araben, 1871.

٥– دراسات عن فقه اللغة العربية

- Abhandlungen zur arab. Philologie, I. Leiden 1895.

٦– تحقيق ديوان الحطيئة بشرح السكري متنًا وترجمةً وتعليقًا، ليبزج ١٨٩٣.

(١) طبعة المركز القومي للترجمة، ص٥٠ ـ ٥٢.

٧- ترجم كتاب "توجيه النظر إلى علم الأثر" للشيخ طاهر الجزائري ١٨٩٨.

٨- تحقيق كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، ليدن ١٨٩٩

٩- تحقيق جزء كبير من كتاب "المستظهرية في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" بمقدمة ألمانية، ليدن ١٩٠٦.

١٠- مقالات كثيرة عن الإسلام وعن الأدب العربي.

١١- مقدمة لكتاب عن محمد بن تومرت بتكليف من الحكومة الجزائرية.

وقد أوردت السيدة إريكا بير قائمة بالأعمال الإسلامية والسامية التي أنجزها جولدتسيهر بكتابها[1]، وتقع قائمة أعمال جولدتسيهر في ٣٨ صفحة بالجزء الثاني منه (ص٣٠٧-٣٤٥) موزعة وفقًا لتاريخ نشرها. ثم جُمعت بعد ذلك في أجزاء ستة (الأعمال الكاملة)، وردت في الجزء نفسه من كتاب بير ص٣٤٥-٣٥٢، وبلغ عدد هذه المؤلفات ٥٩٢ كتابًا وبحثًا ودراسةً في مختلف اهتماماته العلمية، وقد وردت هذه الأعمال أيضًا لدى هيللر ***B. Heller*** في كتابه "ببليوجرافيا لأعمال جولدتسيهر"، باريس ١٩٢٧

Bibliographie des Oeuvres de Ignace Goldziher Paris 1927.

وأضاف إلى هذه القائمة ألكسندر شايبر قائمتين أخريَيْن بالكتابيْن التذكارييْن؛ الأولي:

I. Goldziher Memorial Volume I. Budapest 1948, pp. 419-429.

---

(1) Erika Bär: Bibliographie zur deutschsprachigen Islamwissenschaft und Semitistik von Anfang des 19. Jahrhunderts bis heute Bd. 1-3 Wiesbaden, 1985 – 1994 / Dr. Ludwig Reichert Verlag.

والثانية في: *II. Jerusalim 1958 pp.209- 214*

وبهاتين الإضافتين أصبح عدد المؤلفات والدراسات ٧٤١.

ثم اكتشف شايبر بعد ذلك أعمالا أخرى لم يرد ذكرها بالقوائم السابقة، ومعظمها كُتب باللغة المجرية، ووردت في مجلات علمية في السنوات ١٨٧١ ١٩٧٣. وبذلك أصبحت أعمال جولدتسيهر ٨٠٧ مؤلفات ودراسات.

سادسًا: من أهم الموضوعات التي وردت باليوميات:

(أ) سبب كتابتها:

لعلنا عندما نقدم ما كتبه جولدتسيهر في يومياته التي أراد أن يقدمها لابنيه وأحفاده، مشترطًا عليهم ألا يقدموها لغيرهم، فإنما نقدم للقارئ العربي ما يساعده على تكوين فكرة حقيقية عنه وعن آرائه، كي يصدر حكمًا موضوعيًا عنه وعما كتب.

بدأ جولدتسيهر كتابة يومياته عند بلوغه الأربعين من عمره، في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٩٠، ولو أمعنا النظر فيما كتب لوجدنا أنه إنما كتبها لنفسه أيضًا كي يخفف عن نفسه آلامها، وليفرج عنها التوتر الذي تعانيه، وبخاصة عندما يسترجع ما لقيه في رحلته إلى سوريا ومصر (دمشق، والقاهرة) بين عامي ١٨٧٣ و١٨٧٤، فقد كانت بالنسبة له النقطة المضيئة في حياته التي عانى فيها الكثير، كانت أشبه بما يقال عنه *Fairy Tail*، أو قصة من ألف ليلة وليلة: خرج له عفريت من القمقم، ولبّى جميع ما طلبه منه من لقاء أصحاب الحظوة بالبلدين، وتعلم اللغة والفقه والتشريع بالأزهر الشريف، وحظي باحترام الناس وحبهم له، وهو لم يبلغ بعد الثالثة والعشرين من عمره.

وفضلا عن ذلك فثمة نقاط أخرى مضيئة في حياته مثل المؤتمرات الاستشراقية التي يلتقي فيها مع زملائه المستشرقين وضيوف المؤتمر الشرقيين، وما يلقاه فيها غالبًا من تقدير وتكريم، وكذلك ما يجعله يفتخر بنفسه عندما ينشر كتابًا يرضى عنه زملاؤه وقراؤه.

ويتبين من اليوميات أنه يكثر من استبطان ما يشعر به لما يعتمل في صدره، حتى إنه أحيانًا ينتابه أثناء الكتابة غمغمة عاطفية في عامية ألمانية مغايرة للمستوى اللغوي الذي يكتب به يومياته عادة، بل إنه يستعين أيضًا ببعض الألفاظ اللاتينية واليونانية(١)، ويكثر من استخدام الألفاظ والمصطلحات العبرية، كأنه يكتبها لنفسه أو لولديه اللذين حرص على تعليمهما العبرية وقراءة النصوص الدينية العبرية. وقد كان هذا – في الواقع – يخالف الأسلوب الذي كان يكتب به يومياته عن رحلته إلى المشرق العربي، أو لعل المترجم رافائيل باتاى *Raphael Patai* الذي نقلها من الألمانية إلى الإنجليزية قد تصرف في الترجمة. واللغة التي كتب بها اليوميات أميل إلى العامية الألمانية في عصره، وكانت تتميز بالتعقل أيضًا، وهي تكشف عن تعصب ديني صريح لليهودية والإسلام ولبيئة مثقفة تعلق بها أثناء رحلته إلى الشرق الأوسط.

وترجع أهمية اليوميات إلى أنها تعرّف بجميع علماء الإسلام المشرقيين الذين قابلهم جولدتسيهر في رحلته إلى الشرق الأوسط، واللغويين العرب أيضًا، واستمرت علاقته بهم، بمراسلة بعضهم أو لقاء آخرين عند

---

(١) فهو ينقل نصًا عن أفلاطون باليونانية، ثم يترجمه إلى الألمانية ص١٧١، ويكثر من استخدام ألفاظ فرنسية ولاتينية ومجرية، وأحيانًا يلبس الألفاظ الفرنسية الثياب الألمانية (أي يصوغها صياغة ألمانية).

حضورهم المؤتمرات التي يعقدها المستشرقون في بلادهم. وكان يحرص على حضور هذه المؤتمرات طمعًا في لقائهم ولقاء المستشرقين الذين يشاركونه فكره أو يعترضون عليه، ليعرف أسباب انتقادهم له.

وحينما ننظر في دراساته التي أصدرها بالعربية نجد أنها تشتمل على تحقيق ثلاثة كتب عربية: ديوان الحطيئة وترجمته والتعليق عليه، تحقيق كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، وجزء كبير من كتاب المستظهرية في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية. أما العمل الذي يدل على صلته بأصدقائه العرب ووفائه لهم – بحق – فهو ترجمته لكتاب "توجيه النظر إلى علم الأثر": للشيخ طاهر الجزائري ١٨٩٨، وكان قد تعرف عليه أثناء زيارته لدمشق وأفاد منه.

(ب) دراسة اليهودية والإسلام:

بدأ جولدتسيهر حياته بدراسته للديانة اليهودية، وكانت الممارسات الدينية اليهودية بوطنه المجر آنذاك، وكأنها جرح مفتوح ظل يعاني ألمه طوال حياته، ومن ثم أصبح انشغاله بالدراسات الإسلامية يلهيه عن ذلك، ويجعل حياته محتملة.

إذ إنه عند زيارته لدمشق بدأ يقارن ما يراه من سلوك المسلمين ومزاولتهم لشعائر دينهم ببساطة فطرية، بما كان يعيشه في وطنه، وكانت علاقته بكل من اقترب منه علاقة إخاء ومحبة دون أن يكون لدينه أي أثر. أقبل على تعلم العربية، ودرس العلوم الإسلامية باللغة العربية، وحفظ الأشعار العربية والأدب، كما تحدث بالتركية والفارسية أيضًا. ولم ينس في ذلك كله أن يتعلم العامية في دمشق والقاهرة.

كان يعقد صداقات مع العلماء والأشراف بالمدينة في دمشق. اتصل بالأمير عبد القادر القائد السابق للمقاومة الجزائرية الذي حضر للإقامة بدمشق عام ١٨٥٥، وبابنه محمد بن عبد القادر، وشيخه عبد الغني طالب الميداني، وطاهر الجزائري، ومصطفى السباعي وغيرهم من أصحاب المناصب والنفوذ. وفي مصر اتصل ببعض أصحاب المناصب مثل مصطفى رياض باشا، وعلى مبارك باشا، وأرتين باشا، ومنصور فهمي باشا، وأمين سامي باشا، واتصل بشيوخ الأزهر مثل: المفتي محمد العباسي المهدي، والشيخ الأشموني، والشيخ محفوظ، فضلا عن رجال من المثقفين المصريين وغيرهم مثل: السيد صالح مجدي، وجمال الدين الأفغاني، وأحمد زكي، كما اتصل أيضًا بالأب مكاريوس. وقد عرّفتُ بمعظمهم بملحق الأعلام.

وقد أفاد جولدتسيهر من هذه الفرصة بالأزهر، ومن ساعات القراءة التي قضاها بالكتبخانة المصرية، وعرف أفكار الصفوة من المثقفين في جلسات مجدي صالح. ولم يفته أيضًا أن يتعايش مع الحياة العامة بطرقات المدينة، وتعلم اللهجة الشعبية المصرية والأغاني الشعبية وحضر الأذكار، واستمع إلى السير الشعبية التي تنشد في المقاهي.

وقد زار جولدتسيهر القاهرة مرة أخرى في عام ١٨٩٦ مع مجموعة من الطلاب المجريين، وزار الأزهر ودار العلوم وقابل أمين سامي باشا، ويعقوب أرتين باشا، وزار درب الجماميز، وأبدى بعض النقد لما رآه (ص١٩٠).

وفضلاً عن ذلك فقد عرض عليه عام ١٨٧٤ أن يخلف لودفيج شترن في رئاسة الكتبخانة المصرية فاعتذر. ثم عرض عليه الأمير أحمد فؤاد –

حين زاره في بودابست – العمل أستاذًا بالجامعة المصرية، لكنه اعتذر أيضًا، وكتب إليه رسالة في ١٩١١/١٠/٢٧ لأنه كان يرفضُ مغادرة وطنه.

ظل جولدتسيهر طوال حياته مبشرًا بالتمدين الإسلامي، ومعلقًا عليه، وكان على اتصال دائم بكل تطور يحدث في العالم الإسلامي. ويشهد على ذلك الفصل الأخير من المحاضرات الإسلامية ***Vorlesungen***، ومن كتاب المذاهب ***Richtungen***. ومراعاة لذلك فإن يومياته تبين في اليوم الأول من سبتمبر سنة ١٩١٩ (أي قبل سنتين من وفاته – أنه كان يائسًا مما وصل إليه حال المسلمين بالعالم الإسلامي) كما كان غير راضٍ عن بالتهويد قبل ذلك، وما يمارسه اليهود من طقوس بالمجر. وهذا ما نتبينه أيضًا من رسائله إلى المستشرق صمويل بوزاننسكي ***Samuel A. Pozananski*** في قارشاو ***Warschaw*** عام ١٩٠١ (وبعضها مكتوب بالعبرية بسبب الرقابة). وظل يرسلها حتى نوفمبر ١٩٢١ (قبل وفاته بعشرة أيام).

وكان جولدتسيهر يبدي عدم رضائه ويأسه من أحوال المسلمين بالعالم الإسلامي؛ إذ إن المسلمين الشبان لم يكن لديهم معلومات عن الإسلام الحقيقي ولا يفهمونه، وأنهم – غالبًا – لا يهتمون بعقيدتهم، ولم يدرسوا دينهم بطريقة تاريخية ليرتقوا إلى مستوى أعلى في حياتهم الدينية، مكتفين بتقليد الغرب في كل ما يصدر عنه أو يلاحظونه من تصرف أهله في كل أنواع الحضارة المدنية.

ألا يذكرنا هذا بقول الإمام محمد عبده الذي رأي في فرنسا إسلامًا بلا مسلمين، وفي مصر مسلمين بلا إسلام؟!

ج) نصوص وردت باليوميات عن الإسلام:

ص٥٩- "وعلى الرغم من أن ديني مغاير للإسلام، فإنهم كانوا يعتبرونني واحدًا منهم، ولم يتعرض لي أحد بسوء، سواء من الشيوخ المتطرفين أو من الطبقات المتواضعة. وقد عشت في هذه الأسابيع أنعم بالروح الإسلامية التي آمنت بها كلية، فأصبحت مُسلمًا بكل جوارحي، ومؤمنا بأن الإسلام هو الدين الأوحد الذي يمكن بتكوينه وصياغته المذهبية الرسمية أن يرضى المفكرين والفلاسفة. وكان هدفي الأعظم أن أرتفع باليهودية إلى هذه المرتبة المنطقية. فالإسلام كما علمتني تجاربي هو الدين الوحيد الذي ينكر بتعاليمه الأرثوذكسية (القويمة)، وليست الفكرية الخرافات والإلحاد".

ص٦٠- "وفي قاعة رئيس الأساقفة ازداد حبي للإسلام، أكثر من حبي له عندما أكون بين المسلمين".

ص٦٤- "وتبينت أن الذكريات الإسلامية الجميلة التي عشتُها ونعمتُ بها تفتقدها روحي في حياة الدير هنا".

ص٧١- "شغل الإسلام تفكيري كلية، وكانت مشاركتي الوجدانية تجذبني موضوعيًا إليه فأطلقت على فكرتي عن التوحيد "الإسلام". فالتوحيد عندي هو الإسلام، ولم أكن كاذبًا حين قلت إنني أعتقد في نبوة محمد، ويشهد على ذلك نسخة القرآن التي أحتفظ بها، إذ تبين مدى اهتمامي بالإسلام".

ص٧٢- "ولكن كانت لدي رغبة ملحة (عارمة) في أن أشارك الشيوخ في صلاة الجمعة، وإن كنت لم أُدع لذلك لأنني غير مسلم، مع أنني كنت

أرغب جاهدًا في الانحناء مع آلاف المؤمنين والركوع والسجود أمام الله، وأنادي "الله أكبر"، بل وأعفر وجهي في التراب مع الآخرين أمام الواحد القهار. ومن ثم صممت على أن أؤدي صلاة الجمعة مع المسلمين".

"... عندما كنت في القرافة لزيارة قبر الشافعي، أجريت تجربة للتعبير عن مدى إيماني، فسلكت الطريق المستقيم إلى المسجد، راكبًا الحمار، وكنت أرتدي العمامة والقفطان – لسماع خطبة الجمعة والصلاة، وكان أصدقائي ممتلئين ذعرًا، خوفًا عليّ، ولكن المغامرة الجريئة نجحت، وتمكنت من وضع جبيني على الأرض وسط آلاف المصلين، ولم أكن في حياتي مخلصًا في صلاتي مثلما كنت في يوم الجمعة هذا الرائع".

ص٩٢-٩٤ – مواصلة دراسة تاريخ الأديان والدراسات الإسلامية.

ص١٣٥ – يقول عن العلماء اليهود "إنني أشعر بالاشمئزاز والنفور من مجتمعكم، حتى إنني أفضل مؤانسة أتباع محمد عنكم، وذلك تضحية كبرى من جانبي لا يدفع ثمنها أي فرد، عن أن أحيا معكم ولكم"

ص١٨٥ – عن أحد شيوخ جماعة الإخاء البيض بأفريقيا كان في طريقه إلى مارسيليا وتحدث معه باللهجة المغربية "اعتقد الشيخ أنني محمدي (مسلم) لأنني اتخذتُ موقف الدفاع عن الإسلام في حديثي معه، كما دافعتُ عن القرآن فيما نسب إليه من نصوص مغلوطة، واستشهدت بالصحيح منها، وربما كان حكمه هذا لأنني أتحاور معه بالعربية".

ص١٩٠- "في الصيف الأخير اكتشفتُ أحد اليهود المعتنقين للإسلام واسمه سعيد بن حسن الإسكندر، وقد قام بتأليف كتاب دفاعًا عن الإسلام، وعن هذا الموضوع كتبتُ مقالا بديعًا لمجلة ***Revue des Ét. Juives***، وتطرقت فيه مرة أخرى إلى التداخل المذهبي والعلاقات في الإسلام".

ص١٩١- يتحدث عن إجرائه امتحانًا لأحد المسلمين بالبوسنة، يرغب في تعيينه بالمدرسة العليا بسرايفو أستاذا لفقه اللغة العربية القديمة، بتكليف من وزير التعليم المجري.

ص٢٠٦- قيامه بتدريس الإسلام والحديث بخاصة لطالبين أرسلا إليه: أحدهما أمريكي والآخر روسي، وكان يقوم بالتدريس لهما ثلاث مرات أسبوعيًا، ويذكر أنه درس لهما صحيح البخاري مع شرح القسطلاني "إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري". ويقول: "وتمركزت مناقشاتي الجدلية معهما حول أسلوب معالجة المسائل الدقيقة، في هذا التوقيت لا يوجد في أوربا أستاذ لديه طالب واحد أكثر تحرٍ للحق في العلم".

ص٢٠٨- وفضلا عن ذلك استمر في التراسل مع الشيخ محمد عبده بعد أن رآه في جلسات بفرنسا مع جمال الدين الأفغاني في دار المستشرق رينان ***Renan*** وكانا يتجادلان معه عن الإسلام. وقد واظب على قراءة مجلة المنار، وكان يستند في كتاباته إلى ما يقرأه بها، وبخاصة ما يكتبه الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا.

د) ما ورد باليوميات عن اليهودية والإسلام ومعتنقيهما

يذكر جولدتسيهر في صفحة ١٥ الشعارين اللذين ظلا يتحكمان في حياته منذ صباه: **الأول:** قول نبوي مأثور انطبع في نفسه يوم تعميده وهو: "أيها الإنسان بلغك ما هو الحق، وما يطلبه يهوى ***Jahwa*** منك، وهو ليس إلا أن تتبع العدل، وأن ترحم غيرك، وأن تخشع أمام ربك" (سفر ميخا/ الإصحاح السادس/ آية ٨).

الثاني: آية من آيات القرآن: "فَصَبرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُستَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" (سورة يوسف آية ١٨).

وفي صفحة ١٨ يقول: "علما بأنني طُبعت منذ نعومة أظفاري أن أتسامح مع من يدينون بدين آخر، وأن أحترم مشاعرهم الدينية".

اهتم جولدتسيهر بعقد مقارنات بين ديانات التوحيد الثلاثة، إذ إنه كان قبل رحلته إلى المشرق العربي يعيش في زمن كانت الجماعة اليهودية التي ينتمي إليها متساوية في الحقوق مع السكان المسيحيين، بعد موافقة البرلمان المجري الملكي في ١٨٦٧/١١/٧ على القانون. عقب ما يسمى بالتفاهم التي يمنح المجريين استقلالا داخليًا تامًا بالإمبراطورية النمساوية المجرية. ولكن اليهود المجريين كانوا مقسمين بين أرثوذكس وحراس العقيدة الذين يتبعون الاتجاه الذي يحدده لهم الحَبر حاتم صوفر *Hatim Sófér* (كاتب موسوي ١٧٦٢ – ١٨٣٩) وزميله يشيفا *Yeshiva* في براتسلافا وسلوفاكيا في جانب، وعصبته نيولوج *Neolog* في جانب آخر، وبينهما فريق ثالث يدعى *Status quo congregationists* (جماعة الإصلاح).

وقد حاول أن يتجنب المشاجرات البسيطة بين الفريقين. كان من السهل على جولدتسيهر أن ينتمي لهذه الجماعة، إذ إنه شاهد – وهو طفل – كيف أن أحد الأحبار الذي ينتمي إلى فريق الإصلاح أُجبر على ترك مكتبه في شيكسفيرفات/ شتولفايزنبورج *Székesfehérvat/Stuhlweissenburg* حيث ولد جولدتسيهر(١).

---

(1) van Ess; Goldziher as a Contemporary of Islamic Reform, p. 42.

كانت اليهودية بالنسبة لجولدتسيهر دينَ دراسة، ثم اكتشف أن الإسلام يَعُدُّ الدراسةَ واجبًا دينيًا أيضًا. وهما في هذا يختلفان عن المسيحية، وهو يعني بالمسيحية – هنا – الوسط الكاثوليكي بالمجر، ومن ثم خرج بفكرة عامة، وأقبل بتقوى حقيقية على دراسة ما وجده بين أصدقائه المصريين، محاولاً أن يبرهن على مقارنة فكرة التوحيد في الديانتين، والطقوس الدينية بينهما أثناء وجوده في مصر، حيث تعرف الممارسات الدينية عند المسلمين، وكانت لديه فرصة لمعرفة الإسلام في حقيقته الإنسانية، عندما كان في سنواته التي يكون التأثر فيها أقوى منه في أي سن أخرى، فضلا عن أن اتصاله بالعالم الإسلامي كان أمرًا نادرًا في زمانه على المستشرقين؛ إذ لم يكن متاحًا للمستشرقين الألمان في القرن التاسع عشر أن يقوموا بهذه الرحلة إلى الشرق العربي، أو أنهم لم يهتموا بذلك، لأن الدولة قبل ١٨٧١ كانت فقيرة، وكانت مقسمة إلى أجزاء صغيرة، فلم تتح الفرصة إلا لعدد قليل منهم، أو لعله كان الاستثناء، الحضور إلى المشرق العربي، ومنهم المستشرق زاخاو (١٨٤٥ – ١٩٣٠) ***Eduard Sachau*** الذي كان يقوم بالتدريس بجامعة برلين وألفريد فون كريمر (١٨٢٨ – ١٨٨٩) ***Alfred von Krämer*** الذي عمل بقنصلية النمسا بالإسكندرية ثلاثين عامًا.

أما جولدتسيهر فقد أتيحت له الفرصة بسبب احتياج المجر (عام ١٨٦٧) لتربية جيل من العبقريات الشابة للتدريس بالجامعة في بودابست، فأرسل إلى برلين وليبزج ليدرس المناهج الأوروبية ***Methology***، ثم حصل على منحة لتعلم اللهجات العربية المحلية في سوريا ومصر، ولمعرفة اللغة العربية المستخدمة في الشئون الإدارية بالقنصليات الأوروبية. وإن كان لم يكمل

الواجب الذي أرسل من أجله؛ إذ إنه عكف على دراسة العربية الفصحى ودراسة المخطوطات، ولم يزر القنصليات إلا قليلا[1].

درس اللغة الفصحى وتعرف أساليب الكتابة والإنشاء العربية، ودرس علوم القرآن الكريم وتفسيره، وعلوم الحديث، والشعر، والقواعد النحوية. وأعجبته الإقامة بين المسلمين، وبخاصة أنه قدم من عالم مليء باليهود المجريين، الذين كان لا يحبهم كثيرًا، ولا يعجب بطريقة ممارستهم للشئون الدينية، وكانوا في ممارستهم هذه بعيدين كل البعد عن ممارسات اليهود الأوائل الذين درس في صغره كل شيء عنهم، وفضلا عن ذلك كانوا يفضلون الحديث بلهجة الييدش ***die Jüdische Sprache*** إذا أرادوا أو فكروا في الحديث باللغة العبرية، ويرفضون أيضًا أي أفكار إصلاحية دينية جديدة، ولهذا كانت مقارنتهم بالمسلمين تسبب له صدمة عنيفة، لأن المسلمين يعيشون في عالم أكثر تقدمًا دينيًا، وينعمون بعقول متفتحة متحررة بثقافتهم الخاصة، ويتطلعون إلى ما يتصلون به من عالم يعتبرونه أكثر تقدمًا منهم، دون سلطان ديني يتحكم فيهم.

ورغم ذلك فإن دمشق بالنسبة له هي الأفضل من القاهرة؛ إذ اختلط بالرجال الذين كانوا – عادة – من التجار، أو رجالا ينتسبون إلى الطبقة المتوسطة، وكانوا منشغلين بحياتهم البسيطة، على حين أن الأمر – بالنسبة له – لم يكن كذلك بمصر؛ إذ وجد أن الطبقة الحاكمة كانت تميل إلى الحياة الأوربية، وكان الأوربيون يعيشون بها عيشة متميزة. ويعاملهم المصريون معاملة خاصة، إذ إنه كان مقتنعًا بأن العالم العربي عالم متجانس، وأنه يشكل نفسه بطريقة صحية.

---

(١) يُرجع إلى اليوميات، ص١٢٥.

كان يبحث عن ارتباط الأدب العربي والدين الإسلامي بالحضارة العربية أو بحياة العرب، ولم ير من الثقافة المنتشرة بين السوريين المثقفين إلا ما يمكن أن يسمى بالماسونية الحرة، ويشير إليها باليوميات دون أن يعلق عليها. وكان الاتجاه الديني بينهم نوعا من التصوف الروحي، ويُرجِع ذلك – فيما يرى – إلى نفوذ الأمير عبد القادر (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) القائد السابق للمقاومة الجزائرية، الذي حضر للإقامة في دمشق منذ ١٨٥٥ – وكان من محبي ابن عربي – طبع كتابه "الفتوحات المكية". وعندما توفي دفن بجواره في المسجد الذي دفن فيه (ابن عربي) بضاحية الصالحية بدمشق وكتب ابنه محمد بن عبد القادر بن محيي الدين (١٢٥٦/١٨٤٠- ١٣٣١/١٩١٣) سيرة والده بعنوان "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر". وقد عرفه جولدتسيهر، وصاحبه، كما عرف مصطفى السباعي وكان عربيًا جليلا، عقد جولدتسيهر معه صداقة حميمة. وكان أكثر أصدقائه من رجال الدين تبحرًا في العلم، وكان يتولى الخطبة في مساجد دمشق، وكان ماسونيًا حرًا، ومحبًا للتصوف، يمتلك مجموعة قيمة من المخطوطات.

حـــاول أن يقنع جولدتسيهر باعتناق الأفكار الماسونية، فلم يستجب له إلا بصلاة التراويح التي شارك فيها الكثيرون من المتصوفة. ويشاركه في الاسم رجل آخر درس بالأزهر الشريف[١]، وعارض أستاذه دكتور علي حسن عبد القادر في رأيه عن كتابات جولدتسيهر وعن رأيه في الزهرى

---

(١) أي صاحب كتاب الاستشراق والمستشرقين، ولعله من أسرة مصطفى السباعى الـــذى كـــان صديقا لجولدتسيهر فى الشام. يرجى الرجوع إلى الصفحات الأولى من هذه المقدمة.

(من أوائل رواة الحديث) في عام ١٩٣٩، وكتب عنه كتابه "الاستشراق والمستشرقون / ما لهم وما عليهم" الذي نشره ابنه بعد وفاته عام ١٩٩٩[١].

وتعرف أيضًا على الشيخ عبد الغني بن طالب الميدان (١٢٢٢ – ١٢٩٨ / ١٨٠٨ – ١٨٨١) الذي حضر مع الأمير عبد القادر من الجزائر، وكان قاضيًا حنفيًا بدمشق.

ولم تعجب الصوفية – وفقًا لأسلوب ابن عربي – جولدتسيهر تمامًا؛ إذ كان يميل إلى المعتزلة، لهذا شارك حركة الاعتزال الجديدة التي انتشرت بين المفكرين المسلمين في القرن العشرين بعد ذلك. وكان يرى أن خير من يمثلها في هذا الوقت مدرستان:

الأولى: مدرسة نشأت في الهند بقيادة سيد أمير علي، وأحمد خان بهادر.

والثانية: نشأت في مصر بقيادة الشيخ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده.

محمَّد عوني عبد الرءوف

(١) يُرجع إلى أعلام الشرقيين بنهاية هذا الكتاب.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

١- إيجناس جولدتسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، تقديم ودراسة د. محمد عوني عبد الرءوف ط. المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣.

٢- د. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

٣- د. محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار القدس، ١٩٩٩.

٤- د. محمد حسن جبل: الرد على المستشرق اليهودي جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، ٢٠٠٢.

٥- د. محمد عوني عبد الرءوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، مكتبة الآداب، القاهرة، جزءان، ٢٠٠٦، ٢٠١١.

٦- د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٩.

٧- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٥.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1- *Bär, Erika, Bibliopraphie zur deutschsprachigen Islamwissenschaft und Semitistik von Anfang des 19. Jahrhunderts bis heute. Bd.2, Wiesbaden, Dr. Ludwig Reichert Verlag, 1985 – 1994.*

2- *Becher, C.H., Der Islam, Bd. 12/1922.*

3- *Chelonio Dov Goitein, Review Article, Goldziher seen through his letters Goldziher Memorial Volume, Budapest 1948, I, 22.*

4- *Fück, J., Die arabischen Studien in Europa, Leipzig, 1955.*

5- *Patai, Raphael, Ignaz Goldziher and his Oriental Diary – Wayne State University, Detriot 1987.*

6- *Scheiber, Alexander, Ignaz Goldziher Tagebuch, Brill – Leiden 1977, 1978.*

7- *van Ess, John; Goldziher as a Contemporary of Islamic Reform, Goldziher Memorial Conference, Edited by: Éva Apor and Istvan Ormos, Budapest 2005.*

الجزء الأول

التـرجمـة

مقدّمة "يوميات جولدتسيهر"[1]

٩

تُوفي عالم الرياضيات، الأستاذ كارل جولدتسيهر **Prof. Karl Goldziher** وهو الابن الأصغر لإيجناس جولدتسيهر **Ignaz Goldziher** – في ٦ من نوفمبر عام ١٩٥٥، وقد ألقيتُ خطبة القبر عند دفنه.

وفي وصيته ترك لي يوميات والده، التي لم يكن يعلم عنها أحد شيئًا إلا والده ووالدته. وكل ما نُشرَ قبل ذلك من اليوميات – مثل بعض البيانات التي نقلها "ساندور بيشلر **Sándor Büchler**" في كتابه عن عائلة جولدتسيهر[2] أو في حديث "يوسف فالدابفل **Jozef Waldapfel**"[3] عن الجزء الخاص بشخصية "موريتس كرمان **Moritz Kármán**"– كان منقولاً عن النسخة التي كانت في حوزة كارل جولدتسيهر.

ولم يسلم كارل جولدتسيهر – بناء على تحذير والده – هذه اليوميات لأحد. وقد صانها بعناية شديدة، فكانت هي اليوميات التي بقيت سالمة حتى بعد عام ١٩٤٤، أما النسخ الخطيَّة الأخرى بخط والده ومعها التكملة التي أعدها للنشر بعد ذلك، فقد ضاعت.

ورغم أن جولدتسيهر بدأ في كتابة يومياته في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٩٠، وهو اليوم الذي يوافق عيد ميلاده الأربعين، فإنه لخص إذ ذاك كل ما يتعلق

---

(١) كتب هذه المقدمة أليكسندر شايبر ***Alexander Scheiber*** ناشر اليوميات.

(2) Büchler, Múlt és Jövő (Vergangenheit und Zukunft). XXVIII. 1938. Pp. 18-20, 51-52, 82-83, 113-114, 152-153, 184-185.

(3) J. Waldapfel, Semitic studies in Memory of Immanuek Löw. Budapest 1947. Pp. 175-176.

بحياته السابقة حتى ذلك الحين، مستخدمًا فيها ما كتبه في يومياته عن رحلته إلى الشرق أثناء شبابه، وإنني أمتلك أصول هذه اليوميات أيضًا.

ولم تدوَّن سيرته الذاتيـــة حتى الآن؛ إذ إنَّ المصدر الرئيس لهذه السيرة لا بد أن يكون هو هذه اليوميات؛ وهي مفيدة للغاية لمعرفة الحياة العامة والخاصة لرجل من أعظم المفكرين في مستهل القرن التاسع عشر، لقد أبى جولدتسيهر أن يبوح بما لاقاه في حياته من محن ونكبات، ولكنه عندما جلس في سن الخامسة والخمسين؛ محققًا بذلك أملا قديمًا ووجد أن حياته تنحو منحىً يرضيه، لم يجد بأسًا في أن يبوح بأسراره فيما يكتبه من يوميات، ومن ثمَّ نتبين من خلالها سمو مشاعره، كما يتضح فيها أيضًا أحكامه المريرة – والخبيثة غالبًــا – علــى أشخـــاص لهم أهميتهم فـــي حياته، مثل ما كتبه عن "باخر ***W. Bacher***" و"كاوفمان ***D. Kaufmann***" و"كون ***S. Kohn***" و"ليف ***I. Löw***" و"مونكاسي ***B. Munkácsi***".

ومما يستحق الاهتمام، صداقته في شبابه مع باخر ***Bacher*** التي تدلل عليها الرسائل الموجهة إليه، والموجودة حاليًا بأرشيف مدرسة الأحبار المحلية ***Landesrabbinerschule***.

وهو يروي عن انقطاع هذه الصداقة في يومياته. وقد كانت آراؤه التي أطلقها بعد ذلك في باخر ***Bacher*** غير موضوعية؛ إذ لم يكن باخر أكبر مرجع في الدراسات اليهودية في عصره فقط، بل كان رجلاً لا تناله الشبهات./ ومن المؤسف أن يعيش هذان المستشرقان الكبيران في مدينة واحدة دون أن يكون بينهما تواصل شخصي. [١٠]

كانت له ملحوظات ينتقد فيها مدرسة أحبار بودابست المحلية، وهي مؤسسة تمنى أن يعين بها أستاذا مرتين: المرة الأولى عند افتتاحها عام

١٨٧٧، والثانية بعد وفاة كاوفمان **Kaufmann** عام ١٨٩٩، ولكن رُفض تعيينه في المرتين، وكان يشكو من أن نجاحه الكبير، واعتراف المحافل العلمية به خارج وطنه لا يجد صدى بالمعهد.

كان ما كتبه عن زوجة ابنه "ماريا فرويدنبرج[١] **"Maria Freudenberg** أروع صفحات يومياته. كانت رائعة الجمال، ذات شخصية مميزة، دارسة موهوبة للآثار المصرية. وكان جولدتسيهر في الثالثة والستين من عمره عندما تعرف عليها عام ١٩١٣ فأصبحت ملهمته، وواحدة من معبودات الفن عنده، فتصابى وازداد حبه للحياة. وبهذا اتضح مؤخرًا- سبب رفضه للدعوات المشرفة التي كانت توجه إليه من الجامعات بالخارج وتفضيله البقاء في بلاده. ولما أصيبت في الرابع من ديسمبر ١٩١٨- وكان عمرها آنذاك ثمانية وعشرين عامًا- بالحمى الإسبانية **Spanische Seuche** كتب بيومياته إنه فقد أي رغبة في الحياة. ونسي أنه يكتب باللغة الألمانية، فكتب في يأسه هذه السطور باللغة المجرية:

"سقط التاج من فوق رأسي؛ إذ سقطت ماريا ضحية الحمى الإسبانية. آه يا عزيزي كارل!"

وقد أهدى لذكراها كتابه الأخير[٢]، فكتب:

"إلى أثمن ذكرياتي، إلى الحبيبة التي اختُطِفت منا، زوجة ابني: ماريا جولدتسيهر (ميلادًا فرويدنبرج **Freudenberg**)، التي توفيت في ديسمبر ١٩١٨، أهدي الكتاب حسرة عليها".

---

(١) جزء من مخلفات ماريا فرويندبرج، نشرها هيلر **(B. Heller)** عام ١٩٢٨ *فى كتاب (حكايات مصرية قديمة):* ***Ó-egyiptomi mesék (Altägyptische Märchen), Budapest 1928***

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي:
Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, Leiden 1920 .

ولم يمس دفتر يومياته بعد ذلك إلا قليلا؛ إذ إنَّ آخر ما كتبه باليوميات كان فى أول سبتمبر ١٩١٩.

ونلمس في يومياته تعاليه ووثوقه من نفسه في إجابته عن سقطات الجيولوجي "لوسيوس *Lajos Lóczy*" على معاداة السامية في جلسة الأكاديمية العلمية المجرية يوم ١٨ من أغسطس. وبعد ذلك بقليل قدم استقالته من منصبه باعتباره رئيس النخبة الأولى.

وتعد هذه اليوميات ذات أهمية علمية عظيمة من وجهة تاريخ العلم؛ إذ نتعرف من خلالها على جميع علماء الإسلام المشهورين في أيامه. فهو يحكى عن علاقته بهم، وعن رحلاته، وعن جمعه لمصادر علمه، وعن إعداده لأبحاثه وأعماله، وعن الصدى الذي أحدثته./ وتقدم اليوميات أيضًا مادة غنية عن السياسة العلمية المجرية، وعن حياة اليهود المجريين. ١١

فهذه اليوميات تعد مرجعًا تاريخيًا. وقد احتفظنا في هذه الطبعة بقواعد الإملاء التي كُتبت بها في النص الألماني الأصلى، كما احتفظنا بطريقة كتابته الصوتية للكلمات العربية، وأسماء الأعلام.

وإنني لأعبر عن جزيل شكري للأستاذ فودور **_Dr. A. Fodor_** المستعرب المتميز على إعداد الفهارس.

أليكسندر شايبر

يوميات جولدتسيهر

ـ بودابست في ٢٢ من يونيو ١٨٩٠ يوم عيد ميلادي الأربعين: ١٥

أبدأ اليوم كتابة خلاصة لسيرة حياتي وفقًا لما دونته من كتابات قديمة، ولما أتذكره. وقد كتبت هذا لزوجتي وأبنائي، وكل أصدقائي المقربين، على أن تبقى هذه الروايات بعيدة عن الآخرين ما دمتُ حيًّا. وإذا ما عرفها أحد – وسيكون هذا مصادفة غير متوقعة– فإنني ألتمس منه كلمة شرف ألا يذيع ما في الورقات التالية، وأن يحتفظ بسرية وجودها.

لقد كانت حياتي منذ صباي يتحكم فيها شعاران:

الأول: قول نبوي مأثور انطبع في نفسي يوم تعميدي:

"أيها الإنسانُ بلّغكَ ما هو الحق، وما يطلبُه يهوى منك، وهو ليس إلا أن تتبع العدل، وأن ترحم غيرك، وأن تخشع أمام ربك"[1].

الثاني: آية من آيات القرآن [الكريم]:

"﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾"[2].

---

(١) سفر ميخا، الإصحاح السادس، آية ٨ "قد أخْبَرَكَ أيها الإنسانُ ما هو صالحٌ، وماذا يَطلبُهُ منك الربُّ إلا أن تصنعَ الحقَّ، وتُحبَّ الرحمة، وتسلكَ متواضعًا مع إلهكَ".

(٢) سورة يوسف: آية ١٨.

الأعوام ١٨٥٠ـ ١٨٦٦:

يرجع تاريخ عائلتنا – فيما تسجله شجرة العائلة – إلى بدايات القرن السابع عشر. كانت تسكن مدينة هامبورج التي ما زال يوجد بها حتى اليوم أسرة غنية ثرية عظيمة تحمل الاسم نفسه [أي لقب جولدتسيهر]، وهي ما زالت تسكن أقدم بيت سكنه أجدادي. وقد تفرع منها أسرة اتخذت المجر وطنًا، تحمل لقب "هامبورجر"[1] Hamburger وذلك لهجرتها من هامبورج؛ وهي مذكورة بسجل الجالية اليهودية المجرية هناك، الذي ورد به اسم موزس أبراهام جولدتسيهر ***Moses Abraham Goldziher*** وجوتشلك جولدتسيهر ***Gottschalk Goldziher*** بالقرن السابع عشر، بوثائق جمَّة ممهورة بخاتم "يُعتمد" ويوجد بينها وثيقة لجدي الأول الذي ارتحل إلى كيتزي ***Kittsee*** بفايزنبورج لزواجه، كتب عنه الحبر في كيتزي عام ١٧٦٢/ بوثيقة شابر ***Chaber-Dokumente*** "الزوج المسمّى يوم– توب ***Jom-tob*** (أي ليبمان ***Lippmann***) ابن موزس هامبورج ***Moses-Sohn Hamburg***، وكان أول اسم ظهر من أسماء أسرتي. وقد ذُكر اسم ابنه أيضًا وهو اسم جدي فيتوس ***Vitus*** (فيبوس شيراجا ***Phoebus Scheraga***) وكان يحمل اسم جولدتسيهر أيضًا. ودعاه الحبر هيرش برودا ***Hirsch Broda*** عام ١٨١٧ باسم شيراجا يوم– توب – زونهامبورج ***Scheraga Jom-tob-Schamburg***، وقد هاجر بعد زواج والدي عام ١٨٤٢ إلى شتولفايزنبورج***Stuhlweissenburg*** حيث توفي عام ١٨٤٤. ووفقا لما وصفه لي رجال كبار السن من الذين عرفوا جدي في عنفوان شبابه، أنه كان رجلا صالحًا فاضلاً، وكان رجلاً ذا خلق قويم. وقد

١٦

(١) هاجر موزس هامبورجر عام ١٧٣٥م إلى كيتزي، وابنه ليبمان جوم توب.

اطلعت على ثراء معلوماته عن أدب الديانة اليهودية في كتاباته في بعض الصحف التي قرأتها. وقد أصبحت الكتب التي كانت على الرفوف، وكانت تعلو سرير جدي - الذي كان تاجرًا يهوديًا بسيطًا- أساسًا لمكتبتي اليهودية؛ وما زال والدي يتذكرانه، ويترحمان عليه، ويثنيانِ عليه ثناءً عظيمًا.

وقد ظلت والدتي طوال حياتها تذكر حماها الطيب المخلص، وخلقه القويم، وحمايته ورعايته لها في الغربة يومًا بعد يوم. أما بالنسبة لأبي فقد كانت ذكرى والديه جزءًا من عبادته اليهودية الحقة.

وفي أكتوبر ١٨٦٩عندما وصلتُ في رحلتي العلمية الأولى إلى برلين، وفتحت حقيبة كتبي، وجدتُ بها ورقة مكتوبة باللغة العبرية يتمنى فيها والدي أن أحفظ ذكرى والديه، فأحييها بأن أتعلم من سلامة نواياهما، وأن أصلي من أجلهما ما دمت حيًا. فكانت رغبة صالحة، ما زلتُ أحرصُ على تنفيذها حتى اليوم، وسأحرص على ذلك طوال حياتي. وكان لي أخٌ وُلد سنة وفاة جدي، وقبل ميلادي بسنوات أربع، سمي باسم جدي حفاظًا على هذا الاسم. أما أنا فقد أطلق عليَّ اسم جدي لوالدتي إسحق برجر **Isak Berger**، وكان يعيش في راجن دورف **Raggendorf**، ويحرص- على الرغم من اشتغاله بالتجارة - على مواصلة الدراسات اليهودية في نهاره وليله. ومثل هذا كان يفعله جدي لوالدي الذي كان على علاقة صداقة بهذا العالم الذي اعتلى كرسي حبر مدينة برسبورجر **Pressburger**، وفيزل بورجر **Wieselburger** ويزيِّن لجنتها. وإنني أتأمل أسماء الذين أهملوا الترحم عليه واهتموا بكل أمور الحياة، وإن كانوا قد ورثوا عنه حبه لدراسة القانون اليهودي. ولذلك لم أُحرم من ميراث مزاياه العظيمة، وحظه الرائع الذي اشتهر في الجاليات السبع - ولها وعرضها- والذي ما زلت أحتفظ به ضمن التذكارات التي أحتفظ بها من أجدادي/.

١٧

وقد مرض جدي مرضًا شديدًا استوجب نقله إلى مسكن أخيه في مدينة تتني *Teteny* حتى تُوفي ودُفن هناك.

وإنني وإن كنت أُدعى "هامبورجر" من جانب آبائي، فإنني أرتفع إلى أعلى قمة شجرة أسرة ميرين *Mähren* من جانب أجداد أمي. وكانت جدة أمي من مدينة تريش *Triesh* حيث كان والدها بيزاليل فاين ماير *Bezalel Weinmayer* يشغل منصبًا رفيعًا في الحكومة التي تتمتع بالحكم الذاتي، وتتولى شئون يهود مدينة ميرين، وكان يفتخر بصداقة الحاخام المحلي للمدينة موردخاي بينت *Mordechai Benet*، الذي رحلت ابنته إلى شتولفايزنبورج *Stuhlweissenburg* عندما تزوجت أول مستوطن يهودي بها، وهو حاييم فايزنبورج *Chajim Weissenburg*، وبقيت صديقة لجدتي التي كانت تسكن بالمنزل نفسه. وقد لعبت هذه السيدة الذكية دورًا مهمًا في تربيتي، وكانت آنذاك امرأة عجوزًا، واعتادت أن تقص عليَّ بعض التفاصيل المهمة عن يهود مدينة ميرين، بدءًا من أول القرن، وتنعش خيالي بما تقصه عن الحرب الفرنسية التي تمتد أحداثها الصغيرة حتى تصل إلى مكتب بريد مدينة راجن دورف حيث كانت تسكن قبل الزواج، وكيف أنها رأت نابليون الأول بمكتب البريد بالمدينة الصغيرة يستبدل جواده. وكانت تقص عليَّ الكثير عن التحالف الثلاثي.

كنت أفتقد في صباي الأمور السعيدة التي يمكن أن أحتفظ بذكرياتها، وكل ما أتذكره عن طفولتي يفعم نفسي بمضامين رهيبة ما زالت حتى اليوم تؤثر على رغباتي

وأفعالي وتتحكم في نواياي وخلقي.

رباني والداي على التمسك بالعدالة والرحمة، فأبي بأخلاقه الفاضلة، وإرادته الصلبة وتزمته وخلقه الجاد، وأمي طيبة رؤوم صبورة متسامحة ذات خلق إنساني رفيع. وترجع بي ذكرياتي معهما إلى الرابعة من عمري، وما زالت صورة والدي حية في خيالي حين كان يتريَّض على الممر، ويعظ الطفل الصغير الذي لم يبلغ بعد مرحلة الوأوأة والتأتأة، ويحضّه على كراهية الرياء والنفاق. وكان هذا ما يحتّمه عليه حكمه الجاد الزاهد في معاملاته الخاصة مع من يتعامل معهم من البشر، وأفكاره عن واجباته تجاه الرب. وهي التي تجعله يتحدث عن بؤس المساكين، وتجعل الدموع تتساقط من عينيه عن اقتناع بما يؤديه خدمةً للبشرية وللشهداء. كانت هذه هي الدروس الأولى التي أستعيد ذكراها. وقد رجعت بعد هذه النزهة إلى المنزل بقلب مكتئب. وفي الليلة التالية كانت الدموع المريرة تتساقط من عيني بلا انقطاع؛ حزنًا وتعاسة لأنني تبيَّنتُ أنني أضعف من أن أقوم بالواجبات المفروضة عليَّ، والتي يُحملني إياها أبي باعتبارها فروضًا لا يمكن إهمالها، لكي أحيا حياة عادلة. ولم تفلح الكلمات المهدئة لأمي رقيقة الإحساس؛ لولا تشجيع جدتي التي أسرعَتْ بالخروج من حجرتها إلى حجرة حفيدها الطفل عندما سمعت بكاءه وعويله/.

[١٨] كانت الأنانية مكروهة في منزلنا، وكان التعبير الواضح عن التراحم يتحكم في كل ما نعتاده في حياتنا الأسرية. وكان عابرو السبيل الفقراء الذين يمرّون بمدينتنا كل يوم تقريبًا يشاركوننا على مائدة الطعام، ويحظى والداي بدعائهم، والثناء عليهما عند مصافحتهما الضيوف وتوديعهم عند الرحيل. ولكن كان يفسد عليّ هذا كله ما وُجّه إليّ من تنبيه صارم بأنني يجب أن أنفذ

جميع الشعائر اليهودية، وأن أخضع لكل ما يفرضه علينا كبار السن المتزمتون من طائفتنا، ومع ذلك فقد كانت كل أنواع النفاق مكروهة ومحتقرة. وقد نُبهت إلى ضرورة التدرب على ممارسة جميع الحقوق، وأن أقوم بكل ما تشتمل عليه، وكان عليَّ أن أتجنب كل بريق يتعلق بها عن روايات وأساطير دينية، وأن أكرهها. وكان من السهل على أبي أن يتبين أنني لا أشارك في الحياة الدينية، وإن كنت أمارس شعائرها حينما تكون بعيدة عن أنظار الآخرين، وبخاصة عندما تكون ملزمة، فالتقشف والزهد إنما يجب أن يكونا أساسيين للعبادة، مع تجنب الاستعراض، علمًا بأنني طُبعتُ منذ نعومة أظفاري أن أتسامح مع من يدينون بدين آخر، وأن أحترم مشاعرهم الدينية. وكنت أزور الكنيسة كلما يحلو لي ذلك مع رفاق الطفولة وأطفال الجيران، ومن ثمَّ كنت متعطشًا منذ الصغر لمقارنة الأديان والتفكير فيها. وكان هذا مدعاة للتفكير في عقيدتي مما جعلها أجدر بالاحترام.

وبــزغ هــذا الوعي والإدراك في نفسي منذ سنوات طفولتي الأولى، إذ إنَّ الحياة الدينية تتطلب في أسرتنا في المقام الأول دراسة تاريخ الديانة اليهودية. وهذا ما جعل والدي – على الرغم من انشغاله بشئون تجارته – يوفر لها وقتًا لدراستها. وكان يشحذ همتي – بلا كلل – بضرورة أن أعمل على أن تتسم أخلاقي وحياتي بروح هذه القوانين (الدينية) بالتعمق في دراسة الأدب والتاريخ اليهودي الذي يكسب الإنسان معرفة بقانون ديننا.

تمكنت من أن أدرس النص الأصلي للعهد القديم دراسة جادة عندما بلغت في الخامسة من عمري، وفي الثامنة أخذت دروسًا في التلمود، وفي الثانية عشرة من عمري قرأتُ واجبات قلب البشاي ***Herzenspflichten der***

أي "كتاب كازارن *Das Chasarenbuch*"، وفي السنة التالية قرأت **Bechaj**
أيضًا موريه نيبوخيم **Moreh Nebuchim** الذي نَقلتُ منه مختارات ما زالت
محفوظة بين أعمالي. وانهمكت في قراءة هذه الدراسات اليهودية بشغف
وحب، واستقر في يقيني أن هذا هو المثل الأعلى الذي أرفض من أجله
الأدب الدنيوي الذي أدرسه إلى جوار دراساتي الجادة دون أن أبتدعه.

ومن دراستي للجدل التلمودي تبيَّن لي الجهد النبيل الذي بُذِلَ لتأسيس
القانون الإسرائيلي، وأدهشتني حكايات الوعظ الدينى **Aggada** بجاذبيتها،
وأسرت قلبي. وانهمكت لليالي متتالية / في دراسة **En Jakob** والمدراش. [١٩]
ودأب أبي على إثراء مكتبتي من وقت لآخر بتزويدها بالكتب، وما من مرة
سافر إلى معرض براغ دون أن يُحْضِرَ لي كتبًا يهودية ثمينة. وقد قصَّت
عليَّ والدتي بعد سنوات أنها باغتتني يومًا – وكنت في الثامنة من عمري–
في منتصف الليل أضم بعض الكتب التي أحضرتُها معي من مدينة بست
Pest[١]، وأُقبِّلها كما لو كانت معشوقة لي.

فُرِضَ عليَّ وأنا في المدرسة الأولية أن أتوسع في دراسة اللغة
العبرية، وتمكنتُ في سن الرابعة من معرفة الحروف، وفي سن الخامسة
فرغتُ من قراءة السطر الأول من التوراة (سفر التكوين). وقد نصح الحاخام
دكتور تسبسر **Dr. Zipser**[٢] – الذي لا يمكن أن أنساه أبدًا– أبي باقتراحاته،
محمسًا إياه كي يشتري لي بعض الكتب. ولما فرغت من التعليم الأوليّ عام
١٨٥٩، كان عليَّ أن أواصل دراساتي اليهودية إلى جوار الدراسة بالمدرسة،

---

(١) أي بودابست.

(٢) دكتور تسبسر (١٨١٥-١٨٦٩) *Zipser* أكبر حاخام لمدينة شتولفايزنبورج، وعالم تاريخ.

كلما أمكن ذلك، فتلقيتُ في السنوات الثلاث الأولى بالمرحلة الابتدائية دروسًا خاصة بالمنزل، وعند البحث عن مدرس صالح لهذه المهمة وقع الاختيار أولاً على الأستاذ ليو فرانك **Leo Frank** الذي كان يعمل آنذاك سكرتير الجالية اليهودية بمدينة أوفن **Ofen**، واستأجر والدي لي ولزميلي شليزنجر **Schlesinger** مقرًا خاصًا للدراسة، استمتع بالسكن به السيد فرانك الذي بذل ما في وسعه ليقوم بالتدريس لنا، واستخدم كافة الوسائل التعليمية، وشَغَلنا بالدراسة ما استطاع، ولكنني لا أستطيع أن أقول إن هذه الدروس، وما أضعناه فيها من وقت كانت مثمرة تمامًا؛ إذ إنَّ معلمنا كان ينقصه الموهبة الكافية للقيام بدور المعلم؛ فعلى الرغم من أنني تعلمت منه بعض الدروس، واكتسبت بعض المعارف، فإنه لم يبقَ في ذاكرتي عمّا تعلّمته في هاتين السنتين أي ذكرى؛ فما تعلمته منه عن التلمود، لم يكن إلا استئنافًا لما حاولت دراسته من قبل. فهو لم يتمكن من أن يُفهمني طبيعة هذه الدراسة الصعبة، وأن يرشدني لما تحتويه. ومن ثَمَّ واصلت الدراسة –في سن الثامنة– لدى دكتور ماركس تسبسر **Dr. Marcus Zipser**. وكان رجلا مسنًا (وهو أخو الحاخام) حيث كنت أتلقى الدرس أسبوعيًا. فدرست عليه القطعة الأولى من التلمود **B.M.11a** "الوعل المكسور" وأصبحتْ محور تسليتنا في الأسرة.

ثم استأنفتُ دراستها على يد السيد جوجنهايمر **Guggenheimer** بعد إعداد لها مع السيد مورتز ديساور **Moritz Dessauer**، ثم اختار لي والدي– الذي يحرص على تربيتي تربية يهودية– عام ١٨٦١ مدرسًا خاصًا يدعى موزس فولف فرويدنبرج **Moses Wolf Freudenberg**، وكان معروفًا في الناحية بأنّه متخصص قدير في الدراسات العبرية، استطاع أن يعلّم نفسه

العبرية، ويوسّع مداركه حول المعارف الدينية. كانت حياته منذ صباه المبكر مفعمة بالتعليم. اقترح أن يتولى منصب المدير المساعد للمدير أنتون شميد Anton Schmid بعد وفاة بنزوى Benzew، ولا أدري لماذا لم يتولَ هذا المنصب. لم تكن بضاعته إلا الكتاب المقدس، ونحو اللغة العبرية، وعُرِفَ بأنه متعصب أيضًا، / وعقلاني منطقي أزرق الناب. أوصلني إلى أبعد مما رغبتُ أن أصل إليه من فكر منطقي، وأمدني بما يرفع من همتي ومعنوياتي. إنني لأشعر دائمًا بما أدين له من شكر، أحفظه لهذا الشيخ المبجل، الذي كانت سنوات رعايته لي مثمرة طوال حياتي، وعلى حين أنني في السنوات الأربع التي تعهدني فيها فرويدنبرج Freudenberg برعايته، ولقنني – يومًا بعد يوم – المبادئ التي يجب عليَّ اتباعها، ووضع الأسس لعقيدتي، إلا أنني لم أتقدم كثيرًا؛ بسبب معاملته الخشنة التي أدّت إلى الفشل الذي عانيت منه طول حياتي، ورغم ذلك فإنني ما زلت مدينًا له بالشكر، ممتنًا له، بارًا به من كل قلبي، لأنني جعلت المبادئ التي تعلمتها منه ميراثًا أخلاقيًا لأبنائي. وقد نقل هذا الشيخ عن رجل كان أكبر منه سنًا، وأبهر به الصبي، فتأثر به في علمه وحياته بما يمكنه من أن يكون موضع إعجاب يندر أن يوجد مثله، ولم يكن ممكنًا أن تتغير هذه المبادئ في جزء من حياتي، فعندما أتأمل حياتي الخاصة، أفهم نظام فرويدنبرج جيدًا، وفيما يلي أذكر نظام ما قمنا به من أعمال.

[٢٠]

في الساعة التاسعة صباحًا يحضر المدرس إلى غرفتي، ونقضي نصف ساعة نقرأ فيها "واجبات القلب *Herzenspflichten*". وبهذا تبدأ عادة الدروس اليومية. وبعد القراءة يبدأ المدرس في استعراض الدرس. وبعدها

نقضي ساعتين مع التلمود بالطريقة التعليمية القديمة، مع اجتناب الأمور الجانبية غير المناسبة. وكان علينا على مدى السنوات الأربع التي درس لي فيها فرويدنبرج – كما صرح لي بعد ذلك بسنوات– أن ندرس ستين ورقة من التلمود، وفيها الجزء الأكبر من حكايات الوعظ الدينى(*Aggada*) *En Jacob*. وقبل الظهر ندرس الكتاب المقدس (درسنا في السنوات الأربع الأنبياء، وأيوب، والأمثال). وكنت أتلو يوميًا ما درسته باليوم السابق، وحفظته عن ظهر قلب، وألخص ما جاء فيه من ظواهر نحوية يمكن تبينها بالبصر. أما فترة ما بعد الظهر، فقد كانت مخصصة للدراسات التي أتلقاها بالمدرسة الثانوية. وفي الساعة الخامسة مساءً يعود إلى السيد فرويدنبرج، فأستبعد الدراسات الدنيوية من عقلي، وأتفرغ لدراسة المدراش والفلسفة اليهودية، والقراءة في الكتاب المقدس(أسفار موسى الخمسة، وابن عزرا). كما كنت أتفرغ مرتين أسبوعيا للتدريبات الأسلوبية للغة العبرية، وكتابة الخطابات ومحاولة تفسير النصوص الدينية.

وبعد الساعة السابعة مساءً أنقطع عن الدراسة فترة قصيرة لتناول العشاء، لأعود فأكمل دراسة مواد المدرسة الثانوية المتبقية. ولم أكن أذهب إلى الفراش إلا بعد منتصف الليل، حتى يحضر والدي بين الساعة الرابعة أو الخامسة لإيقاظي. وكان يقوم بتدفئة غرفة المكتب بنفسه –هذا الرجل الشيخ المريض– ويعد لي الشاي والقهوة. ولم يختلف النظام طوال سنتين من سنوات الدراسة الثانوية الأربع، لم أمتنع قط عن زيارة المدرسة / ولم يتغير [٢١] بعد ذلك إلا تقسيم حصص الدراسة، فقد ازداد عدد الساعات المخصصة للدين. ثم واظبتُ على تعلم دروس المدرسة الثانوية بالمنزل بإشراف طلبة

متفرغين، بداية من كاربليز *Karpeles* ثم سوموجي *Somogyi* (وهومحامٍ في بودابست الآن) ثم إيمانيويل فيشر *Emanuel Fischer* (وهو الآن محامٍ في فيسبريم *Veszprém*). وكنت أذهب كل نصف عام للامتحان في دير سيسترسينسر *Cistercienser* وكان عليَّ أيضًا –وفقًا لمتطلبات شهاداتي– أن أتفوق في الدراسات الإنسانية، أي اللغات القديمة والتاريخ القديم، وأن أحصل على أعلى الدرجات في المعارف التي اكتسبتها بجهد متواصل في الدروس الخاصة. وكانت معجزة لافتة للنظر، جعلتني أظهر مع مدير المدرسة وأساتذتها بالمدرسة في دوراتهم اليومية بالمدرسة.

وكنت مُعْتَبَرًا طفلا معجزة، وعوملت في المجتمعات بأني فخر للمدرسة الثانوية، مع أن هذا الحكم كان مبالغًا فيه، فإننى استطعت أن أعبر عن تمكني من دراساتي أمام من يعتدل في الحكم عليها، وأبين أنني متمكن من دراسة معارف كثيرة غير معتادة بالنسبة لمن هم في سني. وأن أعبر عن معرفتي بالعلوم الإنسانية؛ فصاحة وكتابة بصورة لافتة. وكان والدي يحرص على أن تكون مخالطتي للرجال الناضجين فقط. وكانت هذه المخالطة فرصة لتبادل الأفكار الجديدة، التي لا يتمكن من الوصول إليها الصبية في سن العاشرة إلى الرابعة عشرة إلا نادرًا. وكان دكتور فويتتس *Dr.Voytits* رفيقًا بالمنزل، وطبيب العائلة المخلص الذي يرعاني دائما حتى لا يضار جسدي باندماجي في دراساتي الذهنية واجتهادي في تحصيلها. وكان يناقش معي كثيرًا، ولمدة ساعات طويلة المسائل الدينية والمشاكل الفلسفية، ويدُلّني على النصوص المناسبة لقراءاتي في مكتبته الغنية.

وأريد هنا أن أعرض بعض الذكريات عن هذه السنوات المفعمة بالأحداث، ففي عام ١٨٥٦/١٨٥٧ تكونت جماعة من الصبية لممارسة الشئون الدينية، وكنا ندرس الكتاب المقدس، ونقيم يوم الأحد من كل أسبوع قداسًا، واعتدت أن ألقي خطبة دينية باللغة المجريَّة لرفاقي أيام الآحاد أسبوعيًا، وكنت قد بلغت في هذه المرحلة سن السابعة. وفي سنتي ١٨٦١/١٨٦٢ تبادلت مع ابن عمي فيلهلم(١) *Wilhelm G.* رسائل مفعمة بالحيوية عن قيمة المحافظة على الطقوس اليهودية وتقاليدها، وكذلك عن خصومة هيرش - فرانكل ***Hirsch - Frankel*** التي وقعت وأثارت شجارًا بين تلميذ صغير في المرحلة الثانوية المدرسة الثانوية بشتولفايزنبورج، وابن خاله الطالب الكبير بجامعة فيينا؛ إذ كنت أقوم بدور الأرثوذكسي المتعصب، ولم أكن مستعدًا لأن أضحي بأي أمر من أوامر التلمود الذي أحبه، وكان والدا/ كل طرف يزهوان ويفتخران بقراءة الخطابات الطوال بين الطرفين. واستمرت حرب أقلام الكتابة بضراوة ووصل الأمر إلى تبادل الشتائم والسباب، إلى أن خبت بعد سنتين وحلَّت بينهما العلاقات الدبلوماسية.

٢٢

وفي أثناء ذلك اشتعل خلاف شديد بين أعضاء الجالية اليهودية بمدينتي لوصف السجل التاريخي لليهودية بالمجر بأنه مخجل. وتسببت الشعائر السخيفة في أن يُفلِح دكتور جوجنهايمر ***Dr. Guggenheimer***(٢) النازح إلينا من الخارج في

---

(١) فيلهلم جولدتسيهر (١٨٤٩-١٩١٦) ***Wilhelm Goldzilier*** طبيب عيون بكلية طب العيون الملكية بالمجر، جامعة المجر العلمية، بودابست.

(٢) جوجنهايمر ***Guggenheimer*** حاخام في أوس زي ***Aussee***، بشتولفايسنبورج في الفترة (١٨٥٩-١٨٦١) وفي كوللين ***Kollin***. وهو زوج ابنة هيرش ***S.R. Hirsch***، السالف ذكره قبل سطور.

تقسيم الجالية الصغيرة التي أسسها الدكتور تسبسر *Dr. Zipser*، وجعلها جالية مثالية، إلى قسمين، وناهضه في ذلك أبي ومعه "المتقدمون" حفظة الأعمدة الذين ينتمي إليهم. وليس كراهية للمتعصبين، ولكن ولاءً لتسبسر الذي كان صديقًا له. أما أنا فقد تعلمت من فرويدنبرج الذي ينتمي إلى الحزب الأرثوذكسي أن أزدري كلا الطرفين. فضلا عن أن ما حصلناه من ثقافة في حجرة الدراسة جعلنا نتأثر بما مرت به عقيدتنا من عذاب، ونصبح أقرب إلى التنسك المثالي الذي لا يأبه كثيرًا بالشعارات المجنونة التي يطلقها كلا الحزبين. ومن ثمَّ زار أبي ومعلمي معبدين للرئيسين المتحاربين، وعاشا هناك في صداقة وتعاطف كانا أساسًا لتربيتي التي أصّلت عندي بغضي لبشاعة الأطماع المنتشرة آنذاك، فجعلتني أتجه إلى اهتمامات أخرى.

وفي سنة ١٨٦٢ أمضيت بعض الأسابيع من العطلة الدراسية عند أقاربي في مدينة بست *Pest*. واصطحبت معي مخطوطة معنْوَنة باسم شحات إسحق *Sichath Jizchak*، وهي مقال عن الصلوات[1]، طبعتها وأنا في الثانية عشرة عند يوهان هيرتس *Johann Herz* لأعود بها مع العمل الأصلي إلى المنزل. وكان هذا الأصل (*Opus*) هو السبب الرئيس في إطلاق صفة الزندقة عليَّ. كان اليهود في فايسنبورجر *Weissenburger* مغتاظين من وجود العمل (الأصلي) لديَّ. وكانوا ينعتونني بأنني أشبه سبينوزا[2] أي أنني غريب الأطوار أو (سبينوزوي *Spinozist* مثل من يعتنق فكره). أما فرويدنبرج فقد

---

(1) ***Abhandlung über Ursprung, Einteilung und Zeit der Gebete, Pest1862.***

دراسة عن أصل وتقسيم ووقت الصلاة (شحات إسحق שיחת יצחק).

(٢) سبينوزا (١٨٣٢-١٨٧٧) *Spinuza*، فيلسوف هولندي.

استقبلني بشغف شديد، وقال لي في اليوم التالي: عندما تتطلع إلى هذه الثمرة التي حصلتَ عليها نتيجة لطموحك، بعد سنوات عشر، سيحمر وجهك خجلا، ولكن لا تنسَ عندما تحتفل عام١٨٨٧ بعيد ميلادك السابع والثلاثين أن تحتفل أيضًا بمرور ٢٥ عامًا على ميلادك كاتبًا، وستكون- بمشيئة الرب - قد أديت أعمالا عظيمة في إسرائيل.

وفي المدرسة الثانوية، كان مدرس الفصل الذي أُلحقت به في أكتوبر يدعوني إيجناتيوس أوتوركليس ***Ignatius autorculus***، ولكن ريشة الكتاب ما زالت ملتصقة بأصابعي.

وكان من اللازم أن يحل بي أمر عظيم، فقد اقترب يوم ***Barmizwahtag*** وكنت قد قررت إعلان مذهبي الديني في حضرة موعظة رسمية من فوق منبر معبدنا، ولم تفلح أي معارضة لإثنائي عن قراري. وفي مايو ١٨٦٣ أعلنت ذلك في جمع من المسئولين اليهود، على الرغم من معارضة والدي في البداية. وفي يوم السبت الثالث من يوليو ١٨٦٣ ***Sabbath Balak*** قررت اعتلاء المنبر لإلقاء موعظتي. واقترب اليوم، وانتظرت النتيجة بأعصاب متوترة. وعندما استرجِعُ هذا الحدث اليوم يشتد اضطرابي متعجبًا كيف كانت حالتي آنذاك، هل أعجب من شجاعتي ورباطة جأشي عندما كنت أمر بهذا الحدث؟ / إذ إنني ألقيت كلمتي في هدوء، ليس كما يلقي تلميذ كلمته، إنما كما يُلقَى الإعلان، وكما أردت أن تكون عليه، لأثبت مكانتي في المجتمع الذي أعيش فيه. ولم تتغير حالتي النفسية طوال هذه السنوات من حيث الخضوع للمقدسات والطاعة، ولم يكن الثالث من يوليو إلا لحظة بارزة لحالتي المزاجيـــة. وقـــد توافد ساكنو مدينتنا زراقات - دون اعتبار للمذاهب

٢٣

العقائدية – إلى المعبد اليهودي. وعندما دُعِيَ هواة الأغاني إلى جماعة الغناء الجماعي بالمعبد لإنشاد التوراة أديتُ النذور صامتًا، واعتزمتُ أن أحرص طوال حياتي على خدمة الحقيقة، وكررت هذا عند إلقاء كلمتي التي استمرت ساعة، والتي استمع إليها الجميع بأنفاس مقطوعة. ولم أنسَ مطلقًا هذا اليوم، وهذه الساعة، فذكراها ظلت منارة عظيمة في حياتي، ففي كل الظروف التي مرت بي في حياتي، حلوها ومرها، سواء أكنت بالمنزل أم على سفر، لم تبتعد عن ذاكرتي مطلقًا، تذكرتُها وأنا فوق قمة هرم خوفو، وأمام نعش والدي، وفي حفل اجتماع المستشرقين بستوكهولم، منظر الصبي ذي الاثني عشر عامًا، واقفًا أمام والديه ورجالات المدينة وهو يقدم النذور الحرة، ويتعهد بأن يحافظ على الإيمان بما يلتزم به – وهو صبي– من التحلي بالمثل العليا. آنذاك حملتُ عند عودتي للمنزل عصرًا رسالة تلمود. وعندما كنا نجلس حول مائدة العشاء شربتُ نخب معلمي وأصدقاء صباي، ولم أتمكن من إنهاء كلمتي، لأن الدموع انهمرت من عينيَّ.

وبهذا انتهى هذا اليوم المبارك، وبه انتهت مرحلة الطفولة الأولى التي يمكن أن نعدها كذلك بالنسبة لسني حياتي، إذ لم تكن طفولة بالمعنى المفهوم، ولكنها كانت زمنًا كنت فيه جادًا، أجتهدُ في أن أعد نفسي لمستقبلي، وأتزود له في حياتي المقبلة.

بقينا في شتولفايزبورج سنتين أخريين، ثم رحلنا بعد نهاية الصف الخامس نظرًا لأن أحوال والدي المادية تغيرت بتغير الظروف الاقتصادية، وانتقلنا إلى مدينة بست *Pest*.

الأعوام ١٨٦٦ – ١٨٦٨:

ظلّت ذكرى الأيام السابقة تعكر عليَّ صفو حياتي. أعني تلك الأيام التي قضيتها مع والديّ في شتولفايزنبورج ***Stuhlweissenburg*** فتدهورت أعمال والدي التجارية؛ إذ إنه نشأ وتربى على أصول المدرسة التجارية القديمة، ولم يتمكن من مسايرة أساليب المنافسة الجديدة التي استوطنت منطقتنا منذ عدة سنوات، أو الخضوع لأصولها. فاشتدت حالتنا سوءًا، وخسر آلاف الجولدن في تصنيع بضاعته، ومن ثمَّ ولّى المدينون له وجوههم عنه/ [٢٤] دون أن يدفعوا ديونهم له، واتجهوا شطر أصحاب المصانع المنافسين له. وعندما كنت صبيًّا في الخامسة عشرة كان عليَّ أن أصحب والدي في رحلة الإنذارات إلى المدينين صنّاع المواد الخام. وسمعتُ منهم وشاهدتُ أشنع هجوم عليه؛ رفع أحدهم سكينًا ملقاة على منصة العمل في وجه والدي، وكأن هذا الشقي عديم الشرف لم يدرِ شيئا عن تسوية الديون. وقد تركت أمثال هذه الأحداث الذكريات ما زلت أستعيدها عن الأسابيع الأخيرة التي قضيناها في شتولفايزنبورج، وكنت أسمع والدي – في الليل– يبكي ويتوجع دون توقف، ولا يقلع عن ذلك، وحينما يظن أنني ما زلت مستيقظا ينبهني إلى ضرورة الاعتماد على الله، وأن العلم سيرفع عني مثل هذه المحن، ويجنّبني مثل هذا الذل، ولم تحتمل أعصابي وعقلي المرهق –المثقل بالدراسات التي أتطلع إليهـا– المحنَ التي مـرت بنا في هذه الأسابيع، فسقطت صريع داء خفيّ، لا أعرف حتى الآن كنهه أو أن أصفه كلما حاولت أن أتذكره؛ إذ أصبت بسعال متهيج، وتغير في مظهري. وقد نصح الطبيب الذي لم يعرف السبب الحقيقي لمرضي، والدي بأن أمتنع مدة عام كامل عن إجهاد نفسي بالدراسات

الجادة عندما ننتقل إلى بست *Pest*. وأن عليَّ ألا أذهب إلى المدرسة طوال هذه السنة.

وفي سبتمبر ١٨٦٥ حزمنا كل ما نملك من أمتعة، ومنها أيضًا مكتبتي التي تشتمل على ستمائة مجلد، وتركنا منزلنا الكائن في حارة المدرسة رقم ٤٤ خاويًا، المنزل الذي رأيت نور العلم أول مرة في حجراته، وربيت فيه علميًا وخلقيًا. وانتقلت إلى بعض حجرات كئيبة في فناء أحد المنازل بمدينة بست. وقد هُدِمَ منزلنا بعد ذلك، وشيد مكانه قصر منيع للبنك الوطني. وفي هذا المنزل الجديد الصغير نظم والدي تجارة الجلود الصغيرة التي يمارسها. وكنا نظن أنها محاولة فاشلة لتغيير ظروفنا. ومنذ هذا الوقت بدأت أحوالنا المادية تسوء، وتنحدر إلى أسفل. وكنا نستطيع بالكاد البقاء على قيد الحياة، إلى أن حلت بنا الطامة عام ١٨٧٤؛ إذ مرت بنا تسع سنوات شديدة الوطء، وقمنا جميعًا بأعمال نتكسب منها؛ فأمي كانت تتسابق مع زوجها في أعمال المحل المباشرة، وأختي الطيبة التي كانت في الثالثة عشرة من عمرها ساعدت بماكينة الخياطة، وكان ذلك سببًا في مرضها، وبحثت أنا عمن أعطيه دروسًا خاصة، ووجدتها بمكافآت ضئيلة. وهكذا مررنا بأسوأ أحوالنا المادية في تلك السنوات.

كان عليَّ أن أنقطع عن الدراسة مدة عام كامل، وكان ذلك بسبب الأحداث التي ذكرتها، ولم يكن هذا أمرًا محتمَلاً بالنسبة لي.

كان أبي أثناء وجودنا في شتولفايزنبورج كلما أظلمت ليلة من الليالي يقول لي إنَّ العلم سيعفيني من أي مصير سيئ، وكان هذا معتقده في أيامه الأخيرة. كان هذا الدرس هو الدافع لتغيير ما كنت قد خططت له من

[٢٥] أعمال./ فلم أسجل تلميذًا بالمدرسة، ولكن دراستي اتجهت في طريق آخر؛ إذ كان منزلنا متاخمًا لمبنى مكتبة الجامعة، وكان هذا الاكتشاف سببًا في القرار الذي اتخذته وقمت بتنفيذه (إذ كنت أتردد كثيرًا على المكتبة)، وعلمت أن الجامعة فتحت أبوابها للاستعارة لغير النظاميين، وكان هذا – بالنسبة لي– حلا لمشكلتي؛ إذ تمكنت من الدراسة بالجامعة دون أن أتمم دراستي بالمرحلة الثانوية، ولم يستطع أبي تفهُّم ذلك، وواصلت دراستي. ففي الفصل الدراسي الشتوي عام ١٨٦٥/١٨٦٦ سجَّلتُ اسمي مستمعا غير نظامي، وسجلت من المواد: الفلسفة، والدراسات اللغوية الكلاسيكية، والدراسات اللغوية العامة، واللغات الشرقية.

وكان المحاضرون الذين درست عليهم: "تلفي *Télfy* [١] و"هورفات سيريل *Horváth Cyrill*"[٢]، و"ريدل *Riedl*" [٣]، و"فامبيري *Vámbéry*"[٤]؛ وكان الأخير قد سجل نفسه محاضرا بالجامعة بعد رحلته الصوفية مباشرة. وكان أول موضوع يحاضر فيه عن المتصوفة (الدراويش) الذي نُشِرتَ عنه إعلانات كثيرة، وكتبت عنه كل الصحف تمدحه بحق، وبوصف إنشائي أيضًا، وزُوِّدتْ جدران العاصمة بإعلانات كبيرة، وبوسطها صورة الدرويش اليهودي (أي فامبيري) تمتدح كتابه.

لم يملأ عيني رجل أعظم منه، فقررت أن أجلس تحت قدمي هذا العملاق، وكنت أول مستمع سجل محاضراته بسجل محاضرات الجامعة.

---

(١) أستاذ دراسات فقه لغة كلاسيكي (١٨١٦م-١٨٩٨م).

(٢) أستاذ فلسفة ببودابست (١٨٠٤م-١٨٨٤م).

(٣) أستاذ جرمانستك بجامعة بودابست (١٨٣١م-١٨٧٣م).

(٤) أستاذ لغة تركية (١٨٣٢م-١٩١٣م).

وكان من بين الكتب التي امتلكتها أثناء طلبي العلم بموطني الأول، واعتنى أبي بتوفيرها لي معجم جزينيوس للغة العبرية *Gesenius , Das hebräische Handwörterbuch*. وهو معجم أساسي صالح لكل الأزمنة، بمقدمة تضع أساسًا للغة العبرية، ومقارنات بين اللغات السامية المختلفة، ولذلك كان يجذبني دائمًا بشدة للرجوع إليه.

وفي صيف ١٨٦٥ تعطشت لانتهاز هذه الفرصة لأبدأ دراساتي في اللغات الشرقية، وبدأت بتعرف الحروف السريانية، وجمع بعض المعلومات من المعجم، وأحضرت هذا كله معي إلى بست *Pest*. ودفعني حنيني للتعمق في هذه الدراسات أن أنتهز فرصة استماعي للأستاذ فامبيري، فتقدمت إليه، وعرَّفته بنفسي في يوم من أيام شهر أكتوبر سنة ١٨٦٥ مع دفتر محاضراتي، باعتباري أول من سجل بدفتره "مستمعا"، فرحب بي بسرور وإعجاب؛ لأنني كنت فتى صغيرًا يقبل على سماع محاضراته. وسجل بعدي طالبان مستمعان آخران، ولكنهما لم يكونا جادين، إنما أرادا فقط أن يسجلا في دفتريهما عنوان هذه المحاضرات الغريب. عنِيَ بي الأستاذ عناية خاصة، فسمح لي بزيارته كل يوم تقريبًا في مسكنه الخاص ليعطيني محاضرات خاصة، وبدأ معي دراسة أعماله الأدبية الخاصة، واستخدمني ناسخًا لكتبه، ومترجمًا إياها من الألمانية إلى المجرية، وشملني بعطفه. ولما تبين له – فيما صرح لي – ما حققته من تقدم في دراستي في وقت قصير أذاع عني أنني مجتهد، وأشاد بقدراتي في كل محفل يتردد عليه./

٢٦ كانت التركية والفارسية اللغتين اللتين تنتميان إلى اللغات السامية[1]، ولم تكونا من اللغات التي اهتممت بدراستها من قبل، ولكنهما كانتا مطلوبتين كي

(١) يقصد الشرقية الإسلامية. (عوني)

أتمكن من معرفة الشرق، ولذلك عمدت إلى دراسة نصوص مختلفة من المختارات التركية في الفصل الدراسي الشتوي ١٨٦٥/١٨٦٦، وألقيت نفسي وسط صعوبات النثر الفني التركي، وفضلاً عن ذلك قرأت كتبًا أخرى، ومنها "الجُلستان للسعدي ***Sa'di's Gûlistan***"، وقد خدمني "الملا إسحاق ***Molla Ishak***" المنغولي التتري – الذي أحضره فامبيري ***Vámbéry*** معه من وسط آسيا. وكان يعمل خادمًا عنده – في الاستعدادات لهذه الدراسات. وكان من المفروض أن أدرس اللغة العربية جيدًا استعدادًا لقراءة هذه النصوص. وكان لفامبيري في التدريس طريقة علمية محضة. وفي الحقيقة – كما تبينتُ فيما بعد – أن البداية كانت أخبارًا غير صحيحة تمامًا؛ فالمعلومات التاريخية التي قُدِمتْ لي كانت سقيمة، وخبرات ضارة، فقمتُ بتصويبها بقراءاتي اللاحقة عن أعمال الرحلات، وبخاصة ***Muradgea d'Ohsson*** (تاريخ الإمبراطورية الفارسية القديمة)، إذ إن وجهة نظر مدرسي بشأن المعرفة الحقيقية وتعرف الحقائق التاريخية التي استخدمها العجوز "د.هيربيلو ***D' Herbelot***" كانت كتابًا مساعدًا. ولم تراعَ الظواهر النحوية أو اللغوية؛ وأن الصعوبات التركيبية للجملة التركية يمكن أن تُفهم بالسليقة، وليس بالدراسة النظرية، وعلى ذلك لُعِنتْ باعتبارها صادرة عن جمهور أوربي مزعج ضد علماء ألمان. ولم يكن لدي فرصة للحكم على ما يراه معلمي من آراء هدامة. وقد صاحب هذه الدروس الجادة من أولها اعتزاز مبالغ فيه بقدراتي الخاصة. فكل يوم أسمع أن رحلة الدراويش أعظم جهد للسياحة العلمية، وأن معلمي هو أول مستشرق في العالم. وكنت أعتقد ذلك بشدة، وكيف أجرؤ على غير ذلك؟ إذ إن فامبيري حباني بحب أبويّ، وأنا أحمد له المعلومات المهمة التي أخذتها عنه في ميدان تعلم اللغتين التركية والفارسية. وكان حبي له يزداد يومًا بعد يوم، ويزداد شكري له وإعجابي به. وكان اجتهادي يصاحبه حرصي على أن أعترف بعبوديتي له في

السراء والضراء، وبإقبالي على إكمال دراستي التي هداني إليها، ولو لم أفعل ذلك، أو لو نسيت أن أشكر له ذلك أو أنكرته لأصبحت شريرًا؛ فإن فامبيري هو الذي حبَّب إليَّ دراسة الاستشراق.

ولكن ثمة أمرًا يجب أن أشيد به، فإن معلمي حاول أن يشحذ همتي مع قدراتي، إذ كان يمدحني في كل مكان باعتباري طفلا معجزة، وعبقري اللغات الشرقية. وسرعان ما جعلني أهتم بالكتابة ونشر دراساتي، وهو ما ندمت عليه فيما بعد.

وفي يونيو ١٨٦٦ أرسل فامبيري بعض ما ترجمتُه عن المختارات التركية مصحوبة / بمديح مفزع إلى ناشر مجلة *Hazánk és a Külföld* فطبعت المجلة رسالة المديح والترجمة. كذلك استعرض في مجلة *Vasárnapi Ujság* اجتهاداتي في البحث العلمي في السنة نفسها. وفي الأكاديمية أيضًا نوقشت ترجمتي لبعض النصوص عن تاريخ العلاقات التركية المجرية. وفي سنة ١٨٦٧ ظهر فامبيري ومعه ترجماتي لبتشفي *Petschewi* أمام منضدة محاضرات الأكاديمية، وقرَّظها مادحًا إياها، وما تضمنته أيضًا من مشاريع، حتى احمر وجهي خجلا وأنا جالس بين الجمهور، ولكن كل العلماء الأجلاء كانوا ينظرون باشمئزاز.

٢٧

أما أعداء فامبيري *Vámbéry* الذين يعد من أوائلهم علماء اللغة المجريون: "هانفالفي *Hunfalvy*"[١] و"بودنز *Budenz*"[٢] وغيرهما فقد نقلوا كراهيتهم إليَّ، واعتبروني التلميذ المفضل للغشاش المخادع، وكثيرون غيرهم

---

(١) *P. Hunfalvy* (١٨١٠- ١٨٩١) عالم متخصص في الشعوب البدائية *Ethnograph*.

(٢) *J. Bundenz* (١٨٣٦- ١٨٩٢) باحث لغوي، أستاذ بجامعة بودابست.

يطلقون عليَّ أيضًا صفة "تلميذ الغشاش" و"الجاهل"، وكان المديح الذي ألقاه أستاذي في كل المحافل يعوضني عن الشك في قدراتي والارتياب الذي قاسى منه فامبيري. وكان من التابعين ل "كالفينر" ***Kalviner*** القيّم على معبد اليهود الدراويش، حيث قُدِّمتُ إلى حلقتهم، وكان مديرهم الأكبر "باول توروك ***Paul Török***"[1] ذا شخصية إنجيلية حقيقية، استقبلني بحفاوة، وأظهر لي مودة، ورحب بي أيضًا بلطفِ السيدُ "باول جونشي ***Paul Gönczy***"[2] الذي كان مديرًا للمدرسة الثانوية، ثم أصبح مستشارًا للوزارة ووزيرًا لها. وكذلك كل أعضاء هيئة التدريس بالمدرسة الثانوية النموذجية، وفي مناسبة لاحقة قابلت "مورتس بالاجي ***Moriz Ballagi***"[3] الذي احتضنني وأسبغ عليَّ حماية مناسبة. وقد تميز بالاهتمام الحاني الذي يدفعه إلى تشجيع كل عبقرية يهودية، وكان بذلك يعوض عن ارتداده عن اليهودية. وقد فتحت لي مكتبته الغنية – التي سمح لي باستخدامها – منبعًا جديدًا للتعلم في ميدان أدب الكتاب المقدس واللاهوت. وقد تمكنت من خلال اتصالي المستمر معه، الذي حرصت عليه كلما أردت، من معرفة إجابة الكثير من الأسئلة المتعلقة بتاريخ القصص بالكتاب المقدس. ولن أنسى مطلقًا النظرة التي ألقاها عليَّ عندما عرفت كلمات مثل الهويست ***Elhowist***، ياهوويست ***Jahowist*** إلى آخره، التي قرأتها لأول مرة بالكتب التي أعارني إياها الأستاذ بالاجي، وقربني كذلك من أساتذة المدرسة الثانوية النموذجية، وجعلني أعتقد أنني أخطأتُ حين درست بالجامعة، كما درست نصوصًا فلسفية متنوعة، وكذلك نصوصًا من علم

---

(١) ***P.Török*** (١٨٠٨– ١٨٨٣) قسيس ببودابست.

(٢) ***Paul Göncz*** (١٨١٧ – ١٨٩٢) تربوي، سكرتير دولة (وزير).

(٣) ***M. Ballagi*** (١٨١٥ – ١٨٩١) رجل دين، وباحث لغات، سكرتير دولة (وزير).

اللغة. وكان ذلك في الوقت نفسه الذي نُشِرت فيه محاضرات "ماكس Max Müller" وعرفها العالم عن دراسة الكتاب المقدس (تاريخ إيفالد Ewald's Geschichte) بمكتبة الجامعة التي كنت أتردد عليها بعد الظهر يوميًا؛ إذ كنت أدرس مواد المدرسة الثانوية صباحًا، دون أي مساعدة، وبإرشاد بعض تلاميذ المدرسة. /

[٢٨] بلغت في دراسة اللغة اللاتينية واللغة اليونانية مستوى أعلى من مستوى تلاميذ الصف السادس – وفقًا لدليل المدرسة. وساعدتني دراسة الرياضيات، وعلم الطبيعة على أن أقوي من عزيمتي. ساعدني في دراسة الرياضيات محام شاب يدعى "ناتانايل جرين هوت Nathanael Grünhut" الذي قدم علينا من باكس Paks، والتحق بالجامعة – باعتباره مسيحيًا رومانيًا. وكذلك "تولناي أنتال Tolnai Antal" القاضي في مدينة فيوم Fiume. وبالمثل قمت أنا بإعطاء دروس خصوصية درَّت عليَّ بعض الفلورينات Florin شهريًا، وجعلني ذلك أُقبل بكل شغف على الدراسات اليهودية المحببة إليَّ. ولكي أستطيع مواصلة دراسة التلمود بحثت عن المقر الذي استقر فيه قاضي الحاخام" صموئيل ليف بريل Samuel Löw Brill"[١] (قضيت جزءًا من عطلة المدرسة الثانوية عام ١٨٦٥ بمدينة بست) ورجوته أن يلحقني بمعهده Schiur، فسمح لي بذلك. وكنت أتردد على المعهد كثيرًا أثناء وجودي في بست، وأحضر دروس التلمود. وعندما كنت أدرس بهذه المدينة فيما بعد، أفدت من هذه الدراسات كثيرًا بتعميق معرفتي باليهودية. وكان بريل Brill يتبع الطريقة المثلى في التدريس؛ إذ إنه يعلق صفحة يذكر فيها نقاط الدراسة

---

(١) S. L. Brill (١٨١٤م–١٨٩٧م) حبر يهودي ببودابست.

أسبوعيًا، ويجعلها محورًا للدراسة تجدر مراجعته دائمًا، وكان لا بد أن تتناول الدراسة أيضًا موضوعات جانبية، وأن تدور مناقشات علمية وفقًا لمواعيد دراستها بالجامعة، وأن تتكرر هذه المناقشات.

بدأ الحبر العالِم واسع المعرفة حديثه معنا، فأثار دهشتنا بدراساته عن الأدب اليهودي؛ إذ تعرّض لموضوعات لا يمكن أن يتابعها جماعة اليهود في بست، ويمكن أن تحجب عنهم. ولم تقتصر الدراسة على أدب التلمود مع تضخمها فحسب، بل تمتد أيضًا إلى ما تطمح إليه الدراسات اليهودية العلمية الجديدة. وعلى الرغم من رقة أحوال السيد بريل فإنه يمتلك مكتبة غنية مدهشة مليئة بالمصادر الأساسية التي تغطي مجالات الدراسات اليهودية، والكثير من الكتب النادرة والمطبوعات التي تساعده عند التحاور معه وعقد المناقشات في هذه المجالات. وقد وجد في هذه المنطقة فرصة مثلى يقوم فيها بتدريس تاريخ الأدب اليهودي. لقد تعلمت في مكتبة بريل الكثير؛ إذ قرأت فيها أيضًا الكتب التعليمية، والمصادر المساعدة، وكذلك الكتب الأم لهذه الدراسات، وفيها قرأت كتب زونز ***Zunz***، وجايجر ***Geiger***، وعرفت طموحات القرون الماضية العلمية والدينية، وبذلك تمكنت من قطع مرحلة علمية جبارة بفضل ما تعلمته من فرويدنبرج ***Freudenberg***. ولكنني أثناء تلقي العلم على فرويدنبرج لم أكتفِ بتعميق معارفي فقط، بل كان هدفي هو العمل على اكتساب الخلق القويم، ولم يكن للجانب الأخلاقي أي اهتمام في العملية الدراسية عند بريل ***Brill***، ولم يعطني معلمي الجديد - بشكوكه وسخريته- انطباعًا بأنه شخص حكيم متزن يراعي الخلق / إذ إنّ طرق تعليمه وأفعاله [٢٩] تعكس صورة يهودي أرثوذكسي قديم، وإن كان لم يكف أبدًا عن إطلاق

ملحوظات ساخرة تجعل الشاب الصغير يتشكك في قيمة المواد التي يدرسها وطريقة تناوله لها.

كان لديَّ مفهوم عن العمل متعدد الجوانب، تمكنت بسببه من الحصول على استراحة عام ١٨٦٥/١٨٦٦، وكان هذا سببًا في اجتهادي ونجاحي. فعندما كنت في نهاية العام الدراسي – الذي اختصر بسبب اندلاع الحرب النمساوية البروسية– قمت باستغلال منحة الرحلة الصيفية بالذهاب إلى فيسبريم ***Veszprém*** وبالاتن فيرد ***Balaton Füred***، وكنت قد حصلت على شهادة الثانوية بتقدير ممتاز، بشهادة هيئة الأساتذة الجامعيين، وحملت معي عددًا من الكتب باللغة التركية لتكون قراءاتي في الرحلة. وقد استطعت قراءتها بسهولة، دون الرجوع لأي معجم. ويمكنني أن أقرر أنني تقدمت في دراستي تقدمًا يجعلني أعتقد أنني أصبحتُ مستشرقًا مرموقًا، وعارفًا بالعقيدة اليهودية، وأتمتع بحب وتقدير رجال مشهورين.

واستمرت حياتي على النسق نفسه، وواصلت دراساتي الاستشراقية على أسس عريضة، ولكن كانت الغلبة للدراسات التركية؛ إذ بعد أن فرغت من تحصيل الدراسات اللغوية بعامة، كان هدفي الموضوعي يتجه دائمًا إلى العلاقاتِ المجرية التي يكتب عنها المؤرخون الأتراك، ومن ثم قرأت تاريخ بتشفي ***Petschewi*** المخطوط بالأكاديمية، وعرفت مجموعة فيريدونس ***Feriduns*** من بوليتين وإيرلاسن ***Bulletin u. Erlassen*** التي خرجت على هيئة نشرات وفرمانات للسلاطين المظفرين – وعرفت اسم موهاتش ***Mohatsch***. وبعد عامين لم أجد نفسي عالمًا بمتاهة أساليب المنابر التركية فقط، بل تعرفت أيضًا تدريجيًا على صعوبات صناعة الطباعة البائدة للخط الديواني.

حمل فامبيري، وبالاجي مقالاتي ومؤلفاتي أمام الأكاديمية، تلك التي فاخر بها أبي وأقربائي وكانت تفرحني أنا شخصيًا. كانت صِلاتي بالسيدين تقوى يومًا بعد يوم؛ إذ منحني فامبيري وقتًا أكبر لدراساتي معه، وازدادت عنايته بي أكثر من ذي قبل، فاتسع أفقي لمعرفة العالم، وأصبحتُ أقل سذاجة على غير المتوقع، عند اعتبار بعض خصوصيات هذا الرجل التي ظهرت لي بعد عدة سنوات، وثمة بعض الكلمات عن ذلك:

أولا: كان يجب عليَّ –وأنا في الخامسة عشرة والسادسة عشرة– أن أتبيَّن عدم وفاء الرجل بالوعود، وكذبه، فقد كانت كل كلمة يلفظ بها كذبة. وكانت حكاياته عن ماضيه وسيرته الذاتية مليئة بالكذب، مثل كذبه الفاضح عن الفرص التي يتوقعها لي في حياتي المستقبلة، وعن تأثيره الذي يمكن أن يستخدمه مع الرجال المختصين، وأنه سيجعلني عضوًا في جمعية المستشرقين الألمان *DMG* وأنني بناء على كلمة منه سأنضم إلى الجمعية اللغوية بباريس./

٣٠ كان يبالغ في الحديث عن صِلاته، وعن النجاح العلمي الذي أحرزه، والمحاضرات التي ألقاها، وعما أحدثه في دنيا الصحافة كي ينشر هذه الأخبار الكاذبة بالصحف المليئة يوميًا بأكاذيب وتخيلات، مثل مينشهاوزن *Münchhausen*[١] فسرعان ما كُلف بإلقاء محاضرة من جماعة الكتاب المقدس، وتكليف آخر بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة التترية، أو القيام برحلة دبلوماسية بدعوة من إنجلترا أو من السلطان..إلخ. وكان يتحدث عن

(١) صاحب أكاذيب وتخيلات معروفة بالأدب الألماني.

أشيـــاء يجهلها ولا يعرفها، فيقول مثلا إنه حج بمكة، ويدَّعي أنه مستعرب، أو أنه عالم باللغة المنغولية.

ثانيًا: لاحظتُ بخجل كيف ينسج بخياله أمورًا لم تحدث، وكيف يطمع في اكتساب المال، وكنت أراه بخيلا قذرًا، يعامل أقاربه المقربين بخسة ووضاعة، سواء أكانت أخته أو ابن عمه..إلخ، وكيف يتحدث عن والديه باحتقار. وقد شعرت بخسته حينما قص عليَّ أنه عندما كان مدرسًا بمدينة كسكميت ***Kecskemét*** سرق نقود أمه من حقيبتها.. كان لزامًا عليَّ أن أحتقر مثل هذا الإنسان، وأن أشعر بأن كل ما تعلمته منه، وما هو عليه، وما يتفوه به من كلام فارغ عن المستقبل أشبه بقميص قذر عليَّ أن أخلعه وألقي به بعيدًا عني.

ثالثًا: ولن أنسى كيف كان يتحدث بسخرية عن صباه، ويعلن يوميًا تأففه من تمسك أبيه بعقيدته، ويستاء من ارتباطي بالدين، ومن كل ما له صلة بالمثالية (ولو كان لا صلة لهذه المثالية بالعقيدة أيضًا). وعندما كنت أنظر إليه بمنظار ما رُبيت عليه من مقاييس أخلاقية كنت ألاحظ بخله وقذارته ووضاعته، ولكنني أغفلت ذلك، فعُوقبتُ عليه؛ إذ إنني حين أتذكّر اليومَ أنني كنت على صلة حميمة بهذا الرجل، مؤمنًا بما يقول، وكنت تحت سيطرته وتحكمه، يجب عليّ أن أعترف بلا خجل أنني كنت آنذاك تحت وطأة اعتداء خبيث، وكدتُ أفقد شخصيتي بتسلّط نفوذ الدرويش تمامًا عليّ.

قررت منذ بداية سنة ١٨٦٧ الاستعداد جيدًا للتقدم لامتحان الأبيتور (شهادة إتمام الدراسة الثانوية)، واستمر استعدادي إلى يوليو من السنة نفسها. وكان عليَّ أن أتقدم للامتحان، ولكنني أصبت بالتهاب في الرأس اضطررت

معه قبل أيام من موعد الامتحان أن أعتذر عن عدم دخوله، وأن أؤجل امتحاني إلى عيد القيامة ١٨٦٨. وكان "نورداو Max Nordau"(١) زميل دراسة. أديت الامتحان بنجاح لم يكن متوقعًا، فتفوقت في مواد الرياضيات الثلاث، وأثبت تمكني من معرفتها، إذ إن "جليك Glück" – الذي أصبح نسيبي (شقيق زوجتي) بعد ذلك– قد أفلح باجتهاده معي بإعطائي دروسًا إضافية، في أن يسدَّ فجوات معرفتي باللغات الكلاسيكية (اللاتينية واليونانية). وبهذا أتممت دراسة الفصول الثلاثة / بمجهوداتي الذاتية في وقت أقصر مما لو كنت التحقت بالمدرسة، مع أنني كنت في الوقت نفسه أتكسب بإعطائي دروسًا خصوصية. وممن كنت أدرس لهم السيد فالينتين أونودي Valentin Onody في شتاء ١٨٦٧ (وقد أصبح فيما بعد متخصصًا في زراعة البطيخ التركستاني، كما أعددت السيد كسانادي Csanády من مدينة Nagykároly لامتحان الثانوية العامة Maturitätsprüf استجابة لتوصية المدرس الأول توروك Török.

[٣١]

كنت قد أمضيت فترة النقاهة من التهاب الرأس في مدينة ميسكولز Miskolcz في ضيافة أقاربي مدة ستة أسابيع. وفي هذه الفترة إعجابًا شديدًا بالشباب اليهودي بالبلدة، وقمت معهم بتشكيل اتحاد ثقافي وطني، واقتضى مني تشكيله إلقاء كلمات حماسية كثيرة لقيت استحسانًا كبيرًا عند السامعين، ولكن هذا الاتحاد لم يستمر طويلاً، إذ انحل بعد عدة سنوات بسبب الطامعين في رئاسته وصراعهم عليها.

وفي الشتاء التالي حضر إليَّ السيد "يوسف فايتز Josef Weisz" الذي أتى من مدرسة فيتزبريمر Westzprimér الثانوية ليدرس بمدرسة بستPest

---

(١) (1849-1923) صحفي وكاتب. انظر A. Schreiber: Max Nordau's Letters to Ignace Goldziher. Jewish Social Studies. XVIII. 1956. Pp. 199-207

والسيد "برنهارد ألكسندر *Bernhard Alexander*" بتوصية من الحبر هوخموت *Rabbiner Hochmuth*[١] فالسيد فايتز ربيب هوخموت اختير لوظيفة الحبر. وأعجب ألكسندر بهذا القرار، وأراد أن يفيد منه. واختارني الحبر المذكور للقيام بتدريس الدراسات اليهودية، وبخاصة التلمود لهذين الشابين (وكلاهما أكبر مني بنصف عام). وقبلت بسرور، منتهزًا هذه الفرصة للتدريس لهما كل مساء في حجرتي الصغيرة عن تلمود خولين *Talmud Chullin*، وشعرت بأنني أشغل وظيفة مهمة تجعلني أدرّس أدبًا محببًا لحبرين مثقفين. وكانت أمي الطيبة تقدم الطعام كل مساء للشابين اللذين انقطعا عن الأمور الدنيوية، ولكنهما تمكنا من دراسة التلمود جيدًا. وقد أفادتني هذه الدروس أيضًا في السنتين ١٨٦٧، ١٨٦٨.

أصبح تلميذاي رجلين مهمين، ولا أدري إن كان السبب في هذا تدريسي لهما، وكان عاملا في وصولهما إلى هذا المستوى؟ هذا ما لا يستطيع أحد غيرهما أن يقرره.

لم يستغرق الحصول على شهادة الأبيتور أي وقت في حياتي؛ إذ إنني كنت من قبل طالبًا مستمعًا بالجامعة، وكنت أدرس دراسات عليا في الجامعة، وانشغل بها صباحًا ومساءً، ولكنني حين نزعت هلاهيل المدرسة الثانوية عني، سَهُلَ عليَّ كثيرًا أن استمر في دراستي الجامعية؛ إذ استطعت أن أواصل رحلتي دون أن أملأ حقيبتي بأحمال إضافية لا ضرورة لها. وألحقت بالسنة الثالثة؛ إذ احتسبت لي السنتان والنصف الاستثنائيتان، وبهذا اعتبرت فيلسوف العامين./ وفي هذه الأثناء ضممت دراسة فقه اللغة المجرية إلى ما [٣٢] أقوم بدراسته من لغات. وسعدت بدراسة هذه المادة. وقابل الأستاذ "فرانز

---

(١) (١٨١٦ – ١٨٨٩) حبر يهودي في فيتزبريمر *Westzprimér*.

تولدي Prof. Franz Toldy"[1] التحاقي بحلقات النقاش المختلفة، وأغلبها يتعلق بتحليل هالوتي بسزد Halotti Beszéd وفقًا للأسس التي وضعها ريفاي Révay. وامتدحني معظم أساتذة الجامعة باعتباري التلميذ الصغير القادم من عند فامبيريVámbéry. ووُعدت مرتين بالترشيح لنيل جائزة مخصصة لذلك؛ على الرغم من تبرم بعض الزملاء، ومنهم الزميل جيريج Görög الذي أصبح فيما بعد مدرسًا بمدرسة ثانوية، فيما أتذكر.

وفي عام ١٨٦٨/١٨٦٧ تعرَّفت على صديق طيب في بداية الفصل الدراسي بحلقات دراسة التلمود التي ينظمها الأستاذ بريل Brill. وهو شاب أتم تعليمه الثانوي بمدينة برسبورج Pressburg وحضر إلى العاصمة ليلتحق بالجامعة، يدعى "فيلهلم باخر Wilhelm Bacher"[2]. وقد جذبني إلى هذا الشاب كونه رزين الخلق، متواضعًا، وله معرفة جيدة بالمعارف اليهودية الكلاسيكية، ومثقفًا ثقافة عامة واسعة. اتفقنا سويًا على أن نتشارك في الدراسة الأدبية. علمته اللغة الفارسية، وقرأنا معًا أعمال سعدي الشيرازي، ودرسنا العربية والسريانية دون معلم قدر استطاعتنا. ولم تساعدنا دروس الأستاذ روتسشكا Prof. Ruzsicska[3] في التقدم كثيرًا في دراستنا التي كنا نتلقاها في الكلية اللاهوتية، وأعني الدراسات التي كان يحصل عليها الطالب المستمع في هذه الدراسات، ويمكنني الآن أن أقرر أن صلتي بهذا الصديق استمرت أكثر من عشرين عامًا، ثم تراخت هذه العلاقة الحميمة. كان باخر يتمتع بروح ممتازة وفضائل كريمة، جعلني أتمكن من معرفة نفسي

---

(١) تولدي (١٨٠٥-١٨٧٥) مؤرخ أدب.

(٢) باخر (١٨٥٠ - ١٩١٧) أستاذ ومدير مدرسة الأحبار المحلية ببودابست.

(٣) (١٨١١ - ١٨٨١) عالم لاهوت وأستاذ بجامعة بودابست.

وقدراتي. وكانت له أحكام صائبة على الأحوال المعيشية، إلا أنه كان يلتزم دائمًا بالواقع والموضوعية، ولم يحاول التفكير يومًا في أن يصلح من الواقع المرير لحياتنا الدينية آنذاك، أو التخلص من مساوئها، وهو ما كنت أصبو إليه، وكان يرفض هذا التمرد مني، يتجه دائمًا للصالح، ولا يعبأ بالباطل؛ إذ كان يُعَدّ منذ صغره لكي يكون صادقًا، وألا يقع في حبائل الكذب. من واجبي أن أذكر هذا كله عنه، وأن أقرر أن اتجاهه الفكري هذا لم يوقعه في ثنايا عقائد خبيثة، ولكنها تجعله ينتمي إلى جماعة من يطلقون أحكاما متواضعة مثله،/ واستطاع بشرف أن يتغلب على التيار السائد؛ إذ كان منذ [٣٣] بدايته يبدو في صورة العالِم، فاليهودية عنده حقيقة أدبية. ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لي؛ إذ إنني منذ عام ١٨٦٧ كان هذا الأدب نبضة حياتي، ومن ثمَّ كانت دراستي للأدب اليهودي تعضيدًا ليهوديتي، وشغلي الشاغل في حياتي، وهكذا علمني فرويدنبرج **_Freudenberg_**، ومن ثمَّ أصبحتُ – وفقًا لما عرفتُه عن الوحي مما قرأته بكتابات جايجر **_Geiger_** [١] – أتبع هذا النظام من التفكير، لأن فرويدنبرج علَّمني اتباع طريقة جايجر، وكان لهذه الطريقة تأثير عكسي على عقل باخر.

وهكذا كنت وأنا غلام في السابعة عشرة من عمري محتجًا على فساد الروح والخلق وطهارة القلب والفكر المتأصل في اليهودية المجرية آنذاك، في حين كان باخر قد أُعِدَّ تربويًا ليصبح حاملا للتشكيل الصامت لهذا الفساد. ونظرًا لما مرَّ بي في حياتي المهنية – إذ كنت فيما سبق محاربًا في سبيل

---

(١) أبراهام جايجر (١٨١٠م–١٨٧٤م) **_Abraham Geiger_** رجل دين يهودي. عُين مدرسًا للعلوم اليهودية وتاريخها ببرلين.

الرب وتعاليمه – فقد صممت على أن أجذب إليَّ باخر– الذي أهَّله إخلاصه وحماسه ليكون خادمًا للحقيقة– ليخرج من سباته، وأن أحُثَّه على الانضمام إلى للكفاح في سبيل تنظيم جيش ينقي العقيدة الدينية مما علق بها من أدران، لتصبح حقيقة دينية واضحة. ولكننا انفصلنا في سنة ١٨٦٨/١٨٦٩، وإن كنَّا انتظمنا في تبادل الخطابات. واحتفظ باخر بخطاباتي، وبها وجدت إنذاراتي طريقها إليه، وكذلك وجدتُ في حقيبة رسائلي رفضه لهذه الإنذارات، وكل ما يؤكد من أساليب التعبير الرافض التي يمكن أن تصدر عن تلميذ حلقات النقاش الكهنوتية. احتفظ صديقي برأيه، وتحتم عليَّ أن أعاني من طريقة تفكيره معاناة شهيد يهودي. واهتديت بفكري إلى الحقيقة الربانية، وهو ما ساقني مع ما تعرضت له من إنكار وسوء التقدير إلى عزلة تامة، مكتفيًا بحلقة صغيرة تجمع أطفالي الصغار.

وفي أثناء الأعوام العشرين التي عرفته فيها كنت وثيق الصلة بباخر، واستمرت هذه الصداقة إلى عام ١٨٨٨، ولم أيأس قط من أن أكتسب أفضل أصدقائي ليكون زميلي في العمل، وانتهزت كل دقيقة من حياته العملية الناجحة لتحقيق ذلك، ولكن دون جدوى؛ إذ لم يكن مهتمًا إلا بالنصوص الدينية القديمة، وتمكن بذلك من أن يشغل مكانة ممتازة يستحقها بجدارة، وأن يحيا حياة هادئة مطمئنة لا تتاح للكثيرين.

وفي هذا الوقت وقعت في عام ١٨٦٧ أهم حادثة عالمية في القرن التاسع عشر وهي إعادة الدستور المجري، وكان لهذا تأثير مباشر على مسار حياتي؛ إذ اقترح "يوسف اتفوس *Josef Eötvös*"[1] وزير التعليم المجري أن

---

(١) البارون أتفوس (١٨١٣ – ١٨٧١) كاتب ورجل دولة، طالب بتحرير اليهود فى المجر عـــام ١٨٤٠، وتقلد وزيرًا فى عام ١٨٦٧.

تُقَدِّمُ منح للطلاب للدراسة بالجامعات/ خارج الوطن، وذلك لتكوين هيئة [٣٤] تدريس بجامعتنا. وقد رشحني لإحدى هذه المنح الأستاذان فامبيري *Vámbéry*، وبالاجي *Ballagi* وزكياني بكل حرارة. وكانا على صلة وثيقة بالوزير، فاستدعاني للمثول أمامه، فذهبت إليه عصر أحد أيام السبت من شهر إبريل ١٨٦٨ بعد انتهاء امتحان شهادة الأبيتور مباشرة، وجلست بقاعة الانتظار - قبل الدخول على الرجل العظيم - أسترجع ما ذقته في حياتي من أيام ضيق، وكان سلواني في عزة نفسي وعلو همتي. ولما دخلت عليه طالبني الوزير أن أضع خطة لمسار رحلتي العلمية التي أطمح في القيام بها، ولم أكن مستعدًا لهذا المطلب، ولكنني استعنت بحضور الذهن، وارتجلت خطة لما أطمح إليه آنذاك عن زيارة للشرق العربي، واستطردت في شرح أهمية القيام ببحث معاهد القوم، وتطور حياتهم الدينية والسياسية. وكان هذا فعلا ما كنت أفكر فيه إذا أُتيحتْ لي الفرصة أثناء دراستي للتواجد في مناطق هؤلاء الساميين. ورد عليَّ الوزير اتفوس بقوله إن مثل هذه الدراسة يمكن أن تكون إثراءً للمعارف المجرية. ودعاني لزيارته في وقت قريب بمنزله الخاص. وبعد انقضاء أسبوع، ذهبت إلى منزله يوم الاثنين تلبية لهذه الدعوة الرفيعة. وكنت قد أُبلغتُ أثناء ذلك بأن اتفوس تحدث عني وامتدحني بقوله فيما بلغني:"لقد أعجبني الصبي اليهودي" وأكد لمن كنت في رعايتهما (فامبري، وبالاجي) أنني سأرسل في رحلة دراسية إلى ألمانيا كي أتأهل لدراسة اللغات السامية وآدابها على أستاذ متميز في هذه الدراسات. وقد أفصح لي بهذه الكلمات تعبيرًا عن رغبته هذه، عندما زرته يوم الاثنين. ثم انتقل إلى السؤال عن أحوال أسرتي، وعن دراساتي السابقة. وعندما أبلغته أنني طالب فقير واساني، ووعدني بأنه بمشيئة الرب سيكفل لأبي معيشة كريمة.

وفي شهر يونيو دُعيت لزيارة الوزير مرة أخرى، واستقبلني الرجل بقوله في لهجة ودودة: "يا جولدتسيهر نحن جاهزون"، وأنه يمكنني أن أعتبر نفسي مكلفًا بالذهاب في الفصل الدراسي القادم إلى برلين، وأن أبدأ هناك دراستي التي قدمت تخطيطًا لها. ثم سافر الوزير في الأيام التالية إلى كارلزباد ***Karlsbad***، ولكنه أوصى نائبه بالمعلومات الضرورية عني. وكان على النائب – روتينيًا – أن يتقدم بالطلب إلى أعضاء مجلس الجامعة، وكان عليَّ الانتظار لقرارهم بالسماح لي بالسفر إلى الخارج. واستقر اقتراحي بخطة الدراسة بمكتب رئيس الجامعة، وكان آنذاك رئيس الكنيسة الغبي "آلويس رودر ***Alois Roder***"[1]، وكان أستاذًا للدراسات التربوية العليا، وهو رجل محدود الأفق. وكان يرى أن حصول غلام يهودي على منحة دراسية بالخارج عار على الحكومة المجرية الجديدة./ فترك الملف في حقيبته إهدارًا للوقت. فذهبت إلى فخامة رئيس الجامعة، ورجوته ملحًا، أن يرسل خطة الدراسة، فعبر لي عن رأيه بأنه لا مانع لديه من أن أحصل على البعثة من المنح اليهودية. وقال بصراحة إنني لن أحصل منه على أي منحة، ولما أبديت اعتراضي المتواضع على ذلك، أدار لي – محب الكنيسة– ظهره قائلا في غضب: " أتظن أنك تخاطب حبرًا يهوديًا ***rabbinus***؟ وتركني بين موظفي مكتبه أفكر متأملا، كيف يمكن أن تترك حكومة اتفوس ***Eötvös*** الجامعة بين يديّ رجل دين غبي مثله. ولكن فخامته سافر بعد يومين إلى كوريتنيزيا ***Koritnyicza*** دون أن يوقع على الملف شديد الأهمية بالنسبة لي، وأغلق عليه مكتبه دون أن يرسله. وكنت أشعر بما وقع عليَّ من ظلم فادح، وانني كنت

[٣٥]

(١) ***Alois Roder*** (١٨٣١م-١٨٧٣م) أستاذ الفلسفة بجامعة بودابست.

ضحية لسوء تصرف هذا الرجل وغبائه. وتذكرت أنني حين كنت في الخامسة من عمري تنبأت لي عرّافة غجرية بمدينة شتولفايزنبورج، كانت تقف أمام دكان أبي بأنني سأعانى في حياتي من رجل دين في منصب كبير، وسيصيبني منه ظلم فادح وسوء حظ. ولم أرغب في أن أدع هذا الظلم ينتصر عليَّ دون أن أصارعه، فتشجعت وأرسلت خطابًا إلى الوزير في كارلزباد ضمنته اقتباسًا من كتابه "صاحب الجندول" ***Gondolatok***، وجعلته خاتمة لرسالتي لأبيّنَ له أنه ليس من اللائق أن يرفض ما وَقّع عليه من طلب المنحة لي، وأن خططه لا ينبغي أن يفسدها تحيز أحمق. وبعد إرسالي الخطاب له ببضعة أيام أخطرني رئيس القسم ميسيزاروس ***Mészáros*** بالوزارة أن بعثتي حظيت بالموافقة، ولا أدري إن كان هذا بسبب خطابي أم بسبب خطاب اتفوس إلى الوزير تانارکي ***Tanárky***(كان موجودًا بكارلزباد آنذاك)، وقد طُبِعَ هذا الخطاب ضمن تأبين لورنز ***Lorenz***.

وبعد عودة الرجل النبيل من كارلزباد تمكنت من لقائه مرة أخرى لأشكر له ما قام به من جهد ساعدني على أن أخطو خطواتي الجريئة. وقد قابلني بأبوة حانية، وحمّلني تحيات لوالديَّ، وألزمني بالكتابة إليه من برلين كل شهرين لأعلمه بمسار دراستي. وزودني بتوصياته الشخصية إلى جراف فيمبفن ***Graf Wimpffen*** الوزير النمساوي المفوض - مجري الأصل - في برلين. وبهذا انتهت فترة دراستي بمدينة بست ***Pest***. واستبشرت بانبثاق فجر حياتي. وفي فرحة اختزنتها في نفسي / بدأت أتطلع إلى المستقبل، وصليت في خشوع في الأيام التالية وأيام الإجازات المباركة إلى جوار أبي في المعبد بالسيناجوجي القديمة (المعبد اليهودي)، ودعوت للوزير اتفوس ***Eötvös*** بدوام

٣٦

الصحة والعافية. وجددت نذوري بأن أحافظ على إيماني بعقيدة أجدادي فيما ألقاه في حياتي المقبلة في السراء والضراء.

الأعوام ١٨٦٨ـ١٨٧٢:

لم تساعدني الأيام الأولى التي قضيتها في برلين على الاحتفاظ بتفاؤلي بمستقبل مشرق؛ إذ كنت غلامًا في الثامنة عشرة من عمري. اعتدت أن أحظى برعاية أمي الحبيبة، وجدتي المعطاءة، وفجأة وجدت نفسي في مدينة كبيرة غريبة عنّي. وكان معي خطابات توصية كثيرة لأقدمها لأناس غير مُرَحبين. وأضعتُ في سبيل ذلك كثيرًا من الوقت دون أن أستطيع تأسيس صلات أسرية حقيقية في برلين، إلا أنني وجدت استقبالا مريحًا من أسرة كلاوسنر *Klausner*. وكان السيد كلاوسنر كاتبًا وأديبًا واسع الاطلاع، وابنه صاحب مكتب كلاوسنر للمراسلات. وعندما ذهبت إلى منزله كان الرجل الوحيد الذي استقبلني مع أسرته بحرارة. واعتدت بعد ذلك أن أذهب لزيارة الأسرة في أمسيات أيام الجمعة.

كان لخطابات التوصية التي حمّلني إياها الوزير اتفوس إلى الوزير المفوض فيمبفن *Wimpffen* تأثير قوي. كما تأثرت أيضًا برؤية الأكواب الفضية التي يقدمها خدم يرتدون زيًا خاصًا – (ولم أرَ مثل هذا الاحتفال قبل ذلك) في صالون الوزير المفوض، ثم اعتدت على رؤيته بعد ذلك. كان الخطابُ الذي حملته لفيمبفن مليئا بكثير من أوصاف المديح التي أسبغها عليَّ سيادة الوزير، مما جعل الوزير المفوض يستقبلني بترحاب وبشاشة غير معتادة، ويترك لي حرية التواصل معه كلما احتجت إلى ذلك. وأوصاني بأن

أقدم نفسي باسمه إلى مستشار الوزير المفوض جراف زالوسكي ***Zaluski*** الذي عينني مترجمًا للنصوص المجرية، ومترجمًا فوريًا لهذه اللغة أيضًا بالمفوضية، فتجولت في متاهة أروقة المفوضية إلى أن وصلت إلى مكتب جراف زالوسكي. وبعد أن قدمت نفسي، ولج من باب الغرفة شاب طويل القامة له لحية حمراء. وقال لي بلهجة حادة:"ألم أقل لك إنني لا أستطيع مساعدتك أبدًا ؟" وأضاف كلمات أخرى، فخرست ولم أنطق حرفًا واحدًا، واندفعت خارجًا من المبنى، وسعدت عندما وصلت إلى شارع فيلهلم. (لقد خلط زالوسكي بيني وبين متسول ألحّ في سؤاله بالطريق). ولما دخلت مسكني الموحش بشارع أورانين بورجر ***Oranienburgerstr*** رقم ٨ أجهشت بالبكاء لشدة الاستهانة بشخصي على نحو ما حدث. وظل الأمر منطبعًا في ذهني دائمًا./

[٣٧] كانت نافذة حجرتي تطل على المدفن القديم الذي دُفنَ فيه بقايا موسى مندلسون ***Moses Mendelssohn***[١]. واعتدت أن أتطلع إلى المدافن، واتحسر على الأمسيات التي قضيتها أتطلع فيها إلى جماعات من رجال أبرار يقطنون بشارع أورانين بورجر، ويتمتعون بعيشة هادئة، ولا يحتاجون إلى رؤية الجراف زالوسكي ثم يضطرون إلى الإسراع في الهبوط على درجات سلم المفوضية للابتعاد عنه. وخطر لي في إحدى الأمسيات أنني أستحق ما حدث لي، وخطر في بالي آنذاك – وأنا أتطلع إلى سماء الخريف المليئة بالنجوم

---

(١) موسى مندلسون (١٧٢٩م-١٧٨٦م) ***Moses Mendelssohn*** فليسوف ألماني صديق الشاعر لسنج ***Lessing*** عمم مبادئ عصر التنوير وأفكاره وأثر بذلك في تحرير اليهود الألمان ***Emanzipation***. ألَّف حوارًا بعنوان ***Phadom oden*** سنة ١٧٦٧م عن الخلود (أو الأبدية) وهو عنوان حوار لأفلاطون بالعنوان نفسه.

فوق شواهد القبور المعتمة الشامخة إلى أعلى- أن مندلسون لم يزر قصر المفوضية النمساوية، ولم يضطر إلى أن ينظر إليه أحد، وكأنه متسول.

وفي أحد الأيام زارني طالب مستمع للدراسات الإنجيلية الدينية يقطن في الحجرة المجاورة لي. جاء ليسألني عن سبب بكائي، ومناجاتي لنفسي بصوت عالٍ، وتحدث معي مواسيًا. وعندما كنا نجلس سويًا، دخل حجرتي رجل جاء إليَّ بتكليف من جراف زالوسكي *Graf Zaluski* يعتذر عن سوء الفهم حين اختلط عليه الأمر، وظنني رجلا آخر تسبب في ازعاجه بمكتبه في الأيام السابقة، ويتأسف كثيرًا لتسرعه في مخاطبتي بهذه العبارة، وأنه سيرتاح كثيرًا إذا قمت بزيارته على الفور إن أمكن ذلك. ولم أذهب إليه، وفقدت الرغبة في أن أطأ دهاليز قصر المفوضية لأحظى برؤية السيد العظيم.

قمت بزيارة الأساتذة الذين سأدرس عليهم، وقابلني بعضهم بسخرية لاذعة؛ إذ كانت نظرتهم إلى ما يقومون بتدريسه آنذاك بشمال ألمانيا بعيدة كل البعد عما يدرس بالنمسا من علوم يرونها ذات مدلول هزلي، وبخاصة نظرتهم لما أريد التخصص فيه، الذي تعرفوا فيه على ما قام به "همر- بورجشتال ***Hammer-Purgstall***"[١]. وفضلاً عن ذلك كانوا يعتبرون المجر بلدًا بربريًا تمامًا، وبدا لهم من العبث أن يأتي أحد منها يطمع في أن يكون عالمًا. وبخاصة أن أحد معلمي اللغات عندهم كان مجريًا يدعى "يوليوس داللوس *Julius Dallos*" وكان محتالاً وجاهلاً، يدَّعي في برلين آنذاك أنه مستشرق. وكان هذا هو السبب في ارتياب الأساتذة في قدراتي.

---

(١) همر- بورجشتال مستشرق نمساوي (١٧٧٤-١٨٥٦) كان مترجمًا بالبلاط النمساوي.

وعندما بدأت الدراسة سجلت إلى جانب دراستي لفرع من فروع الفلسفة، وحضور المحاضرات العامة، دراسة الكتاب المقدس، واللغتين العربية والسريانية عند "إميل ريدجر *Emil Rödiger*"[1] و"ديتريسي *H. Dieterici*"[2]، و"هاربريكر *T. Haabrücker*"[3] و"فيتزشتاين *J. G. Wetzstein*"[4]. وتعلمت معلومات ممتعة لي على يد هذا الأخير الذي كان قنصلاً معروفًا بأنه كان مدرسًا خصوصيًا، يحاضر عن لغة البدو، وعاداتهم. ولم أستمتع إلا بمحاضراته؛ فلم أستمتع بمحاضرات ريدجر؛ إذ كان يقرأ محاضراته عن العهد القديم من الكتب، وكانت محاضراته عن الدراسات العربية تعليمية محضة. ولم يلْقَ علمه الغزير أي قبول من الطلاب، ولم يكن لدروسه أي أثر عند المتلقين؛ إذ لم يكن في استطاعته أن يقدم أي معلومة للطلاب دون إعداد سابق للمحاضرة، عدا الصرف وحالات الإعراب التي يمكن حفظها باعتبارها العناصر الأولى التي يمكن للمبتدئ / – أو لمن يتعلم العربية دون معلم مثلي في الدراسات [٣٨] السامية– أن يرجع إليها في كتب قواعد هذه اللغات. وكانت محاضراته تفتقد التعمق في الدراسات الأدبية أو دراسة الفرق الإسلامية. وكان يقيم ندوات علمية مرة أسبوعيًا غالبًا، يعقدها في منزله، ويخصصها للحديث عن الفِرَق الإسلامية. وكان الطلاب لا يهتمون بها، ولكنني أفدت منها كثيرًا، لأنها أتاحت لي أن ألْقي نظرة لأول مرة على مادة وموضوعات شغلتني بعد ذلك طوال حياتي. وأفدت

---

(١) إميل ريدجر (١٨٢١–١٨٧٤)، كان يدرس في برلين منذ ١٨٦٠ اللغات الشرقية.

(٢) ديتريسي (١٨٢١–١٩٠٣) مستشرق.

(٣) هاربريكر (ت ١٨٨٠) مستشرق، ترجم الملل والنحل للشهرستاني.

(٤) فيتزشتاين (١٨١٥ ــ ١٩٠٥) خبير بشئون سوريا وفلسطين.

أكثر من ذلك من محاضرات دكتور "شتاين شنيدر *M. Steinschneid*"[١] الذي كان يشغل كرسي "فايتل هاينه *Veitel Heine*" عن الفلسفة اليهودية والأدب العربي اليهودي؛ إذ كانت مثيرة لي؛ لأنها جعلتني أزيد من اجتهادي الشخصي لدراسة الأدب العربي الذي أنتجه اليهود.

تعمقت في دراسة المؤلفات النحوية والفلسفية، فدرست كتب حَيُّوَج *Chaijug*، وابن جناح *Gannach*، وموسى بن ميمون *Maimonides* دراسة متعمقة. وكانت هذه الدراسة الأساس الذي بنيت عليه رسالة الدكتوراه عن تانخوم جيروشالمي *Tanchûm Jeruschalmi*[٢]. وإلى جانب ذلك حرصت على زيارة السيد "زومبر *L. Zomber*" كي أتلقي دراسات في التلمود في بيت المدراش (بشارع الأزهار *Rosenstrasse*) فقد صاحبني حبي للتلمود في رحلتي إلى هذا البلد القاسي، ولكن لم أكتفِ بما يعرضه الأستاذ زومبر عن الدراسات التلمودية بتحليل نقدي بسيط، بل استمتعت بمواصلة هذه الدراسات في حجرتي، ومن ثم كونت بحجرتي مكتبة يهودية زاخرة.

كان من معارفي في برلين السيد "ليبرشت (١٨٠٠-١٨٧٦) *Lebrecht*" ناقد التلمود المتميز (عالم يهودي بجامعة برلين تابع ما كتبه جيزايا *Jesaia* بجامعة برلين، وهيرش خايس *Hirsch Chajes* من دراسات نقدية للتلمود ونشرها)، فهو شيخ عالم كان يُطَعِّم ثمرات الدراسة في قاعة محاضرات موزس سوفر *Moses Sofar* مع كتابات جزنيوس *Gesenius* الناضجة. وقد زرته كثيرا في الأيام الأولى من زيارتي لبرلين. وكان آنذاك رئيس معهد فايتل هاينه، ويقطن في المعهد نفسه.

---

(١) مستشرق وعالم بالكتاب المقدس.

(٢) عنوان الرسالة *Studien über Tanchûm Jeruschalmi*.

اهتمّ الشيخ جيزايا صبيانيّ التصرف بدراساتي الخاصة اهتمامًا ودودًا، واستمع لشكواي من حياتي الموحشة، ونفوري من معيشتي ببيت الضيافة، ومن الحي الذي أقطن فيه وأختلط بساكنيه، ووحدتي أيضًا إلى جوار صانع الأحذية الشعبي الذي لا يعاشر، فتأثر كثيرًا، ووعدني أن ينقلني إلى مسكن أسرة طيبة.

وبعد أيام قليلة قدمني إلى السيد "أدولف برلينر *Adolf Berliner*" الذي كانت زوجته تهتم بشئون مسكني من قبل. وانتقلت إلى السكنى مع أسرة طيبة، ونعمت بتعاطفها معي، وعرفت معها معنى الصحبة اللطيفة والأخلاق الحميدة بعد أن كنت أرتعب من وجودي في المدينة الكبيرة؛ إذ وجدت في السيد برلينر وزوجته أبًا وأمًا، وشكرت لهما ذلك كثيرًا، لأنني صُنت نفسي عندهما ولم أقع في الخطيئة./ كما أنهما عاملاني وكأني طفل لهما؛ وسكنت [٣٩] في غرفة مكتب صاحب المنزل الذي شاركني في دراساتي، فنعمت معهما بحياتي، وأقبلت على دراساتي بشغف. فكنت أزاول الدراسات اليهودية والاستشراقية، وأجلس أمام المكتب ساعات طويلة، ويشتد أسفي إذا ما اضطررت -حوالي الساعة الثانية صباحًا- إلى إطفاء مصباحي، لأعود فأشعله فيما بين الساعة السادسة والسابعة صباحًا كي أجلس إلى مكتبي.

كانت سنة زاولت فيها الدراسة الجادة التي أدين لها بالكثير، ويشهد على ذلك ما دونته فيها من ملحوظات دراسية. كنت آنذاك نهمًا للعلم والدراسة، واختطت لنفسي الأسس اللازمة لمحاضرات الجامعة ولمعظم دراساتي الخاصة.

وفي الصيف قام دكتور "ريدجر *Rödiger*" بإعطائي دروسًا خاصة مع "جوستاف يان (١٨٣٧-١٩١٧) *Gustav Jahn*"[١] الذي هجر دراسة اللاهوت

---

(١) درَس له إميل ريدجر كتاب المفصل للزمخشري في جامعة برلين عام ١٨٧٠.

نتيجة مشاكل وقعت مع القائمين على الكنيسة، وبدأ في دراسة الاستشراق. وقد أثارتني صحبة يان كثيرًا، فقد أفادني في دراسة فلسفة هيجل ***Hegel***، والدراسات اللاهوتية التي كان ضحية لها، وتسببت في هجرته من تيبنجن إلى برلين. وكان يحاضرني أثناء نزهاتنا الكثيرة عن العهد الجديد (الإنجيل) الذي قرأناه سويًا، كما بدأت – بفضله – أفهم جيدًا كتابات جايجر ***Geiger*** بعد أن درست شتراوس ***Strauss***، وباور ***Bauer***. وقد ساعدني يان كثيرًا بتقديم المراجع اللاهوتية الدينية. وقد كافأته بإعطائه دراسات الأحبار، ودراسات في اللغة الفارسية.

كانت الدروس الخصوصية لريدجر تشمل أيضًا المخطوطات وتحقيق المخطوطات، وغالبًا ما كانت عن المخطوطات الموجودة بالمكتبة الملكية التي عُهد إليه بتسجيلها، وكانت معظم هذه المخطوطات مدونة باللغة الفارسية. وقد أعطاني ريدجر معظم ما كان يمتلكه منها باعتباري تلميذًا له. وقد اجتهدت في دراسة ما أخذته منه بعد ذلك؛ إذ جعلتني متعطشًا للرجوع لمصادرها الغنية. ووجدت في المخطوطات ضالتي وبخاصة عندما حثني "الأستاذ فلايشر (١٨٠١– ١٨٨٨) ***Prof. Fleischer***"[١] على قبول هداياه منها. وحثني ريدجر على قبول هذه الهدايا.

وفي أغسطس ١٨٦٨ ودعتُ برلين مزودًا بمعلومات كثيرة اكتسبتها بها. وكانت دراستي عن تانخوم جيروشالمي شبه مكتملة في حقيبة سفري. ومررت في رحلتي إلى وطني بمدينة برسلاو ***Breslau***، حيث أحضرتُ معي باخر ***Bacher***، وأمضيت معظم إجازتي بمدينة كوروشجي ***Köröshegy*** حيث نزلت ضيفًا على عائلة ليفن تريت ***Löwentritt***، وهي عائلة تربطنا بها صداقة

---

(١) كان أستاذًا للغات الشرقية بجامعة ليبزج اعتبارًا من ١٨٣٥.

حميمة، وقضيت أوقاتًا طويلة هناك للاستراحة من عَنت دراساتي السابقة. وكثيرًا ما كانت هذه القرية تجذبني إليها، لأنها قرية صغيرة تقع على بحيرة بلاتنزيه **Plattensee** ولوجود شارلوتي **Charlotte** الابنة الصغيرة لأسرة ليفن تريت، التي كانت صديقة لأختي وكنت صديقًا حميمًا لها منذ عدة أعوام. وكانت الفتاة لا تعد جميلة، ولكنها كانت صريحة، صافية الروح مما جعلني أتعاطف معها، ودفعني ميلي الصادق إليها إلى أن أتقرب منها بتبادل الخطابات معها بانتظام،/ مما زادني حبًا لها، وكان شوقي لها شوقًا روحيًا، [٤٠] وهذا جعلني أقبل على دراساتي بطريقة منضبطة وبوعي يقظ.

قضيت عدة أسابيع في ضيافة عائلة ليفن تريت محترمًا، وسعيدًا بصحبة شارلوتي، نقرأ سويًا ما يُنَشط حياتها العاطفية، ويقربها لمعرفة طموحاتي. وكانت تستمع مبهورة - كتلميذة تقدر أستاذها - لمحاوراتي معها التي أدت إلى توثيق علاقتنا بهذا الحوار الذي لا يجنح إلى أهواء دنيوية. وفي أثناء إقامتي لديهم اجتهدت في إنهاء رسالتي عن تانخوم جيروشالمي أيضًا، فأصبحت معدة للنشر، وقمت بنشرها عام ١٨٧٢ أثناء أسابيع الإجازة التي أقضيها كل عام بمدينة كوروشجي **Köröshegy**. ودامت هذه العلاقة التي رفعت من روحي المعنوية وقوتها دون أن يكدر صفوها أي شيء، إلى عام ١٨٧٣ الذي تزوجت فيه شارلوتي تاجر ثيران بمدينة تيتني **Tétény**.

وفي أثناء العطلة انتهزت فرصة وجودي بالمدينة، فزرت الوزير عدة مرات استفسر مني أثناءها عن دراساتي في الشهرين السابقين، وعبَّر عن رضاه عما أنجزته في دراساتي، وعن تصميمي على مواصلة دراستي بمدينة ليبزج. وبعد أن تحاورنا عن سبب قراري هذا وافق عليه كلية، وأخبرني

بزيادة منحتي المالية. واستمعت إليه، وحمرة الخجل تعلو وجهي، إذ تبينت أن أتفوس *Eötvös* راضٍ عني تمامًا، بل أكثر من رضاه عن جميع من أرسلهم معي للدراسة بالخارج، وقد صرح بذلك أمام زملائه.

كان أول سؤال وجهه إليَّ عندما زرته بعد عودتي من برلين عن صحة والدي. ولعله فكر مليًا في عمق ما يكنه له الطالب الصغير من مشاعر الاحترام، ومدى حبه إياه. ولن أنسى كذلك كلمات الوداع التي شيعني أتفوس بها عند رحيلي إلى ليبزج؛ إذ ألزمني بأن أتقدم برسالتي التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه في غضون العام الجامعي ١٨٦٩ /١٨٧٠، وأن أبدأ بعدها على الفور في التسجيل بجامعة بست *Pest* للحصول على شهادة الهابيل "*Habilitation*" (شهادة الدكتوراه التي تؤهل للحصول على الأستاذية)، وحين ذكرت له أن شابًا في العشرين من عمره لا يستطيع تسجيل نفسه للحصول على درجة الأستاذية الموقرة، ليصبح أستاذا بالجامعة، فإن هذا غير مقبول لصغر سنه، قال لي: "العبرة ليست بالسن، فالتقارير التي بلغتني عنك تؤكد أن ما وصلت إليه في دراساتك تجعلني أثق في قدرتك على الحصول على هذه الدرجة، ومن ثمَّ يجب أن تحقق هذا، وستحصل على إجازة لنيل هذه الدرجة، وستشغل بعدها وظيفة بالمكتبة، ولكن يجب ألا تنهك نفسك كثيرًا بالعمل، وأن تحافظ على صحتك، ولا تنشغل كثيرًا بالدراسة، مثلما تبينت من التقارير التي رأيتها". وبهذا يمكن تبين مقدار اهتمام هذا الرجل العظيم بتفاصيل حياتي./

[٤١] وبعد عدة أيام من هذا التوديع الرائع قدمت نفسي إلى "الأستاذ فلايشر *Prof. Fleischer*" بجامعة ليبزج. وكانت توصية الأستاذ ريدجر عنِّي قد

وصلته، تلك التي كتب فيها -فيما أخبرني الأستاذ فلايشر- ضمن ما كتب عني من صفات أخرى:"ستجد جولدتسيهر "مُرِيدًا"[١] *Murîd*، وليس ثمة ما يدل على أنه سيصبح "مارِدًا[٢] *Mârid*".

وبعد أن تحادثت مع الأستاذ فلايشر عما اختطه لدراستي المقبلة، وما أبتغيه من دراسات خاصة بالمنزل، حمَّلني عددًا من الكتب من مكتبته الخاصة، كي أقرأها. وفي هذه الزيارة قدَّم لي أفراد عائلته، ودعاني لزيارته كلما عنَّ لي ذلك مساء أي يوم، وأن أرجع إليه في جميع الأمور العلمية الحياتيّة في حرية تامة.

وسجلت اسمي لحضور جميع محاضراته في اللغة العربية والفارسية والتركية، سواء في الدراسات الأدبية أو اللغوية. كما سجلت أيضًا محاضرات "كريل (١٨٢٥-١٩٠١) *L. Krehl*" عن اللغة السريانية، واللغة العربية، ومحاضرات "بروك هاوس (١٨٠٦-١٨٧٧) *H. Brockhaus*" عن اللغة السنسكريتية (نحوها)، ومحاضرات "دروبش (١٨٠٢-١٨٩٦) *Drobisch*" عن الفلسفة، كما سجلت محاضرات أخرى.

وعلى الرغم من أن محاضرات فلايشر كانت تتعمق غالبًا عندما يتحدث عن أسس البناء اللغوي، ويشرح بنية التعبيرات اللغوية ودلالتها، فإنني بعد استماعي لدروسه، واتصالاتي الخاصة به في وقت قصير، وجدت نفسي اهتم اهتمامًا خاصًا بتاريخ الإسلام، ومؤسساته (معاهده ومذاهبه). ومن ثَمَّ بدأت الفصل الدراسي الأول لالتحاقي بالجامعة بدراسة الشريعة الإسلامية.

---

(١) مُريد: هي الكلمة العربية التي تدل على التلميذ المخلص لأستاذه.

(٢) مارد: هو العنيد المتمرد. وهذا هو المقصود هنا.

وقد أصبحت تلميذا محظوظا بين تلاميذ فلايشر، إذ إنَّ أسئلتي التي أوجهها إلى الأستاذ، وإجاباتي عن أسئلته، جعلتني – سريعًا – واسطة العقد بين التلاميذ، وموضع الاهتمام بينهم، فأطلق عليَّ التلاميذ لقب "الشيخ الصغير"، في حين أطلقوا على الأستاذ فلايشر لقب " الشيخ الأكبر".

وكان الزملاء: "روزن (١٨٤٩–١٩٠٨) *Baron V. R. Rosen*"[(١)]، و"شـــتـــــادي (١٨٤٨–١٩٠٦) *B. Stade*"[(٢)]، و"المكـــفـــســـت (ت١٩٠٤) *H. Almkvist*"[(٣)]، و"بونازيا (ت١٩١٤) *L. Buonazia*"[(٤)]، و"باوديسّن (١٨٤٧–١٩٢٦) *Graf W.W. Baudissin*"[(٥)]، و"أورلـــــي (١٨٤٦–١٩١٢) *K. von Orelli*"[(٦)]، و"تشندورف (١٨١٥–١٨٧٤) *C.von Tischendorf*"[(٧)]، وهم أشهر الطلاب الذين حضروا المحاضرات وقاعة البحث. وكذلك "إنيبرج *W. Eneberg*" الفنلندي، والأمريكي "فيكس *W. Wickes*" وهو دارس للكتاب المقدس، ومؤلف كتاب *A.Treatise on the Accentuation of the Twenty- One socalled Prose- Books of the Old Testament , Oxford 1887* (معالجة النطق بالنبر في الواحد والعشرين كتابًا التي تُعرف بالكتب النثرية للتوراة).

كان فيكس ضمن الطلاب الذين حضروا المحاضرات. أما "كاوتش (١٨٤١–١٩١٠) *E. Kautzsch*" الذي أصبح أستاذًا للدراسات الإنجيلية بجامعة هاللي، فقد كان مدرسًا بالمدرسة الثانوية ثم انضم إلينا.

---

(١) كان يحاضر منذ ١٨٧٢بجامعة بيترزبرج بكلية اللغات الشرقية مدرسًا ثم أستاذًا.

(٢) عالم بالدراسات الكهنوتية الإنجيلية، وأستاذ الدراسات الدينية بجامعة جيسن.

(٣) أمضى سنتين ونصف بسوريا ومصر والنوبة والسودان، وعني بالدراسات الشعبية.

(٤) مستعرب وأستاذ في سيينا *Siena*.

(٥) رجل دين ومؤرخ ديانات وأستاذ بجامعة برلين.

(٦) رجل دين إنجيلي وأستاذ بجامعة بازل.

(٧) رجل دين إنجيلي وأستاذ بجامعة ليبزج.

كنت موضع اهتمام الزملاء جميعًا، وكنت أعد في حجرتي للمحاضرات التي سنتلقى في اليوم التالي في منزل كاوتش للضيافة كل يوم أربعاء عن البيضاوي، وكان إعدادي لها يستغرق الأسبوع كله، ومِن ثَمَّ كنت أتعرف على الكلمات والآيات إذ كنت أمتلك الكتاب. وقد عرف كاوتش ذلك، وشكر لي تحريريًا جهودي العلمية التي قمت بها، وكانت ذات نفع. وما زلت أحمل أجمل الذكريات التي استمتعت بها في حياتي كلها لمحاضرات فلايشر. وكان تقديره لي يزداد يومًا بعد يوم، وكذلك كان شعوره نحوي؛ إذ صرح بذلك مرارًا أثناء المحاضرات. وكنت آنذاك راضيًا عن نفسي؛ إذ اجتهدت في دراسة الكثير من المواد.

وليس لدي ما أقصه عن دراستي في أي مادة أثناء الفصل الدراسي الشتوي ١٨٦٩-١٩٧٠ مع أنني قرأت كل ما في المكتبة،/ وبحثت عن المخطوطات التي تتحدث عن الرفاعية، وإن كان ما ألزمني به الأستاذ "أتفوس *Eötvös*" من ضرورة أداء امتحان الدكتوراه كان يثقل كاهلي، وكأنه حِملٌ من الرصاص فوق عاتقي. ففرغت من الرسالة، ولكن كان على أن أعدَّ لفرعين دراسيين آخرين، فاخترت مادتي التاريخ القديم والفلسفة. وكان لهذا الالزام جانب حسن؛ إذ حفظني من أن أضع جهدي كله في دراسة فرع واحد، ومكنني من الاهتمام بالثقافة العامة. ومن ثَمَّ درست الفلسفة بمساعدة صديق لي، كان يجب أن أذكر اسمه من قبل، وأن أقرَّ بصداقتي له. وقد ساعدني في تكوين ثقافتي العامة، أقصد "مورتس كلاين مان[1] (١٨٤٣-١٩١٥) *Moriz Kleinmann*" (*Kármán*).

[٤٢]

(١) تربوي وأستاذ جامعي، واسم الشهرة *Kármán*.

عرّفني به "باخر *Bacher*" في صيف ١٨٦٨. وكان آنذاك حاصلا على درجة الدكتوراه، وجاء إلى بست للتدريس للتلاميذ اليهود بالأكاديمية التجارية، ولبعض تلاميذ المدرسة الثانوية مادة الدين. وعُهِدَ إليه آنذاك تحرير الصحيفة الرسمية لحزب التقدم اليهودي التي كان "أدولف فني فيسي (١٨٣٧-١٩٢٠) *A. Fenyvessy*[١]" مسئولاً عنها، ولكن كان ينقصه فهم طبيعة العمل، ولا يهتم بذلك كثيرًا.

وكان كلاين مان التلميذ المفضل عند "ليوبولد ليف (١٨١١-١٨٧٥) *L. Löw*" رئيس أحبار مدينة سيجد *Seeged* وكان هذا هو السبب في انتهاجه للتخصص في الدراسات الدينية اليهودية التي كان يعلق عليها آمالاً كبيرة.

وعندما زرت هذا الشاب العالم أول مرّة أبهرني بسماته الجادة، وتصميمه على تحقيق مبادئ أساسية سمعناها منه، فضلاً عن خلقه الرفيع، وسعة اطلاعه المذهلة في كل المعارف. فقررت أن أقترب منه، طمعًا في أن أقتدي برزانته. وتحادثنا عن تاريخ الديانة اليهودية. ووقفت متضائلاً أمامه لأنني تخصصت في مادة واحدة، ومعلوماتي العامة محدودة أمام هذا الإنسان، الذي سمعت منه في حديث سريع عابر حقائق كثيرة، كانت تتردّد في أذني وكأنها وحي يوحى، وإن كان يطلقها وكأنها مسائل بديهية، تتدفق من بين شفتيه بسهولة ويسر، مع أنها أفكار عميقة تستحق التأمل.

وثَقُلَ على أنه يريد أن يواصل الحديث مع قزم مثلي في معلوماته الدينية، يقف أمامه. ولذلك حرصت على أن أتقرب منه وأن أصادقه كي

---

(١) ستينوجراف ببودابست.

أثري معلوماتي الدينية، طمعًا في أن لقائي المتكرر به سيفيدني جدًا. وعند زيارتي الثانية له لم أشعر بأنه يقربني إليه كثيرًا، ولكنني كنت دائمًا معجبًا بعبقريته النادرة. وتبينتُ للوهلة الأولى أنني منذ أن عرفت الشيخ "فرويدنبرج **Freudenberg**"، لم أتعرف بإنسان مثله، حصَّل كل هذه الحقائق والمعلومات التي أكسبته شخصية مسيطرة، وجعلته رجلا معتدلاً، ذا قدرات متجانسة، شريفًا واثقًا بنفسه، متزنًا في أفكاره وحديثه وأفعاله./ ولما اتضح له شناعة شئون الصحافة اليهودية الرسمية وكرهها، حمَّلني فني فِسي عبء هذا العمل، وكأنه كان ميراثا له، فقمت بإدارة تحرير مجلة إسرائيليتا كوزلوني ***Izraelita Közlöny*** ثلاثة أشهر متتالية. وكان الوقت قد حان للإعداد للمؤتمر، وينبغي أن أكتسب الخبرة الكافية التي تمكنني من إصدار الصحيفة اليهودية الرسمية يوميًا، ولكن رحلتي إلى برلين تسببت في ابتعادي عن إتمام هذا العمل، بعد أن كنت زميلا مجتهدًا مشاركًا في إصدار الجريدة؛ إذ إنني اعتدت أن أحقق ما أصبو إليه، وأن أتم ما يُعهد إليَّ به.

٤٣

لم أوفق في محاولة مراسلة كلاين مان من برلين، ولكنني فرحت عندما علمت منه أنه شبع من الخبرات البغيضة التي مرَّ بها أثناء عمله مدرسًا للدين، وأنه أدار ظهره للوظيفة الدينية ليرحل إلى الخارج لحصوله على منحة أتفوس لدراسة التربية ووسائل التعليم؛ إذ إنه اختير ليصبح أستاذا للتربية. ومن ثمَّ كان علينا أن نجتمع سويًا في مدينة بالخارج، وعند ذلك منَّيتُ نفسي بالكثير. فلما وصلت إلى ليبزج لم أبرح حتى أصبحنا صديقين، وسكنَّا بمنزلين متقاربين، وبذلك تمكنَّا من التريض سويا، وتبادل الحوار ساعات طويلة أسبوعيًا، وقد ساعدتني هذه الحوارات في الاستعداد للامتحان المرتقب. وخلال هذه النزهات شرح لي كلاين مان اقتناعه التام بكثير من

الآراء التي عرَضَها عليَّ، مما أثار اهتمامي العميق بهذه الأمور في الدراسات التي قمت بها فيما بعد. ولهذا كانت هذه النزهات مبعثًا لإثارة اهتمامي بأفكار وموضوعات أستخدمها في أبحاثي المقبلة في مجال الأصول التاريخية للتطور الديني، والميثولوجيا (علم الأساطير) المقارنة نتيجة لما استمعت إليه. ومن محادثته في هذه النزهات توصلت لوضع اللبنات الأولى لدراستي عن تاريخ النصوص الدينية بالكتاب المقدس. ومن كلاين مان أيضًا عرفت لأول مرة أعمال كوينن ***Kuenen***، وجراف ***Graf***، وفاتكي ***Vatke***، وكل النظريات الجديدة في أبحاث الكتاب المقدس وقدرتها. وهو الذي جعلني -دون أن يَحُضَّني صراحةً- أراجع أفكاري وأتراجع عن كثير منها؛ كي أستطيع أن أتجاوب مع عقيدتي ونظرتي إلى الحياة. أما بالنسبة لدراستي المتخصصة، فقد كانت معرفته بها سطحية غير متخصصة، ترجع لدراسته لها في صباه، إلا أنه استطاع أن يدفعني دفعة قوية في هذه الدراسات أيضًا بما يملكه من معلومات دينية واسعة. وإنني مدين له حتى اليوم بالشكر العظيم لما أثاره عندي من وعي بمشكلات علمية، نبّهتني إليها أسئلته التي كان يوجّهها إليَّ، ممّا جعلني أسعى إلى دراسة هذه الموضوعات، حتى أتمكّن من الإجابة عنها، ومعرفة تفاصيلها. وقد كانت أسئلة لها اعتبارها لأنها تتعلق بوجهات نظر رفيعة في عمومها يرتبط بعضها ببعض، وتتطلب إصدار الحكم عليها؛ إذ إنه كان شغوفًا بتعميم الأهداف العلمية الكبرى، وإعادة تكوينها. أما أنا فكنت أفضل التحليل، ودراسة التفاصيل دون أن ينتبه إلى ذلك أو ينبهني إلى أن أحكامه كلية، ليقدمها إليَّ في صيغها الكلية، ويضعها أمام عيني،/ وإنني لأشكر له هذه الصحبة التي نبهتني إلى ألا أغرق [٤٤] في دراسة التفاصيل الصغيرة، وألا أسعى إلى الغوص في كتابة ملحوظات

صغيرة، وإنّي وإن كنت لم أكتب من قبل عن كل ما أفدته كله من تعاليم كلاين مان، إلا أنني ما زلت أشكر له ذلك كله، وأعترف بأنني لولاه ما استطعت أن أفيد من أستاذية الأستاذ فلايشر **Fleischer** في حياتي العلمية كلها، وما كنت أتمكن مطلقا من الوصول إلى تشكيل معارفي وأفكاري. وكان ينبغي أن يشعر كم أنا مدين له بالشكر لمساعدتي في دراساتي، ولأنه سمح لي بأن أصادقه. وقد أفدت مما تعلمته منه أيضًا أثناء امتحان الدكتوراه.

ففي نهاية شهر ديسمبر عام ١٨٦٩ أديت الامتحان الشفوي مع الزميل "باوديسن ***Baudissin***" مرتديًا حلة (بذلة) فراك استعرتها من "رودزلوب ***T. Rudslob***". وكنت قد درّست له مع شتادي ***Stade***، و"روزن ***Rosin***" من كتب "راشي ***Raschi***"، و"إفودي ***Efodi***"، ولهذا استعرت منه الفراك وأديت امتحان الدكتوراه مرتديًا إياه. واجتزت الامتحان بتفوق، وكان امتحاني أمام الأساتذة الثلاثة: "فلايشر ***Fleischer***"، و"بروك هاوس ***Brockhaus***"، و"دروبش ***Drobisch***"، وكلهم أشاد بقدراتي، واستحسن إجاباتي عما سألني عنه. وقد صرح دروبش لفلايشر – فيما نقله إليّ الأخير– بحرارة أنه لم يمر به طالب يؤدي أمامه امتحان الفلسفة– باعتبارها مادة فرعية– يستطيع الإجابة عن أسئلته الفلسفية مثلي. وكانت أسئلته لي عن الأخلاق عند أرسطو ***Aristoteles*** وعن حكمة كانت ***Kant*** العملية، والأخلاق عند شوبنهاور ***Schopenhauer*** فأعجبته إجاباتي. وقد ساعدني على ذلك استعدادي لامتحان الفلسفة بطريقة هربرت***Herbart***. وبذلك حصلت في مطلع عام ١٨٧٠ على لقب دكتور، وأضيف أنني لم أشعر بمثل هذه الفرحة عند زواجي (في أسبوع العسل ***Flitterwochen***)، وكان سرور صاحبة المنزل أكثر من فرحي، ورحبت به.

أقام لي الأستاذ "فيرست (١٨٠٥-١٨٧٣) *J. Fürst*"[1] حفل عشاء بمناسبة حصولي على الدكتوراه، وقدمت زوجته فيه "تورتة"، وضعت عليها لافتة باسمي، فكانت لفتةً جميلة. وألقى ليفيوس فيرست *Livius Fürst* - وهو الطبيب الشاعر، وكان من الحاضرين - ختام "كارمن"على شرفي:

استخرج ذهبًا، واجتذب حليًا مزركشًا

فليحيا تانخوم جيروشالمي

وبهذا ذكر عنوان رسالتي للدكتوراه في نهاية القصيدة، ثم ألقى الأستاذ فيرست نفسه كلمة بليغة، ودعانا لكي نشرب نخبًا على صحة الدكتور الشاب الذي اجتمعت له حكمة العالم.

لم يكن للقب الجديد أي أثر في مسار دراستي، فقد واصلت دراستي المزدوجة (في الجامعة، وفي المنزل)، ولم أفقد حماسي، فاكتسبت معارف عظيمة في دراساتي العلمية، ورجعت إلى كل الدوريات الألمانية والفرنسية والإنجليزية، وقرأتها بعناية، وتعرفت على المخطوطات الموجودة بجامعة ليبزج، وتعرفت على كل ما قام به الجيل السابق في التعامل مع هذه المخطوطات. ولما كنت مقيدًا بإرشادات فلايشر واتجاهاته،/ فقد أوليت [٤٥] الدراسات اللغوية عناية خاصة؛ كما اهتممت أكثر من ذلك بالتاريخ اللغوي باعتباره العنصر النحو المهم للتذوّق اللغوي، وقلبت نظري بطريقة كلية في النصوص الدينية، وأفدت مما توفره المحاضرات التي كانت تلقى بصورة متميزة بالمنصات الدينية بليبزج. وفي هذه الأثناء استمتعت بصداقتي "لفرانز

---

(١) فيرست: أستاذ تاريخ ومكتبات ومعجمي. حصل على الأستاذية عام ١٨٦٤ بجامعة ليبزج.

ديليتش (١٨١٣م-١٨٩٠م) Franz Delitzsch"[١] الذي وجّه إليّ الدعوة لكي أزوره في غرفة دراسته، وشجعني على ذلك، حيث تدارسنا ساعات طويلة التلمود والفلسفة اليهودية التي كان يحاضر عنها طوال إقامتي بمدينة ليبزج. وكان يدعوني دائمًا بقوله "يا صديقي المحبوب"، وكنت وما زلت أعجب بهذا الرجل المبجل حلو المعاشرة، وبعلمه وصدقه وإخلاصه، وبصوفيته الآسيوية، ومعاملته إياي بود. وعلى الرغم من ذلك كله كان فيه ما يستدعي الابتعاد عنه، وكأنه مريض بمرض معدٍ. لم أتمكن في شبابي أن أحتمل تأهيل المبشرين المتعصبين ومنهم أرثوذكس ويهود أذلاء، ولم أناهض العلماء ذوي الشعر الأشيب، فقد اندفع لهيب من أتون الكراهية في اتجاهي بسبب تقدمي للحصول على شهادة الهابيل **Habilitation**. إذ رغمًا عني أرسلتُ إلى الجامعة التماسًا في نهاية الفصل الدراسي للتقدم لهذه الشهادة، ولكن بلغني أن ثمة نية سيئة لدى بعض أعضاء المجلس الجامعي تقف حجر عثرة في سبيل مستقبلي، لأنني كنت أول مدرس يهودي في هذه الكلية، وكان هذا هو السبب في معارضته أكلة لحوم اليهود، ومعارضة من اعتبرني تلميذًا "لفامبري **Vámbéry**" المحتال. وكان يمثله آنذاك (رجل يتصف بنفس أوصافه) المدرس "بودنز **Budenz**". إذ اعترض على أن يكون زميلا لغلام. وحمل الاعتراض بشقيه السيد "لندنر **Lindner**"[٢] الذي يعد بوقًا للسيد "هونفالفي **Hunfalvy**". وهو الذي كتب تقريرًا صحفيًا شاملاً عن الموضوع، وبعث به إلى الأكاديمية بموافقة فامبيرى **Vámbéry**. قرأ الشيخ "بالاجي **Ballagi**"

---

(١) عالم بالمذهب الإنجيلي وأستاذ بجامعة روستوك وإيرلانجن وليبزج.

(٢) ليندنر (١٨٢٦-١٨٩٢) *E. Linder* ، أمين مكتبة الأكاديمية العلمية المجرية.

المقال، وسخر من الصحفي الذي كتبه كما سخرتُ منه، وتسبب الطلب الذي قدمتُه كي أحصل على الموافقة للتقدم لنيل دكتوراه الأستاذية في خلق حوار حاد في مدينة بست نابلو *Pest Naplo* بين "بودنز *Budenz*"، وألدار مولنار *Aladár Molnar*[١]، صديق أتفوس *Eötvös* الذي شن هجومًا عنيفًا على المسئولين بالجامعة، بسبب اقتراحهم الأخير، فقررت الكلية عدم البت في موضوع رسالة الأستاذية هذه، حتى أعود من رحلتي الدراسية.

شغلت في صيف ١٨٧٠ بفهرسة الكتب بمكتبة ناجيشين *Nagy'schen* ومخطوطاتها التي جمعها صاحبا مكتبة ليست وفرانك *List und Frank* لبيعها للمتحف البريطاني. وقد قمت بأداء هذا العبث على الرغم من أنني كنت في حاجة للسعي وراء الحصول على البعثة؛ إذ اضطررت له لسوء حال أسرتي، كما اضطررت لإعطاء دروس خصوصية، ومنعني هذا كله من مواصلة دراستي العلمية،/ وإن كانت عملية الفهرسة قد جعلتني اقترب كثيرًا [٤٦] من الأدب المجري والتاريخ. ولم يكن هذا العمل وحده السبب في بقائي بليبزج بعد انتهاء العطلة، فقد منعني اندلاع الحرب الفرنسية التي تسببت في قطع المواصلات من أن أتمكن من العودة إلى وطني إلا بعد موقعة سيدان *Sedan*، فعدت في صحبة "باخر *Bacher*" الذي حصل على شهادة الدكتوراه في نهاية الفصل الدراسي. وكان بحقيبة سفري عند عودتي مخطوطة الكراسة الأولى من كتاب: دراسة تاريخ تعليم اللغات عند العرب[٢]

Beiträge zur Geschichte der Sprachgelehrsamkeit bei den Arabern

---

(١) نائب بالبرلمان المجري، وعضو الأكاديمية المجرية للعلوم.

(2) B. Heller: Bibliographie des Œuvres de Ignace Goldziher, Paris 1927 No.18

وقد أُعدت للطبع مثل الكراسة الثانية في كيريشيجي ***Köröshegy***، وكانا العملين الأولين اللذين نُشرا عام ١٨٧٠ بتقرير جلسة الأكاديمية بفيينا.

تسبب عدم البت في قرار بعثتي للحصول على درجة دكتوراه الأستاذية في قلق أسرتي وبلبلة أفكارهم. فقد كان أبي يشك منذ البداية في أنني على الطريق الصواب للحصول على وظيفة ثابتة بالجامعة، لأنني يهودي الديانة. وكان يرتعد دائمًا، ويغرق في الأوهام التي تتطرق إلى ذهنه، فيتصور أن هذا الماجن فامبيري قد يعمد ببساطة إلى إلقائي بحوض التعميد (أي التعميد المسيحي)، أو أن الأساتذة الصامتين سيشترطون أن أكفر بيهوديتي. وصرَّح لي أبي بهمومه وظنونه وخوفه، على الرغم من رغبة الوزير ووعده بأن يزيل جميع العقبات، وكانت ظنونه تزداد حدة أثناء النهار.

كانت منحتي للبعثة ستستمر على أسوأ الفروض، وكنت سأحصل مؤكدًا على ١٢٠٠ فلورين ***Florin*** كل عام، ولكن أسرتي التي تبالغ في تقدير إمكاناتي كانت ترى أنني أستحق أكثر من هذا، حتى لا أضطر إلى المعيشة في ضنك وفاقة طول العام، أتكفف الناس. كما كانوا يشككون دائمًا في حقيقة الوصول إلى منصة التدريس كما وعدني أتفوس.

وقد وجدت أن ظنون الناس الذين كانوا يتمنون لي الخير حقًا، لم تكن مبنية على أي سبب حقيقي. وكنت قد اكتسبت من خلال مخالطتي للناس قناعة بأنَّ أتفوس مثل صخرة ثمينة خرجت من بحر اللؤم والخبث. كان فنارة في البحر ومرصدًا عاليًا، وواحة بالصحراء التي يسكنها برابرة، يعيشون على الفطرة. وبهذه الفكرة التي كونتها عنه، وبسبب قلقي، كنت

أرجو أن أختفي خلف صخرة. وكنت أعتقد أنه من الممكن أن أغامر بأن أفتح قلبي لأتفوس رجل الخير والبر، وهكذا فعلت.

وفي سبتمبر التزمت – أن أعود إلى الوطن. وفي أكتوبر بدا لي – البقاء فى ليبزج لسماع محاضرات فلايشر فصلا دراسيا آخر ولحضور حفل التوديع.

ومرة أخرى استمتعتُ بكلمات الترحيب في حفل التوديع الذي أقيم لي، وسعدتُ بالاستقبال الودود، وكلمات الترحيب والمديح التي أرضتني كثيرًا، وبخاصة عند التعبير عن عودتي إلى الجامعة، وطموحاتي./ وقيل لي: "إن لم تقبلك الكلية، سأعينك"، وكنت من الشجاعة والجرأة بحيث لاحظت أن مثل هذا القول عند الحديث عن المستقبل عامة سيضع الكلية في موقف حرج، وفضلاً عن ذلك فإنني وعائلتي سنعاني الحسرة ما لم أنطلق خلف التوهّم بأنه من الممكن أن يسمح بتعيين يهودي أستاذًا بالجامعة. [٤٧]

وكان عليَّ باعتباري عائل أسرتي أن أذكر دائمًا أنني يجب أن أصل إلى مركز متواضع يمكنني من أن أفي باحتياجات أهلي الضرورية.

ولم يَدَعْني الوزير أكمل حديثي، فقد كان يستمع إليَّ، وأنا واقف، واتكأ بساقيه ساقيه على كرسي أمامه. فأسرع – وكأن حيَّة لدغته، وأغلظ لي القول بكلمات مريرة، كما لو كنا نجهل أننا نعيش في دولة حرة يجب أن يعامل فيها كل المواطنين معاملة واحدة، ولمواطنيها كلهم الحقوق نفسها دون تفضيل لأحد على غيره. وليس كما كنا نحن اليهود نعامل بكل عنف، مثلما كان اليهود يعاملون في العصور الوسطى، أو أننا نعتقد ذلك، وما إذا كنت أعتقد أنه يعتزم أن يلقي بأموال الدولة من النافذة لأي شخص – إهدارًا لها – بدلاً من أن ينفقها لتأمين مستقبل الدراسات العلمية بالمجر. واستطرد يقول

في رقة، وقد سكن غضبه، دون أن يسترسل في أفكاره وتخيلاته، بأنه سيعنى بمصيري، وأن مطامحي العلمية ستجد المكافأة، وقال: "كن مطمئنًا، وقل لأبويك إنهما يستطيعان بحكم القانون أن يأملا في المستقبل".

وبهذا أمكنني أن أحييه مودعًا، بعد أن وجدتُ فيه الرجل الطيب الشريف الذي عرفته في المرة السابقة. وبذلك لم يصله تقريري عن شهر فبراير، وكنت أرسلته وعنونته باسمه المبارك.

أمضيتُ فصلاً دراسيًا أخيرًا بمدينة لِيبزج، واشتغلتُ بهمة ونشاط كالمعتاد. وجمعت مواد أبحاثي من كل مكان، وكتبتُ أيضًا عدة مقالات نشرت في السنتين التاليتين. وفي هذا العام عملت مساعدًا في مجلة المستشرقين الألمان *DMG* فبدأت بها نشاطي، وشاركت في إصدار أربعة وعشرين عددًا.

وضممت إلى دراساتي دراسة المصريات حين انتقل إليها ايبرز *Ebers*[1] من مدينة يينا *Jena*، أستاذًا بليبزج، ولم أرد أن أترك هذه الفرصة دون أن أفيد من هذا الرجل العالم، الذي تلقاني مُرَحبًا في تودد، وأرهق نفسه كثيرًا كي يعلمني شيئًا عن المصريات. ولم يذهب تعبه سدى؛ إذ إنني تعلمت الهيروغليفية سريعًا، وسعدت بالتغلب على صعوبات الطباعة الهيراطيقية القديمة، واتساع آفاق معرفتي بتاريخ الحضارات، وتمكنت بذلك من أن أحوز صداقة إيبرز. ولما سمع بابا[2] فلايشر بذلك أطلق عليَّ لقب "عزيز مصر"/ وهو لقب فرعون مصر زمن يوسف كما وصفه القرآن [الكريم]. ولم يكن الشيخ يميل إلى الشطط والاهتمام بالغرائب[3] *Allotriis*، إذ إنه يفضل أن

٤٨

(١) إيبرز (١٨٣٧-١٨٩٨) *G. M. Ebers* عالم مصريات وأستاذ بليبزج.

(٢) "بابا" لفظ مجري بمعنى "الوالد" مثل اللهجة المصرية.

(٣) كلمة يونانية تعني "عبث".

ينصرف المرء كلية للغة الرئيسة للإسلام "*Die Hauptsprache des Islam*„ كما كان يطلق على اللغة العربية.

صُدمت صدمة عنيفة عندما سمعت خبر وفاة أتفوس في فبراير ١٨٧١، وعشت أيامًا مهمومًا محزونًا. وحاول كلاين مان ***Kleinmann*** – الذي صدمه الخبر مثلي– أن يبث فينا(هو وأنا) شيئًا من التفاؤل، ولكن وفاته بينت أنني كنت على حق في تشاؤمي. ولم يخرجني من هذه الحالة إلا كتاب مليء بالعلم والفكر، خفف حزني، وألهاني عنه. فقد عرفت في هذا الوقت "كتاب المُزْهِر"، وانقطعتُ لدراسته نهارًا وليلاً، فملك عليَّ حواسي، رحم الله السيوطي. وبذلك أصبحت نسخة المزهر كتابًا جديرًا بالذكر بين كتبي، فهو يُذَكِّرني بالآلام الروحية التي خرجتُ منها بالاستغراق في دراسته.

كان من المقرر –بعد وفاة أتفوس – أن أغادر ألمانيا، وأسافر إلى هولندا لأتصل بمدرسة ليدن ***Leiden*** العلمية مباشرة، كي أفيد منها، وأنقب عن كنوزها. ووجدت أن من الأفضل – وأنا في هذه الحال – أن أفرج عن نفسي بالسفر. وبعد أن ودعت الأحباء؛ فلايشر ***Fleischer*** وأصدقائي وزملائي سافرت من ليبزج في رحلة طويلة، مررت فيها على برلين حيث احتفلتُ مع أهلها بأمسية السيدر ***Sederabende*** التي يُقيمونها سنويًا في الربيع، ومررت بكثير من المدن الألمانية، إلى أن وصلت إلى أمستردام ***Amsterdam*** في العاشر من إبريل. وكنت قد درست الهولندية على زميلي بالمدرسة "سبيرو ***Spiro***"[١] وهو الآن أستاذ بالجامعة التونسية، وهو رجل دين يهودي من أصل هولندي.

---

(١) سبيرو (١٨٤٩-١٩١٤) ***J.Spiro*** مستعرب، أستاذ بجامعة لوزان.

ولم يمر عليَّ بأمستردام ثمانية أيام حتى تأقلمت بها تمامًا، وتعرفت على "لاند Land"[1]، و"دينر Dünner"[2]، و"كرافت Kraft"[3] وغيرهم. وكنت أتطلع شوقًا إلى ليدن بسبب خطابات التوصية التي حمّلني إياها فلايشر إلى كل من "دي خويه De Goeje"[4]، و"دوزي Dozy "[5]، وخطاب توصية من "إيبرز Ebers" إلى "بلايتي Pleyte"[6]. وقد استقبلني علماء ليدن بترحاب ودود ودافئ، وإن كنت لم أستطع الاقتراب من حلقات اجتماع دوزي؛ إذ منعني من ذلك – بطبيعة الحال- أسلوب حياتي وتمسكي الشديد بالطقوس الدينية. فقد دعاني بعد أيام من وصولي إلى ليدن لتناول الغذاء معه، فاعتذرت لأن طعامه نجس *to'êbhâ*. ولم يكن من السهل عليه أن يتقبل هذه السُبَّة بحكمة وبساطة./ وإن نظر الآخرون إلى الأمر نظرة متسامحة. وقد زرت دي خويه [٤٩] كثيرًا، وكان يستقبلني بود وترحاب.

كان للأشهر القليلة التي قضيتها في ليدن الفضل الكبير في اتساع أفق دراساتي؛ إذ لم يكن قد مرَّ على حصولي على درجة الدكتوراه إلا سنة واحدة فقط، ولم أكن مسجلا بالجامعة، ولكنني حضرت محاضرات كثيرة – باعتباري مستمعًا–، وبخاصة المحاضرات الدينية، فاستمعت إلى "كوينن

---

(١) لاند *J.P.N.Land* أستاذ لغة سريانية.

(٢) دينر (١٨٣٣-١٩١١) *Dünner* رئيس الأحبار بأمستردام.

(٣) كرافت *Kraft* غير معروف.

(٤) دي خويه (١٨٣٦-١٩٠٩) *M. J. de Goeje* مستعرب في جامعة ليدن.

(٥) دوزي (١٨٢٠-١٨٨٢) *W. R. Dozy* مستعرب وأستاذ تاريخ بجامعة ليدن.

(٦) بلايتي (١٨٣٦-١٩٠٣) *Pleyte* هولندي، أستاذ مصريات.

Kuenen"[١] و"شولتن *Scholten*"[٢]، وإلى عالم فقه اللغة "كوب *Cobet*"[٣]، واتسعت بذلك دائرة معرفتي بالدراسات الدينية، وكنت أتمنى أن أتعرف على المدرسة الدينية الهولندية كلها، وإن كان تعمقي في هذه الدراسات يشكل خطرًا شديدًا على تخصصي لأنه فرع من الدراسات البعيدة عنه. وكنت أتسلل مع "بلايتي *Pleyte*" إلى غرفة التوابيت المصرية بمتحف *Rijksmuseums van Oudheden*، وفضلا عن ذلك كنت متهمًا بالغرائب *Allotriis*، قضيت معظم أوقاتي مع المخطوطات والمطبوعات بالمكتبة، وواصلت دراساتي عن تاريخ علم اللغة. وبذلت جهدي في الاطلاع على كل المخطوطات الموجودة بالمكتبة. وفي ليدن تعرفت على ابن حزم الذي ما زال يعاني حصار دوبرت *Dupert* بباريس، وعن طريقه عرفت أدب الجدال الذي ساعدتني المراجع الموجودة في ليدن على معرفته كاملا. وحفزني حبي للسيوطي على قراءة كل ما وجدتُ من كتبه بمكتبة ليدن، وقابلتُها بكل المخطوطات المنقولة عنها، وما وُجد منها مقتبسًا بالكتب الأدبية المماثلة، ونسخت كتاب فقه اللغة وفقًا لما كلفني به فلايشر، كل ما يتصل بمخطوطة ليدن، كما نسخت كتاب ابن السكيت كله وبعض الكتب الأخرى التي طبعت بالشرق مثل كتاب الهمذاني وغيره، ووضعت في حقيبتي كل النسخ العربية للكتاب المقدس. وقرأتُ كل ما وجدتُ من مطبوعات بولاق ونسختها. وبهذا جمعتُ في ستة أشهر معظم ما أُطلق عليه فيما بعد "قراءات جولدتسيهر المثيرة للدهشة والإعجاب".

---

(١) كوينن (١٨٢٨-١٨٩١) *A. Kuenen* عالم ديني انجيلي، وأستاذ دراسات دينية بجامعة ليدن.

(٢) شولتن (١٨١١-١٨٨٥) أحد المصلحين الدينيين، أستاذ بجامعة ليدن١٨٤٥.

(٣) كوبت (١٨١٣-١٨٨٩) أستاذ لغات كلاسيكية وفقهها بجامعة ليدن.

كنت أواصل القراءة عادة إلى الساعة الثالثة صباحًا؛ إذ كنت أجلس إلى مكتبي دون أن يشغلني أي شيء عن القراءة، وإنما كنت أواصل القراءة ليلا ونهارًا، وانشغل بالمخطوطات والتوابيت ***Sarkophagen***. ولم أكن أتوقف عن ذلك إلا لكي أستمع إلى المحاضرات هنا وهناك، وللقيام بنزهات يوم الأحد إلى لاهاى ***Haag*** أو شيفننجن ***Scheveningen*** مرة بعد أخرى، حتى أصبحت - كما لاحظت زوجة الأستاذ دي خويه- شاحب الوجه كالجثة. وقد ساعدني الأستاذ دي خويه خبير المكتبات في تنظيم دراساتي المستقبلة والتخطيط لها، فتمكنت بذلك من الإفادة من كل الكتب والمدونات التي أطلبها للقراءة بحجرتي. وكان دي خويه يحمل إليَّ أحيانًا مجموعة من المخطوطات والكتب كي أقرأها بالحجرة. ثم أنضمُّ إلى تلميذيه "ريترهاوزن ***Ritterhausen***" (وكان قد عُزِلَ من منصبه مستشارًا للإرسالية بإسطنبول)، وهوتسما ***Houtsma*** الذي ذاع صيته بعد ذلك (وهو أستاذ بجامعة أوترخت ***Utrecht***). وألقيت آنذاك دروسًا من تفسير البيضاوي / وهو ما سبق أن ألقيته أثناء [٥٠] محاضرات فلايشر فى خشوع، عندما كانت المحاضرات تعقد بليبزج، وقد داومت على ذلك فترة طويلة.

خصصت دراساتي في ليدن وحددتها في مجالات الدراسات الإسلامية الواسعة، وجعلتها مركزًا لأعمالي العلمية. وتعد ليدن عندي مدرسة للفروع الدينية ولتاريخ الديانة الإسلامية، وقد تعاملت معها بمفهوم تحليل النصوص كما ينبغي. وعلمتني صحبة علماء ليدن الالتزام بالتقاليد الفلسفية الهولندية في نقد الوثائق الدينية، التي تختلف في دلالتها عن تلك الطريقة المعتادة لقراءة هذه النصوص التي يمكن عن طريقها تصديق النص تارة والتحيز ضده تارة أخرى... وقد تأثرت تأثرًا شديدًا بهذه الطريقة الهولندية، واتخذتها أساسًا

للطريقة العلمية التي أتبعتها بعد ذلك. وقد تلقى الهولنديون ما طرحته عليهم من أعمالي عن الدراسات الإسلامية بتقدير. كما عبر دوزي *Dozy*– فيما أخبرني به دي خويه *De Goeje*– في أخريات حياته عن أنه استحسنها كثيرًا. كنت أتطلع في دراساتي بليدن إلى أن أتمكن من إدراك أسس الإسلام بوضوح تام، وأن أتعرف مذاهبه والتطور التاريخي للإسلام من أقدم المصادر. وبينت لي الكتابات الجدلية –بما فيها من خلاف أساسي فيما بينها– حقيقة الإسلام. وهناك بدأت دراسة الحديث [النبوي] بعد أن فرغت من قراءة البخاري كله بيقظة ووعي. وبدأت بالتدقيق في ملاحظة ما يتصل به من مواد في كتابات أخرى. ومن ثمَّ يمكن أن يتضح مدى إفادتي من بقائي نصف سنة بهولندا، فقد أثرت فيَّ هذه الشهور، مثلما أثرت فترة وجودي في ليبزج بعد زيارتي لبرلين. وسررت بذلك، ورضيت عما أحرزته بالخطوة الناجحة في إثبات وجودي، وبما أضفته من مواد جديدة إلى تخصصي؛ وقويت بها شخصيتي العلمية.

ولما عدتُ إلى وطني علمت أن منحتي الدراسية للحصول على درجة دكتوراه الأستاذية في طريقها الصحيح، وظننت أن الأساتذة الذين عارضوا حصولي على المنحة نكاية في الرجل الذي كان يطالب لي بها، قد أقلعوا عن ذلك بعد وفاته. ودعيت لإلقاء محاضرة تجريبية، فألقيتها في سبتمبر عن"تطور التاريخ الأدبي عند العرب ***"Über die Entwicklung der historischen Literatur bei den Arabern"***

ونُشرت بعد ذلك في العام نفسه بجريدة ***Ballagi's Protestáns Szemle***

ولا زلت حتى الآن، بعد ما يقارب العشرين عامًا على إلقائي هذه المحاضرة– أتذكر شعوري حين وطئت قدمي قاعة انتظار أتفوس دون أن

أصاب بأي توتر أو جيشان عاطفي. وقدمت نفسي إلى خَلَفِهِ السيد "باولر *T. Pauler*"(١) الذي أخبرني بأن منحتي ستستمر لكي أتمكن من إجراء أبحاث بمكتبة فيينا، قالها ببرود دون أن تصدر عنه كلمة تشجيع أو تحفيز. وتركت المكتب- الذي طالما زرتُه مبتهجًا مسرورًا مرفوع الرأس - بنفس هادئة./

[٥١] كم كانت الكلمات التي يودعني بها أتفوس تسعدني. وكيف انقلب هذا كله إلى بكلمات شديدة البرودة خرجت من فم باولر!! لقد سحقت قلبي.

وفي أكتوبر رحلتُ إلى فيينا، وكأني مكسور الجناح، معتزمًا الاجتهاد في الإفادة من مخطوطات البلاط الملكي. وكانت إدارة المكتبة بميدان جوزف، وهناك قابلت عقبات جسيمة، وعلى الرغم من ذلك استطعت أن أتغلب عليها. وفي سنة ١٨٧١ حصلت على مرسوم الدكتوراه، وكان "زاخاو *Sachau*"(٢) آنذاك أستاذًا للدراسات الشرقية بالجامعة. ولكني لم أتمكن على الرغم من محاولاتي ولقاءاتي العديدة معه من توطيد علاقتي بهذا الأستاذ المغرور. وعندما قدمت له نسخة من كتاب البيروني أعطاني - رغم رفضي الشديد- بضع عملات فضية (أو نحاسية). فإنه لم يرد أن يكون مدينًا لي بشيء؛ كان ميللر *D. H. Müller*(٣) آنذاك طالبا لدى زخاو. وكان يعلن تقديره لي باعتباري رجلا يؤدي عمله مستقلا. ما أشد التناقض ؟ كيف يتطور العالم كله ويتعاظم، وأصبح أنا بالنسبة لهم قزمًا، على حين ينتقلون هم بطموحهم من نجاح إلى نجاح، بينما أتقلب أنا في أحوال متدنية، أحاول في الحضيض أن أتأقلم معها.

---

(١) باولر (١٨١٦-١٨٨٦) وزير الثقافة، ثم أصبح وزيرًا للعدل.

(٢) زاخاو (١٨٤٥-١٩٣٠) *E.Sachau* مستعرب، وأستاذ بفيينا ثم بجامعة برلين.

(٣) ميللر (١٨٤٦ - ١٩١٢) مستشرق، أستاذ لغات سامية بفيينا.

وحينما كنت في فيينا تقدم زميل الطفولة الرائع جليك ***Glück*** لخطبة أختي، وكان مهندسًا بإحدى شركات البناء، فسعدتُ بهذا الأمر سعادة أخرجتني من البؤس الذي أعيش فيه. وفي ٢٥ من فبراير سنة ١٨٧٢ تزوجا. وانتهت في هذا اليوم أيضًا فترة إقامتي بفيينا، التي خرجت منها بعد أن تزايدت مجموعة الكتب التي أحملها معي وكثرت الأدوات التي أتنقل بها، ليس بأعداد تستحق الذكر، وإنما تستحق الإشادة بقيمتها.

ولم ألقَ في الشهور الأولى من عودتي إلى بست ***Pest*** ما يستحق الذكر؛ إذ باشرت عملا أصابني بالملل حينما قمت به؛ إذ كلفني الكُتبي بتريك ***Petrik*** بتنقيح كتاب قواعد اللغة العربية الذي ألفه بالاجي ***Ballagi*** (نشر في بودابست ١٨٧٢) الذي كتبتُ مقدمته يوم عيد ميلاد أختي.

وبدأت محاضراتي بالجامعة بعد عيد القيامة. ولم يسجل لسماع هذه المحاضرات إلا عدد قليل من الطلاب، ولم يستمع إليها إلا عدد قليل منهم؛ إذ إن الحياة العلمية في بست كانت متواضعة آنذاك، بعد أن كانت الحياة الثقافية نشيطة جدا في السنوات الأربع الماضية. أما الحياة الاجتماعية، فلم يكن لدي أي دقيقة تسمح لي بالمشاركة فيها. كانت تتميز بتجمعات ينفصل بعضها عن بعض، وتسيدتها الدوائر التي تديرها مجموعة من المحدثين الذين سيطروا على الاقتصاد، وعاشوا في جهالة مطبقة، وغالبًا ما كانوا ينعمون بالجهل الفاضح دون دراية بأي ثقافة أوربية يمكن أن يحياها شعب طموح نشيط / وكانوا يعتقدون أن كبار السن شيوخ حمقى مأفونون. وكان الرجل الوحيد [٥٢]

القوي حقيقة في هذه الجمعية يدعى كارمان *Kármán*، وكان رئيسهم الأكبر يدعى "جوستاف هاينريش *G. Heinrich*"[1]. وهو رجل فارغ العقل، جاهل، ولكنه محتال، قادر على الخيانة والغدر. وهو من مقاطعة شفاب *Schwab* وقد ترأس الجماعة مع للويد *Lloyd* البستي (من مدينة بست) الذي كان يساعده في تدريس فروع الأدب. واستطاع أن يرهب الأساتذة أعضاء هيئة التدريس بالتحكم في الرأي العام بما ينشره بالصحيفة الشهرية التي أسسها بعنوان *Magyar Tanügy* التي يعمل بها أعضاء من شباب عصابته التي كونها؛ ومن ثمَّ خُرِّبت كل الدوائر عداها.

لم يكن لهاينريش نفسه أي قدرات يمكن أن يظهرها، وإن كان يبدو وكأنه صاحب نفوذ، اختط لنفسه طريقًا يؤثر به في الرجال ذوي النفوذ في الحياة العلمية الذين يمدون أيديهم جادين لتحسين المستوى الفكري الضحل ومنهم سينجري[2]، وسرعان ما استجاب الوزير ومستشاروه. وبعد فترة قصيرة من سيطرة "باول *Paul*"، تولى في مطلع عام ١٨٧٢ السيد "تريفورت *Trefort*"[3] منصب وزير التعليم الذي كان يشغله أتفوس *Eötvös*. وكان رجلا مضطربًا أو مبلبل الخاطر شبه أوربي، كتب مقالات في صحيفة *Revue-artikeln* فاعتقد أنه أصلح الحياة الثقافية بالمجر، ولكنه كان دَعِيًا وقحًا بخيلا. وانتشر في مدارس المجر – بتشجيعه وبسبب كذبه وتهوره – شخصيات من عصابة هاينريش وإن

---

(١) هاينريش (١٨٤٥-١٩٢٢) *G. Heinrich* أستاذ فقه لغة ألمانية بجامعة بودابست.

(٢) سينجري (١٨٢٢-١٨٨٠) مثقف سياسي *A.Csengery*.

(٣) تريفورت (١٨١٧-١٨٨٨) وزير ثقافة.

كانت تضم أيضًا شبابًا جادين مثل "روبرت فريلش *Robert Fröhlich*"[1] ولم يكن هذا الشاب الجاد هو المسيطر تمامًا، وإنما كان يُعد المعارض للتيار القائم، والطامع في أن يرثه. وفضلا عن ذلك وجدتُ عصابة أخرى مثل العصابة الأولى يطلق عليها البلسزكية نسبة إلى فيليب بولسزكي الأب *Pulszky*[2]، وكان ابنه أوجست *A. Pulszky*[3] يدعى البلسزكي الصغير، وكانا قادرين على ممارسة قوة طاغية لفرض حمايتهما على الناس. وكان الأمر يجري وفقًا لهوى العائلة، إما تبجيلا أو تحقيرًا. وكان الحصول على حظوة هذه العائلة مطمعًا لكل الشباب الذين يريدون أن يكون لهم مستقبل. وكانت الأستاذية بالجامعة مقصورة على أتباع البولسزكيين.

وفي عام ١٨٧١ ابتكر أساتذة جامعة كلاوزن بورجر *Klausenburger Uni.* كرسي أساتذية ليحتفظوا من خلاله بسيادة نفوذ العائلة، بل إن بوليكسينا *Polyxena* الفتاة التي كانت في الخامسة عشرة من عمرها كان من حقها أن تحمي أيضًا العلماء الشبان، وكانت تشارك الأسرة في اتخاذ القرارات، وتقديم تسهيلات مميزة لأتباعها. ولكن أخلاقي كانت تمنعني من الانتماء إلى أيٍّ من هاتين العصابتين، على الرغم من أن علاقتي بكارمان *Kármán* كانت تقربني كثيرًا من الشباب؛ إذ كنت أعمل معهم بصحيفة *Tanügy*، وإن كان هذا لا يحتم عليَّ أن استخدم منظار/ هاينريش صاحب الجريدة.

٥٣

اقتربت كذلك من عائلة بولسزكي *Pulszky*، حيث اعتاد الأب أن يقيم أمسيات في أيام السبت من فصلي الشتاء والربيع، يحضرها جميع الزملاء الذين يشتغلون في الحقل الثقافي، وكذلك العلماء الشبان الذين ينضمون إليهم.

---

(١) فريلش (١٨٤٤-١٨٩٤) *Fröhlich* أثري، إخصائي مكتبات بمكتبة أكاديمية العلوم المجرية.

(٢) بولسزكي الأب (١٨١٤-١٨٩٧) *F. Pulszky* أثري وسياسي.

(٣) بولسزكي الابن (١٨٤٦-١٩٠١) *A. Pulszky* عالم اجتماع وفيلسوف قانون.

وقد انضممت إليهم بعد عودتي من الخارج. ولقيت حظوة لدى بولسزكي الأب ولدي ابنه أيضًا. وتعرفت على تريفورت *Trefort* في إحدى الأمسيات، وفهمت على التوالي التكوين السياسي المجري وحياتهم الأدبية، ودرست طريقة تمسّح الشبان والمسنين بالأب بولسزكي لتتصلح أحوالهم المادية بمنحة أو بأخرى. وكان هذا ما يحدث للبعض منهم. وحدث هذا أيضًا ليوليوس كينج *Julius König*[١] الذي فتحت أمامه كل الأبواب بحكم صداقته الحميمة لأوجست بولسزكي. وكنت أعمل مرتاحًا وسط هذه المجموعة، وإن لم أجد الوسيلة التي تمكنني من الحصول على أية منحة من سادة العصر. فظلوا على برودهم نحوي، وإن كانوا يمتدحونني في كل مكان ويثنون عليّ. ولم أقف في أي موضعٍ يمكنني من أن أكون ضمن الجماعة التي تحرك الطاقة المجرية؛ إذ إنني كنت أشعر بقوتي لصلتي السابقة بالسيد "جنر *Gönner*" الذي أصبح نسيبه الآن وزيرًا[٢]، وكان من المفترض أن يحصل على هذا الإرث كاملا بعد وفاة حميه، وأن يكون مثله، إلا أنه اكتفى بأن يتولى إدارة كنز أكاذيبه.

في هذه الفترة عكفت على كتابة عدة مقالات:

- تاريخ التبحُّر فى علم اللغة ٢-٣.

Geschichte der Sprachgelehramkeit 2-3

- دراسات لغوية من الأدب الصوفي / مجلة المستشرقين الألمان، ع٢٦.

(١) كينج (١٨٤٩ - ١٩١٣) عالم رياضيات.

(٢) هو تريفورت *Trefort*.

Linguistisches aus der Lit. der Mystik ZDMG, 26

- عمر المغربي / مجلة المستشرقين الألمان، ع٢٨.

Omar al-Magribi ZDMG, 28.

- السيوطي (أكاديمية فيينا ١٨٧١) *Sujûti, Akademie, Wien 1871*

وسلسلة من المقالات المجرية، وموضوعات بالصحافة اليومية، كما جمعت موادًا للدراسات التي أزمع القيام بها. ولا يفوتني أن أذكر ما يستحق الذكر هنا، وهو أنني بطلب من المسئول الأول توروك *Török* قمت بتدريس الجزء الأول من "دراسات في الإصلاح الديني"، ووفقت بين هذه المحاضرات، ومحاضراتي طوال فصلين دراسيين بالجامعة. ولم يعتبرني الرئيس الأول المسئول عن الإصلاح الديني خطرًا على صغار دارسي اللاهوت، كما أخبرني فيما بعد المحامي دكتور سيمون *Dr. Simon*[١] وأعلن ذلك للعالم أجمع. وكانت هذه الأعمال هي التي وجب عليَّ أن أهملها، وشغلت عنها أثناء رحلتي بالشرق عام ١٨٧٣، مما جعلني أعيش في هدوء نفسي مع ما أطمح إليه من تحقيق الإصلاح الديني بالمجر؛ إذ كنت أرى أن هذا المذهب السائد في المجر؛ يهمل الأسس الأصلية التي بني عليها تاريخ العالم، وهي الدراسات التوراتية والإنجيلية فبدراسات العهد الجديد وعلمه ينبغي أن يقفوا أيضًا على المستوى الديني في مراحله البدائية. وعلى كلٍّ فإنَّ هذا يدل على المستوى الفكري المخجل الذي يسود في هذه المرحلة الجديدة التي تعد ردة ضد الازدهار العلمي الذي انتعش بالقرنين السادس عشر والسابع عشر.

---

(١) د. سيمون (١٨٤٤-١٩١٥) *Dr. J. Simon* سكرتير المكاتب البلدية الإسرائيلية في المجر.

ليس بالمجر أيّ نصوص بروتستانتية تستحق الإشادة بها، سواء أكانت [٥٤] نتيجة لممارسات علمية أم نسخة مطبوعة لما وصل إليه العلم خارج المجر. والموجـــود بالمجـــر لا يختلف عمـــا يسمّى بالمذهب الكاثوليكي إلا في أنه لا يؤمن بالنظام المحافظ على المبادئ الأولى لهذا المذهب.

رأيت أحد المصلحين الدينيين أثناء إقامتي للاستشفاء في لوسيفنا ***Lucsivna***، وكان لا يعرف حروف الهجاء اليونانية التي تقدم لمن يعرفها الكثير. فكيف يمكن لهؤلاء إجراء أي دراسة عن العهد الجديد؟ وفضلا عن ذلك فقد قَدَّم من يدعى "إيجناس هلفي ***Ignaz Helfy***"[(١)] وهو أحد أعضاء البرلمان المنتمين لحزب الأحرار أيام وزارة باولر ***Pauler*** العديد من النصائح لتأسيس أكاديمية للاستشراق مستقلة بالمجر. وتسلمت فور رجوعي من فيينا دعوة من باولر ***Pauler*** لكتابة تقرير عن إنشاء معهد لرعاية اللغات الشرقية، فانتهزت الفرصة لتقديم دراسة عن حالة هذه الدراسات وتاريخ تطورها في جميع الدول الأوربية، وعبرت عن رأيي الخاص عن تنظيم الأكاديمية، ومسار الدراسة فيها بالمجر بصورة مسهبة، ولكن باولر ترك منصبه وانتقل إلى منصب آخر، وخلفه على الوزارة تريفورت ***Trefort*** الطيب.

وفي خريف ١٨٧٣ بدا لي أن وزير الثقافة الجديد تمسك بهذه المشروع، وعمل على تأسيس أكاديمية إلى جوار الجامعة للدراسات الشرقية. وكان فامبيري ***Vámbéry***- على الأقل- هو الذي يحلم بإنشاء هذه الأكاديمية، طمعًا في المنزل الإداري المخصص لمديرها، والمكافآت المالية الإضافية

---

(١) هيلفي (١٨٣٠-١٨٩٧) ***I. Helfy*** سياسي.

المخصصة لهذه الوظيفة، وخاطب تريفورت مرارًا متسائلا عنها. وكان الأمر حلمًا وحقيقة؛ إذ إن جزءًا من حقيقة إنشاء الأكاديمية المبالغ فيها أصبح ممكن الحدوث، فسرعان ما استدعيت لمقابلة تريفورت فأخبرني بأنني من المحتمل أن أحصل على بعثة للسفر إلى سوريا ومصر لتعلم اللهجة بالبلدين، وأن أتعلم لغة الدواوين بالقنصليتين المجريتين.

وفي شهر يونيو حصلت أيضًا على موافقة لسفري، مع تعديل مكافأة بعثتي في الرحلة لتصبح ألف فلورين لمصاريف الرحلة بالإضافة إلى ألف ومائتين فلورين كانت مخصصة مكافأة للتدريس بالجامعة بصفة مؤقتة من منح الدولة. وعندما كنت بصالة انتظار الزائرين لقبول هذه البعثة، كان يتقدمني أستاذ الدين هاتالا *Hatala*(١) الذي ترك الصالة عندما دخلتها. ومن ثمَّ يمكن التكهن بالمناسبة التي تسببت في حضورنا./ [٥٥] وفي الصيف أصبت بمرض شديد، فانتابتني حالات من ارتفاع الحرارة تسببت في جعل سفري إلى الشرق موضع تساؤل مؤقتًا، ولكنني لحسن الحظ شفيت من مرضي بعد بضعة أسابيع، واستطعت قضاء ثمانية أيام في صحبة فامبيري حيث زرنا المعرض الدولى بفيينا، وكانت زيارة الجناح المصري به أول تجربة للتعرف عمليًا على الشرق؛ إذ وجدت نفسي مباشرة وسط محيط شرقي مع شرقيين، وكان الحديث معهم سهلا للغاية. وبعد زيارة المعرض رجعت إلى المنزل.

وفي شهر أغسطس ودَّعت والديَّ الحبيبين، وودعت جدتي وأختي ونسيبي، لأسارع بالسفر إلى جانب آخر من العالم.

---

(١) هاتالا (١٨٣٢-١٩١٨) *P. Hatala* أستاذ فقه اللغات السامية بجامعة بودابست.

- عام ١٨٧٣ - ١٨٧٤:

هذه السنة تستحق أن أقدم عنها كتابًا خاصًا من حياتي. إنها سنتي الشرقية، سنتي الإسلامية. وعلى الرغم مما عانيته في حياتي بعدها من شقاء، وما عشته بين رؤسائي بالجالية اليهودية من مراحل البؤس التي كانت تصيبني بالاكتئاب، فإنني لم أنسَ مطلقًا ما حظيتُ به في هذه السنة من تبجيل، وما نعمت به من سعادة مبهرة.

وقد كتبتُ عن ذلك بكتاب يومياتي الخاص تفصيلا، وإن كنت أضيف هذا الرسم التخطيطي بهذه الأوراق التي أدونها خصيصًا لأبنائي لأبين لهم في خطوط عريضة كل اللحظات التي كان لها تأثير في حياتي الشخصية، ولن أكون قادرًا على التغاضي عن الأحداث قليلة الأهمية التي تخللت هذه الفترة وعكرت عليَّ صفو هذا الماضي المليء بالأحداث السارة، وإن كنت سأمر عليها دون تعليق.

رحلتُ إلى الشرق الأوسط في عبَّارة تابعة لشركة ملاحة الدوناو ***Dampfboot der Donaudampfschiffahrtsgesellschaft*** في صحبة "جوستاف هاينريش ***Gustav Heinrich***"، و"لاديسلاوس أراني ***Ladislaus Arany***[1]" قاصدين إسطنبول. وكانت الرحلة عبر نهر الدوناو التي استمرت يومين رحلة رائعة ممتعة، ولما وَصلْت روستشوك ***Rustschuk***، استبقتنا السلطات التركية مدة أسبوعين بالحجر الصحي. كان عليَّ أن أُكفِّر عنها بإسطنبول أيضًا ثم أمْضينا الليلة التالية في جورجيْفو ***Giurgievo***، ولكن اضطررنا لعدم

---

(١) لاديسلاوس أراني (١٨٤٤م-١٨٩٨م) ***Arany, Ladislaus*** ابن الشاعر والمترجم ***Janos***

خبرة الموظفين الرومانيين إلى العودة إلى روستشوك، ومنها ركبنا القطار للسفر إلى فارنا *Varna*، ولكن القطار تعطل فترة، بسبب حادثة في طريق شوملا *Schumla*. ومن فارنا عبرنا البحر الأسود إلى إسطنبول، وقضينا على الضفة الآسيوية أسبوعين بالحجر الصحي في شبه جزيرة كواك *Kawak* / ٥٦ مع حجاج أتراك، كما أمضيت يوم عيد الغفران *Jom Kippur* بإسطنبول. إنني لم أتأثر برؤيتي محطة سكة حديد القسطنطينية المكتظة بالأوربيين ولكنني أعجبت كثيرًا بعاصمة الخلفاء وبالمساجد والأسواق. وأمضيت بالمدينة ثمانية أيام مستمتعًا بصداقة مواطني دانيل سيلاجي *Daniel Szilágyi* الذي أراني كل ما يستحق أن يُرَى بالمدينة. ثم رحلت إلى بيروت، وفي الطريق توقفت في سميرنا *Smyrna*، والدردنيل *Dardanella*، وقبرص *Cypern*، وحتى وصلنا إلى بيروت حيث قابلت فان دايك *Van Dyke* وأعطيته خطاب توصية من الأستاذ فلايشر *Fleischer*. واستمتعت بجولات رائعة مع علماء الجالية الأمريكية في سوريا، الذين انبهروا بطلاقة حديثي باللغة العربية كما قابلت بطرس البستاني. وقد اكتشفت بمجرد وصولي إلى بيروت أنني أستطيع أن أتحدث بالعربية بطلاقة، مما جعل جماعة من المثقفين يرحبون بي...

وقد أعجبت بالموارنة، وبالشاعر الصحفي خفيف الروح خليل الخوري الذي تغنى في ديوانه بسيدة إنجليزية من الطبقة الأرستقراطية (*Lady*) بأسلوب امرئ القيس، وتولى تحرير صحيفة رسمية ساذجة باسم "حديقة الأخبار" التي يملكها حاكم المدينة.

. وقمت مع الإرسالية الفرنسية برحلة ممتعة إلى مدينة الخلفاء القديمة (دمشق) مارّين بالغوطة، وكثيرًا ما وُصفت هذه المدينة، ومن ثمَّ لن أقدم لها وصفًا...

كان في انتظاري بدمشق مواطني دكتور "شفارتز *Dr. Schwarz*" الذي تعرفت عليه في بيروت. وهو طبيب يخدم في الجيش التركي، وقد أصبح فيما بعد طبيب روتشيفيلد بالقدس. وقد توسط لي في الحصول على مسكن بمنطقة اليونانيين من أصول سويسرية. وبمجرد وصولي إلى عاصمة الخلفاء الأمويين بدأت في تحقيق الهدف الذي جئت من أجله، ومع أنني أُرسِلتُ رسميًا كي أصبح آلة كلامية وفقا لنموذج فامبيري *Vámbéry*[1]، فإنني لم أقتنع بأن هذا الهدف كافٍ وحده، ولا يصح أن أركز عليه جهودي فحسب، ومن ثمَّ عاهدت نفسي على أن أحقق أهدافًا أعلى من ذلك، وهي الأهداف نفسها التي التزم بها وحققها "سنوك *Snouck*" بعد اثنتي عشرة سنة فيما بعد بمكة، فألزمت نفسي بأن أتعايش مع الإسلام وعلومه، وأن أصبح عضوًا في جماعة العلماء المسلمين، وأن أدرس أصوله / التي أرست قواعد الإسلام [٥٧] العالمية القوية على ما نقلته عن الحضارة اليهوية (نسبة إلى الإله يهوى) التي كانت لدى يهود مكة، وأردت أن أدرس بعد ذلك تأثير هذا النظام على المجتمع المكيّ وأخلاقياته. ولن يتحقق هذا الهدف المزدوج إلا بالاتصال بعلماء هذه الأمة وشعبها بالمساجد والأسواق ودور الملاهي. وابتعدت عن الرياضة المحببة عند معظم العلماء المستشرقين من البحث عن المخطوطات، إذ لم يكن لدي المال الكافي لذلك، ولم أكن أرغب في محاولة اصطياد الأوراق الصفراء، بل في السماع من الناس ومعرفة أفكارهم واتجاهاتهم. وقد تابعني في دراساتي زميلان تعرفت عليهما في رحلتي البحرية من القسطنطينية إلى بيروت. وكان ذلك أفضل بكثير من خطابات التوصية التي

---

(١) أي يتعلم لغة الكلام فقط.

أعطانيها وزير الخارجية المجري لكي أقدمها للقناصل والسفراء في سوريا ومصر. في حين أن حمايةِ الجهات الدبلوماسية كانت تكلفني أموالا دون أن تقدم لي مساعدة تُذكر في دراستي العلمية. وكان أهم منها بالنسبة لي المواقف التي مررت بها وكنت أنتهزها بالخروج منها بفائدة ما، واستغلها لصالحي. فقد إذ تعرفت بالسفينة التي أقلتني إلى بيروت بعزت باشا المحافظ العربي الجديد لمدينة دمشق وعلى الفريق المصاحب له، إذ إنني أثرت انتباههم بمداومتي على قراءة القرآن؛ لأنني عزمت على حفظ كتاب المسلمين المقدس قبل أن أصل إلى عاصمة الخلفاء، كما أنهم دهشوا من نطقي للغة العربية بلكنة مجرية. فدعاني عزت باشا لزيارته فتمتعت طوال الأيام الثمانية بصحبته وصحبة حاشيته التركية. وكانت معرفتي بهؤلاء القوم الذين كانوا أصحاب نفوذ قوي بدمشق ذات فائدة كبيرة؛ إذ كانت سببًا في معرفتي بالشيخ الذهبي الذي قدم من إسطنبول إلى دمشق في تجارة، وكان له دكان في سوق البذورية بدمشق، فاقتربت منه وصادقته. وبذلك أصبحت صديقا للعطار العالم. وكنت أزوره وأجلس معه ساعات بدكانه، وأتعرف على زواره من علماء الشريعة الذين تبينوا معرفتي بالشريعة الإسلامية.

كان الذهبي نفسه من أسرة علمية، وقد كان أخوه خطيبًا بضاحية من ضواحي دمشق أو بالصالحية. ووعدني الذهبي بأن يقدمني لأصدقائه الدمشقيين، ويعرفني بهم. وأن يحقق لي كل ما أطمع فيه من وجودي بدمشق؛ إذ اعتبرني جارًا له عندما أخبرته بأن اسمي أيضًا الذهبي (*Goldziher*)، ومن ثمَّ عُرفت في جميع المجتمعات التي تواجدت فيها بدمشق باسم الذهبي الصغير. وأصبح دكان الشيخ محمد الذهبي بالسوق مقري الرئيس طوال مدة بقائي بدمشق،/ حيث كان [٥٨]

محمد الذهبي يقدمني لزواره بأنني الفقيه الأوربي. وأصبحتُ مشهورًا في دمشق بأنني محب للشريعة الإسلامية، وعالم بالدراسات الدينية، وكل مكان زرته بالمدينة، رحب أهله بي تقديرًا لعلمي. ثم اتخذت لي مقرًا آخر بجوار مكتبة هـاشم الورّاق التي كانت محطًا لأدباء دمشق. وكنت أزورها كل يوم ساعتين أو ثلاث ساعات عصرًا لأتحادث مع علماء الإسلام الذين سمعوا عن علمي، فتعرفتُ عليهم واكتسبت معرفة بنفوذهم بالحي، وأثره على ثقافة الشعب. واطلعتُ أيضًا على العديد من الكتب والمخطوطات بمكتبة هاشم. ووجهت إليه أسئلة وأجاب عنها، كما وجه إليَّ أسئلة وأجبت عنها، كذلك وجهت أسئلة لهؤلاء العلماء، واستمعت إلى إجاباتهم.

ولما جاء شهر رمضان كنت أُدعَى كل يوم للإفطار عند واحد من هؤلاء الذين يجلسون عند هاشم الكتبي، وكنت أصلي معهم صلاة التراويح بقصر الحاكم الذي دُعيت للإفطار به أيضًا عدة مرات.

وجمع عزت باشا حولي عددًا من العلماء والمتصوفة. وكان الحديث الذي يدور أثناء الطعام حديثًا علميًا أشارك فيه. كانت الشوارع تعج بالمارة، فاعتدت أن أتجول فيها، وأحيانًا كنت أواصل التجول حتى الساعة الثانية صباحًا مع جماعة من الأصدقاء والعلماء مثل صالح شاهبندر، وصالح الغزي حيث كنا نرتاد المقاهي نستمع إلى القصاصين والمدائح الصوفية والأذكار.

وفي الصباح اعتدت أن أزور العالم الديني صاحب الفكر الحر مصطفى بـك سباعـي، صاحب النفوذ القوي بسوريا، وكان لا يجهر بأفكاره الحرّة، إذ كان مفتشًا للأماكن المقدسة بمكة والمدينة. وكان يتمتع باحترام كبير في المجتمعات العلمية والثقافية. وقد أباح لي زيارة مكتبته الغنية بالكتب

والمخطوطات، وأمكنني بعد ذلك أن أشير في مؤلفاتي إلى بعض ما قرأته بهذه المكتبة، ونقل نصوص منها. وقد تعرَّفتُ بالمكتبة أيضًا على كثير من الأصدقاء العلماء ومنهم الشيخ الميداني *Al-Mejdânî* الذي قدمني له الشاب المغربي. وفي المكتبة أيضًا اكتشفت كتاب فقه اللغة لأحمد بن فارس، وكتبت عنه للأستاذ فلايشر *Fleischer* المتخصص في فقه اللغات. /

[٥٩] وكان الشاب المغربي وأصدقاؤه والأساتذة بمسجد بيدار مقاربين لي في العمر، ولذلك نشأت بيني وبينهم علاقة صداقة أكثر ممَنْ وَخَطَهم الشيب الذين تمتّعتُ باحترامهم وحبّهم أيضًا، وتناقشتُ مع الأخوين المنيَّر وهما من علماء الشريعة الشبان ساعات عن مسائل شرعية. وشاع ذكر هذه المحادثات في دوائر المدينة العلمية، وقيل عني إن الفقيه الأوربي الشاب يفتي بأن من يضطر أن يقتل في سبيل الدفاع عن نفسه إذا تعرض للقتل، يصبح قاتلا. وكثر الجدال في صحة هذه الفتوى، ومدى مطابقتها لفتاوى أصحاب السنة. وقد تعرفت بأسد الإسلام عبدالقادر، وابنه محمد السيِّدي *al-Sejdi*، وكان ذلك محل دهشة الناس، إذ إن صالح الغزي اصطحبني لزيارة الأمير، وقد بجلني الحاضرون في مجلسه حينما تبينوا أنني متمكن من العلم بالمذهب المالكي. ولقد أسفت لأنني لم أحضر المجلس الأدبي إلا في أخريات زيارتي لدمشق، إذ إن الأمير اعتاد أن يعتكف في رمضان، ولا يستطيع أحد أن يقطع عليه خلوته. وقد وجدتُ فيه رجلا واثقا من قدراته، وكان واحدًا من أهم رجال دمشق، أما ابنه الذي حاول القيام بثورة مع الجزائريين في أثناء الحرب الفرنسية الألمانية فقد تعرفت عليه في إحدى السهرات الرمضانية في جلسة يجتمع فيها مواطنوه الذين يتغطون بالبُرْنُس (الزي المغربي)، ولم

يتحدثوا كثيرًا في الشئون الدينية، وكانت الجلسة في منزل رجل أوربي متوسط الثقافة، وهو رئيس جماعة ماسونية (***Freimaurer***)، وكان في هذه الجلسة يقارن بين المدن الأوربية التي زارها ومدينة دمشق التي يعدها بوابة الجنة. ومنذ اختلاطي بهذه المجتمعات الإسلامية لم أشعر قط بأنني غريب عنها على الرغم من الزي الغريب عنهم الذي أرتديه (***Atilla und Fess***)، وعلى الرغم من أن ديني مغاير للإسلام فإنهم كانوا يعتبرونني واحدًا منهم. ولم يتعرض لي أحد بسوء، سواء من الشيوخ المتطرفين أو من الطبقات الشعبية. وقد عشت في هذه الأسابيع أنعم بهذه الروح الإسلامية التي آمنت بها كلية، فأصبحت مسلمًا بكل جوارحي، ومؤمنًا بأن الإسلام هو الدين الأوحد الذي يمكن بتكوينه وصياغته المذهبية الرسمية أن يرضي المفكرين الفلاسفة. وكان هدفي الأعظم أن أرتفع باليهودية إلى هذه المرتبة المنطقية. فالإسلام كما علمتني تجاربي هو الدين الوحيد الذي ينكر بتعاليمه الأرثوذكسية الأفكار الإلحادية البدائية والفلسفات العقلية./

[٦٠] كنت أتصل بالدوائر المسيحية أحيانًا، فقد عرَّفني القنصل المجري "برتراند ***Bertrand***" (وهو من ساكني البحر المتوسط) برئيس الأساقفة مكاريوس، وهو رجل متعصب، ولكنه مثقف. جاء من دير بلبنان ونُصِّب حبرًا، واعتدت بعد ذلك زيارة بلاط المطران مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا حيث أشاهد العديد من احتفالات الزواج أو توزيع أنصبة المواريث. وكان المطران - وهو رئيس الأساقفة- له نزعة غريبة للتحدث معي بالعربية الفصحى. ولم يصدق أبدًا أنني أريد أن أدرس اللهجة العامية التي لا تستخدم إلا شفاهة في مناطق محدودة (***Patois***)، كما إنه كان يستنكر صحبتي

للمسلمين، وإن كان راضيًا عن مناقشاتي العلمية. وفي قاعة رئيس الأساقفة هذه ازدادت محبتي للإسلام عما كانت عليه عندما كنت بين المسلمين أنفسهم؛ ففوق منصة أمير الكنيسة علقت ثلاث صور للبابا بيوس التاسع ***Pius ix***، والثانية صورة مريم، وكتب تحتها "أم الله ***die Mutter Gottes***"؛ والثالثة صورة المسيح وكتب تحتها"ابن الله" ***Ibn allah*** وعلى الرغم من أن هذه المصطلحات الوثنية معتادة في أوربا فإننى ظللت في أعماقي قلقًا أيامًا طويلة لقراءة هذه الكلمات بلغة سامية. وهذا ما يثير اليهود والمسلمين، ويعترضون على هذا الإلحاد بشدة، ويعلنون سخطهم على هذا التجديف المعلن في العالم أجمع. ألم يكن من الأفضل أن يركع أسلاف هذا الأسقف تحت راية القرآن، وأن يتغلبوا على هذا الإلحاد؟ ومنذ هذا الوقت تبين لي أن الإسلام قد خطا خطوة قوية ضد المسيحية، وازداد الأمر عندي وضوحًا يومًا بعد يوم كلما اقتربت من الأكليركية السورية اليونانية.

ومن بين علماء الدين المسيحيين أخص بالذكر أبونا موسى الماروني الذي اعتدت أن أزوره آنذاك عند بوابة توما ***Thomas-Thor*** "بالحيّ اليهودي. وهو رجل ذو علم وافر بالشريعة الإسلامية. وقد وجدتُ نفسي ممتنًا له لتبصرتي وتعميق فهمي للاختلافات العقائدية الإسلامية. وقد قرأت كتاب "ميزان الشعراني" لأول مرة في حياتي في نسخة "أبونا موسى".

ولم يفتني – في مقابل ذلك– أن أستقبل في منزلي كثيرًا من أصدقائي الشبان المسلمين الذين كانوا يحضرون إليَّ كل يوم تقريبًا بعد الساعة السادسة (أي في منتصف النهار بتوقيتنا) وبعد وقت القيلولة (***Siesta***) بعدما أدخن النارجيلة كي نذهب إلى هاشم. واعتاد السباعي كبير المنافقين أن

يحضر إليَّ لتناول الطعام عندي أثناء النهار في رمضان خلف أبواب مغلقة، كما اعتاد القنصل أن يزورني أيضًا.

وكان مما عمل على علو مكانتي بمنزل "راوش *Rauch*" قيام رئيس الأساقفة والشمامسة بزيارتي، ولأنني تريضت مرة مع مكاريوس *Makkarius* راكبين الخيل إلى نهر جوبار *Gobar* لزيارة كهف إلياس *Eliasgrotte*. وقد اجتاح الشوارع هياج ملحوظ عندما شاهدوا الذهبي الصغير يركب إلى جوار كبير الأساقفة ويتبعهما شمامسة راكبين أيضًا.

واعتدت كذلك أن أزور الحى اليهودي. وكان "برتراند *Bertrand*" قد عرفني عقب مجيئي إلى دمشق بصديقه المفضل فرخي *Farchi* / الذي قرأت [٦١] في كتابه بيت المدراش *Beth hammidrasch* قصة عربية عن الجاليات اليهودية بسوريا، حكاها لي من قبل فيتزشتاين *Wetzstein*.

وقد دعاني فرخي لزيارته في منزله، ورحب بي، وكان القنصل قد فرض عليه ذلك. ولكنه لم يطلعني على ما ورد في الكتاب من أنه عند حدوث مذبحة لجماعة من اليهود ينبغي أن يكون ثمة ضحية للسلب والنهب، ولكنني قرأت ذلك في مخطوطة للتوراة مزينة، وقد وصفتها في صحيفة برلينية عام ١٨٧٤.

وقد عوملت في الحي اليهودي بارتياب عظيم، إذ إن الناس يشكون في أنني مبشر، رغم أنني بينت لفرخي عند قراءة بيت المدراش بأنني يهودي، كما بينتُ للحاخام معرفتي الجيدة بالتلمود الذي كانوا مشغولين بقراءته عند حضوري، ولكن معرفتي بالتلمود أكدت لهم أنني مبشر من أصل يهودي.

وقد شاركتهم الصلاة عدة مرات، وعندما كنت أدعى لتناول الطعام عند فرخي-إرضاءً للقنصل فقط- كنت أرتل بصوت مرتفع صلاة المائدة. ولكن هذا كله دون فائدة؛ إذ إنهم رأوني في صحبة رئيس الأساقفة، وأنني أصادقه، ومن ثَمَّ لم يعتبروني إلا مبشرًا. كان لديهم كل الأسباب التي تجعلهم يتهمونني بذلك ويعاملونني بكل نفور وكراهية.

هل أبشر بهذه الديانة الشنيعة التي تتفنن في ابتكار حمامات الدم البغيضة، وتجتهد في إعداد مناضد التعذيب؟؟ هل يراد أن يُغرَى بها من يعترفون بوحدانية الإله يهوى؟ وفي بلاد إسلامية!! إنها لوقاحة لا يقدر عليها إلا المسيحية، أبشع الديانات. وإنها لجرأة وقحة أن يكون هذا هو الهدف [من التبشير] الذي يُكَوِّن شخصيتها التاريخية. إن وقاحة المسيحية لا يماثلها إلا وقاحة امرأة عاهرة.

ما أتعس اليهود الدمشقيين! اكرهوا هؤلاء المنحطين البشعين إذا اشتدت وطأتهم عليكم قدر استطاعتكم؟! فإنهم كانوا يغطون جدران الحيّ اليهودي وجدران المعبد اليهودي بملصقات يهودية أيام الجمع اليهودية المقدسة التي عشناها منذ فترة وجيزة لينفروا الذين يؤمنون بيهوى وبالتوحيد ويحضونهم على ترك اليهودية، والاعتراف بالديانة المسيحية المكروهة البغيضة اللاأخلاقية. ويجب أن يصبر اليهود المساكين على هذه الملصقات المكتوبة باللغة العبرية، وويل لهم إذا قاموا بتمزيق هذه الأوراق الحمقاء البذيئة ولتحقيق هذا كان الدبلوماسيون الأوربيون كافة يضغطون على السلطان كي يصبر على هذا الانتهاك الأثيم في بلده. ومن ثَمَّ كنت أغفر ليهود دمشق رفضهم لي، لأنهم كانوا يرتابون في أنني مبشر بالمسيحية، وإن كنت رغم ذلك أحظى بعلاقات حميمة في حواري اليهود.

يجب أن يكون عنوان هذا الفصل "حَيَّا ***Hajja***"

في خان أسعد باشا-أعظم أسواق دمشق- اعتدت أن أعرّج على تاجر عربي يدعى خليل لأتناول قدحًا من القهوة. / وكان عنده فتى يهودي يدعى [٦٢] "ليفي ***Lewi***" يقوم بالأعمال الحسابية، وكان أجره في اليوم فرنكًا واحدًا، ولما تجرأ مطالبًا برفع أجره ليصبح فرنكًا ونصف فرنك استغنى عنه صاحب المتجر وطرده من خدمته. فتوسل إليَّ هذا الفتي اليهودي - البالغ من العمر خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة، ويعول بأجره أبوين فقيرين - أن أتدخل لأحميه من قرار الطرد، لأنه رأى أن سيده يظهر لي المودة. فتدخلت للتوصية به عند خليل، مستخدمًا كل ما يمكن أن أستشهد به من آيات القرآن والحديث، وبارك الرب في مسعاي، فأعيد ليفي إلى عمله بالأجر الذي كان يطمع فيه بخان أسعد. وتمكنت من إسعاد عائلة، واستجبت لدعوة ليفي التي وجهها لي ودموعه على خديه لاستضافتي بمنزله. وذهبت إلى منزله المتواضع النظيف، واندمجت في مشهد مثير، إذ رحب والداه وإخوته وأخواته ترحيبًا ممتزجًا بدموع ودودة، وكأنني فارس أو منقذ للأسرة. فملأني الاطمئنان لأنني قدّمت خدمة لهذه الأسرة المكافحة التي يبدو عليها أنها عزيز قوم جار عليه الزمن. وجرت أمامي أحاديث أفراد العائلة سالت معها دموعهم، وكثر شكرهم لي، إلا أن حيًّا ***Hajja*** أخت ليفي الذي شملته بحمايتي، كانت على عكس أخيها متماسكة وقورة شكرتني هي أيضًا، وقبلت يديَّ. ثم ابتعدت عني في غمرة المودة التي اجتاحت والديها وأخواتها، وعادت تقدم لي القهوة بأسلوب راقٍ. وسألتني إن كان لي أخت في وطني، وما اسمها. ولما أبلغتها بأن لي أختًا تسمى "ميريام ديبوره ***Mirjam Deborah***"،

بدأت في ترتيل مطالع أغنية ميريام وديبوره باللغة العبرية، وقالت إن هذين الاسمين هما أجمل الأسماء اليهودية. وقد سميت بهما شاعرتان ونبيتان وأميرتان، ولا يوجد الآن إلا أميرة يهودية فقط بهذا الاسم، ولعلها ماتت.

واعترف بأنني ما كنت مستعدًا لزيارة هذه الأسرة مرة أخرى، لولا حيًّا البنت اليهودية الرقيقة التي سألتني عن أختي، والتي أثارت اهتمامي بها. وقد دارت بيننا بعد ذلك أحاديث طويلة فوجدتها فتاة كثيرة التأمّل عميقة الإحساس. تعرفت منها على أحوال اليهود في دمشق، ولاحظت أنها على معرفة واسعة بالأحوال الدينية والاجتماعية تفوق ما أتوقع من فتاة يهودية بسوريا. وقد وجدتها تقرأ لشعراء عرب أيضًا، وإن كانوا جميعًا هم المذكورون بالكتب البيروتية فقط، ومن ثمَّ قمت بتعريفها بالشعراء البدو الأصليين./ وسرعان ما تطور تعارفنا ليصبح صداقة حميمة، إذ بدا لي أنها [٦٣] جديرة بصداقة أوربي ظنت هي نفسها أنها لا تستحق صداقته. وبعد رحيلي عن دمشق سمعت أنها تزوجت تاجرًا صغيرًا يعمل بالإسكندرية، حيث توفيت نتيجة ولادة عسرة.

رحم الرب هذه الفتاة اليهودية الدمشقية الحلوة الشجاعة

وثمة حدث آخر تعرضت له بدمشق يهمني أن أذكره، إذ إنني كنت أتناول الغداء مع مجموعة من الأطباء الأوربيين، وتاجرين سويسريين بمنزل راوش ***Rauch***. وفي أحد الأيام أحضر إلينا السيد هومل ***Hummel*** – وهو أحد الزملاء الذين يتناولون معنا الغداء– عالمًا سوريًا قادمًا من إيطاليا تحمل بطاقته اسم كارلو لندبرج ***Carlo Landberg***، مسئولاً عن بعثة علمية أي إنه أوربي زميل في التخصص. وبدأ يتحدث معنا بعلمانية عالية، ولكنه سرعان

ما هدأت نبرته عندما تحدث معي، ولاحظ أنني أفوقه في العلم قليلا، فتواضع وأصبح أسلوبه مقبولا بصورة عامة، بل التمس مني أن أعطيه درسًا خاصًا، فتعاليت عليه، وقبلت أن أعطيه دروسًا أولية في المواد العربية دون أجر "ببلاش"، وكنت أصطحبه أحيانًا حينما أقوم بزيارات عربية. وكان يتابع حديثي بانبهار عندما يتبين كيف أتحدث باقتدار مع العرب بلغتهم. واعترف لي أن حلم حياته أن يتمكن من أن يصل في حياته إلى ما وصلت إليه. ولم يستمر كثيرًا بدمشق إذ إنه أصيب بمرض اضطره إلى مغادرة دمشق ذات الجو الخريفي، وينتقل إلى بيروت.

وكان هذا أول لقاء مع الجراف "لندبرج ***Graf Landberg***" الذي عبَّر لي بعد ثمانية عشر عامًا عن امتنانه لمساعدتي له في معرفة فروع اللغة العربية عدة ساعات بدمشق.

يالَوَادي بردى.. كيف أنساه، وكيف أنسى – بعد ثمانية عشر عامًا– الساعات المبهجة التي قضيتها مع أصدقاء رائعين، وتجولنا في ربوعه وحدائقه الخضراء، ويمكن للمرء أن يطالع كتبًا فيها وصف لربوع لا مثيل لها بدمشق القديمة. ويا للعجب!! تأمل كيف استمتع جولدتسيهر فاقد الإحساس بعيون مفتوحة بكل هذه الربوع بفكر متوقد مع أصدقاء عرب أعجبوا برؤيته سعيدًا!!

تمتعت بالتنزه مع أصدقائي المسلمين. وتحدثنا عن مسائل في العقيدة والشريعة الإسلامية، والشعر، والنحو؛ متعمقين في تناولها بإسهاب، ذلك لأنها من المسائل التي أشبعتها دراسة منذ نشأتي.. كانت الأماكن السياحية الجديرة بالمشاهدة تجذبني إليها دائمًا، فكنت أنتهز الفرصة للتجول بها،

فرحبت بدعوة قائد فصيلة حربية بدمشق لزيارة حماة بصحبة دكتور شفارتز *Dr.Schwarz* وزيارة بعلبك. وقد كتبت بعد عودتي مقالتين أصف فيهما هذه الزيارة / وأرسلتهما إلى مجلة *P. Napló*. وبعد عودتي إلى دمشق قررت زيارة بيت المقدس مع دكتور "ليدر *Dr.Lederer*". وهو طبيب عسكري من باجا وشرق الأردن. وقد دبر لنا الباشا الحماية لهذه الرحلة العسكرية. ولكن الخطة لم تتم؛ إذ إن ليدرر مرض مرضًا خطيرًا، وذهب ضحية تيفوس كان منتشرًا في هذا الوقت بدمشق. وكنت بجوار فراشه عند وفاته. وقمنا بمباحثات مضنية مع الحبر لنضمن له مدفنًا يليق به.

[٦٤]

وقد خفت من انتقال عدوى التيفوس إليَّ، فقررت فجأة الرحيل عن دمشق الرائعة. ورافقني الأصدقاء حتى بوابة المدينة الجنوبية، وودعوني بالدموع، فلم أحتمل هذا، وتأثرت كثيرًا. وما كنت أظن أنني سأنعم بمثل هذه الأيام الجميلة أبدًا.

عزمت على السفر إلى بيت المقدس، واستأجرتُ جوادًا هزيلاً سحبني في الطرق البرية إلى حيفا حيث زرت جبل الكرمل وأرض إلياس *Eliasorte*. ولما كانت الذكريات الإسلامية الجميلة ما زالت بخاطري، فقد أثارت حياة الأديرة السرمدية التي لم تتغيّر منذ نشأتها مع كل ما أمكن إضافته إليها من مواقع ذُكرت بالعهد الجديد اشمئزازي، وكذا تقديس القبور في صفد وطبرية، وما يحيط بها من عشش اليهود القذرة وقبورهم المتهدّمة. كانت الرحلة بين البلدان غير مريحة بسبب كثرة الجداول التي تفيض منها المياه. وفي الطريق انضم إليَّ طبيب أمريكي يدعى دكتور "شيرفي *Dr. Sherffy*" من بروكلين. وهو رجل مضحك كُتِبَ عليَّ أن أصاحبه رفيق سفر حتى وصلنا إلى القاهرة.

وكان مفتونًا بكل ما نمرُّ به من أماكن مقدسة. وقد عذبني كثيرًا برجوعه إليَّ كي أوضّح له كل ما نمر به من أماكن مقدسة قرأت عنها بالعهد القديم أو الجديد.

وفي حيفا اعتزمنا مواصلة السفر بحرًا، وركبنا أول باخرة تستعد للإبحار وكانت باخرة روسية، نقلتنا في بحر عاصف إلى يافا. وتركنا الباخرة ونحن في حالة يُرثى لها بسبب ارتطام أمواج البحر بها، الذي كان يزداد كلما اقتربت من اليابسة، واستطعنا أن نطأ الأرض بعد صراع مع الأمواج استمر ثلاثة أرباع الساعة. وكنت قد حصلت على توصية من بيروت لتاجر ماروني غني في يافا يُدعى بشارة سيفر ***Bschâra Sephîr*** أمضينا في ضيافته يومين قضيتها في التجول في المنطقة المحيطة بالمنزل، وكان بها مستوطنة زراعية يهودية تُدعى بتاح تِقوى ***Petach Tika***(١) وقبل رحيلنا إلى بيت المقدس بساعات استطعنا أن نزور حدائق البرتقال الشهيرة التي يمتلكها مضيفنا، وبها ألف شجرة برتقال يبلغ بعضها حجم البطيخ الصغير بلا مبالغة.

ثم طلبنا الخيل وامتطيناها في اليوم نفسه/ متجهين إلى الرملة، حيث استضافنا دير الفرنسيسكان. [٦٥]

وفي اليوم الأول من ديسمبر رحلتُ إلى بيت المقدس وسكنت في اليوم التالي بسوق كنيسة القبر المقدس وشاهدت الاحتفال الرسمي بالعيد الخامس والعشرين لصاحب الجلالة واصطحبني القنصل جراف كابوجا ***Graf Caboga***

---

(١) أي "بوابة الأمل" (عوني).

لحضور القدّاس السنوي لكنيسة القبر، ووقفت أمام قبر مَنْ يُعتَقد أنه أراد أن يخلّص العالم من الشرور ولكن اسمه ارتبط بمذهب كراهية الجنس البشري ***Odium generis humani***، ورأيت في اليوم نفسه في حماية القنصل ميدان الحرم والمساجد.

وقمت في الأيام التالية برحلات إلى أريحا، والبحر الميت، والخليل، وعبرت نهر الأردن لزيارة مناطق الموآبيين مع المرشد شابيراس ***M.W. Schapiras*** حيث شاهدنا الحفائر هناك. واستغرقت الرحلة عشرة أيام، مرت بنا أحداث لا يمكن أن أنساها. وإن كنت أعُدُّ زيارتي لبيت المقدس من أبغض الأحداث التي مرت بي في حياتي، وأقساها على نفسي؛ إذ إن المرء يفتقد فيها كل المثل، عندما يتمعّن فيما يدور بها من ممارسات دينية. وقد غمرتني الفرحة عندما ابتعدت عن حائط المبكى منتقلا إلى الجبال العالية المحيطة بالوادي، التي تُعدُّ مخرجًا للمدينة المقدّسة.

وفي الرملة أتيح لي أن أستريح في أحد الفنادق حيث شربت بيرة فيرتمبرجر ***Würtemberger Bier*** وتعرفت على أحد الرهبان المنتمين للمذهب اللوثري، وكان يُعنى بفكرة شفاء الأرواح باعتباره من رهبان المعبد بمنطقة شفابنج، وتمكنت من أن أكمل له ما لم يكن يعرفه عن الأغاني الكنسية البيروتية.

وفي يافا أمكننا أن نستقل الباخرة التابعة لشركة لويد ***Lloyddampfer*** التي وصلت في الموعد المحدد إلى بورسعيد، ومنها ركبنا القطار إلى القاهرة.

القاهرة

اعتزمت أن أقضي فترة وجودي بالقاهرة بالطريقة نفسها التي اتبعتها في دمشق؛ إذ إنني قدرت أن الإقامة في عاصمة المماليك ينبغي أن تكون استمرارا لما تمتعت به من متع ذهنية في عاصمة الأمويين، ولكن الأيام الأولى التي قضيتها بمصر كانت مختلفة اختلافًا قويًا عما ظننته.

وصلت إلى القاهرة بالقطار، ونقلني ترام يسير بالغاز، ساطع الأنوار إلى فندق أوربي في مواجهة الأوبرا التي اكتست بثوب الحضارة الأوربية بمن يحضر إليها من مغنيات أوربيات، وراقصات باليه. كانت قاهرة الخديو إسماعيل. وبهذا كانت الانطباعات الأولى ضربة قاضية لكل ما تاقت إليه نفسي لرؤية بلد ذات طبيعة إسلامية صافية (لم يكدرها أي شائبة أوربية). ومن ثم اعتقدت أن عليّ أن أنفذ إلى أعماقها الإسلامية./

[٦٦] كنت قد تعرفت في دمشق على تاجر تحف يوناني كان قادما من مصر، وهو السيد بنايوتي تانو *Panajothi Tano*. وقد وعدني –آنذاك– أن يأخذ بيدي ليريني القاهرة حين أزورها. فبحثت عنه، ووجدته في محله بشارع الأزبكية. ولما فشلنا في تجوالنا بالمدينة بحثا عن مكان أسكنه، فعرض عليّ أن أسكن معه في غرفة بمنزله، فانتقلت معه إلى حي اليونانيين، وهو جزء بائس من المدينة، يتجمع فيه حثالة القوم من كل نوع. وسكنت غرفة لا أستطيع أن أصفها جيدًا لقذارتها ولكونها غير مريحة، وفي المساء كان البعوض ينهشني. ولم أقضِ بها إلا أسبوعا واحدًا، وسمعت أنه حدث تحت نافذتي جرائم قتل. وقيل لي أن أحد القتلة قاتل محترف، وكان

مالطيًا، أراني إياه صاحب منزلي، يقف أمام عربة يد فوقها حبات برتقال ذهبية اللون يعرضها على المارة.

وفي هذا الوقت قدمت نفسي إلى القنصل ساكس ***Sax*** الذي عاب عليَّ أن أقوم بزيارته رسميًا مرتديًا طربوشًا. قدمت له خطاب الاعتماد، ولكنني لا أستطيع أن أدعي أنني أفدت منه أي فائدة، ولكني أفدت من مترجم القنصلية، وهو رجل سوري ظريف، مسئول عن المراسلات العربية والتركية للقنصلية. وكان يمكِّنني من الاطلاع على السجلات الرسمية عندما أرغب في ذلك، وتسجيل بعض البيانات. وبهذا تمكنت من تأدية الواجبات التي أسندت إليّ. وقد تعلمت القيام بذلك في اليوم الثالث بعد المجيء إلى القاهرة.

وبدأت زيارتي للكتبخانه (دار الكتب الخديوية) في هذه الأيام الأولى، ووضعت نظامًا لزيارتي للدار وفقًا لدراساتي. وجعلت أزروها ما دمتُ بالقاهرة من الساعة الثامنة إلى العاشرة صباحًا. ووجدتها معهدًا لا نظير له للوفاء باحتياجاتي الدراسية، فأثْرتْ معارفي بموضوعات دراساتي بسخاء. وكان أمين المكتبة آنذاك السيد شترن ***Stren*** المتخصص في الدراسات المصرية القديمة (***Ägyptologe***) وهو تلميذ المستشرق بروجش ***Brugsch***، والمستشرق بروتيجي إيبرس ***Protègè Ebers***، ولكنه كان مستعربًا متوسط المستوى في الدراسات الإسلامية، فضلا عن جهله في أمور كثيرة، وغلظته وجفائه (إذ كان قليل المجاملة). وعلى العكس من ذلك كان المساعدون المسلمون بشوشين مرحبين. وقد صاحبت أحدهم، ويدعى حسنين أفندي واتخذته معلمًا لي، فكنت أقضي معه ساعات طوالا كي أتعلم اللهجة العامية، وخرجت معه أتجول في شوارع القاهرة وحاراتها، فتعلمت العامية القاهرية

واستمعت إلى أغاني الشباب. وكتبت عن ذلك مقالا نشرته بمجلة المستشرقين الألمان ***ZDMG***. واستطعت بعد أن تعرفت على أحد المواطنين ويدعى متى ***Matta*** أن أتخلص من مشكلة البحث عن مسكن، إذ خصص لي حجرتين واسعتين مريحتين بمنزله الخاص، فأصبح لي مسكن؛ في حي محترم يمكنني أن أقوم فيه بدراساتي، مما جعلني أشعر بالرغبة في الاندماج مع الشعب المسلم بالقاهرة أيضًا.

كنت أزور أسواق الكتب، وأقيم صداقات مع الأهالي بها، واشتريت منها كتبًا لنفسي ولأصدقائي بأوربا وللأكاديمية كذلك، ولكن هذه الأسواق لم تكـن مثل أسواق الكتب بدمشق التي كنت أرتاح في تعاملي مع التجار بها، إذ إن كل فرد بالقاهرة يحب أن يتكسب، ومن ثمَّ فلا توجد صداقة خالصة / إذ إنهم في هذه الأسواق تأثروا كثيرا بطباع الأوربيين الجشعين المرابين. ٦٧

وقد تمكنت في لقاءاتي اليومية عصرًا مع حسنين أفندي -المواطن المصري- من التعرف على علماء العالم الإسلامي وأشرافه. ففي دار الكتب الخديوية تعرفت على كثير من العلماء ورجال الدين الذين انتفعت كثيرًا بالاتصال بهم، وقد زرت منهم شخصيتين لهما مكانتهما في المجتمع الإسلامي. وهما السيد صالح بك مجدي وكيل وزارة المعارف سابقًا، ويعد واحدًا من المجتمع الإسلامي المثقف، الذي يرفض أن تكون الحياة الثقافية والوطنية المصرية من الأمور التي تحتاج إلى إصلاح غربي، وإنما كان أبناء هذا المجتمع يتطلعون إلى إعادة التفكير في بناء العلاقات الوطنية العربية الإسلامية على أسس وطيدة، والتخلص من محاولة التأثر بالتقاليد والعادات الأوربية البغيضة، ويبدو أن الجماعة المنتمية إلى هذا التيار بدأت منذ زمن فى

التخفيف من تأثير الإصلاح الأوربي الخدّاع، الذي لا يمكن أن يكون مؤثرًا إلا إذا اقتنع الشعب بأهميته، وأن يتقبلوا هذه الحضارة الغربية المستوردة.

وقد اضطر صالح مجدي يوما أن يخلي مكتبه بوزارة المعارف للسويسري دور بك *Dor bey* الذي أصبح مهيمنا على الشئون التعليمية في وزارة رياض باشا. وكانت الجماعة الرافضة لهذه السياسة تجتمع بمنزل صالح بك، فاستطعت خلال زياراتي المتكررة لمنزله أن أتعرف على الكثيرين من العلماء الأجلاء الأعضاء بالحزب الوطني. وأصبحت منتميًا إليهم، وأخذت على عاتقي أن أشاركهم اقتناعهم ورفضهم للفرنجة. وفضلا عن ذلك كنت أتحمس في الأسواق لنشر الحضارة الوطنية، وقد تسبب لي هذا في موقف بالسوق عانيت فيه معاناة قاسية.

وفي منزل صالح بك تعرفت على رئيسه السابق عليّ باشا مبارك الذي كان وزيرًا للمعارف، وكان آنذاك منشغلا بإقامة منزلٍ، ولم يهتم كثيرًا بي.

أما الصديق الثاني الذي عرفته فهو شيخ الساداتية السيد عبدالخالق. وهو أحد الأغنياء الكبار بالقاهرة، وهو من سلالة /السيدة/ فاطمة الزهراء، ورئيس عائلة الأشراف، وهي وظيفة يخصص لها ريع وفير من الأوقاف. وقد زرته كثيرًا بمنزله فوجدته رجلا مُنَعّما، أعجب بي، وتمكنت من أن أتجاوب مع تعطشه للعلم، وأن أشفي غليله من الأحاديث العلمية، وبعد أن زرته ثلاث مرات أتاح لي زيارة مكتبته الضخمة التي تحتوي على كتب كثيرة.

وكان يأمر بإنزال الكتب التاريخية من رفوف مكتبته الضخمة كي أقرأها. وكان يهوى الاستغراق في دراستها بجد واجتهاد. وقد اصطحبني

يومًا لزيارة مقابر أسرته بالقرافة، وأراني شجرة العائلة التي ترجع أصولها إلى [السيدة] فاطمة الزهراء.

وما زالت صورة هذا الصديق العظيم تزين جدار مكتبي حتى اليوم، وإنني لأعدها تذكرة جميلة لهذا الرجل الذي تأثر بي فكريًا كثيرًا، وطالما استعدت بسرور ذكرى منزله الرائع بنافورته، وجدرانه المطعمة بالموزايك غالي الثمن وقاعة الاستقبال المحلاة بكل أنواع الفخامة الشرقية، تلك القاعة التي كان يستضيفني بها، باعتباري صديقا / مرحبًا به. ٦٨

ومن بين الرجال ذوي المكانة الذى عُرف بأنه كان معارضًا للإنجليز ومحرضًا على معاداتهم، وكان منفيًا من وطنه الشيخ جمال الدين الأفغاني، وكان أيضًا صحفيًا مجالدًا عنيفًا للمستشرق رينان ***Renan***، وقد قابلته في أمسية بمقهى في شارع عابدين، حيث كان يجتمع كل مساء مع مجموعة من الشباب الذين يتعلمون بالأزهر، يحدثهم في موضوعات مختلفة، ويعرض عليهم آراءه التي تتسم بحرية الفكر والاستنارة؛ إذ كنت أجلس يومًا إلى منضدة بالمقهى أدخن النارجيلة، فدعيت إلى الجلوس مع هذه الجماعة، وأعجبت بما يقوله الشيخ، فاعتدت الذهاب إلى المقهى والجلوس إليه كل مساء لأستمع إلى هذا الزنديق (الملحد). ثم قابلت هذا الصديق مرة أخرى في ظروف عجيبة بباريس عام ١٨٨٣. وفي هذه المقابلة دار بينه (جمال الدين الأفغاني) وبين زوجتي حوار فلسفي حدثته فيه عن الحضارة الأوربية. وقد أخذتُ على نفسي عهدًا أن أكتب عن لقائي به يومًا فصلا في أحد كتبي.

وفي الأسبوع الثالث من إقامتي بالقاهرة وقعت لي حادثة ذات دلالة مهمة على حياتي العلمية، إذ عرفني السيد شتيرن ***Stren*** بالسيد دور ***Dor***

الذي كان آنذاك أقوى مسئول في وزارة المعارف. واصطحبني الرجل إلى محاضرة له يحضرها وزير المعارف مصطفى رياض باشا، باعتباري عجيبة من الأعاجيب (لأنني رجل أوربي متعمق في دراسة الإسلام، فبدوت عند رجل التعليم السويسري وكأنني (دب عجيب). وقد أراد رياض باشا أن يتحدث معي باللغة الفرنسية، ولكني رجوته أن يحدثني بلغته (أي اللغة العربية) فأعجب رياض باشا بردي عليه، وبلباقتي في الحديث معه إعجابًا جعله يدعوني لزيارته أسبوعيًا، وقد كررت هذا عدة مرات. ولما كانت سراي الوزير قريبة من دار الكتب الخديوية، فقد اعتدت أن أزوره قبل ذهابي إلى الدار أو بعد قضاء الساعتين اللتين أقضيهما فيها. كان يجلس على الأريكة في مواجهة المواطنين الذين يجلسون بالقاعة يتحلقونه، وكان حديثنا يدور دائمًا حول مسائل أدبية. وفي إحدى المرات أخذت معي الطبعة البولاقية لكتاب سيبويه، فأعجب الوزير بمحاولتي لتنشيط المحادثة، حتى إنه أبدى ملحوظة حاول بها أن يستبقيني بمصر، فعرض عليَّ أن يعينني في وظيفة مهمة بوزارة المعارف، ولكنني اعتذرت بعدم استطاعتي أن ابتعد عن والديَّ الطاعنين في السن. ومن ثمَّ سألني إن كنت أرغب في أي مساعدة منه حتى يحققها لي. فلم أتردد طويلا، ورجوته أن يحقق لي الأمنية التي أرجوها، وهي أن يأمر الباشا بتمكيني من المشاركة في الدراسة بالجامع الأزهر، وأنني لا أرغب في شيء خلاف ذلك./ فبيَّن لي الباشا صعوبة تحقيق ذلك، وأنه لم يدرس أي شخص غير مسلم بالأزهر. ولكنني لم أقتنع، وأعلنت أنني لا أطلب شيئًا غير ذلك، وأنه يمكنه أن يعتبرني مسلمًا كما قال لي لحبي الشديد لدراسة الإسلام، فقال: "ولكن المفتي لن يقبل ذلك، ولا أستطيع أن أفرض عليه قبولك". فقلت:"اكتب لي توصية بذلك، وسأذهب إليه برجائي بالقبول". فأمر الوزير على الفور بكتابة توصية حارة إلى المفتي

٦٩

يرجو فيها ملحًا أن يقابلني وأن يتحدث معي عن الشريعة الإسلامية ليقتنع بأنني كفء لسماع الدروس بالجامع الأزهر.

فامتطيت الحمار (وكنت أكتري حمارًا كل يوم بالقاهرة)، وذهبت إلى سراي المفتي العباسي المهدي. وكان والده حبرًا[1] ثم اعتنق الإسلام. وبعد انتظار ممل سمح لي بمقابلته بعد أن طلبت زيارته أمام باب قاعة الانتظار. ولما دخلت القاعة وجدت المفتي يترأس جماعة من العلماء، يتناقش معهم في مشكلة تتصل بتوزيع الميراث، فاستمعت للحوار بانتباه وهدوء حتى انتبه الشيخ الكبير لوجودي، فسألني إذا كنت الرجل الذي يُوصِي به صديقه الوزير؟ وسألني بأي دين أدين. فقلت له:" أنا مَنْ مَنَّ عليه رياض باشا بفضله. اسمي إيجناس المجري، ولدتُ بين أهل الكتاب، وربيت على الإيمان بالتوحيد" (وكنت قد أعددت هذه الإجابة قبل دخولي القاعة)، وسألني المفتي إن كنت فهمت شيئًا من محادثتهم عن التشريع الإسلامي، فأخرجت من حقيبتي جداول توزيع الميراث بمقتضى قانون الإرث. فظهرت علامات الدهشة والتعجب على وجوه العلماء الذين يتحلقون الجلسة.

وسألني المفتي عن ضمير المؤمن بالتوحيد، وعمّا إذا كنت أريد أن أسخر مما يحدث بالمسجد، وما يقال به. وبعد أن أكدت إيماني بالتوحيد، وأنني منذ صباي أحلم بأن آخذ عن المشايخ، وأتلقى العلم عليهم. وبعد أن تكلم الشيوخ مُبَدِّدين شكوك المفتي المتردد، نادى المفتي كاتبه وأملى عليه المرسوم التالي:

"إلى شيوخ الجامع الأزهر وطلابه وسدنته

---

(١) لم يكن جده حبرًا أو "رابين" كما يقول جولدتسيهر بل كان جده مسيحيًا ثم أسلم.(عوني).

تقدم إلينا بخطاب توصية حارة من صديقنا العظيم رياض باشا الطالب المجري إيجناس. وهو من أهل الكتاب، يفصح عن شوقه إلى أن يعمق معارفه عن الإسلام برعاية الشيوخ العلماء بالجامع الأزهر. وقد وهبه الله برحمته معارف كثيرة عن علومنا / وهو يحنُّ إلى أن يخوض البحر الذي تذوق قطرات مالحة منه. وقد أقسم لي أن حنينه هذا لم يدفعه إليه مجرد المعيشة بينكم. وقد أعلن أنه بعيد عن أي رغبة في السخرية منكم. وإنها لمشيئة الله أن يجاور هذا الشاب جامعنا الأزهر، ولا رادَّ لمشيئة الله. وإنني أضع إيجناس في حمايتي طالما يستحق ذلك. وسيقدم نفسه أولا للشيخ الأشموني. [٧٠]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العباسي، شيخ الجامع الأزهر

وبقلب يخفق أخذتُ هذه الأسطر من المفتي الصارم، وقبلت يديه، وعاهدت نفسي عهدًا مقدسًا ألا أفعل أي شيء يجعله يتشكك في ثقته بي.

ما أكثر ما تجتاحني الذكريات رغما عني وما أكثر ما تطوف بذهني! وأسترجع معها ذكريات مواقف صعبة من كل نوع مرت بحياتي عام ١٨٦٨، وعانيت منها محاولا التغلب عليها، عندما كنت أستمع إلى محاضرات الكاهن المأفون روزسكا ***Ruzsicska*** عن اللاهوت الكاثوليكي بمدينة بست ***Pest*** فما أيسر ما مر بي هنا، أنا المُقر بالله وبمحمد.

أسرعتُ بالذهاب إلى الجامع الأزهر، وقدمتُ نفسي إلى حارس بوابة الأزهر، فقادني إلى الشيخ الأشموني، فأعطيت له فرمان المفتي فقرأه الرجل

العجوز المتعصب مستغربا ما كُتِب فيه، وقال لي: "أنت أول رجل غير مسلم يسمح له أن يهبط على حلقاتنا. المفتي رجل حكيم، ولكنك إفرنجي تريد فقط أن تستمتع برحلة تصف فيها شيوخ الأزهر، وتنشرها في إحدى صحفكم: فقلت له: "ليغفر الله لي إن كان خطر لي مثل هذا الخاطر البشع. ولم أرد ذلك مطلقًا. إن لي حنينًا لدراسة العلوم الإسلامية، والأزهر هو مقر هذه العلوم. إنني أريد أن أروي ظمئي من منبعه، وأن أسد رمقي بالجلوس إلى مائدة المُضَيِّف الكريم الذي اتخذني مجاورًا من المجاورين".

وبهذا قُدِّمت إلى شيوخ مختلفين، والتف حولي مئات من الطلاب الفضوليين، ومعهم أيضًا حارس البوابة.

كان من أظرف من احتضنني الشيخ محفوظ الذي تعلمت عليه كثيرًا. وهو من شمال إفريقيا؛ إذ إنه بمجرد ما قُدِّمت إليه ذكر لي أنه رأى في منامه من أيام قليلة أن رجلا من سلالة أحد الأنبياء القدماء سيأتي إليه ليفيد من دروسه.

وسرعان ما ألفتُ الحياة بالأزهر، فالتحقت بحلقة الشيخ الأشموني، والشيخ محفوظ والشيخ السقا. وكانوا أشهر علماء مصر آنذاك. كان الشيخ الأشموني الذي قارب المائة لا يزال يحاضر عن الحديث في منزله. وتلقيتُ منه أصول الفقه الحنفي والمالكي. ولم أكتفِ بسماع هؤلاء الشيوخ الثلاثة، بل كنت أستمع لشيوخ آخرين أيضًا. وبهذا كنت أقضي فترة الصباح من التاسعة إلى الثانية ظهرًا في الاستماع إلى هذه المحاضرات؛ إذ إنني كنت أقضي الوقت قبل التاسعة بدار الكتب الخديوية، وأمرُّ أحيانًا على منزل

رياض باشا الذي كان يستقبلني بترحاب وود، ويستمع إلى حديثي الحماسي حول ما استمع إليه بالأزهر./

٧١ وما أسرع ما أصبحت محبوبًا لدى الطلاب والأساتذة، إذ كانوا يتعاملون معي كأنني واحد منهم رغم أنني لم أحاول أن أتظاهر بأنني مسلم. فإذا ما تأخرت يومًا عن الحضور، أو مكثت بدار الكتب الخديوية طوال فترة ما قبل الظهيرة ازداد القلق والحيرة في حلقة الشيخ محفوظ بخاصة. وكان الطلاب والشيوخ يزورونني في مسكني كثيرًا، كما كنت أحب أن أزورهم أيضًا.

أمضيت أربعة أشهر أستمتع بدراسات محببة إليَّ. وكانت من أجمل الأوقات التي شعرت فيها بالزهو بما أفعل وبما ألقاه ممن حولي. إذ بدأ الإعجاب بالأوربي الشاب منذ الأسابيع الأولى، لأنه يجيب عن كل ما يُسأل عنه، ولأنه يفهم كل نادرة مستحكمة، ويحسن توجيه أسئلة تكون مدخلاً للمناقشات أيضًا. وكان رياض باشا أكثر الناس سرورًا بما لقيته بالأزهر من ترحيب وتوفيق، فهو الذي زكاني عند المفتي، وكان يغريني دائمًا بالبقاء بمصر حيث يمكنه أن يوفر لي عملاً بوظيفة متميزة.

كنت أشغل نفسي بعد الظهر بمصاحبة الأدباء لزيارة الأماكن الغريبة والقيام برحلات في ضواحي المدينة. وكان ذلك بصحبة صديقين أوربيين، أحدهما كان القنصل فون بوريان ***V.Buraian*** (وهو الآن وكيل دبلوماسي في صوفيا) والثاني هو بارون فرانز فون ريفاي ***Baron Franz von Révay***، إذ تعهد كلاهما باطلاعي على كل ما يمكن أن أشاهده. ويتبادلان الشرح تفصيلا دون إغفال أي معلومة. أما في المساء فقد كنت أذهب إلى حلقة الملحد جلال

الدين *Dschelal ad-Din*[1] وأقضي معه سويعة. وأعود إلى المنزل حيث ينتظرني صاحب المنزل السيد متى *Matta* حوالي الساعة العاشرة مساءً أو الحادية عشرة لاحتساء فنجان شاي، والسماع إلى مغامراته التي يدعيها عن حرب تحرير المجر.

وفي الصباح كنت أتقلب في فراشي بصبر نافذ انتظارًا لسماع أذان الفجر من مؤذن جامع الكخيا الواقع على الناصية المقابلة للشارع المواجه لنافذة غرفتي. وكان الأذان إشعارًا ببدء يوم عمل جديد. فسرعان ما يحضر لي خادمي الزنجي مسرور ملابسي، ويقدم لي قدح القهوة. وعند خروجي من المنزل أجد المكاري في انتظاري بحماره. كان المكاري صبيًا صغيرًا اعتدت أن أطلب منه كل مساء أن يحضر في الصباح لاستخدم حماره طوال النهار فينقلني من مكان إلى آخر.

كنت مسرورًا للغاية لأنني تعلمت كثيرًا، وتبينت أن ما تعلمته من دروس وحصلته منها سوف يكفيني أكثر من خمسة عشر عامًا رغم كل العقبات التي سألقاها مستقبلا. كان هذا ما يدور بخاطري آنذاك.

شغل الإسلام تفكيري كليةً، وكان إيماني بالتوحيد سببًا في ميلي إليه، فأطلقتُ على فكرتي عن التوحيد "الإسلام". فالتوحيد عندي هو الإسلام. ولم أكن كاذبًا حين قلت إنني أعتقد في نبوة محمد، ويشهد على ذلك نسخة القرآن التي أحتفظ بها؛ إذ تُبين مدى اهتمامي بالإسلام. وقد انتظر أساتذتي (شيوخي) جديًا اللحظة التي أعلن فيها إسلامي. وفي أثناء العيد حينما كان ولي العهد يعلن

(١) يقصد جمال الدين الأفغاني، والخطأ مطبعي. (عوني).

زواج ابنته اعترضتُ في الأسواق على تمييز الأوربيين على المواطنين المصريين. وفي حلقة صالح المجدي قدمتُ نظريات في تاريخ الحضارة، وتحدثتُ عن الحضارة الإسلامية وانتشارها / مقابل الوباء الأوربي المتحكم، وما فعله. ولقي حديثي في الحلقة استحساناً عظيمًا مثل ما لقي عرابي وقواده بعد عشر سنوات عندما قعقعت سيوفهم. كذلك رفضت أن أشارك الأوربيين في مصر في احتفالاتهم بالأعياد وغيرها. في حين أنني كنت عندما أُدعى مع الشيوخ في مناسبة ما أحرص على الظهور معهم. [٧٢]

ولكنني كان لديَّ رغبة عارمة في أن أشارك الشيوخ في صلاة الجمعة، وإن كنت لم أُدع لذلك، لأنني غير مسلم، مع أنني كنت أرغب صادقًا في أن أنحني مع آلاف المؤمنين وأن أركع وأسجد أمام الله، وأنادي "الله أكبر"، بل وأن أعفر وجهي في التراب مع المصلين بين يدي الواحد القهار، ومن ثمَّ صممتُ على أن أؤدي صلاة الجمعة مع المسلمين.

وفي يوم الجمعة السابق ليوم عاشوراء عبَّرت عن هذه الرغبة عدة مرات في جمع من الطلاب العرب، وعلم أحد الزملاء السوريين يدعى عبدالله الشامي برغبتي هذه، وساعدني في الإعلان عنها. وقد رويت في فصل خاص بكتاب اليوميات هذه المغامرة تفصيلاً، وذكرت أنني عندما كنت في القرافة لزيارة قبر الإمام الشافعي، أجريت تجربة للتعبير عن مدى إيماني، فسلكت الطريق المستقيم، راكبًا الحمار، إلى المسجد - وكنت أرتدي العمامة والقفطان- لسماع خطبة الجمعة والصلاة. وكان أصدقائي ممتلئين ذعرًا، خوفا عليَّ، ولكن المغامرة الجريئة نجحت، وتمكنت من وضع جبيني على الأرض وسط آلاف المصلين. ولم أكن في حياتي مخلصًا في صلاتي

مثلما كنت في يوم الجمعة هذا الرائع، ولكنني نُصحت بألا أقترب من المسجد بعد ذلك. ولم أكن واثقا من صحة هذا التحذير، ولعل عبدالله أُبلغ بذلك.

وكان من الواجب عليَّ - للأسف- أن أستمع لنصح أصدقائي ولأسباب أخرى أيضًا، فقد تسلمت خطابًا يوم الأحد التالي ليوم الجمعة الرائع من الوطن يحيطني علمًا بأن والدي مريض مرضًا شديدًا. ولمَّح لي كاتب الخطاب بأن حالة تجارتنا ليست على ما يرام. كذلك كتب فامبيري ***Vámbéry*** يبلغني بوجود تغيير في الظروف بالنسبة لمستقبلي. فعقدت العزم على أن أغادر مصر فورًا على أول باخرة تقلع من الإسكندرية إلى تريشا، وبخاصة أن التحذير من الاقتراب من المسجد قد سلبني الرغبة في البقاء بالقاهرة، فلم يعد يبقى لي في مصر إلا التزود من العلوم الإسلامية.

وأسرعت بتوديع كل المحبين، وبخاصة رياض باشا الذي دعاني علي الفور لمعاودة زيارة القاهرة في أي وقت، حيث يمكنني أن أشغل منصبًا بوزارته. وكتبت خطابات توديع مختصرة إلى بعض الشيوخ والطلاب زملائي، واستلمت من زميلي اللقاني قصيدة باللغة العربية يمتدحني فيها ويودعني، كما دعاني السيد ريفاي ***Réváy*** لتناول العشاء لتوديعي. وأخبرني في هذه الأمسية أنه قرأ في جريدة بستي نابلو ***Pesti Naplo*** أن الوزير المجري عيَّن هاتالا ***Hatala*** في وظيفة الأستاذية التي كنت موعودًا بها، وبهذا ألقت الأحداث التي تنتظرني ظلالها عليَّ.

رحلتُ إلى الإسكندرية – مضطرب الأعصاب، حيث قضيت يومين، وأقمت حفلة هناك عند جارسوسي ***Garsusi*** الذي كنت أرسل عن طريقه طوال السنة الماضية صحفا عربية إلى بودابست، وعنده زودني القنصل

٧٣ العام بصندوق مليء/ بكتب عربية، لأحتفظ ببعضها، وأعطي الباقي للأكاديمية، فشحنتها بالباخرة. ولم أكن أعلم أن هذا الصندوق الممتلئ بالمصادر اللازمة لدراساتي سيصبح السلوى الوحيدة لي في السنوات التالية.

وفي هذين اليومين اصطحبني أولاد جارسوسي لمشاهدة كل المعالم السياحية بمدينة الإسكندر الأكبر. وتأهبت للسفر، وساعدني في ذلك ابن عم صديقتي الحميمة حيًا الدمشقية *Hajia* التي استوطنت الإسكندرية. وهو يهودي متجهِّم فحمل متاعي إلى الباخرة، كما رافقني بعض موظفي القنصلية في هذه الرحلة البحرية التي غادرت فيها الشرق الأوسط نهائيا، وكان لذلك وقع شديد الوطء علي.

كان البحر أول يوم عاصفًا جدًا، وتملكني اكتئاب شديد عندما رأيت مآذن المدينة تختفي شيئًا فشيئًا، إذ إن هذا يعني أنني أنهي رحلة قضيتُ فيها أجمل أيام حياتي، وإن كنت لم أتوقع أن ما سألقاه في حياتي مستقبلا أشد قتامة مما كنت ألقاه قبلها.

في تريستا *Triest* استرحنا يومين، وكنت في أمسِّ الحاجة لهذه الراحة بعد دوار البحر الذي انتابني أيامًا بالباخرة، ثم رحلت إلى مدينة بست *Pest* مسقط رأسي. ووجدت أبي مريضًا مرضًا شديدًا لا يمكنه من مغادرة الفراش، وأن تجارته لم يعد لها وجود. وما لبثت النوائب أن حلَّت عليَّ بعد بضعة أيام من عودتي من جهتين مختلفين، إذ رحل والدي عن هذه الدنيا البائسة الذليلة في الرابع من مايو، وكنت أجلس ساهرًا ليالي كثيرة بجوار فراش مرضه وموته. وفي الليلة السابقة لوفاته نبهني إلى أن العناية التي أوفرها له قاربت نهايتها، وذكرني بنذور عيد ميلادي الثالث والعشرين عندما

حذرني من أن أسعى لتصيد المنافع الأرضية وأن أهتدي دائمًا بالعدالة والحكمة، معتنقًا عقيدة أبي (תמ'ם תה'ה ע ם י"ה אלה י ך)[1]

ثم سمعتُه يتلو آياتٍ من الأصحاح الثالث والعشرين بالمزامير، ثم غاب في سكرة، الموت مدة ساعة وأفاق منها مرة ليأخذ بيد أمي. ثم قُبضت روحه، فأصبحتُ كبير العائلة بعده، مسئولا عن صيانتها. ولم أكن أبلغ الرابعة والعشرين من عمري. ووجب عليّ أن أتحمل مسئولية إصلاح الأحوال التجارية البائسة، وأن أعيد تأسيس الأمور المنزلية على قواعد ثابتة. وساعدني في ذلك نسيبي جليك *Glück* الطيب المخلص، ولم يساعدني أقاربي كثيرًا، وبخاصة أقارب أبي، ولم يهتموا بمعاناتي والأعباء التي أرزح تحتها.

انتقلت مع أختي وزوجها ولمي إلى منزل يجمعنا كلنا. وكنت أنفق فيه جزءًا كبيرًا من دخلي الذي بلغ ألفا ومائتي فلورين أحصل عليها باعتباري مدرسًا حكوميًا. ولما كنت مطالبًا بأن أنفق الكثير، اضطررت لنشر مقالات كثيرة بالصحف لأحصل على مصادر رزق تزيد من دخلي بعض مئات جولدن/ وكانت [٧٤] نتيجة هذا الحماس نشر مقالاتي بجريدة بستر لويد *Pester Lloyd* في الأعوام ١٨٧٤-١٨٧٦.

وقرأت في هذه الأعوام أيضًا عن الأدب الشيعي ونشرت عام ١٨٧٤ "مساهمات في تاريخ الأدب الشيعي"

Beiträge zur Literaturgeschichte der Schi ʿa, Wien. Akademie, 1874.

وانشغلت أيضًا بوضع كتابي عن الأساطير *Mythos* الذي نضج بعد مكاتباتي مع كارمان *Kármán* واكتمل. وكنت قد تمكنت أيضًا من وضع

---

(١) هذه هي الآية ١٣ من الإصحاح ١٨ من سفر التثنية:"لتكن كاملاً دائمًا مع الربّ إلهك".

تخطيط لبعض فصوله قبل الرحلة وفى أثنائها. أما الفصل الرابع فقد كتبته بفندق دمشق ببيت المقدس.

عام ١٨٧٥:

ووُري والدي تحت الأرض، فلم يعد يأبه بكل ما يقابله ويخشاه طوال سِنى حياته من نوائب، ويقتنع بما يلاقيه منها. وبعد أن انقضت أيام المأتم ذهبت لمقابلة الوزير تريفوت *Trefort*، ولكنه كان قد سافر من قبل، ومن ثمَّ وجب عليَّ الانتظار لعودته وأنا في حالة مرضية قاسية، إذ إنني أصبت بالتهاب معوي قبل أن أذهب إلى هذا الكذاب التعس فاستقبلني بترحاب وود، ولكنني تبينت من سؤاله الأول الذي وجهه إليَّ أنه يرغب من محادثته معي فى أن يصرف الانتباه عن أمور محددة ليريح ما بقى له من ضمير لم ينعدم بعد.

وأقدم صورة طبق الأصل من المحادثة:

أنا: أسمحُ لنفسي أن أبلغ سيادتكم أنني عُدت من المهمّة التي بُعثتُ من أجلها إلى المشرق، وقد أديت ما كُلفت به تمامًا، وقدمت تقريرًا مستفيضًا عنه. والآن أقف أمام سعادتكم منتظرا أوامركم.

الوزير: من المؤكد أنك تعرفت برجال ذوي حيثية أثناء رحلتك.

أنا: وهبتُ وقتي كله لدراساتي وللمهمّة التي كُلفت بها. ولم أسعَ للتعرف إلا على ما يفيدني في دراساتي، سواء بالتعريف أو بتمكيني من هذه الدراسات، ويساعدني على اكتسابها. وإنني لممتن لوزير المعارف المصري ولغيره لتشجيعه المتميز لدراساتي.

الوزير: وبمن تعرفت أيضًا؟

أنا: معالي الوزير لقد لاقيت أثناء هذه الأشهر إخلاصًا ومحبةً في الأوساط الإسلامية، وعشت أجمل أيام حياتي، وفي أمسية اليوم الذي غادرتُ فيه القاهرة، أقيم لي حفل توديع حضره أحد الرجال المجربين، ومنه علمتُ بأن سلفكم العظيم / الذي وعدني بالحصول على وظيفة جامعية قد تُوفيَ أثناء غيابي. وقد علمتُ أنه قد عُيِّنَ أثناء غيابي أستاذ لا صلة له بالتخصص العلمي المطلوب، فتكدرت من هذا الخبر الذي أخمد الشعور بالزهو الذي كان لدي بعد كل ما لقيتُ في رحلتي من تعظيم وتبجيل، كما أن موت والدي كان ضريبة عليَّ أن أتقبلها وفقًا لقوانين الطبيعة. وإن ما أطمع فيه الآن هو ما أنتظره من سعادتكم، وتأمرون لي به من تشجيع وبخاصة بعد وعد سلفكم الوزير، وما هو مدون فعلا بالتقرير المرفق...

٧٥

ولم يدعني الرجل العصبي الحقير أكمل كلامي، بل سارع بتوجيه الكلام إليَّ وهو يهتز، ويحرك يديه في جيوب سرواله مكشرًا:

الوزير: إنك لا تستطيع أن تصف السيد هاتالا ***Hatala*** بهذا الوصف. إنني أعلم تمامًا أنه مهرّج، وأنه عُيِّنَ بكلية الفلسفة (كلية الآداب)، وأنه لا يستطيع أن يؤدي واجب الأستاذية في كلية اللاهوت (الكلية الدينية). لا تعر هذا المهرّج اهتمامًا، فإننا لا نأخذه مأخذ الجد، وسيتغير الأمر مستقبلا. اهدأ واصبر، فلن نتركك تنتظر طويلا. عد إلى منزلك هادئًا، واطمئن على مصيرك.

كان هذا ما صدر عنه.

وكنت من الغباء حقًا عندما رجعتُ إلى المنزل هادئًا؛ إذ كان يكفيني أن الوزير نفسه لا يأخذ تعيين هاتالا أستاذًا لعلم الاستشراق مأخذ الجد، وإن

كان عيَّنه لتدريس الرياضيات العليا بعد ذلك، إذ كان عليه تصحيح حكم الدولة ولو بوضعه في وظيفة شاغرة بكلية الفلسفة (الآداب). ولما كان هذا الهاتالا أصبح في طي النسيان تقريبًا، وإن كان يجب أن أذكره، وأن أتحدث عنه، فإنه يجب عليَّ أن أضيف بعض الكلمات عنه، حتى تكتمل صورته الهزلية المضحكة كما وصفه تريفورت ***Trefort***، إذ إنه تسبب في اضطراب مسار حياتي. أراد بيتر هاتالا أستاذ اللاهوت بجامعتنا أن يدلل على سلامة العقل البشري، وأنه يرفض أن تضيع العقيدة، وأنه يحاول أن يلحق بجماعة من يدَّعون أنهم كاثوليك قدامى، واعتبروه حواريًا لهم... أما الأحرار باختلاف جماعاتهم فقد جعلوا اسمه شعارًا يرفعونه ضد المتطرفين. ومن ثمَّ استطاع الجاهل أن يصل إلى مرتبة الشعبي المحبوب.

وفي سنة ١٨٧٣/١٨٧٢ عندما فتحت كلية اللاهوت أبوابها للدراسات العليا اختير رئيسًا لهذه الدراسات بناء على مكانته بالكليات الإنسانية. وبهذه الصفة تابعه كل المفكرين الأحرار، وكثرت الدعاية له. وسعى جاهدًا للحصول على الطرد من الكنيسة، فأمكنه أن يلعب دور الشهيد مثل سانت هيازنث ***Hyazinth*** / فرفعه ذلك كثيرًا. ولما أراد هذا الرجل المفضل تجنب الفضيحة، لم يستحسن أن يطرد من الكنيسة، وأعني ذلك كتابة وقولا، استعجل الوزير أن يبعد الملحد عن هيئة الأساتذة بكلية اللاهوت، وأجمعوا على ضرورة نقل بيتر هاتالا ***Peter Hatala*** إلى كلية الفلسفة. وفرح الشهيد[1] بذلك فرحًا شديدا. واقتنعت بأن استبعاده من كلية اللاهوت تم في اليوم الذي استقبلني فيه تريفوت عند زيارتي الأخيرة له. ولم تكن رحلتي إلى المشرق - كما تبينتُ على

٧٦

---

(١) أي جولدتسيهر نفسه. (عوني).

الفور- إلا لإبعادي عن مسرح الأحداث، وعدم تعييني مدرسًا، ليضع مكاني هذا المهرّج الجاهل، هذا الرجل الذي لا يملك أي مؤهل لتدريس علوم الاستشراق إلا حجته المزعومة بزيارته الأرض المقدسة، ومعرفته الضئيلة بمبادئ اللغات الشرقية المدونة بطريقة مفزعة، ورثها عن قنصل فيينا، وأهداها إلى سجلات كلية الكاثوليك الدينية، ومن ثمَّ لزم عليه أن يقيم علاقات حميمة مع الكنيسة بإهدائها هذه السجلات بهذه الطريقة الشاذة ليتمكن من شغل وظيفتي أثناء غيابي.

بلغ من فُجر تريفورت أنه اعترف لي أن تعيين هاتالا لا يجب أن يؤخذ مأخذ الجد، ويجب ألا أخشى شيئا أرجوه لمستقبلي. فذهبت إلى منزلي هادئا لأصبر منتظرا، ولكي أواصل عملي ودراساتي.

وتمكنت تقريبًا من نشر يوميات رحلتي، وكانت زيارتي للأزهر معينًا أغترف منه ما تعلمته عن الشريعة الإسلامية، وعن حضارة المسلمين، ولكني كنت أخجل من نشر هذا العمل. إذ كنت مرتبطا بالوعد الذي قطعته على نفسي للشيخ الأشموني. وما نشرتُه حتى الآن كان فقط مقالتين كنت أرسلت بهما إلى إيبرس **Ebers** عن "مصر بالصورة والكلمة" **" Ägypten in Bild und Wort** يتضمنها فصل عن الإسلام. ولذلك نشرت دراستي التي تحدثت عنها من قبل عن الشيعة، وأعمالا صغيرة أخرى عن "الأسطورة عند العبرانيين وتاريخ تطورها" ***Der Mythos bei den Heiden Hebräern und seine geshichtlche Entwicklun***.

وألقيت بنفسي منكبًا على المصادر الكثيرة التي أحضرتُها معي من المشرق العربي. واهتممت بخاصة بالحديث [النبوي]، كما قرأت كتاب الأغاني

كاملاً طوال سنة ١٨٧٤/١٨٧٥. وانطلاقا من وجهة نظري استعرضتُ كل ما قرأته عن الأدب ونشرت منه مقالات بالأكاديمية.

وفي خريف ١٨٧٥ سررت للغاية لحصولي على منحة دكتور فلايشر **Fleischer** / التي أُوقِفَتْ على شرفه (في أول سنة من وقفها). ووجدت - فضلا عن ذلك- رعاية كبيرة بألمانيا من فلايشر وايبرس؛ إذ رأيا أنني تعرضت للخداع والغش المزري، وأن وغدًا مثل تريفورت لا يمكن أن يؤخذ مأخذ الجد بما واجهني من حجج. كذلك طرق أصدقائي سبلا كثيرة، وتوصلوا إلى كثير من الاقتراحات لمساعدتي. وأرسل لي الوزير شتريماير **Stremayer**- بعد أن طلب منه فلايشر - يعرض عليَّ العمل بوزارة التعليم، ولكني لم أستجب لهذا العرض. كذلك شغرت وظيفة مدير الكتبخانه بالقاهرة برحيل شتيرن **Stern**... وكان يمكنني الحصول عليها بتدخل من إيبرس أسرع مما لو كتبت إلى رياض باشا، ولكني ارتعبت من فكرة الابتعاد عن وطني. ومرت بي فترة انقطعت فيها محاولات أصدقائي عندما انبثقت بعض الرؤى المتفائلة من جميع الجهات؛ ففي ١٥ من يناير سنة ١٨٧٥ وصل إليَّ من مستشار الوزارة إميرش سيزالاي **Emerich Szalay** باسم تريفورت خطاب يطلب فيه مني أن أذهب لمقابلة سعادة الوزير يوم ١٦ من يناير فيما بين الساعة الثانية إلى الرابعة عصرًا. وفي هذا اليوم صادفت تريفورت بالطريق، وطلب مني أن أذهب إليه بعد الظهر لرغبته الملحة في الحديث معي. وذهبت إليه في الوزارة، وكان حارس الباب لديه أمر بالسماح لي بالدخول على الفور. وقابلني الوزير بترحاب عظيم، وعبَّر عن أسفه لأنني اختفيت بعد عودتي من الخارج، بعد أن أكدت له من خطابات أحضرتها

٧٧

بعض الأخبار السارة تبين أنني لم أختفِ، وإنما كنت غاضبًا من طريقة معاملتي. فسألني الوزير عن شروطي التي يمكن أن ترضيني، فلم أطلب أكثر من تعييني أستاذًا خارج هيئة التدريس *Ausserordentlicher Professor*، فقـال لي الـوزير بكل بساطة إنني سأحصل على ذلك بسهولة بعد أسبوعين أو ثلاثة. ويكفي أن أكتب طلبًا – وفقا للمتبع– حتى يرسله فورًا إلى سعادة الرئيس أنتياكتا *Antiacta*.

وعندما سألته إن كنت بذلك أتخطى النظام الجامعي عندما أرسل إليه الخطاب وليس إلى الجامعة، أجاب: "ولكن هذا كله في الصياغة فقط، ولست تحتاج أن تتقدم برجاء لكل ثور جامعي، سأرسل لك خطاب تعيينك بعد أسبوعين أو ثلاثة. اعتبر الأمر منتهيًا".

وبذلك تركتُ حجرته شاكرًا. وناداني عند وصولي إلى الباب قائلا: "يجب أن ترسل طلبك قبل يوم الاثنين حتى أتخذ الإجراءات اللازمة سريعًا".

وفي يوم الاثنين التالي قدمت الطلب / بنفسي، مبلغًا أنني وفقًا لوعد سعادته أعتبر أن من واجبي القومي أن أشعل النار في كل الجسور ورائي، وأن أكتب لأصدقائي بألمانيا أنه ليس ثمة قوة على الأرض يمكنها أن تبعدني عن وطني. وأرسل لي سعادة الوزير: "إنك تصرفت بحكمة وعدل. حان الوقت لتعيينك بعد أن ترددتُ فيه سنة كاملة. ستتسلم قرار تعيينك بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع". [٧٨]

بلغني أن وزير الخارجية أندراسي (١٨٢٣-١٨٩٠) *Graf J.Andrassy* أرسل إلى تريفورت الطبيب تأنيبًا غير معتاد على تعييني، وبذلك أصبح كل من

في النمسا يتحدث عن جولدتسيهر الذي تُرِكَ مهملا في منزله، وأن كل العالم وجَّه إلى أندراسي أغلظ تأنيب على هذه الأحوال، وألزم تريفورت بتصحيح هذا الخطأ فورا؛ وبذلك تكونت الكوميديا التي حلت بي.

وبعد مرور ثلاثة أسابيع على هاتين المقابلتين (مع تريفورت) تسبب طلبي الموجه إليه في مجادلات منفعلة بالكلية، إذ إنَّ الوزير أرسل طلبي بأسلوب مهين إلى الكلية لهذه الغاية مع إبداء رأيه. وهناك ثار الأعضاء بالكلية وهاجوا لأن الطلب - بأمر من الوزير- جاء مختصرًا للغاية، وتخطى فيه الوزير رأي الجامعة بطلب تعيين أستاذ. واعتبروا هذا إنكارًا معلنًا للجميل[١] وتعاظم على المعهد الذي كان يستحق من طالب درس فيه أن يشكره ولا يجحده. وكان فامبيري حاضرا بالمجلس آنذاك، ولكنه لم ينبس بكلمة للدفاع عن الوزير (وفيما بلغني أنه كان يهاجم الوزير بضراوة خلف الكواليس بعد ذلك)، وإنني لأشكر لفرانز تولدي ***Franz Toldy*** فقط الذي رفض أن تتخذ الجامعة مني موقفًا متشددًا. وصرحت الهيئة عند مناقشة الموضوع برفضها تخطي الوزير لها، وعدم اتباع الطرق المرعية عند تقديم طلب للتعيين. وقررتْ رجوعي إلى المنزل بطلبي، وعند ذلك قال لي تريفورت: "لا أستطيع أن أعمل شيئا تجاه هذا القرار، لأن الجامعة لا ترحب بك، وأنا لا أستطيع أن أجبرهم على قبولك، ولكني أريد أن أقول لك شيئًا، ابتعد عن فامبيري لأنه يلعب معك لعبة مزدوجة" فقلت له: "يا صاحب السعادة إنني أجد نفسي كمن أُلقي به في حوض غراء، ولكنني أُذَكِّر سعادة الوزير بوعده المقدس. وقد دونتُ ذلك في مذكراتي اليومية منذ أسبوعين أو ثلاثة عن رحلتي إلى المشرق"

---

(١) المقصود بالجميل هو السماح لجولدتسيهر بمنحة الرحلة إلى الشرق (عوني).

واستفضت في القول أكثر من ذلك، وإن كنت لا أتذكر ما قلته آنذاك. ولكن ما قلته كان صريحًا جدًا، وواضحًا للغاية، إذ إن الوزير شخر وخنفر من الغيظ عندما قص على الناس ما قلته. ولما كان يمتلك وعي رجل محتال، كان من الواضح – كما هو معلوم لدى الناس– أنه رغم صراحتي وعتابي له لما حدث لي من تضليل، فإنه حاول تهدئتي، وأعلن أنه يعد أن يلتزم بوعده، وأنه لن يتراجع عن الالتزام بتعييني. فاحتفظت بهدوئي آنذاك / وكظمت [٧٩] غيظي وكأنه سر. ورغم افتراء الوزير عليَّ فإنني لم أفصح عن ملابسات هذا الخبر، ولم يعرفه أحد طوال اثنتي عشرة سنة تالية.

وفي صيف عام ١٨٧٥ – أثناء عيد القيامة– زرت الأستاذ فلايشر بمدينة ليبزج. وهناك قابلت بعض الأصدقاء وزملاء الدراسة. وكنت قد أخذتُ معي المخطوطة الكاملة لكتاب الأساطير ***Mythos*** لعرضها على دار بروكهاوس ***Brockhaus*** للنشر، التي قبلت نشره سريعًا، واستطعت أن أبدأ في الطبع. ولكني عانيت بعد ذلك من أشد النوائب التي مرت بحياتي.

لم يمر بكم – يا أبنائي– اسم دكتور صمويل كون[١] (١٨٤١-١٩٢١) ***Dr.Samuel Kohn*** في اليوميات. وهو مؤسس صحيفة مجرية متميزة من أشرف الصحف التي عرفتها في حياتي، وبهذا تستحق شكر سلالتي ويستحق صاحبها كذلك باعتباره الصديق الصدوق لي. التزمت بأن أعمل بهذه الصحيفة رغم أنني كنت معارضًا لها، لأن مواقفها وآراءها كانت معارضة لي وللكثيرين، ولكن يا أنجالي أقروا ما تكتبه، وإذ كنت صريحًا مستقيمًا، فإنني أجد الأرض تغطي عظامي وروحي تهيم في الملكوت عندما أقرأ هذه الصحيفة. فأنا أقف أمام عرش الرب الدائم، وأقدم شهادتي عن كل شيء

(١) هو الحبر الأكبر في بودابست، مؤرخ اليهودية في المجر.

مارسته على الأرض، وعن كل شيء رغبت فيه أو أردت عمله. وإنني لأرتجف لكل ما مارسته، ولكن ضميري يهدأ لما أصبحت فيه.

عزمتُ على أن أعمل ما فيه تقديس الرب، ولكن لا أدري إن كنت فعلت هذا فعلا، إذ إن إرادتي لم تلق أي تشجيع من أحد ولا تفكيري أدى إلى ذلك. ولم يكن هذا غفلة مني، ففي حياتي الدينية كان دكتور كون صديقًا حميمًا لي منذ ١٨٧٢، ووجدت فيه أحب صديق ومساعد، ولكنني لم أجد عنده أي حماية، وفشلت محاولة إنعاش الحياة الدينية اليهودية في المجر. فاتحدنا سويًا لنزيل خرائب الضمائر التي سيطرت على كل الأزمنة التي عاش أصدقاؤنا المقربون رافعي الرءوس خشية الموت، ولنستطيع أن ننهج طريقًا لزمان أفضل وأكثر أمانًا. وكان دكتور كون ينتمي رسميًا لجماعة من الناس كنت أهاجمهم بالكلمة والكتابة فقط. وحرص دكتور كون –وجهًا لوجه وبصراحة متناهية– على القول بأن حرماني من حماية القانون يعد أمرًا طبيعيًا، وبالنسبة لي لم أخفِ عنه مطلقًا ما يتناسب مع إخلاصه، تمامًا مثلما لم أتنكر مطلقًا من صدق قولي وسلامة موقفي بأنني أعتبره شريكًا في الذنب بانضمامه إلى جماعة الأشرار وميولهم الخبيثة حين أصبح فساد الضمير هو البرنامج السائد بالمعبد اليهودى المجرى. وقد تأرجحت بيننا فروق قوية، ولكن كون *Kohn* اجتاز جسورها بفضائله الشخصية الإنسانية /.

٨٠ كان لي صديقًا مخلصًا وأخًا حبيبًا. كان يؤمن بالقضاء والقدر، إنسانيًا للغاية، عطوفًا. ولم يكن له دخل في أن السلام المزعوم سنة ١٨٧٥ تسبب في سوء حظي في حياتي الفكرية. وقد اعترض عندما وجه شخص السباب إلى شخصي، وإن كان لم يرفض علنًا أسباب ذلك، ولو لم يكن حبرًا لواجه خصومي علانية. فالرهبنة في المجر تسببت في إظلام الأرواح الصافية. ولقد

ساعدني عندما أصاب عائلتي سوء الحظ، وعمل ما لا ينتظر إلا من القريب الذي تربطه بنا وشائج قوية، وكان هو الذي ساق إلى ابنة عمه القديسة التي لن أنساها أبدا. وواساني عند وفاة أمي وأختي. وساعدني على الخروج من الكآبة في أحلك أيام حياتي. أظهر اهتمامًا بمصالح كل عائلتي بود وتضحية. كان قريبًا من أمي، وصديقًا مخلصًا وناصحًا، بأسلوب لم أستطع اتِّباعه. شكر له أبنائي وعائلاتهم عندما حدثتهم عن كل ذلك. ولن أستطيع أبدًا أن أعُدَّ كل ما صنعه لي بحب أخوي. أقول: كان – وهو ما زال– أخلص الناس وأفضلهم. ولهذا كله أدعو قاضي العرش (الله صاحب العرش) أن يباركه بركة دائمة، إذ كان من أعماله أيضًا رعايته لطفلتي أختي اليتيمتين "ماريا"، و"إمّا" رغم أن أقربائي المقربين لم يأبهوا أو يهتموا أبدًا بما لاقته أسرتي من نكبات. فكل ما توقعته من الآخرين ولم أستطع أن أطالب به أيًّا ممن تربطني بهم علاقات أسرية، قدمه كون ***Kohn*** بشهامة وأخوة. لقد قدم لحياتي المدنية – في كل الأحوال– الصنيع الجميل بإخلاص.

الأعوام ١٨٧٦ - ١٨٨٣

لقد قُضي الأمر! هذا ما صحت به في اليوم الأول من فبراير ١٨٧٦

خدعني الوزير بطريقة ماحقة، إذ دللت وعوده على أنها أكاذيب. خاطبني في سخرية مستهزئًا، عندما لفتُ نظره بوجوب المحافظة على كلماته السابقة لي (أي أن يبر بوعده) قائلا: اعتبر الأمر منتهيًا، ستتسلم مرسوم تعيينك بعد وقت قليل، فسمعت النغمة نفسها بمكتبه / علمًا بأنه قبل [٨١]

ذلك ببضع سنين عاملني موظفو مكتب أتفوس ***Eötvos*** بكل لطف وترحاب معبرين عن مشاركتهم الوجدانية لي عند رئيسهم...

وفي سبتمبر أواخر صيف ١٨٧٥ اصطحبت ابن عمي فيلهلم ***Wilhelm*** في رحلة بالتيرول ***Tirol***، وكارتن ***Kärten***. وكانت المرة الأخيرة في حياتي التي شعرت فيها أنني أنظر من فوق الجبال كإنسان حرٍّ، فقد أصبح مقدرًا عليَّ أن أعيش عبدًا يطمع في الراحة. وهذا من سوء حظي.

بعث إليَّ رئيس الجالية المجرية بالعاصمة يسأل عني، وعما إذا كنت على استعداد لقبول وظيفة سكرتير الجالية بمكافأة مبدئية قدرها ٥٠٠ فلورين، فاستشرت أناسًا أتيقن أنهم أصدقاء مخلصون، ومنهم الحبر الدكتور صمويل كون الذي كان مكلفًا بمناقشة الأمر معي. وجاءتني النصيحة من كل جانب، أن أقبل الوظيفة المعروضة عليّ، إذ إنها تعد وظيفة قيادية، يقوم شاغلها بأعمال مباركة في الشئون الدينية والتعليمية والثقافية، وتقديم الخدمات العامة. وبعد أن كنت أميل إلى الرفض، أول الأمر انتابني شعور بالرغبة في قبول الوظيفة، أملاً في جدوى العمل المسند إليَّ واستمراره. وبداية صرحوا بأن رجلاً له شخصية علمية مثلي يجب أن يكون فخورا بمثل هذه الوظيفة، وأنني سأستطيع أن أواصل حياتي العلمية دون عقبات. ولم يُغرني ما قيل لي عن دخل الوظيفة الهائل لقبول هذا العرض. ولا أنسى أمي الطيبة – وأذكر شاكرًا لها دائمًا، أنها كانت الوحيدة في العالم التي قالت لي شيئًا له وزنه، ولكن العالم كله من حولي اعتبر أن رفضي هذه الوظيفة سيكون دليلاً على نقص الخبرة وسوء التقدير. وسمعت أن الوزير نفسه اهتم بالتوصية لاختياري لهذه الوظيفة، وأنه تحدث مع بعض اليهود الأغنياء مؤيدًا

لذلك، وبهذا ظن أنه سيتخلص مني، وتبيَّن لي أنه كان السبب في الأمر كله. وأُعلن عن ترشيحي للمنصب، كما رُشِّح له أيضًا بعض الكتبة اليهود من جهات معارضة لي. وبعد كثير من الأخذ والرد، وجلسات عديدة وقع الاختيار عليَّ بالمجلس الرياسي، حيث حصلت على أغلبية الأصوات في نوفمبر ١٨٧٥.

وفي أول يناير ١٨٧٦ أقيم احتفال بتسلمي الوظيفة، وعهد إليَّ الرجال الجهلة، رؤساء الجالية بعشرة من ذوي العاهات ليكونوا تحت رئاستي للقيام بالأعمال الإدارية. وتقبلني مركز الرؤساء بود وترحيب. وكانت الشئون الموكلة إليَّ تتصل بخدمات بسيطة يمكن أن يقوم بها موظفون بلا مؤهلات أو عمال في محل. فلم ترْقَ عن أن تكون كتابة محاضر جلسات، وطبع نسخ/ [٨٢] ورئاسة سجلات العمل والاهتمام الشخصي بشئون الزواج ومراجعة الأوراق، والتعامل مع الطبقة العاملة الذين لهم صلة بوظيفتي. ويمكن بذلك أن يتضح لأي أعمال ولأية مهام استخدمني هؤلاء القوم. وكان التعامل مع هؤلاء أشد حقارة. واليهودي ينظر إلى من يَعهد إليه نظيرَ أجر باعتباره إنسانًا وضيعًا (لاكرامة له)، وفي هذه المنزلة وُضِعتُ منذ البداية، وعملت في هذا المجال مضحيا بنفسي، وكنت أتعجل في أداء واجباتي التي كلفت بها، فلم أرَ المهانة التي وضعني فيها هؤلاء القوم الذين عينوني، وما فعلوه بي. وتبين لي كيف استخفوا بي منذ اليوم الأول، وما طلبوه مني كان أكثر مما كُلفت به بعد ذلك. ولم يزعجني نوعية ما كُلفت به قدر ما أغضبني الأسلوب الذي عاملوني به (وبخاصة المتعلمون منهم)، إذ إنهم كانوا يقابلونني باحتقـــار متعمـــد. وكان وضعي في هذه الوظيفة لا يمكن تعريفه أو تحديده. وعند إعطاء هذه الوظيفة أقل درجة من الاحترام تتزايد المهام

الواجب أداؤها؛ كان عليَّ القيام بهذه المهام إلى أن حلت سنة ١٨٨٤ التي استحدثوا عند بدايتها وظائف مساعدة لم تكن في الحسبان. ولم يكن من المنتظر أن تنشأ من قبل. وقبل إنشاء هذه الوظائف كنت أتحير كيف أقوم وحدي بكل هذه الأعمال المسندة إليَّ، وعانيت كثيرًا من هذه الأعباء، وتسبب ذلك في أن يصيبني الأرق ليالي، فلم أذق فيها طعم النوم. ومن يعرف الحياة اليهودية، ويعرف مصطلحهم الرسمي والهدف من عمق حجرة عملي الكئيبة الضيقة يمكنه أن يُكوِّن فكرة عن فظاعة الجزء الأكبر من أعمالي ومهانتها.

التف الناس حولي بطريقة غريبة ولكن لا يمكن أن توصف بالغلظة أو الوقاحة، (وإن كان هؤلاء التجار اليهود الذين كانوا رؤساء لي عاملوني بطريقة مزرية، متأكدين أنني شيطان صغير). استمتعت بتمييزي إلى درجة أن هؤلاء القوم في أثوابهم البالية أصبحوا لا يريدون التعامل إلا معي، وما أكثر ما سمعت عبارة "أين السكرتير؟" تصل إليَّ من الردهة أمام مكتبي. وعندما يتشجع الخادم، ويرى أن جماعة من الناس تلتف حول مكتبي أسمعه – عادة– يقول: "أستطيع أنا / أيضًا أن أتكلم معه". ٨٣

واعتاد الزائرون أن يدخلوا الحجرة الضيقة دون أن يطرقوا الباب – بطريقة مستفزة، وأحيانًا كان يجلس معي في هذه الحجرة الضيقة رئيس لمراقبة "كيف أدير العمل" وفي نهاية اليوم وبعد كل هذه الأعمال المضنية المملة التي أقوم بها يوميًا كنت أذهب إلى منزلي متعبًا أتصبب عرقًا، فألقي بنفسي (متهالكًا) حيث أرتاح فى الساعات القليلة المتاحة لي لأجلس إلى أعمالي العلمية. واستمرت الحال على هذا المنوال إلى عام ١٨٩١ حيث ساءت الأحوال بسبب الإرهابيين الذين انتشروا في العام ١٨٨٣/١٨٨٤ كما يتضح من الفقرة التالية:

كان ثمة مجموعة من علية المثقفين بالجالية اليهودية- ولن أذكر منهم إلا دكتور إيجناس هيرشلر ***Dr.Ignaz Hirschler*** – وكنتَ أعدهم آنذاك من أصدقائي، وكانوا يعرفون كل شيء كبُرَ أم صَغُرَ عن الأحوال التي ذكرتُها من قبل. ولم يجد أحد منهم أي شيء غير طبيعي فيما يحدث. وكنت قد عاهدت نفسي من البداية ألا أصرح لأحد بهذه الأشياء المهينة لكنني لم ألتزم بهذا العهد – لشديد أسفي – في بعض الأحيان، ولم أجد صدى لما أصرح به إلا هز الأكتاف وابتسامة معسولة ممن أقص عليهم ذلك، وأستمع منهم إلى كلمات مهموسة. وكان لدى هيرشلر قائمة بأسماء رجال مثلي يحملون مؤهلات علمية رفيعة، ويجبرون على ممارسة أعمال وضيعة، ولم تشتمل القائمة بطبيعة الحال اسم سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) ***Spinoza*** الذي كان يصقل الزجاج، أو باجيهوت (١٨٢٦-١٨٧٧) ***W.Bagoehot***[١]، وكان بذلك يريد أن يلطخ هؤلاء القوم من مثقفي الجالية اليهودية بالعار، لأنهم لم يرفعوا إصبعًا كي يجعلوا حالتي محتملة على الأقل. وكان من الواجب أن أتجمل بالصبر وأتحمل النير المهين الذي يلتف حول عنقي، بدلا من أن أضع نفسي بين المتعلمين. ولام الحبر تارفون ***Tarphon*** نفسَه أشد اللوم عندما كشف نفسَه للصوص الذين حكموا عليه بأشنع موتة كي يرحموه.

ولم يحقق لي الاحتفاظ بكرامتي إلا حياتي الأسرية السعيدة، وصلاتي العلمية الدائمة مع أساتذتي وأصدقائي بالخارج، والتقدير الذي أحظى به من كل مَنْ أتصل بهم من أوساط علمية تطلع على ما أقدّمه لها من دراساتي.

وقد بدأتْ هذه الفترة من حياتي عندما تفرغتُ للأعمال العلمية، ولم أترك أحدًا يستحق أن يُوصف بأنه مثقف دون أن أعرض عليه هذا الجانب المشرق، بصرف النظر عما أعانيه في حياتي من بؤس.

---

(١) كان كاتبًا سياسيًا، يحصل الضرائب (عوني).

٨٤ عندما قمت بفحص شئون الجالية التي أوكلت إليَّ وجدت بعضها في حالة غير مرتبة، ومنها جميع ما يتصل بالديانة بصورة خاصة، فإدارة الجاليـــة تتصــرف عكـــس ما يرد ذكره بالمؤتمر اليهودي المجري تمامًا. إذ يوجد هنا مذهب بلا دين، فحالة التدين هي آخر ما يمكن أن يصنع من اليهودي يهوديًا. فالإنسان يهودي فقط لأنه لم يولد من أبوين مسيحيين. أي إن المعول عليه هو الميلاد، وليس على التربية الدينية. وهذا ما يشترك فيه الإنسان مع الحيوان؛ إذ إن الحيوان يولد أيضًا حيوانًا. والعقيدة الدينية تتوارثها الأجيال مع تواصل خالص للأرواح. ولما كان هذا التواصل بما يطرأ عليه في كل جيل من فحوى يقوي وميضها، أو يصبح من السهل على طبقة معينة من اليهود التخلص من أحوال المولد غير المريحة –طالما أن الباب يوصل إلى مكان أرحب– بالانتساب إلى المسيحية.

ويلقي هذا التيار اللاديني الذي يمثله حاخامات الديانة اليهودية مَنْ يدعمه كلية، ويصادر على أحقيتهم فيما يتبعونه من أسلوب، وفي الطريقة المشينة التي يبنون عليها اجتماعاتهم وتصورهم ومفهومهم لوظيفتهم. وهم يشعرون بالارتياح تجاه ذلك. أما النظرية التي وجد هذا المفهوم الكهنوتي الشائن هيئته فيها فهي باختصار على النحو التالي:

١-لم نحس في قرارة أنفسنا بأننا يجب أن نعتنق الديانة اليهودية أو أن نعلمها.

٢-استُدْعينا لأداء وظائف معينة لا يمكن أن تُفهم، بسبب تحيز الناس لمن يلبس ثياب الأحبار.

٣-لما كان مؤتمر هؤلاء الرعاع هو الذي يصدر التعاليم بأن الإنسان يجب أن يزعم أنه يتبع أسس الربابنة الموسويين دون أن يراعي النقاط الأساسية لهذه القواعد في حياته، وسواء أكان يمارس هذا يوميًا وفي كل ساعة، أو أنه يهمل الرجوع إلى أسفار موسى الخمسة، وينكر قانون الأحبار. ومن ثمَّ يجب على الحبر أن يراجع وجهة النظر هذه ويعبر عنها شفاهة، وأن يفكر فيما يريد.

٤-هذا هو مذهب الحرية، الحرية في الكذب في الأمور المقدسة والكذب في الأمور الوظيفية.

٥-وخلافًا لذلك يجب أن يلاحظ الرأي إذا ما أخذ المرء على عاتقه تنفيذ واجبات وظيفته ضد أي إنسان نزيه قد يتطاول على مكافحة فصل المادة الثالثة عن المادة الرابعة من القانون فيصرحُ بالخطورة، ويمكن أن يعلن أن هذا جنون.

٦-الحبر هو أصل النفاق والكذب والتجديف بالله، وسبب الأزمات. وهو بأحط معنى للكلمة كوميديان (مهرج) /.

[٨٥] هذا هو علم العقيدة أو بالأصح تجربة ما يسمى "الرابينية" المتقدمة وبناء على قوانينها الأساسية التي أسست مدرسة التربية الرابينية وهي التي نقلت نتاج الرابينية وفقًا للفقرة السادسة عن المثل الموجودة بها.

ويمكن الآن تصور إلى أي درجة انحدرت الحياة الدينية وطريقة التفكير وفقا لهذه التعاليم. وقد فعلتُ ما أستطيع لمكافحة هذه المفاهيم وما يتبعها من ممارسات عملية، ولم يتأثر بذلك إلا الكاتب والشماسين[١] ولم يكن

---

(١) الشماس خادم بالمعبد اليهودي، ومساعد لرئيس العمل بالجالية اليهودية. (عوني).

لكلامي أي سلطة أو نفوذ على غيرهم، ومن ثم وُضعت في زمرة الوقحين الذين لا يستحون لأنني أبدي رأيًا حرًا لا يقبلونه عن فعلٍ فاحش مفضوح يميل إلى البطش بموقع جَعَلَ من قراراتِ المؤتمرِ تعاليمَ له. وعَزَّيتُ نفسي بأنني أتقاسم هذه السمعة مع جيسايا ***Jesaia*** وجرمايس ***Jeremais***. ولم يتسبب ما قلته في الوصول إلى نتائج حقيقية، أما ما زعمت بأن الحياة الدينية يجب أن تُبنى على الحقيقة فقد اعتُبِر في التو تحريفًا وسوء سمعة. وكان أفضل أصدقائي هم الذين يساوون هذه التعاليم بطموح فارس لامانشا ***Ritter von La Mancha***[1]، لكني وجدت موضوعًا يؤكد طموحاتي، وهو وجود مدرسة ليهود الجالية. وقد ورد هذا في المشروع عام ١٨٧٦، ولكن لم يهتم به أحد وتحدث القوم عن الاستغناء عن المدارس الإلزامية (الشعبية) التابعة للجالية، حتي يسد النقص المالي. ولم يتحدث أحد عن وظيفة لتجديد التدريس اليهودي ولم يهتم أحد بتعليم الدين. فتدريسه كان أمرًا شكليًا تنفيذًا للقانون فقط دون النظر إلى روح القانون وأهدافه.

كان الأحبار آخر مَنْ يجعل هذه الشئون ضمن اهتماماتهم، ومن ثم جعلت الأمر كله من اختصاصاتي. عُنيت باعتباري أمين لجنة المدرسة بالشئون الكتابية وأضفت إليها بكل سهولة كل ما يلزم لإدارة المدرسة، والإشراف عليها من أعمال كتابية، إلى الشئون الإدارية والتربوية.

وداومت اثنى عشر عامًا أواصل هذا العمل المُضني وحيدًا، إلى جوار شئون وظيفتي التي ترهق أي إنسان. كنت أمين القطاع المدرسي، وأمين

---

(١) بطل قصة ميجيل دي ثربانتس الإسباني "دون كيخوتي دي لا مانشا" الشهير عند العرب باسم دون كيشوت، وهو فارس كان يحارب طواحين الهواء. (عوني)

لجنته ومستشاره في كل الأمور، ورئيس خمسة وأربعين عضوًا بهيئة التدريس، وموجهي التدريس بالمدرسة، ومقرراتها الدراسية، ومذكراتها، وتنظيماتها.. إلخ.

كنت أقوم بهذا كله تحت ضغط الغضب الذي كان يتملكني لإشاعة انتشرت بأنني مُلحِد. وكنت جديرًا بأن ينسب إليَّ / أنني في هذا المجال [٨٦] أهدف إلى تدريس الدين وإعادة تدريس اللغة العبرية حتى نجحت. وبفضل جهودي أصبحت دراسات الكتاب المقدس تتضمن أيضًا معرفة اللغة العبرية. واجتهدت بكل إخلاص في إجراء سلسلة من التجارب بالدرس الديني وبجهد مضنٍ وابتهاج بكل خطوة، وعمل لا يكل ولا يمل، تمكنت من إعداد مدرسين لمادة الدين متحمسين، وأيقظت العاملين الذين لا يريدون إجهاد فكرهم، وأقنعتهم بضرورة تحقيق أهدافهم العليا والوصول إلى مناصب وظائفهم الشائكة العليا. وبعد مناقشات مريرة وكفاح، وبخاصة ما نشرتُه من مطبوعات وإصدار الكتاب التذكاري الذي أثار اهتمامًا، أمكنني أن أعيد تنظيم مدارس التلمود والتوراة التابعة للجالية اليهودية، وأن أرتب ما هي عليه من فوضى وتخريب. فأسلّحُها بأهداف حيّة أطمع في تحقيقها. وفي أثناء ذلك تزايدت أعباء وظيفتي الأساسية حتى فقدتُ الحماس لمواصلة أعمالي العلمية، لكن اختياري الحر لإدارة المدارس كان عملاً محببًا إلى قلبي، ولم أهدأ قط - بالكلمة المنطوقة أو المدونة- يومًا بعد يوم- عن الإشادة بالعمل المتطور الناجح.

وأخيرا اكتشفتْ الجالية عام ١٨٨٧ أن الشئون المدرسية تحتاج إلى إشراف خاص، فأنشئت وظيفة مفتش(موجه) مدرسي، وعُهد بها إليَّ، ولكن

كان عليَّ أن أقوم إلى جانب ذلك بالجزء الأكبر من عملي سكرتيرًا للجالية. وقد رفضتُ قرار رئيس الجالية بهذه الخطوة[1]، وما تفوه به في جلسة الأعضاء التي قلل فيها من أهمية ما قمت به في اثنتي عشرة سنة من جهود مضنية، وتحدث بطريقة جعلتني أشمئز، حتى اعتقدتُ أنني من واجبي أن أرفض الإساءة الموجهة إليَّ وأرفض ما عُرِض عليَّ من نقود شاكرًا.

أنشئت إدارة التفتيش على المدارس إذًا، وأسند إليَّ شرف إدارتها، وأن أقوم بكل أعمال التفتيش. وقمت بأداء كل عمَل كلفت به دون اعتراض رغم أن العفة (والاستقامة) كانت تتطلب منّي تقديرًا لعملي في هذا الميدان الاستقالة من كل هذه الأعمال.

في مارس من السنة الأولى لمعاناتي في هذه الوظيفة ظهر كتابي عن الأساطير "Mythos" لدى الناشر بروكهاوس *Brockhaus* بعد أن وصَّى بذلك ماكس ميللر *Max Müller*. وظهرت ترجمة إنجليزية للكتاب في العام نفسه (أي عام ١٨٧٧). وقد أثارت ترجمة الكتاب الإنجليزية اهتمامًا أكبر من الطبعة الألمانية، وأكثر مما كنتِ أتوقع عند كتابته. وما كنت أتوقع أن ما توصلتُ إليه من نتائج/ في دراساتي الدينية يمكن أن يحظى بهذا الاهتمام. ٨٧

لم تكن لديَّ أي مشاعر طائفية آنذاك، إذ إنني كنت أعترف بكل الديانات العالمية وأنبيائها الذين يمثلونها، والذين أعترف بهم منذ ولادتي يهوديًا، وأردد أسماءهم كما تعرفهم الكنيسة الإنجليزية، وكانوا يملأون هذا الجانب من حياتي الروحية باعترافي بمحبتهم، في حين كان الألمان في مدينة

---

(١) انظر الفصل التالي.

تيبنجن ***Tübingen*** لا يستطيعون التحكم في مشاعري الحرة في صباي بأحكامهم الإنجيلية المتميزة. وقد فهمني النقاد الإنجليز الأصدقاء منهم والأعداء. ولم يفهمني من الألمان إلا شتاين تال (١٨٢٣-١٨٩٩) ***Steinthal***(١) الذي أحس بمشاعري – بحكم أنه يهودي مثلي- في حين أن النقاد اليهود تدثروا بالصمت العميق. ولم ينشر أحد من اليهود عن الكتاب عدا بعض صحف يهودية إنجليزية احتجت على ما ذكرته عن إبراهيم وبنات لوط الخاطئات (المدنسات) وتشككت فيه كما لو كان خدام المعابد اليهودية الذين ظلوا منصرفين إلى ألعابهم الرياضية يتوقفون عند إبراهيم وبنات لوط الشهوانيات، وكأن فكرهم الآن ينكر اعتبارهم شخصيات تاريخية، إذ لم يبلغ مجريي اليهود أي كلمة من الكتاب المقدس كله لو لم تسجل صحيفة لويد المسائية ***Abendblatt des Lloyed*** النصوص المقدسة تسجيلاً غير أدبي، ولكن جاء زمن وجب فيه أن يتقبل الصهيونيون المجريون إلحادي، عندما وصل إليهم ما يُذكر من مديح لكتابي، وكان عليهم أن يعرفوه.

وافتتح في عام ١٨٧٧ (٤ من سبتمبر) حلقة نقاش رابينية بمدينة بودابست بعد حدوث أعمال السلب والنهب بمدينة هايناويشر ***Haynauischer***(٢). وكان معظم الأساتذة الذين دُعوا لحلقة النقاش من ميرن سواء بالميلاد أو بما يدل عليه مظهرهم. وكنت مرشحًا منذ سنوات للعمل بالمدرسة التي أُقيمت بها حلقة النقاش، وقد شاكرت في الإعداد لهذه الحلقة، ودُعيت بعد ذلك لعضوية اللجنة العليا. وكنت أعترض منذ عام ١٨٧٦ على أن أكون عضوًا بهذه

---

(١) أستاذ دراسات لغوية وفلسفية بجامعة برلين.

(٢) مدينة في شيليزيا هايدي ***Niederschies***، أصبحت تحت الإدارة البولندية ١٩٤٥.

اللجنة لفساد الأوضاع الدينية التي كانت تتخذها، وتجعلها السبب الرئيس في إقامة بناء هذا الصرح التربوي شديد الأهمية، ويصرون على ذلك، ويجهرون به. وقد أشاعت اللجنة العليا آنذاك أنني عدو لليهودية، وسَجلتْ أنني خطر على يهود المجر، ووسموني بهذا كذبًا عند الرعاع، وعند كل مَنْ تساءل عن عدم وجودي بين مدرسي المعهد. فعلوا ذلك بمهارة جعلتني أعترف بحنكتهم، وأحترم دبلوماسيتهم. ثم جاء الأساتذة من ميرن ***Mähren*** وكان عليهم أن يناقشوا الفقهاء، ولم يكن بين هؤلاء الأساتذة الأدعياء من يتميز بأية موهبة ولكنهم كانوا يتملقون الشاب كاوفمان ***Kaufmann***[1]، وهو خبير إعلان، وثرثار كبير.

تتمثل قدرته العلمية في مذكرات تافهة، وطرائف رخيصة. أما مواعظه فهي عبارات طنانة جوفاء تحوي نفاقًا وقحًا / بلهجة عبرية. 88

هذا هو الطفل الذي وصف بأنه طفل معجزة، والذي جعلته إعلاناتُ الصحف صانعَ مواعظ العصر، يطالب بأن يلتفَّ حوله الرعاع المطحونينَ، وسرعان ما تُدَنس رائحته النتنة ادّعاءه بالتقوى. وكل ما كان في هذا الرجل يعبِّر عن الخداع والادّعاء والأنانية والجشع. أفضت به شخصيته إلى الزواج من بكر عجوز طال بها العمر من عائلة غير يهودية، ولكنها تمتاز بأنها وريثة لنصف مليون فورنت ***Forint***. ولكي يتصالح مع الآلهة أعدم الأطباق وأدوات الطعام[2]، ووضع مكانها ما هو حلال (***Koscheres***). وانتشرت الرائحة الكريهة بعد ذلك حول الرجل الكبير، إذ إن العالم يُحبّ أن يُخدَع.

---

(١) كاوفمان (١٨٥٢-١٨٩٩) ***Kaufmann*** أستاذ بمدرسة الربابنة ببودابست، ومؤرخ.

(٢) أي يتصالح مع الإله يهوى، لأنه تزوّج مسيحية تأكل طعامًا غير حلال عند اليهود؛ أي لحم الخنزير. (عوني).

واقترب هذا الرجل القادم من منطقة ميرن طالبًا مصادقتي، ولكن مريديه كانوا قد كونوا حوله حلقة من الرعاع الجهلة.

وكان رؤساؤهم من الخسة لدرجة أنهم أرادوا مقارنتي به. ولم تكن هذه المقارنة – بطبيعة الحال– في صالحي، وبخاصة أن له أنفًا لطيفًا – رغم أنه يهودي جاهل– ينم عن رومانسية أكيدة، وكان يعشق الروح القدس الغريبة عني. ولكنها وجدت في كاوفمان **Kaufmann** وكيلاً عامًا لها، لزم عليه أن يترأس الجمع. أما أنا فكنت معتبرًا – بموطني– رجلاً معروفًا بالخارج، اختارتني الأكاديمية المجرية عام ١٨٧٦ عضوًا بها. ومن ثمَّ كان التنافس بيننا خطيرًا. وخشوا أيضًا أن أكون قد هربت إلى القاعات المقدسة بمورفاتوريوم **Morvatoriums**. وكان الرأي العام مجهزا للاستعداء عليَّ، إذ كان معدًا للاقتناع بأنني غير مؤهل للتخصص باعتباري مستعربًا في الشئون اليهودية بخاصة، واعتُبرت كافرًا عند الشعب.

وفي سنة ١٨٧٨ قرأ ثلاثة حقراء كتاب الأساطير **Mythos** ؛ رجل من صفوة المقربين عند كاوفمان، ولاعب شطرنج يدعى إيمانول بوللاك **Emanuel Pollak** وكلاهما من مجموعة رجل يدعى إيللن بيرجر **Ellenberger**، وهما من عبدة نجوم الميرن **Mährische Sterne**. وكل هؤلاء ترأسوا في العام نفسه حركة عجيبة، إذ جُمعوا من المقاهي التي يوجد بها رعاع يهود مدينة بست واعتادوا لعب "الكوتشينة" وقد كتبوا عريضة ووقعها عدة مئات موجهة إلى رؤساء اليهود المزيفين يطالبون فيها بإبعادي عن وظيفتي، مدللين على ذلك بقولهم إن مؤلف كتاب هذه "الأساطير" ليس جديرًا بشرف شغل هذه الوظيفة، ولذلك طلب مني مذكرة أرفعها إلى الرؤساء،

يمكن أن تقرأ بِمَلَفِي بالجالية. وللأسف خمدت هذه الحركة (وكأنها غرقت في مستنقع)، ولم يتحدث أحد عنها أكثر من ثمانية أيام.

ولو أنها استمرت حتى تتضح لكان هذا من حظي، ولاستطعت أن أقتصَّ من رعاع المعبد/ فقد الحقراء الحماس، ولم أعد في حالة تستحق أن أسجل انقطاع صلتي بهذه الدوائر غير المحترمة علانية. أما كاوفمان الثعلب فقد أصدر أوامر مضادة لأوامره السابقة بعد أن حقق هدفه بأن أعدَّ لي حكمًا بالإعدام حرقًا في حفرة حقيرة. وصار في استطاعة كل من يعرف القراءة أن يقرأ في كل مكان على الجدران أنني كافر. ولكنني لم ولن أحرق، بل سأتعرض للوشم بالنار(وشم الصليب بالنار على جلده) وأصبح مسالما إلى حدٍّ ما، ولا أنافسهم. يا إلهي! هل جئتُ إلى هذه الدنيا لأكونَ عاجزًا عن منافسة هذه الحثالة. [٨٩]

وفي هذه الأثناء انبثق شعاع من نور في زمن وظروف تحمل بذور الخواء الفكري تمثل في معرفتي بالسيدة لاورا متلر ***Laura Mittler***. ففي يوم ٢٩ من ديسمبر ١٨٧٧ وكان من الأيام الباردة التي يغطي فيها الجليد الأرض دخلت لأول مرة المنزل الهادئ الذي يسكنه طبيب القرية بمنطقة ***Arad Sz.Marlon*** الذي أصبح منذ ذلك الحين منزل أسرتي، وكنت أريد أن أستريح من ضغط العمل والإنهاك الذي أشعر به نتيجة الاستغراق في الدراسة. وساقتني العناية الإلهية إلى براوتشاو ***Brautschau*** وهي أقرب مدينة إلى بودابست؛ إذ لم أكن أستطيع أن أبتعد كثيرًا عن الأهل، لأنتمي إلى أسرة أخرى، فأنا أعتز بأداء واجباتي نحو أقاربي كلهم. وإن كنت أعاني أنانية العالِم الذي يَعُدُّ أهمَّ ما يصبو إليه هو مواصلة البحث العلمي.

كنت مستاءً من أنني تركت أكوامًا مما نقلت عن ابن حزم من جزازات، وعن الجدليين المسلمين الآخرين فوق مكتبي، أهملتُها كي أتعرف على فتاة. ولو لم أتخلَ عما أُجبرتُ على ممارسته وظيفيًا وهو ما نصحتني أمي الحبيبة بقبوله، ولو لم أنتهز فرصة التغيب عن وظيفتي مدة أيام ما كنت لأهمل هؤلاء الجدليين وأهجرهم، كي أتعرف على فتاة. ففي ليلة مضت –تأخر فيها القطار بسبب حادثة في العراء– وصلت بعد إحدى عشرة ساعة سفرًا بالقطار، وساعتين سفرًا بالمواصلات في ليلة أظلَمت فيها السماء إلى منزل طبيب القرية الذي حدثني عنه طوال الأسبوع السابق رجل ثرثار معجب به. واستقبلني الطبيب ودعاني إلى عشاء طيب. بقينا نتحدث بعده إلى منتصف الليل حديثا ذا شجون، وزال منه الحرج ففتحت له قلبي ببساطة لا أتحدث بها إلا لمن أثق فيه. وبذلك كونت الفتاة فكرة ما عن ازدراء العالم لآرائي. وتعاطفت معي وكانت هذه أولى الصفات التي حببتني فيها. وقد حفر ذلك بعمق في روحي طوال سنتين. /

[٩٠] قضيت الليل قلقًا. كان القصد من زيارتي أن أطلع الأسرة –كما تملي عليَّ مبادئي– أنه في حالة رفض طلبي الزواج من ابنتهم، فإن ذلك قد يؤدي إلى هلاكي الأبدي. ومع أول تباشير الفجر برق خاطر غير متوقع، وكأنما نزل عليَّ وحيٌ، فأصبح واضحًا لدي "أن الرب أرشد عبده إسحق"، وقبل أن أقابل الأسرة مرة أخرى، كتبت إلى أمي عن رغبتي في الزواج.

وفي يوم ٣١ من شهر ديسمبر تركتُ صحبة هؤلاء القوم الطيبين الذين أصبحوا أهلا لي. وبعد أن تبادل أفراد من عائلتينا الزيارات للاتفاق على الخطبة الرسمية، فزار منزلنا شقيق الفتاة مرات عدة، كما زار نسيبي

جليك ***Glück*** أسرة الفتاة، وصل إليَّ خطاب رقيق من الآنسة لاورا ***Laura***. وفي ٢١ من مايو ١٨٧٨ أقمنا حفل زواجنا في معبد تسوآراد ***zu Arad***، ويمكنني أن أصف زواجي بأنه كان زواجًا سعيدًا، وساعدني الرب، وروح والدي الطيبة باركت اختياري. وكان من المفروض أن الزواج لمثلي ولمن له مثل طموحي يمكن أن يجعله غير سعيد...[١].

نوعية الناس الذين أعاني لقاءهم، جعلتني أتبين لأول وهلة، أن من واجبي أن أتجنب صحبتهم، وألا أتعرض لزفيرهم الكريه. ولم يبقَ إلا وسيلة للخروج من هذا المأزق وهي أن أنكب على العلم الذي يمكن أن يحفظني عندما أستطيع أن أتخلى مخلصًا وبكل رضى عن لقاء الشخصيات الكريهة. ويمكن أن أقضي وقت الفراغ -بل يجب- في صحبة الكتب. إن هذه الصحبة وما أفيده منها يجعلني أستعيد ذكريات طفولتي، وكل ماضٍ وأنتعش بها، وأن أتحمل تقززي من أكوام القذارة والمهانة التي تحيط بي. وفي هذا الوسط كان يجب أن أحمي حياتي الأسرية التي يجب أن تتوافق مع مبادئي، وكراهيتي للنذالة والحقارة. وكانت هذه مهمة أصعب من كل تحمس لا طائل منه لتغيير الواقع من حولنا. ولكن بمخالطة السفلة والعامة التي تعد أساسًا لممارساتي اليومية. وكان هذا الاختلاف هو القوة الدافعة لحياتي الذهنية لحل المشاكل الكبيرة التي ترتقي بي إلى الصفاء النفسي أو تغرقني تمامًا في مستنقع. وكان الكفاح ضد هذه المشكلة هو الإطار الخارجي لحياتي. وفي هذه اللحظة تبينتُ أنني لم أسقط في هذا المستنقع. /

(١) سقطت الصفحتان ١٦٦، ١٦٧ بالمخطوطة وكتب بدلا منهما بخط بروفسير كارل جولدتسيهر "هذه الورقة انتزعتها والدتي المسكينة من اليوميات".

[٩١] قهرتُ بجلد الشهيد ومداومته أشد الأزمات المثيرة للغضب التي كانت عبئًا على كاهلي بسبب معتقداتي الدينية. وعلى الرغم من الأوامر يمكنني أن أقول: إنني رفعت رأسي واستبسلت في ليال سهرتها وحيدًا كالبطل، فأوقدت مصباح الدراسة لأصد الشياطين التي تحاصرني طوال أيامي بشماتة كي تضغط عليَّ بكماشة محمية بالنار وتملأ رأسي ببخار نتن، ولكنه كان يوجد على عتبة مكتبي تعويذة عُرفت منذ عقد ونصف للحارس درويدن فوس *Druidenfuss*(١). وكل ما عُلِّق على كاهلي، وكانت أمورًا فظيعة ومذلة، بدَّلته وجعلته في سياق رسالتي في الحياة.

عند التساؤل عن كيفية تكوين هذه الحياة المتناسقة المتوازية الخاشعة، لو أنني تزوجت امرأة أخرى مشحونة بأفكار تلك الجماعة التي تحتقر ثقافتي (أو تَدَيّني).

ومن ثم فإنني أحمد الرب الذي آمَنَ به آبائي وأشكره خاشعًا لرحمته بي، وأن جعل هذه الخطوة من حياتي سعيدة. وجعلني محترمًا في ماضيَّ. وكان من الممكن أن يقودني إلى حفرة من سوء الحظ والكآبة. الحمد والشكر للرب.

أدركت زوجتي طموحاتي وحمتني من الاضطهاد والتعقب والمطاردة التي لا تتوقف.

كَتَبَتْ زوجتي على السبورة: "إنني أضع يهوى نصب عينيّ"(٢) وجعلتها تزين مكتبي، ولذلك لا أخجل في منزلي، وأحمده على أطفالي الذين

---

(١) هي تعويذة تُستخدَم حمايةً من السحر والأرواح الشريرة. (عوني).

(٢) المزمور ١٦، آية ٨.

أهداهم لي وسيتمكنون فيما بعد من النطق بهذه الكلمات التي أقدم بها هذه اليوميات، فالعدالة والرحمة في منزل والديهما هما اللتان سادتا وحققتا للحياة الأسرية أعلى قدسية. وسيستطيعان يومًا ما كتابة هذه العبارة، ولن ينسيا أن أمهما ساعدتهما على ذلك.

أما كفاحي وحروبي طوال حياتي فلن يعرفاه إلا من هذه اليوميات، ويمكن أن يعرفا أنه لم يكن في استطاعتي أن أخرج من هذه الحروب منتصرًا لولا مساندة زوجتي الشجاعة، وتسريتها عني، ومؤازرتي. وكان احترامها لي وحبها الفياض يعوضني عن احتقار يهود العالم كلهم، وبخاصة المحيطون بي، وما أعانيه من كراهيتهم واحتقارهم. وسيفهمان أيضًا كيف كان من الممكن أن أخرج من مسيرة حياتي المليئة بالأشواك والألغام منتصرًا رغم كل نقائص وأخطاء أعمالي، وما صاحب أفعالي وانعزالي وتنازلي. وعندما يقرآن كل هذا فعليهما أن يتذكرا أن اسمي / لم يلق تقديرًا إلا بمساعدة أمهما مساعدة مخلصة طوال حياتي. ٩٢

يمكن أن يصدر حكم موضوعي بأن الأعمال التي أنجزتُها في الفترة الزمنية ١٨٧٦-١٨٩٣ ونشرتُها من أعمالي العلمية في هذه الأوقات العصيبة جديرة بشهادة جيدة، إذ إنني كنت مجتهدًا في جمع المعلومات، ونشيطًا في التخطيط للدراسات. وقمت في هذا الوقت بكتابة دراسات أكثر عددًا مما نشرته بها. فقد واصلت دراساتي في تاريخ الأديان بهمة، وعقدت بالجامعة عددًا من حلقات النقاش عن تاريخ الأديان والأساطير... إلخ. وكانت الدراسات الإسلامية فوق الأرفف عوامل مساعدة على اتساع دائرة التفكير الممكنة؛ وما أكثر ما انشغلت بالدراسات الشعبية الإسلامية، وما يتصل بها

من اللهجات الشعبية العربية التي تتحدث بها الجماعات العربية. وفضلاً عن ذلك اهتممتُ بكتب الفقه الإسلامي المتاحة لي آنذاك، فتعمقت في دراسة تفسير الفخر الرازي الضخم في مجلداته المخطوطة العشرة الذي أهدانيه رئيس البرلمان المصري السابق مصطفي باشا، فهمي الذي يسر لي الاطلاع على مخطوطات القسطلاني العشر التي ضممتها إلى مكتبتي. أما كتاب النواوي في شرح صحيح مسلم فقد كان عليَّ أن أرده. وأعدتُ قراءة ابن حزم مرة أخرى، وقراءة سلسلة من الكتب عن العقيدة الإسلامية؛ ونسخاً خطية تمكنْتُ منها من معرفة الأدب الشعبي العربي، وأتاحت لي الدراسة المنظمة للمواد التي أرغب في دراستها، إذ إنني أعدت قراءة اثنين وثلاثين كتابًا في سيرة عنترة، وعرفت سيرة سيف (بن ذي يزن) لأول مرة. وكنت أطالع ألف ليلة وليلة بالفراش قبل النوم.

تسبب خوفي من التخصص في فرع واحد من العلوم، وطموحي إلى تنشيط ذهني باستمرار، وتعطشي للاطلاع على ميادين أجنبية في مطالعة الأدب الإنجليزي بفهم في هذا الوقت. وأصبحتُ أيضًا عبدًا مسلوب الإرادة لتاريخ الحضارات، وأدب الرحلات ولم يفتني في هذا الميدان الاطلاع على الآداب الآسيوية والإفريقية.

شُغلت بالدراسات الأدبية في هذه السنوات أثناء فترة الراحة المتاحة لي يوميًا، أما إعداد الخطط فلم أتمكن منه إلا أثناء الإجازة السنوية التي كانت مدتها خمسة أسابيع سنويًا، وكنت أقضيها عادة فوق الجبال أو على شاطئ البحر. ولم أتمكن أثناء العام إلا من كتابة مقالات صغيرة أو إصدار أوامر بنشر الأعمال الكبيرة. أما الدراسات والكتب الكبيرة فكان إنجازها يتطلب

انتظار العطلة السنوية بأسابيعها الخمسة. وكنت أقضي هذه العطلة -عندما كنت أعزب أو بعد الزواج من لاورا - في المناطق الخلوية الجميلة التي تنعش النفس. كانت هذه العطلة هي التي أتمتع فيها بالشعور بأنني إنسان، وإن كانت لم تسلم تمامًا من شعوري بالتخلص من / حياتي الوظيفية المهنية. وجعلت أيام العطلات التي خصصتها للنشاط للإفادة من أداء واجباتي الأدبية، وتمكنتُ عامًا بعد عام من أن أنجز كل هذه الأعمال، وكنت أتفرغ ستة أسابيع لإتمامها.

٩٣

وكان هذا هو سر حصولي على شهرتي بالاجتهاد في دراساتي؛ ففي أول أيام عطلتي (في يوليو ١٨٧٦) التي قضيتها في ضيعة صديقي البارون فون ريفاي ***Baron von Révây*** في منطقة ترنسنير ***Trencsiner***، قمت برحلات في منطقة ***karpathenwelt***. وفي هذه الأثناء شغلت بإعداد الدراسة التي سألقيها عند بدء عملي بالأكاديمية عن مقارنة تاريخ الثقافة العربية الشرقية بمثيلتها العربية الغربية وفي الوقت نفسه نشرت مختصرًا باللغة المجرية عن تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب. " ***Geschichte der Sprachwissenschaft bei den Arabern*** ". وظهر العملان بنشرات الأكاديمية المجرية التي اختارتني في يناير ١٨٧٦ عضوًا بها، ثم نشرت بعد ذلك -إلى جوار المقالات عن فيلولوجيا كوزلوني ***Philologiai közlöny***- سلسلة أخرى من المقالات بمجلة المستشرقين الألمان ***ZDMG*** وأهم ما فيها مقالات أدب الجدل في الإسلام، والأغاني الشعبية المصرية. ثم ظهر لي بعد ذلك دراسات عديدة كبيرة وصغيرة في المجلة نفسها. فكتبتُ مثلا -باعتباري حديث الزواج سعيدًا- بحثًا لإيبرس ***Ebers*** عن مصر بالصورة والكلمة ***Ägypten in Bild und Wort***

الذي كتب عنه إيبرس مقالة تمتدحه، فكتب في مقدمتها أنه "عمل رائع" وحكم على دراستي بطريقة ودودة غير معتادة. وعند تأسيس المجلة الفرنسية المصورة عن تاريخ الأديان *"Revue de l'histoire des religions"* انضممت إلى جماعة المحررين الذين رحبوا بي، وأثارت مقالتي "عن الثقافة الدينية في الإسلام *"Über den heiligencultus im Islam"* التي نشرت بالمجلد الثاني لهذه المجلة المصورة، ووجدت اهتمامًا عند كثير من القراء، وتقبلوها تقبلا حسنا. واشتغلت في مدينة لوسزيفنا ***Lucsivna***– وهي مدينة استجمام بالكاريبي– عام ١٨٨٠ التي نشرتُ بها جزءًا من كتابي "الإسلام" باللغة المجرية *"Az iszlám"* بتكليف من دار نشر الأكاديمية المجرية. وانتهت هذه الفترة من انشغالي بالحياة الأدبية عام ١٨٨٣ بظهور كتابي "الظاهرية" *"Die Záhiriten"* في ليبزج، مما أدى إلى نجاحي في ألمانيا، باعتباري عالمًا بالإسلام محببًا لديهم، ومتخصصًا في هذا النوع من المعرفة مثل سنوك هورجروني ***Snouck Hurgronje*** الذي تراسل معي، مما شجعني على التعمق في هذه الدراسات والانكباب عليها بطريقة غير معتادة. وتوافرت بطبيعة الحال في كتاب "الظاهرية" بتعمق واستعراض التأملات النظرية في الفقه الإسلامي بالكتابات الأوربية. / وانتهت هذه الفترة الطيبة باشتراكي في مؤتمر الاستشراق [٩٤] السادس بليدن ***Leiden***. وكنت قبل هذا بعيدًا عن هذا التجمع. وكان "صديقي" فامبيري ***Vámbéry*** هو الذي أفقدني الشجاعة لزيارة هذا المؤتمر أو ذاك. وكان لدي شعور بأنني سأكون أحقر شخص وسط هذه النخبة المنتقاة في مثل هذه المؤتمرات التي يحضرها مشاهير العلماء في تخصصي. وشعرتُ كما لو كان كُتب على جبيني كلمة شماس ***Schammes***، وكان هذا ما يجعلني أخشى من وجودي بين رجال يعتبرون الاشتغال بالعلم مهنة شريفة. وأفهمت

نفسي أن اشتغالي بالعلم ليس عملاً فرديًا أهرب به من الشعور بالذل والمهانة في حياتي المهنية؛ ولذلك اعتبـــرت وجـــودي فـــي وسط الجماعات العلمية لا يُضيفُ إليَّ أية قيمة خاصة، وما ظننتُ – مطلقًا – أنني من الممكن أن أكون عضوًا بها. وكنت أكتفي بوجودي وسط جماعات من مستواي فقط.

ولكن أُغريت بالذهاب إلى ليدن ***Leiden***. وازدادت لهفتي للعودة ومعي زوجتي إلى المكان الذي شهد اجتهادي في العمل شابًا، وأكدت الخطابات المشجعة التي تلقيتها من دي خويه ***De Goeje***، وسنوك ***Snouck***، وأنديرين ***Anderen*** وغيرهم ضرورة حضوري المؤتمر، وكانت عندي رغبة خاصة في رؤية سنوك الذي أشعر بالانجذاب إليه لمشاركتي له في العمل بالحقل اللغوي نفسه، وكنت حريصًا على التعرف عليه شخصيًا. ومن ثم انطلقنا – زوجتي وأنا– من نوردرناي ***Norderney*** حيث أمضينا شهرًا، وقمنا بزيارة المؤتمر في مهمة رسمية. وبعد تفقد معرض أمستردام، وبعض المدن الهولندية – أذكر منها هارلم وحمام زاندفورت ***Bad Zandvoort***..وصلنا إلى ليدن حيث حظينا باستقبال عظيم ومشرف، وأحاطنا رئيس المؤتمر الأستاذ أبراهام كوينن ***Abraham Kuenen*** – ناقد النصوص الدينية المشهور– بترحيبه. وكذلك فعل المستشرقون الهولنديون وعائلاتهم الذين نعمنا منهم بترحاب متميز.

وشعرت زوجتي بارتياح بين زملاء التخصص، كما وجدت كل الأسباب التي تقوي الشعور بالثقة بينهم، وتجمَّع حولنا حشد صغير من المعجبين بدراساتي، وكأنهم تواعدوا على ذلك للتعبير عن شعورهم نحوي.. واخترت نائبًا لرئيس شعبة الدراسات الإسلامية، ويمكن تقدير هذا التكريم

عندما يتبين أنني بذلك أصبحت زميلاً لكلٍ من ستانز لاوس جويارد Stanislaus Guyard الشهير[1] وكليمونت جانوى Clermont Ganneau (١٨٤٦-١٩٢٣) وهو مستشرق فرنسي وعالم آثار. عُينت أمينًا عامًا للمؤتمر (سكرتيرًا). وقد لقى المختصر الذي أعددته لكتابي عن الظاهرية – الذي كان تحت الطبع– استحسانًا عظيمًا. وصرح الشيخ أمين المديني الذي تُرجم له مضمون محاضرتي أنه يعتبرني ندًا لشيخ الإسلام/.

كان لقائي مع أهم المشهورين في الفرع الذي أتخصص فيه أعظم فائدة [٩٥] حصلت عليها: وكان على رأسهم تيودور نلدكه (١٨٣٦-١٩٣٠) *Th. Nöldeke* وهو مستشرق وأستاذ بجامعة ستراسبورج، استطعت أن أقيم معه هنا علاقة قوية، ورأيت لأول مرة في حياتي سوسين (١٨٤٤-١٨٩٩) *A.Socin* وهو أستاذ بجامعة تيبنجن ثم ليبزج، وتوربكي (١٨٣٧-١٨٩٠) *H.Thorbecke* وهو واحد من تلاميذ الأستاذ فلايشر *Fleischer* الذي جعل دراسة اللغة العربية وتاريخها من الشعر القديم من واجبات حياته العلمية. واهتم بقراءة كتابي الأخير عن الشعر الوثني *Heidnische Poesie*. وقدم لي عدة اقتراحات حيوية. وأقمت علاقة قوية أيضًا مع أوجست ميللر (١٨٤٨-١٨٩٢) *August Müller* مستشرق وأستاذ بجامعة كينجزبرج وهاللي. وكان له أهمية كبرى ساعدتني في دراساتي العلمية التي قمت بها بعد ذلك. أما زاخاو *Sachau* المتغطرس، فقد نظر إليَّ من أعلـى إلـى أسفـل بتكبـر. وتعرفت على ديرنبورج الأب (١٨١١-١٨٩٥) *J. N. Derenbourg* أستاذ اللغة العبرية القديمة (لغة التوراة)، والمحاضر بالمدرسة التجريبية للدراسات العليا *Ecole Pratique des Hautes Etude*. وكذا

(١) كان يدرس اللغة العربية واللغة الفارسية منذ ١٨٦٣ بمدرسة الدراسات العليا.

تعرفت بابنه هارتفج ***Hartwig*** وزوجته. وكان عليَّ أن أقتنع بالسطحية التي تخفي تحتها طموحات الابن الصغير. وأنعشتني نظرة العالم الجسور روبرتسون سميث (١٨٤٦-١٨٩٤) ***W.R.Smith*** أستاذ النحو العربي بجامعة كمبريدج منذ عام ١٨٨١- الذي جمعني وإياه عشاء تسوده الألفة والمودة لدى كوينن ***Kuenen*** انضم إلينا فيه الزملاء الذين يؤمنون بقوانين الكهنة التي دُوِّنت بعد الخروج من السبي البابلي وقد جمعني المؤتمر أيضًا بسنوك هوجروني ***Snouck Hurgronje***، وكان يحمل بين جنبيه بواكير أعماله الضخمة. وسرعان ما تفاهمنا على أن نقوم بعمل مشترك عن الشريعة الإسلامية. وبعد عدة لقاءات بالأيام الأولى للمؤتمر تبينا أننا متفقان فيما نتبعه من أسس نقدية قوية في دراساتنا.

وهكذا مضى اثنا عشر يومًا في مناقشات علمية وصفاء اجتماعي. ورحلنا جميعًا في صحبة ديفيد هاينريش ميللر ***David Heinrich Müller***. وفي مدينة دن هاج ***den Haag*** وقفنا جميعا بكل احترام أمام تمثال سبينوزا ***Spinoza***. وفي روتردام ***Roterdam*** تمتعنا بسياحة حول الميناء الفخم، وفي كولن ***Köln*** زرنا صديقي القديم رجل الدين الكاثوليكي فيل ***Fell*** – وهو الآن أستاذ بجامعة منستر ***Münster***. وقام معنا بنزهة- باعتباره خبيرًا بعالم الكنائس في كولن-. وفي طريق العودة قمنا بنزهة بنهر الرين من كوبلنز ***Koblenz*** إلى ماينز ***Mainz*** ثم انتهت بالسفر على الفور بالقطار إلى فيينا.

وفي محطة السكك الحديدية شاهدنا أول مظهر من مظاهر الحياة اليهودية المجرية، إذ إن ميزاي (١٨٦٠-١٩٢٧) ***F.Mezey***(١) – المسئول عن الذبح الحلال بالمكتب اليهودي، وموريتزكند ***Moritzkind*** مسئولين عن

---

(١) ميزاي (١٨٦٠ – ١٩٢٧) أصبح فيما بعد رئيس أول مكتب إسرائيلي في المجر.

مصاجبتي إلى أمستردام، وجعلاني أعترف بأنني أسير خطأ في عكس الطريق الذي يؤدي بي إلى وطني.

وبعد الأيام الرائعة التي قضيتها والتي ذكرتني بالأيام التي عشتها في ليدن عام ١٨٧٦، وجب عليَّ - رغمًا عني - أن أعود إلى التفكير في الوسط الفظيع الذي سأعود إليه، ومن ثمَّ مثّلت هذه الأيام حدودا لفترة انتهت من حياتي. / والآن تبدأ حقبة جديدة بها يجب أن يطبع على جبيني لافتة باسم "رجل بولندي يهودي" وظيفته الأصلية أن يخنق البراعم الجيدة التي كنت أعدتها من هولندا لإحيائي (لإعادتي للحياة). انتقلنا إلى حقبة جديدة من الحياة. هيا إلى الأمام. هيا إلى الأمام. أيها اليهودي الأزلي. [٩٦]

١٨٨٣ - ١٨٨٩

عندما عدت من المؤتمر الدولي للمستشرقين بليدن، حيث قوبلت بترحاب وباحترام وتقدير من كبار العلماء في فرع تخصصي. وقابلني في وطني بعاصفة من الاستقبال مَنْ يُقال عنه إنه رئيس الجالية اليهودية، الذي قال لي:" لن يُسمح لك مستقبلا بالتغيب ستة أسابيع عن الجالية، طالما بقيت في منصب رياستها".

ذلك أن تجديد انتخاب المجلس الرياسي كان على وشك الحدوث، ولكن سيادته لم يحظَ بإعادة انتخابه، وانتُخِب -بدلا منه- أحد المحامين، وقد كان السبب عند الاختيار. وقبله أن شعارات انطلقت تصرِّح بأن الجالية تحتاج أن يمثلها رجال مثقفون شرفاء يشرفونها بالخارج، ولم يكن نويفلت *Neuwelt*[1]

(١) نويفلت *Neuwelt* رئيس الجالية الإسرائيلية في بست (١٨٧٤ ــ ١٨٨٣).

المُسِنّ يصلح إلا أن يكون في سلخانة المكتب المحلي. وكان وجوده يمثل خطرًا على اليهودية. ومن ثمّ وجب أن يوضع على القمة هذا الرجل الثري المثقف الذي لا يتسم بالوقاحة. ولم يكن التواضع والنصف مليون كافٍ لأن يمثل السيد نويفلت يهود بست *Pest*، في حين أن إسزلار *T.Eszlar*، كان رجلا يملك خمسة ملايين على الأقل. ووجدوا ذلك متوفرًا في عضو مجلس بلدية الإمبراطورية مورتز فارمان *Moritz Wahrmann*(١). وكان من المفروض أن يترأس المجلس قبل ذلك بثلاث سنوات، ولكن رغم ما وُعِدَ به (كذا يسمع بعض الناس منه) استبعدوه بخشونة مما جعل الغالبية الغاضبة من الأعضاء الأربعين الذين ينتمي إليهم يسحبون منه العضوية. هذا الرجل نفسه ينصَّب باحتفال كبير على كرسي الرياسة بعد أن أصبح وراثيًا، بعد أن يئس اليهود من العالم المسيحي. ولذلك عُين رئيسًا وقَبِل ذلك رغم ضعف صحته لأنه اعتبر ذلك واجبًا دينيًا، لأن الظروف آنذاك كانت تحتم ذلك. / وبمثل هذا تقريبًا رتّل أمام المجمع المحتفل –في عماهم بعقيدتهم الدينية لا يلتفتون إلى الشتائم التي نطق بها، ولا يأخذونها مأخذ الجد، أو ما فيها من ألفاظ لا يصح أن ينطق بها. أما نويفلت المسكين الذي جعل نفسه لسان حال عبودية الجماعة لخلفه (لمن يأتي بعده)، وهذا الآخر......

٩٧

ولما كنت لا أنظر إلى هذه العلاقات باعتبارها وُجدت للصالح العام، ولكنها تؤثر عليَّ شخصيًا، وجب عليَّ أن ألخص ما يمثله عندي مجلس الرئيس فارمان *Wahrmann* في دورته الانتخابية الثالثة بالنسبة لي، فإن قلمي

---

(١) م. فارمان (١٨٣٢-١٨٩٢) *Wahrmann* أول عضو يهودي بالبرلمان المجري، ورئيس الجالية الإسرائيلية ببست.

يَعِفُ عن أن يطلع أبنائي على الحقيقة كاملة، ولكنني أعمل على تربيتهم تربية تحث على التخلق بالأخلاق الحميدة، ومن ثمَّ لا أريد أن يدركوا حقيقة ما حُتِّم على والدهم من فزع طوال السنوات التسع التالية، مما ينبغي أن تتطهر منها نفسه وتتنقى من ظلماتها. ففي اليوم الأول الذي التقيت رئيس العبيد الجديد (وأنا واحد منهم) تخيلت صورة الزمن الذي سأعيش فيه، وما حُكم عليَّ به. وإن كان قد ساورني الأمل فترة قصيرة؛ إذ إن هذا الرجل الذي يلوِّح بالسوط أمامي احتك كثيرًا بالعناصر المثقفة في بلدنا، ولعله عرف منهم أن ثوب كاتب الجالية (يعني شخصه هو أي جولدتسيهر) بُطِّنَ ببطانة شريفة، وبمعرفة هذا، كنت أتوقع معاملة رفيعة المستوى تتناسب مع ما سمعه من هذه الجماعة عنِّي. ولكن سرعان ما اتضح لي كيف كنت ساذجًا للغاية عندما توهمت ذلك عن رجل أصبح عضو رياسة المجلس، وغيره من مجالس إدارة الجالية، وكيف كنت دابة مسلوبة، غرقت في الوحل. وكانت الإجراءات الأولى التي اتخذها تعني تجريدي من مهام وظيفتي الرسمية لتصبح أعمالاً خدمية. والحقيقة أنني كنت لأول وهلة عند التقائي معه شخصيًا وفي زياراته الأسبوعية المتكررة أحظى للأسف بحكمه عليَّ بالفشل في أداء وظيفتي. ويتسبب ذلك في لحظات أليمة تفسد عليَّ نهاري وليلي، ولم تخلُ هذه اللقاءات أبدًا من قسوة منتقاة كان يعاملني بها، وكانت أتفه الأشياء التي تصدر عني تجعله يبدي اشمئزازه، وكانت المعلومات التي تصدر عني تعد معلومات سطحية غبية. وغالبًا ما كنت أتحير في حضرة خَدَمي.

وكان يجب عليَّ ألا أهتم كثيرًا بما يُوجهه إليَّ من سباب وشتائم دون أن أطلب من أحد أن يساعدني في ردها. وفي جلسات مجلس الإدارة ندد رئيس

المجلس بي، وقدح في أداء وظيفتي، كما ندد بضيق أفقي مئات المرات. وكنت أحضر المجلس آنذاك باعتباري كاتب الجلسات. وعند غيابي عن المجلس [٩٨] يتكلم / في حقي ويوافقه زملاؤه على ذلك، مرددين ما يقوله عن جهلي بإدارة الأمور المالية، وكيف أنني لا أحسن توجيه الإدارة في المسار الصحيح، بل أقف عقبة في سبيل الإدارة الصحيحة. وهذا ما سمعت أنه يدور أثناء تغيبي عن المجلس، وهو ما لم يكن يقال أثناء حضوري الجلسات. ولم يصل إليَّ ذلك رسميًا، ولكن كثيرًا من الإشارات التي سيقت إليَّ جعلتني أعرف شيئا عن النغمة التي قيلت بها هذه العبارات، والغرض الذى تهدف إليه، والمقصود من الخوض في سيرتي وصفاتي الشخصية، وكل ذلك حدث في الأوقات التي كنت أقوم فيها بما كُلفت به من أعمال متواضعة، وأعمال تزهق النفس، ولقاءات تفرض عليَّ، وتستمر ساعات طوالا يوميًا. كل هذه الأعمال واللقاءات الدائمة من حثالة القوم المنبوذة تُقوّي من عزمي حقيقة، مقارنة بما كان يحدث لي من لقاءات مع رئيس الجالية، سواء عند مخاطبته أو القيام بأعمال السكرتارية بالجلسات التي يترأسها. ولكي أعطي قارئ هذه اليوميات فكرة عن طريقة تعامله معي أقدم له نبذة من حديثه معي دائمًا وتعبيراته عني. وكان هذا قطرات مختفية في بحر من الجفاء والقسوة ينصب كسيل فوق رأسي. وبالطبع كانت الغمغمة والزمجرة هي هدية المليونير العظيم للعالِم الفقير في مقابل قلم ليس في استطاعته نقل ذلك إلى الأجيال التالية.

١٨٨٣

– قال يومًا لأحد العاملين: بلِّغ فلانًا (رجل من مرءوسي جولدتسيهر) أن يفحص جيدًا هذا شهادةَ الفقر المقدمة قبل عرضها لأنني سأكون غاضبًا عليه، إن قدمها دون حجة قاطعة تدل على صحتها.

- وفي جلسة أخرى لمجلس الإدارة قال: أنا لا أعرفُ الرحمة. إن لدينا إدارةً رديئة، إدارتنا رديئة، وكذلك أيضًا القائمون عليها.

- وقال لي يومًا: أرجوك لا تجعلني أُجَن بمثل هذا الغباء.

أغلظ من هذا ما أنقله عن سنة ١٨٨٤:

- قال أثناء جلسة حضرتها: أرغب أيضًا في التغيير، ولكن هذا مستحيل لوجود هذا الشخص (أي جولدتسيهر).

- قال في رد التماس قدمه - للمرة الثانية - عالمُ دينٍ محترم يطلب فيه مكافأته عن أربعة أشهر قضاها في أعمال الجالية، في حضرة قومٍ آخرين: إذا بحث المرء عن دكتور جولدتسيهر، فسيستقبله ريجوسي ***Rigócy*** لأن دكتور جولدتسيهر غير موجود.

- قال في جلسة أخرى عندما أبطأتُ قليلاً في ذكر أحد الأعداد: "دعوني/ أخرج، ولا تُحضروا هذه الأشياء كل لحظة. إن الناس يصوبون المسدس إلى عنقي". لا يمكن أن يظل الأمر هكذا، نحن لا نستطيع أن نحظى بأية معلومات أثناء الجلسة. لا يوجد في أي مكان آخر ما هو أشد إهمالاً وتراخيًا. [٩٩]

- وقال: "لدينا بالإدارة علماء أكثر من اللازم، وموظفون أقل مما يجب".

- سألني مستهزئًا: "ألم أخبرك بهذا أكثر من مرة؟".

- أمرني إجابةً لأحد مدرّسيَ فن ***Kalligraphie*** الذي قدّم طلبًا يلتمس منه عونًا ماليًا: عَنْوِن الخطاب، فلنْ أخطط نص الملف بناءً على رغبتك.

- صاح غاضبًا: يريد كل موظف ابتزاز المال، ولكن لا يهتم أحد بشئون الجالية.

١٨٨٥

– سألني مستهزئًا: "تريد أن تصبح فليسوفًا؟ إذا ما أجابني طفل في الرابعة من عمره مثل إجابتك وبخته: (قال لي ذلك في حضرة عدة أشخاص).

ومن هذه الجملة الأخيرة أدركت استحالة الاستمرار في تدوين مثل هذه الملحوظات، وبمرور الوقت تضخمت الأمور، وأصبحتُ أكثر جسارة. ولم أفكر في المقاومة، وكذلك إذا استمع رجل منهم إلى هذه العبارات، وما هو أشد منها فظاظة تُوجَّه لرجل يلتزم أدبيًا بأداء عمله، ولولاه لما أضيف جديد إلى هذه الوظيفة التي يشغلها، ولكنه يقبع الآن في مصيدة فئران قانعًا بما يتلقاه من معذبه. ومع الاحتقار الذي يعرب عنه زكيبة النقود متوازنًا مع الاستهانة اللاحقة من النذل الجبان البادية في بسماته الساخرة. وفضلاً عن ذلك فقد كانت الشئون الضخمة للوظيفة أصبحت لا تحتمل ولا تطاق، فلم أكن أحظى بأي دقيقة راحة أثناء العمل؛ ففي حجرتي يتجمع بعض أعضاء مجلس الإدارة الجهلاء يتفاوضون بأصوات عالية مع بعضهم البعض بينما يحيط بي عشرات من الأحزاب الذي يجب عليَّ في الوقت نفسه أن ألبي طلباتهم.

وفي أثناء ذلك يجلسون على الكراسي ويمدون أرجلهم على كراسٍ مقابلة، معسكرين في حجرتي. وكانت هذه هي المناظر اليومية التي أحظى بها في حياتي الوظيفية المحترمة. وكانوا يتنقلون أثناء فترات الراحة من مكان إلى آخر، ويدخلون ويخرجون من الحجرة يتبادلون الحوار بأصوات عالية، سواء أكانوا داخل الحجرة أو خارجها، غير آبهين بما أقوم به من مباحثات مع الزائرين. أتحدث بطبيعة الحال مستخدما تصريف الفعل في صيغة الماضي البسيط، وإن كانت الحالة مستمرة دائما هكذا. / ويرجع هذا كله إلى المنبع [١٠٠]

البغيض المتحكم فيّ أيام وظيفتي. وكان يبدو لي أنه يفكر دائما في وضع نظريات عن الأعمال الخدمية. ويومًا بعد يوم يتضاعف سوء الحال، والحالات الأليمة التي وُضعت فيها، بما في ذلك من تعبيرات ساخرة وأقوال غير إنسانية مهينة للشعور يطلقها عليَّ هذا الرجل الذي أتخيله وفقًا لقدراته ومهاراته يمثل اليهودي البولندي البدائي، واستهتاره الدائم ومشابهته لمصاص الدماء الطفيلي ذهبي اللون (البق الذهبي *Vergoldener Wanzen*) لمن يمجدونه. واستمرت هذه الحقبة الأليمة من حياتي من نوفمبر إلى نهاية فبراير من السنة التالية. وكنت آنذاك أمين جلسة المجلس المالية. وكان عليَّ سماع كل الملحوظات البذيئة عن موظفي الشئون الإدارية، وأن أتحمل ما يقال عني شخصيًا. وكانت هذه الفترة من كل سنة تتوج بوضع سجل لتقارير الشئون الإدارية، في حين كانت هذه التقارير عندما جئت إلى الجالية لا يزيد تقرير الشئون الإدارية بها عن بضع ملحوظات عن الميزانية، تكتب فيما لا يزيد عن صفحة ونصف أو أكثر من ذلك قليلا. وبعد ذلك مباشرة قدمت في عام ١٨٧٦ تقريرًا دقيقًا مفصلاً. وكان التقرير الذي قدمته عن عام ١٨٧٥ يعطي نظرة شاملة عن كل فروع الإدارة بالجالية مع إحصاءات تدلل على ذلك، وملحوظات منهجية عن كل نقطة. وامتدح الجميع الحرارة التي أديت بها واجبي، والتي قربت بها المادة الجافة الهشة عن شئون وواجبات الجالية اليهودية إلى الأعضاء وحببتها إليهم، (كانت المسودة قبل ذلك تعرض سنة بعد الأخرى على رئيس المجلس أولا) ثم كان عليَّ أن أتلوها على المجلس وأستمع مبتسمًا ساخرًا في أعماقي من تعليقات على الأسلوب الذي أكتب به، والتصويبات المنطقية من كل خياط وسمكري وكل الذين يتكون منهم مجلس الإدارة.

وعندما تولى فارمان ***Wahrmann*** رئاسة المجلس أصبح التقرير العام مسببًا للمرض والمذلة أسابيع طويلة؛ إذ كنت أرسل له المسودة أواخر شهر يناير، ثم يحضرها إليَّ صفحة صفحة مليئة بملحوظات معسولة، ويأمرني أن أعيد كتابة التقرير وفقًا لتعليماته التي لم أكن أفهمها، ثم يعيد إليَّ التعديلات التي أدخلها عليها مصحوبة بزمجراته. يا إلهي ! لقد تعودتُ أن أعبر عن أفكاري كما أفهمها، فكيف يمكنني أن أعبر عما يدور بعقل يهودي بولندي! ويضطر الصبي الوَجِل أن يعيد كتابة التقرير ثماني مرات ليصبح في حالة مزرية مثقلا بالتعبيرات الحقيرة المزرية.

ورغبةً في التقليل من أهميتي، اهتدى فارمان إلى إصدار قرار بوجوب مراقبتي لكل كاتب يجلس حول مكاتبنا وإصدار الحكم عليه. وقد تابع تنفيذي لهذا القرار بهمة وحماس. / دون أن يتــرك لي فرصــة لفهــم سبب ذلك أو الاعتراض عليه. ١٠١

وفي يونيو ١٨٨٧ التمس السيد سيمون[١] -هذا الرجل القوي أثناء وجودي بالمجلس أن يُوَافَق على أن أمثل الجالية في تشييع جنازة هولندر[٢] الذي تُوفِيَ آنذاك وسيرسل جثمانه إلى مدينة إيبريس ***Eperjes***؛ معللاً ذلك بأن "ذهاب دكتور جولدتسيهر لن يكون باعتباره ممثلاً للجالية، لأنه موظف بها، ولكن بشخصه الذي أقدره عالمًا، ولا أعترف به ممثلا للجالية". ودلل على ذلك بأنني بذلك سأعطي انطباعًا محمودًا عند القوم في إيبريس، وليس لأنني

---

(١) سيمون (١٨٤٤-١٩١٥) ***J.Simon*** سكرتير المجلس الوطني بالمجر.

(٢) ل. هولندر (١٨٠٦-١٨٨٧) ***L. Holander***، رئيس الجالية اليهودية في إيبريس. كان مجاهدًا لتحرير اليهود بالمجر.

كنت صديقًا للمتوفى. واستطرد قائلا " ولقد أرسلته للمشاركة في جنازة الحبر شتاين هارت ***Steinhardt*** ممثلا للجالية، ولكنه لم يحضر الجنازة"[١].

(وهذه قصة ذهابي لتشييع الجنازة آنذاك)

وبعد أن قضيت يومًا كاملاً من أيام الشتاء الذي يتساقط فيها الجليد، وتشتد البرودة أدور هنا وهناك بحثًا عن أحد يدلني عن الطريق إلى آراد ***Arad***، وجب عليّ أن أسافر في الليلة التالية، وأن أظل في اليوم التالي ساعات طويلة لتشييع الجنازة في شوارع مفتوحة، واقفًا على أرض مغطاة بالجليد إلى أن جاء –في المساء المتأخر– الوعاظ الأغبياء في ثيابهم الكهنوتية لأستمع إليهم. كما كان عليّ أن أبقى لأستمع إليهم في المساء التالي، على أن أكون في تمام الساعة التاسعة صباحا على كرسيّ مكتبي بالجالية.

وثمة بعض الأعمال الغبية التي يجب أن نتوقف عندها، وهي لا تعدو أن تكون ذرات غبار من صحراء رملية من المضحكات المثيرة للسخرية التي انتقدها فارمان ***Wahrmann*** وجعلها من المبادئ التي يجب أن التزم بها. وقد كنت أتحملها منذ سنوات – فيما يبدو له – ببرود، وأكيل له بما لا يفهمه. ولم يجعلني امرأ مثله أضيق بعملي بالجالية؛ إذ كنت أقبل على أعمالي كلها، وأؤدي واجباتي الصغيرة والكبيرة التي تقتضيها دائرة وظيفتي بمرح وحب، أما إذا كان الأمر يتصل بالألاعيب القذرة للسياسة البولندية اليهودية، فإن تعاملي مع إنسان مثله، وضعني الله تحت رحمته، أمر لا أستطيع تحمله.....

---

(١) شتاين هارت (١٨٥١–١٩١٤) حبر (رابين) في آراد ***Arad***.

انتهى مرض أختي بوفاتها في ريعان شبابها في يناير ١٨٨٤. وقد عانت قبل وفاتها آلاما شديدة، وأضناها المرض ثم اختطفها الموت. اختطف أختي [١٠٢] الودودة الشريفة بعد أن دمرتها حالتها الميئوس منها سنوات طويلة / وهي واعية تمامًا لما يحدث لها، ثم انتهت بوفاتها، فكانت ضربة قاسية بلا رحمة لقلوب كل من أحبوها، ومن كانت شديدة الحب لهم. وكان هذا الحب طبيعتها الأصلية التي تتناقض مع ما كانت فيه، مما زاد من مصيبتها ومصيبة كل من يحيطون بها. وقد عانت أمي الفقيرة الطيبة استشهاد ابنتها، إذ إن الأم العجوز التي كانت تعاني مرضًا عضالاً قدمت كل ما يمكن أن يُتصور من تضحيات أملاً في أن تشفي ابنتها العليلة. وعندما توفيت كان عليها رعاية أربعة أطفال صغار، لم يكن أصغرهم قادرًا على النطق بعد. وبسبب هذه المصيبة المروعة انهارت بطولة هذه الأم الضعيفة، بعد أن ظلت سنوات طويلة حارسة لهم؛ وبفقد ابنتها خفّ عنها الجزء الأعظم من واجباتها الصعبة. وتوفيت بعد أن لفظت أنفاسها الأخيرة الطاهرة يوم الرابع من شهر مايو. وبموتها فقدتُ المثال الذي عرفته للصبر والخشوع، وبكيت وفاتها، ولكنني لم أرثها (أتأسف على موتها) إذ إن العناية الإلهية صعدت بروحها من إمبراطورية الظلام بالأرض إلى روعة النور. وحلقت روحها فوق الظلم المحيط بي. لقد كنت شاهدًا على لحظاتها الأخيرة، كانت صورة رائعة للأم المنكوبة *"mater dolorosa"* [١]، التي ضحت بنفسها من أجل ابنتها، لكن دون فائدة.

ثم ظهر بصيص من النور، فلم يكن من الممكن أن يظل زوج أختي الذي تحمل المصائب التي مرت بها، وعانى في حياته كثيرا لقيامه بواجبات

---

(١) اصطلاح ديني يطلق على مريم العذراء لأنها تحملت آلام ابنها.

الزوج الشريف بإخلاص نادر – دون أم ترعى أطفاله. فالأطفال اليتامى بعد ذهاب الأم التي كانت ترعاهم يحتاجون إلى مربية، وقد وجدناها –أمي وأنا– ثم أوصت بها أمي المرحومة. كانت إنسانة حملت إليَّ – بعد ضربات كثيرة لحقت بي– الهواء والحياة. وكانت لي الشمس المضيئة التي طلعت عليَّ، فأضاءت بإشعاعها الظلمات المحيطة بي. كانت شمسًا مشرقة، وربيعًا مقبلاً نعمنا به عندما انتقلت إمّا *Emma* إلينا. من النظرة الأولى عرفت فيها المرأة الفاضلة، في مثاليتها ولكن هذا النور الذي سطع في حياتي لم يتلألأ إلا فترة قصيرة، فلم يدم هذا النور الإلهي إلا عامين، ثمّ إذ أصابها مرض بالكلى كان يوقعها من آن لآخر صريعة نوبات حمى يشتد فيها ألمها. لم تكن مخلوقة لهذا العالم / فقد أشاع وجودها بريقًا ساطعًا تامًا لا يوجد مثله في هذا العالم. [١٠٣] سقطت صريعة عملية جراحية صعبة كانت الأمل المنشود في شفائها. وكانت تفكر في آخر لحظة في أطفال أختي الراحلة، وليس هذا هو السبب الوحيد لمباركتي ذكراها، إذ إنها ما زالت تخطر ببالي دائما عندما أرى أي شيء شريف وطيب، فيتضح لي أن "إمّا" كانت أشرف منه وأفضل، ولا توجد روح أجمل منها.

وقد أنعم الله علينا بأخت لصديقتي المتوفاة، باركنا برحمته مرة أخرى، ففي الرابع عشر من نوفمبر وَعَدَت برعاية أطفال أختي وأطفال أختها الذين أصبحوا آنذاك ستة. وكانت أمّا طيبة لهم. كان اسمها حنّا *Hanna* يدل على معدنها؛ وكانت تتمتع بخلق أختها المرحومة. كانت تقية مثلها، عايشت ما عانته أختها أشهرا طويلة من آلام، وكانت تكمل أعمالها بكل اجتهاد وإخلاص، وكأن هذا كان ميراثا من عائلتها.

ولكن ما لبث أن جال الشؤم جولته المظلمة، ولم يترك أسرتنا، ولم ينته منها، إذ إن نسيبي- الذي كان قد أعاد تكوين أسرته ثانية، وابتسمت له الدنيا وأظهرت له الحياة وجهًا ودودًا- بزواجه من شابة تتصف بصفات حميدة، أصبحت أمًا لليتامى بعد موت أختي وإمًا، ظهرت عليه بعد عودته من الاستشفاء في حمامات المياه المعدنية بمدينة سيلت ***Sylt***. وبعد بضعة أشهر فقط من زواجه أعراض خطيرة للإصابة بأمراض القلب والكلى. وهو الذي حلّت به الكثير من المصائب من قبل. ولما عدت مظفرًا من رحلتي الإسكندنافية وجدته في حالة سيئة، إذ إن الأطباء أبدوا يأسهم، إلا أن المريض نفسه الذي اعتمد على جهوده فقط وطموحه الذي لا يقف أمامه أي مانع، ورفعه من وظيفة مدرس يهودي إلى وظيفة مفتش بالسكك الحديدية، هذا الرجل لم ييأس أبدًا من رحمة الله، وهل من الممكن أن يُنتزع من أطفاله، وأن يَترك هذه الزوجة النابضة بالفتوة والحيوية، التي تلزم نفسها بأداء واجبات أمومتهم؟.

إنه هو الوحيد الوحيد حقًا الذي كان متفائلاً بالشفاء. وكان يتطلع إلينا مواسيًا ومشجعًا؟.

وفي ٢٦ من نوفمبر تُوفيَ. وفقدتُ فيه أخلص الأقارب، وخير أصدقاء شبابي وأقربهم إليَّ. وبعده أصبحت مسئولا عن الأرملة والأطفال: أي ولي أمر يهودي، وممثلا لأرملة ويتامى، كما يفرضه عليَّ أنبيائي. وفي ٢٥ من شهر مايو ١٨٩٠ أحضرتُ الفتاتين الكبريين من برسلاو ***Breslau*** إلى منزلي.

إن من يقرأ هذه الأوراق متعاطفًا سيفكر متحيرًا في هذا المصير: هل هذه أقدار محتومة! هل هذه معجزة أو أنه ليس من المستحسن / أن أعتقد أن ١٠٤

روحي فقدت القدرة على الانتعاش بسبب ضربات القدر؟ لقد سلمتُ مَوْتَى أربعة أعزاء عليَّ من أسرتي إلى مقابرهم في خمس سنوات فقط. وكل خبطة قدر جديدة تجعلني أستعيد كل ما مر بي من آلام. وكانت الطامة الكبرى في موت نسيبي. ليهب الله البيت المبتلى بكل الهبات الطيبة، ويمنع نكبات الدهر عنا. اللهم إنك لعادلٌ قادرٌ مدبرُ الكون جبار، اللهم ارحمنا.

إن سيئي الحظ الذين يعانون في كل ميادين أعمالهم تحطيمًا لسفنهم، واحتقارًا لطموحاتهم من الأغلبية، وإنكار الرعاع الذين ينكرون العقلاء، إنما تصبح حياتهم مظلمة سوداء، لا يجدون فيها تعضيدًا وترضية إلا من أصدقائهم. وقد نعمت بالصداقة منذ نعومة أظفاري، وفي كل بلد زرتُها لتلقي العلم أو للتجول في رحابها. كانت لي ذكريات جميلة طوال حياتي، إذ إن الاحترام والحب اللذين لقيتهما من أصحاب النفوس الشريفة واكتسبه منهم، احتفظت بهما في ذاكرتي. كذلك مراسلاتي مع الأصدقاء القدماء قدمتْ لي السلوى في استشهادي، وتسببت في شجاعتي. وكم كانت خطابات فلايشر ***Fleischer*** أو إيبرس ***Ebers*** تشجعني في لحظات يأسي وقلة ثقتي في ذاتي. وكم أضاءت صداقاتي الجديدة من ظلمات هذه السنوات الأربع.

وفي سنة ١٨٨٣ تدعمتْ أواصرُ صداقتي مع سنوك هورجروني ***Snouck Hurgronje*** في ليدن بتبادل الرسائل فأصبحت صداقة حميمة، بعد أن كان السبب في تبادلها علمي فقط، بل أصبحت هذه العلاقة بهذا الرجل العبقري الحازم الجريء تمثل حقبة من حياتي العلمية، إذ إن اعتراف هذا (الناقد الجاد بقدراتي كان بمثابة تقدير، وتفضله بالثناء عليَّ) فرفع من معنوياتي، وأغراني بمواصلة طريقي، في زمن كنت فيه على حافة الانهيار كلية، فأعادني إلى المسار العلمي.

وفي هذا السنة أيضًا ربطتني صداقة حميمة مع صديقي أسعد، وهذا هو الاسم الذي أُطلقه على أوجست ميللر *August Müller* الذي لم يتقبل أحد معاناتي النفسية مثل ما تقبلها هذا العالم الألماني المفكر الشريف. فقد اقتربت منه منذ ١٨٨٣ مثلما اقتربت من رفقاء الدراسة الآخرين. ثم أصبح ما بيننا صداقة متينة فرحتُ بها، وبخاصة حين بدأ في تبجيلي رغم أنني لم أبادله ذلك.

وجددت كذلك صداقتي مع لاندبرج *Landberg* هذا العالم باللغة السريانية الذي كان يكثر من الرحيل إلى المشرق، واعتاد أن يزورنا في بست *Pest*. وقد توطدت هذه العلاقة بمدينة بمدينة ستوكهلم، وسأشير إلى ذلك بالفصل القادم. أما زملاء الاختصاص اليهود مثل د. هـ. ميللر *D.H.Müller*، وبارت *Barth*[1] وغيرهما الذين كانوا من أوائل من عقدت معهم صداقة، فإنهم ابتعدوا عني، واجتمعوا على إيذائي، وليس على مساندتي وإفادتي. /

١٠٥ وإذا كنت اكتسبت في الدوائر البعيدة علاقات مليئة بالحب وتقبلتها، وكنت أعامَل بحب أخوي، فإنني أصبحتُ في دائرتي القريبة أعاني تساقط الأوراق ورقة ورقة من شجرة الصداقة التي زرعتُها صبيًا – بعد أن ذبلت وجفت.

وكان عليَّ أن أبدأ في فك هذه العلاقات التي ملأت تاريخ شبابي.

هل كان هذا فضيلة أم أنه من الخطأ أن أضع أنصاف الحلول التي تخفي وراءها حقيقة توجيه الإهانات لي، ويهيجون الرأي العام ضدي بإنكار

---

(١) بارت (١٨٥١-١٩١٤) *J.Barth* أستاذ جامعي للدراسات السامية في برلين، وفي سينمار الأحبار هناك.

جبان للمبادئ يثير الغضب المتطرف عليَّ؟ وبهذا أتاحوا لكل من يعرفني، ويعرف أحوالي أن يصدر قراره ويحكم عليَّ. وغالبًا ما كنت الضحية.

استمرت صلتي بالسيد فامبيري *Vámbéry* سنوات، وكأنها ذنب غير مغفور، فإن علاقتي القوية –التي أقمتُها نظرًا لغشاوتي في الصبا – بهذه الشخصية البغيضة، التي أصبحت منذ عام ١٨٧٩ وصمة عار تلتصق بشخصي. كان مدرسي فعلاً، ولكن هذا كان من سوء حظي، فالرجل المشهور– كما تبينتُ بعد علاقة دامت خمسة وعشرين عامًا، وعرفته حقًا أثناءها– كان دنيئا، كاذبًا، لا خَلاقَ له بكل المعاني، رجلا سيئا لم تهتز خلجة من خلجات نفسه لعمل أي خير.

كانت شخصيته العلمية احتيالا، وكان كيانه الأخلاقي أنانية وجشعًا، كما كانت أفعاله الاجتماعية مجرد إعلانٍ وخيانةٍ وغدرٍ. وقد خانني أنا أيضًا وغدر بي، واعتبرني مجرد وسيلة ليُنظر إليه على أنه مدرس ناجح. وعندما أصبحتُ شابًا، وظن أنني سيكون لي اسم في الوسط العلمي حاول النيل من معارفي وتصغيري في أحاديثه عني. كان ماهرًا في خلق التورية اللفظية؛ فيُظهر نجاحي، وفي الوقت نفسه يذكر أن المسار العلمي الذي أسلكه لا يؤدي إلى منهج صحيح.... وهذا الرجل الذي لا يعي حقيقة واجبات العلم وصف نلدكه بأنه "حمار" دون أن يعلم ما مشاكل العلم التي ينكرها، ويوظف هذا الإنكار والوقاحة بنوع من القدرة على الاحتيال، معتقدًا أنه يمكن أن يهينني عندما يصفني بأنني "عالم ألماني". كانت تحريضاته المريبة ضد ترقيتي قوية. وكان أبو الكذب صاحب المعالي أوجست تريفورت ***Sein Excellenz August Trefort*** صادقًا عندما قال لي في إبريل ١٨٧٥ محذرًا" احترس من فامبيري، إنه يلعب لعبة مزدوجة معك". وقد رفضتُ آنذاك تصديق هذا

التحذير، إذ كنت أعتقد أن الدرويش المكار (يقصد فامبيري) لا يستطيع القيام بهذا الدور. ولكن في عام ١٨٨١ انقشعت الغيوم عن بصيرتي. ولما وقف الكذاب الأشر بكل خبثه أمامي في منزله لم أتوانَ لحظة أن أذكِّره بتشكيل القرائين لاسم أونان *die massoretischen Punkte des wajjisshákélii*[١] وانقطعت عنه، ورفضتُ ما يعلنه عن حبه لي ويشيعه هذا الكذاب عني بحرارة / ويمكن أن يتوقع المرء الآن أي شرٌ يمكن أن يشيعه عني هذا الرجل، ولكن التجاهل العام الذي لقيته بعد ذلك ليس إلا من أعمال هذا البغيض الشرير.

١٠٦

لم يترك ابتعادي عن فامبيري أي أثر في نفسي، بل على العكس من ذلك شعرت بأنني تحررت من كابوس كان يجثم على أنفاسي، وأنني نظفت حياتي من بقعة كنت أعانيها، وأصبحت سعيدًا لأنني واجهت روح صباي الشريرة بما يستحقه.

وأصبحت ظروفي الأخرى أكثر يسرًا، وإن كان هذا لم يحدث إلا بعد كثير من الألم والعذاب، ولكن هذا كان لا بد منه، إحقاقًا للشرف وسعيًا وراء الحقيقة، فإن صديقيّ بانوسزي *Bánóczi*، وباخر *Bacher* اللذين وقفا إلى جانبي منذ عام ١٨٦٥[٢] وكان الأخير منهما طموحًا مثلي، وكثيرًا ما دلل على صداقته لي – هذان الصديقان أصدرا جريدة مجرية يهودية أسبوعية عام ١٨٨٥[٣]. وكان لي – باعتباري مشاركًا في التحرير– صلاحية اتخاذ قرارات أفضل وإن كانت مخالفة للمعتاد.. وسرعان ما أصبحت الجريدة

---

(١) سفر التكوين ٣٨/٤.

(٢) بل عام ١٨٨٤.

(٣) أي جريدة مجرية يهودية *Magyer Zsido Szemle*.

تابعة للمجلس البلدي اليهودي-المجري، وعبَّرت عن ميولها، وعدّت نفسها أداة للتعبير عن كراهة منشئيها للأنانية والاهتمامات الشخصية. وسرعان ما اتجهت هذه الجريدة *Szemle*[١] إلى اتجاه غير مسئول، وأصبحت تعبر عن وجهات نظر غير بناءة، لا يمكن مكافحتها إلا بالسخرية والغمز.

وعندما توفي تريفورت *Trefort* في سبتمبر ١٨٨٨ كتب المحررون عنه مشبهين إياه بأنتيوخس إبيفانس *Antiochus Epiphanes*[٢] عبارات تأبين تضفي عليه فضائل لا يستحقها لكاهن السيئات الذي كان يلقي بعشرات الشباب اليهودي في حوض التعميد.

ومن ثم أصبحت علاقتي بالصديقين اللذين اتسما بهذه الوضاعة أمرًا لا يمكن الاستمرار به. وبعد شهرين سمحا بحملة كراهية متعصبة ضد الابن ليوبولد ليف *Leopold Löw*. وكان السبب غير المعلن هو تحركات الشاب المهاجم التي لم تكن مريحة من وجهة نظر المجلس البلدي، وإن كان السبب المعلن مكسوًا بعبارات دنيئة. كان ليف *Löw* قد جمع في كتابه صلوات للنساء *Weiber* من مصادر إنجيلية أيضًا، ولم أستطع أن أتجاهل الكراهية الموجهة إليه، ومن ثمَّ لم يكن هناك مفر القطيعة مع باخر وبانوسزي. وثمة حادثة أخرى أكدت ضرورة هذه القطيعة؛ ففي منزل باخر *Bacher* - وكانت ابنة عمي هيلين *Helene* قد تزوجته بناء على تدخلنا- بدأ التشكك في إخلاصي، بهدف معاقبتي على القطيعة، أما ابنة عمي فقد جازتنا أيضًا

---

(١) اختصار لاسم الجريدة.

(٢) هو أنطونيوس الرابع الظاهر (٢١٥ - ١٦٤ ق.م.) كان أقوى ملوك السلوقيين، وهو الابن الأصغر لأنطونيوس الكبير. اغتصب مُلك سوريا من ابن أخيه. كان أقسى عدو وأشدهم مرارة لليهود، صمم على إبادتهم وإبادة ديانتهم. (عوني).

بتحريض زوجها بالكراهية، مما جعل الخرق في صداقتنا يتسع، وأصبح واضحًا للعيان. كذلك دَسَّ لي الناس في منزله، وحرضوه عليَّ، زاعمين أنني أرغب في الحط من منزلته. / وقد ناشدته الله أن يتذكر جيدًا-كما أتبين أنا- أنه لم يخطُ في حياته خطوة إلى الأمام دون أن أدفعه إلى ذلك. وإن كان له صديق، فليتبين من هو هذا الصديق. ١٠٧

كان زمنا مكدرًا وموحشًا من جميع النواحي، كانت حياتي الوظيفية ومعاملاتي مع الناس مليئة بالإذلال المهين والمتاعب التي تجل عن الوصف. لم يمر عليَّ آنذاك يوم دون النيل من ثقتي في نفسي، فالأسرة تخرج من سوء حظ إلى سوء حظ، ومن صدمة إلى صدمة، وفي أثناء ذلك تتراخى أواصر الصداقة، وتتفكك العلاقات القديمة.

وعلى الرغم من قدرتي على السيطرة على أعصابي فإنني حلّت بي مصيبة هزت كياني كله؛ ففي شتاء ١٨٨٣، ١٨٨٤ لم يكن لدي أي أمنية أرجوها أكثر من أن أتحرر بالموت من حالة اللاحياة التي أعيشها. وكانت صلاتي الليلية تشتمل على دعاء الله الرحيم ألا يجعلني أستيقظ مرة أخرى من النوم. وعندما كنت أستيقظ في اليوم التالي، كان يصحبني الشعور بالرهبة والخوف من أنني سأقاسي مرة أخرى الحياة المهينة التي لن أجد فيها إلا العذاب. وبهذا الشعور ربيت ولديَّ اللذين بلغا من العمر الثالثة والرابعة. كنت أحرص على أن أكتم دموعي – ولا أسمح لها بالفيضان إلا ليلاً عندما أكون وحيدًا كي أسري عن نفسي. وكل ما كتبته في تلك الأيام ألقي به اليوم في النيران، حيث إنني لا أريد أن أساهم بنقل ما كتبته إلى العالم بعدنا ليعرف الناس اسم بولندي يهودي في شكله البائس، وإن وصل إليهم رغمًا عني، فهو نتيجة تأمل لفحوى مختصر لما يمكن أن أكتبه.

كان من المستحيل أن أنصرف في هذا الزمن إلى دراساتي العلمية، وفشلَت كل محاولة للرجوع إلى هذه الدراسات بسبب الدمار النفسي الذي كنت أعانيه، وكانت الخشونة والغلظة التي هوجمت بها دائما سببا في جعلي غير قادر على مواصلة دراساتي العلمية، واستكمال الإشارات التي جمعتَها أثناء اتصالاتي العلمية بليدن، وأن أحولها إلى حقائق. كنت أحاول أن أكتب شيئًا، ولكن دون جدوى، فما قمت به لم يكن إلا بعض الدراسات البسيطة مثل مقال "عبادة موتى الأسلاف" ***A muhammedán jog eredete "e Akademie , Le culte des morts et des ancêtres (Revue des Religions)*** ومقالات وفيرة بمجلة ***Budapesti Szemle*** وغيرها، كانت حصيلة اجتهاداتي. ولكني لم أتوصل إلى دراسة جادة.

وفي أحد الأيام هوجمت أنا - البولندي المغضوب عليه- بخشونة وغباء، وأصبحت غير قادر على أن أقوم بعمل علمي مشرف. ولم يكن ثمة أحد يساندني، إذ اعتقد الجميع أن ما يجري لي أمر طبيعي. وكانوا يواسونني بضرورة ضبط النفس، / لأن التشخيص يُرجع ذلك إلى عصبيتي لأنني أجهد [١٠٨] نفسي فوق طاقتي منذ صغري، وأن ما وصلت إليه من عصبية هو نتيجة لذلك، وأرجعوا السبب أيضًا إلى ما مرت به عائلتي من خطوب قسمت ظهري. كانوا يجدون أن ما أكلف به من أعمال عادل وطبيعي، لأنني لم أتعلم تعليمًا عمليًا، وأنني يجب أن أقنع بما أنا فيه، وأن أتحمل العبودية التي تُلزمني بالقيام بمثل هذه الأعمال، ولم يكن ثمة سبيل إلى تغيير ذلك، فإنني لا أستحق أفضل منها، وإن كان لا يوجد ما هو أشد مهانة منها. ويجب أن أنظف دورات المياه دون تبرم أو تقزز، إذا كان هذا يتعلق بصيانة للجالية. وكانوا يعتقدون أنني أقترب من حالات الاضطراب العقلي. واستشاروا الأطباء في حالتي،

فنصحوا بضرورة التغيير، ففيه فائدة لجهازي العصبي. فنُصِحت بالقيام برحلة استشفائية وترفيهية كبيرة. فلما انتهينا من الطقوس الدينية بعد موت أمي الطيبة، وتقبّل التعازي، قمت وزوجتي برحلة حول العالم، حيث أغرق بؤسي في زحمة المدن الكبيرة، وألقيه من فوق قمم الجبال العالية إلى الأعماق. ومن ثَمّ اشتركنا في رحلة سياحية مدة شهرين فوق فيرتمبرج ***Württemberg*** والغابة السوداء ***Schwarzwald*** وستراسبورج وباريس.

وفي باريس تطلعت إلى رؤية رجل له اسم كبير، وهو رينان ***Renan***[١] الذي سمح لي بزيارته مرتين، وكانت مغامرة. وقابلت عنده جمال الدين صديقي الأفغاني وزميله في المنفى[٢]. وكأي شاب مهندم يزور باريس في شهر العسل زرت متحف اللوفر، وكنيسة نوتردام، وكل الأماكن السياحية الجديرة بالمشاهدة والمسجلة للسياحة في هذا العالم المتميز. وزرنا كذلك معاهد علمية مثل الأكاديمية الفرنسية ***Collège de France*** حيث حضرنا بعض المحاضرات.

ولما ذهبت زوجتي لزيارة ابنة عمٍ لها لتستريح في بيت ريفي بالقرب من باريس، انتهزت الفرصة ودسست نفسي في المكتبة الوطنية ***Bibliothéque Nationale***، وتنزهت على ضفاف نهر السين، وقضيتُ بعض الوقت مع ديرنبورج ***Derenburg***، وزوتنبرج ***Zotenberg***[٣]، وستينلاوس جويارد

---

(١) رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) ***J.E. Renan*** مستشرق وعالم بالتاريخ، أستاذ بالكلية الفرنسية بباريس ***Collège de France in Paris***.

(٢) صديق الأفغاني الذي صحبه في المنفى بباريس هو الشيخ محمد عبده (عوني).

(٣) هـ. زوتنبرج ***Zotenberg*** كان يعمل بالمكتبة الوطنية بباريس.

Stainlaus Guyard. ومن باريس اتجهنا إلى جنيف عبر بحيرة ليمان *Lac Léman*، والطريق السياحي المعتاد إلى انترلاكن *Interlaken*، ومنها عبر برينجنشتراس *Brüngenstrasse* إلى لوزان *Luzern* حيث مكثنا عشرة أيام، وقضينا كل ما يريده المُستشفِي من العلاج بحمامات المياه المعدنية، ومنها ذهبنا إلى زيورخ *Zürich* وبرن *Bern*، وشافهاوزن *Schaffhausen*، ومنها في اتجاه الرين إلى كونستانس *Konstanz*، وبطريق بودن زيه *Bodensee* إلى لنداو *Lindau* ونزلنا في رايشن هل *Reichenhall* حيث ضيّفنا نسيبي دكتور باول *Dr. Paul* في أحد الفنادق، فاسترحنا به من عناء الرحلة التي استمرت ثلاثة أسابيع. ثم رجعنا بعد إتمام رحلتنا السياحية عبر رامساو *Ramsau* وكينيج زيه *Königse*، وبرشتس جادن *Berchtesgaden*، وزالتسبورج *Salzburg* بعد تسعة أسابيع تقريبا إلى مدينة بودابست الحبيبة، ومنها مباشرة رجعت إلى شئوني التي لا أجد تعريفًا لها. / وقد كان بدني يقشعر كلما تذكرتها أثناء رحلتي. ١٠٩

كنت أتسلق الجبال المحيطة ببحيرة مدن الغابات الأربع يوميًا، تبديدًا للوقت. وكانت الجبال تسمع أناتي التي تعلن عن اللحظات التي تألمت فيها. فإذا كان الهدف من الرحلة الطويلة التي ضحيت فيها بالكثير حتى يكون لها أثر على نفسي لم يتحقق، وكانت بلا جدوى، فإن مرضي لم يكن ساكنًا في نفسي، وإنما كان متمثلا في شخوص (أشباح) المليونيرات القذرة التي تتبدى على جدران المسكن الذي أعيش فيه، إذ بدأت الخشونة في المعاملة والاستهتار بي من أول يوم رجعت فيه إلى العمل بأسلوب متواصل. وساءت حالتي ثانية لنفوري من الطريقة الوحشية التي قابلني بها البولنديون المفاخرون بأموالهم. وعلمتني تجاربي أن لا فائدة من الشكوى للآخرين

والعويل. وتوصلت إلى تقديم علاج لنفسي بعد أن جربتُ كل نصيحة ومواساة. ولم يكن في استطاعتي أن أظل طول حياتي على سفر في فرنسا وسويسرا. أصبحت منذ ذلك الحين أتحاشى السخرية مما كنت ألقاه من المواساة، التي كانت تأتيني من قبل. وكلما استطعت أن أعلن عن عيوبي قلَّ شعوري بالمهانة. وقد أعاد إلى ثقتي بنفسي الحزينة اقتناعي بأنني أستحق الاحتقار الذي كنت فيه. ومرت عليَّ أسابيع أتحمل فيها مثل هذه الإهانات دون أن أنطق بأي كلمة لشعوري بمهانتي، ولا أصلح لدخول معبد العلم.

وعلى الرغم من ذلك كان عليَّ أن ألجأ إليه مرة أخرى، لأنني لا أجد سلوى إلا في هذا المجال حقيقةً ودائمًا. ورغم ما أميل إليه أكرهت نفسي على التوجه مسرعًا إلى منبع تمردي على السلطة، عندما يقف العالم كله في معاداتي. وفي يوم الابن الذبيح *Bar Mizwah*[(١)] الذي هداني في هذه الأيام الحزينة، حيث كان موقفي "يجب أن تنهض"، وكان شعاري "الدوام هو الحل"، ولذا ينبغي أن يكون ملاذي هو الإيمان بالله، وأنني سأهلك إن لم يهدني الله، فالالتزام بذلك هو الوسيلة الوحيدة كي أجد نفسي وسط الاستعباد والنكد والمهانة والإذلال أثناء قيامي بأعمال العبيد الشاقة ولكي أطهر نفسي، وأترفع عن قذارة الأشخاص. كنت أعيش آنذلك شر أزمات حياتي، وأشد أوقاتي العصيبة، كأني على مشارف هاوية سحيقة، ولو لم أهتدِ إلى الكلمة السحرية، لغرقت في خسة عميقة وأصبحت ضحية لها.

وأسرعتُ ووهبتُ نفسي لعملٍ يومي مجهد، واستعدتُ تجاربي العلمية ولقاءاتي في دراساتي الليلية. وبهذا تطهرت من معاشرتي ومخالطتي النجسة

---

(١) *Bar Mizwah* تعني عبادة الرب، تتصل بواجبات اليهودي المتدين (عوني).

طول النهار. ولما كنت في مثل هذه الحالات غير الملائمة لما يتطلبه العمل [١١٠] العلمي / فإن روحي استطاعت أن تحلق في طموحها إلى أعلى. وكان هذا دليلا على رحمة الإله الجبار الذي لم يتركني في أحلك الأوقات التي عشتها. وليس هذا حقًا هو كل ما قمت به من أعمال في هذه السنوات السبع. لقد جمعت معلومات أكثر ودرستها، إلا أن أعمالي لا تشي بذلك، ولكنني اضطررت للأسف للالتزام بتحديد ما يجب أن أشتغل بكتابته، كي أنشط في دراسته، لتصبح أعمالي ذات قيمة علمية. وحرصت على اتباع الأسس العلمية الدقيقة. ولو كان لدي قبل ذلك كله ما يتصل بعلم الاجتماع، وما قبل التاريخ، وديانة الكتاب المقدس، وعلم الأديان، وتاريخ الحضارة الاستشراقية، وما يتصل بهذا كله من معارف لتَتَبَّعْتُهُ بنشاط، لتصبح دراساتي خصبة. ولهذا وجب أن تكون دراساتي منتظمة بقواعد مطردة وتمكنتُ من استغلال الوقت الضيق المتبقي لي بسبب "صغر النفس ومن العبودية القاسية"[١] لمزاولة العمل العلمي. ولذلك انصرفت كلية لفقه اللغة العربية ولتاريخ الإسلام أيضًا. ورجعت لكتاب الأغاني مرة أخرى، وجددت دراستي للشعراء القدماء، وأتممت معارفي عن مصادر التاريخ، وبخاصة المصادر التي نُشرت حديثًا مثل الطبري واليعقوبي وغيرها، ورجعتُ إلى كتب الحديث بنظرة جديدة، فدرست ستة كتب وبعض الكتب غير الشرعية..إلخ.

وقد جعلتني صحبتي لسنوك *Snouk* أنشط لفهم مشكلات جديدة؛ إذ إن صورة التطور التاريخي للإسلام اتضحت أمامي من بين الدراسات بمعالم جديدة، وكذلك صورة الشعوب الإسلامية واتصالها بالمعرفة بدت لي في

---

(١) سفر الخروج، ٦/٩.

أضواء أكثر إبهارًا، واجتذبني تطور التاريخ الإسلامي في إفريقيا وخصائصه. وقرأت كل ما تمكنت من الوصول إليه من مصادر وكتب الرحلات، التي جعلتني أستنتج فكرة تامة عن هوية الإسلام. وكان ثمرة هذا التعمق الكتابة عن "دراسات عن معرفة حركة الموحدين ١٨٨٦[1] ***Materialien zur Kenntniss der Almohaden bewegung*** وفي الوقت نفسه نشرت "دراسات إسلامية" في جزءين ***Mohammadanischen Studien, 2Bd.***

وهذا يدل على أنني استطعت في هذه الفترة التعمق في فهم تلك المسائل التي شغلتني في أيام صباي المبكرة. وكتبتُ أيضًا عدة مقالات ودراسات باللغة المجرية، ظهرت بنشرات الأكاديمية المجرية ***Ung. Akademie***، وكذا دراسة عن فلسطين، وبعض المقالات نُشرتْ بمجلة ***Szemle*** ببودابست.

إن ألف جاجة غير المعقولة للعادات الاجتماعية التى أواجه فيها ممثلي القوة اليهودية والكيان اليهودي جعلتني أفقد الشهية تمامًا في المشاركة في الأطماع التي تأتي تحت راية "الدراسات العلمية اليهودية"، ولكن شعوري الداخلي هداني إلى التعلق بالدراسات الدينية. وكلما ضغط أحد عليَّ، جزعت نفسي من أفكار لا تتناسب مع ما تمليه عليَّ مشاعري لرفض ما يفعله هؤلاء القوم. / وبهذا امتزج المساران الديني والتاريخي الذي أحمله منذ صباي [١١١] بفكري وروحي بوضوح. وكل أمر مناقض لما كنت أعتبره من قبل –لمظان عاطفية أصبحت مفككة ونقية وحقيقية، وكونت عندي مذهبا ترجع حقيقته إلى تقززى من الجماعة الكاذبة التي كنت عبدا ومنبوذا لها، ومن ثم لزمني القيام بواجباتي الآن.

---

(١) حركة إسلامية (١١٣٠-١٢٦٩م) في شمال إفريقيا والأندلس قام بها ابن تـومرت ١١٢٥م، وهم المقرون بوحدانية الله. (عوني)

كان منزلي – في صورته الكاملة– يهوديًا، نشأ نجلاي فيه نشأة دينية، تعرف الأنبياء والمزامير. أبعدتُ عنهما كل الأكاذيب عند تربيتهم،.... وبينما كنت أشيد في منزلي معبدا لرسل اليهودية مع الإيمان بربوبيته إيمانا حقيقيا، لم يقلع القوم الأتقياء بمدينة ميرن *Mähren* عن اتهامي بكل سوء وبالكفر. وعندما يقرأ أحفادي عن هذا الزمن يتحمسون لقراءة الكتابات العبرية التي تمجد الرب. وفي الوقت نفسه اتهمت بأنني خطر على اليهودية، وأن ليس ثمة أحد غيري يمكن أن يتقول بمثل هذا الحديث، هكذا.

كانت هذه هي علاقتي مع أصحاب الملايين ومدعي التدين. ومع ذلك أُغريت بأن أكتب في صحيفة شهرية يحررها صديقان – طمعا في كسب المال – سلسلة من المقالات عن الديانة اليهودية جعلت أصحاب الألسنة الشتامة – دون أي سبب – يغتابونني، دون مواجهتي ودون شرف. ومن أين يأتيهم الشرف؟..

كانوا في أحاديثهم اليسوعية، وأحاديثهم حول الموائد مع العوام المنحطين يتناولونني بالسباب بلا ممانعة، ويتهمونني بالكفر، وكانوا ينكرون قدراتي، ويحطون من قدري، وينسبونني إلى طبقة الكتبة والشماسين. ولكن لم أشعر بالضعف للاعتقاد بأنني بالفعل أحسن التدريس، أو على الأقل أنقذ الشباب من تدهور الأخلاق أو أحذرهم من الحالة الراهنة.

في شتاء ١٨٨٨/١٨٨٧ ألقيت محاضرة عن "طبيعة اليهودية وتطورها *Wesen und Entwicklung des Judenthums*" وظهر خمس مقالات عنها بجريدة شهرية يهودية يحررها صديقان من أصدقاء الشباب يهدفان للتربح. ونشرت المقالات الأخيرة بعد أن منعت النقابة الجمعية الدينية من نشرها. وبقيت المقالات بخطي.

استمع لي في المحاضرة الأولى عدد غفير من المستمعين، ولما لاحظ الحضور أنني أزمع التحدث حديثًا علميًا جادًا -وليس محاضرات تسلية باللهجة العامية- وجدتُ المقاعد بعد ذلك خالية، واضطررت إلى إلغاء المحاضرة السادسة حرصًا على كرامتي. وبهذا ألقيت باللؤلؤة أمام الخنازير،/ حيث إنهم لا يريدون أن يفيدوا من محاضراتي. وهم أنفسهم الذين أشاعوا عنّي أنني لا أستطيع أن أعبر تعبيرًا فصيحًا عما أريد. وكان هذا هو نقد المثقفين اليهود، وهو النقد الذي استقر في عقول السذج، وكنت قد شفيت من أوهامي إلى الأبد. [١١٢]

وفي الوقت نفسه رُشحت لجامعة براغ اعتبارًا من السنة الأكاديمية ١٨٨٥/١٨٨٦. وكان هذا هو تاريخ شفائي وسببه، ولا يمكن إغفال ذلك؛ لأن المراسلات التي وصلتني من الجامعة عن هذا الأمر كانت جلية واضحة، وهي التي جعلتني أضعها ضمن خطاباتي المتميزة. ويمكن أن يتبين المرء من مستنداتي أنني لم أخطُ خطوة لطلب هذا الترشيح، وأنني فوجئت بترشيحي لهذا المنصب مثلما دهش زملائي الطيبون الذين علقوا كثيرًا على هذا الترشيح تعليقات هزلية. ومنذ هذا الوقت توسمت في نفسي القدرة على حياة الفكر والعلم، بدليل أن العاملين في براغ جعلوا يطلبونني بحماس سنة بعد أخرى. يالله، هل أذهب إلى براغ وأترك بودابست. لم يعارض أصدقائي اليهود بخاصة ذهابي إلى بودابست، فالكل ينادي: ارحل.. ارحل، ولكني بقيت. وكان يجب أن أبقى، إذ إنني كنت أتطلع باشتياق روحي إلى فيينا حيث يعقد مؤتمر المستشرقين في سبتمبر ١٨٨٦، فقد كانت الذكريات الجميلة لمؤتمر ليدن تجعلني أحنّ من أعماقي إلى المؤتمرات العالمية على شاطئ الدوناو، حيث تنتظرني ثمرات شافية.

وانتدبتني الحكومة والأكاديمية مع هونفلي *Hunfalvy*، وفامبيري *Vámbéry* لحضور هذا المؤتمر. وسررت للغاية للقاء الأصدقاء الطيبين: سنوك *Snouck* ودي خويه *de Goeje*، وروزن *Rosen*، وكاوتش *Kautsch*، ونلدكه *Nöldeke* وأن أتمتع بلقاء الشرقيين الذين أحن إلى الاتصال بهم، وإلى الأيام الجميلة المشمسة في السنة التي قضيتها بينهم(١). أما علماء فيينا فقد رفضوني في المرة السابقة ولا أدري لماذا؟ وبالقطع لم يكن ذلك لسوء ظن منهم عندما قابلوني آنذاك بسلوك متكلف في تلك المناسبة العلنية. وأظن أن السبب هو دكتور هـ. ميللر *Dr. H. Müller* المتعجرف – وهو رجل يقيس كل عمل بحساب البولنديين وبحدس ماكر، يهمه أن يضعني في مرتبة وضيعة. ولما كان من أصحاب السلطة في فيينا باعتباره رئيسًا للمؤتمر، فإن كلماته يمكن أن تعدّ أحكامًا. وكان رأيه فيَّ أنني رجل مجتهد جدًا، وعالم، إلا أن ميدان أبحاثي ودراساتي بعيد عن "اهتماماتنا" كما يقول، وهو يَعُدّني باحثًا في علم الفقه، وهو علم محدود جدًا، وأنني متعصب الفكر. ويعني أنني على اتفاق مع سنوك في الدراسات، إلا أنه يعجز أن يحددها / وبهذا تمكنوا من [١١٣] أن يطلقوا عليَّ لقبًا غريبًا *Kuriosum* بمعنى أنني أدَّعي الجنون *Narr auf eigene faust* لكن اتجاهاته العلمية ليست في إطار الاهتمامات العلمية الحقيقية (نقوش، مقارنات لغوية، افتراضات ما قبل التاريخ). ويُضرب لذلك مثلا ما كتبتُه عن "الظاهرية" فهي عنده نوع من المستندات التي لا فائدة منها. ويعبر دكتور ميللر عن رأيه هذا تجاهي مرارًا، ولكني علمت من آخرين عَرَضًا أن أعمالي جعلته لشديد أسفه مجبرًا على الاعتراف بها،

---

(١) يعني في رحلته إلى المشرق (سوريا ومصر) عام ١٨٧٣-١٨٧٤. (عوني).

وأن يرثي لحالي. وإن كان لم يواجهني بعداوته، ولكن حيدته التي كان يعرف بطريقته اللطيفة أن يخفيها كانت دائمًا ما تجرحني. وكان لدى هؤلاء القوم فرصة أثناء المؤتمر أن يقدموا لي – ظاهريًا- رضاءهم عني. ولم يكن لديهم شعور لمواجهتي بالاتهام، بل على العكس من ذلك لم يعدموا الإشارة للاحتقار. وقد نزعوا عنوان محاضرتي المعلنة – في الوقت المحدد لذلك- من القائمة المطبوعة. ونُبهتُ بمكتب التسجيل بالمؤتمر أن دكتور ميللر الذي يرتب إلقاء المحاضرات عينني أمينًا ثانيًا للمؤتمر. وقد رفضتُ ذلك، وعندما دعا دكتور ميللر المستعربين الأجانب لحفل استقبال لدى الرئيس فون كريمر ***v.Kremer*** أهمل دعوتي (لم يوجه لي دعوة أو نسي ذلك)، رغم أن كل هؤلاء السادة علموا أن بين المستشرقين المحترمين من يمكن أن يتحاور مع الشرقيين بطريقة أفضل مثل سنوك، ولاندبرج وجولدتسيهر.

وبهذا لم تكن أيام المؤتمر بفيينا تحمل أي ذكرى طيبة لي، عدا أنها كانت فرصة لقاء أفضل زملاء التخصص، استطعت أن أتحاور معهم ثمانية أيام، وأن أبدأ معهم أبحاثًا مشتركة، وهم سنوك، وروزن. ونجم عن هذا التلاقي الشعور بضرورة نشر دراساتي عن محمد (ص) بادئ ذي بدء. وقد مارس الأصدقاء مرارًا – في محادثتنا- الضغط عليَّ (ضغط الناصح المخلص) لإنهاء مادة أبحاثي ونشرها. ومنذ ذلك الحين كانت حقيبتي تضم مواد أبحاثي التي فرغت منها، ثم قرر روبرتسن سميث ***Robertson Smith*** عام ١٨٨٥ نشر المواد التي انتهيت منها عن حقوق الأسرة عند العرب القدماء.

وكان هذا إنذارًا بضرورة مقاومة كل شعور لديَّ بعدم أهمية ما أكتب، وأن أتشجع بنشر دراساتي. ولما أمكنني الآن أن أنشر هذه الدراسات يمكنني

أيضًا أن أقدم دراسات أخرى غير دراسات الفقه للنشر. ومن يعرف كيف كنت أعيش في الأعوام ١٨٨٣-١٨٨٦، ويعرف تأثير هؤلاء الأصدقاء الذين ذكرت أسماءهم على صيانة شعوري وبعث الثقة في نفسي، يمكنه أن يفهم ما ذكـــرته فـــي الجزء الأول من كتابي "دراسات إسلامية"/ وقد كانت ظروفًا [١١٤] لا تتناسب تمامًا مع تشجيع الاشتغال بالأدب في مجالات كثيرة اضطرتني دائمًا إلى إرجاء بدء نشر المواد. ولم أبدأ في نشرها إلا بعد ممارسة الأصدقاء الضغط عليَّ لنشر المواد التي يمكن أن تنشر، كما ذكرت في مقدمة كتاب "الظاهرية" *Zahiriten* (ليبزج شولتسي ١٨٨٣ *O.Schulze*) مع التفاؤل الحذر بإمكان النشر.

ولو لم أقع تحت الضغط الذي مارسه رفاقي في العقيدة لفقدت الاعتداد بالنفس ولأُجبِرتُ على الإقلاع عن كل تفرغ، وما كان من الممكن أن ترتبط اكتشافات روبرتسون سميث وفيلهاوزن الجميلة باسم جولدتسيهر.

ولهذا أتصور أنني غنمت من فيينا تقديري بأن أُقدم جادًا على نشر دراساتي عن اللغة العربية والإسلام. واتفقت مع بروفيسور فيندش *Prof.Windisch* على التو في فيينا أن أنشر في مجلة المستشرقين الألمان *ZDMG* عن حركة الموحدين *Materialien zur Kenntniss der Almohadenbewegung* وظهرت الدراسة في العدد ٤١ لسنة ١٨٨٧. ولقيت استحسان زملاء التخصص. وفي الشتاء التالي اجتهدتُ في إنجاز الصورة النهائية لدراستي عن الإسلام، وضممت المواد بعضًا إلى بعض.

وفي عام ١٨٨٧ عندما كنت أقضي إجازتي في مدينة منستر *Münster am Stein* أعددت هذه المواد للنشر، وبها دراستي عن صلة الإسلام بالأمة

العربية بصيغة مختصرة، وَعَرَضْتُ دراساتي بعض الأسئلة المهمة في مجال القرون الأولى للإسلام بوجهة نظر جديدة. وكما كنت دائمًا أعمل بالشك والارتياب ضد الحيدة وسلامة التقدير في نتيجة دراساتي، لم أرد أن أقدم بعض آرائي على التو إلى المطبعة. ومن ثم تركتُ مخطوطاتي التي أعددتها لإعادة النظر في أصول التنافس بين عرب الشمال وعرب الجنوب الذي عبر عنه دي خويه *De Goeje* بأنه "بيضة كولومبس" وإلى أن تسلمت خطاب سنوك، فجعلني أرسل المخطوطة إلى الناشر(خريف ١٨٨٧) بعد أن نشر كتاب فيلهاوزن "بقايا الوثنية العربية *Reste arab. Heidentums*". وجعلني أتأكد أنني بنشري لأعمالي الجديدة لا بد أن أتأنى في نشر غيرها. وكان الناشر هو الناشر السابق شولتسي *O.Schulze* تركت عنده مخطوطاتي، فظلت مهملة ثلاثة أرباع السنة دون نشر، ولم أغضب لذلك. وأخيرًا تقدم أوجست ميللر *August Müller* الذي كان العضو الثالث في جماعة *Zwanges lieben Freunde* في الساحة *Arena* ليحلني من الارتباط بشولتسي، وقدمني إلى صديقه نيماير *Niemeyer* وهو ناشر من مدينة هاللي *Halle*. وسرعان ما وافق على الشروط، وبدأ في طبع الكتاب في مايو ١٨٨٧ بمدينة هاللي وصدر في نوفمبر بالعام نفسه / وقمت بالتصويبات في أحوال مقلقة للغاية، [١١٥] إذ إن حوادث أسرتي كانت مَدعاة للحزن؛ فمنهم مَنْ كان مريضًا، وتوفيت وإمّا *Emma*، وصاحب ذلك أهوال كثيرة، إذ أصيب كل من زوجتي وابني كارل *Karl* بالحمى القرمزية، وأوصلني الجزع والقلق إلى تخيلات ورؤية أشباح. وعندما كنت أرسل صحيفة مصححة إلى دار الأيتام في هاللي، شعرت بأنني أرسل إننا بحكم إعدامي الأدبي، وضاعت ثقتي بنفسي في هذا الوقت. وبعد أن شُفيَ أعضاء عائلتي، ذهبنا إلى لوهاتشوفيتس *Luhatschowitz* في

مقاطعة ميرن *Mären* للاستشفاء، ومن هناك أمضيت أسبوعين في رحلة الاستشفاء في تيرنج *Thüringen* بعد أن قضيت ثلاثة أيام في إنجاز بعض الأمور الإدارية في هاللي. وفي هذه الرحلة الرائعة شعرت بمرارة لأن معاناتي في إجراء التصويبات طغت على سعادتي بالرحلة، فلم أتخيل إلا الفضيحة المفزعة، إذ كنت أتخيل أنني أسمع الضحكات العالية لنلدكه ورأيت دي خويه *De Goeje* يهز كتفيه، ودكتور *D.M.* يشمخ بأنفه. رأيت كل هؤلاء الأصدقاء في تعبيرهم عن خيبة أملهم فيَّ، وسحبوا ثقتهم في قدراتي العلمية. ويكفيني اليوم ارتياحًا أنني استطعت أن أحتمل هذا الخوف الذى دام أشهرًا طويلة، إذ إن هذه السعادة الغامرة التي عشتها لم تكن متوقعة، فبعد ثمانية أيام من نشر الكتاب وصل إليَّ من كل الأنحاء،- وبخاصة من نلدكه *Nöldeke* الذي كان على قمة المشجعين - خطابات تشيد بالكتاب، وتمتدحني، وتبدي إعجابها بالكتاب وتعترف بقيمته العلمية. وفضلاً عن ذلك، فإن أقوى النقاد وأكثرهم دقة أبدى الشعور نفسه، وعبر عن ذلك صراحة وعلانية، كما عبر سنوك العنيف في أحكامه – وهو من أهدِى إليه الكتاب - عن افتخاره به. كذلك فعل فون كريمر *v.Kremer* الذي أحترم رأيه لأنه متخصص في الاتجاه العلمي الذي تدور مباحث الكتاب حوله، ومن ثمَّ اهتم به كثيرًا، وأبلغني عن طريق *D.H.* ابتهاجه بالكتاب، وعبر عن ذلك أيضًا بطريق غير مباشر. وأخيرًا بعد كل ما حدث لي عَدَّني رفاق التخصص الدوليين واحدًا منهم، وقد أسعدني ذلك كثيرًا، واستطعت بذلك أن أتجاهل ما سمعته من ملحوظات "معسولة" من جهلاء بودابست الكبار. كأن التاجر منهم اعتبر مقدمة الكتاب شريحة لحم محمرة، فتهكم عليها، واعتبر الآخرون أن نقد الصحافة الألمانية مديحًا خشنًا، وكأنه نكتة عامية. وفي الوقت نفسه يقرأ بطبيعة الحال عناوين

مثل برامج طبعت بجريدة ***Poster Lloyed*** على نفقة اليهودي المجري لانديسفوند ***Landesfond*** ويعده "عملاً عظيمًا جدًا" ***Riesenarbeit*** ولعل بعض نقاط من شراب الفرموت (المسكر) سقطت في كأس ***Heil*** فمزجت سعادتي بشعور أليم.

لم يعش فلايشر ***Fleischer*** ليرى الاعتراف بتلميذه الذي أحبه، إذ إنه توفي في فبراير ١٨٨٨ لأن المخطوطة تُركت مهملة ثلاثة أرباع سنة لدى شولتسى. ولو لم يكن هذا التأخير في الطباعة لكان الشيخ الطبيب الذي لن أنساه أبدًا (ولن ينساه أحد) احتفل بنصر تلميذه الطريد (من مؤتمر الاستشراق بفيينا)، ولفرح بذلك. لقد رأيت الصديق ذا الثمانية والثمانين عامًا قبل وفاته / [١١٦] في أغسطس ١٨٨٥ عند عودته من ***Norderneyer Badekur*** (من مركز الاستشفاء بنوردناير) مرتاحًا بعودته لموطنه في التشينفلد ***Altschönfeld*** وكان يعمل في نشاط ملحوظ. وقد حزنتُ حزنًا شديدًا. وأحسست في هذا اليوم بأن حقبة من حياتي قد انتهت، إذ طالما كان أستاذي حيًا، كنت أشعر بأنني ما زلت تلميذًا، وانتهى بهذا اليوم بالنسبة لي ما يعده الناس "أحسن سنوات العمر"، وبدأت فترة جديدة من حياتي. وتبينتُ أنني على أعتاب مرحلة جديدة بشعر رأسي الأشيب، وتوديعي لفترة كنت أشعر فيها بأنني طالب بجامعة ليبزج. وتبينتُ أيضًا أن هذه المرحلة التي أنا مقبل عليها هي آخر مرحلة في حياتي.

شاركتني زوجتي في حزني على موت صديقي الوالد، كما لو كان موته مصيبة أسرية، إذ كان يمثل بالنسبة لنا جزءًا حبيبًا من حياتنا الأسرية. فقد أرسل إلى زوجتي عندما خطبتها صورة فوتوغرافية له مع خطاب يسيل

رقة. وكم من أيام سعيدة قضيناها معه في الصيف بعد زواجنا في رحلة من آخن زيه ***Achensee*** في أبسام ***Absam*** بالقرب من هال ***Hall*** بالتيرول ***Tirol***. وأذكر كيف وقف الشيخ الرائع في ضوء القمر بالساحة العالية من الفندق يُنشد أبياتًا من شعر جوته ***Goethe***. وكيف كان يتسلق معنا الجبل في نشوة السائح الشاب ثم نستريح في استراحة المين ***Almen*** حيث يقصُّ علينا لقاءات له حين كان مدرسًا بمدرسة الصليب ***Kreuzschullehrer*** (أي فلايشر نفسه) مع شليجل ***Schlegel*** وأدباء آخرين من مدينة دريسدنر ***Dresdener***. وارتبطت ذكرياتي النفسية بما لقيته في حياتي مع أستاذي الذي لا ينسى، والذي داومت على مراسلته طوال الأعوام ١٨٧٠-١٨٨٨ (وقد فقدتُ رسالة منها) وسيرى أبنائي منها كيف كان الرجل لطيفًا حانيًا معهم، مرحِّبًا بمشاركتهم مرحهم، يعامل أباهم دائمًا بود. وقد رثيتُه باللغة المجرية، وأرسلت الرثاء مع عضو مراسل بالأكاديمية ليتلوه هناك، ثم نُشر بمنشوراتها عام ١٨٨٩، وقد حرصتُ على نشر صورة لحياته وأعماله...

١٨٨٩

بدأت حياتي العلمية مرحلة جديدة بظهور الجزء الأول من كتابي "دراسات إسلامية "***Mohammedanische Studien*** فقد أعلن نلدكه، وجويدي وأوجست ميللر ودي خويه وغيرهم عن تقريظهم للكتاب بحماس بالغ، وكان هذا ضروريًا للغاية لاستعادة ثقتي في نفسي. وتبينتُ أن مخاوفي عند إصدار هذه الدراسات ونشرها، لم يكن لها داعٍ / تلك المخاوف التي أضاعت عليَّ خمسة أعوام تقريبًا قبل نشرها. ولم يَكف نقادي عن طمأنتي من أن حكمهم بجودة العمل لا يرجع إلى رغبتهم في مواساتي، وليس تساهلا منهم، وكذلك لم تــأت أوجــه النقد الصارمة بأي حكم يخالف ما كتبه هؤلاء الأصدقاء عن عملي. [١١٧]

وحثني ذلك كله على أن أعجل بالفراغ من الجزء الثاني، ليكمل الجزء الأول، في حين كان عملي في شتاء ١٨٨٩/١٨٨٨ يتطلب مني أن أقوم بأعباء مجهدة، مما جعلني لا أتمكن من أن أشرع في وضع خطة دقيقة تمامًا. وعلى أية حال كان لدي لهذا العمل الوقت الكافي لإعادة ترتيب وإتمام المادة الدراسية التي أعدها لكتاب "تاريخ تطور الحديث" *Entwicklungsgeschichte des Hadith*.

وفي يوم عيد القيامة سنة ١٨٨٩ بدأتُ في وضع خطة للكتاب، وتمكنتُ في الصيف التالي من إتمام دراستي عن الحديث *[النبوي]* بصورة جيدة. ثم أمضيت أيام الإجازة في فارنيموند ***Wárnemünd*** حيث تمكنتُ بعد اجتهاد شاق من الفراغ من كتابة سبع وعشرين ملزمة، وإعدادها للطباعة. وبطبيعة الحال كان يجب أن أتفرغ لهذا العمل ثماني ساعات يوميا، وأن أكتفي بقليل من الوقت للراحة، ولما اتجهت بعد ذلك إلى ستوكهولم لزيارة المؤتمر الدولي الثامن للمستشرقين (في نهاية شهر أغسطس) أمكنني أن أضع مخطوطة الجزء الثاني في حقيبة السفر، وجزءًا من دراسة الحديث *[النبوي]* أيضًا لأقدم به محاضرة في قسم الدراسات الإسلامية. وكان عليَّ أيضًا أن أخطر الناشر بأنني مستعد لطبع الكتاب في يناير ١٨٩٠. وقد استغرق هذا أقل من خمسة أشهر.

مؤتمر المستشرقين بستوكهولم – كريستيانيا *Stockholm-Chistiania*

واستخدم الآن هذه الكلمات التي استخدمتُها لبدء ذكرياتي عن عام ١٨٧٤/١٨٧٣، بيانًا لقيمة ما تسببت فيه العشرون يومًا التي قضيتها باسكاندينافيا في إعادة تكويني النفسي. كانت أيام احتفال بالصداقة، في المقام

الأول، ومن ثم كانت أيضًا احتفالاً بأنني حُزتُ الاعتراف بقيمتي العلمية. كان الثاني من شهر سبتمبر ١٨٨٩ يمثل تعويضًا عن خمسة عشر عامًا من الخزي والمهانة. وقد أضفت على نفسي انتعاشًا جديدًا. وكان ذلك متوقعًا من الأصدقاء المحبين، وسيرث شكري لهم وامتناني أبنائي وأحفادي [ليتابعوا شكري لهم]، ومنذ ذلك الوقت اعتدتُ في أمسية عيد الفصح قبل أن أرفع كأس إلياس الفضي الكبير أن أتلو عبارة: "مبارك أنت يا رب. أنت حررتنا وحررت آباءنا بخروجهم من مصر".

[١١٨] وكنت أقول في صلاتي "يا ربَّ أبي وأمي،/ ارحم عبدك واحمِه، واحمِ عبدك الكاهن الحبيب أوسكار الثاني ***Oskar II*** ملك السويد الذي أعاد إلى عبدك روحه، فرفع ذراعيه من التراب، وأخرجه من المذلة والمهانة والازدراء، واجعلهُ سعيدًا أمامك، وفي منزله. آمين"

وجعلتُ ذلك عادة عند عائلتي، وأوصيتهم بأن يعوّدوا أبناءهم وأحفادهم عليها؛ إذ لا يصح أن تختفي هذه العادة بعد موتي، فلا يحافظون عليها وعندما يذهب المَلكُ الكريم إلى آبائه ينبغي أن يذكروه ويترحموا عليه في ليلة عيد الفصح، وألا يرفعوا كأس اليأس ليشربوه قبل أن يترحموا على هذا الرجل المحبوب الذي أحال ظلام حياتي نورًا.

فرغتُ من كتابة العمل حين كنت في فارني ميندي ***Warnemünde***، فأسرعت إلى كوبنهاجن لألتقي يوم ٢٢ من أغسطس بأوجست ميللر القادم من براونشفايج ***Braunschweig***، كما التقيت بساليمان ***Salemann***[(١)] وتجولنا نحن الثلاثة بالغابات الموحشة العظيمة التي تتوج نهر زوند ***Sund***.

---

(١) ساليمان ١٨٤٩-١٩١٦ ***K.Salemann*** أيرلندي، موظف بالمتحف الآسيوي في بيترزبرج.

قمنا برحلة بحرية رائعة إلى بلانجن بورج ***Blangenborgh***. ولما كنت قد حضرت قبلها بيوم إلى كوبنهاجن يوم ٢١ من أغسطس – فإنني استطعت أن أزور كل المعالم الرائعة التي تستحق الزيارة بالعاصمة النرويجية. وفي المساء قمت مع أوجست برحلة إلي مالمو ***Malmó*** على البحيرة، ومنها إلى ستوكهولم ظهر يوم ٢٣ من أغسطس حيث ينتظرنا لاندبرج ***Landberg*** الذي كنا ضيوفًا عليه منذ حضورنا إلى مالمو، فقادنا إلى الفندق الكبير بستوكهولم فاستُقبلنا بترحاب، وأُنزلنا في حجرات ملكية، وطعمنا طعامًا فاخرًا. نزلت في صالون أنيق تطل شرفاته على منظر لبحيرة ماليرزيه ***Mälersee***. وبقينا بالفندق اثني عشر يومًا.

وتمتعتُ مع صديقي أوجست ومع جوزيف هاليفي ***Josef Halevy***(١) القادم من باريس برحلات يومية نُظمت لأعضاء المؤتمر في الربوع الجذابة المحيطة بالعاصمة السويدية. وزرنا جميع المعالم التي تستحق الزيارة. وحضر أثناء ذلك ضيوف شرقيون تباعًا، منهم قاضيان من تلمسان بالجزائر، وحضر من مصر عبدالله فكري باشا، والشيخ حمزة فتح الله – وقد تعرفت عليه في فيينا– وبعض العلماء الشبان. وكنت ملازمًا لهم جميعًا. وفي يوم ٣١ من أغسطس كنت أتجول بين أروقة المؤتمر، لأعرف عناوين المحاضرات التي سيقدمها العرب في النشرات التي يصدرها المؤتمر، وبينما كنت أتبادل معهم أطراف الحديث، قيل إن رئيس المؤتمر "صاحب الجلالة الملك" موجود بالصالة المجاورة. وبمجرد أن تلقينا الخبر فؤجئنا بجلالة الملك أوسكار الثاني ***Oskar II*** يدخل علينا الصالة بصحبة كبار العسكريين،

---

(١) جوزيف هاليفي (١٨٢٧–١٩١٧) مستشرق. أستاذ دراسات إثيوبية في مدرسة الدراسات العليا ***Ecóle des Hautes Etude,***.

فنهض جميع مَنْ تصادف وجودهم بالصالة للترحيب به، ووقفوا في نصف دائرة. وكان عددهم حوالي خمسة وعشرين شخصًا. وطلب جلالته التعرف على الشخصيات الأجنبية واحدا بعد الآخر./ فلما جاء دوري، وسمع جلالته [١١٩] اسمي، قبض على يديَّ كلتيهما أمام الجميع. وجذبني إلى أحد الأركان، وقال لي: "إنني مسرور لرؤيتك هنا يا دكتور. إنك ستمنح في المؤتمر يوم الاثنين المقبل أعظم وسام؛ فسأمنحك النيشان الذهبي، إنني سعيد أن أخطرك بذلك الآن، فإنك بعملك وطموحك تستحق أعظم تقدير".

وتحدث معي خمس دقائق عن عملي، مكررًا إعجابه بما بلغه عني، وما نجحتُ في دراسته عن الوثنية وعن الإسلام. ثم أعادني إلى موقعي بنصف الدائرة وواصل التعرف على الآخرين.

وفي مساء ذلك اليوم كنت عند الحبر دكتور كلاين ***Dr.Klein*** بصحبة صديقي الأستاذ ألمكفيست ***Prof.Almkvist*** من أوبسالا ***Upsala***. وهناك قصَّ ألمكفيست على الحاضرين أن جلالته احتضنني، وهو أمر لم يحدث. وبهذا كان حصولي على الجائزة مؤكدا. وقد رفع ذلك من قدري لأسباب ثلاثة:

أولاً: أن زميلي في الحصول على هذه الجائزة كان تيودور نلدكه ***Theodor Nöldeke*** وليس أقل من هذا المستوى؛ فقد حصل كلٌّ منا على النيشان الذهبي. وعلى كل نيشان اسم صاحبه.

ثانيًا: كانت طريقة صاحب الجلالة في إخطاري بذلك لحظة لا تنسى في حياتي كلها.

ثالثًا: الاستحسان الجماعي الذي قوبلت به، والذي شارك فيه بخاصة زملاء التخصص.

وفي اليوم الثاني من سبتمبر حلت اللحظة التي دُعيت فيها لاعتلاء المنصة، بعد خطبة الافتتاح التي ألقاها صاحب الجلالة، لأتلقى من يده جائزتي عن أعمالي، بعد الاستماع إلى محاضرة يمتدحني فيها. وقدم لي جلالته النيشان معبّرًا عن تقديره، بكلمات مكتوبة بخطه، واستطاع أبنائي قراءتها بعد ذلك. وقبل نهاية الجلسة أرسل جلالته مساعده يستدعيني مرة أخرى. فلما ذهبتُ إليه أعطاني في حضرة ثمانمائة شخص ما خطه بيده من كلمات، حين أعطاني النيشان قائلا: "ربما سيكون هذا ذكرى لطيفة".

إنني لا أستطيع حقًا أن أسرد كل ما يمرُ بي عندما أتذكر ما نعمتُ به في هذا المؤتمر، وإن كنتُ كتبتُ عن قيمته العامة في خمس مقالات بمجلة بستر لويد *Pester Lloyed*، وصفتُ فيها ما لقيته من تقدير في هذه الأيام التي سعدت فيها بالإقامة في ستوكهلم، وفي كريستيانيا *Kristiania* بعد ذلك. وقد وصفتُ لزوجتي في خطابي إليها كيف أخرجتني معاملة صاحب الجلالة وسلوكه معي مما كنت أعانيه من الانطواء، وبالاختصار لم يكن لدي وقت في هذه الأيام المشحونة لكتابة خطابات أخرى./

١٢٠ وقد تبين للغالبية كيف كان جلالته يعاملني بلطف، فالتميز يعتبره رجال الحاشية نجاحًا عظيمًا، وقع عليَّ دون أن أسعى إليه. وقلما كان يُقام حفل كبير يظهر فيه جلالة الملك، ويقدم إليه فيه علماء، ويميزهم بإلقاء خطاب عليهم. وقد حاولت أن أختبئ في كل الزوايا الممكنة، والأركان حتى لا يقع نظره عليَّ، وكي لا يعتبرني الحاقدون عليَّ فضوليًا– وكان بعضهم يجلس بين الحاضرين– وكانوا بطبيعة الحال من أبناء ملّتي–. وبعد أن اعتقدتُ أني قد أختفيتُ تمامًا، وبَعُدت عن نظره، أن جلالته غادر الاجتماع،

خرجت من مخبئي، وانضممت إلى مجموعة من الموجودين، وبمجرد انضمامي إلى الجماعة، اتجه جلالته مع الحاشية إلى مجموعتنا، فانحنينا جميعًا احترامًا له. وعندئذ تطلع إليَّ جلالته ودعاني لصحبته إلى عربته. ولن أنسى ما دمتُ حيًّا، كيف كان جلالته يتحدث معي بكل لطف في هذا الطريق القصير إلى مركبته.

هل يمكن أن يوجَّه إليَّ أي لوم، عندما أحتفظ بأجمل ذكرياتي وأثمنها في تاريخي العلمي؟.

هذه اللحظاتَ الجميلة لم أنعم بمثلها أبدًا، ولن أنعم بها مستقبلاً. هذا الشعور بعلو منزلتي طوال وجودي بستوكهولم، لازمني أيضًا عند ذهابي إلي العاصمة النرويجية، فقد بقيت تحت تأثير لطف هذا الرجل العظيم صاحب الجلالة. وكذلك ما لقيته في مدينة كريستيانيا، وستبقي هذه اللحظات أغلى وأثمن لحظات حياتي. وقد وصل إليَّ خطاب من ابني ماكس *Max* يهنئني فيه بأسلوب طفولي على ما نلته من شرف. يا ليت أبَويَّ الطيبين عاشا هذا الحدث. وقد احتفظت بهذا الخطاب مع أثمن الذكريات الخاصة بالمؤتمر. ولم أتمكن من ذكره إلا في مخطوط يومياتي.

وأعود الآن لذكر الجانب الآخر لهذه الأحداث الرائعة؛ إذ إنني عندما رجعت إلى منزلي بلغني ما يفيد بأنني أُعَدُّ خائنًا لوطني، وأنني كُرِّمت من العلماء الأوربيين، وأن أميرًا كريمًا عبَّر بذلك عن أن اليهود منبوذون ومضطهدون في بلدهم. وذكَّرني هذا الادعاء بسلوك جماعات علمائنا الأوربيين. وقد كنت في هذا المؤتمر أمثل وزارة التعليم المجرية الملكية رسميًا، وبعد عودتي قدمتُ تقريرًا إلى الوزارة، وبينتُ أنني قمت بالمهمة

على وجه مرض. ووضع التقرير فوق الرف مهملاً. كذلك كنت أمثل بالاشتراك مع باول هونفلفي ***Paul Hunfalvy*** الأكاديمية المجرية.

وهذا الرجل الذي كان يمثل الأكاديمية في كل المؤتمرات ويقدم تقارير يسهب فيها ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا استفاض في الحديث عنها، صرح في هذه المرة بكل وضوح أنه لن يقدم تقريرًا عن هذا المؤتمر / أما العالم المجري ذائع الصيت، مستشار الملك وأعظم عضو في الأكاديمية.. إلخ أستاذ ***P.H.*** – فيما سمعت من آخرين– فقد استنكر أن يحصل عضو موفد (إلى المؤتمر) على هذا التكريم المشرف، ولم يستطع أن يغفل هذا الأمر في تقريره دون أن يذكرَ ذلك كي يزيح عن نفسه ما أصابه من حقد، وبهذا لم يتمكن أعضاء الأكاديمية العلماء، الذين كنت أمثلهم رسميًا، من أن يحاطوا علمًا بما حدث في مؤتمر ستوكهولم. وكان أصدقاء الصبا المقربون يمرون بي دون أن يتكلموا معي؛ إذ إنني كنت عندهم قد أقدمت على ما يلطخ سمعة هذا الوطن، فلم أحظ بأيَة تهنئة أو مشاركة وجدانية من كل هؤلاء القوم. وهكذا لم يَجُد عليَّ أحدٌ بما يثلج صدري، ولم ألقَ بالوطن أي تقدير؛ بل لقيت تنكرًا رهيبًا شاذًا.

ولم يتقبل الأخبار السارة القادمة من ستوكهولم عني إلا هيئة واحدة، وإن كان إعلانها عن ذلك سبب لي آلامًا أكثر من إدخاله السرور على قلبي. فإنني بمجرد عودتي رجعت إلى مكتبي بالجالية اليهودية. وعقد بعد ذلك رؤساء الجالية العظام جلستين حضرهما رئيس الجالية، وأعضاء مجلس الجالية. وكان عليَّ حضور الجلستين لأقوم بتسجيل كل الحِكَم التي يتفوهون بها. وقد رحب بي الرئيس وامتدحني، وأكد أنه اطلع على ما حدث

بستوكهولم، وتبين أنني رجل عظيم، وأنني أستحق هذا التكريم، وأنني بهذا أستحق تقدير المجلس. وقد سرَّني هذا الإعلان كثيرًا، ويمكن أن يتصور كل من يعرفني كيف فرحتُ به، ولم يكنْ ثمة ما يمكن أن يسرني حين يأتي الإعلان بذلك من أبناء ديني، من إشادة تجل عن الوصف بما تحملته من أعباء، واجتهادي الذي بذلته في عملي معهم، ولكن حين يأتي هذا من فَمٍ ظل سنوات يلطخ شرفي بالعار، ويحط من شأني، فقد جعلني أشعر بأنه يسخر مني ويهينني. وماذا يفيدني فيما بقيَ من عمري مديح هذا الرجل؟.

وفي يوم عودتي إلى مكتبي رجع الشعور بالعذاب والامتهان من جديد، ولم يتغير، ولم يقل، بل ازداد واشتد. كان بحقيبتي كلُّ ما كُرمت به، وما خطه الملك بيده، ولكن أقرب الأقرباء من أبي أنفسهم لم يرغبوا في رؤية أي شيء من هذا. لم يشاركوني فرحتي، ولم يعبأ بي أحد، وأهملني الجميع.

كان من السهل عليَّ أن أتحمل هذا كله. وكان صديقي الوحيد الذي هنأني، ودموع الفرح تتساقط من عينيه هو نسيبي جليك ***Glück*** الذي كان يرقد في فراش العجز، واستطعت أن أقص عليه ما حدث تفصيلاً، وأن أريه ما في حقيبتي. / ولم يعش طويلاً بعد ذلك، فبعد أن كان يشاطرني فرحتي - [١٢٢] بالإنابة عن والدي الطيبين وأختي- رحل في نوفمبر ليلحق بهم في السماء، ويخطرهم بما سمعه مني ورآه. وقد أحزنني موته، وهزني من الأعماق طوال السنوات التالية، وبهذا انتهت سنة ١٨٨٩.

١٨٩٠.

لم يطرأ أي تحسن يُذكر على هذه الظروف. وكلما تذكرتُ هذه الأحوال، تبينتُ أن أصدقائي المقربين كانوا يعتبزون أن كل ما ألاقيه في

عملي أمر طبيعي، وأنه من مقتضيات وظيفتي، يمر به كل مَنْ يشغل هذه الوظيفة، وكانوا يراهنون أنه لا يوجد ما يسبب تغييرها، وكنت آنذاك أرزح تحت وطأة الحياة في محيط مقيت، فقد تضاعف الضغط الواقع على نفسي، فالأزمات التي حلت بي لموت أختي، والهموم التي ثقلت على قلبي جعلتني أهمل في أداء عملي الذي تحملتُ قسوته خمسة عشر عامًا، فقد كان مطلوبًا مني أداء الأعمال الوضيعة نفسها، وأن أسمح بتعامل الآخرين معي بالأسلوب القديم نفسه، بصورة لا يستطيع أن يتخيلها قارئ هذه السطور.

إن تعجلي وعصبيتي في فارن ميندي *Warnemünde* كفلا لي إصدار الجزء الثاني من كتابي "دراسات إسلامية" وقد سعدت بذلك، إذ إن ما يحيط بي من هموم عائلية محبطة ومعاناة الأجواء الوظيفية المتصاعدة قد جعلني أهتم بإصدار هذا الجزء. فوجدت أن بعض الأجزاء تحتاج إلى الاختصار، وأن أجزاء أخرى تحتاج إلى تنقيح لتتماثل مع غيرها، كما استبعدت أجزاء ضخمة من المخطوطة لارتيابي في صحة مناسبتها لموضوع الكتاب. وتطلب مني ذلك تغيير الصياغة، فراجعتُ ما نشرته من أعمالٍ في الخريف؛ كي أصوّب ما كتبت. وقبيل أن أدفع بالكتاب إلى المطبعة استطعت الفراغ من دراسة الجزء الثاني من فهارس الكتالوج البرليني *Berliner Katalog* الذي وضعه آلفارت *Ahlwardt*، وعمل علي *[مبارك]* باشا الضخم (٢٠جزءًا) الذي أهداه إليَّ صديقي لاندبرج *Landberg* وأن أكمل كتابي.

وقد شغل هذا الشهر الأول من عطلتي الشتوية. وفي نهاية شهر فبراير بدأت في طبع الكتاب، ومراجعة تجارب الطباعة. ولم أشعر بالراحة النفسية عند تنقيح بعض المصطلحات، وتبينت وجود عبارات شتى تحتاج التعديل،

ولعلني يمكن أن أعترف أن ذلك كله كان ثمرة ضبط النفس/ ورغم ذلك فقد [١٢٣] استحسن القراء مضمون الكتاب، والنتائج التي توصلت إليها. وصرحوا بإعجابهم بطريقتي في دراسة الأحاديث [النبوية] وفقًا للمصادر الدينية بنظرة جديدة. ولي الشرف أن أقرر أن هذه الطريقة التي اتبعتها حفزني إليها ما قرأته أيام الصبا بشغف من كتابات الراحل أبراهام جايجر ***Abraham Geiger***، وقد اعتدت أن أنظر إلى المصادر الدينية للتعاليم اليهودية وفقًا لإرشادات جايجر التي أسسها هذا الرجل خالد الذكر، وأصبحت مرجع حياتي الدينية ومنذ ذلك الحين استطعت أيضًا أن أحكم على المصادر الإسلامية حكمًا مغايرًا لما سبق أن اتخذته بالنسبة للتيار الديني الناشئ عن تصارع المذاهب. وكانت نتيجته آخر الأمر توحيد وجهات النظر، ولكني رأيت أن هذه المصادر نفسها كانت عن الصراع بين الفِرَق ومن خلالها، وكانت نشأتها لاعتبارات مذهبية. وقد أسست دراستي للحديث بالتوفيق بين الاهتمام بالتأثير الثقافي والفلسفي. وإنني لأدين بوجهة النظر هذه لكتابات جايجر التي تأثرت بها سنوات طويلة. وعندما كنت مشغولاً بطبع هذا الجزء الثاني تلقيت تكليفًا مشرفًا للغاية من تحرير دائرة معارف بروك هاوس ***Brockhaus Conversationslexikon*** بكتابة مواد الدراسات الإسلامية والعربية للطبَعة الرابعة عشرة. وقد أنجزتُ ما كُلفت به، وخلال عام واحد أنجزت ما أسند إليَّ، فأصبح ذلك فاتحًا لشهيتي الأدبية ***Hors d'oeusre*** لأربعمائة مقال أُعدت بعد ذلك، كما أنجزت أعمالاً صغيرة نشرتُها في مجلات مختلفة شاركتُ في عضويتها منذ سنوات. وقضيت عدة أسابيع مع زوجتي وابني ماكس ***Max*** في مدينة زايشن هل ***Reichenhall***. ونشرت في مجلة بودابست ***Budapesti Szemle*** مقالة عن تاريخ بلاد العرب القديمة (ونشرتُ أيضًا عدة مقالات أدبية متنوعة). وكان الحافز لي لكتابة هذه المقالة هو إدوارد جلازر ***Eduard Glaser***.

وبعد الانتهاء من كتابتها جمعتُ ما أعددتُه من أوراق لتحقيق ديوان الشاعر العربي "الحطيئة". وكنتُ قد نشرتُ سلسلة ملحوظات ودراسات حول مخطوطة الديوان، وعن ثقافة الشاعر، ودراسات تاريخية أدبية عن الشاعر وعصره.

وكان هذا هو العمل الثاني الذي يُنشر باسمي. وقد خططت لرحلة عطلتي هذه بكرم، وبطريقة تستحق التسجيل. تواعدتُ مع أوجست ميللر على أن ألقاه في ميونخ *München* حيث قضيتُ معه ثلاثة أيام رائعة. وفي [١٢٤] أثناء ذلك زرنا المتاحف الفنية في هذه المدينة المدهشة، / وتحدثنا كثيرًا عنها. ثم افترقنا، فذهبت إلى مدينة توتزنج *Tutzing* على بحيرة شتارمبرجر *Starhemberger* فلم أجد لاندبرج بقصره؛ ولكن الهدف الرئيس من زيارتي كان رؤية إيبرس *Ebers* الذي دعاني منذ زمن طويل لزيارته في توتسنجر توسولوم *Tutzinger Tusculum* عندما أقوم برحلة إلى ألمانيا. وكان لقاء هذا الرجل العظيم المتفرد لقاءً رقيقًا، وهو الذي لم يمنعه مرضه من أن يتحف المثقفين الألمان بقصائده الشعرية كل عام في نشاط ذهني لا يهدأ. استقبلتُ في فيلته استقبالا حميمًا، وأمضيت ساعات مليئة بالتبجيل مع هذا الرجل الرائع الذي أعُدُّ صداقتي له مكسبًا عظيمًا. وأسمح لنفسي بالإشادة بحياته الأسرية التي لمست مظاهرها. وقد أبدى الجميع اهتمامًا بأحوالي. كانت أيامًا لا تنسى! ما أجمل ما تلقيت عندهم من مساعدة. وفي يوم ٣١ عدت لأقف أمام موسى فارمان *Moses Wahrmann* واستحييتُ من أن يكون في مسار حياتي مثل هذا الموقف.

١٨٩٠-١٨٩١.

لا يستطيع كل امرئ أن يتحمل معيشة أبناء الطبقة العاملة *Proletarier* فمن كان في مقتبل حياته طموحًا سيصبح بائسًا في كهولته إذا صار حطامًا

مثل ما يحدث مع حطام السفينة الذي يُدفع به من البحر عائمًا إلى الشاطئ.
ولم يطرأ عليَّ هذا الشعور، بل إنني أقرر أن هذا هو ما جعلني أقبل على الحياة في مرح، فبعد الاعتراف بي علميًا أصبحت لا أعبأ بما يحدث لي في وطني. وكلما ضاقت الحلقات عليَّ أصبحت أكثر تصميمًا، وبخاصة عندما كنت أعامَل، وكأنني نكرة لا قيمة لي *No body*، وكما يقال في اللغة الفارسية "ناكس" (أي نكرة أو تافه) *Na-Kes*. وكان من السهل عليَّ التكيف مع هذه الحال. فبم يصفني إذًا؟ وتبعًا لهذا كان يُسمح لكل يهودي يفتخر بماله أن يتحدث إليَّ بغلظة، وأن يعتبرني خادمًا له، وكل صاحب قلم يمكن أن يتعامل معي وكأنه عالم عظيم، وكاتب مرموق. وأن ينظر إليَّ من علٍ، وهو يهز كتفيه.

كان اسمي يظهر في صحيفة بست لويد *Pest Lloyed* (المجلة الدينية لليهودية في بست) بخط معتاد (وليس بحروف غليظة)، وعندما تُدفع لي مكافأة المقال لا يُذكر اسمي، ويبدو عليهم الحزن الشديد كمَنْ يشيع جنازة. وكانوا يرون أن رجلاً من الطبقة العاملة مثلي يتحمل بسهولة السخرية منه. وكنت أفتخر بأنني أستطيع أن أتحمل هؤلاء القوم رغم أنهم ينبذونني. / في الأيام الأخيرة أصبحتُ – رغم أنفي– مضطرًا أن أحمل عبء العمل كاملاً بسبب المرض الدائم لمساعدي في العمل، وهو رجل طاعن السن مرتعد المفاصل إلى أن طفح بي الكيل، ولم أستطع القيام بعمله بديلاً له، وتأخرتْ صحتي كثيرًا. وبعد وفاة الرجل انفردتُ بالعمل رسميًا إلى أن عُيِّنَ أخيرًا مساعد شاب يحمل عني بعض العبء. ولم أكن من الغباء –بعد خمسة عشر

١٢٥

عامًا من العبودية والسخرة - بحيث أخفف عنه العبء قدر المستطاع، وأتحمل معظمه. ومن ثمَّ أصبحتُ - منذ شهر مارس هذا العام- أجد الفرصة للتنفس بعد أن خفت وطأة العمل عني بعض الشيء، واستطعتُ أن أستمتع بالراحة بعض الوقت، فتمكنتُ منذ عشر سنوات من أن أتفرغ في هذا الوقت لدراساتي العلمية. وغرقتُ في الدراسات العلمية كليةً حتى أعوض ما فاتني، وأنعم بعض الوقت بهذه الدراسات. واتجهتُ في هذه السنة إلى دراسة الشعر العربي قبل الإسلام؛ وبخاصة ما خططتُ له بالنسبة لشعر الحطيئة، وسررتُ كثيرًا عندما تقدمتُ خطوات سارة في العمل؛ إذ ساعدني الأصدقاء الطيبون في استكمال المواد اللازمة له، ففتح أوجست ميللر ***August Müller*** أمامي كنوز مكتبة جمعية المستشرقين الألمان ***DMG*** بحرية تامة لم تتيسر لغيري. وأهداني لاندبرج ***Landberg*** بمناسبة رأس السنة الجديدة نسخة رائعة لمخطوطة القاهرة الأصلية.

وفي شهر مايو قضيت خمسة أيام من العطلة بمكتبة فيينا الملكية كي أستعين بها على ملء الفراغات التي كنت أعانيها بمكتبتنا المتواضعة. وأفدتُ آنذاك من مساعدة دكتور جاير ***Dr.Geyer***(1) - وهو مستعرب شاب جاد- الذي ساعدتني مجموعاته كثيرًا.

وتزامنت هذه الفترة الرائعة التي مرت بي عام ١٨٩١ مع الأحداث البغيضة التي مرَّ بها تاريخ اليهود؛ فللمرة الأولى في حياتي المدنية مررتُ بلحظة سعيدة نتيجة حدث تاريخي... ففي اليوم التاسع عشر من شهر يوليو

---

(١) جاير (١٨٦١-١٩٢٩) ***R.Geyer*** أستاذ دراسات عربية بفيينا.

نُوديَ لاجتماع مندوبين عن المجموعات اليهودية في برلين للنظر في أمور ثورة اليهود الروس. وكُلفت بأن أنوب عن اليهود المجريين. فرحلتُ في السابع من يونيو إلى برلين. وكنت أطمع في أن أجتهد بكل قواي لأداء مهمتي على أكمل وجه، الأمر الذي اضطرني للبقاء في برلين إلى اليوم العاشر من الشهر، ولما كان عيد الشابوت *Schabuothfest* قد حلَّ، فقد قررت البقاء الأيام (١٠-١٣) بمدينة هاللي *Halle* عند أصدقائي. وكانت ثلاثة أيام مباركة من الرب، ونعمت بصحبة الأصدقاء ميللر وكاوتش *Kautzsch*، ومايرMayer[١]، فقضيت معهم ساعات رائعة نهارًا، وليلاً في دائرة أعضاء جامعة هاللي. وانتهزتُ الفرصة فزرت مكتبة جمعية المستشرقين الألمان DMG لأطالع ما خلَّفه الراحل توربكه *Thorbecke* من مكتبة غنية./ وانتقيت من المخطوطات الكثيرة مخطوطة لديوان كعب بن زهير لدراستها، وكثيرًا من الكتب لإيداعها مكتبة "بودابست" المهملة.

١٢٦

كذلك اتصلتُ بناشر كتبي الطيب نيماير *Niemeyer* أثناء هذه الأيام الثلاثة وكان مستعدًا للغاية أن أكوّن مع صديقي ميللر *Müller* فريقًا لإعداد عمل أدبي مشترك، وكنا قد اتفقنا على ذلك بمراسلاتنا، ولم نحققه جديًا إلا في هذه الأيام بعد أن نضجت الفكرة. اتفق ميللر معي على أن ننشر معًا لدى نيماير تاريخًا للأدب العربي في جزءين. وبهذا يمكننا أن نسد نقصًا أدبيًا عميقًا في هذا التاريخ الأدبي، فضلاً عن إقامة تمثال لصديقنا المشترك خالد الذكر أوتو لوت *Otto Loth*[٢]، لأن ميللر كان يحتفظ بملحوظات جمة لا تعد

(١) ماير (١٨٥٥-١٩٣٠) *E.Mayer* أستاذ الدراسات التاريخية في برلين.

(٢) لوت *Loth* (١٨٤٤-١٨٨١) مستعرب، أستاذ مساعد بجامعة ليبزج.

ولا تحصى عن تاريخ الإسلام وتاريخ الأدب العربي كان يستخدمها في محاضرات، ويملأ بها كراسات كثيرة، وكان ينبغي أن نستخدم هذه الملحوظات في كتابنا. ولم يتمهل ميللر كثيرا قبل أن يدفع لي بهذه الملحوظات.

وأمضيت هذه الأيام الثلاثة الرائعة في لقاءات ومحادثات لدى أصدقائنا في هاللي، ومع عائلاتهم المباركة التي رحبت بنا، ثم صاحبني ميللر في الثالث عشر من يونيو إلى محطة السكك الحديدية حيث ركبت القطار في رحلة حملتني مباشرة إلى بودابست. وفي الخامس عشر رجعت إلى عملي مبكرًا، ووقفت أمام فارمان لأقدم له شفويًا ما أرسلته مفصلاً في تقرير خطي عن الرحلة، كنت قد دونته بالفندق في برلين عن العلاقات الروسية اليهودية التي صدرت إلى الأحبة الكبار. وبناء على هذا التقرير تكونت جمعية مركزية مجرية لليهود الروس. وكان لي الشرف – باعتباري أمين المجلس – أن أرأس هذه الجمعية المكونة من أغنياء اليهود، وأن أسجل ابتهاج البولنديين بما جاء لدى اليهود الروس، لكن سوء الحظ يجعل القطار السريع يلفظ أمثالي فيوقظهم من أجمل أوهام الحياة، فخرجت سريعًا من هذا الجو المنعش برجوعي ثانية إلى موقعي الوظيفي المقرف في اليوم نفسه.

أما ما كان ينتظرني عند عائلة نسيبي الراحل، عقب عودتي من هذه الرحلة، فهو ما زال منقوشًا في ذهني، وسيظل يحزُّ في نفسي حتى الممات، ولكنني أستطيع الآن أن أفكر فيه موضوعيًا، كان ذلك فصلاً كاملاً في يومياتي تحت عنوان خيانة حنا لفلر ***Hanna Löfller*** وأدعو الله ألا يتضخم هذا الفصل ليصبح كتابًا ضخمًا يهدّد بتسميم حياتي./ كنت أومن بالفضيلة [١٢٧]

وأداء الواجب، ولم يكن خداعي سبب سوء حزني فقط، وإنما كان اليتامى الخمسة هم الضحية البريئة لامرأة خبيثة لا مثيل لها، خدعتني بنفاقها. يا لها من مسكينة إمَّا **Emma** طيبة الذكر.

هل هذه أختُك حقا؟! التي خانت ثقتي فيها بنفاقها، اضطررت لما حلَّ بي من هياج بسبب هذه العاصفة إلى الفرار يوم ١٥ من شهر يوليو إلى مصيف فيسترلاند على نهر سيلت **Westerland auf Sylt** ومن هذا المصيف أصيب زوج أختي بجرثومة مرضه القاتل. وكنت أطمع في أن أستطيع مزاولة العمل، ولكن ما أصابني من اكتئاب جعلني أهتم بشيء آخر؛ أن أنكبَّ في البحث عما كُتِبَ عن الحكمة.

توقفتُ في رحلتي هذه في هيلجولانك، وويك **Helgoland und Wyk** بعد كوكس هافن **Cuxhaben**، ولم أحمل معي في هذه الرحلة إلا الشعر العربي القديم (قبل الإسلام)، وكنت قد أتممت عملي عن الحطيئة **Hotej'a** وأصبح معدًّا للطباعة. وطلبتُ ديوان كعب بن زهير **Ka • b b.Zuhair** من هاللي، –وشروح ديوانه– لهذا الغرض. وحاولت أن أخرج تأملاتي، وتفكيري فيما أشعر به من آلام لعدم استطاعتي اصطحاب زوجتي وأبنائي؛ إذ إن زوجتي كانت مضطرة للبقاء بجوار أمي المريضة، فحاولتُ أن أجلس على الشاطئ بين كثبان الرمل، أطالع في كتب دانتي **Dante**، وشوبنهاور **Schopenhauer**. وما أكثر ما باح لي به الفيلسوف الفراكفورتري (من مدينة فرانكفورت). وقد كان هذا كله سببًا في اعتدال مزاجي. ولم أنسَ مطلقًا يوم ودعت هذا النهر الرباني عند رحيلي من رحلة ويك إلى كوكس هافن البديعية، وقد تجلت عظمة هذا البحر يوم السبت ٢٢ من شهر أغسطس.

أقمت فـــي بـــرلين يومي ٢٣،٢٤ من أغسطس، والتقيت الأستاذ *Prof. Jahn* (كونجزبرج *Königsberg*). وفي يوم ٢٦ من الشهر نفسه رجعت إلى وطني، ومنذ ذلك اليوم لم ألقَ إلا المضايقات المتنامية، والهموم القاسية المتمثلة في هذه المرأة الماجنة اللعوب التي أصبحت حاضنة لهؤلاء الأطفال اليتامى الخمس. وقد أفسد عليَّ شعوري بالمرارة فرحتي برؤية زوجتي الطيبة وأبنائي،:ليقُل إسرائيلُ كثيرًا ما ضايقوني منذ شبابي لكن لم يقدروا عليَّ"[1].

صفحة خاصة ليوم ٣١ من أغسطس ١٨٩١

في يوم ٢٩ من أغسطس وجب أن نقوم بدفن أحد الموتى، إذ تُوفيَ كبير الكهنة فريدمان *Friedmann*[2]، وكان من الواجب أن أحضر شعائر الدفن وأن أستمع إلى كل الأغنيات والخطب. وأثناء هذا الاحتفال، استفزني فارمان، وكنت واقفًا بجواره –لسوء الحظ– ولا أعرف السبب في هذا الاستفزاز، ولكن لم يكن من الضروري أن يستفز رجل في عظمة موسى فارمان رجلاً فقيرًا مثل إيجناس جولدتسيهر. ولكنني كنت في ٣١ من أغسطس في مأمن أمام هذا البولندي اللئيم. ففي مثل هذا اليوم / منذ عامين [١٢٧] (أي يوم ٣١ من أغسطس سنة ١٨٨٩) قابلت لأول مرة ملك السويد العظيم – وقد ذكرتُ ذلك من قبل– ولما رأيتُ هذا الرجل المليونير الدنيء وجدته مَهينًا فلم أضيع هذه الفرصة، ووجهت إليه سبابًا مهينًا.

---

(١) المزامير، ١٢٩/٢.

(٢) فريدمان (١٨٢٦–١٨٩١) *M.Friedmann* كبير كهنة الجالية الاسرائيلية.

سبتمبر ١٨٩١

لم تدع لي حالتي النفسية المنهارة، والجو المحيط بي، الذي تسوده المصائب – التي كانت تتوالى عليَّ– أي فرصة للاهتمام بأعمالي. وقد حاولت التمسك بقراءة نصوص كثيرة؛ واختلطت الأوراق؛ استبدلت المدراشيم ***Midraschim*** بخطابات جوته ***Goethe*** والحروف العربية لا تظهر إلا قليلاً (لم أقرأ إلا قليلاً من النصوص العربية). وفي اليوم الثاني من الشهر مشيت في جنازة الرجل الكريم الطاعن في السن بالاجي ***Ballagi***، وألقى عليه كارل ساز ***Karl Szász*** خطبة التأبين، وقال فيها: "ارتفع من أحط الأوحال إلى أعلى الدرجات العلمية الإنجيلية" فتخيلتُ عند وقوفي بجوار قبره شبابي بالسنوات ١٨٦٥–١٨٦٩ بكل ما فيها من طموح، حينما كنت تحت رعاية أتفوس ***Eötvös***، إذ أعاد إليَّ هذا الشيخ الذي نواريه التراب كل هذه الذكريات عن الزمن الجميل لأنه كان جزءًا منه. باركه الرب.

وفي هذا الشهر أيضًا صدر الحكم بالخروج من الحجرات الإدارية بالمبنى القديم الرطب الخاص بممثلي الحي اليهودي (***Getto***) الإداريين، حيث قضيت أكثر من خمسة عشر عامًا، أقاسي من البقاء متضررًا، وكان يصعب على أي إنسان له مثل طبيعتي المرهفة أن يبقى فيه. وانتقلنا إلى المبنى الجديد للجالية اليهودية المسمى بالبوابة العالية لإسرائيل، ويشمل حجرات فسيحة، ومنها حجرة مكتبي وبجوارها الصالون الرسمي للرئيس القوي مما يجعل المرء متكدرًا لأنه سيراني دائمًا تحت قدميه.

وكم يشعر المليونير المجري بالراحة عندما يرى أن جولدتسيهر قد أصبح تحت يده مباشرة، وكان من المتوقع كما صرح الرجل القوي يومًا

أمامي أن تبدأ الجالية مرحلة جديدة من حياتها، وبهذا يمكن أن يظهر ما أكده الرجل العظيم مرارًا أن الجالية المتدينة مؤسسة تجارية عظمى، وأنها يجب أن تكون في أيدي إداريين مهرة. وكان يعبر بذلك بطريقة غير مباشرة عن أن الحجرات الرائعة تحتاج إلى سكرتير شجاع، وأن السكرتير الحالي رجل غبي يبدو كأنه نَغَم نشاز، لا يتوافق مع أنغام الحكمة وتراثها وبهائها.

وفي نهاية هذا الشهر نبشتُ في دفاتري القديمة المتربة واخترت منها بعض الدراسات العربية والإسلامية عن العصور الإسلامية الأولى. وكنت أريد أن أنشر بعضها. / وأن ألقي الضوء على رؤية العرب قبل الإسلام حول الجن التي تلهم الشعراء بذكر أمثلة مهمة، وعن عُوَّاد المريض عند العرب بالجاهلية. وأكتب تعليقًا عن هذا. وقد ارتحت لعملي هذا، لأنني تأكدت رغم ما أمُرُّ به من أوقات اليأس آنذاك أن غريزة البحث العلمي لم تفارقني، وإنما تدفعني إلى الانكباب على العمل بقوة، رغم الاكتئاب الذي حلَّ بي. لقد كتبت كل كتبي ودراساتي بشعور لا أستطيع أن أصفه، وتحت تأثير إذلال مهين، وأنا أعاني أشد الآلام في أسرتي.. وكانت التعليقات التي تنتشر عن جهودي مثل قطرات الندى تزيل قلقي، وتنعش نفسي. وفي هذا الشهر دعت وزارة المعارف والتجارة إلى إقامة حلقة تدريس محاضرات عن الاستشراق، ولم أُدع للتشاور في هذا الأمر أو في تنفيذه. وكان الوزير باولر *Pauler* قد استدعاني في عام ١٨٧٢. وكنت آنذاك في الثانية والثلاثين من عمري لكتابة اقتراح لإنشاء حلقة للدراسات الاستشراقية. ومع ذلك يتجاهلني المسئولون الآن بعد أن بلغت الحادية والأربعين، وكأنهم لم يعلموا بما حدث من قبل. وقد تكرمتْ جريدة معارضة *Maguar Hirlap* بنشر ذلك تعليقًا على هذا العبث.

[١٢٩]

لم يشعر أحد أن الوزارة لم تعد مسئولة عن هذه الفظاظة، وإنما المسئول هو الدرويش الأكبر[1] المحتال الذي لا يستطيع أن يشعر بعظمته دون أن يحط من شأني. يا للدرويش المحتال! أكبر من يعلن عن تلمذتي له. يا معلمي أنت تشيع دائمًا أنني تلميذك، إنك تلوث اسمي وتتجاهل وجودي وتخرجني عن طوري، ومن الواضح أنك تجهل أنك جاهل.

٢٣ من سبتمبر

فاجأني في هذا اليوم تاجر صغير من حارة الملك *Königsqasse* بمنزل *Orczy'sch* واسمه "إيمانيول كان" *Emanuel Kann*، وأخبرني مصادفة بوجود مؤتمر رؤساء المدينة بالمنطقة السابعة ببودابست، وكنت أتشرف منذ تسع سنوات بأن أكون عضوًا به ملاحظًا:

"أن النشرة التي أرسلتها الجالية اليوم كُتبت بلغة مجرية معيبة. واستشهد على ذلك ببعض الفقرات الواردة بها".

ولم أستطـــع أن أجيب خلافًا لقولي له "يا عزيزي التاجر، إن موظفيَّ لا يملكون شيئًا ضد هذا" (إذ إن النقد كان موجهًا لهم): إذ كنت أفهمته بقدرتي على فهم المجرية جيدًا فغمغم: "هي، هي" وكأنه أراد أن يقول: "إنها لفضيحة أن توظف الجالية مثل هؤلاء الجهلاء (الأميين)". /

١٣٠ أطلعني السيد جوزيف فلايشل *Josef Fleischel*، وهو شخص قذر يشغل بجاليتنا المنصب الشرفي رئيس المعبد –اليوم عصرًا– على رسالة

---

(١) يقصد فامبيري *Vámbéry* مدرسه السابق. وقد تحدث عنه في السنوات الأولى من صباه. (عوني).

مفتش المدرسة برنارد مونكاسى *Bernard Munkáesi* المعروف بأن لغته المجرية متميزة، معلقًا بأن هذا الرجل لا يعرف المجرية.

وفي اليوم نفسه صدر هذا الحكم المدمر من يهوديين جاهلين لا يفقهان ما يتفوهان به في حق عالمين لغويين يتمتعان بعضوية الأكاديمية المجرية. ومن المفيد أن نحتفظ بمثل هذه الظواهر الحقيرة التي تسود الدائرة التي نعيش فيها، وعلى الذين لا يجدون في هذه المظاهر أنفسهم أن يتتبعوا الإرشاد التالي، فيهود بودابست يعتبرون كل إنسان يُستخدَم في الشئون اليهودية رجلاً وضيعًا، لا يحق له أن يُصدر أحكامًا مستقلة، ولو كانت في مسائل علمية. وهو عندهم بالضرورة غير مصدق، فلا قيمة عندهم إلا للمال.

أول أكتوبر الساعة الثانية صباحًا:

كانت بداية هذا الشهر بداية رائعة، إذ إن رجلنا فارمان **Wahrmann** دعا مجلس الجالية للانعقاد، ومن ثمَّ تجمع الأعضاء الوجهاء الذين يكونون مجلس الإدارة الجديد، والذين كانوا به في السنوات الماضية. وكان أمامهم مجموعة من المسائل التافهة، ليتبادلوا الرأي فيها. ودامت الجلسة من الثالثة بعد الظهر إلى السادسة مساءً. وتجدد الحديث – في هذه المناسبة– فيما قيل بجلسة ١٨٨٤ من "أقوال بهيجة"؛ إذ انطلق اليهود المجريون – أثناء وجودي بالجلسة– يوجهون اللعنات لعدم صلاحية السكرتارية، ووجه إليَّ شخصيًا تهمة التكاسل مرارًا، وبسبب عدم اقتنائي لكتاب أسود أدون فيه أسماء كل من يعترض على صلاحية رئيس الجالية، وأنه من الواجب عليَّ أن أمنع

هؤلاء من الخوض في مثل هذه الأحاديث، وأن أسجل ما يتفوهون به في الكتاب الأسود. وكانت كل كلمات المتحدثين تبدأ بالحديث عن السكرتير المهمل، وتنتهي بالحديث عن الإهمال، وكيف أن الإهمال يعم الإدارة كلها، وكل ما يصدر عنها تافه مهمل. وهذا كله بسبب الكتاب الأسود. وعندما غادرت هذه الجلسة الرائعة لم أعرف إذا ما كنت أدعى دكتور جولدتسيهر ***Dr.Goldziher*** (مستخرج الذهب) أو ***Schlamziher*** (مستخرج الطين) أو أن وطني يسمى ***Schlampenburg*** (قلعة مطينة) ويقع في ***Schlampenland*** (بلاد مطينة) أي أن كل ما أنتمي إليه مهمل ولا يستحق إلا أن يهمل.

آه يا أوسكار[١] أيها الملك العظيم./

[١٣١] ذهبت إلى المنزل وأنا أشعر بالعفن داخلي، وبالعفن يلفني، فوجدت في انتظاري خطابًا عاصفًا من روبرتسون سميث ***Robertson Smith*** من كمبردج. وبعد عشاء دسم أشعلت غليوني، وحاولت أن "أتعفش" في غرفة نومي "العفشة". ولكني لم أستطع. فانتقلت إلى مجموعة كتبي. وكتبت دراسة لمجلة المستشرقين الألمان. وحاولت أن "أتعفش" حتى الساعة الثانية صباحًا. وفي هذه الليلة حلمت بزكائب كثيرة عفشة.

مساء الخير يا ليرشن ***Lörchen***[٢]. أنت تعرفين – بطبيعة الحال – ما تعانيه الأم التي تعاني مرضا عضالا. وهي مطالبة بالعناية بطفل، وكيف يعفشك زوجك بمنزله العفش. إيثارًا للراحة الآن. يا يهودي السرمدي، تعفش يا عزيزي!

---

(١) هو ملك السويد الذي كَرَّمَ جولدتسيهر وأعطاه نيشانًا بمؤتمر المستشرقين بستوكهولم. (عوني).

(٢) هو اسم لورا ***Lora*** زوجة جولدتسيهر والاسم مصغر للتدليل. (عوني).

أكتوبر ١٨٩١

غص هذا الشهر بأحداث تبعث على عدم الراحة والقلق إلى أقصى درجاته. فقد أفضت الحالة الصحية المقلقة لوالدة زوجتى فى عشية اليوم السادس من الشهر بنبأ وفاة المرأة العجوز الطيبة التى منحتنى طيلة حياتى الكثير من الحب والوفاء. وفى اليوم الثامن وقفت إلى جانب زوجتى وأصهارى فى تشييع الجنازة، حيث كان الجميع فى حالة نفسية مضطربة إلى حد ليس بالهين، إثر نقل الجثمان إلى سيماند ***Simánd*** وما يرتبط بذلك من إجراءات رسمية مزعجة.

وبمجرد عودتى من هذه الرحلة، الأليمة للغاية، تم إبلاغى- بدعوة من اللجنة المركزية ببرلين المهتمة بشئون اليهود الروس- بضرورة التوجه إلى برلين، لحضور مؤتمر الوفد الثانى بصفتى ممثلا للجنة المجر. وفى يوم ١٩ بدأت رحلة سفرى فى الصباح الباكر، وبعد رحلة سفر متواصلة، استغرقت يوما كاملا بليله، تمكنت فى صبيحة يوم ٢٠ من الحضور والمشاركة بجلسات المشورة التى أبقت على وجودى ببرلين حتى يوم ٢٢. كان لزاما على أن أستسلم إلى تلك المداولات حتى ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم، حتى إننى لم أتمكن من زيارة أي من زملائى العلماء، أو أن أقوم بزيارة معلم واحد من معالم العاصمة الألمانية التى تزخر بالمجموعات العلمية. ونظرا لأن يوم (٢٤) من الشهر توافق أن يكون يوم السبت، ويعقبه احتفال اليهود بيوم الفرح بالتوراة، فقد اتخذت قرارى فى ارتياح بتأجيل رحلة عودتى. وفى ساعة متأخرة من مساء يوم ٢٢ أرسلت تقريرا قويا يحتوى على مجموعتين من الأسئلة إلى الشريف البولندى، ثم سافرت فى باكورة يوم ٢٣ إلى مدينة هاله، لكى أنعم بالراحة مع دائرة أصدقائى المقيمين بها، وذلك

بعد جهودى التى بذلتها فى برلين، وعقب سفرية مضنية ألمّت بكل أعضاء جسدى. وهنا توالت الدعوات على، الواحدة تلو الأخرى. فقد اعتزم الجميع من خلال لقاءات تسودها المحبة والود على إثبات حسن نواياهم ومقاصدهم تجاهى وتعلقهم بى وتقديرهم لشخصى. كان منزل عائلة موللر ***Müllers*** بمثابة المأوى الأخوى الذى أعود إليه على الدوام. وبمجرد انتهاء يوم العيد شرعت فى رحلة العودة فى ليلة يوم ٢٥ بحيث أكون بين أهلى وعشيرتى فى يوم ٢٦ ليلا بعد رحلة سفر متواصلة تستغرق يوما بليله. وقد رضخت، رغم ما أعانيه من إجهاد وتوتر لا طائل منه، إلى ما أتخذه الرئيس العصيب ١٣٢ الضخم / من قرار بضرورة مثولى أمامه رغم تعبى فى صباح يوم ٢٣ ببودابست، ولا أتوانى عن ذلك الموعد يوما واحدا، حيث تنامى لسمعى أنه تلقى رسالتى بعدم قدرتى على الحضور إليه بلا هوادة ولا رحمة. ها أناذا أسرد عليه تقريرى الشفوى التكميلى الذى احتوى على تلك المجموعتين من الأسئلة بشأن ما خضته من تجارب فى برلين عن موضوع اليهود الروس. وبعد أن استمع إلى فى هدوء، قام ليودعنى بكلمات تبوح بالكثير من المعانى: "ما ألقيت به على سمعى هنا لا قيمة له مطلقا فى مجمله". وينبغى أن تنتقل هذه الكلمات إلى الأجيال القادمة كما وردت فى لغتها الأصلية. يا عزيزى نانشى *Náczi*، إنها فقط العبودية والهوان.. ودائما الاعتراف بالجميل لا يتأتى إلا بعد فوات الأوان! أيها الملك الطيب أوسكار!!

نوفمبر ١٨٩١

مفاوضات الوفد فى فيينا. شعرت بالارتياح، وسأنعم بمزيد من الحرية لأننى لن أرى وجه هامان ***Haman*** طيلة أسابيع ثلاثة. وفى يوم ١١ تلقيت

خبر وفاة الدكتور إجناس هيرشلر *Dr. Ignaz Hirschler* الذى كثيرا ما تحدثت فى هذه الأوراق عن علاقاته تجاهى. لقد كان صاحب فكر بديع بالقدر الذى يسمح له بدخول جنة رضوان.. فقد عرفته نموذجا للفروسية يربو عن المعنى المقصود فى قصيدة "الحصان الطائر تحت النير *Pegasus im Joche*"(*).

وقد أعرب لى بعض الأصدقاء عن ملاحظتهم بأن الشباب قد عرف طريقى مع بلوغى العام ٤١. وهذا شيء طبيعى لأننى مع هذا العمر ما أزال أستهل مشوار حياتى، وما زلت فى مظهرى الخارجى (شكلى) كمن هم فى ألمانيا فى سن ٢٣ أو ٢٤ عاما. من هنا فإننى أغض الطرف عن السنوات الثمانى عشرة الفارقة بينى وبينه وأتجاوزها، حيث إنها بمثابة المرآة التى تعكس دائما ما بداخل نفسى من أننى الدكتور الشاب، فيكون مسلكى بعد ذلك على هدى منها.

لقد انشغلت كثيرا فى الشهر المنصرم بالقراءات اللاهوتية. لم يكن موسى أبا للأنبياء، بل هو إبن الحفيد الذى خرج من هؤلاء، أو هو الحلقة الأخيرة فى سلسلة النبوة. إن التوراة التى جاء بها هى ختام القوة النبوية فى بنى إسرائيل.

(*) عنوان قصيدة للأديب الألماني الشهير فريدريش شيللر (١٧٥٩- ١٨٠٥) أديب حقبة الكلاسيكية الألمانية مع رفيقه العظيم "جوته" - أديب ألمانيا الأشهر. وهذه القصيدة التى تحمل عنوان "*Pegasus im Joche*" أو "الحصان الطائر فى النير" اقتبسها شيللر من الميثولوجيا اليونانية؛ تقدم صورة تشبيهية للشاعر الذى لا تُقدر عبقريته بين أهله، فيتألم من ذلك أشد الألم؛ وكذلك [بيجاسوس] الذى نجده يعترض على تسخيره وسوء معاملته، فيضرب الأرض بحوافره القوية ليطير إلى جبل "هليكون" حيث تستقبله الحوريات اللاتى تسكنه، ويُحسنُ تقديره. وبيجاسوس *Pegasus* هو رمز لفن الشعر. والعنوان المذكور ديوان لشيللر نشر عام ١٧٩٦ [عبد الحميد مرزوق]

١٤ من ديسمبر

كيف لا يُعرب أحد عن اندهاشه حين يرى بشرا لا يميز تصرفهم ومسلكهم سوى التباهي والتفاخر وجنون الاضطهاد، ثم تأتى ظروف وأحوال بين الفينة والأخرى تجعلهم ينقلبون على التكبر وعدم التواضع، مندفعين فى هياج نفسى على علاقاتهم الخاصة بهم.

قام هامان *Haman* ظهر اليوم بزيارة مقر عملى، ووضعت بين يديه محاضر، كنت قد وضعت أفكارها ودونتها بنفسى. تعبيرات وجه غبية تنم عن حقارة وحقد وتأنيب ولوم تجاه خطى السيء، وفوق هذا وذاك أن الورق الذى كتبت عليه من قطع الربع. "نحن نريد أن يكون لدينا الآن "مقر عمل رسمى"، وليس مثل ذاك الإهمال الذى عفا عليه الزمان".

الويل كل الويل لمن يقع فى أيادى أصحاب الدنانير اليهودية المتغطرسين! إننى أحذركم، يا أولادى، من هؤلاء الخفافيش الذهبية. إنهم التعاسة والبلاء، ليس فقط على من هم من بنى / عقيدتهم، بل على البشرية [١٣٣] جمعاء. إنهم جراثيم المجتمع، وبق وخنافس عليها طلاء من ذهب. لقد قام هؤلاء القوم بتعذيب أبيكم والتنكيل به أكثر مما لو كانوا قتلوه.

١٨٩٢

٣ مارس ١٨٩٢

حضرت اليوم جلستين عجيبتين بمقر الطائفة، كان لهما مذاق خاص عندى، حيث تحتم علىّ أن أفتح صدرى لكل ألوان الغباء والحماقة المروعة، وقد كان لدى أعظم أوغاد العالم حالة من الجنون لأن يستمعوا إلى تلك الحماقات وهى تأتى على لسان المحاضر جولدتسيهر، إلا أنهم قد أنقذوه بحق من الموت جوعا. فقبل بدء الجلسة اتخذنا جميعا – السادة والراعى الخادم –

أماكننا حول المائدة المستديرة. فقد كان موقعى فى الجلوس هو التالى مباشرة بعد كل هؤلاء الناس الذين يطلقون على أنفسهم "رؤساء الجلسة ورعاتها". وبمحض الصدفة اتخذت مكانى بين إثنين من "رؤساء الجلسة"، ونتج عن ذلك أن أحدهما، وهو تاجر أخشاب وقرميدانات، جاء ليتخذ مكانه بعدى. وعند التفاتى لذلك قدمت اعتذارى فى منتهى التواضع لدى هذا الشخص الذى هو واحد من الشخصيات الستة أصحاب الأمر والنهى، وأعربت بوجهى بما يدل عن رغبتى فى التخلى له عن المقام والمكانة الرفيعة الخاصة به فى الجلوس. "أرجوك أن تبقى فى مكانك؛ فأنا رجل ديمقراطى للغاية". ووفقا لما قاله فإنه حين يحتفظ مثل هذا الوغد برقمه فى الجلوس بعد مكانى الذى أجلس فيــه، فــإن هــذا يعنى فى نظره "ديمقراطية". إن الرجل لديه شعور بأنه سيد.

٥ مارس ١٨٩٢

حدث منذ حوالى ثلاثة أسابيع أن انجرفت – ضد رغبتى وضد ميولى – إلى حلبة حركة أدبية وعلمية صغيرة. فمنذ عامين ونصف العام تكونت هنا ما أطلق عليه "المجمع الإثنوجرافى ***Ethnographische Gesellschaft***" الذى ترأسه حتى وفاته باول هانفالفى***Paul Hunfalvy***. ومع وفاة هذا الرجل تعثرت هذه الجمعية التى يعتبرونها هنا فى البلاد من الأشياء الطبيعية، وهى فى الواقع ملتقى الطنين والعبث من أجل المشارب والأطماع. وصار للعيان بوضوح دخول الجمعية فى حالة من الوهن وعدم التماسك فى تنظيمها الحالى. ويصعب على إدراكى فهم الملابسات التى تتعلق بمجال عملى التى جعلت السادة الإثنوجرافيين ينظرون إلى على أننى رجل مهم فى هذا الاختصاص؛ وأشهد بأننى غير مذنب فى هذا الحكم المسبق الملائم، لكن الشباب شرعوا بجدية تامة فى ترشيحى على كرسى الرئاسة للجمعية

المضطـــربة (قـــارن سفر اشعياء *4:1*) وهو ما رفضته بطبيعة الحال. فكان إذ ذاك أن تم وضع عالم الحيوان والرجل الوطنى هرمان ***Herman***[١] على قمة حركة الإصلاح وإرسال لجنة مكونة من تسعة أفراد بغرض تنفيذ إعادة التنظيم الفكرى والإدارى الخاص بالمجمع الإثنوجرافى. وبصفتى عضوا فى تلك اللجنة الخدمية المجتمعية للدراسات الإثنوجرافية أخذت شوطا طويلا فى الحديث عن تطوير رؤيتى بشأن أى برنامج وغرض واتجاه لمجلة متخصصة فى / علم الإثنوجرافيا بالمجر، وحظيت من خلال ذلك على تأييد ١٣٤ عظيم بلغ درجة مطالبتى بتدوين أفكارى كتابة، وهو ما قمت أيضًا على تحقيقه[٢]. لم أستطع ذات مرة أن أفلت من قدرى، وبناء على مشاركتى حتى هذا الوقت فى أية نقطة ريادية للجمعية الجديدة أسندت إلى شخصى. لقد تم تعيينى فى العضوية الجديدة لأن أتولى منصبا ضمن المناصب الثلاثة لنائب رئيس المجمع، لكن هل سأجد لدى الوقت الذى يسمح بأن أساهم بنفسى فى تنفيذ البرنامج الأدبى الذى أباشر إعداده؟

٦ مارس. الأحد قبل الظهر

لا أملك كلمة واحدة على أحداث اليوم. لقد تحدث ناظم المزامير عن ذلك قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة عام بالأصالة عن نفسى: المزمور ٥٥، ٥٦، ٨٨، ١٠٩. يجب قراءة تلك المزامير بمشاركة وجدانية وتعاطف مع قدرى وحظى البائس، لكى نفهم الجو النفسى المرعب الذى أسقطنى فى براثنه حقارة أسوأ يهودى.

---

(١) هرمان *O. Herman* (١٨٦٠- ١٩٣٧) عالم إثنوجرافيا، وعالم حيوان، وسياسى فى بودابست.

(٢) هيللر *B. Heller*: انظر المصدر السابق، رقم ١٦١.

فى المساء: المزمور ٤٣

ها هو الحل الربانى لصراع النفس البشع. الحمد لله والشكر له على الكلمة المضيئة المستنيرة التى جاء بها على لسان المنشد الذى يقوم فى نظر جميع الأجناس بدور المترجم الفورى لأصحاب الشكوى والمثقلين بالأحمال.

٩ مارس

قبل بضعة أيام، وجه لى مليونير يهودى تهمة تحت عنوان: "سطحية يهودية"، وعنوان: "رغبة المبالغة اليهودية"؛ ولم تمر دقيقتان على ذلك، وجاء الدور على خادمى المسكين بالمكتب، بينكاس فورجو ***Pinkas Forgó***، هو الآخر فى حلبة الاتهام: "حثالة يهودية". وبنفس هذا الإجماع كان هذا المليونير قد تحدث عن "رغبة يهودية حميمة فى الحماية". إن جميع الأوزار والرذائل يهودية. وهذه الملاحظات التى تصدر عن إنسان لا يعنيه كل اليهود الذين يمتلكون أموالا طائلة، لا تعد ولا تحصى، (ويذكرها البعض فى حديثه بالملايين، ولكنِ لا نعلم عند أى حد تنتهى هذه الملايين) قد أثارت فى نفسى رغبة فى أن أفكر مليا فى علاقتى تجاه إشكالية الجنس، وأن أستعرض أمام عينيّ شريط ذكريات لتلك اللحظات التى أُدركها من تاريخ مرحلة تطورى الفردية، بالنظر إلى علاقتى الداخلية لخصوصيات الجنس الذى بين أيدينا بالفعل.

ومن ثم أسمح لنفسى بعد تدبر جوهرى – إستمر لعدة أيام– أن أعرب بوضوح وثقة بذاتى عن أننى قد وضعت نصب عينيّ فى مسيرة تربية ذاتى على أن أبلغ هدفا، وهو:

أن أستأصل من نفسى وروحى بشغف وهمة النقائص والرذائل المرتبطة بالسلالة؛ وأن أعمل على ترقية وتثبيت الفضائل الكبرى التى تكمن فيها. /

حين أتطلع الآن بناظرىَّ إلى ما جلبه علىَّ هذا الطموح من نتائج، [١٣٥] فإننى أقطع مجددا بقولى إننى أدين بالشكر إلى الشخص نفسه فى الكراهية لليهود. فهؤلاء هم الذين يزدرون الفضائل التاريخية للسلالة.

١٠ مارس

قمت بإلقاء محاضرة لمدة ساعة ونصف الساعة. قبل عدة أسابيع انتزعت منى سيدة تدعى بوليكسينا هامبل-بولسكى-***Polyxena Hampel-Pulszky*** – وهى صديقة لى من أيام الشباب – الوعد بأن أشارك بمحاضرة فى أمسية ضمن مجموعة محاضرات علمية واسعة الانتشار تقوم على تنسيقها، وقد استجبت على مضض لطلبها، لأننى لا أرى فى نفسى الشخص الملائم لأن أظهر فى صورة ذكية مشرقة بين رجال فكر. ولكن قبل أن أتمكن من الرد عليها بالرفض، وجدت اسمى مدرجا ضمن المحاضرين العشرة لجمعية ماريا دوروتيا "***Maria Dorothea-Verein***„. كان موضوع محاضرتى، التى ألقيتها لتوى على جمهور من سيدات المجتمع الأكثر رقيا فى هذه العاصمة، يحمل عنوان: "الحقب العظمى للتطور الدنيوى للإسلام ***Die grossen Epochen der weltlichen Entwicklung des Islam***"، وقد رأيت مدى الانطباع غير العادى على الجزء الأكبر من جمهور المستمعين الأرستقراطى، وقامت حشود المستمعين المتزاحمين فى ختام المحاضرة بالتصفيق الحاد، ولاحظت مدى تحمسهم لمتابعتى، وربما لا يصدر هذا

التعبير إلا عن سلوك راق، فى حديثى عن صولاتى وجولاتى فى مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وحتى اسطمبول. ولو كنت قد عُمدت، فربما كنت قد رأيت أيضًا يهوديات ثريات. وبما أننى يهودى وشماس، فيتحتم على أن أتعامل مع براعم الأجناس الأعلى رقيا ونبلا بالحسنى، فهؤلاء يوجهون ما لديهم من غال ونفيس بحق وبكل سرور حيثما يوقنون تعلمهم لشىء. إن اليهوديات لا يتوجهن بالزيارة إلى محاضرة يلقيها يهودى؛ ومن الممكن أن يلبين نداء الكيان اليهودى فيحضرن لسماعه. ولا يغريهن ماء التعميد إلى أبعد من تقديم الأسف لسلالة المحاضر اليهودية، ولا أملك مقابل ذلك إلا أن أعرب عن تأففى! من بنات صهيون الثريات صاحبات السمو والرفعة، ومن السادة أزواجهن، نفايات المجتمع الإنسانى وآفات العقيدة السامية الرفيعة التى حين تُذكر أمامهم يتكدرون ويتضجرون.

٢٢ مارس

فى الليلة البارحة التى لم تر عيني فيها النوم لمرضى، بات واضحا أمام نفسى أخيرا السر الذى يكمن وراء مسيرة حياتى المبهمة التعسة.

لماذا تحتم على أن أتسلسل بقيود ذلك الطاعون المقيت، ولماذا تتبدد آمالى فى كل مشروع ترحال من بين يدى، وتتلاشى مثل فقاقيع الهواء المختالة بنفسها؟ لماذا لم أكن ذات مرة جادا حين اتجهت نوايا أصدقائى / لأن يكون لها أنماط أكثر ثباتا؟ لماذا اضطررت لأن أسلك مسلك الشهداء فى سبيل الدين وهو الطريق الذى قادنى إلى عواقب وخيمة وأتحمل مشاقه منذ سبعة عشر عاما؟ فى هذه الليلة وجدت إجابات عن كل هذه التساؤلات، وتجلت حقيقة الأشياء فى تفسير واحد لا ثانى له. لقد اهتديت إلى الخيط الذى يكشف عن الخبايا والأسرار، ولا سبيل عندى لأن يساورنى الشك فى ذلك.

١٣٦

لقد كُتب "على" ألا أترك مهام وظيفتى البشعة، لكى أقوم على رعاية هؤلاء الأطفال اليتامى المساكين من أبناء أخواتى الذين وافتهم المنية، ولكى أقوم بواجباتى نحوهم. إننى على أية حال لو لم أفعل ذلك لكنت أكثر شقاء، وستلحق بى التعاسة أكثر مما أنا عليه ألف مرة. فكيف كان ضميرى سيرتاح لو أننى واصلت بقائى فى بلدان نائية وجلست على عرش أعلى وأشهر المناصب الدينية ثم يؤرقنى ضميرى المعذب لإدراكى بأننى أوكلت مسئولية هؤلاء اليتامى المساكين الذين لا حول لهم ولا قوة إلى من يتعاملون معهم بلا رحمة ولا يوفرون لهم الحماية؟ وأى عذر كان بإمكانى أن أسوقه على ذلك أمام ربى وأمام أبى وأمى اللذين غادرا الدنيا وانتقلا إلى الرفيق الأعلى؟ فهل إشباع الطموح الغرور فى الحصول على فرصة أن أهب نفسى للعلم دون عائق؟ فيا له من علم أعمى لا سريرة له حين يهدى الإنسان نفسه إليه فقط، وحين يتناسى الإنسان واجباته المقدسة تجاه الأحياء والأموات ويتعارض مع ذاته!

الحمد والشكر لك يا رب يا متعال، يا من يحار الفهم فى قدرته! لقد هديتنى حياتى إلى ما لا أهتدى إليه وحدى، إننى أرضى بقضائك، ولا أعترض على حكمك أبدا.. فحكمك هو عين الحكمة والرحمة والعدل.

٢٣ مارس

أين اليهود الذين تخبرنا عنهم قصائد المدح أنهم أبناء رحمة من رحماء؟

لقد عانيت مرارة قسوتهم وغلاظة قلوبهم وانعدام إنسانيتهم، إننى لا أرى فى العلماء منهم سوى الغرور والتكبر الذى لا أساس له، ولا أرى فى الأغنياء منهم سوى إجرام لقلوب لا تعرف الرحمة. وأما الفقراء منهم

فهم على غير تواضع بوقاحتهم.. لا فرق بينهم جميعا وبين رجال دينهم، وهكذا هى حال الشعب. وإن بدنى ليقشعر حين تنتابنى فكرة أنه من المحتمل أن أكون أيضًا واحدا من أمثال هؤلاء.

٢٧ مارس

لا نهاية مطلقا لهذه الجلسات والاجتماعات الشريرة. فكل منها على حدة ما هى إلا إطار من أقذع النذالات لحقير يدعى بولاك ***Polak***. صحيح أن حملاته قد نكصت على أعقابها بسبب انعدام حسى، ولكن لعل قوله الفصل الذى نضح به لسانه هنا (وهو يرمقنى بنظرة جانبية) قد لفتت الأنظار لدرجة توقف الحركة: "ومن خلال تعيينات سيئة فسدت رئاسة الجمعية لمدة تجاوزت ثلاثين عاما". أحقـــا تجاوزت الثلاثين عاما؟ إننا لم نكمل عامنا السابع عشر إلا اليوم. فهل من الممكن أن نصمد لمدة ثلاثة عشر عاما أخرى؟ /

٢٤ إبريل ١٣٧

منذ عدة أيام تسبب الإعداد لعقد قران ابنة أختى "بيلا" ***Bella*** على الدكتور شفارتس ***Dr. Schwarz*** فى كثير من القلق والاضطراب. ولكن هل يصح أن يصير كل ما أبذله من جهد وعناء وعذاب للنفس فى مثل هذه المناسبات المقدسة للغاية إلى ما لا يليق فى أى وقت! أليس من الواجب أن يكون لدىَّ إحساس بصفتى وكيلا ونائبا عن والداىَّ رحمة الله عليهما وعن جميع الأرواح الغالية التى انتقلت إلى دار الخلود، وأن استقبل كل ألوان القلق بفرحة وسعادة وهناء باسم الرب.

أخيـــرا سعدنــــا اليـــوم بعقد قران ابنة أختى. لقد لقنها الدكتور كون ***Dr. Kohn*** كل التعاليم الخاصة بطريق الحياة، والتى توجه بها أيضًا إلى

مراكز إحساسى بصفتى منوطا بتنفيذ تلك الواجبات المقدسة. وإننى مدين بالشكر له إلى الأبد، كما أننى مدين بالشكر له على كل الحب والإخلاص فى وقوفه إلى جانبى بإخاء من أجل تخفيف أعباء تلك الواجبات علىّ.

كانت أيضًا مشاركة أقاربى – من جهة أبى وأمى – قد حققت لى نوعا من الرضى. والآن الرب يرعاكم! تمنياتى بالسعادة والبركة!

الأول من مايو

كيف يطل الشر برأسه من حولى حين يهتز وجدانى غضبا، وينطلق لسانى بالدعاء بتلاوة آيات توراتية لدفع نوازع أعداء شريرة، وإحباط ما لا يتوافق على الإطلاق مع تربية أو قناعة أو دين أو تعليم، والتضرع لله بأن يُنزل غضبه على رأس ذاك الإنسان الذى راح ينفث العُقد تجاهى اليوم بما تشمئز به النفس، فى يوم يهنأ فيه معظم أصدقائى بفرحة الاحتفال! كيف لخنزيرة بولندية أن تتمكن اليوم تلو اليوم من تكدير صفو مزاجى وتنغص علىّ متاع دنياى مع العائلة والعلم لتنقلب إلى مرارة لا تطاق!

٣ مايو

باقتراح من بودينز ***Budenz*** الذى وافته المنية بعد ذلك الحين، وبتوصية من "جميع أصوات" لجنة الترشح، خرجت مساء اليوم نتيجة ترشحى المتألق (بواقع ١٨ صوتًا مؤيدًا ضد صوت واحد معارض)، لشغل وظيفة عضو عامل (وهى وظيفة مرهقة) "بأكاديمية سيموني المجرية [***Ung. Akademie Simonyi***][1]" التى تقدم خدمات جليلة متعددة للعلم القومى، وكانت

---

(١) سيمونى *S. Simonyi* (١٨٥٣ – ١٩١٩) باحث لغوى، ١٨٨٩ أستاذ جامعى فى بودابست.

النتيجة اعلان عدم الترشيح. أما بالنسبة لى فإن ما يطلقون عليه "المعاداة للسامية" لن ينال من مسيرتى ولن يوقفنى. ويا لها من فرحة أصحاب الملايين المـــرعبين بـــذلك الخبـــر! لقد استقبلوه بالصيـــاح والدمدمة. إنهم لا يستحون حين يتدبرون الأمر، ولا يعتقدون أنهم بذلك قد أفسحوا لى مكانا مريحا فى أن أهب نفسى للعلم. لعل من يبلغ هذا الوضع أن يقرأ كل ما سبق أن تقدم. أُفٍ لهذا الجنس من البشر! /

١٣٨ ٧ مايو

بالأمس، وفى ظل احتشادات هائلة مجاملة، قامت الأكاديمية المجرية باختيارى عضوًا عاملاً. وبذلك تكون الديانة اليهودية قد اخترقت سلسلة الأكاديمية التى تعرضت لحملة نقد خبيثة بسبب معاداتها للسامية. هذه اللحظة هى فى ذاتها ما يشغل بال رفاقى فى العقيدة، ويستحوذ على اهتمامهم بالأمر. لذلك انهمرت على مراسلات التهنئة الشخصية والخطابات والتلغرافات، حتى إن هامان ***Haman*** أرسل لى بطاقة تهنئة. ويمكن أن يُعثر على كل هذه المراسلات فى صندوق طرود صغير.

ولكن ينبغى أن يعقب كل ذلك أيضًا النتيجة التالية - التى خرجت بها من ملاحظتى فى السنوات السبع عشرة الأخيرة - وهى: أن المسيحيين يغفرون لى أننى يهودى، ولكن اليهود لا يقدرون أننى... إنسان محترم وعفيف. - ولأنهم لا يملكون هذا التقدير، جعلوا يكدرون صفو حياتى، ويجرحون كبريائى بإذلالى طوال ١٧ عاما. ولكن رب آبائى هو نصيري، ولهذا لن يخذلني؛ فكلما ازدادوا فى غيهم لتكديري، يبدو لى فى داخل نفسي

أن نجاحى فى ازدياد، ولن يتخلف الاعتراف بشخصي. وإننى على يقين أننى سأنال الاعتراف كاملا غير منقوص، وأن الرب سيغرق هامتى بالدهن، وسأشرب كأسا مترعا فى مواجهة من يسعون إلى كربي، وسأمكث إلى الأبد فى دار ياهوا!!![1]

١٥ مايو

فى الأيام الأخيرة لم أتوقف قط عن استقبالى للتهانى الشفوية والكتابية والتلغرافية. كان من بين من بعث لي بالتهنئة البروفيسور شتاينتال ***Prof. Steinthal*** من برلين (خطابا) والكونت جيتشا كوون ***Graf Géza Kuun***[2] الذى أرسل لي برقية من لوزينبيكولو. فالعلماء اليهود المذكورون قد تجنبوا الحديث تماما. وعلى ما يبدو أنهم يخجلون من موضوع الاعتراف باليهودي. والبعض قد عقد العزم على أن يقلل من حجم ذلك الحدث فى مغزاه. وتبقى هذه الحزمة محل توقير لصاحبها.

٧ يونيو

"كلما ازدادوا فى غيهم بغمه وتكديره، ازداد صيته وذاعت شهرته". حقا- هناك من يسعى إلى إهانتى وتكدير صفو حياتى بأسلوب غاية فى الرعب؛ إلا أننى فى كل مرة أجد نفسى أقبل على العمل على نحو دقيق وجيد. فالعلم بالنسبة لي هو الهواء الذى أستنشقه. فهل أعاق ضغط نسب

---

(١) *Ps. XXIII. 5-6*

(٢) الكونت ج. كوون *Graf G. Kuun* (١٨٣٨ – ١٨٣٨): مستشرق ، ووزير ثقافة.

الهواء أحدا فى الاستنشاق؟ إن الإنسان حين يتعرض لصعوبة فى التنفس، فإنه يكون أحيانا مصابا بنوبات ربوية، ولكنه فى كل حال يتنفس، وكلما استطاع أن يتحمل ذلك على المدى البعيد، فإنه يواصل مسيرته فى الحياة.

في يوم ٢٦ مايو قام شخص يودنى كثيرا بتهنئتى فى اجتماع اللجنة على نحو يفوق التقدير، / وتعالت صيحات المخلصين من الجالسين حولنا فى كل مكان بترديد "يعيش!"[١]. وعقب بضعة أيام بدأ كل شيء من جديد. [١٣٩]

في الفترة من يوم ٢٣ وحتى يوم ٣١ قمت بكتابة مقالة بعنوان: "صالح بن عبد القدوس والزندقة أثناء حكم الخليفة المهدى ***Sâlih b. Abd al Kuddûs und das Zindkûthum***"[٢]، لتكون هذه المقالة هى نفس محاضرتى التى سألقيها فى مؤتمر المستشرقين (لندن، سبتمبر هذا العام)، فى حالة توافر إمكانية المشاركة به. إننى أشرع بجدية منذ ذلك الحين فى كتابة بحث له مجال أكثر اتساعا لاستخدامه بالأكاديمية على سبيل محاضرة استهلالية، هذا البحث يحمل عنوان: "تراث الشعر العربي القديم"[٣]. وقد تسارعت خطواتى فى البحث نفسه وكانت النتائج المتحصلة من دواعى سعادتى النفسية بدرجة كبيرة. فقد بدأت العمل فيه فى الأول من يونيو، وانتهيت حتى اليوم من تحضير مطبوع جاهز لاستخدامه (ملفين)، فالأفضل أن يكون تحت يدي مادة أكثر مما هو مطلوب، وأدعى أننى قد توصلت لأشياء جيدة بالفعل. وأعقد أملى أن تكون مادة المحاضرة جاهزة بالكامل فى حقيبتى خلال شهر يوليو، لكى أعاود مراجعتى المحاضرة ذاتها فى الخريف.

---

(١) كلمة *Vivat!* (مجرية).

(٢) هيللر ***B. Heller***: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٥٤.

(٣) المصدر سابق الذكر، رقم ١٥٨.

هكذا يهنأ الفكر المقدس الذى أودعه الله نفسى من وقت لآخر بالسكون. فاللهم تقبل منى عملى فى كهولتى التى أحياها، ولا تحرمنى نعمة الفكر المقدس التى أنعمت بها على![1] آمين.

١٠ يونيو – الجمعة بعد الظهر

وحتى فى فترة بعد الظهر يشعر بولاك الكبير ***Polak*** بحاجته إلى أن يبين للخادم اليهودى المسكين أن من حق اليهودى الذي لديه ثروة قارون أن يفعل كل شيء. فقد كنت لتوى قد عُدت من جزيرة أيامى السعيدة المباركة، ولم تكن لدى القدرة لأن أتخلص من البذاءات التالية: "ألا يوجد فى المكتب بطوله وعرضه شخص واحد عنده عقل يميز به"– هذا ما قاله / وهو ما يعنى أنه قد كرر قوله هذا عدة مرات.

"لا توجد الأشخاص المناسبة فى إدارة الجالية التى ينتمون إليها" – وأصدقه بالفعل فيما يقوله من أننى لا أنتمى لذلك. وعند تقريرى لبعض الأخبار – لأننى ملتزم تجاهه بأن أقدم له تقريرًا – كان يُظهر على وجهه تلك الملامح التعبيرية الغبية التى تبدو لى كأن الموطن الأصلى للقرود – التى تطور عنها بنو البشر كما يقول القرآن الكريم – لابد وأنه وجود فى بلد سكن بها يهود أثرياء أصحاب ملايين. وربما كان ذلك فى أرض يسكنها جذور عائلة بولاك!

وبالتالى فلا يوجد شخص واحد عاقل بدرجة كافية! فليحيا البخلاء أصحاب الملايين!

---

(1) Ps. LXXI. 9.

٢٢ يونيو

نادرا ما أثق فى نفسى من حيث كتابة تاريخ اليوم.

اليوم يستطيع أى شخص أن يعرف من موسوعة المحادثات أن تاريخ اليوم هو يوم مولدى. يا له من يوم تعس! إنه يوم لعنه لاعنو الأيام(١).

كيف أصف حالتى المزاجية الأليمة غير السعيدة فى صباح هذا اليوم! إن مثل هذه المناسبة هى لكل إنسان غيرى يوم عيد، أما بالنسبة لى فهو يوم حزن. لم أفعل شيئا اليوم سوى الدعاء، / ولعل ربى يستجيب. إن حياتى [١٤٠] مليئة بالشقاء والتعب، ولا ترى عيناى فى المستقبل إلا صورة باهتة داكنة. إننى لا أقدم إفادة لشىء، ولا أملأ فراغا. إننى حمل ثقيل على نفسى وعلى الآخرين. دائما ما تعانى نوافذ التقدم والانطلاق من انسداد هوائى مطرد. فما معنى الاستمرار فى هذه الحياة بالنسبة لى؟ يا إلهى! لقد مضى على خدمتى فى الحياة حتى الآن ٤١ عاما: الجزء الأكبر لهذا الزمن ملىء منذ نعومة الأظفار بالهم والمرض والذل والتعاسة. يا رب نسألك أن تضع نهاية لكل ذلك بقدرتك! وإن لم يكن فى استطاعتى أن أكون حرا فى هذه الدنيا، فأسألك أن تعجل بنهايتى وتأخذ بيدى إلى آفاق العدالة فى سماواتك!

٢٣ يونيو

"المهزوم فى سلامة، لا يعنى دوام السلامة"(*)

الإنياذة [*Aeneid: II. 353*]

---

(١) انظر سفر أيوب ٣:٨.

(*) نقوم بالترجمة هنا وفيما بعد للإنياذة عن ترجمة *W.A.B. Hertzberg* الألمانية للأصل اللاتينى (عبدالحميد مرزوق)

٢٤ يونيو

إن مكانتى الحالية داخل كيان العبودية اليهودى يذكرنى بقصة تالى ذكرها من نفس جنسها تماما، وسأضيف إليها ظلما كبيرا إذا حجبت تلك القصة عن الأجيال التالية.

كان الشاعر اليهودى الشهير "سيمون باخر ***Simon Bacher***[1] منذ عام ١٨٧٤ يعمل أمينا لصندوق تلك الجالية. وتوفرت لهذا الرجل العجوز المؤدب - رغم ميوله فى ربط كلامه بالسجع - جميع الصفات الصالحة لهذه الوظيفة التى لا تتطلب من هذا الرجل كثيرا من الشروط المطلوبة لبذل الجهد فى العمل. وقد أدى وظيفته لسنوات طويلة بكامل معانى الرضى والسرور. وفى عام ١٨٨٣ جاءت فترة "التغير والتحول"، ونال "التغير" أيضًا من هذا الرجل الهمام. فما إن استقر النظام الجديد حتى تغير الموقف تجاهه، فتبين أن هيئة هذا العالم اليهودى وسلوكياته وحركاته لا تتناسب ومتطلبات عصر التغير. فقد وُجد أنه "ردىء المظهر". لا شك أن الرجل كانت له جوانبه غير اللائقة، ولكنه كان يؤلمنى شخصيا فقط، باعتبارى رئيسا مباشرا له فى العمل. فهذه الجوانب تفتح مجالا لفيض من الحديث عنها. فقد عانيت وتحملت من هذا الرجل العجوز، باخر، آلاما كثيرة، ولكن بالنظر إلى وقاره الشخصى، ثم بالنظر إلى علاقتى بابنه، فيلهلم باخر ***Wilhelm B.***، فقد تغاضيت عن كل ما يفعل، وكان لى دور فى تقديم العون له فى المقام الأول بأن أفصل دائما ما يتقاضاه العجوز من معاش عن الأعمال التى يؤديها يوميا بالمكتب، ورغم أنه لم يلتزم على الإطلاق بنظام العمل بالمكتب - فكان يغيب بالأسابيع وفقا لأهوائه (حتى إننى ذات مرة قمت بعمله بالخزانة ستة أسابيع متتالية) حرصت على أن أقوم بدوره أمينا للصندوق أو أكلف آخرين

---

(١) س. باخر (١٨٢٣- ١٨٩١) أديب وشاعر عبرى.

بمهامه بحجة أنه على فراش الموت. وكم كان، ولا يزال، ابنه شاكرا لفضلى فيما أؤديه من صنيع محبة لوالده العجوز، فالعالم كله يشهد بذلك. ولكن فى عام ١٨٩٠ بدأ العجوز يتخلف عن العمل دون توقف، فكان دائم التمارض، وبالتالى بدأ موضوعه يأخذ أشكالا فى منتهى الجدية، / ولمدة طويلة لم يكن [١٤١] هناك سبيل لمنعه عن التغيب عن العمل، فتدهورت الأمور. وفى مارس ١٨٩١ سقط العجوز صريعا لمرض لا يرجى منه شفاء. وفى هذه الأثناء أراد هامان أن يحدد معاشه، ولكننى تدخلت للتأثير عليه وكنت أرى أن التوقيت الذى تم اختياره لهذا الأمر غير إنسانى للغاية، فتم تكليفى أن أتفاوض مع العائلة بشأن تقديم الرجل المريض استقالته طواعية. وفى هذه الأثناء ساءت أحوال مرضه لدرجة – كما أكد لى الطبيب ذلك – أنه ليس هناك من سبيل فى التفكير فى أن العجوز سيظل حيًا فى عام ١٨٩٢. وقمت بإبلاغ مجلس الإدارة بهذا الأمر بأسلوب يتسم باللباقة، وقلت إن الرجل العجوز سيكون بجوار ربه إن آجلا أو عاجلا، وأن أى إجراء يتخذه مجلس الإدارة الآن يتسم بقسوة القلب وعملية غير إنسانية. ولكن هامان ألحَّ على بأسلوب محتد "أن أنهى هذه المسألة". وعليه قمت بزيارة الرجل المريض، فوجدته فى غيبوبة تامة. وبعد أيام من هذه الزيارة انعقدت جلسة، وكان ذلك فى سبتمبر. وأمام الأشخاص أنفسهم سألنى هامان: هل أنهيت موضوع عائلة باخر؟ أجبته: الرجل مريض جدا، ولا توجد ضرورة لأن نطالبه بأن يقدم استقالته طواعية.

هامان: ولماذا لم تطالب عائلته بأن تقوم بذلك عنه؟

أنا: العائلة لا ترغب فى أن تقوم بهذا الأمر الآن، لأن باخر فى عداد المفقودين الذين لا يمكن إنقاذهم، ويقول الطبيب إن حياته فى الدنيا تحسب بالأسابيع القليلة!

هامان: قالوا لى هذا الكلام قبل بضعة أسابيع. سأقوم باتخاذ قرار فى هذا الشأن بجدية!

ووفقا لكلامه فإنه يعتبرنى كاذبًا أو وغدًا لم يف بوعده له، زاعما أن الرجل العجوز سيلقى ربه قريبا، فى حين أنه لا يزال يلفظ أنفاسه الأخيرة. وفى الجلسة ذاتها نطق بقوله إنه لن يصبر كثيرا على هذا الرجل (وكان باخر راقدا على فراش الموت).

لم تمر بضعة أيام على ذلك وكان مجلس الإدارة ينشر نعيا مؤثرا عن وفاة "أحد موظفيه المثاليين"؛ ثم أمر بمصاحبة دفنه بفرقة الموتى الموسيقية، وهكذا عبرت عن غاية حزنها وأسفها. لقد انتقل الرجل العجوز إلى المعاش الأبدى. ولقد وفيت بوعدى على أقل تقدير.

ولن يمر عامان على البلاد وسيقع الاختيار، بهذه الطريقة نفسها، على جولدتسيهر ليكون هو الآخر موضوعا لنفاد الصبر، حيث لا ترجى منه الآن أية فائدة تذكر، ليتقدم طواعية باستقالته. ولعل هذا الشخص الذى لا طائل منه هو الآخر سيحتفى إذ ذاك بنزعه الأخير! ويبدو أن أحدا لن ينتظر ذلك. ولكن الله له جنوده المرسلة بالقول. ومن المؤكد أن يوم الحساب قادم ليلقى هذا الشخص سيء السمعة جزاءه، هذا الحيوان الشرس الذى انتزعت منه كل معانى الإنسانية. لعله يلقى نهايته بخلع قواطعه من جذورها ويكون بلا حول ولا قوة مثل الجيفة المقززة، وينفض جميع العباد من حوله، وينزل عليه أولاده أنفسهم باللعنـــات. حينئـــذ تكـــون البشرية قد تخلصت من أحد الأوغاد بها/.

[١٤٢]

٢٧ يوليو

كل من يعمل بفكره فى العالم أجمع قد ذهب للاستجمام بالمناطق البعيدة عنه إلا أنا، فإننى أجلس هنا فى هذه الأجواء المسمومة، ومفروض على، فى ظل هذه السخونة العنيفة للصيف، أن أتنفس وسط قذارة فكرية ونفسية.

ضحايا يسقطون هنا وهناك.

لا هم من الخراف ولا هم من الثيران.

ولكن من البشاعة أنهم ضحايا من البشر.

طالما جلبت على علاقاتى الخاصة بالوصايا لحظات كئيبة فى حياتى. ولن تنسى ذاكرتى لفترة طويلة أيام الإجازات تلك من عام ١٨٩٢. دائما هناك شر، ولا يوجد خير بالمرة!

فى كل هذا أعيش بمفردى وحيدا تماما، وحيدا. فعائلتى تقيم فى الوقت الراهن بتوسناد. الحمد والشكر لك يارب على علمى بأن أهلى - على أقل تقدير - يعيشون فى جو صحى، وأنهم لم يشاركونى آلامى ومعاناة ضميرى ونفسيتى الخاوية.

جاءنى من يبلغنى بأن حديثا مطولا قد دار فى الجريدة الهابطة التى أسسها باخر ***Bacher*** عند استعراض مسودة برنامجه الذى وضعه لهذا العام بشأن ما يحدث من تجاهل وإنكار وإهمال هذا العالم اليهودى. أليس هذا يعنى أنه هو الآخر قد شعر بالتجاهل له؟ فليأت العطاء القومى - بورق البنكنوت. مسكين أيها السلوفاكى الذى لم يتذكر أحد إخلاصك!

أكتب الآن فى وقت متأخر من الليل، ويتملكنى إحساس كامل بالقنوط واليأس. لقد توقفت تماما عن التمنى والرجاء، فلماذا لا تبعث لى يا قادر برسول الشفاء والرحمة من عندك؟ إننى لا أقدر على مواصلة الكتابة الآن، ولكن هناك الكثير والكثير الذى يوغر صدرى.

أبعث إليك يا حبيبتى لورا، وإلى أبنائى، وأنتم فى البلاد البعيدة مؤكدا أننى أتذكركم بكل إخلاص والألم يهيمن على شعورى وإحساسى. كما أبعث

برسالة بأننى ما زلت أتذكر، وأنا فى هذه الساعة الحزينة، لأبى وأمى الطيبين، وأنهما دائما على بالى، ولأخواتى ولكل من أبعده الله فى الوقت المناسب عن مشاركتى هذا الوجود البائس. فلتصلوا من أجلى. كم تمنيت أن أكون معكم!

٢٨ يوليو

الجريدة موضوعة على المنضدة. إننى لا أجد طريقا للراحة والسكون. الساعة الآن الثالثة صباحا ويتحتم على أن أتوجه إلى المكتب مرة أخرى، لأكتب خطابا إلى أبنائى. يا لكم من ضحايا أبرياء لحياتى البائسة كل البؤس! فأنتم تهنأون بجمال النوم، بينما يقضى أبوكم ليلة لا تعرف السكينة طريقا إليها... لا أجد الكلمات.

٧ أغسطس – هايست *Heyst*

أخيرا عزمت على أن أغادر يوم ٤ من هذا الشهر بودابست، ذلك المكان الذى ضاقت به نفسى بلا حدود فى الأيام الأخيرة. / فقد توحدت كل [١٤٣] الأشياء بهدف تسعير نيران هذا الجحيم. وتضافرت مع جميعها مسألة النقود الخاصة بابن أختى الجديد (أى بزوج ابنة أختى الجديد)، الدكتور شفارتس *Dr. Schwarz*. وقد قام الدكتور كون *Dr. Kohn* بتسوية هذه المشكلة المالية بذكائه المعروف. إن كل ما تصبو إليه نفسى هو أن أعيش لمدة ثلاثة أسابيع على الأقل، فى هدوء، وبعيدا عن الناس، دون أى تعامل مع أحد، ودون أى شكل من أشكال المضايقات، بعيدا عن مسرح آلامى، وأن تتحول انطباعاتى عن أيامى – أيضًا على الجانب النفسى– إلى شيء جديد غريب.

وهذا ما دعانى إلى تفادى قبول دعوة الدوق لاندبيرج ***Graf Landberg*** إلى توتسينج ***Tutzing***، إذ إننى كنت أنوى أن أنتظار الذهاب إلى لندن، حيث يعقد مؤتمر الشرقيات التاسع، ومن ثم لأنزل فى هايست ***Heyst***. بدأت رحلتى التى بدأتها فى اليوم الرابع من الشهر، إلى هذا المكان فى ظل نذر سيئة. فقد اضطررت وأنا فى القطار الذى استقللته حتى مدينة آخن ***Aachen***، أن أضع فى اعتبارى معايشة وقاحات بودابست التى تكمن وراء مرارة حياتى. ولحسن الحظ أن الأغنياء اليهود كانوا بالدرجة الأولى، وهم بذلك قد أعفونى من لغوهم الدائم. وقد أدخل عظيم السرور على نفسى وجود رفيقة رحلة لطيفة، وهى الآنسة برنارد من مدينة ليتش ***Bernard aus Lüttich***، وهى حاصلة على دبلوم فى الطب، وفيما أذكر أنها كانت ذاهبة لتسلم مهمة عملها فى مجال الطب بالقطاع الهولندى فى الهند. وفى آخن قضيت ليلتى، اليوم الخامس من الشهر، وفى اليوم التالى وصلت بلجيكا. وفى لوفن ***Löwen*** قضيت بضع ساعات وشاهدت تلك المدينة الصغيرة التى لا تثير اهتمامى. ونظرا لأننى قطعت هذه المسافة من هنا وحتى بروجه ***Brügge*** بقطارات محلية لخطوط السكك الحديدية التى تسافر إلى لوفن – ميلينيس – تيرموند – جاند ***Löwen-Melines-Termonde-Gand***، فقد كنت آخر مسافر قادم من الشرق يفارق هذا الخط على هذه المسافة، لأنه دائما ما أتيحت لى فرصة التعرف على كل ما يتصل بالعلم من قيمة بشأن روابط داخلية، حيث يمكن اقتفاء أثر جهل الأجانب فى أمور مجرية. فى ميلينيس ***Melines*** تحدث معى أحد المرافقين لى فى رحلة السفر، وعرفت منه أنه يكتب فى صحف فلمنجية أشعارا بلهجة سكان شمال ألمانيا، رغم أنه كان يشتغل بالتجارة. وحين سألنى عن مكان قدومى، ذكرت له بودابست؛ فبادر رفيقى على الفور بالسؤال: وما الفرق بين اللغة التشيكية الحديثة والقديمة؟ وكان فى منتهى الاندهاش حين علم منى أن المجر وتشيكوسلوفاكيا ليسا بلدا واحدا.

وفى ميلله ***Melle*** وهى محطة قبل جاند ***Gand (Gent)*** صعد القطار شاب أخرج من حقيبة سفره مجلة عربية – وهى تسمى "الحقائق"– وكان ينظر لى دائما بحذر حيث أجلس بالمقعد الذى أمامه. وبمجرد أن استفسرت منه عن مدى استيعابه وفهمه لها، إذ به يعترف لى أنه بمجرد أن دخل إلى الديوان ظن أننى عربى المولد، ولم يصدق حين قلت له إننى من بودابست. إنه لا يعلم أن اللغة العربية فى المجر لغة أجنبية. هذا الرفيق فى رحلة السفر قدم لى نفسه، إنه يُدعى السيد مينور ***Minor*** من مانشستر، ويعمل مدرسا للغة الإنجليزية بالمدرسة التجارية فى ميلله ***Melle***، ويبدو أنها مدرسة كبيرة. حدث الشىء نفسه مع راكب آخر يُدعى السيد بانج ***Bang***، أحد تلاميذ هارليتس ***Harlez***، وإنه يقوم بعمل دكتوراه فى أشياء تتعلق بالشرقيات، / ولكن على ما يبدو أن مينور هو الطالب الوحيد عنده. وفى جنت ***Gent*** استقبلنى السيد مينور ***Minor*** بالمحطة ثم فارقته لكى أواصل سفرى، بعد تغيير عربة القطار فى بروجس ***Bruges*** (وبذلك يكون هذا القطار هو رابع عربة أستقلها فى هذا اليوم) لأصل فى المساء إلى هايست ***Heyst***. وقد حملنى عدم الصبر على أن أتوجه هنا إلى بنسيون، غاية فى البؤس والضنك وإن كان رخيصا، ولكننى عاقد العزم على أن أصمد فى الإقامة به لمدة ٣ أسابيع. ويبدو كل شىء لا يمكن تحمله، خاصة وأننى قادم من بودابست مباشرة.

١٤٤

١٦ أغسطس

تأهبت نفسيا على أن أعتاد فى هذا المكان على أقصى درجات الحياة الريفيـــة. إننى أعيـــش فى بنسيون غاية فى الحقارة ودون المستوى – إننى لا أعلم على أى درجة يمكن تصنيفه: وهذا بعينه جيد بالنسبة لى، فى مجتمع مكون من رجال ونساء وأطفال منحدرين من مدينة صناعية فرنسية واقعة

بالقرب من الحدود الفرنسية البلجيكية، وهى مدينة روبيه ***Roubaix***. إن الكاثوليك المتشددين ينظرون إلى معتبرين إياى السليل المباشر للشيطان، لأننى آكل للحوم أيام الجمع، وهو ما لا يفعلونه أبدا. يا له من عجب! حتى بين العبرانيين من هو ليس بيهودى! فى يوم صعود المسيح شاهدت موكبا احتفاليا غاية فى الخصوصية، وهو ما لا يحدث مثله عندنا. لقد تم عرض كامل المحتوى الشخصى والموضوعى الخاص بالميثولوجيا الكاثولوكية بشكل رمزى. تجسيد حى للخلاص والسعادة.. ماريا العذراء والروح القدس.. ماريا: شقراوات هولنديات غاية فى الجمال.. كما شاهدت عرضا لشبيبة يرفعون البيارق المكتوب عليها باللغة الفلمنجية أسماء أدوارهم فى تصوير مشاهد الأسرار بكل ألوانها، السعيدة والحزينة والمشرقة بالانتصارات. وبين هذا وذاك تشاهد من يحمل الأوثان التى نثر المطلون من النوافذ عليها قصاصات ورقية ملونة، وقد تناثرت بدورها داخل الموكب حيث يطوف القربان المقدس الذى يحمله أحد الرهبان وهو جالس تحت المظلة. وقد صاحبت مسيرة الموكب إيقاعات مقطوعة "موسيقى الزفاف" التى ألفها ريتشارد فاجنر، ومع ألحان ونغمات هذه المقطوعة الموسيقية الكاثوليكية السامية فى القداسة كان الرهبان والراهبات المصاحبين لها يظهرون على وجوههم ملامح لإضحاك الناس.

قضيت اليوم بأكمله فى حالة استرخاء وكسل، والعمل الوحيد الذى أديته كان وضع اللمسة الأخيرة لبعض المقالات التى اعتزمت نشرها باللغة المجرية، مثل محاضرة تنصيبى لمباشرة عمل ما، إلخ. وفيما عدا ذلك لم يحركنى شىء سوى خروجى كثيرا للهواء الطلق. تنزه يومى حتى أصل إلى كنوك ***Knocke***، حيث حرصت على السباحة. فأعصابى المشدودة فى أشد

الحاجة إلى الاسترخاء والرعاية بعد جهد وعناء. وفى كل مساء كانت فتيات روبنس ***Rubens*** يحرصن على عزف الموسيقى والغناء. وكانت بينهن فتاة من نوع خاص، وهى الآنسة ليا ديستين ***Léa d'Estienne*** التى كانت تغنى لى أغنية بديعة من أجل أن تسرى عنى، ويطلق عليها: فتاة فرعون ***La fille de Pharaon*** وهى تحفة موسيقية تستحق التقدير تعظم موسى حين كان طفلا راقدا فى الأحراش، / ثم وهو رسول ملك الملوك فى ذلك الوقت الذى يعلم البشرية قاطبة القوانين. [١٤٥]

ولكن الأخبار التى وصلت إلى من مدينة هاللى ***Halle*** اتسمت بالكآبة والحزن. فصديقى وأخى العزيز أوجست موللر ***August Müller*** يرقد بمستشفى الأعصاب. وكان لهذه الرسالة وقع أليم للغاية على نفسى، فلم أستطع مطلقا أن أتخلص من صورة الصديق المتألم وقد ألقت به مجريات الأمور على شاطئ بلا رفيق أو عون له. فهل كُتب عن كل شىء اتسم بالإخلاص تجاهى أن يذهب أدراج الرياح بلا رحمة؟ فكم من موقف مخلص اتخذه، هذا الرجل الوحيد، تجاهى حتى آخر لحظة. ها هو يقرأ من أجلى وهو على فراش المرض العصيب، ويُجرى التصحيحات الخاصة بما كتبته عن "الحطيئة" حتى يعمل على راحتى، وهو من كان فى أشد الحاجة – وقتذاك – إلى الراحة والرعاية!

١٧ أغسطس

تلقيت التهانى من عدة اتجاهات على أثر ما كتبته من مقدمات نقدية عن "الحطيئة"، حتى إن نولدكه أعرب شخصيا عن شكره لى على هذا العمل.

إننى أفكر- أثناء عزلتى المذكورة في كل ما هو حسن وأصيل- أفكر فى زوجتى وأولادى وأصدقائى وقد أحالت المسافات بيننا، وأفكر فى اللحظات الجليلة على مدى تاريخى، وأفكر فى الرواد السابقين لمؤتمر الشرقيات الذى أستعد له الآن. ولكن هناك فكرة واحدة أتمنى أن أنتزعها من نفسى وروحى وأمحوها من كيانى الداخلى، هذه الفكرة هى: التفكير فى حارة بفايفر ***Pfeifergasse*** رقم ١٢ الدور الأول، شقة رقم ٩ (١).

١٨ أغسطس

إن وافتنى المنية هنا، فما المكان الذى سيقومون بدفنى فيه؟ أعتقد أنه لن يكون بين الكاثوليك؟ ربما يأتى السيد المحترم باخر ***Bacher*** من أقصى الشرق إلى هنا، ويتولى تدبير ما يشبه لما هو معروف من مراسم تغسيل اليهود ***Chevra Kaddischa***، ثم يُلقى أيضًا خطبة الوداع بقراءة نص من التوراة على روحى، وجميع الأقارب الذين يقيمون بإحدى الفيلات الفاخرة هناك على الشاطئ فى أقصى الشرق، سيحضرون إلى هنا لتوديعى والبكاء على، لأننى فجأة أصبحت مركز اهتمامهم، ومحل مشاطرتهم، بل وسيرتدون الملابس السوداء فى ذلك اليوم. يا له من مشهد بديع! إن الأمر يستحق بالفعل أن أموت هنا فى بلجيكا لكى يتولى تأبينى أصحاب البنوك!

لا يفارقنى التفكير فى صديقى المسكين أوجست (موللر) ***August (Müller)***؛ إنه يسيطر على حياتى بأسرها. فى الغرفة الصغيرة الهادئة، وأنا جالس على شاطىء البحر الهادر، متأملا النجوم المتلألئة فى ظل سكون

---

(١) وهو نفس عنوان السكرتارية.

الليالى، دائما أفكر فى صديق حياتى الوحيد. هل قدر لى أن أفقد هذا الصديق أيضًا؟ فى مثل هذا التوقيت منذ سنوات ثلاث، حين كنت أستعد فى فارنموندە ***Warnemünde*** لحضور مؤتمر اسكندنافيا، كنا نتراسل فيما بيننا فى حيوية ونشاط، بين فارنموندە وبراونشفايج ***Braunschweig***، بشأن لقائنا فى كوبنهاجن. / وأى حدث كان هذا اللقاء على حياتى فيما بعد! كان الله فى عونك أيها الصديق الوفى! [١٤٦]

أتلقى من قسم الاستعارة بالمكتبة كل ما هو ممكن من كتب عن محاضراتى. مذكرات مدام ملك هانم ***Madame Melek Hanum***، قرينة معالى السير محمد كيبرزلى باشا ***Sr. Excellenz Mehmet Kibrizli Pascha***؛ ومؤلف أبيه لامبير ***Abbé Lambert*** عن الجزائر؛ – والكتاب البشع الذى ألفه كارل ماى ***Karl May*** عن رحلته – عن سوريا (فى ترجمة فرنسية)؛ وكتاب لويس جارنيرى ***Louis Garneray***، الرسام البحرى "مغامرات السفر والمعارك ***Voyages aventures et combats***" (باريس ١٨٨٦)، وهو جزء من مجموعة "مكتبة الأسفار ورحلات الصيد البري والمغامرات ***Bibliothèque de Voyages, des chasses et d'aventures***" التى نشرت تحت إشراف السيد فيكتور تيسوه ***Victor Tissot***. جزءان صغيران فى غاية المتعة! ولكن الجزء الأكبر أقل أهمية بالنسبة لي من حيث الموضوع، ما عدا فصلا قرأته بانتباه متزايد، وهو يتعلق بوصف المؤلف لإقامته فى بلاط بومبيتوك ***Bombetoc*** وهى دولة صغيرة تقع على حدود مدغشقر وتحكمها سيدة. وينبغى أن يدخل هذا الفصل فى مقررات التعليم الخاصة بعلم الشعوب البدائية (جزء ١). ويقدم الفصلان الرابع والخامس من الكتاب الثانى (زنزيبار) تفاصيل ممتعة عن تجارة الرق

وتجارة الرقيق فى إفريقيا. وقد عاش المؤلف فى القرن ١٨ (وُلد فى ١٩ فبراير ١٧٨٣)، وقام الناشر بتحليل خصائص أسلوبه على النحو التالى: "يعتبـــر هـــذا الكتـــاب من أفضل ما كُتب عن بطولة البحارة الفرنسيين. فالكاتب لا يرتدى -على غرار بوفون- أكماما خاصة ليكتب، بل هو يتحكم فى قلمه كما يتحكم فى مرساة سفينته. طريقة سرده سريعة، وممتعة وحيوية. إنه حقا رسام."

١٩ أغسطس

لم أقرأ شيئا حتى الآن عن لويس فيوليت *Louis Veullet*، الكاتب الكاثوليكى الشهير. أمس واليوم أقلب فى صفحات مخطوطته الأولى: "الحج السويسرى *Les pélérinages des Suisses*" (تورناى *Tournai* ١٨٣٩). فالمؤلف يسافر ويصف سويسرا من وجهة نظر الكاثوليك. وهو لا يتأمل سواء النهر الجليدى أو البحيرات لأغراض أخرى سوى أن يتطرق فى ذلك إلى أفكار كاثولوكية. ولم يحرك مشاعره شيئا فى أماكن الطبيعة الأكثر قدسية سوى أن يسب حركة الإصلاح الدينى وأن تأخذه الجلالة بمنة ونعمة العذراء المقدسة. ورغم ذلك فهذا الكتاب له هالة روحانية عميقة، طالما بعدت عن الرياء والتصنع. وما أحسد المؤلف عليه هو إتاحة الفرصة أمام الدلالة التالية: "بتواضع جم، أقدم للقديسين فرانسوا الأسيزى *St. Fraçois d'Assises* ومارجريت دو كارتون *St. Marguerite de Cortonne*، راعيا أبوايَّ فى السماء، كتابى الأول هذا كصلاة دائمة، آملاً -من خلال هذين القديسين- تحقيق أسمى ما تتوق إليه نفسى فى هذا العالم بعد خدمة الرب". فهل هناك شىء آخر غير هذا يمكن أن يتوق إليه الإنسان؟ /

٢٠ أغسطس

سكارسيز من لوككينوللى

"الرق بين أنصاره والمناهضين له. تدوينات ووثائق فى تاريخ العبودية وعلاقتها بالكاثوليكية والبروتستنتية ومبادئ ٨٩" لياج ***Liège*** ١٨٩٠. – مجلة التيار الجديد التى تقدم الدليل الوثائقى على أن الكاثولوكية وحدها هى التى شجعت على تحرير الرق، فى الوقت الذى عملت البروتستنتية والأفكار الليبرالية على تدعيم مؤسسة الرق البغيضة. وهناك مواضع استشهادية متعددة عن فولتير وآخرين من أصحاب الفكر المتحرر تؤيد فى الواقع هذه النظرية، وكذلك ما نقرأه من قوانين وقرارات صادرة عن برلمانات الثورة الفرنسية. حقا، ما كان يتعين على الرهبان الذين يلقون على مسامع الناس خطبا بديعة، أن يحكموا فى الحياة العملية!

ولكن كيف أخلص لنفسى بحثا عن الراحة بعد ذلك لأعيش مع عالمى الخاص، عالم القراءة والكتب! فلا يمر يوم إلا وحمل معه أخبارا سيئة من هـاللى ***Halle***. ودائمـا مـا هـو أسوأ. عشية أمس خطاب من د. ليبمان ***Dr. v. Lieppmann*** (نسيب عائلة موللر) وهو فى الواقع يحمل خبر حكم إعدام للصديق الوحيد الطيب. هو ذاته بكل أسف قد استسلم وراح فى خبر كان بلا منقذ ولا معين!

٢٢ أغسطس

أرسل لى مسيو بونارد ***Mgr. Baunard***، رئيس كلية القديس سانت جوزيف بمدينة ليل ***Lille*** ثلاثة أجزاء من مجموعة الكتب التى تحمل

العنوان: "معركـــة الإيمـــان، دراسات فى السير الذاتية والدفاع عن العقيدة *Le combat de la foi, études biographiques et apologéthiques*". أما موضوع الجزءين الأولين فهو: "الإيمان وانتصاراته *La foi et ses victoires*". وأما موضوع الجزء الثالث فهو: "الشك وضحاياه فى القرن الحالى *La doute et ses victims dans le siècle présent*"، وهو يضم مجموعة من الأسماء الشهيرة، مثل "ت. جوفروى *Th. Jouffroy*، دى بيران *Main de Biran*، سانتاروزا *Santa-Rosa*، جورج فيرسى *George Farcy*، فيكتور كوزين *Victor Cousin*، إدموند شيفر *Edmond Schever*، فريدريك شيللر *Fréderic Schiller*، ليوباردى *Leopardi*، ولا سيما أدباء الشك بفرنسا. وهذا الجزء أقرأه الآن فى طبعته السابعة (باريس ١٨٨٦) وأفادنى كثيرا.

فى علاقة كوينيت *Ed.Quinet* تجاه كوزين *Cousin* استرعى انتباهى الموضع التالى كتعبير يمس خبرتى المريرة فى الحياة: جاء على لسان كوينيت فى ص ٢٠٣ "إننى لا أنكر واحدة من ضلالاتى فى الماضى التى حدثتنى بها نفسى، ربما باستثناء افتتانى الذاتى بابن عمى "لا"*Lá*. يجب أن أعترف أننى وقعت فى فخ، ولكن الأمر لم يستمر أكثر من ست سنوات. لقد رأيت فى وقت مبكر الشيطان الصغير المهرج أرلكوين *l'arléquin* من بين الأبطال". وهذا ما حدث لآخرين، ليس فقط مع من هم أقل سنا، ولكن أيضًا مع كبار الكوميديا.

وفى صفحة ١٥٢ يذكر كوزين *Cousin* فى مقدمته التى كتبها تعليقا على محاورة أفلاطون "فيدون" بشأن الإيمان بالخلود ما يلى: "هناك احتماليه" ما قد لا يمكن التدليل عليها، إلا أن الرغبة الدفينة في القلوب والقبول العالمي للشعوب لها يسمحان بها. هذه المعتقدات ليست وليدة الأمس، ولن تتحقق غدًا." /

١٤٨

لا يغفر لمن يسيئون. – هذا ما علمته أثناء تجاربى فى الحياة.

نحن الشيوخ جئنا إلى الدنيا بالأمس، فكيف تتبدل أعمارنا لنكون شباب اليوم؟ (أ. دى موسيه، روله)

الحب أن يكون غير معروف ومحل تقديره العدم (تقليد المسيح)

الإيمان والانتصارات. مؤتمرات حول أشهر من اعتنقوا ديانات أخرى فى هذا القرن. (الطبعة ٣) عام ١٨٨٣. جزءين. وورد من بين هؤلاء أيضًا اسم فاتح الجزائر الشهير لامورسيير *La Morcière*. ومن هذا الأخير استحسن ذكر قوله الحكيم التالى (*I. 381*): "سيكون شيئًا كل ما يمكن لكل واحد أن يطلع لرؤيته عبر وادى يوشيا". وكذلك ما يكتبه كيللر ***Keller*** للمدافع عن المنشور البابوى (*I.433*) يجوز للبعض أن يشير إليه: "إننى أرى بالفعل أن مؤامرة الصمت تحاك من حولك". يعتاد الناس هنا أن يقدموا فى يوم الأحد ثمة حفلة موسيقية من محيط الغجر والمتسكعين كنوع من التسلية، بل إن المجلس المحلى يهتم بذلك لجذب الأجانب. أما اليوم فقد جاءت إلى هنا فرقتان موسيقيتان من هذه النوعية التابعة للنوادى: الأولى تسمى "فرقة البوق الكاثوليكية"، وهى من ناحية ايبريس ***Ypres***، والثانية "النقابة الشعبية الكاثوليكية" من ناحية بروجس ***Bruges***. من هنا نرى أنه حتى مجرد الاستمتاع الطاهر البرىء للموسيقى قد تم استغلاله فى خدمة إشعال نار

الكراهية والبغض الكاثوليكى للبشرية، وإلا فما علاقة الحركة الكاثوليكية بالصخب الإيقاعى! لقد قاموا صباح اليوم بعزف مقطوعة من موسيقى الفالس المعروفة باسم "طالب شحاذ" على آلات النفخ. وقد تحاشيت ما بها من عناصر كاثوليكية.

٢٥ أغسطس

لم أتوقف فى تلك الأيام عن مواصلة قراءة الجزء الذى يحمل عنوان "العقيدة وانتصاراتها *La foi et ses victoires* ". وفى ليلة شعرت فيها بالقلق عرجت على تصفح فى حوليات حياتى، واستحضرت فى مخيلتى أمام عيني الوشائج الحميمة التى عقدتها مع مرور سنوات عمرى. والسؤال الذى كان دائما يطرح نفسه: هل أنت نادم على أية خطيئة أو إثم ارتكبته؟ هل لديك أية ذنوب أو سيئات تؤلم ضميرك؟ إننى أمارس بنفسى نوعا من الاعتراف أمام ضميرى وأتمنى، منك، رحمة أبدية، والمغفرة عن كل ما ارتكبته من ذنوب، لكى أقف، أمامك، يوم الحساب الأعظم، نقيا وطاهرا.

اقرأوا الأخبار التى جاءتنى فى تلك الأيام من هاللى *Halle* وستفهمون السبب وراء دمار وتحطم نفسيتى الآن! /

٢٩ أغسطس

[١٤٩] غادرت هايست *Heyst* وأحمل فى نفسى أفضل الانطباعات؛ وقضيت ليلتى فى بروجس *Bruges* التى شاهدت لساعات طوال ما بها من كنز لا يقدر بمال من آثار ونصب تذكارية وتماثيل فنية كنسية. وفى اليوم التالى

حضرت صلاة الصبح بكاتدرائية سانت سلفاتور؛ ثم تناولت الإفطار بأحد المطاعم الذى اتضح لى عند مشاهدته عن كثب أنه كازينو تابع لإحدى الجهات الكاثوليكية. مكتبة العروض الكاثوليكية.

قبل الظهر سافرت فى اتجاه أوستنده ***Ostende***، حيث وجدت بودابست بأكملها مجتمعة بها، بدءا من رئيس الوزراء تشابارى ***Szapáry*** (١) إلى المرابى تافلر ***Tafler***. لا شك أن اليهود الأغنياء يتحصلون على نسبة مقابل إقامة علاقات مشبوهة وفاسدة تدنس قدسية البحر وشاطئه فى منطقة اوستنده ***Ostende***. وكذلك ابن عمى إدوارد ***Eduard*** (٢) مليونير بروكسل يسكن هنا بإحدى الفيلات الغناء مع عائلته، وقد أعرب أمامى عن وجهة نظر سافرة، وهى أن العلاقات فى هايست هابطة أخلاقيا. ولكن مع وصول كاوتش ***Kautzsch*** مساء يوم ٣١ اغتنمت الفرصة لأن أنأى بنفسى إلى حد ما فى التعامل مع هذه العصابة.

يوم ٢ سبتمبر

سافرنا والبحر عاصف بدرجة شديدة فى اتجاه دوفر ***Dover*** حتى وصلنا هناك وملابسنا مبتلة للغاية، ودون أن نمكث للراحة واصلنا رحلة سفرنا إلى لندن. أثناء وجودنا فى أوستنده ***Ostende*** كان قد عرض علينا السيد لويس فيلبرمان ***Louis Felbermann*** – وهو مدير تحرير مجلة ***Life*** – أن نقيم فى شقة أخيه، الدكتور هاينريش ف. ***.Heinrich F***، فى أسبوع

---

(١) الكونت تشابارى ***J. Szapáry*** (١٨٣٢-١٩٠٥) رئيس وزراء.

(٢) إيجناس جولدتسيهر (١٨٥٨- ١٩٢٦).

المؤتمر. وقبلنا العرض بكل ترحاب، ولذلك أقمنا بالمسكن في غرف مريحة بالمنطقة الغربية الأنيقة كينسينجتون ***Kensington*** بطريق فيكتوريا رقم ٣٠. وانتهزنا وقت افتتاح المؤتمر فى مشاهدة سلسلة من معالم لندن السياحية، ومن بينها كنيسة ويستمنستر التى تركت في نفسى مصدرا لانطباعات مقدسة للغاية. فعند المذبح العالى للسيد المسيح بالكنيسة ترى اليهودى، موضوعا للتعبد والتوسل، من بين آثار حركة التقوى لبنى إسرائيل. وقد شاهدنا المنبر المقام للملكة القيصرية الإنجليزية. وفى المتحف البريطانى عقدت أواصر التعارف الشخصي بمترجم للغة الإنجليزية مارتينو ***Martineau***[١]، وهو رجل مسن متلعثم فى نطقه للألمانية. وإننى لأشعر بالحزن والكآبة لهذا الرياء والنفاق الذى تتجلى صوره أيام الآحاد. فلا يمكن لأحد أن يتناول كأسا من الجعة، بينما ترى فى الوقت ذاته حثالة من النساء العاهرات يقمن فى المكان نفسه بمعاكسة المارة بأفضح طرق اللاحياء.

فى أمسية استقبال الترحيب (يوم ٤) وقد تعرفت فى أبهاء فندق الأعضاء على بعض زملاء فى مجال تخصصى ممن لم أتعرف عليهم حتى الآن بصفة شخصية. لقد تعرفت على فوللرس ***Vollers***[٢]، الذى طلب منى أنجيلو دى جوبرناتيس ***Angelo de Gubernatis***[٣] أن أطلق عليه وصف "صديقه". وتواجد أستاذ جامعي بالهند، الدكتور أرنولد ***Dr. Arnold***، زميل

---

(١) ر. مارتينو ***R. Martineau*** مترجم الميثولوجيا بين العبرانيين وتطورها التاريخى (لندن ١٨٧٧؛ نيويورك ١٩٦٧).

(٢) ك. فوللرس ***K. Vollers*** (١٨٥٧- ١٩٠٩) هو من خلف ***Spitta*** بالقاهرة، من عام ١٨٨٦ وحتى استدعائه إلى يينا ***Jena*** فى عام ١٨٩٦.

(٣) أنجيلو دى جوبرناتيس (١٨٤٠- ١٩١٣) أستاذ الأدب الإيطالى بروما.

سيفيد أمير *Sejfid Amir*، وقدم لى المحاضرة التى يكتبها عند صدور الطبعة الإنجليزية لكتابى "دراسات محمدية". /

لقد ازداد تقاربى من روبرتسون سميث *Robertson Smith*، ولا عجب [١٥٠] كذلك فى استمرارية تزايد صلتى به، نظرا لقرابة أسلوب كل منا فى التفكير حيال أهم القضايا المتعلقة بدراسات علمية مشتركة.

فى يوم ٧ سبتمبر قمت بإلقاء محاضرتى فى قسم الساميات عن "صالح بن عبد القدوس والزندقة"، وهى التى شغلت فكرى أيضًا عند استماعى لمحاضرات آخرين مع ملاحظات عارضة عليها. وفى ظل استمرار اتصالى بكاوتش *Kautzsch* – وهو إنسان رائع حقا، وتضاعفت درجة اقترابه من قلبى خلال تألمنا سويا بالصديق الذى صار فى حكم المفقود تقريبا – قمنا سويا أثناء أوقات فراغنا من العمل بزيارة كل ما أتيح لنا أن تخطف مشاهدته لعدد لا حصر له من المعالم السياحية. لقد اغتنمنا الزمن بإخلاص مؤلم حتى كأنه ملكنا وحدنا دون غيرنا.

كان يوما العاشر والحادى عشر من سبتمبر هما أعظم يومين فى رحلتى إلى المؤتمر هذه المرة، فقد قام سميث بتوجيه الدعوة لى ولكاوتش فى البقاء، عقب الاستقبال الرسمى لأعضاء المؤتمر من قبل جامعة كامبريدج، لمدة يومين آخرين بين أحضان أسوار كلية المسيح *Christ College*، والاستمتاع بضيافة الجامعة الموقرة. وقد قبلنا أيضًا الدعوة على الرحب والسعة. كان هذان اليومان من أبهج الأيام التى لا تنسى فى حضرة روبيرتسون سميث، ذلك لأن الحديث فيما بيننا انتقل إلى مجال الدراسات العلمية التى تجمعنا سويا. وقد انجذبت إلى العالم الجليل بشدة من خلال ما

تتمتع به شخصيته فى التعامل مع الآخر بقوة سحرية تقود إلى صداقة شخصية. كنا نتنقل عند تناول وجباتنا بين أروقة الكلية المختلفة التى استضافتنا. هكذا تعاقدت أواصر الصداقة فيما بيننا، ولكن أكثرها قيمة عندى تلك العلاقة النفسية الحميمة التى جمعتنى مع عالم الساميات الجليل الشاب بيفان *Bevan*[١] من كلية ترينتى *Trinity College*. وأيضًا لم يمر وقت طويل على تعاملى مع الباحث الشهير فى مجال الطائفة البابية، مع إدوارد براون *Edward Browne*[٢]، وهو زميل كلية بيمبروك *Pembroke College*، إلا وقد شعرت بصداقة حميمة تجاهه. إن النسخة التى قدمها لى عن مؤلفه الخاص بهذه الطائفة لتُعد بمثابة شهادة على سرعة عقد أواصر الصداقة فيما بيننا.

أيضًا اطلعت بصورة دقيقة على أحدث الكتب التى اقتنتها المكتبة، ومنها (كتاب الوصايا، وكتاب المعمرين، وأمثال المفضل، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر).

وفى خضم حديثى مع روبيرتسون سميث تبلورت أيضًا فكرة عمل موسوعة متخصصة عربية إسلامية، وكان من بواعث حماسى أن شرفت بأن أحظى بنصيب الأسد فى تأليفها، فضلا عن تكليفى برئاسة لجنة اشتركت فى عضويتها عند تشكيلها من أجل تحقيق المشروع فى القسم.

قمت– وتغمرنى مشاعر جياشة – بتوديع أروقة الجامعة التى تتزين جدرانها بتماثيل طلابها العظام، ومن بينهم نيوتن *Newton*، وميلتون *Milton* ،

---

(١) بيفان *A. A. Bevan* (١٨٥٩– ١٩٣٣) محاضر ومثمن مخطوطات بكامبريدج، وخبير ضليع فى اللغة العربية.

(٢) براون *E. G. Browne* (١٨٦٢– ١٩٢٦) أستاذ بكامبريدج، وقد كرس بحثه الرئيس لفقه اللغة الفارسية بصفته " أستاذ كرسى السير توماس أدمز للغة العربية ".

وداروين Darwin، وبينتلى Bentley. ولا تزال عظمة وحميمية معايشات كامبريدج تستحوذ على نفسى، وأستحضرها حين يلحق بى الأذى فى مواقف حياتية مثيلة صادرة عن يهود بست Pest، المتفاخرين بكثرة أموالهم.

غادرت كامبريدج فى صبيحة يوم ١٢ لكى أسافر مباشرة لألحق بالجلسة الختامية. وفى المساء أقيمت وليمة. وبهذه المناسبة فوجئت بترتيب من نوع خاص فى الحفل -على شرفى- من الرئيس العام، السير جرانت دوف Sir Grant Duff [١]، بغرض تكريمى. وتوجب على أن أرد على وجه السرعة بأن هذا السلوك م٠ن الذكاء بحق- وذكرت ما يُذكر فى مثل هذه المواقف - استنادا إلى سفر التكوين 23:4. /

[١٥١] فى يوم ١٣ زيارة بأكسفورد. استقبلنى نيوباور Neubauer [٢] ومعى كاوتش بترحاب، وأعربنا عن شكرنا له على ما بذله من جهد ووقت فى مرافقتنا لكل معلم سياحي يستحق الزيارة بأكسفورد. فقد تمكنا من زيارة جميع الكليات وتأملنا بلهفة وسعادة الفن الهادىء والمريح للنفس الذى يعيش رجال العلم فى هذا البلد فى كنفه ويؤدون مهامهم. فى بلاط قصر بودليانا Bodleyana استحوذت على نفسى هواجس سيئة. انتابنى شعور أننى كإنسان مفجوع أسير خلف سيارة موتى تخصنى، كما لو أن نجما قد سقط من السماء واستقر عند قدمىَّ. لقد بدا كل شىء أمام عينىَّ كئيبا، واصلت سيرى بعد

---

(١) السير دوف Sir M. E. Grant Duff (؟-؟) رئيس وزراء، راجع (I. Goldziher, Akad. Ért. III. 1892, p. 636)

(٢) نيوباور A. Neubauer (١٨٤١- ١٩١٥) مستشرق وكاتب ثبت مراجع بأكسفورد.

الظهر بنفس مثقلة، وإلىّ جوارى نيوباور الذى قادنا فى غير تبرم إلى ساحات الكليات الرحبة وإلى المنتزهات والحدائق الغنّاء. وفى يوم ١٤ سافرنا إلى سيدنهام *Sydenham* وقضينا ساعات طوالا بقصر الكريستال.

وفى يوم ١٥ تحركنا للرحيل من لندن، وتوقفنا أثناء السفر فى روشستر *Rochster* حيث دعانا شاينه *Cheyne*[(١)] لتناول الإفطار معه، ثم رحلة بحرية لطيفة. قضينا ليلتنا فى كولونيا *Köln*. وفى يوم ١٧ كانت إقامتنا فى فيينا *Wien*.

فى يوم ١٨ مساءً وصولى إلى عائلتى بعد فراق دام عشرة أسابيع. وفى صباح يوم ١٩ لقاء مع الكبير بولاك *Polak*.

٢٠ سبتمبر

كتب دافيد هاينريش موللر *David Heinrich Müller*، وهو اليهودى البولندى الأكثر انحطاطا وفسقا، تقريرا عن المؤتمر، نُشر فى *N. Fr. Pr.*، وعند كتابته للتقرير الخاص بقسمنا، ٣ ب، اِنتهز الفرصة لأن يشرع فى تمجيد ذاته من بين السطور بأسلوب مقزز، وفى المقابل بلغت حقارته لدرجة عدم ذكره بأننى قمت بإلقاء محاضرة، على الرغم من أنه كان لى شرف أن أفتتح محاضرات قسمنا. وقد نصبت نفسى لأن أتصدى لهذا البطل المسكين القادم من تارنوبول *Tarnopol* بحملة تأديبية على فعله.

لهذا أسوق هنا الحديث الذى دار بينى وبين د.هـ. *H. D.* مساء يوم ٤ سبتمبر فى بهو استقبال فندق متروبول، بلندن، عشية يوم المؤتمر.

---

(١) *Th. K. Cheyne* (1841-1915) عالم لاهوتى بريطانى.

أنا: لا أملك إلاّ أن أهنئك كواحد من التلاميذ، مثل جاير *Geyer*. فبحثك على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لعلمنا.

د. هـ.: حقا، هكذا هو وضعه الآن، بعد أن قمت بعمل تصحيحات عليه بأكمله.

أنا: ولكن كان لزاما عليك أيضًا أن تقوم بتصحيح الأخطاء التى أشرت إليها فى الترجمة. /

د. هـ.: لا يستطيع أحد أن يرى كل شيء. ولكننى سرت فى الأمر [١٥٢] هكذا مثلما فعل جاير، ولو أنه يعتبر نفسه دائما مستحيلا؛ أولا وقبل كل شيء إننى جعلت البحث محل إفادة. وقد كلفنى الموضوع من الوقت أربعة عشر يوما. ولكننى ادخرت جهدى بشأن هوامش التصحيح! (وغد)

أنا:... هكذا!

د. هـ.: ولكننى سأمنحه درجة الأستاذية. وأنا الآن قمت بإعداد بعض الطلبة لدراسة موضوعات من الأدب العربى القديم. فهناك من سيتولى أمر نشر إحدى أراجيز العجاج وهكذا غيره. فما رأيك فى ذلك؟

أنا: عظيم جدا!

فالرجل فى كل مرة يستشرف أمره فى البحث من المسكين جاير الذى يفهم فى هذه الأمور أكثر من غيره، ثم يحتفظ الوغد لنفسه بهوامش التصحيح لاستغلالها فى حالة الرفض. أف لكل أفاق من تارنوبول! لقد كان جلازر *Glaser*[١] محقا تماما. فقد كان مشهد الحب المتبادل بين د. هـ. وهوميل

---

(١) *E. Glaser* (١٨٥٥– ١٩٠٨) مستعرب، ومدرس خاص بفيينا.

Hommel[1] مؤثرا. وكل إنسان يتحلى بالأدب كان مشمئزا. انظر كيف انتزع لنفسه بعد ذلك حق التحدث بلا توقف، وأن يوجه الشكر للرئيس، وأن يشرب نخب ما يقوله دون أن يطلب منه ذلك. كان لزاما عليه بطبيعة الحال أن يستمر فى نعيره لكى يبلغ عبر ما يقوله فى الواقع بشكل شخصى للغاية إلى N. Fr. Pr.؛ من الخير ألا يتعجبوا من معاداة السامية.

٣ أكتوبر

بصفتى مبعوثا من قبل الأكاديمية المجرية إلى مؤتمر المستشرقين بلندن، قمت مساء اليوم بتلاوة تقريرى الذى كتبته عن سير هذا التجمع العلمى على الأكاديمية. وقد أعرب الحاضرون عن خالص إعجابهم بهذا البحث، الذى ينبغى أن أحقق فى إطاره نجاحا، من حيث إبراز العديد من وجهات النظر على العموم وإلقاء الضوء على الأهمية الكبرى للدراسات الشرقية بالنسبة للتعليم. وسينشر البحث فى عدد نوفمبر الخاص بمقرر الأكاديمية[2] الذى يطلق عليه (*rtesitőÉ*).

١٦ أكتوبر

لقد حقت كلمة النبى عاموس[3]: נִשְׁבַּע אֲדֹנָי יְהוִה בְּנַפְשׁוֹ, נְאֻם-יְהוָה אֱלֹהֵי צְבָאוֹת, מְתָאֵב אָנֹכִי אֶת-גְּאוֹן יַעֲקֹב, וְאַרְמְנֹתָיו שָׂנֵאתִי قد

---

(١) F. Hommel (١٨٥٥- ١٩٣٦) عالم فى حضارة ولغات بلاد الرافدين الآشورية، وأستاذ بميونيخ.

(٢) هيللر B. Heller: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٤٩.

(٣) سفر عاموس: ٨:٦.

أقسم السيد الرب: "إنى أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره". فما نطمح إليه هو أن نكون نحن أيضًا مثل الرب فى هذا الأمر: أن نكره ونبغض هذه العبودية للمال والتفاخر به، وهذه الخزائن المكدسة بالأموال التى تدعو للتكبر والتباهى بكثرتها، حيث إنها مهانة للجنس البشرى وعار عليه.

فهم محل تقدير واحترام. فهل يكونون هكذا دون ما يملكونه من حقائب أموال؟ إنهم يحقروننى ويضيقون علىّ. فهل كانوا سيفعلون ذلك لو أننى – حاشا لله– كنت على شاكلتهم؟ وهل كان سيزداد تقدير وحب من يقدروننى ويحبوننى لو أننى كنت رجلا غنيا؟ / لا أعتقد ذلك. ولكن ما هو فى حكم [١٥٣] الشيء المؤكد بلا حدود، ولا أشك فيه لحظة: أن الرب قد أقسم بقوله: "إنى أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره". ولهذا فإننى عاقد العزم ما دمت حيا على أن أكره عظمة يعقوب وأبغض قصوره، بل وأمقتها أشد المقت.

وحين تعاودنى عدم قدرتى، مثلما أشعر بذلك فى هذه الأيام، فى أن يكون العمل والبحث هو شغلى الشاغل فى الحياة، فإن تلك الكراهية فى هذه الحالة ستكون مضمون نفسى، وهى بمثابة جناح سيحمل وجدانى عليه. وعلى هذا الجناح يمكننى أن أحلق فى السماء إلى حياة أكثر صفاءً. إنه إحساس ملوَّث: الإحساس بالكُره؛ ولكنه يتخذ الشكل الذى أقترب منه، فضيلة رفيعة. فناظم الترانيم يكره الكارهين للرب؛ وحتى أنا لن أدع حياتى تحجم عن ذلك طويلا.

كلفتنى الأكاديمية بأن ألقى خطابا بمناسبة ذكرى رينان ***Renan*** الذى كان عضوا فخريا فى هيئتنا. وشرعت فى جمع الأفكار الخاصة بهذا

الموضوع. وكان منتهى التعقل من جانبى أن أشرح من البداية أننى أخذت علـــى عاتقى هذه المهمة بشرط أن يقتصر حديثى عن "رينان مستشرقًا"[1] ولا أملك غير هذا. فليس من الخير أن أتعرض بالهجوم لرينان عند تكريمه بصفتى ناقدًا للأناجيل ومؤرخا للبدايات المسيحية. وفى المقابل سيكون محل تقدير أن أتطرق فى حديثى عنه إلى شخصيات مثل لو هير *Le Hire* وإلى كواترمير *Quatremère* وإلى بورنيف *Burnouf*، ولا أحتفى به كأحد تلاميذ شتراوس *Strauss* وباور *Bauer*. ولا شك أنه كان يستحق ذلك، وإن كان هذا لا يروق أمره عند علماء توبنجن.

إننى أعتبر نفسى محظوظا أن أقترب- فى خضم المحن التى مررت بها فى حياتى- من كثير من الرجال العظام، فكم من رجل قابلته وجها لوجه، وكم من حديث استمعت إليه لكثيرين. إننى أتذكر الآن لقائى مع رينان المحفور فى ذاكرتى، فى عام ١٨٨٤.

١٧ أكتوبر

أشعر بأننى مريض بكل تأكيد. فبقدر ما أوتيت من قوة حققتها لذاتى، أسيطر من جديد على الكآبة التى تتزايد درجة استهدافها نحوى، وتجبرنى على أن أتحمل بشاعة العمل وما فرض على حياتى من أمور. ولكن هذا الإجبار ليس طبيعيا فى شىء، فهناك شعاع أمل يتسرب فى خفاء إلى روحى. كما لو أن الأمر سيصير إلى الأحسن، لعله يتحتم ذلك! ولكن أليس من الحماقة الجميلة أننا لا نزال نعقد الأمل فى حياتنا؟

---

(١) هيللر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٦.

٢٤ أكتوبر

مساء اليوم ألقيت محاضرة بمناسبة مباشرة عملى عضوا عاملاً بالأكاديمية. وقد حصدت بالفعل إعجابا مشرفا. وانطلقت أقلام أفضل أدباء وطننا بالإطراء والتمجيد لشخصى، حين نجحت فى تطويع وقهر مادتى العلمية الجافة أسلوبيا، حيث إن موضوعها متخصص.

يدعى الكبير بولاك ***Polak*** منذ تسع سنوات أننى غير قادر على كتابة خطاب رسمى على نحو مناسب، ويبدو أن الكبير بولاك هو الذى يفهم فى هذه الأشياء أكثر من غيره، أكثر من أدباء نصفى الكرة الأرضية... فهو يملك زكيبة أموال. /

٢٥ أكتوبر

تلقيت اليوم رجاءً من موسوعة باريس الكبرى ***Pariser Grand*** [١٥٤] ***Encyclopédie:***

بأن أرسل إليها بيانات سيرتى الذاتية الحية. "ومن بين مجالات الموسوعة إدراج السيرة الذاتية لأية شخصية اكتسب اسمها شهرة، وبغض النظر عن البلد الذى تنتمى إليه". وربما على هدى هذا الطريق يمكن أيضًا "ليهود بودابست" أن يشبعوا فضولهم، حال رغبتهم ذات يوم بعد وفاتى فى معرفة من قاموا باضطهادى وإهانتى.

٣١ أكتوبر

حُمل آخر أخ على قيد الحياة من أبى رحمة الله عليه، إسحاق ***Isak***، إلى مثواه الأخير. فهل بذلك الحدث ستنقطع إلى الأبد العروة المفككة منذ زمن طويل التى كانت تربطنى بالعائلة؟ لقد كان أهل هذه العائلة يستقبلون

أفراحى وأتراحى بلا مبالاة واضحة، كما أن أمى أسقطتهم من حساباتها. لقد وقفوا تجاهى فى أشد أزمات حياتى كالغرباء الذين لا تربطهم بى صلة. أما وقت أحداث الفرح والسرور التى سمح لى بها الزمان، وهى نادرة، فكانوا أكثر انزعاجا، واستقبلوها ببرود تام تميزوا به. لقد كان أيضًا فيلهلم باخر *Wilhelm Bacher* يعيش فى قلب العائلة. وأقسم بربى أنه لم يكن لى أى دخل فى هذا الشأن من السلوك. وكيف لهم أن يهتموا بشئونى؟ فماذا كان بوسعى أن أحققه لهم من منافع؟

فى اليوم ذاته تأسست مدرسة يهودية جديدة فى المدينة الصغيرة لمسقط رأسى، وكان ينبغى على أن أسافر إلى هناك لحضور تدشينها؛ ولكن حالت بينى وبين السفر جنازة عمى، وكان من الضرورى أن أبعث بتلغراف كترجمة حقيقية للتعبير عن مشاركتى لهم بحق[١]، وإحساسى أننى كنت بالفعل مشاركا لهم اعتذارا وتعبيرا.

٦ نوفمبر

ألقيت مساء اليوم محاضرة حرة بالمجمع الإثنوجرافى عن "العلاقات الإثنوجرافية لعلم الأديان المقارن"؛ وهى تقديم استهلالى لمحاضرات هيبرت *Hibbert*، التى كان بوسعى أن ألقيها. ولكن كيف يتأتى ذلك ليهودى مجرى مثلى.

٧ نوفمبر

لقد اختاروا الآن من جديد مجلس الأمناء. إنهم نفس المحكمين. فقد كان بولاك مريضا ولم يتمكن من الحضور بشحمه ولحمه لكى يلقى علينا

---

(١) أ. شرايبر *A. Schreiber*: الكتاب التذكارى لإجناس جولدتسيهر، ج. *II* القدس ١٩٥٨، ص ٢١١، رقم ٧٠٠.

خطاب الجلوس على العرش. ولكن، وكما سمعت، أن الناس قد هللوا بالفرحة لتغيبه. ولماذا لا يهلل هؤلاء اليهود بغياب وغد لا يملك سوى الذهب والفضة. استمروا فى فرحتكم؛ فأنتم تستحقون التقدير التام عنه!

١١ نوفمبر

لا يزال بولاك مريضا. هذا الموقف الحزين أتاح الفرصة أمامى لأن أكتب بعض المقالات من وقت لآخر، وعقدت العزم على أن أبعث بها إلى مجلة متخصصة فى / علم الحضارة الآشورية *Assyriologie*[١]، وهى [١٥٥] جلوبوس *Globus*[٢]، وأخرى عن فلسطين[٣]. ثلاث مقالات فى أربعة أيام، الهناء والفرحة تعم هذه الليالى.

٢٧ نوفمبر

فى الليلة السابقة (يوم ٢٦ من نوفمبر) توفى موريتس فارمان *Moritz Wahrmann* على إثر نوبة قلبية، لم تصبه من قبل - فيما سمعت. واستعد اليهود أن يكرموه بنعيه على الطريقة البيزنطية. وسوف يعذبوننى بذلك الأسلوب فى مثواى الأخير، ولكن لعل ذلك يكون آخر عذاب يلحق بى من قبل موريتس فارمان هذا، على مر عقد من الزمان! لقد كانت أياما مؤسفة ومؤلمة لنفسى، تلك التى كان هذا الإنسان من ورائها. فلم يترك أية كلمة نابية ولا مهانة ولا إهانة ليقوم بتوجيهها لشخصى. لقد أرسله الله إلى ليكون

---

(١) هيللر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٥٦.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٦٢.

(٣) نفس المرجع السابق، رقم ١٧٨.

بمثابة سياطا لتعذيبى، ولكى يختبر مدى تمسكى بشعارى فى الحياة "الصبر مفتاح الفرج" فى ظل الأوضاع المحزنة التى جلبها على هذا الإنسان.

٣٠ نوفمبر

كَمٌّ لا حصر له من المكاتبات والتلغرافات والجلسات وتسجيلات لمحاضر تكريما للمتوفى الكبير. إنها الاحتفاليات الأخيرة التى يمكن أن تُسدى إليه فى تأبينه وتكريمه، وهى العذابات الأخيرة التى يعدها لى، بل إن الجنازة المهيبة أهلكتنى، فقد استمعت إلى جميع الخطب التى برهنت على مدى الفداحة التى لحقت بالعالم بفقدان هذا الإنسان الفريد والأصيل والطيب والذى لا يُعوض!

٣٠ ديسمبر

فى يوم ٢٨ ديسمبر أقامت الجالية اليهودية المحلية "صلاة الجنازة" على روح الفقيد فارمان، وبحضور كل من كريتى ***Krethi*** وبليتى ***Plethi*** [(١)]، نكون قد بلغنا نهاية مشهد المراسيم البيزنطية التى مورست على مدار خمسة أسابيع مع جثمان مليونير سيئ السمعة؛ إلا أنا، فقد وجب علىّ مرة أخرى أن أساير التباكى عليه على ظهر جبل الجلجلة وفى التقرير السنوى بالتغنى بإحدى الترنيمات التى تتلى على جثمان الرجل العظيم الذى أباد ودمر حياتى الداخلية والخارجية بطريقة مخيفة، على مدار عقد كامل من الزمان – وهى أغلى حقبة زمنية فى سنوات عمرى، (من ٣٣ إلى ٤٢ عاما). لا شك أنه

---

(١) *.II. Sam. VIII. 18*

حتما، كما يقولون، كان رجل خزانة عظيما. ويبرهن على ذلك الملايين التى اكتسبها والصحف التى تدعى ذلك. وهناك صحف ويهود آخرون يتحدثون عن فكره "اليهودى" وعن الاتجاه الدينى الذى قاد به قبل -عقد من الزمان- الجالية اليهودية التى كان يتهددها الخطر وأنقذها من الضياع. وبالتالى هو الإنسان نفسه الذى رفض بازدراء - قبل عقد من الزمان- المشاركة فى أمور هذه الجالية، ثم قبل بعدها منصب أحد المُحكمين لكى ينقذ سمعته ويسترجع شعبيته التى أخذت فى الذبول والترنح، ويجعل عالم المسيحية / يقتنع بأنه سيحقق إفادة بهذه الصفة تعلو عن إرادة ستمائة ألف شخص. فأى [١٥٦] نوع من الشجاعة يندرج تحت ما هو "يهودى" وما هو "دينى" لأن نتحدث عن مسيرة حياة انقضت لإنسان تستوجب سيرته البذيئة والفاضحة أن تستدعى الحكم عليها باللعنات حتى وإن كان واعظا، إذ كان منحلا، كما تستوجب قسوته وغلاظة قلبه ووحشيته الحيوانيه.. أن يتأفف ويخجل منها أى رجل لديه كرامة وشرف. وملخص القول، لقد كان خبيرا بالماليات مهما، ولكنه شخص حقير ومرعب، مولع بالمجد والحظوة، صائد للأموال، ذو طبيعة سوقية، ونفس موحلة، ووجدان ملوث.

ولا يسعنى إلا أن أترك لذكراه بعض الأعمال الجليلة التى يجب أن يعترف لى بها كل خبير على خُلق ملم بالعلاقات. والواقع أننى قمت "بنفسى" فى عام ١٨٧٦ بتطهير إسطبل أوجياس التابع لإدارة الجالية؛ كما أننى لعبت دورا مؤثرا فى إدخال اللغة المجرية إلى لغة الجالية. هذا فضلا عن أن إدخال الإصلاح على درس الدين هو بأكمله من عملى، نعم هو صنيعى وحدى دون غيرى. وفُرض على أن اكتشفت وأنا اناضل -من أجل بلوغ

مأربى- كتابا مقدسا ولغة يهودية لشباب الجالية اليهودية البودابستية. وعليه فإن هناك أعمالا أخرى جليلة لأناس آخرين فى هذا المضمار، حتما سوف يبخس بجميل أصحابها، أذكر منها على وجه الخصوص حق صمويل دويتش[١] من أن يجنى ثمار شهرته بوضع إكليل من مئات الزهور على قبره يمنحه إياه الشعب اليهودى الكنود، كما يفعل مع ذلك المغرور بأمواله الذى نضح بفكره اليهودى السيء على الدوام، وترك أثره يتغلغل، على الأخص، فى تربيـــة ولديــــه، خوفنى وبينخاس ***Chofni und Pinchas***[٢]. وما كل ذلك إلا بمثابة اللحظة المناسبة لتقييم حقيقة موزيس فارمان ***Moses Wahrmann*** إنسانًا ويهوديًا. أيضًا هذه صفحة تدفع بمن أضفوا عليه شعارات مثل "اليهودى العظيم"، و"أول يهودى مجرى" (كما يحلو للبعض دائما أن يطلقوا عليه ذلك) إلى حافة الشك، لعلها تبلغ المراد منها إذ ذاك، لو أنها وقعت فى أياد شرفاء، وتساعد على كشف قناع الكذب عن ذكرى سيطويها الزمان لمثل هذا الإنسان الشرير، ولمن يمنحونه بعد رحيله شعارات من طراز "المثالية وطيبة القلب"(!). على أننى أعتقد أن ذلك سيحدث أيضًا يوما ما بدون هذه الصفحة. ورغم ذلك، فإننى لا أرغب أن أختتم بهذه الكلمات عام ١٨٩٢. والأفضل لى أن أوجه عنايتى إلى تقرير البروفيسور باسيه ***Bsset***[٣] بالدراسات الشرقية عن السنوات الخمس من ١٨٨٧ وحتى ١٨٩١. ونقرأ فى

---

(١) صمويل دويتش ***Samuel Deutsch*** (١٨٣٠- ١٩١٦) هو نائب رئيس الجالية الإسرائيلية فى بست ***Pest***

(٢) ***I. Sam. II. 34***

(٣) ر. باسيه ***R. Basset*** (١٨٥٥- ١٩٢٤) مستعرب، أستاذ ومدير المدرسة العليا للآداب بالجزائر.

هذا التقرير ما يقوله العلماء الفرنسيون عما أنجزته فى تلك الفترة الزمنية. وقد تم إلحاق هذا العدد بمكتبتى (بالملزمة الخاصة بالتقارير السنوية). ويمكن العثور عليه هناك بسهولة والاستعانة به عند تكريمى بعد وفاتى. وأما الأعمال النقدية فقد نتج عنها بعض كلمات مشرقة خاصـــة بالدراســات المحمديـــة. وكل ذلك لا يجعلنى أشعر بالغرور بنفسى، ولكن من الممكن أن يواسينى على ما ألقاه من دلائل لا تتقطع للتنكر بشخصى وعدم تقديرى بما ينبغى، والتى كرست نفسى للتصدى لها هنا على أثر التقاليد الجميلة التى يهيمن عليها ذلك البولندى. /

١٨٩٣ ١٥٧

٣ يناير

تلقيت تهانى وأمنيات حسنة من جميع الأطراف بمناسبة العام الجديد. وقد أرسل لى فى الوقت ذاته كل من نولدكه ***Nöldeke*** وكاوتش ***Kautzsch*** صورا فوتوغرافية لهما. إننى لا أرغب مطلقا أن يكون الحطيئة صديقا لى فى العام الجديد،- وأعقد أملى على أن يشرق فجر جديد لحياة أفضل، كما أتمنى أن تبدأ صفحة جديدة فى هذا العام ذاته.

٦ يناير

كيف يعبر جوته عن لسان حالى؟

آه لقلبى! ورب الفن من الوحى يحرمنى ويمتنع

ويا ويح فنى أن تجيش خواطرى فأختلق وأصطنع

١٥ يناير

في احتفالية كبرى قام اليهود في ظهيرة اليوم باختيار المحكِّم الجديد. لم يكن الأمر على أقل تقدير ذا صلة بالسياسة، حتى وإن وقع الاختيار على أحد التجار اليهود الأثرياء[1]. ولعله لا يؤبد نفسه في هذه الصفحات؛ وقد وعدني على هامش أول حديث عارض لي معه "ألا يجعلني أشعر مطلقا بما قد يعتريه من تقلبات الأهواء".

١٩ إبريل

فيزي جيارمات ***Füzes Gyarmat***

هنا احتفلت اليوم بذكرى وفاة والدتي المرحومة في جو من العبادة الهادئة، وعلى وعي بأنني حين أتوجه إليها في ذكراها، فإنني أقدم إليها البر والتقوى، وذلك حين أسافر إلى حفيدتها المتزوجة في هذه البلدة. فقد اشتاقت نفسي لزيارة ابنة أختي بيلا ***Bella*** في مسكنها، حيث صارت دكتورة ووالدة لروبرت الصغير.

٢١ إبريل

بودابست. قضيت يوما لطيفا في فيزي جيارمات ***Füzes Gyarmat***، وأما رحلة العودة فقد كانت- مع إغفالي لرحلة متعبة بالقطار المحلي عبر جيوما ***Gyoma***، حتى منتصف المسافة- بصحبة الثرى السيد بيلليستر ***Pillitzer***، الذي أقلني بسيارته حتى كارتشاك ***Karczag***، حيث أخذت القطار

---

(١) كونر ***S. Kohner*** هو رئيس الجالية الإسرائيلية في بست ***Pest***.

السريع لأصل إلى هنا. وقد شعرت بالسعادة من قيامى بهذه الرحلة، فضلا عن شعورى بالرضا والارتياح النفسى من جراء ما قدمته لأمى الطيبة التى هى بين يدى الرب من فرحة بزيارتها. ولعلها تدعو لنا جميعا عند رب العزة، وتتوسل لنا عند عرشه. إننا فى أشد الحاجة لهذا الدعاء حيث إن الأخطار والشرور تحيط بنا من كل جانب. /

٩ مايو

١٥٨

اليوم يوافق الذكرى السنوية لوفاة والدى المرحوم. فقبل ١٩ عاما وقفت أمام نعشه منكسرا على رفاته وروحه، وارتسمت صورة حزينة لمستقبلى أمام عينىَّ. فقد تخيلت آنذاك أنه سيكون أكثر سوءا عما صار إليه. ولكن أى تجارب خرجت بها من تلك السنوات التسع عشرة! إننى لم أظفر منها سوى بآمال خادعة، وكراهية لأصدقائى، واحتقار لكل ألوان الشر، وسوء تقدير، وكبتا، ونية سيئة واجهت طموحاتى، واستشهاد غير مسبوق فى سبيل دينى من جراء ما ألاقيه من عذاب من بنى عقيدتى، وتعذيب وتنكيل معنوي، وأيضًا بعض من الشهرة، وبعض من الشرف والكرامة، ليس من قبل بنى عقيدتى الذين ضنوا علىّ بذلك، رغم أننى لم أنتظر منهم ولم أسع إليهم من أجل أى شىء من هذا القبيل. فكل شىء غير مستوجب، الكراهية والشرف! إن كراهية الأشرار نجاح لحياتى؛ وكل شرف نلته فى حياتى سيكون فيما بعد حصادا لأولادى فحسب!

هناك أيضًا حدث جديد بتدبره قمت بالمشاركة فيه، واستحوذ على بداية هذا الشهر. فلم يذكر على تلك الصفحات التذكارية اسم كارمان

Kármán إلا مرة واحدة، والحقيقة أن حامل هذا الاسم يستحق الذكر على الدوام باعتباره متبرعا بالعطايا، ومزكيا للخيرات، وقد أعربت له بالشكر عنها فى الإهداء الخاص بكتابى "الإيمان بالمعجزات ***Mythos***". وقد استمرت صلتى به منذ ذلك الوقت دونما شائبة تشوبها. وقد تعرض كارمان هو الآخر للازدراء وللنبذ، وأن يكون أحد المغضوب عليهم. فالمسيحية لا تغفر له أنه يهودى، كما أن اليهود لا يغفرون له أنه يلعن الكذب الذى يحيا عليه هؤلاء القوم الكاذبون، لأنه لا يخشى فى الحق لومة لائم. إن هذا الإنسان صاحب المعدن الأصيل يعمل بنجاح كبير منذ ٢٥ عاما وحتى الآن فى مجال التدريس، وهو، مثله مثل أى إنسان شريف، لم يشاهد مطلقا فى حياته ثمرة واحدة لعطائه فى الدنيا. وقد أعرب بعض أصدقائه عن شعورهم بأنهم مدينون لهذا الرجل النادر بالتكريم. لهذا فقد عقدنا جميعا العزم على فعل ذلك فى منتهى الهدوء، وأن نقوم بتكريم كرمان بمناسبة مرور ٢٥ عاما على نشاطه فى العمل العام، بأن نقدم له هدية تكريم تقدر بعشرة آلاف ريال هولندى. وقد تم تكليفى بأن أتولى تسليم الإنسان المتميز هذه الهدية الرمزية فى اليوم السادس من هذا الشهر اعترافا له بالتقدير والاحترام.

١٣ مايو

علمت اليوم من خطابات دوكا ***Duka***[1] بلندن، وبراون ***Browne*** بكامبريدج، أنه وقع اختيار الجمعية الملكية الآسيوية بلندن ***Royal Asiatic***

---

(١) ت. دوكا ***T. Duka*** (١٨٢٥– ١٩٠٨) طبيب وعالم فى لندن، ومؤلف "حياة وأعمال ألكسندر كسوما دى كوروس ***Life and Works of Alexander Csoma de Körös***" (لندن ١٨٨٥).

Society على شخصى لأكون عضوا شرفيا بها. والحق أن هذا الامتياز الشرفى لرجل يقوم على خدمة الجالية اليهودية، إنما هو دليل على الاعتراف بجهودى ومآربى الطموحة، وهو ما جعلنى أشعر طوال هذا اليوم براحة نفسية حسنة، وأننى سأبدأ مع تقدم عمرى فى جنى ما حصدته، وأن مثل هذه الأفعال لها أثرها فى نفسى، تماما كأن هناك من يدللنى ويربت على كتفى.

سألتنى إحدى الشابات اليهوديات فى منتهى الجدية: "هل قمت بكتابة التماس اختياركم باللغة الإنجليزية"، وتبعتها أختها بالسؤال: وهل الحديث الجارى فى "الجريدة المسائية *Abendblatt*" يتعلق بالفعل بهذا التعيين"؟. /

١٥٩

١٤ مايو

انتهيت اليوم من كتابة بحث صغير عن "سُكينةٌ فى المراجع الإسلامية، وسأقوم بإرسال هذا البحث إلى المجلة المتخصصة فى تاريخ الأديان[١] "*Revue de l'histoire de Religions*". كما كتبت اليوم - نزولا على إلحاح من رئيس تحرير إحدى الدوريات اليهودية ربع السنوية- مقالا يحمل عنوان: "إبن هود والحى اليهودى بدمشق فى القرن ١٣ *Ibn Hûd und das Judenviertel-Damaskus im XIII. Jhd.*"[٢].

١٦ مايو

ذكرى عيد ميلاد شقيقتى المرحومة.

فى اجتماع لجنة الجالية اليهودية مساء اليوم، أعرب المجتمعون عن تهنئتهم لى فى محضر الجلسة عن الامتياز العظيم الذى نلته. وذكر

(١) هيللر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٤.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٧٢.

الحاضرون بالجالية جميعا أنه ينبغى، بل ويتحتم عليهم – كما ترغب الجالية الآن– أن يفتخروا بذلك الحدث. قبل تلك الثرثرة مباشرة كان من الضرورى على أن أقرأ عليهم المحاضر وقوائم الأسماء الخاصة بهم. بعد ذلك قاموا بتهنئتى بصرامة لا تمت للاحترام والوقار بشىء.

شرعت فى كتابة مقالى عن "رينان مستشرقًا"، وقد استحوذ الموضوع على فكرى، وكان له فى نفسى قوة جاذبة شديدة، إذ إننى – خلال يومين فقط– قمت برسم الخطوط العريضة لفصلين وهما: أ) رينان أستاذا جامعيا، ب) رينان ناقدا للكتاب المقدس. ولا تزال هناك أشياء كثيرة تنقصنى. فالرجل لديه وجهات نظر بالغة الصحة بشأن إسرائيل "وليدة الوقت الراهن". ويمكن القول إنه أخطر معاد للسامية، لأنه على حق فيما يقوله؛ وخطورته تكمن فقط فى أنه على حق، ولا يمكن أن ينازعه أحد فيما بلغه. فالعبارة المتحذلقة المتأنقة هى للحظة الآنية، كما أنها للغوغاء. والشرفاء من الناس لا يصنعون عبارات، كما أن الحقائق لا تفند بالعبارات أبدا.

٢٠ يونيو

اضطررت أن أستغنى لبضعة أيام عن استخدام يدى اليمنى التى تكوَّن بها خُراج مؤلم بدرجة مزعجة تطلب ضرورة التدخل الجراحى، أعقبه فترة علاج اختلست من وقتى أسبوعا كاملا. وقد عدت بهذا السقم من فيينا، حيث أقمت بها فى الفترة من ٢٣ وحتى ٢٨ من مايو بمناسبة اجتماع فقهاء اللغة الألمانية والمدرسين. وقد تطلعت بخاصة إلى أن اغتنام فرصة سفرى لفيينا لأن ألتقى كاوتش ***Kautzsch***؛ إلا أن هذا اللقاء لم يتم. فى المقابل تقابلت مع هوميل ***Hommel*** من ميونيخ، وجرونرت ***Grünert*** من براغ[١]. أيضًا شارك

---

(١) م. جرونرت ***M. Grünert*** (١٨٤٩– ١٩٢٩) مستعرب.

الاجتماع عدد غير قليل - ربما عشرين شخصا- من أهل بلدى، ومنهم من حضر بصفة رسمية. وقد تباينت مشاعرهم من فرد لآخر عند الشروع فى تشكيل الأقسام، وبخاصة حين وقع الاختيار"على" لأن أكون الرئيس الأول لقسم الشرقيات. هذا رغم أن القسم الشـــرقي الخاص باجتماعات فقهاء اللغة لا يعنى الكثير، حيث إنه فقد أهميته بشكل مطرد منذ أن صارت مؤتمرات المستشرقين / مستقلة بذاتها؛ بل إن الاجتماع العام "لمجمع الشرقيات الألمانى [١٦٠] *D.M.G.*" ذاته الذى كانت تجرى أحداث جلساته فى سنواته الأولى بداخل القسم الشرقى لمؤتمر فقهاء اللغة، قد انفصل هو الآخر شيئا فشيئا عنه. وعلى أية حال، فإن دعوة القسم لأن أكون على رأس المائدة، حملت فى دلالتها معانى التقدير والاحترام. فضلا عن أن هناك من راح يجاملنى بقوله لي: إننى قد ترأست جلسة إدارة الحديث بكل أدب واقتدار، وقمت بتلخيص حصاد الأنشطة فى الكلمة الختامية بأسلوب رقيق. أما النقطة المضيئة بالنسبة لي فى هذه الاحتفاليات بفيينا فقد تمثلت فى تقاربى من شخص جوستاف بيكل ***Gustav Bickell***[(١)] الذى تعرفت عليه بشكل شخصى فى مؤتمر المستشرقين لعام ١٨٨٦. فهذا الكاهن الكاثوليكى قد فتح عينىَّ على روح أصيلة مليئة بالحقيقة والانسجام، وهو إنسان يحقق انتصارا دون الدخول فى حرب؛ وهو الذى - حين انحشر فى جماعة اليسوعيين لمدرسة اللاهوت بمدينة إنسبروك ***Innsbruck*** - عمل على نقاء وصفاء جوهره العلمى والدينى؛ وهو نموذج مشرق لعدم قهر الوعى العلمى، وليس مجرد إنكاره، حين يتبحر فى الدين. كم هو جميل ومؤدب مثل هذا الضمير لأحد رجال ديننا اليهودى ومعلمى اللاهوت. وقد تعاملت أيضًا مع رجال الدين اليهود

---

(١) بيكل ***G. W. H. Bickell*** عالم للسريانية والعبرية ، وكان له دور مؤثر فى عملـــه بجـــامعتى إنسبروك وفيينا.

بفيينا، ومن خلال مراسلاتى مع الدكتور يلينيك *Dr. Jelinek*[1] تكشفت لى دواخل مسألة محددة، وصرت على قناعة بوجود فساد داخلى وخلاعة لهذه الطبقة الفاسقة من بنى عقيدتى. والآن ينضم إلى صفوفهم فى وقار البروفيسور دافيد هاينريش م. *David Heinrich M.* الذى وطد نفسه لأن يكون بمثابة خادم للمعبد من أجل المال. وما عليكم إلا أن تقوموا بخدش السطح العلوى من طبقة الجلد الخارجية فقط عند هذا الرجل المسكين من أساتذة الجامعات[2]، وإلا سنلتقى فى أقرب وقت أمام قضاء تارنبول. فمن التعاسة وسوء الحظ أن يكون لدينا مثل هؤلاء الأفراد منعدمي الشخصية، حتى نستحضر "فترة ازدهار" الديانة اليهودية مع نهاية القرن ١٩.

أخيرا يعقد يهود المؤتمر العزم على تأسيس منتدى الأدب اليهودى الذى تحمست وناديت بفكرته قبل ٨ سنوات[3]. فقد استولت الآن على الفكرة الجيدة شلة لا علاقة لى بها لأسباب تتعلق بقواعد الأدب واللياقة. فالشلة لم تنتظر مطلقا أن أشرح لها هذا الأمر، وشرعوا بمبادرة خاصة بهم فى... فصلى، ولهم الحق فيما أقدموا عليه. فكم من مرة قمت بفضح يهود المجر، وأنهم على حق فى أنهم ببساطة قد قاموا بطردى. ويكفى تسجيل هذه الحقيقة هنا فى بساطة مجردة من كل شىء؛ إن من يقرأ هذه السطور سيعلم – من تلقاء ذاته – ما العواقب التى ستترتب على علاقاتنا اليهودية العامة.

إلحاقا بخبراتى وتجاربى أثناء وجودى بفيينا تعين على أن أسجل التاريخ المهم التالى فى سيرة حياتى. فى مساء يوم ٢٣ مايو أخبرنى البوفيسور بيكل *Bickell* بشرط توخى التكتم والسرية إلى أبعد الحدود، ما هو

---

(١) أ. يللينك *A. Jellinek* (١٨٢٠- ١٨٩٣) حاخام بفيينا وعالم.

(٢) عملا بالمثل القائل *Grattez le Russe et vous trouverez le Tatare*.

(٣) هيللر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ٢٢١.

آت. فى عام ١٨٩٠ أقام بيكل لأغراض علمية بإنجلترا وتعامل هناك مع أحد آباء اليسوعيين الموسوعيين، وهو العالم الشهير فى "علم الآشوريات" / شتراسماير *Strassmaier*[1]، والذى شارك فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد [١٦١] باستوكهولم عام ١٨٨٩. وقد صاح شتراسماير فى وجه الكاهن الكاثولوكى بيكل متبجحا، ناطقا بالحقيقة التالى ذكرها. كان صاحب الجلالة ملك السويد والنرويج قد أعرب أثناء انعقاد مؤتمر استوكهولم عن نيته العاقد العزم عليها فى أن يستبقينى (*G. I.*) بالسويد ويقوم بتعيينى أستاذا بالجامعة. وقد اعتبر الآب اليسوعى من خصوصيات مهامه كآب لليسوعيين هو أن يجمع ما بين ما أولاه الرب من شرف عظيم (*ad majorem Dei gloriam*) وأية عناصر تنتمى للوثر، وأن هذا التعيين التفاف على إرادة الرب على طريق الدسيسة والتآمر. تلك على وجه التقريب علاقة بيكل التى واكبها مع إبداء ملاحظات تحقق له كل معانى الشرف.

وبالتالى إذا اعتبر آب اليسوعيين أنه من الأهمية أن يحبط محاولة هذا التعيين وفقا لمصلحة مسيحية فما هى المصلحة اليهودية فى استخدام يهود المؤتمر لكل ما لديهم من أدوات لإحباط تكريم من يلحقون به كل ما يمكن تصوره من ألوان العذاب والذل والخزى والفضيحة منذ ١٨ عاما، وأن إهانته وتحقيره أحد أهم الأولويات الحزبية فى المؤتمر. كان من المفترض أن يسافر صديقى د. جوزيف سيمون *Dr. Josef Simon* إلى إنجلترا لكى يبرم مع الآب شتراسماير تحالف حماية ودفاع بهدف تثبيت وتدعيم كامل لهذا الشخص المدعو جولدتسيهر الذى لا يبتغى شيئا آخر على الإطلاق سوى أن يبقى حتى نهاية أجله فى الحياة إنسانا "مكرما".

---

(١) *I.N. Strassmaier* مؤلف كتاب "الآلهة الآشورية والبابلية *The Assyrian and Babylonian Gods.*" (لندن ١٨٧٩)

٣ يوليو

جاء اليوم الأول من شهر يوليو في هذا العام (سبت بالاق؛ سفر العدد: ٢٢:٤٠) بالسرور على نفسى بحلول أحد أعياد البهجة والمسرة الجديرة بالتذكر بشكل خاص. فقد توافق تاريخه حلول نفس اليوم بعد مرور ثلاثين عاما لاحتفالى بعيد البار متسفا. فقد فكرت- بمناسبة هذا اليوم المهم للغاية فى ذاكرتى التاريخية وحتى نهاية عمرى، والذى أحيا حياتى بتزودى بقوة حمايته لى- أن أحتفى به بكل ما أملك من وقار، عندما أقوم بإحضار ولدىَّ فى هذا اليوم إلى مسقط رأسى، شتولفايسنبورج ***Stuhlweissenburg*** لكى نقيم معا هنا احتفالنا بعيد البار متسفا. وهكذا أقوم بتبليغ أبنائى كل ما يتصل بى من تقاليد خاصة بطفولتى وعقيدتى وما أحبه وما أبغضه، لعلهم، كما أسير على هذا الدرب، يغيرون مسيرة الحياة، عملا بكلمة السر التى قالها ميخا: ٦:٨. كان وقع هذا اليوم أكثر سعادة فى نفسى، كما كان كذلك بالنسبة لزوجتى لورا ***Laura***، وسمت فرحتنا بمشاركة أصدقاء أعزاء علينا من قريب وبعيد. لقد عشت ثلاثين عاما بأكملها فى عيدى البار متسفا، إنه الواقع الأسمـــى لحيـــاتـــى، ولهـــذا فقد استطعت أن أشعر به على أنه أمس الذى لا ينفصل عن تقلبات الحياة، ومع شيبة شعرى وقفت فى المعبد بإحساس يرتبط ارتباطا مباشرا بعيد البار متسفا. وقام ابنى كارل ***Karl*** بقراءة خاتمة التوراة، ثم القى ابنى ماكس ***Max*** خطبة مليئة بالمشاعر فى المنزل اللطيف بفيرتهايم ***Wertheim***، فكل منهما يعتبر هذا العيد ملكًا لهما، وسيبقى فى ذاكرتهما على أنه عيد صداقة والدين غادرا الدنيا. وجاءت مكافأة الجالية بأكملها لشخصى من خلال تقديم دلائل / على تعاطفها وحبها لى. لقد كانت لحظة مضيئة فى ظلمة هذه الحياة. ١٦٢

٣ أغسطس

براسو *Brassó*

عقب انتهاء الأيام المباركة التى قضيناها بشتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* تهيأنا لاستقبال أجواء الصيف المنعشة. كان على أن أنتهى مسبقا من بعض الأشياء فى بودابست. ولن أذكر منها سوى خطاب للسيد الدكتور فرانس ميتساى *Dr. Franz Mezey* الذى يرتكز مضمونه على أكذوبة لا تتم إلا عن وقاحة أخلاق. كان من المفترض أن أشارك الآن هذا الرجل، بصفته سكرتيرا عاما لمجلس رئاسة الدكتور كوون *Dr. sam. Kohn*، فى تنفيذ فكرة ترجع لاقتراح تقدمت به عام ١٨٨٣[١] (منتدى الأدب اليهودى). عادة فى ثمة فندق قذر لا يوجد فيه سوى براغيث وبق؛ فإذا وجدت نفسك قد استقر بك المقام فى مثل هذا الفندق، فلا تشكو من وجود حشرات.

كان اختيار مكان إقامتنا لقضاء الإجازة فى غاية الصعوبة. كانت نيتى المؤكدة ألا أنفصل هـذا العام عن أسرتى؛ فالضرورة الملحة كانت تتطلب ألا أفرط فى علاقتى بأبنائى عقب احتفالنا بعيد البار متسفا وأقضى أسابيع الإجازة معهم وأهتم- بجدية- بكل ما يتعلق بهم من نصائح ومقترحات؛ على أن قرارى بأن أذهب إلى براسو *Brassó* كان قرارا نهائيا، حيث وجدت نفسى متلهفا لقضاء فترة من حياتى وقت الإجازة مع صديق عمرى كارمان *Kármán* الذى اتفقت معه على ذلك، ووقع اختياره على براسو. هكذا وصلنا إلى هذا المكان يوم ١٢ يوليو، وعثرنا فى الحال على مسكن مناسب بمنطقة (فيبرباستاى *Weberbastei*) الواقعة عند سفح جبل كابللر *Kapellerberg* وسط طبيعة خلابة وفاتنة للعين والقلب، لما بها من غابات ومزارع بديعة. أقمنا

---

(١) فى عام ١٨٨٤.

هنا فى هناء وسلام وسعادة، فلا تقع عينك على شيء إلا وجدته مرتبطا فى لحظة من لحظاته بالوقار والاحترام فى أسلوبه وغرضه. إننى أجلس من الصباح الباكر وحتى ساعة الظهيرة بين كتبى وأوراقى تحت تكعيبة تحفها نسمات هواء بارد منعش. وخلال الأربعة عشر يوما الأولى انتهيت من كتابة مقالى عن رينان كلية وكما ينبغى أن يكون عليه من الناحية الأكاديمية؛ والآن باستطاعتى أيضًا أن أتفرغ بحرية لكل ألوان القراءة على نحو أكثر همة. شرعت فى اكتشاف أعمال التراث الشعبى التى وفرها لى أحد الزملاء العاملين هنا فى وظيفة أستاذ جامعى، وهو الفلكوريست أويجن بندر ***Eugen Binder***[١]. كما استحوذ على إعجابى أثناء ساعات الفراغ مؤلف تاريخ الكنيسة الذى كتبه هاسى ***Hase***. وانتظمت فى إعطاء أبنائى درسا فى الموضوعات المتعلقة بالكتاب المقدس والإنسانيات، وما قمت بدرسه على المكتب، كنت أستكمله وأواصل الحديث عنه أثناء جولات التنزه. ومن وقت لآخر كنا نقوم بعمل جولات كبرى إلى المناطق المحيطة المبهرة، وغالبا ما كانت بصحبة صديقى كارمان الذى كنا ننصت إلى أحاديثه التى جعلت سفرنا إلى هذا المكان فى ذاته مثمرا ومجديا، فضلا عن أن حواراته التى كانت تمتد إلى المقاصد الأخلاقية كنقطة مركزية لتاريخ الفلسفة قد تركت أثرا عميقا فى نفسى، وتصورا، أدعى من خلاله أن بقدرة هذا الإنسان الذى هو على درجة عالية من الأهمية، أن يقدم عرضا شاملا لتاريخ الفلسفة/ ويتصدر به لحركة إصلاح كاملة. وقد أنصت مساء أمس إلى تفسيره للجوانب النفسية فى ثلاثية تولدى التى ألفها أرانى ***Arany's Toldi***. وعلى هذا النحو فقد كان كل لقاء مع هذا الإنسان الفريد يحقق إفادة ومتعة لنا؛ إن من يرصد بشكل

١٦٣

---

(١) ***E. Binder*** (١٨٥٦– ١٩٣٣) متخصص فى التراث الشعبى، وكان أستاذا بإحدى المــدارس الثانوية بمدينة كرونشتادت ***Kronstdt*** (وهى اليوم مدينة براتسوف ***Braşov***) وبودابست.

مباشر شخصيته السامية، وحسن أخلاقه، وثقافته وإصلاحه، ينجذب إليه بكل حب ويجد نفسه يتعامل مع رجل من رجال التعليم فى هذا المكان وكأنه ينتمى لعائلة واحدة. لقد احتفلنا بعيد سادته أجواء قروية هادئة مع هؤلاء القوم، وقبل بضعة أيام من قيامنا برحلة إلى صخور سليمان العظيمة، التى بلغناها بتتبع أحد الممرات المرتفعة البديعة التى أتاحت لأعيننا رؤية جمال المدينة والمنطقة المحيطة بها فى تناغم متبادل لا حدود له فيما ينطوى عليه من متعة وثراء. كنا نتعرف فى أيام الآحاد على الكنائس القديمة فى هذه المنطقة. وأهم ما اكتسبته من معارف فيها هو الأسلوب الخاص الذى يتسم به القداس الرومانى، وهذا ما جعلنى أن أقتنع بإمكانية التماس أصل ومصدر نشيد المعبد اليهودى البولندى. ونفس الشىء ينطبق على الزخرفة المنمقة والصوت الأنفى، حيث إن اليهودية البولندية قد خطت خطوات فى تطور الفن بعد أن كان يوحى بفقدانه لعنصر الوقار الأساسى من قبل، كما أن ما كان سائدا من وثنية وطوطمية فى المعبد اليونانى بلغ حد الكمال على يديها. لا شىء يفصلنا هنا عن مفهوم وثنى للدين؛ سوى أن الأسماء الوثنية قد استبدلت باسم الرب، إلا أن فوق قدس الأقداس كنيسة القديس نيقولا الرومانية نقش يحمل اسم ياهوا بالحروف العبرية، فضلا عن وجود صور القديسين بقسمات مضحكة؛ ولكى يتم تقبيلها ولمسها والتصليب عليها يدخل أعضاء الجالية فردا فردا، وهم يحملون باقات الزهور فى أيديهم، بينما يقوم الكاهن فى قدس الأقداس، دون رؤية الجمع له، بتجهيز خبز الرب وتمثيل دمه. ولكن انظر إلى أى مدى أثرت هذه المادة الوفيرة لورع وثنى على النفس البشرية، مقابل ذلك الفراغ الذى لا يدفئ قلبك فى المعبد الإنجيلى الرئيس؟ هنا يتغنى الناس بالأناشيد دون أن تشارك الجالية فى ذكر أساليب وتعبيرات الورع والتقوى القديمة، كما أن خطبة القداس تدور حول ما ينفع منطقة سكسونيا، شعبا وبلدا، ولكن هل تسمع ذكرا للرب والمسيح؟ إنه معبد بلا

رب، ولا إنجيل، ولا ضجيج، ولا ارتياح، أقيمت قواعده فقط على عادات وتقاليد، يكاد يخلو من كل ما تحتاجه دواخل النفس البشرية، ولا يزال له وجود وبقاء أعمق من أثر ما نطلق عليه المعبد اليهودى "الحديث"، الذى هوى بنفسه فى الإلحاد والأكاذيب، وتحولت مشاركة الحق والصدق غير جديرة بالاحترام والتوقير كلية. ويبدو أن الحق يجانب الكلمة الشعبية الفرنسية عرفت الكنيسة بأنها:

دار بلا موقد ولا مدخنة

لا يسد رمق ثلاثة تنابلة على مدار سنة

ولكن على أقل تقدير يتبرع الآباء فيها بالقرابين المقدسة، ويخبزون الخبز ويصنعون الدم "للرب". ولكن أحبار اليهود الجهلاء يقيمون قداسهم فقط من أجل دق ناقوس جمع الأموال والدوران به حول الحاضرين - ولأنفسهم فقط. أى وقار وإجلال فى هذا العجب! بل من يمكن أن يوقرهم ويحترمهم سوى هؤلاء الذين يتاجرون بجمع الأموال والأفاقين الكاذبين! /

[١٦٤] **١٤ أغسطس**

، رحلة إلى ممر توموزر ***Tömöser*** وبريديل ***Predeal*** بصحبة كارمان ***Kármán***.

توفيسجيهاز *Tövisegyház*

فى يوم ١٧ أغسطس غادرنا مدينة كرونشتادت ***Kronstadt***. وقد بينت المظاهر المصاحبة لتوديعنا كم من الأصدقاء الأوفياء اكتسبناهم فى الفترة القصيرة لإقامتنا بهذا المكان والتى استغرقت خمسة أسابيع. فى عشية رحلة العودة أقيمت لنا احتفالية سادتها المحبة والصداقة فيما بيننا ومجتمع الأساتذة

الجامعيين هناك الذين اصطحبوا سيداتهم معهم لحضور الحفل. وقد شرُفنا أيضًا بوجود عدد غير قليل من هؤلاء الأشخاص أنفسهم حين تجهزنا فى مساء يوم ١٧ للسفر نحو أراد ***Arad***. لقد كان وقع فراقى لكارمان مؤلم على نفسى، حيث تعامل معى فى غاية السمو والرقى والأصالة على مدار خمسة أسابيع فى هذه الإجازة.

مكثت - وفقا للبرنامج- ببوسطا توفيسجيهار ***Puszta Tövisegyház*** حتى يوم ٢٨ أغسطس، وكانت هذه المدة الزمنية مدعاة لإحياء قراءاتى للكلاسيكيات، فضلا عن مواصلة درسى الذى ألقيه على أبنائى، بغرض المؤانسة والقضاء على شعورى بالوحدة فى هذا المكان، فانتعشت روحى بقراءة "أوفيد ***Ovid***"، وعدت ثانية لتناول "الإنيادة". إننى لم أتردد منذ عام ١٨٦٩ أن أنتهز أية فرصة متاحة أمامى من وقت لآخر لأستمتع بأعمال فرجيل الأدبية. قمت بتصحيح المقالة البحثية عن "سكينة ***Sakîna***" والمحاضرة الخاصة "بالزنديق ***Zindîk***". التصريح بالطبع.

٢٤ أغسطس

حين سنحت لى الفرصة قبل سبعة أسابيع فى شتولفايسنبورج ***Stuhlweissenburg*** أن أعود بعد غياب دام عقودًا ثلاثة للسير فى طريق سوستو ***Sóstó*** هو المنتزه الذى يذكرنى بسنوات طفولتى، لاح بخاطرى الطريقة التعليمية الحكيمة التالى ذكرها والتى كان أستاذى العجوز فرويدنبيرج ***Freudenberg*** يتبعها معى فى هذا المكان. فى طريق المنتزه هذا كان يقوم، وعلى مدار سنوات ثلاث، بالتطبيق العملى معى على ما تلقيته نظريا. كنا حال مغادرتنا لمكان الدرس نقوم باختيار موضع ما من الكتاب

المقدس يكون بمثابة نقطة الانطلاق، ومحور، وغاية حديثنا أثناء سيرنا بالمنتزه؛ كان موضوع حديثنا ونقاشنا الذى كان يستمر لمدة ساعة لا يخرج عن تأمل وجهة النظر المتمثلة فى هذه الجزئية التى اخترناها من الكتاب المقدس، بحيث نتوغل فى تأملاتنا لها من المنظور الرباني بالكتاب. ومن هنا تعلمت كل ما يتعلق بأفعال ودوافع البشر، وبأنفسنا ذاتها، بل وأيضًا بالظواهر التى تمثلت أمامى على جميع الطرق والمسالك فى الحياة، بحيث أتأملها وأصدر حكمى عليها من المنظور الرباني بالكتاب. وقد صاحبنى هذا الأسلوب فى التفكير حتى يومنا هذا، ولا عجب من أن يصب اليهود غضبهم على واحد يتأملهم من منظور سفر أشعياء وسفر أرمياء.

ولكن ما الذى استدعى لفكرى الآن، وفى هذا اليوم على وجه التحديد، تذكرى لهذه الطريقة التعليمية الخاصة بأستاذى العجوز فرويدنبيرج ؟

لقد استيقظت اليوم على الآية الأخيرة من المزمور ١٤٢:

הוציאה ממסגר נפשי-- להודות את-שמך: בי, יכתירו צדיקים-- כי תגמול עליי

"الصديقون يكتنفوننى لأنك تُحسنُ إلىّ"

ولم تفارق سمعى هذه الآية حتى ساعة متأخرة من الليل، رغم أنى لم أفطن إلى السبب وراء تذكرى لها عند استيقاظى،/ وترديدى لهذه الكلمات التى هى وفقا لدلالتها ليست خارقة على الإطلاق. لعلى أشعر بالسعادة حين أنظر لهذا الحدث التوراتى على أنه بشارة. هل لى أن أتنبأ من ذلك أن الرب قد أمر بأن تتحرر نفسى من سجنها، وأن يتحلى الصديقون بذكر اسمى، وأننى سأنال ثوابى على ما تحملته طوال سنوات كثيرة من المهانة والذل

١٦٥

والعبودية؟ إننى عاقد العزم بهذه الكلمة الشافية على أن أخلد اليوم إلى الراحة والسكينة، وأتمسك بالأمل، ولا أملك سوى الأمل، وألا أدع سبيلا فى نفسى للقنوط.

٢٦ أغسطس. بودابست

"دعك من الخوف... إن شهرتك تكمن فى شىء هو بمثابة طوق النجاة لك"

الإنياذة [Aeneid: I. ٤٦٣]

١١ سبتمبر

يقترب العام اليهودى القديم من نهايته. وحين ألقى نظرة على هذا العام ذاته - قبل أن يفارقنا- يتوجب علىّ أن أشكر العناية الإلهية على أنها حفظتنى من كل سوء يستحق الذكر، كما أنها هيأت لى من آن لآخر ساعة خير. وكنت فى الوقت ذاته على قناعة من أن مع العُسر يسرا، وأنه كان من الممكن أن أجد عند الشدة حلا للقيود التى تحيط بحياتى، ولكننى لم أفعل ذلك؛ من هنا فإن العقوبة التى أحكم بها على نفسى أن أبقى على هذه المكانة حتى آخر العمر، مقيدا بواجبات أعلى فى مقامها من الراحة التى سأنعم بها على كرسى الأستاذية الأكاديمى بألمانيا. إن جامعتى هاللى **Halle** وبريزلاو **Breslau** قامتا بتكريمى على خير وجه دون أى تعاون من جانبى. لم أعرب قط عن رغبتى فى ذلك، بل لم يكن لى أى تأثير على مجموعة من الناس للقيام بمبادرة من أجلى. لقد كتب البعض من مدينة هاللى **Halle** إلى الوزير ببرلين أنهم لن يقوموا بترشيح أى شخص آخر سواى لشغل منصب الأستاذية الشاغر بعد وفاة أوجست موللر **Aug. Müller**، لو أحالت مؤسسات الجامعة دون ترشح أستاذ يهودى لشغل هذا المنصب الخاص بالأستاذية. وأما

المنصب فى بريزلاو *Breslau* فكان من السهل علىّ أن أشغله؛ لقد طُرح اسمى مع كل من فرنكل[1] وج. هوفمان[2]، ولكننى سعيت بنفسى على ألا يتم تفضيل اسمى أولا عن غيرى؛ إن الأمر كان سيصبح مثل ظلم سدوم *Sodom*، لو أن هناك إنسانا آخر يستحق هذا المنصب عن الذى جىء به.

هناك تكريمات وأوسمة أخرى تتذكرها الصفحات السابقة. ليس هناك يوم آخر أجمل من اليوم الذى قضيته فى شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg*، الموافق الأول من يوليو. ندعو الرب أن يبلغنا العام الجديد ببركة منه!

٢٨ نوفمبر

قرأت مساء أمس بالأكاديمية على سمع جمهور غفير، غاية فى الامتياز، جزءا من دراستى التى كتبتها بعنوان "إرنست رينان مستشرقا"، وذلك عوضا عن خطاب تذكارى بشأن العضوية الخارجية للأكاديمية. وقد حصدت – كما ذكرت الصحف – "تأييدا عاصفا"./

[١٦٦] والدراسة تدخل فى واقع الأمر تحت بند أفضل أعمالى فى المجال العام، وقد حظيت لحظة كتابتها وإخراجها بحب جم واهتمام من الأعماق.

الأول من ديسمبر

منذ أيام عدة كانت خطوبة أرملة نسيبى رحمه الله، وتم أيضًا الاتفاق على أن يكون الزفاف فى أقرب وقت ممكن. قبل عشر سنوات رقدت أختى المسكينة على فراش الموت. وبدأت المأساة، والآن، وبعد مضى عقد من

---

(١) *S. Fraenkel* (١٨٥٥– ١٩٠٩) أستاذ فى جامعة بريزلاو، مستشرق.

(٢) *G. Hoffmann* (١٨٤٥– ١٩٣٣) أستاذ فى جامعة كيل *Kiel*.

الزمان، تأتى أحداث الفصل الأخير. فيتعين على الآن أن أقوم على تحقيق مهمتين تجاه أولاد المرحومة الغالية. إن خيالات والدىّ رحمهما الله ترافقنى على الدوام فى كل مكان، وأسمع همسهما لى فى أذنىّ، وهما يبلغانى فى كل لحظة من لحظات الحياة ما يجب على أن أقوم به.

١١ ديسمبر

توجد ضمن خطاباتى رسالة وصلت إليها فى وقت سابق من الأستاذ أوستهوف[١] أخبرنى فيها بأن جامعة هايدلبرج - من حيث المبدأ- ترغب فى طرح اسمى أستاذا بها، وتستعلم عن الشروط التى يمكن أن أقبل بها منصب الأستاذية. وستأتى إجابتى على ذلك بما يتوافق والكلمات التى دونتها هنا بشكل مباشر عن وعى ودراية شبه كاملة، وبلا أدنى شك.

على الرغم من أن شخصيتى يغيب عنها كل ألوان الفكاهة والدعابة والمرح التى تنعكس على مواقف وأحوال ترتبط بشكل غير مباشر بمصائب وأحزان فردية، فإنه من الضرورى -ارتباطا بموضوع هذا المنصب بهايدلبرج- أن تُخلد الحقيقة التالية عن وضعى ومكانتى بين بنى عقيدتى. يجرى الآن هنا تأسيس لجمعية أدب يهودى بالمجر؛ ومن المفهوم أن تكون هناك رغبة فى إشراكى فى الرئاسة. وحين تم إبلاغى بهذه الرغبة، جاءنى فى الوقت ذاته خبر بأن شخصية غير معلومة - وهى تمثل بوق تلك الدائرة التى تهتم بتشويه سمعتى وسمعة أصدقائى منذ عشرين عاما، وهى تحمل. روح العصابة التى لا خلاق لها- سيتم اختيارها فى هذه الجمعية لتعيينها فى

---

(١) *H. Osthoff* (١٨٤٧- ١٩٠٩) أستاذ علم اللغة المقارن بجامعة هايدلبرج.

منصب الأمين العام[1]. وبعد أن وضعت الشرط الطبيعى فى ضرورة صرف النظر عن تلك الشخصية، كشرط أساسى لدخولى فى الحركة، تم إعلانى بما لا يدع مجالا للشك، أنه بكل تأكيد سيتم حتما الاستغناء عني. وبهذا الأسلوب الذى تم فإن الحركة التى ترجع إلى مبادرة من جانبى، قد استُهلت بصفعة على وجهى.

ولكن يبدو أن الأمر فى هايدلبرج مختلف؛ فالناس هناك لديهم تفكير آخر عن شخصى. فهم بطبيعة الحال ليسوا "رجال دولة" مجريين يهودا./

١٦٧ ١٩ ديسمبر

اليوم أقيم حفل زفاف أرملة نسيبى على أحد المحامين اليهود بالمنطقة. إن الداعرة الوقحة الغادرة متلهفة بشكل مخيف على الزواج، بل إنها ذرفت الدموع. لقد كان وجودى حتميا وأن أنصت مع غيرى من الحضور إلى الكيفية التى ينتهك بها حُرمة اسم الرب عن طريق هذا الرباط الفاسق، كما أن الحديث تطرق إلى مباركة الرب. فماذا ينقص إذن فى كل ما يحدث فى بيت من بيوت الرب مثل هــذا! وقد قام الزوجان برحلة زفاف إلى إيطاليا. ألا يزدهر شجر الليمون هناك!

٣١ ديسمبر. ليلا

يمكن لأى قارئ لهذه الصفحات مستقبلا أن يستحضر الجو النفسى الذى أكتب فيه تلك الصفحة الخاصة بليلة رأس السنة، إذا ما أمسك بيده لفافة

---

(١) *J. Bánóczi*.

المراسلات الخاصة بى، والتى تحمل عنوان "هايدلبرج". فالحقائق تحل محل الصور الفوتوغرافية الغائبة للإجابات التى قمت بكتابتها بنفسى على الرسائل التى جمعتها مع بعضها البعض فى باقة بهذه اللفافة. إننى أمين وثابت على موقفى، ولن أتبدل مطلقا لأكون على نحو آخر، ولن أتوجه إلا حيثما تناديني واجبات، أو حيثما تملي على واجباتى أن أفعله. ثم إن تحقيق هذا الواجب ذاته سيكون "التعويض" الذى سأجده وفقا لتعبير ابن عمى، فيلهلم جولدتسيهر *Wilhelm Goldzieher* بكل تأكيد فى لقب الأستاذ. إننى لا أبحث عن تعويض آخر ولا أرغب فى وجوده. كما أن أملى هو أن أولادى – الذين لم يتعلموا مني مفهوما آخر لما أقوله – سينظرون إلى الواجب والالتزام على أنه روح حياتهم، الالتزام وليس نعيم الحياة الدنيا. ولعل كل البشر الذين يفضلون رغد الحياة الدنيا عن تحقيق ما يتوجب فعله من واجب والتزام، ولا يمكنهم حل إشكالية تصادم الجانب الأخلاقى بالمصلحة البهيمية سوى أنهم ينحون الأول جانبا على اعتباره تضليلا رذيلا، يمكن أن ينالوا أجرهم على نيتهم السيئة فى الدنيـــا قبل الآخرة؛ وأدعو الرب ألا يهدئ بالهم ولا ينعمون براحة فى ليل أو نهار، وألا تتذوق نفوسهم سوى طعم العذاب، وأن يبتلوا فى أنفسهم وأجسادهم، ليكونوا عبرة لغيرهم ممن لم يختبروا الحياة، ولم يتعلموا منها كيف يخرج المرء منتصرا من مثل هذه المعارك والصراعات المهينة.

مع نهاية العام تمكنت من إرسال مقالة يهودية أخرى[1] إلى مجلة الدراسات اليهودية *Revue des études juives*، استكمالا للدراسات التى نشرتها فى عام ١٨٨١ بمجلة جريتس الشهرية *Grätz*. هناك ما يحثنى، ويدفع

(١) هيللر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٧٥.

تفكيرى من وقت لآخر إلى أن أقيم دراساتى على منطلقات وأسس يهودية. فالأدب اليهودى أحد الروافد الداعمة والناهضة لنفسى، بشرط أن تكون العناية به نقية وشريفة بقدر ما هى موثقة. فلم يحدث أن ثمة ممثلين لأدب مثالى ومهتمين به على درجة من الدنس كما نرى ذلك فى عصرنا على يد الباحثين المحدثين للأدب اليهودى. فأولاد الحوارى وصنّاع الدعاية والمتفاخرون بأموالهم والأفاقون/ هم الممثلون لأبحاث الأدب التى تشكل ١٦٨ بموضوعية فى وثائقها حقيقة الاستشهاد ومحبة الرب وازدراء الدنيا ومحبة الحقيقة بأسلوب يرفع دائما وأبدا من قيمة التقليد. وبطريقة تحث على الارتجال. يا له من مصير! ومن حسن الحظ حقا أنكم على- أقل تقدير- تزدرون الكتاب المقدس وتنحون الأنبياء جانبا! فمناط التقديس سيدنس إذا ما خرج من أفواهكم، وسيلوث حين تدخل تلك الحقائق فى عقولكم المدنسة. فعندى أن سقط متاع الهوامش هو الذى تخلف عن العصر الوسيط، ذلك العصر الذى تحتم فيه على مثالية أجدادنا وأسلافنا الأشراف أن تعمل فى حدود حوارى اليهود الضيقة، وتضفى على نفسها زخرفة خالية من الذوق. ولقد ورثتم الابتذال وفقدان التذوق، وصارت المثالية محل كراهية عندكم؛ بل إن سطحية عقولكم لا تبلغها الزخرفة ذاتها. ومن حسن حظ أدبنا فى العصور الوسطى أنكم غاية فى الجهل والكسل، وغاية فى الأنانية والنهم للأموال، بحيث تضنون بجهدكم على أشياء ترفعكم فى الصحف - ولو مرة واحدة- لمكانة أصحاب قامات رفيعة. فأنتم علماء يهود لا تبتغون سوى التودد إلى التبشيريين الإنجيليين ليكتبوا عنكم ما يثلج صدوركم من مقالات نقدية تتفاخرون بها. إن غايتكم أن يكتب "ستراك *Strack* [1]" كلمة طيبة واحدة

(١) *H. L. Strack* (١٨٤٨- ١٩٢٢) من علماء اللاهوت البروتستانت ومستشرق بجامعة برلين.

عنكم، وتمنحون" فى المقابل "ستراك" - وغيره ممن يطلقون دائما على أنفسهم اسم شعب رسالة التبشير- ألف كلمة طيبة. إننى أشعر بالاشمئزاز والنفور من مجتمعكم، حتى إننى أفضل مؤانسة أتباع (محمد) عنكم؛ وتلك تضحية كبرى من جانبى لا يدفع ثمنها أى فرد، عن أن أحيا معكم ولكم.

١٨٩٤

١٤ يناير

من بواعث السرور أن أستهل يومياتى فى هذا العام بإهداء لمن يستحق الاعتراف بفضله على. قام بزيارتى ظهر هذا اليوم فى مقر سكنى الصغير بشارع هولو اوتشا *rue de Holló-utcza* عميد كلية الآداب الجامعة الإقليمية، زولتان بيوتى*Zoltán Beöthy* [(١)]، والتمس موافقتى فى اتخاذ خطوات طرح اسمى للعمل أستاذا عاملاً بالتكليف. وقد رأى أن هذه الخطوة تُعد بمثابة تصحيح لمسار خاطئ سابق تجاهى، وأنه عن طريق منحى درجة أستاذ معين بالجامعة يمكن لزملائى أن يعبروا عن استحقاقى لأعلى درجة تكريم أكاديمية.

من يقرأ ذلك من السهل عليه أن يعرف أن هذا اللقب وغيره من الألقاب لا تلعب دورا مؤثرا فى حياتى، وأن تقديرى لتلك المجاملة التكريمية من قبل أحد كتابنا وعلمائنا الأوائل، ودون اعتبار لأى شك فى تحقيق نجاح لمشروعه المستقبلى، إنما هو مجرد ارتياح شخصى. لم أتفوه بكلمة، ولم يتحرك لى ساكن ينم عن تحد واستفزاز؛ فكل ما حصلت عليه فى حياتى من تكريم، إنما جاءنى من تلقاء ذاته،/ ودون سعي منى إليه؛ لم أشرع ذات مرة [١٦٩]

(١) *Zs. Beöthy* (١٨٤٨- ١٩٢٢) مؤرخ أدبى ومتخصص فى علم الجمال، أستاذ ببودابست.

فى التأثير على شيء والمطالبة بأحقيتى له؛ إلا أن هناك أصدقاء يتمنون إعاقتى فى السير فى طريقى، وقد مللت من التفكير فى أى تأثير قادم من جانبهم. ومن ذلك ما تلوكه الألسن فى الوقت الراهن ومن آن لآخر فى دوائرنا اليهودية بشأن إبعادى عن "جمعية الأدب اليهودى بالمجر". ويبذل كل من كوهن ***Kohn*** وكارمان ***Kármán*** قصارى جهدهما فى استعادتى إليهما بالجمعية. فالعصابة الرسمية قد "قذفت بى" خارجها كمن يلقى شيئا فى صندوق قمامة. ألست ملتزما بأن أظهر شعورا بالكرامة بدرجـــة كبيـــرة، ولا أدخل فى جمعية أُخرجت منها بشكل مهين دون أدنى اعتبار؟ لعله يطمع أن يكون رئيسا للجنة الأدبية! هكذا يقولون. فهل ينبغى على أن أطفئ شموع الموقر بآخر ***Bacher*** وكل مصابيح الكنائس الكبرى الذين يتطلعون بصفتهم كبار كهنة العصابة إلى أموال الجمعية الجديدة بشغف ونهم؟ وأخيرا وليس آخرا، إن الفرحة واضحة على هؤلاء القوم من أننى صرت خارج الموقع ولا أزعج دوائرهم. فلا يجد أحد موقعا لى حيث تصادر فيه الحقيقة، وحيث تصبح فيه محل بُغض وكراهية.

٢٤ يناير

على إثر خطاب تلقيته يوم ٢٣ من الشهر من فامبيرى ***Vámbéry*** (وستجدونه فى حزمة الخطابات المعنية ذاتها) قمت مساء اليوم بزيارة للدرويش الكبير فى منزله. فبعد مرور اثنى عشر عاما عدت لأستمع لمدة ساعة إلى حديث هذا "الفاعل للخيرات"– وهو يتحدث عن عظمته، وعن ماله الذى اكتسبه، وعن شهرته الزائفة. أى سعادة شعرت بها، حين ابتعدت طيلة هذه الأعوام الاثنى عشر عن هذا الأفاق! لقد شعرت بإحساس أن المسألة التى يدور حولها فحوى خطابه لى، هى الآن فى أفضل الأيادى لكى يتم

وأدها فى مهدها. ولكن هل من الممكن أن تحركنى الكرامة أو المهانة فعلا من هذه الناحية؟ إن من حُسن حظى فى الحياة أن لدي القدرة على أن أتطلع إلى الماضى بوعى ذاتي وثقة بالنفس إجلالاً وتعظيما لصفة أسمى فى المقام؛ فما يمكن أن يُعرض عليَّ فى هذا اللقاء يبلغ عندى فى حقيقة الأمر إلى حد التقزم، حين أعود بذاكرتى وألقى نظرة عامة على كل شيء كان لى نصيب فيه بفضل من الرب ورحمة منه.

٣٠ يناير

اليوم قام فامبيرى *Vámbéry* بزيارتى، ردا على زيارتى له. إن لديه رغبة جامحة تسيطر عليه فى أن تتضافر علاقاته تجاهى وتتوثق. إنه يشعر وهو فى العام ٦٢ من عمره (رغم ما لديه من صداقات مع كل من هم معروفون من ملوك وملكات وأمراء فى العالم، حتى مع الباب العالى نفسه بإسطمبول) أنه على حافة الوحدة، وأعتقد أنه وجد فى شخصى التلميذ الذى يفخر به ويواسيه.

حين يتحدث هذا الشخص، تجد نفسك دائما تتساءل: هل الأمر ينطوى على شعور حقيقى؟ لم يشعر أحد تجاهى بأننى متبلد الإحساس أو أننى بلا قلب إنسان تجاه من يبحث عن صداقة معى. فمن يزرع الحب، يجن الحب. ولكن هل هناك إنسان ذاق مرارة الخديعة كما تذوقتها؟/

٢ فبراير

أقرأ منذ يومين كتاب هورتر *Hurter*: ميلاد وبعث مع انسجام نفسى [١٧٠] ومشاركة وجدانية[1]. إننى أتفهم جيدا مقصد الرجل.

---

(1) Geburt undwiedergeburt miitinnerer Sympathie und Theilnahme.

أرسلت صباح اليوم مبكرا الكلمات التالية إلى من يدعى السيد بوسينج *Büsing* بهامبورج من أجل مجموعة أقوال مأثورة لمعاصرين مبدعين:

الشيء الأكثر جمالا تجده فيما هو أكثر عدلا.

لقد كتب ثيوجنيس *Theognis* الكلمات؛ وإننى أتوافق معها وأتبناها بأريحية كاملة.

٤ فبراير

حين تقود أحـــدا سريـــرته الدينية لأن يترك عقيدة عاجزة، فهو بذلك لا يدخل إلى عقيدة أخرى، بل لعله يكون هكذا قد عاد إلى حظيرة الإيمان بالرب. ليس هناك ملجأ آخر للخروج من الكذب سوى الحقيقة، وهى الإيمان بالرب.

ليس للـــرب معابـــد فى هذا العالم؛ ولا تُشعل المباخر إلا للشيطان، ولا تُعزف موسيقى الأرغن إلا إجلالا للشيطان؛ كما أن سدنته يعتلون المنابر من أجل التجديف على الرب واسمه، ولا ينأى عنهم سوى خادم الرب وعبده.

٦ فبراير

لا تزال محاولات الجالية فى أن تروضنى أو تخضعنى لأوامرها تبوء بالفشل. عادت فى الأيام الأخيرة هوجة محاربتى من جميع النواحى؛ ولكننى لم أتزعزع وظللت باقيا على رباطة جأشى. لماذا أترك أولادى يرددون دائما القول العظيم: طوبى للرجل الذى فى مشورة الأشرار لم يسلك، وفى طريق

الخُطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس؟[١] إنه من الأحرى - لى شخصيا - أن أحافظ قبل غيرى على هذا القول وأكون سباقا لهم فى الاقتداء بذلك.

٧ فبراير

عكفت طوال فترة بعد ظهر اليوم على كتابة دراسة واسعة[٢] عن الصياغة المحمدية القائلة: "لا ملجأ لى منك إلا إليك". ولكن أرأيت كيف تخرج الكلمات ذاتها من أعماق نفسي!

٢٣ فبراير

دفعتنى حالة الكراهية التى أشعر بها - وعندى من المبررات ما تسمح لى بأن أقول، حالة القرف والاشمئزاز من كل شيء يحيط بي - لأن أغادر المدينة فى يوم ١٦ من هذا الشهر إلى فيينا، وأن أقضى بها ستة أيام. إننى أشعر باللذة لرؤيتى كثيرًا من المعالم السياحية التى تنفتح على ناظريها، منذ تأملى إليها بأريحية فى زيارتى الأخيرة لفيينا. وكان متحف تاريخ الفن أكثر ما استحوذ على اهتمامي بين هذه المعالم. ويتضافر مع ذلك أيضًا التعامل مع العلماء هناك، لا سيما مع كيرنباك***Kernback***[٣] الذى يحق له أن يشعر بالسرور عند افتتاحه لمعرض برديات/ راينر ***Reiner*** والكتالوج الفخم الخاص بها. لقد سبق أن توافرت لدى القدرة على الاستمتاع بأسلوب ومفردات البولندى المقزز بولاك ***Polak***. ‏١٧١

---

(١) المزمور الأول / ١.

(٢) ب. هيللر ***B. Heller***: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٧٦.

(٣) ***G. Kernback*** (١٨٥٩- ١٩٠٩) أستاذ فيلولوجيا اللغات القديمة بفيينا.

٥ مارس

وصلنى منذ قليل خبر يفيد بأن فامبيرى ***Vámbéry*** وهاتالا ***Hatala*** قدما فى يوم ٢ من هذا الشهر الطلب إلى الكلية، وهو ما قمت بالتحدث عنه فى استهلالي بمدونة يومياتى هذا العام.

كتبت أمس مقالا عن برديات راينر ***Reiner*** لنشرها فى عدد إبريل بمجلة شملة البودابستية ***Budapesti Szemle***(١).

١١ مارس

حل علينا اليوم ضيفا الدكتور جاكوب ***Dr.Jacob***(٢) قادما من جرايفسفالد ***Greifswald*** فى طريق رحلته إلى القسطنطينية.

١٣ مارس

قاموا بتشكيل اللجنة الأدبية لما يطلق عليها الجمعية الأدبية اليهودية. لم أكن لأسجل هذه الواقعة، لولا أن ورد إليَّ مقالٌ بشأن الصفات المميزة لهؤلاء السادة التلموديين.

علمت أن صديقى فى الشباب، بانشلوفاك ***Panschlowak*** هو الرئيس، وعين إلى جانبه إيمانويل لوف ***Immanuel Löw*** نائبا للرئيس، وهو الذى كان قد شن عليه قبل ست سنوات حملة يندى لها الجبين، متهمًا إياه بالانتحال، والآن يجلس معه فى مجلس رئاسة مشروع أدبى يهودى. ونستنتج من ذلك

---

(١) ب. هيللر ***B. Heller***: انظر المصدر سابق الذكر، رقم.١٦٨

(٢) ***G. Jacob*** (١٨٦٢- ١٩٣٧) مستشرق وعالم فى الدراسات الجرمانية وباحث فى علم دراسة الشعوب البدائية، وهو أستاذ بجامعتى أرلانجن وكيل.

بأن صديق الشباب، إما أنه كان وغدا حقيرا قبل ستة أعوام، أو أنه هو كذلك الآن. وأعتقد أنه كان كذلك سواء فى السابق أو فيما هو عليه الآن.

١٨ إبريل

يخطو بحثى الذى أكتبه عن الأصول التاريخية للأدب العربى نحو الأمام، نابضا بالحيوية. ومما يدخل السرور على قلبى أن هناك عددا غير قليل من أشياء تمثل لبنات صغيرة متناثرة هنا وهناك دون أن يلتفت إليها أحد حتى الآن، ولكنها ستكون بمثابة نواة لها قيمتها لتحقيق غرض أكثر اتساعا، وستضع الشيء العام الذى لم يلتفت إليه أحد حتى الآن، على قاعدة أفضل مما هو عليه، وذلك بتثمين دوره الخاص.

أيضًا مما لفت نظرى فى هذا الصدد بوضوح، ما ذكره أفلاطون (القوانين، *X 902 E*) بحكمة بالغة فى قوله:

"لأن الأحجار الكبيرة لن تتخذ موضعا صحيحا لها دون الأحجار الصغيرة، كما يزعم ذلك بناءو الجدران".

٢٨ إبريل

جاءنى استيضاح من كامبريدج (عن طريق براون ***E.G. Browne***) بشأن مدى استعدادى لقبول منصب أستاذ كرسى بكامبريدج عقب وفاة روبرتسون سميث ***Robertson Smith***، وسيدفعون لي ٧٠٠ جنيه أسترلينى.

لقد انفتحت أبواب الخلاص على مصاريعها فى كل مكان، لا يوجد سببٌ فى العالم يحتم على لأن أظل عبدا، ولكن يجب أن أبقى كذلك.

فى الفترة الأخيرة قمت بكتابة ثلاث مقالات صغيرة: الأولى لمجلة "مجمع المستشرقين الألمان *ZDMG*"، وهى "عن العناصر العبرية فى صياغات السحر عند المحمديين[١]"، والثانية لمجلة "جلوبوس *Globus*"، وهى "عن الحرف اليدوية عند العرب[٢]"، والثالثة لمجلة "ريفي – تاريخ الأديان *Revue de l'Histoire des Religions*"، وهى مناقشة مطولة لكتاب باسيه *Basset* عن "حرب علي مع التنين[٣]".

١٥ مايو

كل أشكال الكائنات الزاحفة والطائرة بالكون فى حالة سخط وامتعاض شديد تجاهى على إثر سقوط باخر *Bacher* الكبير فى الأكاديمية، وأنه لم يتمكن من الدخول فى بهو الخالدين، رغم كل ألوان التطفل والاقتحامات البغيضة من أحد الأصدقاء الذى قامت العصابة باستبعاده وطرده. وهناك من طلب مني أن أضمه إليّ وأن أفسح له طريقا للتعاون معي، وهو الصديق الوفى، والقريب – لباخر، الذى لا يمت للشرف بشيء (وهذا للأسف أقل ما يجب أن أقوله عن هذا الرجل).

٢٠ مايو

ذكرت من قبل فى موضع ما فى هذه اليوميات من أننى أعتبر المدعو باخر غير قادر على القيام بفعل غير أخلاقى أو مخل بالشرف؛ وإننى أتراجع

---

(١) ب. هيللر *B. Heller*: انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٧٧.

(٢) نفس المرجع السابق رقم ١٧١.

(٣) نفس المرجع السابق رقم ٤٠٨.

الآن عن هذا الحكم المسبق بشكل رسمى. فهذا الرجل قادر على ارتكاب بعض الأفعال القذرة – متى كانت هناك مصلحة له فى ارتكابها.

٢١ مايو

منذ عدة أسابيع هناك مراسلات نشطة مع الأستاذ مارتن هارتمان *Martin Hartmann* ببرلين بشأن بدايات الشعر العربي. وفى خضم هذه الرسائل شرعت فى العمل على الارتقاء بنظرية خاصة بتطور العروض والشعر المقفى عن السجع النثرى.

٢٨ مايو

تتوالى الرسائل من كامبريدج. أى تعاسة تلك التى تجعلنى أضطر– لأتفه الأسباب– إلى رفض كل الطرق والمسالك التى تنفتح أمامى على طريق تحررى. اللهم لا راد لقضائك، وأسألك اللطف فيه. آمين.

انتهيت اليوم مبدئيا من أبحاثى التى أكتبها لفصل الشتاء عن الشعر العربى قبل الإسلام. وسيعقب ذلك مرحلة التحرير والنشر البشعة أثناء فترة الإجازات، وربما تكون فى قصر هالبيرج *Hallberg* الواقع على بحيرة شتارنبيرج *Starnberger See*، أو حيثما يدعونى بجدية الكونت لاندبيرج *Landberg*. /

الأول من يونيو

١٧٣

اليوم تم التصويت بكلية الآداب على اقتراح تعيينى، وبلغت الأصوات المؤيدة ٢١ صوتا فى مقابل ٧ أصوات. مقابل ٧ أصوات! لقد كان السادة

لصوص الأدب ضد الاقتراح! ولكن فى الوقت ذاته هناك بُعد للوزارة الليبرالية! إنه تزامن غاية فى الدلالة.

٤ يونيو

سأتناول اليوم بالمنزل بعض أعداد لإصدارات حديثة حتى يتسنى لي قراءة بعض المقالات المهمة ذات الصلة بالشرق. لم أتحفز بدرجة كبيرة لأى منها سوى المقال الوارد بعدد إبريل لعام ١٨٩٤ بصفحة ٥٧٦ وما يليها، الذى يحمل عنوان: "المنشور البابوى للكتاب المقدس ***The papal encyclica on the Bible***"، فهو نداء جاد إلى ضمير الإنسانية للانتهاء من فهم الكتاب المقدس بروح إدراك الحقيقة. لقد قمت بكتابة ما يشبه هذا الكلام لليهود فى عام ١٨٨٤، وقمت بطباعته[١]. وفى ذلك تجد المقال الجميل يحتوى على خلاصة وافية لنقد الكتاب المقدس. والعنوان جذاب، ويمكن تطبيقه بشكل جيد على حالات كثيرة تظهر على السطح فى محيطى كل لحظة:

١٥ يونيو

بانتهائى من كتابة بحثى عن الشعر العربى قبل الإسلام، فإننى الآن جاهز بأوراقى فى هذا الصدد على أكمل وجه. فكل شىء تقوم بنيته على أساس سليم، وعلى أكثر تقدير فإنه من الممكن أن يدور الحوار حول بعض أعمال التحرير فى فترة ما قبل الظهيرة بتوتسنج ***Tutzing***، حيث وجُهت لي الدعوة بقضاء عدة أسابيع صيفية لدى الكونت لاندبيرج ***Landberg***.

---

(١) نفس المرجع السابق رقم ١٠٢.

٢٢ يونيو

عيد ميلادى. وقد قام ابنى ماكس *Max* بتأليف قصيدة صغيرة قدمها لي فى هذه المناسبة.

٢٧ يونيو

تحتم إنزال العقاب كليةً. كان عليَّ أن أحاسب ابن عمى المتخصص فى طب العيون حسابا يسيرا ولينا بشأن العلاقة تجاه صهره الذى لا يعد بالنسبة لي أكثر من صهر ملفق ومحسوب على، حيث إنه كان فى شبابه غارقًا فى بحر من القاذورات، على أنى كتبت فى اليوم ذاته مقالا نقديا لمجلة جلوبوس *Globus*(١).

٥ يوليو

كنت قد قرأت فى "صحيفة المساء *Abendblatt*" الصادرة بالأمس أن مجلس الجامعة بكامل أصواته قام بطرح اسمى لتولى منصب أستاذ جامعى بكامل المرتب- لقبا وصفةً؛ وتوالت البرقيات من جميع الأنحاء عقب نشر الخبر. ولكن لم يقبل بعض اليهود/ الذين كانوا غير راضين عن ذلك، وكانوا [١٧٤] فى حالة ثورة وسُخط من جراء عبارة "لقبا وصفةً". فماذا يمكن أن تكون عليه الفائدة من كلمة "صفة" دون "أجر مدفوع"؟ فبهذا يصبح الإنسان دون كرامة.

١١ يوليو

لا شيء يعلو فوق التواضع! فرض الواجب على اليوم - رغم سخونة الجو الشديدة- أن أرافق الحاخام كوون *Kohn* فى زيارة وزير الداخلية

---

(١) نفس المرجع السابق رقم ٤٠٧.

هيرونيمى *Hieronymi*[١] وأن أقضى ساعة كاملة بغرفة الانتظار أتصبب عرقا فى انتظار مقابلة سعادته – هل يتحتم هذا كى يعود لمضطهد مسكين حقا له؟ أفى ذلك ما يبعث على الضحك.. لا! فمن يهتم فى عصرنا الطاهر الطهور بالمضطهدين؟ أليس كل مضطهد لا يَعدو أن يكون واحدا من الأوغاد – نذل حقير – لا أمل فى إصلاحه! أليس صاحب الحق هو فقط من يقوم باضطهاد الآخرين! من هنا لا شيء يبعث على الضحك! تلخصت مهمتنا فى أن يحصل أحد المحبين للإنسانية، المميز بتواضعه، فقط على – نوط شرف. سألنا الوزير: أليس هو بحق السماء أحد المرابين؟ إنه – بحق جميع الأديان– لم يكن ذات مرة مطلقا مرابيا، بل إنه محسن للبشرية وفاعل للخيرات التى تقوم بها ثمة طائفة دينية. ولكن دون وسام استحقاق! فذلك ما يحصل عليه بالطبع كل قزم حقير من مديرى المدارس. إن أية "نوط شرف" حقيقيا يستحقه فقط من يفعل الخيرات فى تواضع. من جراء هذه الرحلة القصيرة النظيفة، ما زلت أتصبب عرقا حتى هذه الساعة المتأخرة من المساء، لعله أن يتوج إكليله بصالح الأعمال!

١٧ يوليو

قمت أيضًا بكتابة مقالتين باللغة المجرية قبل سفرى: أرسلت إحداهما خاصة إلى إصدارات علوم اللغة: *Nyelvtudományi Közlemények*[٢]، وهى مقالة عن "الدعاية المحمدية فى أمريكا" لمجلة شملة البودابستية *Budapesti Szemle* [٣] حيث ستصدر بها فى عدد أكتوبر. وفى يوم ١٩ ستبدأ رحلة

---

(١) *K. Hieronymi* (١٨٣٦– ١٩١١) وزير داخلية.

(٢) انظر ب. هيللر *B. Heller*، رقم ١٧٤..

(٣) انظر المصدر سابق الذكر، رقم ١٦٩.

سفرى إلى ميونيخ. وفى يوم ١٥ من هذا الشهر ستسافر قرينتى ومعها ابنة شقيقتى إلى ناحية كارلس برون ***Karlsbrunn***، وأما نجلاى فسيجدان سبيلا لمتعتهما على أحد شواطئ بحر البلطيق فى منطقة كولبرج ***Colberg***.

ميونيخ يوم ٢١ يوليو عام ١٨٩٤

فى يوم ١٩ من هذا الشهر، غادرت مدينتى ومسقط رأسى، ولا أدعى حزنى على ذلك. توقفت لبضع ساعات بفيينا، ووصلت إليها فى باكورة صباح أمس. كان فى استقبالى زميلى هوميل ***Hommel*** الذى كان فى غاية السعادة لرؤيتى، وعلى استعداد للتكيف مع كل الظروف التى تعمل على راحتى؛ ومن هذا دعوته لي لتناول بعض الوجبات بمنزله، وتعرفى أيضًا ببعض الشخصيات، مثل: الأستاذ براتشاك ***Pražak*** [(١)] الذى يقوم بالتدريس فى المدارس الثانوية، وينحدر أصله إلى مدينة كولين التشيكية ***Kolin*** وهو بارع فى تخصصه باعتباره أستاذا فى التاريخ القديم (وهو يقيم بمنزل هوميل، ويتلقى على يديه علم الخط المسمارى، وهو مكلف من الأكاديمية التشيكية بكتابة تاريخ العصور القديمة باللغة التشيكية). كما عرفنى بأستاذ آخر من جورجيا- أعتقد أن اسمه/ كوخاموف ***Kochamof***، وهو أستاذ بجامعة موسكو. فى مثل هذه اللقاءات يتعرف المرء بحق مكانة مدينتنا العلمية وهى تشبه عشًا للطيور فى هذا الكون، حيث إنها مدينة النصف مليون من البشر. فمن الذى يخطر بباله أن يسافر إلى بودابست ليحصل على مزيد من العلم والفكر؟ ربما لا نستطيع أن نقدم له سوى الكباريهات وعروض الأوبرا.

١٧٥

(١) *J. Pražak* (١٨٦٠- ١٩٣٨) أستاذ متخصص فى فقه اللغات القديمة، وعالم آثار، وأستاذ ببراغ.

قمت فى باكورة اليوم - وهو يوافق سبت بالاق - لزيارة المعبد اليهودى، واستمعت إلى غناء الفتيات المسيحيات لترانيم القدوس، وبعد ذلك قمت بزيارة المعرض السنوى. إن فننا المعاصر لا يقدم الموتيفات المؤثرة فى النفس أو التى تستحوذ عليها عند رؤيتها. شاهدت لوحات البورتريه مصورة بأحذية صفراء وسجائر؛ وتماثيل نصفية لبسمارك مصورة بقبعة بيضاء، وغير ذلك. فهل - بحق السماء- انقطع عن الفن سبل الاحتراف المهنى، وأن يسمو بالروح، وأن يصنع لها ملابس الاحتفال؟ هل ينبغى على مزامير الأرغن بإحدى الكاتدرائيات ذات الطراز القوطى أن تأمر بعزف ألحانها الشعبية؟ لا وجود لعنصر من العناصر التى تتفاعل معها الروح، قد تم استغلاله لمعرفة مزيد من الفكر ومزيد من التخيل؛ إن الأعمال التاريخية الكبرى وعظمة الدين - من أبطال وقديسين وشهداء، فضلا عن الآلهة، وما فعلوه وما صنعوه، وما تركوا من آثار، وما عانوه منه - كل ذلك لم يعد له وجود كمواد وموضوعات للفن. لا نجد من الموضوعات سوى ما يدور حول يوم العمل، وغرفة الانتظار عند طبيب الأسنان، وما شابه ذلك مما يرهقنا، وتأثيره يستمر للحظة أو لبرهة قصيرة من الزمن نرغب فيها أن نشبع لهفتنا لما يستكمل وجودنا. وأما ما يتصل بالتاريخ أو الدين من عناصر فيبدو لنا فى هذا الفن "الحديث" كأنه محاكاة ساخرة رديئة. فيسوع - كما نراه على أحد الأطباق واقفا - يقوم بتوزيع العشاء على حوارييه القادمين عليه واحدا تلو الآخر، كما لو كان من سدنة الكنيسة.

بعد الظهر حللت ضيفا على الأستاذ كرومباخر ***Krombacher***[١]، أستاذ التاريخ البيزنطى، وقد دعانى بأحد الفنادق الملكية، حيث إنه غير متزوج.

والآن يقترب المساء، وأرغب فى قضائه مع نفسى.

---

(١) *K. Krumbacher* (١٨٦٠- ١٩٣٨) أستاذ التاريخ الرومانى فى ميونيخ.

قصر توتسينج – ١٠ أغسطس

فى يوم ٢٢ يوليو وصلت إلى قصر توتسينج ***Tutzing***. كان الكونت لاندبيرج ***Graf Landberg*** فى انتظارى بعربته ومعه خدمه وهم يرتدون زيا خاصا بهم، عند محطة السكة الحديد، واصطحبنى إلى قصره حيث كامل النعم وكمال الأبهة. وفى القصر خُصصت لي غرفتان بهما كل أسباب الراحة والعناية لأقضى بهما الساعات فى ارتياح، أو أعيش فى خلوة مع نفسي، ولكن لم يمر وقت طويل حتى اكتشفت أن هناك –خلاف هاتين الغرفتين– شقة أخرى خلابة، وهى: المكتبة. وسأتحدث عنها فيما بعد، فور ولوجى فى الجو العام بالقصر ونظامه المتكامل بدرجة متناهية. فى تمام الساعة الخامسة تم إعداد وتناول الشاى بإحدى الشرفات المطلة على منطقة شتارنبيرج ***Starnberg***، وتم تقديمى إلى جمع غفير من نبلاء القصر.

كان هناك، إلى جانب سيدة القصر، سيد يُدعى ف. لفيتزوف وحرمه ***v. Lewetzow***، وهو قائم مقام، وأناس ينحدرون إلى طبقة النبلاء والأرستقراط/ الذين عاشوا أيضًا فترة من حياتهم فى الشرق. ومن الثابت أن الجد الأكبر للسيد لفيتزوف، وهو من أقدم وأعرق العائلات المتأصلة بمنطقة ميكلنبورج ***Mecklenburg*** كان قد سقط أثناء الحروب الصليبية فى الأرض المقدسة. وأما قرينته، وهى أيضًا من إحدى السلالات العريقة لطبقة نبلاء بمنطقة ميكلنبورج، تعتبر من الشخصيات الأصيلة الجذابة التى تفيض بالمشاعر العميقة، وعلى درجة عالية من التعليم، ولها آراء ورؤى فلسفية. [١٧٦]

كما أنها – لا تسعفني ذاكرتي باسمها– لها نشاط أدبي تمارسه تحت اسم مستعار. وقد طبعت مخطوطها الأدبي عن يوميات رحلتها إلى الشرق، وقامت بتوزيعه على أصدقائها. وهي تعمل في الوقت الراهن في ترجمة – بالألمانية– لكتاب خاص بلاندبيرج نُشر باللغة السويدية عام ١٨٨١ تحت عنوان "عبر الصحارى وفي ظلال النخيل". ومن كمال تواضع السيدة النبيلة أن قامت بتسليمي مخطوطها لعمل مراجعة له من منظور اللغة السهلة والأسلوب الألماني. كما أن تعاطفي تجاهها رفع من درجة تفكيري في شقيقتي المسكينة لعدة ساعات في اليوم، حيث إنها تعاني مرض السل بدرجة عالية بلغت حد أنها في بعض أوقات شدة هياج المرض عليها تطلب ممن يعلم بوضعها أن يضعوا على وجنتها الورود الخاصة بزيارة المقابر. أيضًا من بين الضيوف الموجودين في هذا الجمع بالقصر: بارون شاب من منطقة جروناو ***Grünau***، وهو ابن أحد أمراء ليشتنشتاين ***Liechtenstein*** من زواج غير متكافئ؛ كما وجد آخرون من السيدات والسادة ممن قدموا القصر لفترة وجيزة للاستمتاع بحسن الضيافة به؛ فهذا القصر على استعداد دائم لاستقبال ضيوفه ولا تتوقف الحركة به، فلا يمر أسبوع حتى يقصده أصحاب الألقاب الشهيرة والبيوتات العريقة الذين جاءوا للإقامة بالقرب من ضيافة القصر، حيث يترددون عليه أثناء مد السماط. في مثل هذه المناسبات تعرفت على شخصيات كثيرة – وهذا خلاف من هو بارون، ومن هو كونت، ومن هو دوق، ممن يحتشد بهم القصر– منها الرسام الشهير هانز هوبفر وحرمه ***Hans Hopfer***، والأستاذ كيللر ***Prof. Keller*** من مدينة كارلسروهه، وأستاذ الموسيقى تريستل وحرمه ***Trestel*** القادمين من ميونيخ، والمحرر العسكري

تانيرا *Tannera*، وعضو مجلس نواب منطقة فيرتر، والمدير العام السابق لمسرح شتوتجارت الملكى، ومدير متحف الآثار بمنطقة بريسلاو *Breslau*، والمستشار الخاص الدكتور جريمبلر *Dr. Grempler*، والسيد إرنست تشيرماك *Ernst Tschermak*، وهو ابن عالم الفسيولوجيا الشهير الذى أقام بالقرب من هذه المنطقة قصرا تكلف الملايين على الطراز القوطى الأصيل على أنقاض قصر (بول *Pöhl*)، وهناك أسماء أخرى كثيرة. وفى خضم هذا الجمع الغفير من المجتمع الأرستقراطى حظيت بمكانة رفيعة المستوى تليق بالحضور بدرجة تفوق كل تصور. فقد بذل لاندبيرج كل ما بوسعه من أجل أن يبرز شخصي كعالم لا تقل مكانته العلمية البتة عن أى بارون أو أى كونت من الموجودين بالقصر. أما سيدة القصر فقد كانت تعانى شعورها بالصلف والتكبر، رغم ثقافتها وإلمامها بالمعارف الفلسفية، ولكنها كانت تُظهر غرورها فى نعيم العيش وفى ممارسة الرياضة، فضلا عن تأكيدها لمثالية حياتها التى تتمثل فى "أناقتها ودقة سلوكياتها وآداب تعاملها تجاه الآخرين"، وكذلك يمكن الحكم من هذا المنطلق على الحاشية التى تحيط بها؛ ورغم ذلك فإن تعْاملها تجاهي كان على الاستثناء مما سبق وصفه لشخصيتها. فلا شك أن العداء للسامية كان منتشرا فى كل الأرجاء، إلا أنها بذلت قصارى جهدها أن تضفى على شخصي كل الشرف والاحترام؛ فمكانى على المائدة إلى جوارها، تشريفا وتقديرا لصديق زوجها أمام العالم أجمع؛ وحين أرافق الجمع فى رحلات كانت تطلب مني أن أجلس بكل ارتياح إلى جوارها فى عربتها، بحيث تكون جلستي "وجها لوجه" فى العربة أمام السيد ف. لفيتزوف *Lewetzow* صاحب الحسب والنسب/ الذى يرجع لثمانية قرون. مثل هذه [١٧٧]

الأشياء الصغيرة، وهى تحديدا، من شأنها أن تقدم الدليل الكافى الذى يبرهن على المكانة التى يحظى بها العالم اليهودي فى قصر توتسينج، حيث إن الكونت يناديه دائما وبوضوح بقوله "أعز أصدقائى". لقد تغير الكونت لاندبيرج كلية على مدار السنوات الاثنتين والعشرين الماضية من معرفة كل منا بالآخر، وكان هذا التغير فى صالحه؛ فما يملكه من أموال تبلغ الخمسة ملايين قد جعلت منه رجلا متواضعا، بعيدا كل البعد عن كل معانى تحمل صفات الأثرة والأنانية والغش والكذب. ويمكن القول إنه من خلال ما يقوم به من دراسات فى هذا المكان قد صار من أنشط المستعربين وأكفأهم فى زمننا هذا. وهو يعكف الآن على دراسة مواد متراكمة بشكل ضخم عن لغة البدو، ولكن إدارة ثروته البالغة خمسة ملايين وما تتمثل فيها من بضائع وسلع كبرى وعقارات غاية فى التعقيد، لا تدع له الوقت الكافى لقيامه بالأبحاث العلمية كما يتمناها كل منا فى دائرة اهتمام تخصصنا. وأما بالنسبة لثقته الشديدة بشخصي وإخلاصه لي فلم أجد من يماثله إلا قليلا. فقد مهد لي أن أعيش أروع وأبهج أيام حياتى، الأيام الإسكندنافية؛ والأيام التى قضيتها فى شتارنبيرج *Starnberg* هى بمثابة الصدى الذى يستحق كل التقدير والاحترام للأيام ذاتها. فكل ما استمتعت به فى أحضان الطبيعة، وكل فرحة وسعادة أصيلة شعرت بها، قام صديقى بالإعداد لها من أجلي؛ وفى القصر ذاته تكفل بأن تكون حياتى به كما يحياها الملوك؛ فقد قام بتقديمى بكل ما يملك من وسائل الفخامة والأبهة إلى العالم الجميل على ضفاف بحيرة شتارنبيرج، كما رافقنى فى رحلات لا تُعدو ولا تُحصى، كلما سمح لنا المناخ بها، حيث إنه غير ملائم للغاية فى هذه المنطقة. ولكن أكثر إحساس بالمتعة

واللذة كنت أشعر به هنا فى كنف مكتبة صديقى الثرية بكل ما تضمه من أطياف التخصص فى عوالم الشرق. فقد كان تحت يدي ألف مخطوطة نادرة ومجموعة يندر اكتمالها فى مكان واحد لأدب مطبوع. كنت بمجرد أن أنتهى من تناول إفطارى، أتوجه إلى بهو المكتبة، وأبدأ رحلة التنقيب والاقتباس، وأستمتع وأنهل من هذا الكنز الهائل، وكثيرا مـــا وضعـــت يـــدى على هذا أو ذاك الكتاب لأصطحبه معى إلى غرفتي لكى أستفيد منه فى فترات ما بعد الظهر والمساء، أو يكون تحت يدى فى مخدعي، أو بصحبتى فى الهدوء الذى أنعم به بالمنتزه وأحضان الجبال البديعة. لقد رأيت وتعلمت كما غير يسير لأشياء كنت لا أعلم عنها شيئا حتى هذه اللحظة، وتمكنت من استغلالها وضمها إلى ما أملك من مواد علمية. وكل ما استخدمته وحققت إفادة منه فى هذا الإطار، يحمل فى أبحاثى وأعمالي الإختصار *LH* (إشارة إلى بهو مكتبة لاندبيرج) وهكذا عشت فى قصر توتسينج حياة غاية فى الجمال والإبداع والإفادة، لا تقارن بالحياة الحثالة الحقيرة التى فرضت عليَّ فيما عدا ذلك؛ حياة محل احترام ورعاية وتميز وتقدير، من رجال ونساء لا يرغبون أن يلقوا ولو نظرة واحدة من الاحترام على وغد من الأوغاد الذين جعلوا من حياتى فى السنوات الثمانى عشرة الأخيرة مجموعة من الإهانة والمهانة والفقر./

[١٧٨] على الرغم من عدم شعورى بالارتياح حين يكون هناك تناول وجبات يتحتم معها أن نرتدى ملابس الاحتفالات الرسمية، ولا مفر عندها من غلبة جميع أشكال الحياة الخاصة بطبقة الأثرياء والنبلاء على أجوائها، فإننى وجدت أن فى هذا الأمر ما يميزه، وهو أنه يقوم باستكمال ما نقص فى نهج حياتى النمطى، وأن أتعرف أيضا عن كثب على هذا اللون من الحياة،

وأتدرب عليه على مدار شهر بأكمله. فليس من الضرورى أن يكون الإنسان دائما مهلهلا فى مظهره لكى يشعر براحة الحياة. إن الكونتيسات والسيدات النبيلات اللائى أجلس معهن على الموائد، هن أيضًا من بنى البشر، ولا يمكن أن يكون كل منا متسولا، أو أحد الكبراء اليهود؛ فلابد أيضًا أن يكون هناك أناس آخرون، لأنهم ينتمون إلى العالم الذى نعيش فيه، ومن التحضر البنّاء لمن ينتمى إلى طبقة البروليتاريا أن يدخل ولفترة طويلة فى "مجتمعهم". وأقسم بربي، أنهم أعربوا عن كل معانى الشرف والاحترام والمراعاة تجاهى، وأنا من أصل يهودي، وهم جميعا يعلمون أننى كذلك، وهو ما لم يجده مطلقا من المتفاخرين بأموالهم من بنى عقيدته. لقد أتيحت لي هنا فرصة معايشة حياة بهيجة، لا يعكر صفوها شيء، وأن أتواصل معها حتى منتصف هذا الشهر كما عرفتها.

صحيح – وهذا هو الوجه الآخر السيئ– أننى لم أنعم بوجود زوجتى وأولادى إلى جانبى؛ فزوجتى مع ابنة أختى فى كارلسبرون ***Karlsbrunn***، وأولادى فى رحلة لهم بألمانيا، وهم فى الوقت الراهن فى كولبيرج ***Colberg*** مع آنسة زيلبرمان ***Silbermann***، كما أن أغلب الأخبار القادمة من الجانبين تدخل على نفسي السرور، إلا أن سريرة نفسى على وشك أن تتساءل: هل تمنيت أن يكون مكانى بالأحرى بين أولادى عن أن يكون بين سادة وسيدات المجتمع الأرستقراطى؟ الله وحده هو الأعلم.

١٠ أغسطس

كان لقائى واتصالى بايبرس ***Ebers*** من بين اللحظات المشرقة أثناء إقامتى فى هذا المكان، هذا الرجل الذى يستحق التقدير والتبجيل، فهو الذى

انتصر على ابتلائه فى جسده بعظمة روحه، وهو يجسد انتصار الإرادة على أى شلل وكساح وعجز يُصاب به الإنسان ويحول جسده إلى جثة هامدة: فهو نموذج لكل البشر الذين اعتدت عليهم الحياة بضراوة، حتى بلغ العدوان حد الرهان على نهضة الروح من جديد.

فى رسالة عذبة وجه ايبرس لي دعوته لحضور عقد قران ابنته بالكنيسة اليوم، ثم لحفل عشاء الزفاف. ولإبنته جوهر يشبه الوردة الجميلة التى تفوح عطرا فى إكليل هذه العائلة. وقد ألقى الأب خطبة بديعة عند عقد الزواج، وأما خطبة رجل الدين فاتسمت بالملل، وهناك آخرون قالوا كلمتهم فى هذه المناسبة، فمنهم من كان جادا، ومنهم من كان مرحا للغاية؛ أما أنا فقد تغلبت على نفسى، فلم أرغب كأحد الغرباء فى إقحام فصاحة لسانى على الحاضرين. كان من بين الضيوف: الرسام الكبير "الما- تاديما *Alma-Tadema*[١]" وقد جاء خصيصا من لندن لحضور احتفالية صديقه لهذه المناسبة.

توتسينج فى يوم ١٤ من الشهر

لعـــل الأمـــر يدعـــو للدهشة التامة، حين ترى أخيرا أن هناك مكاناً لا يسيطر عليه سطوة جرمانية وصلف الجنس الجرمانى. إننى أقيم هنا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع/ فى هدوء غاية فى المثالية. لم تُذكر كلمة واحدة عن الديانة اليهودية فى الأحاديث الكثيرة التى دارت بينى وبين آخرين، وحرصنا على تواصلها حتى ساعة متأخرة من الليل، وبدا الأمر وكأن عبقًا لنزعة [١٧٩]

(١) *Sir L. Alma-Tadema* (١٨٣٦- ١٩١٢) رسام من لندن.

إنسانية رحبة وعامة قد انتشر فوق هذا القصر البديع، ثم فاحت رائحته مساء اليوم بأركانه – ولا جدال فى أنه على درجة هادئة، وبلا ولع وشغف، ولكنه واضح بدرجة كافية. حلت ضيفا على المكان إحدى الشخصيات المصرية رفيعة المقام، معالى طغرينى باشا ***Tigrene Pascha***، وهو وزير سابق للشئون الخارجية بالقاهرة. وعقب تناول العشاء هبط على سمعي بمحض الصدفة فى ثنايا محادثة باللغة الفرنسية المصطلح "شعب يهوذا – ***Juif***". أغلب اليهود يشتغلون بالتجارة؛ وهذا كان محور الحديث. وردا على هذا القول، حادثت نفسى على سبيل المزاح، بقولى "وهذا بطبيعة الحال ليس فى مقدور كل المستشرقين". ثم جاء رد السيد ف. لفيتزوف ***v. Lewetzow***: السيادة العالمية لعائلة روتشيلد ***Rothschild***، والاستعداد والرغبة نحو ديمقراطية اجتماعية، وعدم وجود وطن لليهود، وسلوكهم الفضولى؛ كما أن جميع اليهود بألمانيا يهود، ثم بعد ذلك ليس بمقدوره أن يقسم اليمين على يد من هو ليس مسيحيا (وهذا ما طالب به – هكذا قوله – العهد الجديد). "ولكن يا سيد لفيتزوف، أفضل أن نحترم العهد الجديد كلية ولا نقحمه فى مثل هذه الأعباء الثقيلة. إنك إذن لا ترغب فى أن تتغاضى عن أن اليهود هم أول من عرفوا الله – الذى تُقسم باسمه – وهم الذين علّموا العالم طريقه. فإذا وجد رب آخر تقسم به، فأرجوك ألا تُقسم به على يد أحد من أمثالى". واستطرد فى كلامه، إن أخلاقيات اليهود تختلف عن أخلاقيات العالم أجمع. فى هذه الأثناء غادر كل من الباشا والكونتيسه المكان، وهم على حق، فقد كان الحوار مملاً للغاية؛ كما أن الكونتيسة كانت قد كتبت مقالا فى السابق عن السمات المميزة للجنس اليهودى، وذُكر أنه لا أحد منهم على دراية باللغة الألمانية، هذا رغم أن

أعمال ايبرس قامت دار جوتيه ***Guthe*** بمدينة لايبزيج بعمل التصويبات الخاصة بها، ومن الأسلوب نتعرف على الفور أن المؤلف يهودى، فتجد فى كل موضع تمجيدا مبالغا فيه للمسيحية التى تتعرض للاستهزاء والتهكم من الكُتّاب اليهود وفقا لرواية لفيتزوف. لم أستطع أن أمنع نفسى من أن ألفت نظر الشريف الميكلنبورجى ***Mecklenburg*** أن هناك شخصية مشهورة من أهل بلدته القادم منها، وهو البارون فون شاك ***Freiherr v. Schack*** (وهو واحد من ميكلنبورج)، وهو رغم أنه ليس يهوديًا مضطهدًا، فإنه يحمل فى نفسه كثيرا من الأذى للديانة المسيحية فى وقتنا الحاضر مقارنة بما قد يفعله أى يهودى؛ وقد أفرط فى هجومه الشرس حتى إننى أرغب فى الدفاع عن المسيحية ضد الاعتداءات التى يقودها أحد حوارى يسوع النبلاء.

فى هذا المقام لم يغب عن بالى الموضع المذكور فى باندورا بصفحة ١٧٢، حيث ذُكر فيه أنه على إثر إنكار الثالوث المقدس على نحو خطير، وهى خطيئة تحملتها صيرورة بشرية نيابة عن الآخرين (من خلال تعاليمها التى تقول: إن كل من ادعى أنه ابن للرب، وهو فى حقيقة الأمر ليس على تلك الدلالة الفجة، قد تحول إلى شيطان بغيض، حصد معه من البشر ضحايا زهقت أرواحهم على المذابح من أجله، مثلهم كمثل ضحايا المعبودة الهندية كالى")، ثم يذكر الموضع ما يلى: "إنه تـــلاعـــب مسىء مشوب بالسُخط، ولا يدوم الصبر عليه طويلا، لديانة ما هى إلا مسخ فى أبغض صورة له للإنجيل، وتحمل اسم المسيحية.../ وهذا أيضًا لا يمت للكنيسة المسيحية – [١٨٠] كما تُدعى كذلك– فى شىء؛ فالكنيسة المسيحية الحقة هى التى ندين لها بالشكر فى قولها بأن عهودا أفضل من سابقيها قد هلت علينا أخيرا؛ وذلك

لأنها لم تحافظ على الإنجيل فى صورته النقية، بل فى صورة مشوهة، نسجت خيوطها على ضلالات وأباطيل فى عهود سابقة عليها. ومع ظهور حركة إحياء وبعث الأدب أيقظت معها روح العلم والفكر، انكشف المستور شيئًا فشيئًا حتى خرجت إلينا التعاليم النقية؛ وهناك عظماء من الرجال على عهد حكم الإغريق والرومان، من أمثال أفلاطون ***Plato***، ومارك أوريل ***Marc Aurel*** أسهموا بقوة مع ذلك فى بلوغ البشرية لهذا الصنيع".

١٥ أغسطس

عشية أمس استهدفت التصدى - فى تواضع العلماء وبلا انفعال عاطفى- للهجوم الجاهلي على ديانتى وعلى أصول عشيرتى من قبل هذا الشريف القادم من ميكلنبورج. وهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن أن يتحقق معها نجاح فى مثل تلك المحاورات الجدلية المقيتة. فلا يمكن مواجهة فكر العصور الوسطى الساذج إلا بالإنسان المتعلم المثقف؛ ولكن حين عدت إلى حجرتى، راجعت نفسى فى هذا الشأن. فى هذه اللحظة فقط وجدت نفسى تحدثنى بأننى أغفلت عن شىء، ربما كان من المفروض أن أتصدى له، وهو أن أعترض بشدة على الموقف الاستثنائى الذى أعرب عنه أعداء السامية الموجودين بالقصر تجاه شخصي، حين قالوا: "لا نقصد بذلك شخصكم الجليل، فأنت تمثل استثناءً؛ ونحن نكن لسيادتكم كامـل الاحترام والتقدير، ولا شىء مما نقوله يمكن أن تدخل فى دائرته". وقبل عدة أيام قال لي أحد العلماء المسيحيين، إنه لا يكبح جماحه من العداء للسامية بدرجة أساسية سوى أنه يعرف جولدتسيهر. ولا شك أننى لم أقف أمام هذا الإطراء موقفا

سلبيا، بل قمت بالرد عليه وأعلنت مرارا وتكرارا بأننى أتقاسم اليهود فى جميع المزايا والعيوب، وإننى أعتبر أية إهانة لهم هى إهانة لي، ولكن الطموح فى أن أصون المحاورات الجدلية من الدخول فى معترك التفسخ، حملنى على أن أشرع فى انتقاء كلمات معتدلة.

قضيت البارحة دون أن يغفل لى جفن بالمرة. وفى الصباح الباكر وجدت ف. لفيتزوف *v. Lewetzow* حضر لزيارتى فى غرفتى، واستمرت الزيارة ساعة كاملة تقريبا، والمقصود بها - على ما أدركت - تقديم الاعتذار عما بدر منه مساء أمس.

بعد الظهر

عقب الانتهاء من تناول العشاء رافقت الباشا فى نزهة قصيرة بمنتزه القصر. تحدثنا معًا عن أمور... مصرية، وعن رياض *Riaz*، وعن دور *Dor*، وعن على مبارك *Ali Mubârek*، وآخرين من رواد عصر الإصلاح عام ١٨٧٣.

وفى الختام كان عليَّ أن أجيب الباشا على السؤال التالى: "هل يعتبر اليهود يسوع المسيح منتحلا، مثلما ننظر نحن لمحمد؟" وردا على هذا السؤال المقتضب، قمت بإلقاء محاضرة فى تاريخ الأديان على مسامع فخامة الضيف القادم من أفريقيا./

[١٨١] كل شيء يعمل على دفعى للتحرك ضد نفسى بعد هذا الفاصل الذى حدث يوم ١٤ يستحق ضعف المحبة والتقدير، وأكثر من هذا لو كان فى الإمكان. كان وقع الأمر فى نفسى، كما لو أن ذلك الحديث بالأمس قد ولّد

لدى الجميع شعورًا بندم عميق، وكما لو أنهم ينظرون لنفس الشيء على أنه نغمة عفوية شاذة فى تناغم علاقتنا حتى هذه اللحظة، ولم يتم الرجوع إليها. إن هذا الأمر أكثر تناسبا وتلاؤما لشخصى عن أى شخص آخر. فكل شيء يطمح فى أداء يتسم بالشرف والأمانة بإمكانه أن يطمس تذكر النصف ساعة إياها؛ وأرى أننى سأحقق مكسبا من جراء ذلك، فنعيم العيش أثناء إقامتى هنا لا يمكن أن يرتفع ويرتقى إلا فى هذا الإطار.

١٧ أغسطس

فى يوم ١٥ قمنا بصحبة الباشا برحلة إلى الوادى الجميل، حيث تقع به منطقة البحيرات البديعة المعروفة باسم الأوستر ***Osterseen***. وبعد يوم من هذه الرحلة استودعنا كلا من الباشا، ومن بعده لفيتزوف. وعلى أعقابهما وصلت إلى القصر شخصية فخمة جديدة. إنها البارونة فون ليبيناو ***von Liebenau***، وهى حرم مارشال القصر ومربى القيصر الألمانى الحالى، وسيدة جميلة، وهى سيدة قصر بدءا من مفرق شعرها وحتى إصبع قدمها، وأحضرت معها ابنتها الصغيرة الفاتنة ناشا ***Nascha***، التى قرأت لها بعض أبيات شعرية لطيفة كانت قد سجلتها بريشتها فى سجل الزائرين للقصر لعام ١٨٩٣. صارت فخامتها الآن جليستى على المائدة، وهى لطيفة للغاية، سواء أثناء تناول الطعام، أو بالصالون، كما أنها - ومن الظلم أن أستخدم الكلمة - كانت تهبط بمستواها تعاطفا وتلطفا منها تجاهى.

١٨ أغسطس

يعرب كل من حولى فى حديثه معى عن أمنيته فى ألا أغادر المكان؛ الكونت والكونتيسة والبارونة فون ليبيناو ***von Liebenau*** وابنتها الصغيرة.

ولكننى عقدت العزم على السفر صباح غدٍ، دون نقض أو إبرام. وقمت بكتابة كلمة الوداع فى سجل الزائرين؛ وبعد تناول العشاء توجهت لجولتي بالصالون، وإذا بي أقابل بتصفيق متواصل من الجميع، وكتبت البارونة على شرفي بضعة سطور على سبيل الثناء والمجاملة، التمست فيها ترجمة حقيقية للإحساس المخلص الذى حرك دواخل نفسي عند قيام المجموعة النبيلة الجميلة بتوديعي، تلك المجموعة التى أدخلت السعادة على قلبى. والواقع أننى شعرت بتحرك مشاعري الداخلية نحو كل ما استمتعت به فى هذا المكان، وهو ما يجب الاستغناء عنه من الآن فصاعدا. وفى المساء الأخير امتلأت أجواء صالون الكونتيسة بحيوية أحاديث شيقة، وكان القسط الأكثر حيوية للمشاركة فيها من جانب سعادة الابنة الذكية الصغيرة للبارونة فون ليبيناو *von Liebenau*.

لينداو – ٢٠ أغسطس

مرت الليلة الأخيرة فى توتسينج بلا نوم. لم أرغب فى أن تمر الساعات الأخيرة هنا دون أن أقتبس شيئا من مكتبة لاندبيرج، التى يصعب على نفسى فراقها. وفى يوم ١٩ الساعة السابعة صباحا قامت الآنسة شاوب *Schaup* (وهى تستحق فصلا خاصا/ فى مدوناتى عن زيارتى لتوتسينج) [١٨٢] بتحضير طعام إفطارى الأخير. بعد ذلك رافقنى كارلو *Carlo* إلى محطة السكة الحديد. فى تمام العاشرة كان هوميل *Hommel* فى انتظارى بمحطة ميونيخ، وتجاذبنا أطراف الحديث معا حتى موعد تحرك قطارى فى اتجاه لينداو *Lindau*. جلس فى الديوان الذى كنت به أحد القاهريين، وتحدثت معه بالعربية، وتصادف أنه نزيل بالفندق الذى سأقيم به. واليوم سأتوجه فى رحلة

إلى بريجينز *Bregenz* حيث سأصعد الجبل باستخدام التليفريك. إن صعود الجبل يتطلب مني الآن جهدا شاقا، فضلا عن إجهاد ساقي؛ إنني لم أعُد شابا؛ فحتى السنوات الأولى من الثمانينيات كنت أتسلق جبال الألب وأطوف حول منطقة رايشنهاللر *Reichenhaller Alpen*. والآن عليك أن تستعد لأن تكون شيخا يُحتفل به، ما دام أن صعود الجبل لمدة ساعتين صار من الأعمال المضنية لك.

٢١ أغسطس. مدينة كونستانس *Konstanz*

بعد قضاء جولة بمدينة لينداو *Lindau* ومشاهدة مبانيها القديمة، وكنائسها وأبراجها العديدة، سافرت فى تمام العاشرة، والسماء غاية فى الإبداع، فى اتجاه مدينة كونستانس باستخدام إحدى البواخر ببحيرة البودينزيه *Bodensee*. وأول ما فعلت عند وصولي أن توجهت لمكتب البريد، ووجدت تلغرافا من بودابست فى انتظارى، يحمل خبر نشر تعيينى أستاذا جامعيا على كامل الدرجة الوظيفية بالجريدة الرسمية، اعتبارا من يوم ١٨ من هذا الشهر، حيث إنه يوافق يوم ميلاد فخامته. وكما لفت نظرى من خبر وصلنى فى خطاب آخر فى الوقت ذاته، أن الخطاب المكتوب بخط اليد مؤرخ فى صدارته بتاريخ الأول من أغسطس. ويبدو أن مرسوم النشر بتاريخ يوم ١٨ لم يكن دون قصد، وأن ابن خالد الذكر جوزيف ايوتفوز *osef Eötvös*(1) هو الذى أمر بذلك.

(١) البارون *L. Eötvös* (١٨٤٨– ١٩١٩) عالم فيزياء، ووزير تعليم، ورئيس الأكاديمية المجرية للعلوم.

وبناءً على ما تقدم فإننى اعتبارا من اليوم: البروفيسور أجناس جولدتسيهر! وبهذا المرسوم فإننى أُعتبر أول أستاذ يهودي (سواء بكامل الدرجة الوظيفية أو بالمكافأة) متفرغ بجامعة بودابست. وكذلك فى السابق، فى عام ١٨٧٢ كنت أول دكتور يهودى بكلية الآداب، وقبل ذلك، فى عام ١٨٦٩ كنت أول يهودى حاصل على منحة من الدولة، وبعد ذلك فى عام ١٨٩٢ كنت أول عضو منتظم بالأكاديمية المجرية. يا للهول..هذا الخطر العظيم لليهودية المجرية!

حقا! "لا كرامة لنبى فى قومه!"

٢٢ أغسطس

مشاهدة المعالم السياحية بالمدينة، والمعروفة لدي من قبل عند زيارتها فى عام ١٨٨٤. بهو الاجتماعات بالكاتدرائية. طريق يعقوب – اليوم جولة ترجل إلى جزيرة مايناو ***Mainau-Insel*** مرورا بقرية ألمان دورف ***Allmanndorf*** وبرج المشاهدة.

٢٣ أغسطس

زيارة جزيرة رايشناو ***Reichenau*** بآثارها الكنسية – آرينبيرج ***Arenberg***، ثم معالم نابليون السياحية.

٢٤ أغسطس

زيارة زينجن ***Singen*** – وحصن تويل ***Hoher Twiel***– منطقة الجبل المرتفع ***Hoher Krähen***./

١٨٣ ٢٥ أغسطس

زيارة شافهاوزن *Schaffhausen*. لقد خارت قواى وقررت تأجيل سفرى إلى سيكينجن *Säckingen* إلى يوم آخر، من أجل أن أنعم هنا بالراحة والهدوء لمدة يومين، وأيضًا أنتهى من كتابة مراسلاتى، وأسترجع ما فاتنى من تدوين لبعض الأشياء لم يتوافر لها الوقت على إثر تجوالاتى فى الأسبوع السابق. قمت بكتابة رسالة مطولة، ولكنها محترمة، إلى البارون إيوتفوز *Eötvös*.

٢٧ أغسطس – سيكينجن *Säckingen*

مرورا بالطرف الأعلى للراين وصلت بعد الظهر إلى مدينة الشاعر صاحب قصيدة "عازف آلة النفخ". وبالقرب من الفندق الذى أقمت به لفت نظرى –على الأخص– وجود حانة تحمل اسم "الحوت الأسود"، وبعد تناولى العشاء توجهت إليها، وحدث تعارف على وجه السرعة بينى وبين النادل، السيد بروجلى *Brogli*، وهو رجل مسن، أعور، ويفتخر بأنه كان صديقا لفيكتور شيفل *Victor Scheffel*[١]. وفى داره يوجد ركن يطلق عليه "الملتقى"، حيث كان يجتمع به "الندماء" من الرفاق المثقفين، فى صحبة منتشية بأقرانهم من جنوب ألمانيا، يسودها الإحساس باليقظة والحيوية، ويتزودون فيها بتنبؤات وبشائر فون شيفل. ومن أسباب المتعة عمل دراسة عن المزاح

---

(١) الأديب جوزيف فيكتور فون شيفل *Joseph Victor von Scheffel* (١٨٢٦– ١٨٨٦) كاتب وشاعر ألمانى من مؤسسى الحركة الأدبية المعروفة باسم "*Biedermeier*"، والتى عكست ثقافة وفن الطبقة الوسطى. (المترجم)

والفكاهة التى يتندر بها الناس فى الجزء الخارجى من الحانة المذكورة، وعلى رأسه الركن الذى يُطلق عليه "الإقبال على الحياة ***Der Oberwal***". كما أن الكؤوس مرسوم عليها رسومات بحفر غائر، تعبر عن قصيدة "الحوت الأسود". وعلى الحوائط تتدلى شعارات ورسائل الاجتماعيات المنتسب بعضها إلى بعض، وعلى الموائد تتكدس كتب الغناء والموسيقى والألحان، وغير ذلك. كان السيد بروجلى يجلس معى فى مكان لطيف ويقوم بدور شيشرون فى توجيهى إلى الأماكن السياحية، فيمدنى بكل التفاصيل المتخصصة فى طبوغرافيا الأماكن التى تمكننى من فهم قصيدة "عازف آلة النفخ" عند بعض المواضع بها. وهكذا تشعر بروح شيفل تهب كالنسيم فى كل ركن من أركان هذا المكان، كما أن المكان تسوده النغمة الأبيقورية، وروح النشوة بالخمر. وما ترك أثره فى نفسى -على الأخص- أن ما من أحد بالمكان، بل أيضًا السيد بروجلى ذاته، يمكنه أن يرشدنى ويفسر لى حكاية القديس الراعى فريدولين ***hl. Fridolin*** الذى تمثل حكايته موضوع اللوحات الجصية للكاتدرائية البهية، بينما كل شىء يفتخر ويعتز بشيفل وعازف آلة النفخ. صحيح يبدو أن عصر الرعاة والقديسين قد انتهى؛ فحكايتهم المقدسة هى علم خُدَّام الكنائس وقرَّاع الأجراس. والعصر الحديث يؤسس على شعراء الخمر ونشوته. فالناس تتُلك باحترام وتقدير حقيقى على الأماكـن التى شـرب فيهـا شيفل الخمر (مثل حانة "الزود ***Der Knopf***")، ولا أحد يهتم بالأماكن التى تقلب بها وحلم بها القديس فريدولين.

أمضيت ما تبقى من اليوم مع كتاباتى وتدويناتى. عثرت فى صحيفة فرانكفورت بتاريخ ٢٥ من هذا الشهر على تراسل من بودابست يتناول

[١٨٤] حصريا الدلالة السياسية الكنسية/ لتعييني أستاذا متفرغا، وأشادوا بذكاء إيوتفوز *Eötvös*، وأن العهد الجديد قد بدأ فقط بتقليدى المنصب، وفى المقابل تحتم أيضًا على "ماجيار علام *Magyar Állam*" أن يلتزم الصمت فى هدوء.

فى المساء سأقوم أيضًا بجولة ترجل مجزية عبر كوبرى الراين فى اتجاه القرية السويسرية شتاين *Stein*، ومن هناك نحو أوبرمومبك *Obermumpk*، وفى ظل التصبب بالعرق سأصعد إلى فلوه *"Fluh"*، حيث رؤية المنظر البديع من أعلى على وادى الراين والاستمتاع بمشاهدة فالدشتادت *Waldstadt*.

٢٨ أغسطس – فى الصباح

توجهت فى الساعة السادسة صباحًا إلى منطقة بحيرة الجبل *Bergsee* التى صورها شيفل فى قصيدته "عازف آلة النفخ" على نحو فريد ولا مثيل له فى جمالها. هنا ينبغى عليَّ أن أشرب "نخبًا" على روح الشاعر، وأقرأ حتى الثامنة فى قصيدته "عازف آلة النفخ" التى أدعى أنها كانت مصدرا لمتعتى من خلال اكتسابى العديد من التجارب المحلية الغنية بالإتقان الطبوغرافى. – كتابة خطابات إلى الوطن.

التلهف على أخبار توقعت وصولها إلى مكتب بريد بازل دفعنى لمواصلة السفر اليوم بعد الظهر. يا لعذاب قلبى! ويا لحقيبتى المعذبة!

٢٩ أغسطس – بازل

وصلت مساء أمس إلى بازل، وبالصدفة السعيدة أنه بعد بضع ساعات من وصولى، وجدت ماكس نورداو *Max Nordau* قد نزل فى الفندق ذاته

ومعه والدته، قادمين من المصيف السويسرى بادن *Baden*. قضينا معًا بضع ساعات فى المساء غاية فى التشويق والإثارة. فى اليوم التالى وجدت نفسى أعود لمخاطبة الناس بلغة مضطربة بوضوح وجلاء بعد مضي ستة أسابيع من التلوث السمعى.

٣٠ أغسطس

قمت بمشاهدة كل ما تضمه مدينة الراين الجميلة من عجائب وغرائب، الواحدة تلو الأخرى. وبلغت الدهشة ذروتها فى التأثير العبرى على المجلس المحلى لمدينة رجال الدين من أتباع بوكستورف *Buxtorf*؛ هنا تجد العديد من التصويرات الأجصية مزودة بنقوش عبرية ممتدة؛ وعلى شمال المدخل مباشرة ترى الوصايا العشر فى الأصل العبرى على إحدى اللوحات الأجصية الباهتة بفعل الزمن. وعلى يمين بهو البوابة ترى لوحة، مصورا عليها: الملك سليمان بين شعبه، وخلف الملك يقف أحد حواري اليهود يضع على رأسه "قبعة" ويرفع لأعلى إحدى لفائف التوراة التى تشير إلى النص العبرى "**שופטים ושוטרים תתן לך וכו'**"، مع بيان باللغة العبرية للمكان الذى عثر عليها به فى الوقت ذاته.

توافر لدي وقت فى فترة مابعد الظهر للرد على بعض الرسائل التى وصلت، ومن بينها إصدار هاركافي *Harkavy*[1] لنص دينى تلمودى يرجع إلى كيركيزانى *Kirkisânî*، فأرسلت إلى هاركافى من هنا بعض التصويبات

(١) *A. E. Harkavy* (١٨٣٥– ١٩١٩) مستشرق ومؤرخ وأمين المكتبة القيصرية العامة بمدينة بيترسبورج *Petersburg*.

لإصداره. أيضًا قمت بكتابة رسائل تهنئة لكثيرين، ومنهم: نولدكه *Nöldeke*، والآنسة فز تورما *Frl. V. Torma* وغيرهما. /

١٨٥ **٣١ أغسطس – فرايبورج *Fribourg***

وصلت هنا بعد ظهر أمس، وفضلت اختيار المدينة الكاثولوكية الصغيرة الجميلة بالقطاع الفرنسى كمرحلة أخيرة قبل جنيف، تلبيةً لدعوة ابن بلدى البروفيسور شتاين[١] فى أن أتوجه إلى برن التى أعرفها فى السابق. كان معى فى الرحلة صُحبة ممتعة للغاية، كان فيهم أحد شيوخ جماعة الإخاء البيض بأفريقيا، وكان فى طريق سفره إلى مارسيليا مرورا بجنيف، وتحدث معى بالعربية المغربية؛ اعتقد هذا الشيخ أننى محمدي، لأننى اتخذت موقف الدفاع عن الإسلام فى حديثى معه، كما دافعت عن القرآن فيما نسب إليه من نصوص مغلوطة، واستشهدت بالصحيح منها، وربما جاء حكمه هكذا لأننى أتحاور معه بالعربية. وكانت معنا فى رحلة السفر هذه سيدة من جنيف، كانت تعتبرنى – كما أخبرتنى فيما بعد – أننى لست أوربيًا عند رؤيتها لي أصعد الشاحنة، فقد وجدت فى ملامحى وحركاتى "الطابع الشرقي". كما أن دهشتها كانت بالغة، حين وجدتنى أتحدث الهولندية مع الهولندى، والألمانية مع مفتش المركبة، وتحدثت معها هى شخصيا بالفرنسية، وتحدثت مع رجل الدين فى غاية الاحترام والوقار بلغتي الأم. سألتنى: "وهل تتحدث أيضًا الإنجليزية؟" فأجبتها: "نعم يا سيدتى – وبالإضافة إلى هذا وذاك فإننى أتحدث لغتى الأم الجميلة. فقالت "وهى العربية، أو ربما التركية". هى إذن: "وحين

---

(١) *L. Stein* (١٨٥٩– ١٩٣٠) أستاذ الفلسفة بجامعة برن.

أخبرتها بأننى يهودى مجرى، فإذا بالمجرى هذا قد أثار دهشة السيدة". لقد كان اليهودى يمثل للأب موضوعا لألم رسولى.

وصلت فى وقت مبكر بحيث أتيحت لي الفرصة أن أستطلع محيط المدينة الصغيرة الفاتنة، وهى فى واقع الأمر مشيدة على شكل طوابق ثلاثة. سرت عبر "الكوبريين المعلقين" نحو كنيسة لوريتو، وفيها رأيت سيدة شابة ترتدى لباسا أسود تركع فى صلاة حارة أمام سقيفة الخطيئة والإثم. سألت نفسى: أى فعل ارتكبته هذه المرأة؟ طفت خلال "المدينة المنخفضة"، وهى عبارة عن مختلط من الأزقة الصغيرة القذرة، يعيش عليها الجزء الألمانى من السكان، ثم صعدت إلى المدينة القديمة، وهى الحاضرة الحقيقية، ولاحظت بالقرب من الفندق الذى أقيم به أيضًا وجود بعض الأزقة التى تقود عبر مائة درج إلى جماعة اليسوعيين القديمة وإلى متحف المقاطعة. بعد الساعة الثامنة قمت بزيارة حفل "كونشيرتو الأرغن" فى الكاتدرائية (يوميا تستخدم هذه الآلة العملاقة مرتين، وهى واحدة من أضخم آلات الأرغن فى العالم، على هذه الطريقة من أجل نتاجات عامة). إن الصفارات تدوى بصوتها الرهيب وتتطاير فى أجواء الأماكن المظلمة محدثة "عاصفة" يبعث بها عازف الأرغن فوجت *Vogt*. وفى الغرفة الكبرى للمعبد لا يشتعل سوى مصباحين بزيت النفط، وعلى هيئة مرعبة يرتفع شكل المصلوب خلف المصباح الأبدى لقدس الأقداس. كل ذلك تحت مؤثرات الصوت والضوء التى تسيطر على الحواس – ولكنها لا تترك الروح دون أن تمسها. وفى اليوم التالى قمت بزيارة جميع الأماكن المقدسة، كبيرها وصغيرها، وفى المساء استمتعت بغروب الشمس وبهجتها من نقطة التطلع/ والمشاهدة فى [١٨٦]

دورنبول ***Dornbühl***. لماذا الغروب على وجه التحديد الذى أتأمله من كل قلبى؟ لماذا أشعر بنعيم الطبيعة البديعة على الأخص فى لحظة زوال مصدر الضوء؟ إن أجمل الساعات التى أقضيها على الشاطئ، وفى السهول، وفى الجبال، هى دائما اللحظات التى أتأمل فيها غروب الشمس بإعجاب وإجلال. اليوم كنت أطالع الأفكار السامية التى كتبها كينجسلى ***Kingsley*** عن هيباتيا ***Hypathia*** بشأن مفارقة النزعة الهيلينية، وكنت أراقب إذ ذاك بكل الحواس غروب الشمس ولحظة زوالها فى الأفق على هيئة مراحل.

جنيف – من ١ حتى ١٢ سبتمبر

لم أتمكن أثناء انعقاد مؤتمر المستشرقين من تدوين الأيام التى لن تطويها الذاكرة والتى قضيتها فى هذه المدينة على هذه الصفحات؛ فلم تتوافر لحظة واحدة لهذا الأمر، ولكننى أرغب قبل التوديع أن أسجل بامتنان من كل قلبى مدى تأثير تلك الأيام المعدودة على نفسى وإثارتها لعميق وجدانى. لقد غمرتنى الفرحة لوجودى مع بعض الأصدقاء والزملاء تحت سقف مشترك، وسرنا حسن الضيافة والكرم الفريد للعائلة الأرستقراطية النبيلة فى هذا المكان، وعلى رأسها فان بيرشم ***Van Berchem***. فقد تم استقبال جالية من المستشرقين الدارسين فى الفروع المتعددة للاستشراق من جميع الدول، وتسكينهم فى المنزلين رقمى ١٢ و١٦ بشارع جرانج ***rue des Granges***، وتوفير كل ما لذ وطاب من الطعام والشراب بلا حدود، وإحاطتهم بكل ألوان الراحة. وقد أقمت فى منزل واحد مع كل من لاندبيرج ***Landberg*** واويتنج ***Euting***[1]، وأقام الآخرون فى المنزل الآخر، وهم: جويه ***Goeje***، باربيه دو

(١) *J. Euting* (١٨٣٩– ١٩١٣) مستعرب ومتخصص فى دراسة النقوش.

ماينارد *Barbier de Maynard*[1]، هوداس *Houdas*[2]، كازانوفا *Casanova*[3]، ستريجوفسكى *Strzygowski* [4]، جوتهايل *Gottheil*[5]، وهو من نيويورك (وكانت معه زوجته التى تتحدث العربية، حيث إن بيروت مسقط رأسها)، أسماء رنانة ولامعة فى ميدان علمنا. ولقـد جمع بيننا ووحد لقاءنا مرتين أو ثلاث مرات يوميا فترات تناول الوجبات وحلقات النقاش والبحث الجاد بين العلماء، كما كنا نجلس جميعا بعد تناول العشاء بغرفة التدخين الموجودة بالمنزل الجميل رقم ١٦، ونتجاذب أطراف الحديث الشيق فيما بيننا حتى فترة متأخرة من بعد منتصف الليل. فقد كان المكان يشبه صورة مصغرة للأكاديمية العلمية. فقد صرنا مستعربين ومستشرقين فى حياتنا، فكان هذا الملتقى فرصة للراحة النفسية من عذابات الحياة المكدرة. كما أن نفسى تشبعت بإعراب زملائى القدامى والمحدثين تجاهى عن تقديرهم لشخصي.

قمنا برحلات بديعة لزيارة القصور الفخمة المتناثرة على ضفة بحيرة جنيف. وفى كل مكان أوجد به، فى جميع المحافل العلمية والاجتماعيات الراقية، حظيت باهتمام ملحوظ بشخصي على أعلى درجة من التقدير. وقد استقبلت محاضرتى التى ألقيتها بالمؤتمر، والتى حملت عنوان "فى الأصول التاريخية للشعر العربي" (وهى تُعد الأفكار الأساسية للفصل الذى أقوم

---

(١) *A. C. Barbier de Maynard* (١٨٢٦– ١٩٠٨) أستاذ اللغة العربية بالكلية الفرنسية *Collège de France*.

(٢) *O. Houdas* (١٨٦٠– ١٩١٧) قام بنشر مصادر غير معروفة خاصة بتاريخ شمال أفريقيا.

(٣) *P. Casanova* (١٨٦١– ١٩٢٣) مستعرب فرنسى بالقاهرة.

(٤) *J. Strzygowski* (١٨٦٢– ١٩٤١) أستاذ تاريخ الفن بفيينا.

(٥) *R. J. H. Gottheil* (١٨٦٢– ١٩٣٦) أستاذ اللغة السامية بجامعـة كولومبيـا ومـدير قـسم الشرقيات بالمكتبة العامة بنيويورك.

بإعداده للصحافة عن أصل الهجاء) بتصفيق وهتاف مدوٍ[1]. كما تم اختيارى مع دى جويه *de Goeje*، وزاخاو *Sachau* لأكون نائبًا لرئيس قسم العلوم الإسلامية، وعُهد لي بإعداد موسوعة للإسلام، وأن أكتب تقريرا عن ذلك للمؤتمر القادم لعام ١٨٩٧ الذى سينعقد بباريس.

توديعى للأصدقاء بعشية أمس. كفى ذلك لهذا اليوم./

فيينا يوم ١٥ سبتمبر [١٨٧]

فى يوم ١٢ بعد الظهر بدأت رحلة سفرى من جنيف عبر سان ساليف *San Salive*، وقمت بإلقاء سلامى على جبل مونت بلانك *Mont-Blanc* توددا لفخامته. وقد غادرت جنيف الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، واستغرقت رحلة سفرى يوما كاملا بليلتين دون توقف، عبر أرلبيرجبان *Arlbergbahn* حتى وصلت إلى هنا. وكان يصاحبنى فى جزء كبير من هذه السفرية (من زيوريخ وحتى انسبروك) فامبيرى *Vámbéry*، ولكم أن تتخيلوا كم من أكذوبة استمعت إليها فى ذلك اليوم، على أن أمكث للراحة هنا لمدة يومين، ثم أواصل سفرى فى ساعة متأخرة ليلا فى اتجاه بودابست.

٢٢ سبتمبر

المثول أمام حضرة وزير التعليم[2]. أخبرنى أنه لا يزال يتذكر جيدا فترة شبابه، وكيف كان والده يتحدث عنه كثيرا بعين الرضا، وكان يقول له، إنه اكتشفه، وإنه لم يخيب ظنه فيه.

---

(١) انظر *B. Heller*، سبق ذكره، رقم ١٨٩.

(٢) *L. Eötvös*.

لم أهنأ بأية راحة أو هدوء من اليهود الذين يبعثون لي بتحياتهم. فقد أمسكوا بي على قارعة الطريق، وتحرشوا بي فى مقر عملي، حيث أذعنت لهم – دون رحمة. لقد شنّعوا بسمعتى فى صحفهم، وقتلونى بدعايتهم. كما أنهم لم ينكروا حقارتهم فى هذه الواقعة. إنهم يسدون لي تحيتهم، ولكن دائما مع تحفظهم بالقول بأن "تعيينى بكل أسف لا قيمة فعلية له!". إنهم يستخدمون– بالإجماع وكأنهم على قلب رجل واحد – الكلمة العجيبة: "قيمة فعلية". فقد خلطوا خلطا عضويا فى ذلك أسلوب تفكيرهم السوقى باستيائهم المفضوح. من بين التهانى الكتابية والتلغرافية التى بلغت ما يقرب من مائتى رسالة، لا توجد رسالة واحدة من أفراد العصابة اليهودية –المنتشرة فى الوقت الراهن، والتى تدار من مكان يطلق عليه مقر الولاية– وهم السادة سيمون ***Simon***، وباخر ***Bacher***، وآخرين من أمثال هذه الحثالة من دوائر "المثقفين" و"غير المثقفين".

تقابلنى الدوائر الجامعية على نحو ممتع وجذّاب، غاية فى السرور واللطف والاعتراف بشخصي. وسلوكهم الشخصى هذا يعوضنى أيضًا عن "قيمة فعلية" تأتى من قبل بنى عقيدتى الأعزاء.

٢٨ سبتمبر

فى الجلسة الأولى التى عقدتها الكلية فى هذا الفصل الدراسى، قام العميد "بيوتى ***Beöthy***" بالترحيب بي على نحو احتفالى، وإعلانه – وفقا لنص الأمر الوزارى (وهو الذى بعث به الوزير شخصيا لي) أننى قد أصبحت "عضوا كامل الحقوق".

٥ أكتوبر .

مساء اليوم قرأت على مسامع الحاضرين بالأكاديمية تقريرى بشأن مؤتمر المستشرقين (جنيف). والذى سينشر فى عدد ديسمبر بالمجلة الأكاديمية "إرتزيتو *Értesitő*"[١] /

١٨٨ عام ١٨٩٥

٢٩ إبريل ١٨٩٥

كان الوقت الذى ضاع هباءً منذ آخر مدونة لي فى هذه اليوميات موحشا، مجدبا كالأرض المقفرة. فلم تتغير فيه الظروف الداخلية تغيرا يُذكر فى أى شيء؛ على أن ما أملكه من قدرة تحمل قد واصلت تقلصها بدرجة مهمة أمام تلك الظروف. فقد زادت معاناة نفسى هذا الشتاء عما كانت عليه من قبل، من جراء وقاحة هؤلاء الجهلاء الذين ينظرون لي نظرة دونية كأنى مليك أيمانهم. ولأن سوء الحظ كتب عليَّ ألا أكون ندا لهم على المستوى الاجتماعى، وأن تحول بينى وبينهم مسافات شاسعة فى تصدرهم فى المكانة لأية نظام إنسانى، فقد بدا لهم أن يضعوا نُصب أعينهم هدفًا اتفقوا فيما بينهم – وكأنهم شياطين الإنس والجن– على ألا يحيدوا عن تحقيقه تجاهى، وهو أن يلحقوا بى المهانة والاستعباد والذل بقدر ما يملكون من وسائل، بل والأحرى أن يقدموا الوثائق للجمهور، وفى كل محفل، صغُر أم كبُر، على أننى ليست أكثر من "خادمٍ". وكل صاحب عقل له أن يعتقد أن من يتحمل هذا

---

(١) انظر *B. Heller*، سبق ذكره، رقم ١٦٧.

العذاب طيلة ٢٠ عاما، فقد تبلد حسه. إن من يحاط بمثل هذه اللوحة الآمنة، العلم، فإنه من المفترض ألا تنفذ إليه كل ألوان السهام التى تصوبها إليه وحشية جهلاء دنيئة، ولكن لم يبلغ تأنيب الضمير مداه فى تعذيب نفسى قط مثلما حدث لى فى الشهور الأخيرة، ومرجع ذلك أننى قمت بتدنيس حُرمة العلم ونزعت عنه كرامته بإصرارى على وجودى فى هذا الموقع عشرات السنين، وأننى قد هبطت بمقامه إلى أسفل السافلين حين استندت إلى كينونتى وحياتى فى أن يكونا سببا لسيادة وسيطرة الرعاع على الطموح المثالى. إننى لم أسلك سلوكا يتناسب بالدرجة التى ينبغى أن أتعامل بها مع هؤلاء الذين جعلونى أشعر بالاحتقار الكامل، وأثاروا الوضاعة والحقارة بكيانى وأعماق ذاتى. إن كل انعكاس وارتداد يدخل كليةً فى هذه الدائرة ولا يزال يتغذى بقوة على مواصلة سلوك قذر صادر عن "عالم العلماء" اليهود تجاهى حتى الآن، هو السبب فى إحداث نوع من الاستياء والضجر وغياب الروح فى الجو النفسى السائد فى حياتى هذه الأيام.

اختصتنى رئاسة الأكاديمية بمنحى شرفا فى أن تطلب منى إلقاء محاضرة علمية بمناسبة انعقاد الاجتماع السنوى الاحتفالى (مايو هذا العام). وقد جاهدت نفسى فى العمل على أن أكون محل ثقة المهمة الشرفية فى وضع الأمور فى نصابها، وأن أكتب مقالاً بحثيا فى هذا الغرض دون التورط فى أية إساءة. وقد عكفت على هذا الأمر ليلاً، وبعد ما بذلته من جهد فى الانتهاء منها تأملت النتيجة التى أمامى، وكنت على درجة من الارتياح بأننى قد أديت ما عليَّ بما يكفى، إذ بالشكوك تجبرنى – تماما كما وصفت منذ قليل– فى أن أتقدم بالرجاء للسكرتير العام فى إعفائى بالتكليف المنوط بي.

وقد أبديت أسبابا تتوافق جميعها بلا شك مع الحقيقة، ولكننى تكتمت السبب الرئيس الذى يكمن وراء جميع الأسباب المذكورة بوفرة. فلم أكن مطمئنا كل الاطمئنان فى ألا تراودنى وتقتحم ذهنى أثناء وقوفى على منصة المحاضرة فكرة أننى شخص غير جدير/ بأن أظهر أمام استثارة جمهور فطن من بلدنا [١٨٩] بصفة متحدث فى مناسبة احتفالية، حيث إننى شخص تحمل أن يُصنف – على اعتباره خادما– تحت صفة "أفاق جاهل". وليت ذلك قد حدث بشأن المحاضرة بأكملها، إذا ما وانتنى هذه الفكرة إذ ذاك، وطلبت إعفائى من المهمة التى أوكلت إليّ قبل أسابيع وقبلتها بسعادة وبارتياح لاستحقاقى بشرفها. أما المقالة ذاتها فهى تتناسب مع جمهور ينتمى لطبقة أقل أرستقراطية، ولمناسبة أقل احتفاء من هذه المناسبة.

مثُلت فى أحد أيام شهر ديسمبر أمام حضرة فخامة الملك، لكى أعرب له عن شكرى بشأن "اللقب والوظيفة". وقد وجه لي المَلك بضع كلمات محمودة بشأن أهمية العلم محل عنايتى. أثناء انتظارى فى الغرفة المقابلة، حيث يحيط بى من كل جهة ملابس رسمية مرصعة بكثير من الذهب، حتى يُسمح لى بالدخول – والحق يُقال إنه لم يستغرق وقتًا طويلاً، لأننى مصنف فى المرتبة السادسة، خطر على بالى تلقائيا اللقاء مع ملك الشمال الذى سأتذكره دائما، فتعاملى معه جعل من عام ١٨٨٩ من أجمل فترات حياتى. فى هذا التوقيت كنت قد انتهيت من مؤلفى الجديد وتجهيزه كاملا للطباعة، ووجد المؤلف فى هذا الوقت تحت الطباعة، وحصل على عنوان "دراسات فى فقه اللغة العربية "*Abhandlungen zur arabischen Philologie*""(١). ولكن

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٨٦.

بكل أسف تباطأ العمل فى الطبع (بريل/ليدن ***Brill/Leiden***) لدرجة أن الشك بدأ يساورنى أن بهذه الخطى يمكن أن أرى على الغلاف عدد عام ١٨٩٥.

تواصلت اللقاءات الجذابة على نحو رائع، مما جعلنى أقضى الصيف الأخير كأننى أعيش فى عصر ذهبى. لقد احتفظت توتسينج بذكرى طيبة فى حياتى، وبرهنت لي هذه التجربة على ذلك، من خلال دلائل جميلة فى بعض الأشياء والمواقف. كان من بين الأصدقاء الذين وجدوا بهذا المكان السيدة ف. لفيتزوف ***v. Lewetzow*** من مدينة دارمشتادت ***Darmstadt***، وقد تبادلت معها بعض الرسائل اللطيفة. كما كان من نتائج توتسينج أن توافرت صلات عبر المحيط، وظهرت بالفعل إبان أيام جنيف، وأكدت لي أن دائرة أصدقائى قد تنامى حجمها واتسع بشكل واضح. ثم كارلو ***Carlo***![1] كارلو الفريد! قبل بضعة أيام وجهت لي الكونتيسة فى رسالة ممتعة دعوة الحضور ثانية إلى قصر توتسينج، على اعتبارى ضيفًا مؤكدا عليهم بالصيف.

خلال كتابة مقالى البحثى الخاص بالاجتماع الاحتفالى للأكاديمية، والذى عالجت فيه نشأة وتطور المصدر التاريخى للعرب فى ظل التأثير الفارسى الكامل، توافرت لي من الأسباب ما يثير شغفى فى أن أقترب من إشكالية التأثير الفارسى. وعند دراسة الأدب الساسانى (وللأسف من خلال ترجمات فقط؛ لماذا لم أشدد على بهلوى ***Pehlewi*** فى الوقت المناسب؟) لاحت لي أضواء غاية فى التعجب والغرابة. إن الإسلام الذى كان يحبو فى العراق (ويحق لنا أن نقول بجسارة "الآخذ فى النشوء") قد استقى معارفه من الروافد الفارسية أكثر من أى مكان آخر مما نحب أن نقبله على العموم.

---

(٢) الكونت فون لاندبيرج-هالبيرجر ***Graf von Landberg-Hallberger***.

فمؤسسة الخلافة كما برز شكلها بداية على يد العباسيين، وما تحمله من مبدأ الشرعية، والشخصية التى رضى الله عنها (*bāghī*)، وما يتعلق بها من "جلالة"، كلها أشياء ساسانية الأصل. كما أن احتقار الكلب، على اعتباره حيوانا "دنسا" قد خرجت فكرته/ من الاعتراض على التقدير الكبير للكلب لدى أتباع "المزدائية" – أو ديانة إله الزرادشتية الخالق "أهورا مازدا" (*Mazdayasnieren*) – الذين ينظرون إليه على أنه حيوان مقدس. هناك أشياء صغيرة وكثيرة! منها مثلا السواك، وهو أداة مقدسة دينيًا، انتقل من الـــزرادشتيـــة إلى الإسلام. وهناك الأشياء الكبيرة: كعدد الصلوات الخمس (*5 gāh*)، فضلا عن فاعلية ونفاذ النصوص المقدسة. ويتحتم عليَّ أن أتناول فى المستقبل القريب هذه الظواهر بالبحث الدقيق وإعمال العقل فيها[١].

١٩٠

أيضًا قمت بكتابة بعض الأبحاث الصغيرة؛ فى الصيف الأخير اكتشفت أحد اليهود المعتنقين للإسلام، وقد قام بتأليف كتاب دفاعًا عن الإسلام. وعن هذا الموضوع كتبت مقالا بديعا لمجلة *Revue des Ét. Juives* (سعيد ابن حسن الإسكندر *Sa'îd b. Hasan al-Iskander*)[٢] تطرقت فيه مرة أخرى إلى التداخل المذهبى للقوانين والعلاقات فى الإسلام. وأواصل تعاونى مع "مجلة مجمع الاستشراق *ZDMG*" دون انقطاع؛ وقد أنتجت لها مقالا بعنوان "الدلالة العددية المفسرة للصياغة فى اللغة العربية"[٣]، وكتبت نقدًا عن عمل غير متقن لفان دن بيرجر *Van den Berg*[٤]، وقد استخدمت كمًا هائلا من المراجع. ومن

---

(١) انظر ب. هيللر *B. Heller*: مصدر سابق الذكر، أرقام ٢٢٢، ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق، رقم ١٨٣.

(٣) المرجع السابق، رقم ١٨٥.

(٤) المرجع السابق، رقم ٤١٥.

أجمل ما قرأته فى الآونة الأخيرة كتاب لكاستلر **Castelar** عن إيطاليا، والذى يحـوى فصـلا رفيـع المستـوى عـن القـديس فـرانس الأسـيزى **Franciscus von Assisi**.

كما أن التكليف الذى أسندته لي الوزارة فى الأسابيع الأخيرة بتنظيم وترأس رحلة دراسية لأساتذة جيل الوسط المجريين إلى مصر، أضافت عنصرًا جديدًا إلى طموحاتى؛ فبقيامى لهذه الرحلة سأخطو بقدميّ مرة أخرى فى حياتى بوابات الأزهر؛ بعد مرور ٢٢ عاما، وبعد أن شاب شعر رأسى، وبعد أن صرت أبًا لولدين، وبعد مرور ٢٠ عاما على خدمتى للجالية اليهودية فى سودوم **Sodom**. وربما تمنح هذه الرحلة لتلك الأسابيع الشتوية السبعة من نهاية عام ١٨٩٥ لعام ١٨٩٦ بعضا من القداسة والمضمون. وهى بالفعل الآن حققت لي فائدة لا يمكن تقديرها. فها هو رفيق طفولتى فى اللعب، الدكتور بونيفاسيوس بلاتس *Bonifacius Platz*[1] الذى يعمل الآن مديرًا عامًا، ولم أره منذ ٣٠ عامًا، ينضم للرحلة ويشاركنى القيادة؛ وأسفر ذلك عن عودة علاقاتنا القديمة والتطرق للحديث عن أيام الشباب واللهو، حتى إنه صار الآن صديقًا عزيزًا على منزلنا. وقبل بضعة أيام استمتعت بالمنظر المهيب عند صلاة المائدة الخاصة بمولودى الأول، وكيف أن الراهب السيسترسى التقى يطوى الأيدى. حقًا - إن كل شىء فى العالم مرتب ترتيبًا بديعًا. ورغم أن اليهودية على المستوى الرسمي تبذل قصارى

---

(١) ***F. B. Platz*** (١٨٤٨- ١٩١٩) عالم طبيعة، ومدير عام.

جهدها منذ عشرين عامًا من أن تنتقص من قدرى وتنتقدنى بقسوة على اعتبارى ملحدًا ومزدريًا للرب، فإن الراهب يقوم بطى الأيدى على مائدتى حين ينهى ابنى يوم عمله، ويصلى فى تبتل مناشدًا ليهوا، إلهنا وصخرتنا وملاذنا من الأشرار، ربنا ورب آبائنا، اليوم وحتى تقوم الساعة. آمين! وبهذا التفكير المتوازن أشعر بالسعادة فى قدرتى على إنهاء تدوين يومياتى اليوم الموافق ٣٠ من إبريل الساعة ٢ صباحًا./

١٩١ ٢٨ يونيو

منذ عدة أسابيع نعيش مرة أخرى فى حالة توتر مؤلم للغاية. فالعلاقات السيئة فى فيزى جيارمات ***Füzes Gyarmat*** لا تترك سعادة حياتى العائلية المتواضعة فى حالها؛ ها هى عواقب خطايا أرملة المرحوم صهرى الخليعة تحوم فوق رؤوسنا كأنها نذر شؤم؛ فهذه العواقب تفسد على حياتى كلها، بل وتسممها. وربنا هو الحكم العدل؛ سيحل الوبال على رؤوس العُصاة المسيئن.

ولكن - حمدًا الله- حدث نجاح طفيف. أرسل لى وزير المالية المشترك لكل من المملكة والقيصرية - متجاهلاً جميع السلطات المستبدة بفيينا، بل وكبار الموظفين المحليين هنا- كتابًا رسميًا مستفسرًا فيه عن مدى رغبتى والموعد المناسب، فى إجراء امتحان لأحد المسلمين بالبوسنة، وهو حفظ الله أفندى موفتش ***Hifzallah Efendi Muftič*** الذى يرغب فى تعيينه بالمدرسة العليا بسراييفو أستاذًا لفقه اللغة العربية القديمة. فى هذا الاستفسار الرسمى القادم من فيينا، والموجه إلى وزير التعليم المجرى، ذُكرت أيضًا بعض الألقاب المتميزة ***Epitheta ornantia*** "كالشمس المشرقة" وهوت على رأس "مدرس الجامعة فى قسم تحت التأسيس" فى بودابست.

٤ يوليو

لعله من المؤسف لي أنني أقدمت على اتخاذ خطوة، لم يدفعنى إليها – قسما بربي – سوى الوعى بالواجب، وليست أية أنانية. كما يؤسفنى فى الواقع، أنه توجب عليَّ أن أراجع ما قمت به فى ضحى يومى هذا، فأجده بمثابة وعاء لسذاجة حمقاء.

منذ سنوات تراودنى فكرة تبدو كالهوس فى الرأس، وهى ضرورة أن يكون بجامعتنا المحلية محاضرة منتظمة عن موضوع "المؤسسات فى الإسلام"، حيث إن عدد الرعايا المسلمين بمملكتنا يبلغ ٥٠٦,٠٠٠ نسمة، ومن المفروض أن يتعرف كل مثقف تحت رعاية ملك المجر على مؤسسات المملكة وجوانبها الثقافية والتعليمية. فأنا شخصيًا، وعلى مدار الأعوام الأربعة والعشرين من عمر مسيرة حياتى الجامعية، أقرأ درس المحاضرة من وقت لآخر، وفى المجموع أربع مرات، وأبلغ فيه نسبة معقولة من النجاح؛ وذلك دون نفع منتظر من وراء الموضوع. فقد ترسخ لدىَّ الاعتقاد بأن مثل هذه المحاضرة يتوجب العمل على تأسيسها على المستوى الرسمى من خلال مؤسسة الوزارة، لكى يصاحب علاقاتنا فيما بيننا نجاح مأمول. ونظرًا لأن لدينا الآن وزير تعليم من رجال القانون[1]، قلت أنه حان الوقت لعرض فكرتى عليه شخصيًا. لقد كنت غاية فى الغباء عندما افترضت وجود تفهم لدى هذا الرجل تجاه رغبتى التى تراودنى، وأن يتحمس للغرض الذى يستهدف قيامه هو شخصيًا على تنفيذه. حقًا، كان فى السابق يجلس "وزير –

(١) البارون فلاسيكس *Baron J. Wlassics* (١٨٥٢– ١٩٣٧) وزير الثقافة.

فيلسوف" فى صالون هذا الجهاز بالدولة، فربما كان سيستقبل الفكرة باستحسان بالغ عن "الوزير – الحلاق" الذى كان له ملاحظات متعجرفة على الموضوع، وكلفنى بأن أكتب مذكرة تفاهم، لأضعها للعرض على فخامة سعادته./ وبالطبع أسقطت الموضوع من حساباتى؛ فأنا لا أضع نفسى موضع [١٩٢] شبهة مرتين فى أن لى رغبة شخصية فى هذا الأمر؛ لن أكتب مذكرة تفاهم سأكون من خلالها فى نظر هؤلاء الناس كمن يتقدم بعريضة توسل متنكرًا.

ولو أننى فطنت مبكرًا إلى أن من يجلس الآن على كرسى رجل مثل جوزيف إيوتفوز ***Josef Eötvös*** رفيق فكر وصديق خاص لكل من باور ***Pauer***[١] وهاينريش ***Heinrich*** لكنت حكيمًا ووفرت على نفسى حمام العرق الذى تصبب منى لصالح أعمال أخرى؛ ولعلى أكثر ثراءً من أجل فكرة، وأكثر فقرًا من أجل خداع.

٥ يوليو

حتى اليوم لم يغب عن بالى الوجه الوقح لذاك الوزير الذى يشبه القردة، وما ألحق بى من تهكم وسخرية بالأمس على مقترحات بها الخير كله، وربما لو أنه أخذ بها لجلبت عليه مديحًا وتقديرًا فى جميع أرجاء أوربا. والأفضل ألا يقترب أحد من غرفة هذا الوزير على الإطلاق. هكذا تحملت مثل هذه المواقف طيلة ٢٢ عاما، ويؤسفنى غاية الأسف أن يقابل هذا المبدأ بمـــا ينطوى عليه من حسن نية ساذجة إلى عدم أمانة فجأة كما رأينا. ولكن

---

(١) ***I. R. Pauer*** (١٨٥٤– ١٩٣٠) أستاذ الفلسفة ببودابست

لا شك أن أيامًا أفضل تُقبل عليّ قريبًا، حيث أتجهز الآن للسفر إلى توتسينج *Tutzing* والتى قررت أن أبدأها فى اليوم التاسع من الشهر.

٨ يوليو

تبدأ اليوم بعد الظهر رحلة سفرى إلى توتسينج مرورًا بفيينا وميونيخ؛ إننى أشعر بسعادة غامرة لأننى سأترك هذا المستنقع لعدة أسابيع. لعل هذه الرحلة هى خط فاصل كبير عبر الماضى السحيق!

توتسينج، ١٨ أغسطس

لم أكتب حتى الآن كلمة واحدة فى ذكريات إقامتى فى الصيف الماضى بهذا المكان البديع. بعد سحابات الهموم والآلام التى حملها إلينا الصيف (من علاقات غاية فى السوء والشر عايشتها فى فيزى جيارمات *Füzes Gyarmat*) يأتى الآن الدور على التخلص من كل ذلك برحلة تجدد لنا الحياة مع هواء الصيف المنعش. ستتوجه أسرتى إلى كالتن لويتجيين *Kaltenleutgeben* بالقرب من فيينا؛ وأما أنا فألبى دعوة عائلة لاندبيرج *Landberg* بالسفر صوب توتسينج حيث قضيت بها فى العام الماضى أسابيع غنية بالذكريات الرائعة. فى اليوم الثامن من يوليو غادرنا بودابست، وقضيت يومى ٩ و١٠ من يوليو بميونيخ مع هوميل *Hommel* وكوون *Kuhn* [1] وجلاسر *Glaser*[2]

(١) *E. Kuhn* (*1846-1920*) عالم فى تاريخ وحضارة الهند.

(٢) *E. Glaser* (*1855-1908*) قام بأربع رحلات استكشافية علمية بجنوب الجزيزة العربية.

وكرومباخر *Krombacher*.. وفى يوم ١١ وصلت إلى توتسينج. تعكر صفو الأيام الأولى بالمكان بوجود أجواء توتر لدى سادة الدار. إن الأمر والنهى عبر الملايين ليس هدفًا للحياة؛ ثم إن السعادة الحقيقية هى أقرب من ملايين الكونتيسات الأثرياء، ولكن الأصعب أن تعثر عليها. وسرعان ما صارت الأمور أكثر راحة وهدوءًا للنفس.

أبحرت فى أعماق الكنوز العظيمة التى تحويها المكتبة، ووضعت يدي فى الأسابيع الستة لإقامتى الهادئة هنا على بعض الدرر المكنونة بين جنبات تلال من المخطوطات الكبرى التى تراكمت بعضها فوق بعض. غالبًا ما ستجدوننى أشير فى مواد ومراجع أبحاثى إلى الرمز ***LH*** لكل ما اغتنمته/ من هذه المكتبة فى كل يوم. كان الكونت صديقًا كريمًا واهبًا نفسه لي فى كل وقت وحين، بل إن الكونتيسة بتبلدها الحسى سرعان ما اعتادت هى الأخرى على أسلوبى وولعى بالكتب وفتورى تجاه نباح الكلاب وصياح الديكة. المهم أننى أعيش هنا أروع أسابيع تمر بحياتى، بل أدعى أننى قد عثرت على نفسى من جديد بوجودى فى أوساط تلك الطبقة الأرستقراطية النبيلة التى تحركت صوبها قبل عام.

١٩٣

فى الأيام الأخيرة لى هنا استمتعت بوجود أويتنج ***Euting***، هذه الشخصية صحيحة البنيان، وكان اقترابى منه إضافة فى حياتى. فقد أتيحت لى فرصة قراءة الأجزاء المطبوعة لمؤلفه البديع عن رحلاته فى مسوداتها. وقد اكتسب صيف توتسينج جانبية خاصة تماما من خلال اثنين من حضر موت، وهما سعيد ومنصور، اللذين أحضرهما إلى هنا لانديرج لدراساته. كان التعامل اليومى المتواصل معهما، والتغلغل فى لغتهما، والأغانى التى

تغنوا بها أمامنا، وعالم الأفكار الخاص بهما – كل ذلك عوضنى بشكل جيد عن قيامى برحلة إلى جنوب بلاد العرب. نادرًا ما شعرت براحة فى مكان آخر مثل هذا المكان؛ كما أن الجو الصيفى الشديد كان سببًا فى أن تعرفت على أنواع جمة من "الخمور *Κτήματα* ". أما ما حققته من إفادة على مستوى الناحية العلمية ليس من السهل حصره؛ فقد جمعت مواد مرجعية جديدة لكل اهتماماتى العلمية؛ ويكفينى أن أذكر من المخطوطات التى استوقفتنى طويلا وتفرغت لدرسها والتنقيب بها على وجه الخصوص مؤلفا كاملا عن "أبى نواس *Abû Nuwâs* "وجمع" حمزة الأصفهانى *Hamzat Isfahani*" جزءين من تأليف "ابن عساكر *Ibn ‧ Asâkîr*"، ثم السير والتواريخ، منها (سيرة الطبرى *Tabari*، والبخارى *Buhâr*، والشافعى *Śâf‧î*) وغيرهم. وهناك مؤلف غاية فى الغرابة – وهو غير معروف على الإطلاق حتى الآن– عن سلسلة نسب العلويين، فضلا عن المخطوطات الفخمة "لابن حزم *Ibn Hazm*" وأشياء أخرى كثيرة.

وأما عن معايشة أجواء الأمسيات فقد سادتها هذه المرة أيضًا روح الصداقة والفكاهة مع أوساط الطبقة الأرستقراطية النبيلة التى وجدت بالقصر فى العام الماضى؛ ومنها فخامة الكونتيسة ليبيناو *Liebenau* وابنتها، والبارون ف. لفيتزوف *Lewetzow* – وقد حضر هذه المرة بكل أسف دون اصطحاب حرمه الرقيقة. كما أقر بما لمسته من كل خصال الحياة الارستقراطية عند السيـــد اويتنج *Euting* على مدار أربعة أيام تفضل على بها مـــن وقتـــه. ولا يفوتنى ذكر كثير من ساعات لطيفة قضيتها بدار ايبرس *Ebers* مع رجل يستحـــق كـــل التقديـــر، صبـــورعلى ابتلائه بالمرض. وفضلا عن ذلك

فإننى غالبا ما كنت فى تواصل عبر الرسائل المتبادلة بشكل خاص مع نولدكه *Nöldeke*؛ ولم يمر يوم تقريبا إلا وتلقيت خطابًا جميلاً من زوجتى وأولادى، وقد بلغنى منهما أنهما يقضيان أوقاتًا سعيدة مع صديق جديد من برلين، نزل ضيفًا علينا فى كالتن لويتجيبن *Kaltenleutgeben* ويرجع الفضل له فى إدخال روح المتعة والتفاهم أثناء تجمعنا وتلاقينا فى فيينا.

ولا أنسى ما جادت به عليَّ الطبيعة البديعة بجنوب بايرن من التمتع بأجمل الأوقات فى أحضانها، والتى تُوجت بقضاء رحلة ليوم كامل عدنا لتونا منها. وقد خص الكونت كلا من أويتتج وشخصى بدعوتنا لقضاء رحلة إلى مدينة جارميش بارتنكيرشن *Garmisch Partenkirchen* والتى انطلقنا منها للتجول ومشاهدة بحيرة بادر *Bader See* وبحيرة إيلين *Eylen-See* اللتين تستقبلان بوفرة – فى مشهد بديع – مياه ذوبان الكتل الجليدية من أعالى سلسلة جبال الألب بالمنطقة تحت دفء حرارة الصيف/. ومن الجميل أننى [١٩٤] تناسيت على وجه السرعة الحياة الكريهة التى أحياها يوميًا فى أحضان مهنتى مع ما تركته الطبيعة من تأثير بالغ فى نفسى؛ ولكن بكل أسف لن يمر وقت طويل على هذا الشعور البديع، وسأودع العالم الراقى، والأجواء الأدبية وسمو الروح، لأنتقل إلى حيث تتوفر قمامة النفوس ووضاعة السلوك وانحطاط الأخلاق؛ من قمم جبال الألب السامقة فى كبد السماء حيث النقاء والصفاء، إلى مستنقع قاذورات "الباب العالى"؛ ولكن هذه القفزة التى تشبه الحركة البهلوانية لن تحدث قبل يوم ٢٦ من هذا الشهر، على أن أقضى قبلها بضعة أيام جميلة مع أسرتى فى فيينا.

فى الأسبوع الأخير من شهر يوليو بعثت من هنا – بناءً على التصريح لنا بالقيام بالأعمال التحضيرية لتأليف موسوعة متخصصة عن الإسلام– بطلب كتابي إلى مجمع المستشرقين الألمان *Deutsche Morgenländische Gesellschaft*، قائلا:

مستفعلن / مستفعلن / فعولن

فى توتسينج جاد الزمان بالتغنى وانطلقت

قريحة من حيث ملأت الدنيا بغناء حضرموت

لتعلن اليوم مولد شجاعة منشد فى شعر

خابت بإفصاح معانيه أعمق الكلم فى نثر

لكن بالأشعار ذاتها أبت المعانى

مسيرة خطوة حيث آسيا والبوادى

بكلام نبى المسلمين إليكم أتوجه

وشعاع نور من توتسينج يخرج

محمد (صلى عليه الله وسلم!) بلغكم:

"بالحب أفاض من جاب بالصحراء عليكم

"فاستخلصوه لأنفسكم واجعلوه قبلتكم

واعتصموا بحبل منه ولا تفرقوا بينكم."

"واجعلوا سراج نوره وسناه هو مبتغاكم

"فهو الهدى فى كل وقت وحين ومبلغ قصدكم

"وافعلوا الخيرات كمن بالصحراء كان مولده

"بالجود تكتمل الأعمال وبكرم غير منقطع."

رسول من الله جاء بالرحمة على العرب وبادية

وبنعم لم تشهد بأحسن منها من قبل جامعة

نرفع قواعدها على شطآن بحيرة

بشتارنبرج يناشدكم وبقليل من الشعر يسطره

طالب من بلاد المجر البعيدة إليكم يتوجه

لتنهلوا من حياة هى السعادة كلها

وتشربوا من كؤوس العلوم ورحيقها

حتى الثمالة فتنتشوا وعلى كل نديم من القلب تتنادوا:

بارك الله فى كل مخلص/

٢٠ أغسطس [١٩٥]

فى يوم التاسع عشر من الشهر قبل الظهر قام الحاضرون من الضيوف على قصر توتسينج بتوديعى، وعند مفارقتهم لي صرحوا لي

بتعبيرات مريحة تحمل معانى الود والقبول الحسن والصداقة، وبذلك فارقت مسرح أحداث أسعد أيام حياتى؛ ثم قامت الكونتيسة فى الوقت ذاته بتوجيه دعوتها لي للحضور فى العام المقبل. وقبيل المساء وصلت إلى ميونيخ حيث كان فى استقبالى كل من هوميل ***Hommel*** وجلاسر ***Glaser***، وقضينا معا وقتا ظريفا حتى أوصلانى فى سعادة وهناء إلى محطة السكة الحديد. تحرك القطار فى تمام التاسعة مساءً فى طريقه إلى فيينا، حيث تلاقيت مع زوجتى وأولادى فى فجر هذا اليوم.

أثناء تجمعنا على وليمة العشاء فى ميونيخ علمت من جلاسر ***Glaser*** ملامح مؤثرة وجوانب مثيرة للمشاعر من حياة الدسائس الخاصة بزميلى اليهودى البولندى الذى يعيش بفيينا. ولو افترضت أن نصف ما قاله حقيقة، فإن حكمى منذ زمن طويل على زميلى من أنه مبتذل ومتبجح لن يتغير، وهو ما كتبت عنه ويمكن قراءة بعض منه على هذه الصفحات.

سوف أسافر اليوم بعد الظهر مع أسرتى فى اتجاه كالتن لويتجبين ***Kaltenleutgeben***، حيث أقضى بها ما بين يومين إلى ثلاثة أيام؛ أردت أن أحقق أثناء هذه الفترة هدفين: أن أهب أولادى بعضًا من وقتى للتقارب والتلاقى فيما بيننا، وأن أقوم بترتيب ما جمعته من مواد ومراجع علمية نقلتها عن المخطوطات بتوتسينج. وبعد ذلك يتحتم عليَّ أن أعود إلى بودابست. إننى لا أدرى: كيف بالله سأتعايش من جديد مع الوضاعة والانحطاط الأخلاقى بعد أسابيع من السمو والمثالية؟ لا شك أننى سأكون فى تعاسة لفترة طويلة. ولكن صار من المؤكد لدي: أن الوقاحة لن تُفلح فى ترويضى، ولن تتمكن من شخصى فى الشهور المقبلة.

٢٤ أغسطس

بعد قضاء بضعة أيام غاية فى المتعة والسرور مع أسرتى فى كالتن لويتجبين *Kaltenleutgeben* شرعت فى رحلة العودة إلى بودابست، حيث وصلت إليها عشية أمس. وقمت بكتابة خطاب إلى كونتيسة توتسينج، ثم شرعت فى صياغة بعض المقالات تتعلق ببحثى الذى ابتدأت فى كتابته ببودابست فى الصيف عن "المدائح المحمدية". وسأقوم قبل ظهراليوم بزيارة السيد المحترم هيشلر *Hechler*، وذلك ردًا على زيارته لي بالأمس، وسأطلب منه أن يطلعنى على مجموعة مقتنيات رائعة ولا يستهان بها (وقد أطلق عليها بنفسه "متحف الكتاب المقدس").

١٧ سبتمبر

فى إحدى الليالى التى قضيتها فى معاناة وألم وعدم نوم، شغل فكرى فجأة موضوع مؤلم: موضوع "تكران الجميل". نادرًا ما خطر ببالى أن أفكر فى أن هناك على سطح هذه الكرة الأرضية بعض الناس يحتم عليهم الشرف والأمانة والاعتراف بأننى قمت بدور فاعل ومؤثر فى أن يكون لهم مستقبل سعيد/. أغلب هؤلاء الناس كانوا غاية فى الجحود، كنودين، منكرين لفضلى [١٩٦] عليهم، بل إن الكثيرين منهم وقفوا تجاهى موقف العداء، وشرعوا فى اتخاذ خطوات بغيضة تجاهى. وربما ينطبق ذلك على عشرات من الناس، ويمكننى أن أقدم الأدلة على تلك الحقيقة. ولكن لا يشغل بالى من كل هؤلاء سوى شخص واحد: إنه رفيع المقام السيد المحترم فيلهلم باخر *Wilhelm Bacher*. فلو تدبر هذا الشخص ماذا قدمت له، وأنه قصد بابى فى أحلك أيام حياته،

ووجد فى بيتى مأوى له، ولو خطر بباله ماذا قدمت لأبيه... ثم يجمع كل ذلك ويضعه فى كفة، ويزن سلوكه تجاهى فى كفة أخرى: فلا أملك سوى أن أسدى إليه النصيحة بأن يعمل لنفسه كروتا خاصة بأكبر مقاس ممكن، ويضع بها جميع الألقاب والمراتب اليهودية الوجيهة التى يملك أن يعددها لنفسه، ولكن عليه أن يكتب خلف كل هذه الواجهات البديعة بالأحرف الكبرى الممكنة الكلمات التالية: السلوفاكى المخادع، الخائن، الغادر إلخ، إلخ

١٢ نوفمبر

إننى أشعر بالرضا- والارتياح عن نتائج أبحاثى منذ عودتى من توتسينج، فقد بعثت لمجلة فيينا ***Wiener Zeitschrift*** بمقال تعريفى عن سيرة ومرجعيات الطبرى، وذلك استنادًا إلى "ابن عساكر ***Ibn ʿAsâkîr***[١]" الذى عثرت -أثناء وجودى فى توتسينج - عنده على مقالة جيدة عن المؤرخ الكبير. كما أرسلت إلى مجمع المستشرقين الألمان الدراسة التى قمت بها عن موضوع "المدائح المحمدية"[٢]. كما يبدو أن الصحيفة الأدبية الألمانية تنظر لى الآن على أنى ناقد ومحقق دائم لمجال دراستى؛ فبعد أن أرسلت إليها فى شهر يوليو دراسة نقدية لبحث آخر قام به روليتج ***Rühling***[٣]، حصلت قبل بضعة أيام على موافقة بعمل دراسة نقدية عن حياة البداوة عند يعقوب[٤].

---

(١) انظر ***B. Heller***، مرجع سابق الذكر، رقم ١٨٤.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٣.

(٣) نفس المرجع السابق، رقم ٤١٠.

(٤) نفس المرجع السابق، رقم ٤١١.

ولعل صديقى فى جرايفسفالد ***Greifswald*** أن يكون على رضا رغم إخفاقاته فى مواجهة سوسين ***Socin***. وفى الرابع من يوليو قمت بقراءة دراستى المجرية عن "تطور الأدب التاريخى على يد العرب" أمام أكاديميتنا[١]. وفى إطار حملة لاندبيرج ***Landberg*** قمت فى خلال مدة قصيرة بنشر دراسة جماعية ستكون بمثابة نصب تذكارى صغير تخليدًا لأيامنا مع ضيوف حضرموت، وكانت عن: قصة الراهب بارشيس ***Barsîsâ***[٢]. وقد أوشكنا على الانتهاء من طباعة البحث. ومن لندن أرسل لي صديقى العزيز بيفان ***Bevan*** صورة فوتوغرافية من مخطوطة بكامبريدج عن كتاب "المُعمرين لأبى حاتم ***Abû Hâtim's Kitâb al-mu•ammarîn***". وبقدر محتوى مسلسل الصورة الفوتوغرافية، شرعت -انطلاقًا من الصفحات ذاتها- فى وضع بعض البدايات لمعالجة هذا الأثر الخالد المحدد للطبعة المأخوذة عن مدرسة الأصمعي ***Al-Asma'î Schule***.

كان أكثر قربًا لقلبي أن أوفر ما يلزم من وقت وجهد للتحضير والاستعداد لمشروع الرحلة إلى مصر. فى هذه الأثناء جاءت الأخبار من مصر لتتحدث عن وباء الكوليرا؛/ وبالتالى بذلت ما بوسعى من جهد فى أن أُجبر المجلس الوزارى المتراخى على ضرورة تقديم معلومات من واجبه أن يستوفيها فى هذه المسألة. إن كل ركن فى غرفات الوزارة يخيم عليه الكسل والعفن؛ كما أن البيروقراطية تعمل على إضعاف وتآكل الجزء الضئيل المتبقى من العقل الذى مـن المحتمل أنهم جاءوا به معهم إلى الوزارة التى [١٩٧]

---

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٧٩.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٨٧.

لا يسود أجواءها سوى الوصولية والجهل والتراخى وضعف العقلية. وأكبر "وصولى" فى الدولة هو وزيرهم، كما تجد أن أضعف العقليات تتوافر لدى الموظفين الذين يعملون تحت قيادته. أخيرًا انعقد فى يوم ١١ من الشهر مؤتمر وأسفرت نتيجته عن التأجيل المبدئى للمشروع، حيث إننى وحدى الشخص المستهدف من الانصياع للأمر، كوسيلة للعمل على إذعانى والبعد عن الحقيقة بذكاء وحنكة، باستخدام كل الوسائل تجاه المسئولية التى ألقيت على عاتقى- متاعب ومضايقات وهموم واضطرابات - ولا أدرى ما السبب: فسواء المجلس الوزراى، أو المدير العام مسئولان - فى كل الأحوال- عن تنظيم المشروع. هنا ينبغى على الإنسان المؤدب أن يستدعى التحليل النفسى والأنا العليا فى الكشف عن وسائل الخداع!

وسط ضجة كبرى ودق للطبول ونفخ فى البوق، قام اليهودى البولندى العامل بجامعة فيينا بنشر كتاب كبير الحجم عن البناء الشعرى للمقاطع عند أنبياء الكتاب المقدس، وفى القرآن، وفى الكتب المسمارية، وأرسل لي "نسخة للنقد". وفى الوقت ذاته طلب مني نولدكه ***Nöldeke*** أن أدلى بالرأى فى هذا الموضوع. وهذا ما فضلت أن أفعله عن أن أنجرف إلى نقد علنى لكتاب المخادع الرخيص بولاك ***Polak*** الذى يريد أن ينتقم مني. وقد هبط الفتى بالتنبؤ حتى نعال الأحذية؛ ولأنه من صنف البشر الذين يتكسبون ويصنعون ورق البنكنوت من الدين، فقد تفتق ذهنه إلى الافتراض بأن الأنبياء كانوا أيضًا من هؤلاء البشر الذين يحسبون للمادة حسابها بامتياز، بحيث يتدبرون كل شيء بدقة قبل أن يتلوه على الناس. وللأسف لم ينزل الوحى عليه – حتى فى "ليلة مؤرقة من ليالى شهر ديسمبر" – ليبلغه عن المكافآت التى

تلقاها أشعياء ومحمد مقابل مقاطعهما الشعرية. إنه سيصاب بالصاعقة حين يبلغه رأى نولدكه *Nöldeke* عن النصب والخداع الذى يتقول به فى هذا الشأن.

قريبًا سأبعث بمقال للإسهام فى إصدار كتاب تذكارى بمناسبة بلوغ شتاين شنايدر *Steinschneider* الثمانين من عمره، حيث لا يمكننى أن أتخلف عن الركب فى هذا الأمر؛ ويتجه تفكيرى إلى كتابة مقالة قصيرة عن أدب سعد بن منصور[(١)] *Sa'd b. Manşûr*، وهو يُعد اكتشافًا – بطبيعة الحال من مكتبة لاندبيرج–هاللبيرجر *Landberg-Hallberger*– سيحتل فى جميع كتبى الجديدة المنشورة موضع تكريم دائم.

أيضًا عادت عصابة الأدب اليهودى بالمجر إلى ما كانت عليه من الاحتكاك بي، ولعلى أدخل حظيرة الخنازير قريبًا، فربما يعود ذلك أيضًا بفائدة – كما حدث مع المحترم باخر *Bacher*. سيحدث التطهير لكل ما هو دنس، وسيزول كل ما هو سيئ. الهلاك لعصابة الرذائل والآفات! /

١٩٨ ١٨٩٦

سيُضاف إلى رسائل الرحلات التى أبعث بها إلى زوجتى خطابات أخرى جديدة. فى الفترة من ١٠ وحتى ١٤ فبراير، كنا نجهز عدتنا بالقاهرة لرحلة العودة. وقد انتهزت هذه الفترة لتحقيق بعض المهام الشخصية. كنت فى غاية السعادة بأننى سألتقى أمين فكرى – من كبار الباشوات وهو الآن محافظ الإسكندرية؛ فنحن لم نلتق منذ أن زاملته فى مؤتمرين باستوكهولم

---

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٩١.

وكرستيانا ***Stockholm/Christiana***. دعانى للقائه فى قصره بالقبة ناحية المطرية، حيث نشأ وترعرع إلى جانب حماه- "سيوفى باشا" - وهو من المتقاعدين الأثرياء. استقبلنى أمين فكرى بحفاوة بالغة وقدمنى لضيوفه على أننى من خبراء اللغة العربية الفصحى. وقضيت مساء اليوم ذاته مع فوللرس***Vollers***، فى مسكنه بالزيتون التى لا تبعد إلا بضع دقائق عن منطقة القبة. أما اليوم التالى فكان للأزهر. كانت زيارتى لجامعتى العزيزة أثناء الأيام الأولى لإقامتى بالقاهرة بصحبة فريق يجره الترجمان "حبوبة". ولم تحظ هذه الزيارة فى نفسى بعود جدير بالوقار. شدَّنى أن أقوم ثانية بزيارة المكان الذى حظى بأهمية كبرى فى تطورى الفكرى بالكامل على اعتبارى "مجاور". وعلى هذا قضيت ضحى يوم العاشر من فبراير - بصحبة أحد الطلاب المسلمين - فى الساحة المقدسة، وجلست فى الصفوف الأخيرة لنصف دائرة، وأنصتُ إلى حديث شيخين - لا أتذكر اسمهما، لأنه من غير المقبول أن أخرج مفكرتى للتدوين بها. أول ما بدا لي واضحًا بما لا يدع مجالا للشك تحرك المضمون الدراسي منذ ٢٣ عامًا إلى مجال الموضوع. لقد شاركت فى شبابى وتفاعلت على نحو شخصى فى كل مضمون علمى حدث فى الأزهر. على أن ما يضفى سعادة بلا حدود على البقية المتبقية من حياتى أننى عدت لأجلس هنا فى الأروقة المقدسة حيثما قضيت شطرًا بهيًا من شبابى وأسترجعها فى نفسى.

كرَّس لي ماكس هيرتس ***Max Her*** [1] فترة بعد الظهر من اليوم ذاته، حيث رافقنا لزيارة معالم أثرية ومساجد ومقابر غاية فى الجمال والإبداع،

---

(١) ***Max Herz*** (*1856-1919*) مهندس مدنى بالقاهرة، انظر ***B. Heller*** ، مرجع سابق، رقم ٣٦٦.

ويفسر لنا عن قرب كل ما هو غريب بهذه المعالم من ناحية تاريخ الفن. كما أننى أرسلت أثناء جولتنا بالإسماعيلية خطابًا إلى "يعقوب أرتين باشا" من أجل استخراج تصريح لقيامى ومجموعتى بزيارة تعارف لدار العلوم وغيرها من المدارس الحديثة بالقاهرة. وعند عودتى للقاهرة تسلمت التصريح عن طريق فوللرس *Vollers*.

فى باكورة يوم ١١ فبراير ذهبنا إلى درب الجماميز، حيث كان فى استقبالنا بالأصالة عن الباشا البولندى فالبيرج بك ديتسيرزنوفسكى *Walberg Bey Dzierdzenowsky*، ثم قادنا بعد ذلك عميد دار العلوم –أمين بك سامى – من قاعة إلى أخرى، وأطلعنا على النظام الدراسى المختلط كاملاً لهذه المدرسة التى لا يرغب أحد فى وضعها موضع منافسة مع الأزهر. بدأنا [١٩٩] بمحاضرة/ عن الفقه (حيث يتحتم الحفاظ على الناحية الشكلية المحمدية)، ثم خطونا خطوات حثيثة إلى الحداثة. وكان من المذهل أن نرى كيف يتجاهل المدرسون المحمديون – وهم دائما ما يرددون على ألسنتهم كلمة "تربية"– وجهة النظر من أن المعارف الحديثة ينبغى أن تتطرق إلى تاريخهم الخاص بهم وتتضافر معه؛ إن هؤلاء التربويين – أتباع مدرسة أرتين – لا يفكرون بهذا النهج المتمثل فى أنهم سيمحون حدود الخلافة فى الجغرافيا؛ فهم يتناولون مثلا جغرافية إسبانيا بالضبط كما لو أن هذه المادة ذاتها تدرس فى مدرسة برومانيا، إلى غير ذلك من الأمثلة. وقبل ٢٣ عاما كان ما لديهم من خرائط لا تزال تتضمن نصًا باللغة العربية، أما الآن تجدهم قد استبدلوا هذه الوسائل التعليمية باللغات الأجنبية، فرنسية وإنجليزية. كما أنهم أدخلوا مادة دراسية جديدة، وهى الإنجليزية – فى حين أنهم يدرسونها بشق الأنفس. وعلى

أية حال، هناك شيء ما استوقفني وحرك مشاعري ووجداني أثناء مروري بقاعة هذه المدرسة: إنه تمثال صديقي "على باشا مبارك"، صاحب الفضل الأول في تأسيس هذه المدرسة.

قادنا سامي بعد ذلك من دار العلوم إلى المدرسة الناصرية، وهي مدرسة داخلية للتعليم الأساسي تضم أبناء الطبقة الراقية في المجتمع، وحسبي أنها تواكب أحدث المدارس في العالم، فهي شقيقة كلية إتون البريطانية بالقاهرة ***Eton-College*** بحيث يمكن للمصري مقابل ٢٥ جنيها مصريا (مصاريف سنوية) أن يحقق لابنه بالفعل تنشئة وتعليمًا راقيا إلى أبعد الحدود: أثاثات ومفروشات غاية في الراحة وأحسن مما ينبغي، حتى إن الدرس ذاته يظهر في أناقة تامة. على أن المفاجأة التي أذهلتني هي مادة تدريس جديدة، وهي مادة "الديانة" - تعليم الدين المسيحي، ووفقًا لمفهوم اليهود التقدميين تماما، بالرؤى ذاتها، وبالأغراض ذاتها، وأخشى أن أقول، وأيضًا بالنتائج ذاتها.

بعد الظهر زارني جيلاردو بك ***Gaillardot-Bey***، وهو رئيس تحرير مجلة "ريفي التي تصدر بمصر" ***Revue d'Egypte*** وهو ابن جيلاردو بك الذي صار معروفا لنا من بعثة رينان ***Renan*** إلى فينيقيا. جاء جيلاردو حاملاً معه كمية نسخ منفصلة من مجلته سابقة الذكر، وقد عاهدته على أن أبحث له عن جهة في أوربا تدعمه في هذا المشروع الذي أظن أن أرتين يقوم بدور الراعي له.

في اليوم قبل الأخير من إقامتنا بالقاهرة توجهنا جميعنا لزيارة "دراويش تكية المغاوري" بالمقطم، وهم أرنأوطيون صامتون، وتعكس تكيتهم صفاء

فلسفة اعتزالية حكيمة مفادها أنهم نأوا بأنفسهم عن الآلام وعذاب كل شيء في الدنيا باختيارهم، مكان منعزل لسلواهم – في مغارة جبلية كبيرة تقع على مشارف صوامعهم مباشرة. إن هؤلاء القوم قد وضعوا الآخرة نصب أعينهم، ومن هنا يسهل علينا فهم أن قدرتهم على التعامل مع مكان الخلاص من شأنها أن تسمو بأرواحهم عن كل آلام الحياة على الأرض. ويصعب أن تستنطق واحدا منهم بكلمة واحدة (وهم سبعة أفراد)؛ ورغم ذلك تركونا نتجول في مسكنهم دون إزعاج. وفي الختام استودعنا الرجال الصامتين السعداء بإلقاء نظرة ممتعة من شرفة الدير على المدينة، ويا له من منظر بديع!

في يوم الرابع عشر من الشهر غادرنا القاهرة في اتجاه الإسكندرية، حيث مكثنا بها حتى يوم الخامس عشر مساءً، وحيث استرحت بضع ساعات بقصر أمين باشا، وأغلب ظني أنها ستكون المرة الأخيرة التي أشعر فيها بالهناء بين المحمديين./ بعد الظهر كنا على ظهر سفينة "سميراميس" التي [٢٠٠] ستقلنا إلى تريست *Triest*. وفي يوم التاسع عشر وصلنا إلى ميناء تريست. وفي ظهر يوم ٢٠ كان لقائي بزوجتي وأولادي بعد غياب دام حوالي سبعة أسابيع.

في الأيام التي تلت عودتنا انشغلت بإنهاء كل الأمور الشكلية التي تتعلق بدوري المسؤول في الرحلة، فقمت على الفور بتقديم كشف حساب عن الأموال التي تسلمتها على سبيل العهدة (ومن إجمالي مبلغ قيمته ١٠٠٠ [فلورين] تسلمته من خزينة الرحلات، قمت بإرجاع مبلغ ٧٢٨ [جلدر])، ثم توجهت بصحبة شريكيَّ الآخرين في قيادة الرحلة – بلاتس *Platz* وبيوتي

Beöthy– لزيارة كل من فلاسيكس **Wlassics** وكلاماريك **Klamarik**[1]، كي نقدم لهما تقريرًا شفويا عن الرحلة والنجاح الكامل للمشروع. وقد تجاوزت التعليق على دعاية الأكاذيب التى صدرت عن صحيفة يهودية التى أراد مدير تحريرها أن يفسد على الأسبوع الأوربى من خلال نشر أجواء من رائحة كريهة عن شخصى، فكنت هادئًا ولم ألتفت لما روجوه عنى من أننى كنت خادمًا لدى بيوتى **Beöthy** وأنه كان يقوم بنوع من الانتقام الخفى منى مقابل إطعامى. على كلٍ، ينتهى بذلك دورى"الريادى للبعثة". وأما فيما يتعلق بجميع المضايقات التى واجهتنى على مستوى تنظيم المشروع، وفيما يتعلق بكل ما قمت به من إنجازات لإخراجه على أكمل وجه، فلم يعترف بذلك أحد ولم تُعبر جهة أو شخص عن شكر أو فضل تجاهى إلا فى أضيف الحدود. لقد كان معى "زملاء قادة"، ولهذا تحتم على أن أتبع سياسة خاصة، وهى أن أحدث نوعًا من التوازن فيما بيننا، بحيث لا أبدو فى صورة "القائد الأعلى"، رغم أننى من الناحية الرسمية كنت المسؤول الأول. وبالتالى استطعت أن تكون علاقة المودة والصداقة الحميمة التى لا يعكر صفوها شىء، هى الأساس الذى ينبغى أن نحافظ عليه، وأن يسود أثناء معايشتنا وتعاملنا فيما بيننا على مدار عدة أسابيع. ولم أستخدم حقى "كقائد أعلى" إلا فيما استوجب التفكير فيه والعمل من أجله، وحيث تحتم على أن أظهر بصفة شخصية وأن أستفيد من علاقاتى الشخصية لصالح البعثة، وحدث ذلك بالفعل؛ فقد كان "لي" دورٌ فعال فى توفير أموال لصالح المجموعة من خلال القنصلية بالقاهرة، وحين تمكنت من خلال علاقاتى من إحضار نافيل **Naville** – وهو العالم الشهير– لأن يكون دليلاً سياحيًا لها فى الدير البحرى؛ وحدث ذلك أيضًا حين وفرت مصاريف الفحص الجمركى وغيرها الكثير من خلال كتاباتى التى

---

(١) **J. Klamarik** (١٨٣٢– ١٨٩٨) تربوى وسكرتير عام بالحكومة.

توجهت بها لإدارة الجمارك فى تريست *Triest*، وقد تردد القول بأن "مجلس الإدارة"[١] قد طبق القانون على كذا وكذا، إلا أن صديقى *B*[٢] قد طلب إعطاء الضوء للتجاوز عن كل ذلك، بحيث بدا للجميع كأنه هو الذى قام بنصيب الأسد فى الإنجازات التى تمت بالرحلة، وهو فى الحقيقة لم يساعد فى أى شيء. فكل المواقف التى تطلبت وقف أية تجاوزات شخصية كنت أول من يتصدى لها بكل سرور على اعتبارى "المكلف الرئيس بتنفيذ الأعمال"[٣]. إننى لا أتذكر ذلك من أجل تخليد التفاصيل المتعلقة بمثل هذه الأمور، لأن معانى السعادة والفرحة التى ارتبطت بهذه الرحلة قد غطت على المواقف المؤلمة والمكدرة لصفوها - وهى قليلة - التى تأذيت بسببها من وقت لآخر من جانبهم؛ بل إننى أنظر لهذه المواقف ذاتها على أنها ذكريات لذيذة فى حياتى./

٢٠١ ٢ مارس

يا أيها الناس.. إننى أرغب فى مساعدتكم!

كان من الطبيعى أن يُقام احتفال بمناسبة دخولى رسميا "لمكتبى" يوم وصولى. الجميع وجد أننى أبدو بصحة جيدة وتمنوا أن أكون على هذه الهيئة على الدوام. على أن كنيست إسرائيل قد أبدى ملحوظة عامة، وهى أن الشمس "أحرقتنى" كما يبدو ذلك على وجهى. وقد وقعت على أذنى هذه الملحوظة طوال اليوم عشرات المرات.

---

(١) وباللغة المجرية "*vezetőség*".

(٢) اختصار لبيوتى *Beöthy*.

(٣) باللغة المجرية *főintéző*.

مع قيام مفتش الإدارة التعليمية برنهارد مونكاشى ***Bernhard Munkácsi*** بثورة ضدى بحجة سطوتى على التعليم، انتفضت الإدارة الفعلية للدفاع عنى، ولكنهم اشترطوا فى حالتى تلك ضرورة أن أخرج من هذا الصراع منتصرًا، ووجهة نظرهم كانت تستند إلى نقطتين، وهما:

١- أنه يتحتم على كل فرد أن يعلم من بيده زمام الأمور فى هيئة تعليم الجالية اليهودية فى بيست ***Pest***.

٢- ألم يكن من الواجب على هذا المفتش الغبى أن يعرب عن عميق امتنانه تجاهى على ما قدمت له من خدمات جليلة بداخل وخارج دائرة عمله منذ أيام دراسته وحتى الآن، (ويمكن لأى فرد أن يطلع على ذلك على نحو أكثر تفصيلا فى لفافة الملفات المدونة).

وهو مع ذلك احتفظ لى بحق فى هذه المواجهة، وهو أن البلورة الجمالية لمعايشاتى أثناء هذه المدة الزمنية قد اكتملت فى مسيرة عامها الحادى والعشرين من بؤسها. هناك من بعث الروح فى متمرد خائن -كما هو واضح الآن - من خلال مسه لسان حال إذلالى ومهانتى فى مجال كان من الممكن بدهيا لحدث مثل هذا وحده ألا يكون له به أية صلة؛ ولكن سأعتبر نفسى شخصا لا يُحتمل حين يحدث ذلك فى مجال كيان تعليم الجالية اليهودية دون رد فعل منى. وحتى هذا الوصف قد طفا على السطح بالفعل. لا شك أن جوًا من التناغم على غير العادة يسود سطح هذه الكرة الأرضية اليهودية. والآن دخلت حياتى فى هذه الدائرة إلى مجال الشىء الذى بلغ الاكتمال، فقد استدارت الكرة على أكمل وجه، ولا تتوق نفسى لأتمنى مزيدًا من الفحش والسوقية عن ذلك.

١٠ مارس

الآن ينشغل أصدقائى بكل نشاط وحيوية بقضية نزاع غبية، كان سافاس باشا *Savvas Pascha* قد وجه لي هجوما على على أثر ما كتبته قبل ثلاثة أعوام من نقد فى حق دروى موسلمان *Droit musulman*(١) ونُشر فى "المجلة البيزنطية *Byzantinische Zeitschrift*"، ثم أخذ التركى العجوز يدافع عن نفسه بلا توقف، حتى إنه لم يترك لي حق الرد عليه فى هجومه العنيف، سواء من الناحية العلمية أو من زاوية الجزء الشخصى لهجومه. والشيء المرح فى هذا الأمر أنه ذكرنى بالتوصيف التالى: "مستشرقًا لا يخفى على أحد أصله الطورانى باسمه المتألمن الذى يسمى نفسه به". فالدم المنغولى يجرى فى عروقى، وهذا يفسر نقدى اللاذع الذى وجهته لعمله. وبالمناسبة، لقد اكتشف سافاس أننى لم أدرس قط دروى موسلمان *Droit musulman* ولا أعرف مّا يفهمه الناس عن "علم الأصول"./ ونظرًا لأن المؤلف اهتم بأن [٢٠٢] أتسلم نسختين من دعوته القضائية، فقد أتيحت لي الفرصة فى أن أرسل واحدة منهما إلى سناوك *Snouk* – إلى باتافيا *Batavia*.

الأول من أكتوبر

مضت سبعة أشهر هباءً منذ تركت مذكراتى ولم أقترب منها؛ فلم يحدث لى ما يستحق التدوين أثناء هذه المدة الطويلة؛ بلى.. هناك أشياء قد حدثت بالفعل. لقد اضطررت طوال تلك الفترة أن أحتوى جملة من سلوكيات فظة وأعمالا جافة غليظة من أناس كُتب على أن أدور فى فلكهم لأعيش حياة

---

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق الذكر، رقم ٤٠٤.

الشهداء. هناك أمور سيئة تصيب التزاماتى تجاه الوصاية فى مقتل، وتقف بمثابة حجر عثرة فى طريق مواصلتى لها. لقد بات ابن أختى يتردد على أسوأ وأخبث أماكن اللهو والخلاعة التى تقام بمناسبة الاحتفال بمرور ألف عام على الرايخ، واستسلم لحياة الحقراء، مما جلب على رأسى من الغم والكرب وعذاب النفس ما يكدر صفو حياتى. وإذا تجاوزت هذا الأمر فإن دائرة حياتى لا تخلو من الهموم والمرارة. لقد فاض بى الكيل وخارت قواى وتحتم على نفسى أن تلقى ما بداخلها من أعباء تنوء بحملها الجبال.

ورغم ما سبق لم أتوقف عن العمل؛ كتبت لمجلة "مجمع المستشرقين الألمان ZDMG"[(١)] عن مصادر ومراجع جديدة للتراث عند المحمديين، وأرسلت مقالة لمجلة جلوبوس**Globus** بعنوان "عن آكلى لحم البشر من المصادر الشرقية"[(٢)]. ثم جاء وقت الإجازة متسللاً، فقررت أن أقضيها هذه المرة مع زوجتى وأولادى واتجهنا جميعا إلى منطقة "باد بورتشنو **Bad Borosznó**"، حيث مكثنا بها فى الفترة من ٧ يوليو وحتى ٢٥ أغسطس. غمرتنى السعادة فى أن أكون على اتصال مباشر بولدىَّ، وأن أقوم مجددًا، وعلى نحو مكثف، برعايتهم تربويا، وأن أزيدهم فى علمهم الذى ينبغى أن يحصلوه بما يتماشى مع قضاء هذه الإجازة. واحتل درس الكتاب المقدس بؤرة حديثنا، حيث تطرقنا لبعض من أبدع المزامير به. وقد لاقت هذه المحاضرات من الرضى فى نفسى ما يفوق ما يمكن أن أشعر به من ارتياح فى أشهر مؤسسة علمية بنصفى الكرة الأرضية. قضينا أيامنا هنا ويرافقنا

---

(١) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٤.

(٢) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٠.

كارمان Kármán[١] وعائلته، وشعرت بمتعة حقيقية فى تعاملى مع هذا القديس ورغبتى فى التثقف منه والاستزادة من علمه. وفى أغسطس انضم إلينا بيترفاى Péterfy[٢]، وكان هذا من حظ ولدىَّ لما أولاه لهما هذا الرجل المرح من وقته الثمين؛ كان يجلس يوميا فى وسط تجمع الأولاد للدرس، ويشجعهم على روائع هوميروس التى فتحت شهية الأولاد على استقبال العديد من أشعار الغناء بالأوديسة. كما أنه قام بعزف الموسيقى وتعليمهم إياها، وسمح بكل حب لهؤلاء المتعلمين أن يرافقاه فى رحلاته إلى المناطق المحيطة بالغابات وسلاسل الجبال. إن التعامل مع هذا الرجل واسع الثقافة والعلم أدخل على قلبى السرور والسعادة بلا حدود، وإننى لهذا مدين بالشكر لبيترفاى Péterfy على الصداقة التى أولاها لي شخصيًا، وعلى الشغف الذى أثاره فى نفس ولدىَّ[٣]. /

٢٠٣ لم أتوقف عن العمل فى فترة الظهيرة من كل يوم؛ وانشغلت بشدة فى الكتابة الجادة، فأرسلت مقالاً لمجلة "شملة البودابستية Bpesti Szemle" يحمل عنوان "عن الحركة فى مملكة المهدى"[٤]، ومقالة بحثية عن "مظاهر تقديس الأولياء عند المحمديين"[٥]. وهذا البحث الأخير هو فى حقيقة الأمر ثمرة رحلتى إلى مصر؛ وعن موضوعه قمت بقراءة مجموعة من المؤلفات باللغة

(1) Th. von Kármán – L. Edson: The Wind and Beyond. Boston-Toronto, 1967, p. 31

(٢) E. Péterfy (١٨٥٠– ١٨٩٩)، أستاذ علم الجمال ومدرس ببودابست.

(٣) راجع كتاب تسيماندى (حياة وعصر بيترفاى)، بودابست عام ١٩٧٢، الصفحات من ٣٤٨ حتى ٣٥٠ P.I. Zimándi: Jenós Péterfys Leben und Zeit. Budapest 1972. pp 348-350

(٤) انظر B. Heller ، مرجع سابق، رقم ١٨٨.

(٥) نفس المرجع السابق، رقم ١٩٩.

الإنجليزية، كما كان بينى وبين الدكتور كاوفمان ***Kaufmann*** مكاتبة علمية شيقة فى هذا الصدد بعثت بها إلى كارلسباد ***Karlsbad*** وإلى هيرنجس دورف ***Heringsdorf***. لقد كان لأيامنا التى قضيناها فى باد بورتشنو ***Bad Borosznó*** مردود طيب ومفيد على صحتى وصحة زوجتى، هذا إذا ما تجاوزت الهم والغم الذى سببه لنا ابن اختى وأثره السيئ على نفسيتنا عقب عودتنا مباشرة وإفساده لبهجة الرحلة.

٢٧ - ٣٠ سبتمبر

توجهت إلى فيينا بغرض سد بعض الثغرات الخاصة بعملى الأدبى فى المكتبة الملكية القومية. وهنا تواصلت أيضًا مع السيد موللر ***D.H. Müller*** الذى لم يغفر لى أننى لم أرغب فى أن أؤيده بلا تحفظ فيما ذهب إليه بشأن استفسار نولدكه ***Nöldeke*** عن موضوع المقاطع الشعرية البديعة. إن هذا الوصولى البولندى أثار دسائس من وراء الكواليس لدى أناس على خُلُق لا يمكنه أن يبلغ ما بلغوه من فكر ونية صادقة، فلم يجد حوله من يواسيه على إخفاقاته فى مضاربته ببورصة جمع المال، لأنه لم يقصد - وفقًا لرواية أعز أصدقائه- من وراء كل هذه الضجة لعمله سوى جمع المال.

بمجرد عودتى إلى بلدتى وجدت أمامى على الفور السيد الدكتور شيستر ***Dr. Chester*** [١] القادم من بوسطن، وهو زميل جديد لجامعة هارفارد. وهذا الشخص كان يتراسل معى من سوريا التى قضى بها عاما، ورغب فى

---

(١) *F. D. Chester* (لا علم بتواريخه) - انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، رقم ٢٠٠.

الحضور إلى هنا فى بودابست لعدة شهور - رغم تحذيرى له بالعدول عن هذه الفكرة- من أجل أن يلتحق بدرسى ومحاضراتى. ووفقا لما قاله إنه يعتبر نفسه أحد تلاميذى من خلال كتابى "الدراسات المحمدية". من هنا نفهم أن هناك من يرغب فى الحضور من أمريكا إلى هنا مباشرة من أجل أن يحقق إفادة علمية على يدى؛ وهذا يعنى حتما أن قامتى العلمية ليست بهذا السوء والبغض الذى ينشره ويروجه بنو عقيدتى فى كل مكان. ولعل ذلك يعود على بشىء من النفع المادى- حيث إننى أستاذ بالمكافأة - غير مدفوعة إلى الآن - بجامعة الرايخ البالغ عمرها ألف عام! على أننى أفطن إلى ما يتردد على سمعى من قصص وحكايات يروجها علماء بودابست من بنى عقيدتى، من أن هذا الدكتور شيستر *Dr. Chester* ليس بأمريكانى ولا يحزنون، وإنما هو أحد اليهود البولنديين الذين يعيشون فى الأزقة، وقمت بدفعه وتحريضه على الادعاء بأنه قادم من أمريكا، وأنه تحمل مشاق السفر من أجل أن يستمتع بدرسى وعلمى!

فى هذا التوقيت أيضًا نُشر أخيرًا بالأسواق المجلد الأول "لأبحاثى ومقالاتى"؛ وكان على أثر ذلك أن تلقيت خطابات تهنئة ومديحًا من المحققين والباحثين، وعلى رأسهم نولدكه *Nöldeke*. وقد كتب عنى دى جويه *De Goeje* مقالاً نقديا فى صحيفة *Jour. Asiat.* مقررًا فيه اعترافه بقدرى وقامتى العلمية. كما أن بهذا الإصدار كتب جيدى *Guidi* فى مجلة *La Cultura* بضع كلمات فيها الخير والاستحسان. وأما من جانبى فإننى لا أزال أواصل كتابة مقالاتى النقدية بتكليف من صحيفة الأدب الألمانية *"Deutsche Literaturztg"*. /

وهذا العمل لم يحقق لي من السعادة إلا القليل؛ فالجدية التى أمارس [٢٠٤] عملى بها، والجهد المبذول من أجل الاهتمام والعناية بالموضوع، لا يتناسبان مع الإفادة المحدودة التى يمكننى أن أحققها للعلم من خلال هذا.

٤ أكتوبر

لا يتوافر ثمة دليل ولا إشارة فيما يتعلق برئيس يهودى! ولكن ترامى ذلك مرة واحدة على الأسماع! لقد أعددت مذكرة كبيرة بخصوص طلب بعض الحقراء فى تأسيس جالية يهودية جديدة هنا، مدعمين طلبهم هذا بحجج هى عين النصب والخداع، وراجين الوزارة - استنادًا إلى قانون حرية الأديان- الاعتراف بطائفتهم المنشقة. ورغم أن هذا الأمر لا يدخل فى إطار عملى الوظيفى (حيث إننى كاتب وليس رجل دين) فقد خضعت بكامل إرادتى للقيام بهذا العمل غير الهين. وهنا أعرب أحد تجار الصوف العاديين عن اعتراضه على حججى اللاهوتية، قائلا: إنه لا يمكن أن يعتنق مبادئ دينية أعلن عنها فى الموضوع. وبنفس هذا المعنى أفصح غيره من المرابين الذين حضروا هذه "الجلسة"، باعتبارهم الأعضاء المؤسسين للجالية، وهم ستة أفراد فى مجموعهم، وهم جميعهم أعلنوا عن رفضهم لشخصى لعدم الاختصاص فى هذه الأمور. إننى لا أذكر على هذه الصفحات ما هو هزل ومثير للضحك، ولكن ليس هناك أكثر إشراقا وإبداعا على أذن السامعين من ملحوظة أحد يهود المال المتقدم للمشهد، من أنه يلاحظ على (وتحديدًا يا من يطلق عليه جولدتسيهر) "غرور الكُتاب". ولكن ما هو حقيقى هو أنه كان يتحتم عليهم النهوض من أماكنهم فى مثل هذه المواقف التى تنتشر فيها

البراغيث. ومن حسن الحظ بالفعل أن تظل هذه الأمور الممتعة الجذابة أمام أعداء السامية سرًا من الأسرار.

١٠ أكتوبر

أهكذا أقف وحدى فى منتصف بركة من الأنانية والوصولية! أليس لى من أقرباء؟ لقد تمرس أبى المسكين على طقسة التضحية بذاته فى سبيل إخوانه وأخواته وأقاربه. وهذا ما فعلته بدورى؛ فقد ضحيت بما يكفى مما أملك من مال وكلام، وكنت سببا فى تحقيق، والتشجيع على سعادة البعض. وكل ما قدمته من دعم، يتحدث عن لسانى من تلقاء ذاته. وما من نفس واحدة من بين هؤلاء الأقارب، من الدم واللحم ذاتهما، تجدها تشاركنى مشاعرى فى الفرح والترح. ويا ليت الأمور قد سارت هكذا فحسب، بل إن بعض من أسديت لهم الخير ينضمون إلى أعدائى الشائنين... هذه تجربة لابد أن يخوضها الإنسان لكى يضيف كل وضاعة هؤلاء البشر باعتبارها يقينا مدمرا إلى جميع المعارف التى جمعها كل منا عن وقاحة البشر.

١٥ أكتوبر

"كل ما يحيط بى ليس من قبيل الظن

فهو يدفعنى دفعًا وينزل بى المهانة"/

[٢٠٥] وقائل هذه الكلمات، وهو الشاعر "بلاتين ***Platen***" يفتش عن السلوان فى "القصيدة" التى اهتدى إلى نفسه كليةً بها. وإننى بدورى لست وحيدا كليةً

فى هذا العالم. فى منتصف هذه البركة التى سقطت بها أجد طوق النجاة المنقذ لى هو العلم والتضحية فى سبيل الواجب، وهذا ما يتبين لى يوما بعد يوم. من أجل هذا فقط تحتم على فى ريعان شبابى أن أهب نفسى للعلم حتى يكون أمامى فى عمر متقدم شجرة حياة أتشبث بها. إن العلم لم يجلب على بيتى الزاد والزواد، ولكنه هو غذاء للروح، ومواساة للنفس.

٢٠ أكتوبر

أخيرا انكشف كل شىء! ولكن من أين جاء بالفعل أن أصحاب السلطة بالجالية اليهودية منذ فترة من الزمان ينظرون لى باحتقار غير معلوم أسبابه، ويقابلوننى بتهكم وبسخرية مقترنين بالتكبر والغطرسة، ولا يمكن فهم ذلك إلا عندما يلحق بهذه السطور رسم بالريشة مظلل لتفرس ملامح الوجه. هؤلاء الأفراد على اتصال الآن بالوزراء ومجالس الوزارات، بالبارونات ورؤساء الأحزاب. هناك صخب شديد فى البلاد تدشينا لحركة الانتخابات البرلمانية التى يقودها النظام الحاكم بأموال اليهود، ولهذا الغرض أيضًا يتم الآن استدعاء باشوات جاليتى، وتوزيع اختصاص كل منهم فى مكانة عالية من أجل "تدعيم" الشأن الليبرالى. وقد التمس رئيس الوزراء[١] من حاكم مجلس محليتنا السيد *K*[٢] شخصيا تقديم "هذا الدعم"، وقيل إنه حصل بهذه المناسبة على لقب "الصديق العزيز"[٣]. وقد حصل قبل ذلك بفترة وجيزة على نوط

(١) البارون د. بانفى *Baron D. Bánffy* (١٨٤٣- ١٩١١) رئيس الوزراء.

(2) S. Kornfeld.

(٣) باللغة المجرية "*kedves barátom*".

شرف. وعقب ذلك مباشرة قام محاسب هذه الجالية الدينية بتكليف من رئيسه – وبشكـــل غايـــة فى التميـــز– بتجهيـــز فهرست "لأغنى أغنياء" اليهود. ألا تخجلون بسبب الغرور الذى مهد الطريق أيضًا لهذه الوحشية، من أنكم لم تتبصروا أى احتقار لأخلاقكم عند قبولكم فى غاية السهولة والبساطة لأن تكونوا مجرد أدوات قوية لعموم الفساد! إننى أشعر بالخجل فى أغوار نفسى!

ولكن، فى النهاية، انكشف الآن المستور! ولهذا السبب كانت مقابلتهم لى بهذه السخرية وهذا الاحتقار. إنهم يتحدثون مع الوزراء والبارونات، ويحملون معهم خزائن أموالهم، وهم يتحدثون إلى الكتبة كأنهم "سادة محترمون"[1]. إنهم – وهم محقون بما يملكون من أسباب– يحتقروننى ويسخرون منى. تجد منهم من يتهكم عليَّ فى أسلوب كلامه معى، فلا ينادينى مطلقا بأى لقب آخر سوى: "سيادتك يا بروفيسور! من فضلك اكتب لنا تصورا جميلا مثلك، يكون كله نشاطا وحيوية مثلك، يا ترى هل يمكنك ذلك!". وهناك آخر قال لى بالأمس، إننى "مثالى" – وهذه كلمة نابية فى فكر سعادة الخياط "أعلاه" الذى ألقى بنفس الكلام فى وجهى. وهناك ثالث، وهو أحد المتباهين بالأموال المذكورين هنا، تجده لا يخجل من وقاحته، ويتهمنى "بالغرور"(!)

تسلمت توا أمرا بإعداد عمل خالد، على النحو التالى: "تنظيم مناضد أكل اليهود المقدس". بالفعل قبل ثمانى عشرة سنة كنت قد قمت/ بمثل هذا العمل البديع. وإذا بالممول للانتخابات الذى تحلى بحصوله على نوط شرف فرانس جوزيف من الطبقة الثانية يقول لى فى هذه اللحظة بخنفان: "ولكن من

٢٠٦

---

(١) باللغة المجرية "*nagyságos*".

غير تأخير مثل عادتك." وفى هذا إشارة إلى أسلوب عملى السيئ المعروف لدى الجميع.

أيا عزيزى الملك أوسكار!

فى هذه الأثناء صار لدى قناعة من أن الطالب الأمريكى الدكتور شيستر ***Dr. Chester*** يعبر بصدق عن فرحته ورضاه من أنه جاء إلى هنا عبر المحيط لكى يجلس "تحت قدميّ". ومن الجماعات التى تتهكم على شخصى ومن مواليهم الذين يعتبرون إذلالى من أعمال الخير، هناك من يحرص على الإبحار "إلى أمريكا" لأسباب أخرى. إننى أتعاطى ثلاث مرات أسبوعيا منذ أربعة عشر يوما مع شيستر البخارى ***Buhari*** عند القسطلانى ***Kastallani***، وتمركزت مناقشاتى الجدلية معه حول أسلوب معالجة المسائل الدقيقة. فى هذا التوقيت لا يوجد فى أوربا أستاذ لديه طالب واحد أكثر تحريا للحق فى العلم. ويا ليت هؤلاء الغوغاء من المباهين بأموالهم والممولين للانتخابات يعلمون ذلك قبل أى شىء فعلوه! صحيح أننى لم أتحدث عن هذا الأمر؛ ولكننى اعتبرت قدوم الدكتور شيستر لى بمثابة رسول العناية الربانية التى بعثته إلى هنا لمواساتى فى أيام لا مثيل لها فى الإذلال والمهانة.

٢ نوفمبر

أيا عزيزى أوسكار الطيب! كم من أيام استطعت فيها من أجل وجدانى المعذَّب أن أنتفض، وأستجمع قوتى التى منحتنى إياها من جديد لأتمرد على الذل والهوان.. وكم من لحظات لا تغيب عن ذاكرتى، ماثلة أمام عينىَّ على الدوام، حين التف من حولى من أشهر سيفه ومطرقته، وهبطوا بها على أطلالى بالهمز واللمز، والتشهير والبهتان.. ولكن كم كان الصراع يسيرا مع

التساؤل: ولماذ تجلس هكذا فى المستنقع وتستنشق على خجل هواءً منعشا منفتحًا عليك.. لماذا تتقوقع فى سجن معتم، فى حين باتت أبواب التحرر مفتوحة على الدوام؟ يجب أن يكون، يجب أن يكون، لابد أن أثبت، وأتشبث بذلك حتى الموت. لقد خُلقت لكى أكون خير نموذج للشهادة بعد الموت، من أجل شهادة يتعين على الإنسان التقى أن يعرضها ويجعلها فى خدمة تحقيق واجب غير مثمر. شهيدٌ من نوع فريد، لا يتبرع بدمه من أجل ذرة من نفع. وحيث إننى قدمت كل ما أملك من تضحية بلا جدوى، فذاك ما يجعل مأساة هذه المسيرة فى الحياة أكثر حزنًا بلا حدود!

٦ نوفمبر

إن وجود طالب العلم الأمريكى بين يدى يحقق لى سعادة غامرة. فنحن منذ أسابيع فى حالة انغماس فى دراسة المسلم، نفعل ذلك ثلاث مرات/ أسبوعيا، وغالبا ما تمتد حصة التدريس لأكثر من ساعتين، نتجول فيها ونغوص فى إطالة وعمق كاملين لساحة الأدب الدينى المحمدى. وأما عن شعور تلميذى بالارتياح والرضا، فهناك قرائن تدلل على ذلك. فالمحاضرة والتعامل فيما بيننا يجريان باللغة الفرنسية، وهذا ما يفسح أمامى الآن طريقا لخوض تجربة فردية لكشف الأوراق. ٢٠٧

فى هذه الأثناء وجه لي البارون "روزين *v. Rosen*" رجاءً لطيفا للغاية. ولعلنا نطالع رسالته المؤرخة فى *28* أكتوبر لكى نقتنع من أنه توجه لى بالرجاء بالسماح للسيد شميت *v. Schmidt*[1]، المقرر تسميته لمنصب أستاذ

(١) *A. E. Schmidt* (١٨٧١- ١٩٣٩) مستعرب روسى.

جامعى للعلوم الإسلامية بجامعة بيترسبورج، فى الحضور طرفى ببودابست، لكى يمضى بعض الوقت "جالسًا تحت أقدامى"، ليستكمل علمه فى درسه على يدي، بما يؤهله للوقوف على منصة التدريس. هذا نص الرسالة. إنهم يحجون إلى كاتب الجالية اليهودى المُحتقر، وافدين إليه من البلدان الأجنبية، من روسيا ومن وراء المحيط، لكى يستزيدوا منه بنور العلم والمعرفة. وهنا يمسكون بناصيتى، ويفعلون بي ما يشاءون، ويزدروننى، ولا يرعوننى حق الرعاية. ونظرًا لأننى لا أشبههم فى وقاحتهم، فهم يرغبون فى أن يضعوا رأسى فى الوحل، ويكشروا عن أنيابهم، وينفخوا سمومهم فى وجهى للقضاء على. ومن المهانة أن المقصود بالجملة الأخيرة هم بنو عقيدتى.

قبل بضعة أيام تقابلت فى الطريق صدفة مع أحد هؤلاء الرعاع، وفى لمح البصر تجنب لقائى وسارع بالتوجه إلى الجانب الآخر من الطريق. ومن قبيل الصدفة أن كانت هناك بركة كبيرة تفصل بين جانبى الطريق، فهى تفصل بالفعل بينى وبين هؤلاء الرعاع الحقراء.

بالفعل قمت بوضع حزمة من "التصورات"، ولكنها "جميلة"، ورغم ذلك وجـد البعض بهـا أخطاءً. وإننى أحمد ربي كل الحمد والشكر له على أنه لا يوجد من البشر من يبدد حياتى سوى هؤلاء الغوغاء آكلى لحم البشر. كم هو مخيف أن أجد نفسى رفيع القدر من هؤلاء الزملاء، ومنحط المقام بين هؤلاء الأوغاد. وكم كان يسعدنى اعترافهم بى!

أثناء الليالى كنت أتناول طوال الوقت نصًا لحاتم السجستانى ***Hâtim al-Sidshistânî***، وهو كتاب المعمرين، ومن المحتمل أن أنتهى من تحقيقه حتى إصدار طبعته، وأن أزوده ببعض الملحقات.

١٥ نوفمبر

من غير الممكن أن أدون هنا ما ألحق بي اليوم هذا الشخص الذى يُدعى باخر *Bacher*.

٤ ديسمبر

أتراسل فى الوقت الراهن مع الدكتور أخيليس *Dr. Achelis*[١] بمدينة بريمن *Bremen* بشأن مشاركتى المرجوة فى تأسيسه لمجلة جديدة خاصة بعلم الاثنولوجيا وعلم الأديان المقارن[٢]. كنت أتمنى أن أشارك فى ذلك بكل همة وحماسة كنت أملكها فى ريعان شبابى قبل ثمانية عشر عاما أو عشرين عامًا. حتى اللحظة الراهنة لا أفكر فى الانسحاب، ولكن بأى وجدان سأدخل الآن فى/ ميادين العلم النقية! أخبرنى رئيس تحرير صحيفة الأدب الألمانية بأن مقالاتى لاقت فى الدوائر المتخصصة "اهتمامًا بالغًا واستحسانًا كبيرًا"[٣]. ٢٠٨

٦ ديسمبر

صباح اليوم قاموا بتدشين المدرسة اليهودية الجديدة، وهو ما يعنى أنهم راحوا يثرثرون بالأحاديث الخمسة، بل إن تاجر الصوف شفايجر *Schweiger*[٤] استشهد بأقوال الأنبياء. وقد دخل معنا صديقى كوهن *Kohn* فى

---

(١) *Th. Achelis* (١٨٥٠– ١٩٠٩) عالم أنثولوجيا أو [علم الأعراق البشرية].

(٢) كان مسؤولا فى الفترة من ١٨٩٨ وحتى ١٩٠٣ عن تحرير أرشيف علم الأديان.

(٣) انظر *B. Heller*: مرجع سابق ذكره، من رقم ٤١٦ وحتى ٤٢٢.

(٤) *M. Schweiger* (١٨٣٤– ١٩٠٥) رئيس الاستشارية الإسرائيلية بالمجر.

مناقشة جدلية بشأن فضائل الوطنية (وفى حضور مسيحيين!)، ولكن لم ينطق بحرف واحد يتعلق بالواجبات المنوطة بمدرسة يهودية؛ وبعده ألقى المدير السيد شتيرن *Stern*[1] خطبة عصماء، ثم جاء الدور على عمدة المدينة بخطبته الدينية، وأعقبه المفتش العام للمدارس الملكية وهذى ببضع كلمات. وتركز محور الأحاديث البليغة لهذه الحملة الشرسة حول الأعمال الجليلة الكبرى الخالدة التى قام بها موزيس فارمان **Moses Wahrmann** من أجل شؤون التعليم لهذه الطائفة. لقد اعتادت أذناى على سماع الأكاذيب التى يتفوه بها المجتمعون فى هذه الدوائر، كما أننى اعتدت على ظواهر الإهانة التى يوجهونها لشخصى من كل ناحية، حتى فى مثل هذه المناسبة... يطلقون سهامهم على - فى مقر مدرسة الطائفة الدينية الإسرائيلية! فَليحيا.. الجهل والغطرسة! أول الأمس تلقيت كلمات مديح على تصور قدمته. "أخيرًا هناك شيء عظيم مكتوب".

١٧ ديسمبر

فى السنوات الخمس والعشرين الماضية من حياتى العلمية قدمت بالفعل دعمى لرفقاء تخصصى على استحياء، وكنت درعا لهم من الوقوع فى الأخطاء، صغيرة كانت أم كبيرة، ودائما ما رفضت تقديم الشكر لى؛ فالعلم ملكٌ عام للجميع. فما يعرفه أى منا، فهو ملتزم به تجاه الآخرين. ولا يوجد سوى ثلاثة أشخاص فقط هم الذين صدقوا علنًا على أخبارى: يأتى فى مقدمتهم العظيم المخلص نولدكه ***Nöldeke***، ولم يكن محتاجًا لتزيين ما يكتب

---

(١) *A. Stern* (١٨٥٥- ١٩٣٥) مؤلف كتب وعظ وتعليم، ومدير مدرسة يهودية ببودابست.

بما يكتبه الآخرون؛ ولكن حين يستعين بكتاباتى، وهذا ليس بقليل، فهو يفعل ذلك فى ظل دلالة غير مألوفة بالمرة على الاعتراف بقدرى. ويكفى أى منا أن يطلع على كتابه:/ "الطبيب وطاهى الطعام الناضج"[١]. ثم يأتى بعد نولدكه فان بيرشيم *Van Berchem*[٢] الطيب، وهو الذى تفضل بكتابة إهداء فى خاتمة الجزء الثانى من كتابه، مقرونا باعتراف طيب لمكانتى العلمية، لما قدمته من تعاون فـــى مراجعة النص الخاص بمتن كتابه! واليوم أقر ثالثهم بذلك، وهو الأستاذ (زايبولد *Seybod*[٣] بتوبنجن). فهو رغم تفهمه لكلامى له بوضوح كـــاف بشـــأن استغنائى عن تقديم أى شكر على ما قدمته له من "تلميحات"، إلا أنه أقر لي أيضًا بالشكر والامتنان، وأعلى من قدرى بذكر اسمى جنبا إلى جنب مع دى جويه *De Goeje*، وجيدى *Guidi*، ونولدكه *Nöldeke*، وأهدى لنا جميعًا – واصفًا إيانا "بفقهاء اللغة العربية الفصحى" – مراجعة نص كتابه الصادر تحت عنوان:/ "كتاب المرصع" لابن الأثير. ومن خلال تلميحاتى أكون قد وفرت عليه قدرًا من الفضائح، أو من تصدع الرأس على أقل تقدير. ولا شك فى جمال المجموعة التى وضعنى معها، ولذكن ذلك على الجانب الآخر سيغضب البعض. فالبشر لا تعرف معنى الرحمة إلا قليلاً منهم!

٢٠٩

فى الأيام الأخيرة انشغلت بوضع "رسم تصويرى" صغير "عن ديوان القبائل العربية"[٤]. وهذه المحاولة التى تشجعت فيها لأن أعيد تركيب نص

---

(١) تيـــودور نولدكـــه: الأساطيـــر العربيـــة عن الطبيب وطاهى الطعام الناضج، برلين ١٨٩١
Th. Nöldeke: Die arabischen Märchen vom Doktor und Garkoch

(٢) *Max van Berchem* (١٨٦٣- ١٩٢١) مؤسس علم دراسة النقوش العربية.

(٣) *Ch. F. Seybold* (١٨٥٩- ١٩٢١) أستاذ بلايبسيج.

(٤) انظر *B. Heller*، مرجع سابق الذكر، رقم ٢٠٠.

مفقود من الأدب العربى الجاهلى، كانت سببًا فيما بعد فى منحى العضوية الشرفية من قبل صحيفة *RAS* التى قامت بالنشر، امتنانا منها لحسن اختيارى. وقد عُنى الدكتور شيستر *Dr. Chester* بترجمة المقال إلى اللغة الإنجليزية.

أرسل لى إيبرس *Ebers* نسخة من أحدث رواياته، وهى رواية "باربارا بلومبيرج *Barbara Blomberg*". وقد أعرب لي الرجل عن محبته وتعاطفه رغم صروف الحياة وتقلبات الزمان.

١٨٩٧

٢٠ يناير

بدأ العام بمجموعة من "وضع تصورات"، ليس دائما من أجل إرضاء رؤسائى. فقد ادعى البعض بأن ما لديه من خبرة تبرهن على أن كتاباتى "جافة" للغاية؛ إننى لم أنل إعجاب الأفكار المبللة لهؤلاء المتباهين بأموالهم، وإلا فذلك يُعد بمثابة النهاية الأسلوبية مع بداية العام الثانى والعشرين لممارستى مهنة الكتابة. وقبل عشر سنوات هناك من اعتبر أسلوبى يتسم بالتملق والثرثرة. وأحمد الله أن أسلوبى لم يحظ برضاهم!

٢٢ يناير

حضر لدى اليوم السيد ف. شميت*v. Schmidt* قادما من بيترسبورج *Petersburg* لكى يتبحر فى العلوم الإسلامية على يدي. لقد قام برحلته إلى هنا فقط لتحقيق هذا الغرض، وهذا يعنى أننى أصبحت قبلة يتجه الناس إليها للتزود بالمعارف الإسلامية. وهذا -على حد قول زوجتى- يحمل دلالاته،

فهناك جامعات كثيرة بين بودابست وبيترسبورج! ولاشك أن الأمر يتعلق بعلمى فى هذا المجال، رغم ما يردده بنو عقيدتى الذين يطلقون عنانهم فى تصغير حجمى.

٢٦ يناير

فى يوم ٢٣ من الشهر توفى ابن أختى "امره"*Imre* فى آراد *Arad.* وبصفتى الأخ الوحيد لأمه سافرت إلى آراد، لكى أرافق نعش الشاب المسكين الطيب إلى مثواه الأخير. وبهذه المناسبة مكثت يومين لدى أقارب زوجتى، ولم أبغ حقًا أى إسراف وتبذير فى مثل هذه المناسبات الحزينة.

٥ فبراير

انقضت الأيام ما بين "وضع التصورات" وقيامى بالتدريس للشابين الأجنبيين. وسعدت بجلوس كل من الشابين – الأمريكى والروسى – تحت [٢١٠] أقدامى لتلقى العلم./ فقد منحنى هذا الأمر إحساسًا فريدًا بذاتى، فلا يمكن تصور مدى تطلعهما لما يأتى "على لسانى"! إننى أجلس إليهما ثلاث مرات فى المساء كل أسبوع، وأمنحهما كل ما لدي من علم، وفى كل مرة تستغرق حلقة درسي ساعتين، تناولت فيها البخارى *Buchârî* والشعرانى *Scha • rânî.* ويا ليت الزمان أجاد علي بإتاحة الفرصة لمثل هذا الدرس قبل عشرين عامًا، حين كنت أتصدى للأمور ذاتها بقدرات أعلى تمامًا!

إننى أشعر الآن فقط أن كل ما يتعلق بالأمور الإسلامية قد اعتراها شيء من الاغتراب فى نفسي على اثر اشتغالى بالحقبة الجاهلية

Dschâhilijja، لقد حل منذ ذلك الحين فرسان وأساطين الوثنية محل الإفتاء الدينى، واحتل أبطال البيداء مكان رجال الدين. وعلى أية حالٍ فإنها كانت فرصة جيدة أفسحت لي المجال لأن أستحضر ما حفظته ذاكرتي مرة أخرى، وأن أتأمله الآن أيضًا بتدبر، وأستغرق فى أفكاره بنضج، مثلما كان يحدث فى مرحلة ما بعد الأزهر، حين كنت أنا شخصيًا أقرب لأن أكون مفتيًا إسلاميًا عن أن أكون شابًا قادمًا من الغرب طلبًا للعلم.

٩ فبراير

بالأمس تركت لنفسى الشريرة رغبتها بما تحدثنى به من إغراءات فى أن أخون مبادئي "وأن أسلك فى مشورة الأشرار وأن أقف فى طريق الخطاة، وأن أجلس فى مجلس المستهزئين." منذ خمسة عشر عاما كنت أتجنب حضـــور اجتمـــاعات ما تُسمى بندوة الأخبار المحلية. وتتألف هيئتها من ٢٤ عضوًا، وأما مهمتها المنوطة بها هى الإشراف على أعمال هذا المعهد الديني المهم للغاية الذى يخرج رجال الدين للعمل بالجاليات اليهودية. ويأتى علـــى رأس هذه اللجنة السادة: م. شفايجر *M. Schweiger* ودكتور سيمون *Dr. Simon*، ومن المفترض أنهم نخبة المتفقهين فى مسائل الدرس اللاهوتى، ممن قدمتهم اليهودية المجرية. إن الجلسات التى عقدتها تلك الهيئة منذ سنوات كثيرة هى لقاءات شكلية لعدد من اثنين إلى ثلاثة أفراد، عادة لا يمكن طرح موضوع إشكالية جدير بالتقدير عليهم. وباعتراف الجميع فإن لجنة التعليم الخاصة بهذه الهيئة لم تعقد جلسة مشورة واحدة على مدار خمسة عشر عاما كاملاً. وحتى عام ١٨٨٢ كنت العضو العامل الوحيد للهيئة ذاتها،

وقدمت كل ما أملك من وقت وجهد من أجل تحسين الأوضاع التى أصابها الصدأ بمدرسة الحاخامات، ولكن - دون جدوى! فقد أحالت المكائد والدسائس والنمائم دون مشاركتهم فى الأمر. والآن ينفجر الضجيج الأخلاقى فى هذا المعهد، وأعلن المدرسون هذا الأمر فى مذكرة سطحية. وقد دعا الرئيس العام السيد شفايجر اللجنة للانعقاد لدراسة الموارد التى تعين على تغيير الوضع. وقد رأيت أن هناك ما يغرينى لأن أحضر الجلسة.

كان من واجبى أن أنتهز الفرصة فى أن أشير إلى أوضاع الدرس والتربية فى هذا المعهد دون مواربة. وفى خطاب مطول شرعت/ - وأظن [٢١١] أن هذا ما يفعله كل يهودى عفيف شريف - فى تطوير قناعتى بالنظر إلى الواجبات المنوطة بعمل أى مؤسسة علمية مهمتها تخريج قادة الحياة الدينية ليهود المجر. ورأيت أن الأمر لن يحرك الأمور دون ذكر بعض الحقائق المريرة، وعندما كنت أنطق بها كان الأستاذ الدكتور باخر ***Bacher*** يتجشأ بطريقة لا تمت بأقل درجات الأدب واللياقة فى شىء، وكأن الأمر يتعلق بنزع فتات مما يملكه من موارد مالية تخصه شخصيًا. ولم يحظ حضورى هذا بالتعبير عن الامتنان لشخصى، ولا بكثير من النجاح للصالح العام. فقد هب التجار الأثرياء والحاخامات الجهلاء والمدرسون الذين لا ضمير لهم، ممن وجهت خطابى إليهم، بتوجيه كل ما يملكون من اعتراضات وضيعة، وسخافات وجهل، لا سيما أن فيما كنت أذكره يخص المدرسين والحاخامات. فالجميع كانوا على قناعة من أن الوضع السيئ لحلقة الدرس لا يمكن تغييره إلا بتوفير الدعم المالى للطلبة، وهو ما يرغبهم فى الدراسة. وفى كلمة الختام رغبت فى التأكيد على رفضى لهذا الرأى، وختمت مشاركتى فى هذا الأمر بالكلمات التالية: تحدث الكتاب المقدس ذاته أيضًا عن أدعياء النبوة - والذى

أقتبس منه الكلمة العابرة التى من شأنها أن تهدىء من روعى، قلتها لكى تنقذ حياتى – وهم قد حسبوا أن التأكيدات المسكنة يمكنها أن تواجه أزمة وطنهم، وأنه من الممكن حجب المفاسد ببضعة دراهم. وكما تصدى النبى لعدوه بهذه الكلمة، فإننى أتوجه إليكم بكلمات الرب التالية: (**והנה נפל הקיר הלוא יאמר אליכם איה הטיח אשר טחתם**)

"وهو ذا إذا سقط الحائط أفلا يُقال لكم أين الطين الذى طينتم به"

مع بدء الجلسة حدث ما يلى، وحق علينا هنا أن نسجلها لجميع العصور: اعترف باخر الذى دفعت به الظروف إلى الضيق، بأنه أخطأ قبل سنوات طويلة فى حق إ. ل. حين سار على دربه منتحلاً بأحقر الأساليب. إن الرجل الساذج يعترف مستنكرًا نفسه "كنمَّام بائس لا خُلق له. كان الموضوع يتعلق باختيار إ. ل. عضوًا بهذه اللجنة. وأتساءل: ما هو الموقف تجاه المواءمة الأخلاقية لهذا الرجل. عقب ذلك خرج تصريح لسلوفاكى بصوت متوتر، يقول أن هذه المسألة تم تسويتها على يديه: إنه أنهى منذ ذلك الوقت كسارق حقير قبل سبع سنوات الصداقة الحميمة مع الشخص الذى شُهر بسمعته. وعندما يكون ذاك ليس "شخصًا غير بائس" فإنه لا ينبغى أن يحدث حراك، (أى لعلم المصطلحات الخاص بأخلاق الحاخامات.)

٣ مارس

نفس ما سبق ذكره. عقدوا مساء اليوم جلسة أخرى، وكنت مضطرًا لأن أتوجه إلى هناك، وأعدل وجهة نظرى إلى الطرطوف وتاجر الصوف. ونتيجة لذلك/ حدث تصدع شديد فى عقيدة كاوفمان *Kaufmann.* فقال لى "إن [٢١٢]

يهوديتكم (وهو يقصدنى) تسبح فى روحانيات، وإننى (أى كاوفمان *Kaufmann)* أعيش فيها". كما لو أن أى شخص يتصور وجود مجال يمكن أن يحتفظ فيه كل منا بديانته. ويستمر الكلام بالانفعال نفسه وبقوته؛ إن ميولى الفكرية تطابقت مع مثيلتها عند شتاينتال ***Steinthal*** ، إننى أتعامل مع كل التيارات، من الإلحاد والعدمية، إلى غيرها من النزعات.

واعتراضا على كل هذا التطاول والتعجيز، قمت بسحب طلباتى، إذ إن من أراهم يتحدثون أو أن ينعزلون عن المعسكر النقى لا ينتمون إلى مجتمع يتناسب معى، ولابد أن يجتمعوا ويغلقوا دائرة على أنفسهم - خارج المعسكر النقى- كأنهم مرضى الجزام، مع تعليق لافتة تحذير عنوانها "لا مساس" كى يبتعد جميع البشر الشرفاء عن التلامس معهم.

٥ مارس

وجه إلى عميد الكلية - بناء على تكليف من وزير التعليم- سؤالاً عن حقيقة رغبتى فى تمثيل الحكومة والجامعة فى مؤتمر الاستشراق المنعقد بباريس. بطبيعة الحال كان ردى: نعم. لابد أن يكون مكانى الطبيعى هو تواجدى فى مجتمع يتحلى بالأدب، ولا يسمح دائما بأن يتأثر بالضجيج الشرس والفظ والفج الذى يثار فى حجرات صغيرة خاصة فيما يتعلق بإقامة طقوس الجالية ومحاضرات الحاخامات، إذ لا يزال يطن فى أذنىّ الضجيج الحقير لمدرسين يقومون بالتدريس بحلقة درس الحاخامات. هؤلاء هم أناس تأبى نفسي بلا تردد أن أمنحهم أهليتين؛ أصالة العقيدة، وصلاحية تعيينهم مدرسين بمدرسة لاهوتية. هؤلاء الناس الذين لا يملكون الأمانة والشرف أو الكفاءة

العلمية لكى يؤهلوا شبابا غير متحيز للوظيفة المهمة، ولكى يبثوا الوعى بمهنة الديانة اليهودية فى الشعب المتلقى لتعليمهم ويجعلوا منه حياة لهم.

هؤلاء منوط بهم مهمة إعداد وتأهيل الحاخامات للنهوض بالدين اليهودى المتصدع بالمجر. وإننى حين ألغى أهليتهم للقيام بهذه المهمة، فإننى أفعل ذلك بوعى كامل من منطلق مسؤوليتى تجاه مثل هذا الادعاء، حتى إذا صارت أمانة السر العميق لهذه الصفحات فقط. وقد مثَّل أحد هؤلاء السادة المسرحية التالية التى تشبه مسرحيات اليسوعيين. طرحت فى خطابى سؤالاً بوضوح واختصار: هل يرضى السادة المدرسون أن يعربوا عن آرائهم عن مدى رضاهم عن عملية التدريس فى هذه المؤسسة. فهب أحدهم – نطلق عليه كاوفمان ***Kaufmann*** (أى التاجر) قائلا: "نعم". قالها بصوت جلى وبفرحة من لديه استعداد بأن يضحى بنفسه من أجلها، بل ويصير شهيدًا لها محمولا على الأعناق إلى محرقة الجثث. وبعد الجلسة اعترف لى – مع توجيه اللوم والعتاب على طرحى لمثل هذه "القضية الأخلاقية" فى جلسة معلنة– بأنه كان سيجيب ب "لا" لو كان الموضوع بينى وبينه، وأنه كان ساخطًا من أن الزميلين الحاضرين لم ينطقا بكلمة واحدة./

٢١٣

٨ مارس

جلسات مرة أخرى "لهيئة اللجنة". وقد استمرت جلسة اليوم من الساعة الثالثة عصرا حتى السابعة والنصف مساءً، وقضينا الجزء الخامس من اليوم نستمع إلى هذه الرطانة. وتلقيت بعدها التكليفات الخاصة "بالتصورات" من جديد.. وما أدراك ما هى! وجدت نفسى فى منتصف الليل أبحث عن

الاستجمام والراحة، ووجدتها فى مقالة صغيرة عن "حماسة البحترى ***Die Hamâsa des Buhturi"***، كنت قد قدمتها لمجلة فيينا متخصصة فى علوم الشرق. فى مثل هذه الأجواء تولد جميع أعمالى، وأرى أن هذا الشتاء يضن على بالعطاء!

١١ مارس

انتهت توا "جلسة" أخرى استمرت من الرابعة عصرا وحتى السابعة والنصف مساء. ولا يمكن تصور كمّ الوقاحات والخشونة التى تطن بأذنىّ، وتقتحم روحى، ولا أملك سوى الجلوس بصفتى "كاتب الجلسة" لا أتفوه بكلمة كالأبكم، لكى "أحرر محضرا" لكل هذا العبث والوقاحة والغرور الذى يصدر عن هؤلاء المتباهين بالأموال، صغيرهم وكبيرهم. ويا له من ذل ومهانة فى تفاصيلها! وكيف يتحدث هؤلاء القوم معى اليوم مرة أخرى؟ وكيف تحتم علي أن أتلقى منهم أوامرهم! لابد أن أطيعهم، وإلا تعرضت لفقدان قوت يومى من "ملاليم" لا تسد الرمق. كما أنه يتحتم على الليلة (وفقًا للتعليمات) أن يكون الموضوع جاهزًا بالكامل عند مطلع شمس الغد، وأن أكتب خطابًا فصيحًا يحيى الموتى عن أحد اليهود الأغنياء، وكما قال الرئيس – لا بد من إرضاء غرور الناس بأى ثمن؛ ثم أبدأ "جولتى" من الفجر. وما أدراك ما يرتبط بذلك من "تصورات" يتحتم علي أن أبدعها لكى أبلغها بأسلوب تقييمى لهؤلاء الجهلاء الفارغين، ويا ليتهم سيعفوننى من ملحوظاتهم التى تحمل أشد العذاب لنفسى: "وهذا الجزء لابد وأن يتغير، فالأسلوب الفخم غيــر كاف".

يا رب! متى ينتهى هذا الوضع الذى أعانيه؟ لقد شاب شعرى ولا أزال أتلقى هذه المعاملة وأتحمل سوء العذاب فى التعامل، فى حين أن اسمى يُذكر بكل ألوان الاحترام فى اوربا، ويأتى إلى شباب من أقصى بلدان العالم لكى يتلقوا علمى، وأقرب الأقربين من بنى عقيدتى لا يقصدون سوى إلحاق الأذى والمهانة بى.

٢٠ مارس

هناك رغبة تحوم حولى - منذ فترة فى حارتى حيث مقر إقامتى - كلما تلوح الفرصة فى وصمى بكلمة "مثالى". ها هم المرابون والخياطون - ممن يشرعون عند رؤيتهم لى فى إصدار أوامرهم لي- ليتمكنوا من طردى من أمامهم، وأقل ما يفعلونه فى هذه الحالة هو أن يعترضوا سبيلى باشمئزاز- يصيحون بنغمة صوت لا مثيل لها فى التهكم، نغمة مصحوبة بإيماءات غريبة عن قاموس الطبقات الشعبية،/ تماما كأننا أمام تمثيل لحركة انعكاسية لكل ملحوظة خجولة تصدر عنى أثناء تأدية وظيفتى، قائلين: ولكن سعادتك لا تفهم ذلك لأنك "مثالى"! ولو أننى أنادى على شخص بلفظ صعلوك، لما صدرت عنى مثل هذه الإيماءة الغاضبة التى يمزجها هؤلاء الغوغاء بصيحة تهكم، وقولهم لى "يا مثالى"!

٢١٤

إننى أشعر بالعذاب الأليم حين تُقرأ هذه السطور بعد رحيلى (ويا لطول انتظارى لهذا اليوم).

أيضًا انتهيت من إعداد "التقرير السنوى لعام ١٨٩٦". ومرة أخرى هناك من أقحم نفسه عليه وقام بإجراء "تصويبات" لا أرقى إليها من ناحية الأسلوب وعلى مستوى السياسة العليا، وهو فى الواقع يهبط بالتقرير إلى الحضيض، ولكن يتحتم على أن "أصحح" كل ذلك وفقا لأوامر هؤلاء الرعاع. ودون قيامى بذلك، فإننى مطرود ومفصول.

٤ إبريل

مزيد من الخزى بلا توقف. الآن جاء دور تجار الصوف ليعترضوا على "لغتى المجرية" التى يعتبرونها تعسة إلى حد ما. الآن عثر استكبارهم ومرضهم السقيم على وسيلة جديدة. فبمناسبة افتتاح مستشفى الأطفال بكل مظاهر الفخامة والأبهة، وفى حضور "بعض الوزراء"، أسند إلى الجانب التحريرى. وقد تسلل إلى ريشتى أسلوب المتباهين بثرائهم الركيك. آه لقلمى المسكين! إذ اشترطوا على ذلك كى لا يكون لديَّ "غرور الكُتَّاب"، وأن أترك التعبير عن "أفكارى" "لعلمائهم"، حيث إنهم أجدر فى سياق دوافع أكثر حماسًا وبهجةً. وستُنقل لى بعد ذلك تلك الصياغة اللغوية بالغة الحيوية بغرض تصويب أخطائى الفادحة فى قواعد اللغة والكتابة. وقيل لى بمناسبة الافتتاح "عليك أن تكتب لى خطبة، فأنا ليس لدى وقت لذلك". وعلى ذلك كان لابد أن أوطد نفسى على ذلك! إذ لابد أن أقوم بذلك، وإلا فسيتم طردى وفصلى. وأما بالنسبة للتحرير فقد أعطانى نقطتين بخصوص هذا العمل البلاغى:

١- لابد من صياغة كل المعانى العظيمة للتحية والترحيب بالوزراء.

٢- أبد من سياق كل معانى الإطراء والثناء للسيد برودى تسيجه Brody Zsiga[١] وعلاوة على ذلك، فقد صدرت الأوامر بأن نهاية الخطبة ينبغى أن تتضمن عبارات تتعلق "بمحبة الإنسانية" مع شيء من "الحركة والحيوية". وبهذه التوجيهات سأعكف على العمل مساء هذا اليوم.

١١ إبريل

فى هذا اليوم حملنا معلمي العجوز بريل Brill إلى مثواه الأخير. فى عام ١٨٦٥ كانت علاقتى تجاهه لا تنقطع، فكانت علاقة تلميذ بأستاذه وصديق بصديقه. فرويدنبيرج Freudenberg ، وبريل Brill ، وفلايشر Fleischer ! أنتم اليوم فى ذمة الله، أما أنا فلا أزال يتيمًا ووحيدًا. إننى عاجز عن أن أعبر ولو بكلمة واحدة عن مدى حزنى.

١٢ إبريل

طلب منى بلاك Black من لندن أن أعالج بعض المقالات التى كتبها روبرتسون سميث Robertson Smith لنشرها فى موسوعة الكتاب المقدس/ [٢١٥] التى ستصدر تحت رئاسة تشاين Cheyne ، وفى المقابل أتقدم بطلب للحصول على مكافأة كبيرة (قيمة الصفحة ٢ جنيه). ولا يمكننى أن أسعى وراء هذا الطلب الآن، لأن الإسلام يطالبنى بذلك كليةً، لأن ما تبقى لي من وقت يحتم على استخدامه فى كتابة الخطب للأعيان والمتعطشين للشهرة.

---

(١) S. Brody (١٨٥٤ – ١٩٠٦) صحفى وفاعل للخيرات.

١٣ إبريل

كان لا بد أن أُكره نفسي على الوفاء بما وعدت به الصحيفة اليهودية "*A jövő*" بكتابة رثاء أنعى فيه المرحوم بريل *Brill.* ونظرًا لأننى لا أرغب فى أن أدنس توقيعى فى هذا المقال، ومن ناحية أخرى لم أستطع مقاومة الجانب الأخلاقى الذى يُلح على، فقد وافقت على حشو بعض الأعمدة تحت اسم مجهول، وهو كيليتى الأول *Keleti I.* كان التوبيخ مهيبا والوسط يبعث على الاشمئزاز .

منذ سنوات لم تمس يدى هذه الصحف، واليوم أكتب فى واحدة من تلك النوعية. لن تمر الليلة دون أن أنهى هذا الموضوع جملة وتفصيلا، وينبغى أن تشتمل أفكارى على كل ما يتعلق بأستاذى العجوز، وبهذه الطريقة حسمت أمر هذه الصحف.

٣٠ إبريل

يا إلهى! اليوم كان لدى ما يقتضى أداؤه لدى العميد، إلا أننى لم أقابله فى مكتبه، حين جلست لأدون بعض السطور، لأوضح الغرض من زيارتى، وقعت عيناى على ورقة موجودة على مكتبه مكتوب عليها: "طلب الأستاذ الدكتور فامبيرى *Prof. Vámbéry* بشأن تعويض (مكافأة) الأستاذ الدكتور إ. ج. العامل بالمكافأة". أهكذا تكون الخاتمة مع بداية العام السادس والعشرين من عملى الجاد بالجامعة الأهلية؟ تسول علنى! بدلا من تقدير مستحق واعتراف بشخصى وفقا للأصول! وفوق هذا وذاك، الفشل الذريع الذى اقترب. هذا ما سيكون قد دبر إخراجه شيخ الكذابين بكل عظمة وأبهة لتكريمى على نحو عظيم. لقد صُدمت بحق عند رؤيتى لهذه العريضة الفتاكة

التى ستودع فى مكان معلن لأنظار جميع الطلاب والموظفين. سنرى قريبًا ماذا سيفعلون بها، وإلى أى مدى يتجه تفكيرهم.

الأول من مايو

فى عبارة من التراث أوردها ياقوت الحموى *Yakût* عن النبى، يقول فيها: إن العالم مثل النبع الحرارى، يتلهف لرؤيته الناس من بعيد، وأما من هم على مقربة منه فلا ينتبهون إليه، ولكنه يفيض بالماء، فريق ينتفع به، وآخرون يندمون عليه أشد الندم (لأنهم لم ينتفعوا به)". وهذا ما ينطبق على حالتى تمامًا!

٢ مايو

كنت عند شيخ الكذابين الأكبر، وأصغيت لأشياء بلغت حدًا من الوضاعة عن نهجه الذى سلكه، وقد ذكرته فى معرض حديثى عن يوم ٣٠ إبريل/ لدرجة أننى شعرت بأننى مضطر لأن أتركه على الفور، وأن أطالبه [٢١٦] فى رسالة (توجد صورة منها فى لفافة المراسلات الخاصة به) بأن يسحب طلبه الغادر الذى تقدم به إلى الكلية دون علمى.

٤ مايو

بعد أن تحتم عليَّ أن أقضي يوم أمس المزعج - بما حمله من قلق واضطراب - فى أن أكتب فى عجالة وبإلحاح بالغين رسالة تسول مطولة إلى البارونة هيرش *Hirsch* تتباكى فيها الجالية المسكينة - التى تستخدم أموالها فى مظاهرِ الزهو والاختيال- وتعبر عن احتياجها للمال وترجوها أن تغدق عليها قليلاً منه من أجل إنسانية منها، جاءنى الرئيس صباح اليوم

مبكرًا ليحضر لى "التصور" خالد الذكر للخطبة التى سيقوم بإلقائها، والتى كنت قد تحدثت عنها وسجلتها فى يومياتى بتاريخ ٤ إبريل. كان الغرض من تسليمى هذا التصور هو عمل "تصويبات" وإضافة "محسنات بديعية" عليها، بحيث تصبح فى مذاق الحلوى التى تروق لمزاج رجال الدولة وعُمد المدائن. لقد قال لى، إنه كان بإمكانه أن يقوم بفعل هذه الخطبة من الألف للياء وحده، لأنه "لا يعجزه الكلام"، إلا أنه لا يملك الوقت الكافى لذلك. أما من يملك الوقت لذلك بكل تأكيد فهو "جالدتسيهر *Galdzieher*" [(١)]، وإلا فسوف يطرد من وظيفته بكل سهولة.

فى هذه الأثناء كنت قد انتهيت أيضًا من إعدادالتقرير الذى أودعت به ما عنَّ لي من أفكار سوف ألقيها فى محاضرتى على مسامع الحاضرين بمؤتمر المستشرقين فى شهر سبتمبر بباريس والخاص بمسألة موسوعة الإسلام.

٥ مايو

أكتب الآن مقدمة نقدية عن الكتاب المرجعى الذى ألفه إدوارد فان ديك **Edward van Dyck**[(٢)]، وهو ابن كورنليوس ف. د. **Cornelius v.D.** الذى تعــرفت عليه قبل ٢٤ عاما فى بيروت، وكنت أتردد على منزله. وللأسف لا أستطيع أن أجازى الابن على صداقتى لأبيه.

٦ مايو

وُضع طلب فامبيرى ***Vámbéry*** فى مقدمة جدول أعمال جلسة الكلية المنعقدة اليوم، ولكن تم سحبه قبل الجلسة. وخطابه الذى تلقيته اليوم منه

---

(١) نلاحظ سخريته والتقليل من شأن "جولدتسيهر" بنطق اسمه خطأ (المترجم).

(٢) انظر ***B. Heller***، تحت رقم ٤٢٧.

يذكر تفاصيل ما حدث بصورة أكثر دقة؛ ومرفق الطلب بعد تنقيحه. والعجيب أن الرجل لم يتغير على مدار ٣٢ عامًا منذ أن عرفته!

الأول من يونيو

استقبلت إطراءات - من كل صوب وحدب - بشأن ما كتبته عن "تأليه أولياء الله الصالحين" بمجلة "جلوبوس *Globus*"[١] ودواوين العشائر أو القبائل *Tribal-. Dîwâns*[٢] وكان من أشد "المعجبين" بي على وجه الخصوص كرابانتشيك *Karabaček.*[٣] ولم يستغرق تفكيرهم كثيرا في أن تقوم أكاديمية فيينا باختياري عضوًا بها من الخارج،/ ولم يكن لمثل هذه المكانة وجودٌ لديها. ٢١٧

لقد سافر تلميذي ف. شميدت*v. Schmidt* ، وبذلك تكون القصة الرائعة لمسار أحد باحثي الدكتوراه قد بلغت مرادها، وتلقى العلم على يدي في هذا العام أحد تلامذتي الذي جاء من أقصى بقاع الأرض. ولم يبهر هذا الأمر السيد فامبيري *Vámbéry.* إنها ليست أكذوبة، ولكنها شهادة عجيبة تشير إلى ما يمكنني أن أنجزه بجامعة محترمة!

٣ يونيو

"إنه الدكتور جالدتسيهر بشخصيته العصبية" - وصفني بذلك اليوم الحبر الأعظم لليهود المحليين الذي يعتبر نفسه عالمًا لا مثيل له منذ خطابه العظيم بمستشفى الأطفال.

---

(١) المرجع السابق، تحت رقم ١٩٩.

(٢) المرجع السابق، تحت رقم ٢٠٠.

(٣) *J. Von Karabaček* (١٩٢٨ - ١٩٤٥) مستشرق، أستاذ ومدير المكتبة الملكية بفيينا.

١٥ يونيو

زاد إلحاح شركة بلاك *Black* بلندن فى طلبها وحثى على توجيه عنايتى إلى الطبعة الجديدة من كتاب أقارب روبرتسون سميث *Robertson Smith*، ولدى من الأسباب ما يجعلنى أدرك أهمية الأمر، حيث إنه يلزمنى أن أنتهز كل فرصة تربطنى بموضوعات ذات صلة بالأدب والأخلاق الحميدة. بعدها كان من دواعى سرورى أن أقوم بسداد ضريبة البر لاسم القديس روبرتسون سميث.

٢٤ يونيو

كان مطلوبًا منى ضرورة وضع "تصور" لكتابة عريضة ستقدم إلى جهات مسئولة بالمدينة من أجل زيادة الدعم للجالية اليهودية. ونظرا لعدم وجود ثقة تجاه أسلوب تفكيرى، تم تسليم "التصور" الذى وضعته إلى الفيلسوف الأكبر لرؤساء الجالية، وهو الشخص الذى يحمل اسم مارتين شفايجر *Martin Schweiger* من أجل اختباره. ولعله يعرض "تصورى" على بعض كُتّاب الدواوين والمحاسبين ليصرحوا ما لديهم من اعتراضات عليه.

٢٥ يونيو

اليوم أعاد لى الفيلسوف شفايجر "تصورى" قائلا بأنه لم يستطع قراءة ما كتبته. وأضاف متسائلا كيف لم يتحسن خطى حتى الآن؟ وعلى ذلك يجب على قراءة العمل عليه. وبعد تصحيح بعض الأخطاء وافق على ما كتبته.

١٢ يوليو

غادرت مع عائلتى بودابست من أجل قضاء إجازة الصيف فى أفلينس *Aflenz* شتايرمارك *(Steiermark)* حيث مكثنا بها حتى يوم ٢٥ أغسطس. وهناك

كنت شاهد عيان على مأساة كرمان (*Kármán*) التى أصبحت ضمن الخبرات الشجية فى حياتى .

قمت بكتابة تمهيد لمقال بعنوان "أبو حاتم *Abû Hâtim*"[1]؛ وكتبت مقالا باللغة المجرية عن إبداع وفوضوية جونكل *Gunkel* لنشره فى مجلة "شمله *Szemle*" البودابستية[2].

[٢١٨] فى يوم ٢٥ أغسطس سافرت/ عبر زيوريخ *Zürich* حيث قضيت ليلة بها) و"ديله *Delle*" إلى باريس التى حللت بها فى صبيحة يوم ٢٨ أغسطس، وكان فى انتظارى الأصدقاء كاوتش *Kautzsch* ، وبوده *Budde*[3]. وفى صحبتهما شاهدت من جديد – وبعد مرور ١٣ عاما – معالم المدينة ومجموعـــاتها الأثريـــة والكنائس. أقمنا بفندق مونت بلانك فى راحة ونعيم لا مثيل لهما، وانضم إلينا أيضًا أصدقاء آخرون، كان من بينهم بيشل *Pischel*[4]، ونوفاك *Novack*[5]، وبرونله *Brönnle*، وهولسينجر *Holzinger*. كما وصلت باريس أيضًا السيدة نيحاما *Nehama* وجددت صداقتها بنا. وفى يوم ٥ سبتمبر بدأ مؤتمر المستشرقين، وقام بتفعيل تعيين لجنة دولية، شرُفت – فى منتصف جلساتها– بأن أتولى منصب المدير العام. وأهم ما ظفرت به

---

(١) المرجع السابق، رقم ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، رقم ١٩٥.

(٣) *K. Budde* (١٨٥٠ – ١٩٣٣) أستاذ اللاهوت الإنجيلى واللغـــات الـــسامية بجامعـــات بـــون وشتراسبورج وماربورج.

(٤) *R. Pischel* مؤلف العمل الدرامى "شاكونتالا" للكاتب المسرحى وشاعر الغنائى الهنـــدى ورائـــد الأدب السنسكريتى الكلاسيكى "كاليداسا" (القرن الخامس)؛ ١٩٢٦ *Cambrdgr, Mass> - London*.

(٥) *W. Novack* (١٨٥٠ – ١٩٢٨) أستاذ علم اللاهوت بشترسبورج.

فى هذا المؤتمر مقابلتى لأصدقائى القدامى، وتشرفى بمعرفة أصدقاء جدد لم أعرفهم من قبل معرفة شخصية. وكان هذا التكريم بالمنصب الذى حصلت عليه، والشواهد الدالة على دفء الصداقة وتقدير منزلتى العلمية من قبل أجل علماء تخصصنا، سببًا فى بعث إدراكى بأنه لا يمكن - فى واقع الأمر - وضعى فى أى مقارنة قياسًا على معايير السادة "الرؤساء" ببودابست .

فى يوم ١٣ سبتمبر غادرت باريس، وكان فى توديعى كل من "بوده" و"هولسينجر"، وفى اليوم التالى وصلت إلى شتراسبورج لقضاء ليلة بها. ومن بواعث سعادتى أننى التقيت صديقى نولدكه *Nöldeke* الذى قضيت معه اليوم بالكامل تقريبًا. وعقب توقف قصير بفيينا عدتُ فى يوم ١٧ من الشهر ثانية إلى بودابست.

عام ١٨٩٨

١٧ إبريل

على مدار عام كامل تقريبًا، عمدت هذه اليوميات إلى الراحة وعدم الإزعاج. إذ سيطرت على تفكيرى فجأة فكرة لم أستطع التخلص منها، وهى أن مواصلتى فى تدوين هذه اليوميات لم يعد لها هدف فى الوقت الراهن. فلا شك أن فكر أولادى بلغ من النضج ما يجعلهم قادرين بأنفسهم، دون تدخل من أحد على مراقبة أحداث حياتى التى أعيشها والحكم عليها. فقد كنت أدون هذه الصفحات فى بادئ الأمر من أجلهم، لكى يتعلموا من خلالها طموحاتى وصراعاتى فى معترك الحياة، ولكى أقدم لهم صورة غير مزيفة عن أفراحى وأتراحى، وعن أزمات والدهم الداخلية والخارجية. وكانت السعادة سببًا فى عودتى للإمساك بالقلم؛ فاليوم احتفلنا بخطوبة ابنة أختى "أرانكه" *Aranke*

على العالم الشاب الجليل الدكتور اليكسندر بوشلر *Alexander Büchler*[1]، وهو حاخام فى كيتسلى *Keszthely* ، ودبت الحركة وعمَّت الفرحة بيتنا، وساد جو الاحتفال به. إنه حدث نعرف قدره لأنه يضفى علينا السعادة ويقدم لنا بديلاً لما نعانيه من ألم وهم وغم فى حياتنا.

انتهى العام المنصرم فى خضم كل ما سبق ذكره. فيه الكثير من التكريم والكثير من المضايقات. أما التكريم فقد جاء من الخارج، وأما المضايقات قد حلت علينا بهذا المقام، وهو ما يجب أن أصفه/ "من الداخل". [٢١٩] إننى لا أتوقف عند الجانب الأخير كثيرًا، وألتزم الصمت عنده، ما لم يتعلق بتفاصيل أذكرها فى سياقها، ولكننى الآن أرغب فى تقديم محصلة ختامية على وجه العموم لما أثمرت عنه هذه التفاصيل، وذلك على هيئة "التقرير السنوى" الذى يُقدَّم كل عام، وهو تقرير يتضمن سفالات من جانب "زعماء اليهودية من بنى وطنى"، و"حقارات من جانب القابضين على زمام الأمور فى هذه الجالية الضيقة"، كان آخرها قبل أيام قليلة من جانب زعيمهم الأكبر، وفى حضور إيمانويل لوف *Immanuel Löw* ، على أثر ملحوظة متواضعة تم التعبير عنها بشأن الديانة اليهودية، فانقلب الأمر إلى تطاول وإساءة لا مثيل لهما، بلغ حد التكشير عن الأنياب بجملة: "وما شأنى بما تقوله سيادتك!". أما المقصود بالخطاب فى "سيادتك" فهو "أنا" تحديدًا. ولكن، ما الذى يدعونى لأن أعرب عن رأيى "بملحوظة متواضعة"؟

هناك عبارة كتبتها قبل بضعة أيام فى سجل العائلة، خرجت من هذه الأجواء المشحونة بمثل هذه الصفاقة، وهى:

---

(١) *A. Büchler* (١٨٧٠ – ١٩٤٤) مؤرخ يهودى، ومدرس بجامعة بودابست، وحاخام فى كيتسلى *Kezthely*.

"من الممكن أن نُستعبد، ولكن من المستحيل أن نُذل ونُهان".

اللعنة على كل متكبر وليذهب إلى الجحيم!

ثم كان قضاء الإجازة الصيفية فى افلينس ***Aflenz*** مع أسرتى ومع كرمان ***Kármán*** الذى داهمه المرض بصورة مفزعة. وجاءت رحلة باريس فى نهاية شهر أغسطس لحضور مؤتمر المستشرقين، حيث عشت أياما نورانية مع وجود زملاء لى، أذكر منهم على وجه الخصوص كلا من: كـــاوتش ***Kautzsch*** ، وبـــوده ***Budde***، وهولسينجـــر ***Holzinge*** ، ودى خويه ***de Goeje***، وبيفان ***Bevan***، وبراون***Browne*** ، ونوفاك ***Novack***، وباربيه دى مينار***Barbier de Meynard*** وغيرهم، ومعهم شعرت بتجدد الحياة، حيث أحاطونى من جميع النواحى بكل ألوان التعبير عن الصداقة الرقيقة والتقدير الجليل لشخصى. وفى طريقى لرحلة العودة عشت يوما بديعًا فى شتراسبورج مع نولدكه ***Nöldeke.*** وإذا أردت أن أدون هنا ما لدىّ من انطباعات وخبرات ممتعة، فإننى فى حاجة إلى صفحات وصفحات أخرى كثيرة إضافة لما أدون، ولكن لا يزال أثر كل ذلك فى نفسى وسيبقى ذكره مجددًا وخالدًا ما دمت على قيد الحياة.

فـــى يـــوم ٢٦ ديسمبر تلقيت برقيـــة مـــن ســـانت بيتـــرسبـــورج ***St. Petersburg***، أدخلت البهجة والسرور على نفسى، وأنستنى قسوة الشتاء، وهى من البارون ف. روزن ***Br. v. Rosen*** ، إذ حملت لي خبرًا يفيد بأن الأكاديمية الملكية للعلوم بسانت بيترسبورج قد اختارتنى بالإجماع لأكون عضوًا بها من الخارج. ومن لا يرغب تصديق ذلك، فعليه أن يطلع على شهادة الدبلوم البهية التى أرسلتها لي الأكاديمية قبل بضعة أيام عقب هذا

الاختيار مباشرة. وهذا الامتياز والاعتراف بشخصي كان سببًا فى انهمار سيل من التهانى على من كل مكان. وبمناسبة هذا الحدث أقام لى أصدقائى هنا حفل تكريم على شرفى. وأما التكريم من جانب إخوانى فى العقيدة، فقد كان التعبير عنه ليس أكثر من تفاخر وتباه، واكتفوا "بهز الأكتاف" أثناء الحديث. "لم يبلغنى شيئا عن ذلك، فلا أعرف ما تفكير هيئة أعضاء اللجنة الأجانب الأفاضل عن سيادتك، وما التقدير الذى يعبرون به تجاهك، وعن الاعتراف الذى يمنحونه لسيادتك... ولا أعترف بأى شيء من ذلك، ولا قيمة لكل ما سبق، ما لم يوقع عليه معنا "Tenczer"." / وبالفعل لم يوقع معنا Tenczer، لأنه يحقر من شأن أعضاء الهيئة الذين اعترفوا بجولدتسيهر، كما أنه راح يتشنف ويكشر بشأن الدبلوم الذى وقع عليه الدوق الأعظم الروسى كونستانتين *Konstantin.* فهو كرجل وطنى وديمقراطى لابد أن يفعل ذلك. ولكن حيث لا توجد "مصلحة وعمولات" من وراء ذلك، فإن كل شيء يصبح محل احتقار عند هؤلاء الناس. أمد الله فى عمرهم فى الحياة! ٢٢٠

فى هذه الأثناء جاء أيضًا خبر وصول "الجزء الثانى من المقالات والأبحاث" إلى الطباعة[1]. ووافقت الأكاديمية المجرية على منحى دعمًا قدره *fl.*٣٠٠ ، كما أن المقدمة – التى انتهيت منها منذ فترة طويلة – سيتم استكمالها بمواد جديدة دائما. وهناك مشروع أدبى آخر يجب أن أقترب منه، وهو تاريخ عموم الأدب الذى تتبناه جمعية فرانكلين. وقد توليت رئاسة تحرير القسم الشرقى؛ وأما الأدب العربى فسأتولى أمره بنفسى[2] وأعتقد أننى سأنتهى من هذا الأمر فى الصيف. وهناك طلبات ملحة من رويتر *Reuther*

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق الذكر، رقم ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، رقم ١٩٥.

ببرلين، فهو يرجونى بأن أشارك فى الخطة الموضوعة بشأن تاريخ الأدب العربى. وكانت الإجابة الرفض مسبقًا .

عام ١٨٩٩

١٠ سبتمبر

من أغرب الظروف التى حدثت لى مرة أخرى، الخيط الذى لم ينقطع فى تدوين هذه اليوميات. هناك مفاوضات تجرى الآن فى حلقة درس الحاخامات المجرية بشأن تعيين شخص محل دافيد كاوفمان **David Kaufmann** المتوفى فى الصيف. ويكاد يكون من البدهى أن هيئة المدرسين بهذه المنشأة الأخلاقية لم تقدم اقتراحا آخر سوى أن "المبلغ" الذى كان يتقاضاه كاوفمان مقابل عمله فى التدريس يمكن توزيعه الآن بين شخصين من رجال الدين التطهريين المتزمتين، وهما باخر **Bacher** وبلاو **Blau.**[١] وهناك حديث بأن يقوم بلاو بتدريس مادة الوعظ وفلسفة الدين. وكنت أتلقى دائما – بصفتى عضوًا بلجنة الرئاسة– دعوات لحضور الجلسات التى يفترض فيها عرض المقترحات المقدمة من "ريباخ) **Rebach** وهذه صيغة جناسية لشخصية "باخر" **Bacher** بعد التعديل)، حيث إنه يتحلى بالشجاعة، ستفرض عقوبات على ريتر **Ritter.** ولكى لا أكون شريكًا فى تلك الدسائس النظيفة بأى شكل من الأشكال، لم أقم بفتح الدعوات المرسلة لي من قبل مجلس الرئاسة؛ إذ إن معرفتى بشكل لا إرادى بمضمونها كان بناء على تلقي أخبار شفهية لم .أسع إليها. كما أننى لم أعرف من هو الشخص الذى لفت أنظار الجهلاء بلجنة الرئاسة إلى الطبيعة الفاضحة للمشروع الذى دعا من

---

(١) **L. Blau** (١٨٦١ – ١٩٣٦) أستاذ ومدير مدرسة الحاخامات ببودابست.

أجله الأعضاء لعقد جلسة يوم ١١ لفرض عقوبة عليه. ويكفينى أن شيئًا ما قد استقر فى ضميرهم لسد الطريق أمام هدف هذا المشروع. وعليكم أن تسمعوا وتتعجبوا، ولا تتفوهوا بكلمة، ولا تواتيكم الشجاعة أن تتمالكوا أنفسكم من عجب العجاب! /

[٢٢١] قام بزيارتى ظهر اليوم الدكتور كايزرلينج *Kayserling*[(١)]، وأخبرنى أنه مكلف من لجنة الرئاسة بأن "يحثنى" على "القيام بالتدريس بضع ساعات"، للصالح العام. (أى أن التدريس على حافة الانهيار، وأنهم الآن يستغيثون ويستنجدون بك). كما تحدث عن "البريق" الذى سيمنحه اسمى لهذه المنشأة التعليمية (!)، كما أعرب عن أن ذلك الأمر سيحقق رغبة الرجل العجوز الجدير بالوقار والاحترام "م. بلوخ *M. Bloch*[(٢)] الذى خصنى بإلحاقى بالعملية التعليمية.

يأتى هذا بعد مرور ٢٢ عاما من الهوان والتشهير والقذف والانتقاد بقسوة وكل ألوان الوضاعة والحقارة التى وجهت إلى وانتقصت من حقى وعملى. إنهم يرغبون الآن فى صنع موكب استعراضى بذكر الاسم الذى لم يلطخ، ولم يتمكنوا فى وضعه محل شبهة رغم سفالاتهم. أخيرا حزموا أمرهم، بعد مرور ٢٢ عامًا من الشتائم، وبعد أن بات لا حول لهم ولا قوة فى أن يعترفوا بمسكنتهم فى التسول، لم يعد أمامهم سوى أن يفكروا فى شخصى – باعتبارى فرس الرهان فى الموكب الاستعراضى.

فى البداية بدا الأمر لى مستحيلاً فى أن أتطرق إلى الموضوع وأتعامل معه، أيضًا من حيث المبدأ فقط، ولكن تنويه الدكتور كايزرلينج إلى أن من

---

(١) *M. Kayserling* (١٨٢٩ – ١٩٠٥)، حاخام ببودابست ومؤرخ يهودى.

(٢) *M. Bloch* (١٨١٥ – ١٩٠٩) مدير مدرسة الحاخامات ببودابست.

واجبى تجاه العقيدة ألا أترك الموضوع الآن فى مقتل، فضلا عن اعتبار آخر، كان له أثر فى تغيير موقفى وحالتى النفسية. لقد أشرت على مدار أكثر من عقدين من الزمان إلى الفكر البغيض الذى تبناه فى بلدنا أناس بلا ضمير تجاه هذه المسألة. والآن هناك من يعرض عليَّ ركنًا صغيرًا باستطاعتى أن أعمل فيه بكل ما أملك. وبدلاً من معارضة من الخارج لا أمل منها، من الممكن لأى فرد أن يخطو خطواته من الداخل على طريق البناء، ويهزم الفكر التافه العابث الذى يمثله "ريباخ ***Rebach*** (أى باخر ***Bacher*** بعد التعديل). ولا شك أنه ليس من المستبعد أن يوجه له الشباب الاتهام بمشاركته فى إفساد العلاقات؛ ثم أليس من المحتمل أن تُنسف عصابة الأموال الربوية من خلال دخول إنسان بينهم يتأفف ويتقزز فى أن يجعل من هذا الاقتصاد نموذجًا لآخرين؟

وبعد تردد من جوانب متعددة، قمت بتفويض الدكتور كايزرلينج فى أن يصرح - بالأصالة عن نفسى - فى أنه من حيث المبدأ لا أمانع فى المشاركة وفقا لما يتوافر لي من وقت، ولكن بشرط: أن تتوجه هيئة التعليم باللجنة بالرجاء فى الدخول معى فى تفاوض؛ وأن تصدر أمرًا يوجه لشخصى على أساس هذا الرجاء المنوط بهيئة التعليم.

هكذا كان موقفى تجاه الموضوع. وفى النهاية سوف أعيش تجربة أن أكون مدرسًا للاهوت، وقد بلغت من العمر ٤٩ عامًا، وشاب شعرى.

لا عجب!

١٨ سبتمبر

علمت اليوم أن "هيئة التعليم" لم توافق؛ فهم يرغبون فى تقسيم "الأموال" فيما بينهم. وقد صرح كل من "ريباخ (*Rebach* " أى باخر *Bacher* بعد التعديل) وبلاو *Blau* أنه لا سبيل سوى الإقرار بما يخدم الغرض/ كما لو [٢٢٢] كانا "سيتقاسمان" ما كان يحصل عليه المسكين كاوفمان *Kaufmann.* وقد قبلت "اللجنة" هذا الخبر بتصفيق حار. وبذلك أعلنت "لجنة الرئاسة" موافقتها لذلك.

١٩ سبتمبر

حين حمَّلت اليوم رئيس عقيدتى الوضيع – عن طريق تجمع عدد من أصدقاء مسيحيين –مسئولية عواقب تصرفه الحقير، إذ به يتورط فى الدخول فى حلقة من أكاذيب وحقارات، وبلغ به الأمر الادعاء بأنه لم يكلف د. كايزرلينج للتفاوض معى، وقد استطعت فى اليوم ذاته أن أثبت أن هذا الادعاء محض كذب بيّن .

٢٤ سبتمبر

توافر لديَّ اليوم مزيد من الأدلة على النفاق الشائن الذى يتمثل فى هؤلاء الأشخاص التابعين الذين يجلسون على قمة الطائفة اليهودية الملحدة، ممن يرغبون هنا بالمجر فى تمثيل اليهودية الحديثة (!). أف لهذه الذرية من المجرمين!

فى تمام الساعة السابعة من صباح يوم ٢٥ سبتمبر قمت ومعى زوجتى برحلة سفر إلى إيطاليا. وفى ظهر يوم ٢٦ كنا نستنشق هواء السماء

الرومانية. وقد عقدت النية على ألا أفكر فى السفالات والوضاعات التى حيكت ضدى فى الأيام الأخيرة، حين تطأ أقدامى أرض التاريخ الكلاسيكى.

٣ نوفمبر

تأتى رحلتنا إلى إيطاليا (فى الفترة من ٢٥ سبتمبر حتى ٢٤ أكتوبر) فى الفترة الزمنية بين آخر مدونات لي فى اليوميات .

لقد كان مؤتمر المستشرقين الذى كُلفت فيه بتمثيل الحكومة والجامعة والأكاديمية، بمثابة حجة جيدة لأن أسبح مع نفسى وروحى من أجل تحقيق أمنية قديمة فى أن أرى أخيرًا مع زوجتى الأرض المشمسة. كان شهرًا رائعًا، عشت فيه مع أفضل أصدقائى فى روما (حيث قضيت بها وحدها ثلاثة أسابيع كاملة) على هيئة منتدى، فضلا عن زيارتنا لمدن أخرى: فلورنسا، بولونيا، فينيسيا. كما أننى نلت تكريمًا جمًا لم أسع إليه. وقد شاهدت زوجتى بنفسها بكل سعادة وفخر كيف تقدر قيمتى من قبل أفضل الرجال بكل الدول، وكيف احتفوا بى وأضفوا على شخصى كل ألوان التكريم. إننى أحمد الله أن الوقاحة لم تلق بظلالها على هذه العلاقات فى حياتى. وسيبقى عالقًا بذاكرتى التجمع الودود مع كاوتش ***Kautzsch***، وبوده ***Budde***، ونوفاك ***Novack***، وكون ***Kuhn***، وهولسينجر ***Holzinger*** وغيرهم فى المسكن اللطيف الخاص بالألمان بروما، بشارع فيا سيستينا رقم ٤٢ ***Via Sistina*** .

يومًا بعد يوم توطدت الصداقة وتزايد الاحترام فيما بيننا؛ وقد حدث ذلك فى توقيت مناسب جدا بالنسبة ليّ، فى تلك الحقبة من حياتى على وجه

الخصوص؛ ويرجع هذا إلى اعترافى بأن ما لاقيته فى الأيام الأخيرة من بنى عقيدتى فى بودابست، كان لا يفارق ذاكرتى مطلقا، بل كنت أتذكره أثناء جولاتى السياحية بالمتاحف/ والكنائس العظيمة، وأثناء مشاهدة كل أثر من [٢٢٣] آثار الفن.

وقد خطر ببالى أن أقوم بتصفية حسابات وضعي بينهم على مدار خمسة وعشرين عامًا والتجربة التى انتهجوها تجاهى. ولو كنت قد جلبت على عقيدتى الفضيحة الكبرى لكانت هذه التجربة معهم فى هذه الحالة أيضًا بمثابة الفجور الوضيع. كان مخططهم الذى خططوا له هو إقصائى وتحقير مكانتى؛ وحين لم يفلحوا فى ذلك رغم سلوكى السلبى، والذى أقسم بالله أننى لم أعترض عليه أو أنقده، هنا لجأوا إلى مجال توجيه الاتهام والقذف والتشهير بسمعتى – وكل ذلك فقط لأننى أردت التصدى لطائفة كان يتحتم عليَّ أن أعرف أنها لا دين لها، وأن شيمتها الوضاعة والحقارة، بمجرد أن دخلت فى الأيام الأولى مباشرة فى حلقتها الضبابية. كان من الممكن أن تتدفق عليَّ الأموال وأنال منهم كل أنواع التكريم لو أننى تهاونت ولم أتشدد، لأصبحت من أجل ما يصبون إليه غير أمين على تكليفي بواجبات البارمصوا ***Bar-Mizwah*** منذ سن الشباب. ولذلك راحوا يسخرون مني منذ ربع قرن من الزمان، ويستخدمون كل ألوان الهوان والعذاب تجاهى بالاستعانة بالسفهاء المطيعين لأوامرهم. والآن أوقعونى فى شرك – وأنا لم أتوقع منهم سوى أن يكون لديهم قليل من الأخلاق والنية الصادقة – لكى يستغلوا خداعهم وتدليسهم الحقير لي فى أعمال التشهير. وبطبيعة الحال سوف ينبرى السيد الأستاذ الدكتور المحترم صامويل كون ***Samuel Kohn*** ويدافع عن هؤلاء السفهاء حتى آخر نفس له فى الحياة، حيث إنه بالفعل الزعيم الدينى لمجلس استرضاء هذه الطائفة التى تتبجح على الله – وها هو رجل الدين

"ريباخ" **Rebach** (أى باخر **Bacher** بعد التعديل) الذى ليس له هدف آخر فى الحياة سوى أن ينتشر اسمه فى كل ما يُكتب وأن يكدس جيوبه بالأموال – كتابات منتحلة كثيرة يعنى بها تحقيق كثير من المال. وهذا هو الرجل المثالى فى نظرهم! كان من الممكن أن يكون كل ما سبق ذكره جيدًا وبلا مبالاة لو أتيحت لى فرصة إعمال العقل فى الأمور بدرجة كافية، وليس فى هذا التوقيت الذى توجه فيه هذه الطائفة فضائحها ضدى فى احتفالية لها على مدار خمسة وعشرين عامًا. لا يمكن إنكار أن هذا الأمر قد أحدث فى نفسى صدمة – رغم أنه ليس نهاية المطاف فى الحياة، بل هو ضرورة أجبرتنى على أن أعود بالزمن وأتأمل أفضل سنين عمرى على أثر تداعياته. لقد أصاب نفسى نوع من الشلل حال دون قدرتى على استعادة أعمالى المحببة إليها. ولكن كيف لى أن أتصور حالى فى المستقبل لو جف هذا النبع من المواساة؟ لقد شربت منه، وزادنى قوة على مدار ربع قرن من الزمان، حيث واجهت سفالات هؤلاء القوم باحتقارى لها. ولكن خوفى الآن يرجع إلى ظنى، أنهم بلغوا ما أرادوه واستهدفوه، وأنهم قد انتصروا على!

بلغنى خبر غريب: فى طريق سفره بالقطار من فيومه **Fiume** نحو كارلسشتادت **Karlsstadt**، أطلق بيترفاى جنوا **Péterfy Jenő** الرصاص على نفسه، وهو فى ديوان عربة السكة الحديد! بالأمس هرعت على أثر سماع الخبر، ومعى أصدقاؤه إلى مكان الحدث المفزع، وقمنا صباح اليوم بنقل الصديق التعس إلى مثواه الأخير. ووجب على أن أعبر عن مشاركتى تألمهم عند الدفن .

آه.. الرجل الطيب المسكين! لقد وضع بهذه الطريقة الفظة نهاية للتناقض الذى يعيشه جوهره النقى مع العالم المعتم الذى يخلو من صفو الحياة. إنه أول ألم/ أشعر به فى نفسى يكون سببه هذا الإنسان الحق. ها أنا

٢٢٤

الآن أفتقد من جديد كل عزيز غال. على مدار نصف عام رحل كاوفمان *Kaufmann*، ولحق به الآن بيترفاى *Péterfy*، ومن قبلهما كارمان *Kármán !* لا شك أننى سأفتقدهم وسأكون تعسًا حزينًا! بل إن هذا هو حالى بالفعل الآن. إن من يحبوننى هم الآن فى البلاد البعيدة، وكل من حولى يكرهنى، كما أننى أكره كل من حولى من الرعاع. إن الموت لا يحصد سوى المخلصين الصادقين، أما الكاذبون والأفاقون فلا يرحلون. لم يبق لى سوى شىء واحد: أن أبحث فى أسرتى عن كل الأشياء التى تحقق السعادة وراحة النفس، وأن أتذكر من رحل من أصدقائى فى كل مناسبة دينية.

٨ نوفمبر

زارنى اليوم الدكتور إدوارد نويمان *Eduard Neumann*[١] قادمًا من كانيشا *Kanizsa* ، وقام بإلقاء محاضرة له فيما يطلق عليه "منتدى الأدب اليهودى". وقد حكى لى أنه قد عرض على منظمى هذه المسرحية الهزلية أن يلقى محاضرتين: الأولى عن أبراهام جايجر *Abraham Geiger* ، والثانية عن نيتشه *Nietzsche.* وجاء رد منظمي المسرحية الهزلية برفضهم لمحاضرة جايجر، وموافقتهم على محاضرة نيتشه. إنها حقًا جمعية أدب يهودية نقية!

الاحتفال بنهاية عام ١٨٩٩

إنها أمسية تدعو للتأمل والتفكير فى أحداث العام الذى نودعه. تراءى للبعض أنه لا يصح استقبال عام جديد دون ذكر لى إجلالاً وتقديرًا. أرسل لى تيودور مومزن *Theodor Mommsen*[٢] فى أسبوع الاحتفال بعيد الميلاد

(١) *Eduard Neumann* (١٨٥٩ – ١٩١٨) حاخام فى ناجيكانيشا *Nagykanizsa*.

(٢) *Theo. Mommsen* (١٨١٧– ١٩٠٣) مؤرخ وأستاذ جامعى فى كل من جامعتى بريزلاو *Breslau*، انظر مرجع *B. Hellar* تحت رقم ٢٦٣.

المجيد آخر ما صدر له من أعمال، وهو كتاب "قانون العقوبات الروماني"، مرفقا به خطاب غاية فى المجاملة، حيث رجانى بأن أمده بالتواريخ الإسلامية والمعلومات لعمل مقارنة حول النقاط الأساسية الخاصة بقانون العقوبات. وكنت قد انتهيت بالفعل فى هذا التوقيت من هذا العمل .

وبناء على ذلك فلدينا تيودور مومزن.. ويقابله مارتن شفايجر *Martin Schweiger* وهذا هو التوازن الذى تحقق فى عام ١٨٩٩.

فى هذا العام أيضًا قمت ومعى زوجتى بزيارة إيطاليا واستمتعنا بها. وهذا يعتبر.... (كلمة بالعبرى).

فى هذا العام تم نشر الجزء الثانى من مجموعة أبحاثى ومقالاتى، وظهر هذا الجزء بالأسواق فى كل مكان، وحظيت بتقييم جيد جدًا على المستوى الرسمى من قبل كل من: باربيه دو ماينارد *Barbier de Maynard* نشر فى *(Revue Critique)*، ودى خويه *de Goeje* (فى المجلة السابقة ذاتها)، وبتقييم مــن نولدكه *Nöldeke* نشر فى *(WZKM)*، وآخر من هارتمان (نشر فى *OLZ*).

وهناك مقالات أخرى صغيرة نُشرت فى هذا العام، وأخرى قمت بكتابتها.

كما عادت روابط الصداقة القديمة وتوطدت دعائمها. وقد تأكدت من احترام الناس وتوقيرهم لشخصى بقدر كبير، وهو ما شاهدته وعايشته أثناء وجودى فى روما .

وعلى الجانب الآخر أراد القدر أن يصيبنى بخسائر معنوية قاسية على نفسى: لقد افتقدت كلاً من كاوفمان *Kaufmann* وبيترفاى *Péterfy!* إن هذين الاسمين محفوران فى أعماق نفسى، ولا يستبدل بهما آخرون .

والآن.. إلى الأمام- أيها اليهودى السرمدى - نحو القرن الجديد! والرب معك!

تيودور مومزن فى مواجهة مارتن شفايجر ! *Martin Schweiger*

الحمد لله!/

عام ١٩٠٠ ٢٢٥

٢١ يناير

مرة أخرى شاهدت بين أناس كثيرين جانبًا من غرور وتكبر شخصيات كبرى. فى هذا اليوم حضرت - بناء على دعوة ذات طابع أوربى - حفل استقبال أقامه بائع الكتب "ريفاى *Révai*"[١]. كان من بين الحضور أيضًا بعض الشخصيات المهمة فى المجتمع. على اليمين - أصحاب السمو والمكانة الرفيعة، وعلى اليسار - أصحاب السمو والمكانة الرفيعة: أى حظ وأى سعادة مثل هذا الحدث بالنسبة لسيدة منزل يهودية؛ إن فقيرًا مثلى يعيش حياته بشق الأنفس يتلقى دعوة حضور هذا الحفل لكى يكون واحدا من الشهود الأحياء - من بين مائة شخصية - على هذا التكريم الرفيع لسيدة منزل يهودية.

٢٥ يناير

تلقى كل من السيد كونوس *Kunos*[٢] والسيد مونكاشى *Munkácsi* (!!) تكليفا مشفوعًا بدعم مالى مُغرٍ من الوزارة فى أن يقوما بإصدار "مجلة

(١) *M.J. Révai* (١٨٦٠ - ١٩٢٦).

(٢) *I. Kunos* (*1860-1945*) أستاذ متفرغ فى بودابست وعالم فى فقه اللغة التركية.

شرقية"[1]. واليوم أحضر لي الكاتب المذكور أولاً نشرة قام بكتابتها ورجاني بقبول أن ينال الشرف في أن يذكر اسمي كزميل له في العمل على صدر الغلاف. مجلة شرقية للخارج، ويشرف عليها السادة المذكورون، يقوم بالتخطيط لها وتنفيذ موضوعاتها هنا دون إحاطتي بالعلم. هذا جليٌ بدرجة واضحة – لكي أبرر عدم موافقتي على إعطائه مثل هذا الشرف وكان قراري هذا أكثر القرارات الإيجابية في حياتي. وبطبيعة الحال كنت سأكتسب، إلا أن اسمي معروف الآن في الخارج جيدا، بحيث لا أجد أي داع يجعلني أقبل في استخدام اسمي ستارًا لتحقيق منافع مادية رخيصة. كان لدى السيدين (اللذين يشبهان شخصيتي "القط وخناقه" المخادعين في حكايات الشطار قبل عشر سنوات) وقتًا قبل أن يهرعا إلي كي يشرفا بالاستعانة باسمي في خطتهما. لقد جاءوا إلي كالمتسولين.

٢٧ يناير

هناك أناس غيري ينظرون إلى تقدم العمر على أنه جني ثمار عملهم على مدار سنوات العمر السابقة؛ ولكني أقول إن تقدم العمر بالنسبة لي هو محصلة لكل ما هو بائس، ومجموع ما عايشته من معاناة وألم في سنوات الشباب.

٤ فبراير

جاءني اليوم الحاخام الآخر – جاري[2] – يزف لي خبرًا، وهو أن السادة بالإدارة العليا لطائفة التعبيرات الجديدة يشعرون بالندم على ما ألحقوا

---

(١) وهي مجلة *Keleti Szemle* (بانوراما شرقية).

(٢) وهو س. كون *S. Kohn*.

بى من خزى وعار، ويطلبون منى أن أنتهز هذا الوضع لأقفز على وجه السرعة وأستغله لصالحى، وذلك بعد أن أعرب القائم حاليًا على تدريس مادة فلسفة الدين، والنادم على ما نحن عليه من فراغ، صاحب المقام الرفيع "ريباخ *Rebach*" فى عن عدم قدرته على الاستمرار فى نيل هذا الشرف. إنهم يناشدون فىَّ "الحمية" ويطمعون فى قدرتى "المثالية"، وجعلنى انظر للأمور بتعمق. يبدو أنهم يعتبرون أن فى هذا شرفًا خاصًا لى. من السهل/ أن يتصور [٢٢٦] أى شخص أن حب الانتقام البغيض يسيطر علىّ نفسى بحيث يدفعنى هذا الشعور إلى قبول الدخول فى مجتمع هؤلاء القوم. ولكن كنت لن أترك الأمر ذاته يمر دون أن أفعل شيئًا لو أنهم فقط قاموا بتقديم أى شكل من أشكال رد الاعتبار لكرامتى.

١٥ فبراير

اليوم وضعوا أمامى كل أشكال تقديم الطلب، وأبلغونى بأنهم موافقون على أن "أتولى تدريس مادة فلسفة الدين مقابل مبلغ ١٥٠٠ كرونة سنويًا". إن الالتزام الأخلاقى عندى من شأنه أن يدفعنى إلى القبول، ولكنه سيكون مخلوطا بمشاعر الاشمئزاز فى نفسى تجاه هذه المجموعة. على أنه ليس من الواجب أيضًا الرفض وترك هذا المجتمع الحيوى الفاسد دون أن أمنحه قسطاً من ملامح الحياة الشريفة.

٢٦ فبراير

أثناء قضاء المساء مع المستشار الخاص بالديوان الملكى، سعادة الكونت جيزا كوون *Géza Kuun* جاءنى جارى - وقد اقترب منتصف الليل

- برسالة، يبلغنى فيها أن كل أعضاء "اللجنة" قد وافقوا بلا استثناء على اتخاذ القرار بشأنى، ويناشدوننى أن أنضم إلى هيئة التدريس الخاصة بمادة فلسفة الدين. إن من "بهيئة التدريس" أنفسهم، وعلى رأسهم "ريباخ ***Rebach*** " لم يتوقعوا أن تسير الأمور إلى ما سارت إليه، ولكن الرجل العجوز الوقور المبجل "بلوخ ***Bloch***" هو الذى أعطى لتصويت هيئة التدريس توجيها خاصًا، وهو أنه ينبغى على هذه الهيئة المثالية أن ترد لى اعتبارى بأن تتوجه بالرجاء لشخصى بالقبول. وإننى على يقين بصدقه وإخلاصه.

ولكن السؤال يبقى بلا إجابة: هل أعتبر هذا انتصارًا أم هزيمة؟

٩ إبريل

بعد فترة راحة طويلة، قمت اليوم بزيارة رجل الدين (الدرويش). مع تقدم هذا المغامر الشرير فى العمر تزايد شره ووقاحته. اليوم تحدث معى عن:

١. القيمة العليا للمال؛ وقال لى: كل إنسان لم يصنع مالاً، ومالاً وفيرًا، هو شخصية مهينة، حقيرة، بلا أخلاق. وأضاف: "لقد كسبت من عملى ربع مليون، ونصف المليون كرونة، ولكن ليس بالعلم. ماذا يفيد العلم والدكتوراه يا (ونطق بفعل سيئ). هل تريد أن تكون د. مومزن ***Mommsen***؟ هذا هو أكبر حمار..." واستمر فى الوقاحة، وقال:

٢. "فى المجر لسنا فى حاجة إلى علم.. هل تعتقد أننى اكتسبت ثروتى بالعلم؟ هيهات هيهات! لقد حصلت عليها من مرتبى السنوى ومن ملكة

إنجلترا ومن السلطان مقابل خدمات سياسية. إنجلترا هى الآن "مرتبى"، وبزيادة "٥٠٠ جنيه" سنويًا. هذا هو العلم الحقيقى يا حبيبى".

٣. وبالمناسبة، لماذا لا تترك المجر وتذهب لأى مكان آخر بعيدًا؟ هل تنتظر وفاة السيد *H.*[1]؟. إننى أعلم أنك ذائع الصيت، سمعت ذلك بالخارج. لابد وأن تهاجر". /

ثم جاء على لسانه نهر من العبارات البذيئة والشتائم التى لا تفتقر إلى قواعد اللغة تجاه كل الأديان، والاشتراكية والوطنية (التى هى أكبر خديعة ونصب واحتيال) إلخ إلخ. ٢٢٧

أكثر كان رأى من حكيت لهم هذا أننى فى هذه الساعة قد حققت من الحكمة ما لن يقدر على تحقيقه حكماء اليونان السبعة جميعهم حال دعوتى إليهم.

١٢ إبريل

فى هذه الأثناء، كنت على تواصل مرة أخرى مع مستشار الديوان الملكى الوقور الكونت د. جيزا ف. كوون *Géza v. Kuun*. فى كل مرة تأتى تلك المراسلات حين تكون هناك حاجة ملحة لفخامة الملك لأى مهمة علمية. وهذه المرة تعلق الأمر بأن فخامته قام باقتباس مقتطفات من الجغرافيين العرب عن التبت؛ وقد أُخذت المواضع من فهارس المراجع الجغرافية التى ذكرها دى خويه *de Goeje* فى إصداراته، ثم قام فخامته بنقل النصوص المطبوعة ورغب فى ترجمتها بمساعدتى. وحيث إننى "معاونه"، فقد كان يطلب منى حين لا يتوافر شىء فى الفهرس أن أزوده أيضًا بالمواضع

(١) يقصد *P. Hatala*.

المنقولة لدىَّ. وقـــد ألمحت حرم الكونت عن رضاها بتعبيرات وجهها، كما لو أن هذا الأمر بمثابة امتياز كبير لشخصى فى أننى أقوم "بمساعدة" فخامة "الاستشارية والكونت".

لا يـــزال حديث الدرويش *(Vámbérg)* يطن فى أذنى ويشج رأسى، ولا يزال لدىَّ إحساس كما لو أصبت بتلوث من خلال هذا اللقاء معه، إننى أشعر بغمة وعدم ارتياح منذ بضعة أيام.

رسائل متواصلة مع كراباتشيك ***Karabaček*** بشأن تعهد الأكاديميات المتحدة بتنفيذ الموسوعة، حيث إننى أقوم نيابة عن كراباتشيك ***Karabacek*** بتحرير الطلب الذى سيقدمه لدى أكاديمية فيينا فى هذا الشأن.

١٦ إبريل

منذ ثلاثين عامًا شاءت الأقدار أن يأتينى دائمًا الغيث، وأن يتدفق النور من الخارج، كلما غشيتنى غُمَّة، واعتل مزاجى فى علاقاتى بالداخل. فى الأيام الأخيرة ومنذِ ضجيج حديث الدرويش معى أجد نفسى فى حالة انزعاج، ولا تدعنى أقبل على عملى بجدية؛ إننى أشعر بفقدان الرغبة فى ذلك، بل إن صلواتى فى عيد الفصح لم تفلح فى عودة الحالة الطبيعية لها. وفى ظل هذه الحالة وصل إلى خطاب من باريس من لجنة المؤتمر الذى سينعقد بها فى شهر سبتمبر وموضوعه تاريخ الأديان، وأعربت فيه بتعبيرات غاية فى التودد عن رجائها بإلقاء محاضرة بالجلسة العمومية للمؤتمر عن أى موضوع إسلامى. وهنا تذكرت ما قاله لى الدرويش: "لماذا لا تترك المجر وتذهب لأى مكان آخر بعيد؟ هل تنتظر وفاة السيد *.H*؟ إننى أعلم أنك ذائع الصيت، سمعت ذلك بالخارج. لابد وأن تهاجر".

١٩ إبريل

لم يكن بمقدورى أن ألبى بسهولة طلب باريس من منظور العلم وقيمته داخل حدود بلذى. فلو كان فى استطاعتى أن ألبى الدعوة لفعلت ذلك بكل تأكيد؛/ ولكننى لا أملك الوسائل المادية للقيام برحلة لفرنسا، وأن أمكث بها [٢٢٨] عشرة أيام أثناء المؤتمر. وفى ظل هذا الموقف توجهت إلى سكرتير الدولة السيد زيلينسكى *Zsilinszky*[١] الذى أشار على بأن أتقدم بالتماس إلى الوزارة للموافقة على دعم البعثات للخارج لحضور المؤتمر. ولقيامى بهذه الخطوة تحدثت مع أولادى وحصلت على موافقتهم؛ فبدون هذا الاستئذان منهم لا يحق لى أن أحصل على ختم التسول دون علمهم؛ على أننى أكاد أكون متأكدًا بأن العريضة التى تقدمت بها إلى فخامة فلاسيكس *Wlassics* لن يكون لها تأثير لديه، وبالتالى سيبوء أمر تسولى إلى لا شيء، وسأندم على إقدامى على هذا التسول الفاشل.

٢٤ إبريل

أكبر اجتماع عام للجالية اليهودية. دارت جدالات خاصة بفلسفة الأديان التزمت فيها بطبيعة الحال بصمت القبور. يتحتم على فى مثل هذه الحوارات الجدالية أن أحفظ نفسى على الدوام من الانزلاق فى هذه المستنقعات.

٢٥ إبريل

حصلت اليوم على المرسوم الوزارى الصادر من مقرر المجلس الملكى بلجنة المحاضرات الإسرائيلية[٢] بشأن تكليفى رسميا بالتدريس فى محاضرات الحاخامات.

---

(١) *M. Zsilinszky* (١٨٣٨ – ١٩٢٥) مؤرخ وسكرتير الدولة.

(٢) *J. Simon*.

٩ مايو

استحوذ كتابى "دراسات إسلامية" على إعجاب جم فى نفس السيدة يانج *Young*، وهى حرم محافظ مقاطعة بيندشاب *Pendschab* لدرجة أنها ترغب فى ترجمته إلى اللغة الإنجليزية[١] (خطاب من أوريل شتاين *Aurel Stein* [٢] فى إبريل ١٩٠٠). مفاوضات مع نيماير *Niemeyer* بخصوص الشروط.

جاءنى مرة أخرى من برلين الدكتور كيرن *Dr. Kern*[٣] لكى يناقشنى فى "أحاديث النبى". لقد أصبحت فى نظر المستشرقين فى أوربا بمثابة المنارة فى "الحديث".

١٢ مايو

أخبرنى سكرتير الدولة السيد زيلينسكى *Zsilinszky* فى خطاب شخصى بأن الوزارة قد خصصت لى مبلغًا وقدره ٨٠٠ كرونة بشأن السفر إلى المؤتمر بباريس.

٣١ مايو

لم أستطع أن أضع ثقتى فى أحد بأن أسرد له ما لقيته من ذل وهوان وإهانات عانيتها منها فى كل الأيام، مثلما فعلت ذلك فى هذه الصفحات. على الرغم من أن يوم ٣١ مايو لعام ١٨٩٩[٤] كان اليوم الأكثر غمًا وظلمةً فى حياتى، وكان بمثابة السيف الحاد الذى قطع صلتى بعهود سابقة فى حياتى،/

---

(١) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٢٣٣.

(٢) *Sir M. A. Stein* (١٨٦٢ – ١٩٤٣) عالم آثار ومستشرق.

(٣) *F. Kern* (١٨٧٤ – ١٩٢١) مستعرب من حلقة برلين.

(٤) حدث فى عام ١٩٠٠: انتحار ابنه *Miksa Adolf* (١٨٨٠ – ١٩٠٠).

إلا أنه تحتم على أن أعود وأمسك بكتاب يومياتى هذا لأستودعه، هو فقط - [٢٢٩] نعم وحده دون غيره - يعلم ما بنفسى من تعاسة وحزن. ولكن هل من الممكن أن يتسع شعورى ليشتمل حجم التعاسة التى لحقت بى من خلال مؤثرات خارجية، بعدما تحطم بيتى، وسُلبت منى سعادة أيامى؟.

إن قساوة وغلاظة قلوب رفقاء عقيدتى هى التى تجعل من المستحيل ممكنًا. إنهم لا يبغون من الحياة ومفهومها سوى إشباع غرورهم الأجوف، ولا يتحرك لهم ساكـــن تجـــاه النفس المنكسرة لمن بجانبهم من بنى البشر، ولا يقابلون موضوعها بغير هز الأكتاف. فكم هى سعادتهم حين اكتشفوا الآن أننى لا أحقق إفادة تذكر "للجالية"، وأننى لم أقدم ما هو مطلوب مقابل "مرتبى" الذى أتحصل عليه. وهذا ما قاموا بنشره وإعلانه فى مقاهيهم وعلى طاولات لعبهم الورق، والآن أوصلوا حملتهم أيضًا إلى "الطاولة الخضراء".

بعد مرض دام لمدة عام تُوفى مساعدى بالمكتب فى اليوم الثانى من رأس السنة الجديدة. وفى عشية يوم التصالح معى دعا صاحب الأمر والنهى زملاءه على وجه السرعة، لكى يعرض عليهم أمر شغل هذه الوظيفة، على اعتبار الأمر عاجل للغاية بالنظر إلى الأحداث التى تجرى بالعالم. وقد تناثرت عبارات كثيرة فى هذا الشأن، منها أن الأمور قد "تدهورت" (وهى عبارة مفضلة عند هؤلاء السادة الأغنياء) (وقد استغلت هذه اللاشخصنة بوضوح لصالح "السكرتير" الجالس معهم) وأن إدارة الأمر تسير "بلا رأس"، إلى غير ذلك من الكلمات الرنانة - باختصار "لا يمكن أن يبقى الأمر هكذا. نحن فى حاجة ضرورية إلى تعيين مدير إدارى ماهر، وتكون متعته أيضًا فـــى مواجهة "الاحتكاكات"، وكلما كان جاهلاً، كان من الأفضل، ولا يعرف إلا الوقاحة وعدم الخجل." وإذا قدم لهم ضمانات بأنه سيتعامل معى بلا حياء ولا أدب، فسوف يقرون به بادئ ذى بدء أنه "الشخص المُفضَّل والأنسب". وهكذا استعدوا للساعات الأربع المتعلقة بيوم التصالح. وفى الجلسة التالية

لفت نظرى السيد .K – فى حضور زملائه وباشمئزاز واضح– إلى ملحوظة، وهى أن "السكرتير" كان يقرأ التقارير على أعضاء اللجنة بطريقة "مؤلمة" لها تأثيرها بوجه خاص على الحاضرين.

فى يوم ٢٢ أكتوبر بدأت عملية إعلان الإفلاس. فجأة أعلن الناس عن تأجيل موعد التعيين الذى قالوا عنه إنه عاجل إلى شهر يناير، وقالوا إن الأمور الخاصة يمكن أن يكون لها مردود غير ملائم عليهم أثناء إعادة الانتخاب التى ستجرى فى ديسمبر. وفى هذه الأثناء شرعوا فى تحويل حياتى إلى جحيم، وأنهكوا صحتى، وسلبونى قدرتى على العمل بممارسة صلفهم وغرورهم تجاهى، وبقدرتهم على التباهى بما يمتلكونه من تلال الأموال. ومن يوم لآخر ملأوا الدنيا بثرثرة عن عدم كفاءتى، بل إن أمور التدريس التى أقوم عليها بكل أمانة وجد وحماسة طوال عقدين، تنكروا لها ولكل عمل أديته. إننى أعيش بالفعل إنسانا نكرة، مجهولاً بين هذا الشعب. ورغم ذلك لن أخون قواعد السلوك ومبادئ الحكمة التى قال عنها ر. تارفون **R. Tarphon**.

إننى لا أرغب فى أن أسترجع كل ما سبق لأتذكر – لبعض لحظات – الاعتراف بشخصى إلا على مضض. إذ لا أرى من هذا ما له علاقة بتلك الذكريات الرسمية فى حياتى./

٢٣٠ عام ١٩٠١

فى شهر مارس من عام ١٩٠١ طلب منى الحاكم العام للجزائر كتابة مقدمة لطبعة خاصة "بابن تومرت **Ibn Toumert**" ستصدرها الحكومة (وقد قمت بهذه المهمة فى إجازات الصيف التى قضيتها فى نوردرناى **Norderney** ببحث كبير عن وضع الروابط اللاهوتية فى القرنين العاشر والحادى عشر)[1].

(١) انظر **B. Heller**، مرجع سابق، تحت رقم ٢٤٣

في شهر إبريل أرسلتني أكاديميتنا مبعوثا لها لحضور الجمعية العمومية للمنظمة الدولية للأكاديميات، حيث إنني حظيت في جميع الدوائر بكل ألوان التكريم الفائقة. وقد اعتبرت الجالية قبولي لهذه المهمة خرقًا لواجباتي، واضطررت في منتصف المفاوضات لأن أعود على وجه السرعة من باريس كي أقدم لهم "مفهومًا عامًا".

وكان علي - لكي ألوذ أيضًا بكل ما حدث في السابق- أن أستحضر هنا ما فاتني، من أنني قمت بصحبة لاورا ***Laura*** بزيارة مؤتمر تاريخ الأديان في شهر أغسطس عام ١٩٠٠ الذي اختاروني فيه نائبًا للرئيس.

وفي يوم ٦ من سبتمبر قمت بإلقاء محاضرتي عن "انتشار الإسلام وبلاد فارس ***Islamisme et Parsisme***" أمام جمهور كبير من العلماء بالمسرح المكشوف بالسوربون، والتي طُبعت في الكتاب الصادر عن المؤتمر (الجزء الأول)[١]. لقد حظينا باهتمام على أعلى درجة من التميز من جانب جميع الدوائر الثقافية، وفي ظل الحالة النفسية التي ظهرت علينا أعرب جميع الأصدقاء، الزميلان "ريفيل ***Réville***"[٢] و"مارليير ***Marillier***"[٣]، وكذلك باربيه

---

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٢٢.

(٢) ***A. Réville:1*** (١٨٢٩ – ١٩٠٦) عالم في اللاهوت الإنجيلي، ورئيس قسم العلوم الدينية بكلية الدراسات العليا.

٢: ***J. Réville*** (١٨٥٤ – ١٩٠٨) عالم في اللاهوت الإنجيلي، وأستاذ البطركة وتاريخ الكنائس بكلية الدراسات العليا.

(٣) ***L. Marillier*** (١٨٤٢ – ١٩٠١) فيلسوف فرنسي، ومدرس بكلية الدراسات العليا وكلية المتميزين بباريس.

دى مينارد *Barbier de Meynard* وغيرهم، عن رغبتهم فى ضيافتنا لدى أسرهم لننعم بالراحة والانتعاش.

قادتنا إجازات الصيف لعام ١٩٠١ إلى نوردرناى *Norderney*، حيث عكفت أثناء إقامتى بها على العمل والبحث بجد واجتهاد. كانت مدينة جوتنجن *Göttingen* هى المحطة الأولى فى رحلتنا، حيث أقمت بها ثلاثة أيام، وقمنا بزيارة ابننا كارل *Karl*(١) الذى انتهى لتوه من الفصلين الدراسيين بجامعتها. وهنا أُتيحت لى أيضًا فرصة وجود كثير من اللقاءات والأحاديث مع فيلهاوزن *Wellhausen*(٢) الذى أعرب لى محبته وتقديره لشخصى. وقد تأكدت مشاعرنا بكل فرح وسرور من أن ابننا يحيط به دائرة نقية من الأوفياء والمخلصين.

فى العام المنصرم كان على أن أبتعد عن بعض المغريات الأدبية. فقد تلقيت عرضا من أميلانج *Amelang* بشأن تأليف كتاب عن تاريخ الأدب العربى، كما أعرب عن رغبته المحمومة فى السماح له بترجمة النسخة(٣) التى كنت قد أعددتها باللغة المجرية لجمعية فرانكلين؛ أعرب كل من تروبنر ونولدكه *Trübner-Nöldeke* عن رغبتهما فى تعاونى لهما فى تأليف كتاب مختصر فى اللغة السامية؛ وطلبت منى مجموعة جوزشن *Göschen* تأليف كتاب عن الإسلام؛ كما طلبت الجمعية الأدبية اليهودية ببرلين موافقتى على إصدار محاضراتى التى كنت قد ألقيتها فى عام ١٨٨٧ باللغة المجرية عن

---

(١) كارل جولدتسيهر *Karl Goldziher* (١٨٨١ - ١٩٥٥) عالم رياضيات.

(٢) *J. Wellhausen* (١٨٤٤ - ١٩١٨) عالم فى الأناجيل ومستعرب، وأستاذ لاهوت بجوتنجن.

(٣) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٢٤٦.

"تطور اليهودية"[1] فى ترجمة لها باللغة الألمانية. رفضت كل ما عرض على./

[٢٣١]

عام ١٩٠٢

١٦ مايو

احتفلت اليوم فى هدوء تام بيوبيل، وهو بمناسبة مرور أربعين عامًا على مشوار عملى فى الكتابة والتأليف– والذى ترجع بدايته ليوم ١٦ مايو من عام ١٨٦٢، وهو يوم ميلاد المرحومة أختى، ويؤرخ هذا اليوم مقدمة كتبتها لـــ "زيخات جيتشاك ***Sichat Jiczchak***". أربعون عامًا تمر على كاتبًا! هل لى أن أمارس النقد على نفسى؟ ولما لا، بل وهنا على هذه الصفحات محل الثقة؟ ربما تكون الصورة التى قدمتها فى إنتاجى على مدار أربعين عامًا غير مُرضية من المنظور الأدبى، وهى فى حاجة إلى تقييم أخلاقى. لقد عشقت الحقيقة. ولن يغيب إذ ذاك عن الناقد الأدبى أنه أمام تطور وارتقاء فى خط مستقيم فيما أحدثه قلمى من أثر على القراء، بدءًا من صبى يبلغ من العمر١٢عامًا وحتى صرت شيخًا بلغ من العمر ٥٢ عامًا. مرورًا بآداب العصور القديمة – الأدب اليهودى، والتركى، والعربى، والمصرى، والآشورى؛ ومرورًا بأهل السُنَّة والشيعة، لم تتسلل الكآبة إلى نفسى، ولم يعرف الملل طريقًا إلىَّ، كنت دومًا على طريق النضج والترسخ. فى البدء اتسم قلمى بالخيال المقترن بالأمانة، والحرية المصاحبة للتدفق، ثم تسلل إليه – فى تنام شيئًا فشيئًا – الشعور بالخوف الذى لا يرحم، وأسلمت نفسى للنقد الشاق.

---

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ١٢٥.

ويمكنني القول إنني قد فتحت آفاقًا ورؤى جديدة فى ساحة الأدب العربى ونقد المصادر الإسلامية، وهى تحظى اليوم بالاعتراف بها فى جميع الأوساط.

وارتباطا بهذه المرجعية العلمية على وجه العموم، وجهت عنايتى إلى النتائج العلمية أيضًا فى الأدب المجرى. كان ذلك عندى من الواجبات التى يجب أن أتكفل بها، حيث إنها كانت لوقت طويل فى مكانة أعلى من المشاركة الناجحة فى التيار العظيم لحياتى العلمية فى العالم خارج دائرة المجر. وفى نطاق هذا الأدب المجرى خصصت قسطًا عظيمًا من طاقتى للأدب اليهودى منه – محاطًا بنكران ملوث للجميل وازدراء وقح لشخصى!

وبناءً على ذلك، حين أطالع صنيعى عبر التاريخ، فإننى أنظر بعين الرضى والقناعة إلى الفصـــل الـــذى يحمـــل عنوان: "أربعون عامًا كاتبًا"، لا سيما حين أضع نصب عينى الإطار الذى مارست فيه هذا النشاط، وذلك لأن هناك فصل آخر يندرج تحت هذه الأعمال يمكن وصفه بالعنوان المثير للاشمئزاز: "سبعة وعشرون عامًا شماسًا!". فكم من ضغط، وعذاب، وتضحية للنفس يعنى هذا! أعود بنظرى لأطالع الطريق الذى قطعته فيقشعر بدنى، ويتعين على أن أعترف فى خضوع أنه بدون رحمة الله وعنايته – رغم ما تحليت به من كل ألوان الاستسلام والاستكانة والتحكم فى النفس – ما كان من الممكن أن أحصل فى ظل هذا الاستبعاد على ذرة من فكر حر لصالح العلم. سبعة وعشرون عامًا شماسًا! أى دون النظر إلى الاحتفال الرسمى الذى يُقام عادةً بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على العمل بشكل رسمى بالدولة! لم ألتفت إلى العام الجديد المشئوم، ولا إلى أشياء

أخرى. أحمد الله على ذلك! ولكن ما يميز الحالة أننى لم أمر فى حياتى فى سنة واحدة من تلك السنوات بمثل كل هذا الذل والعذاب والإهانة والهجوم الوقح على مهنتى، عما أشعر به فى ذلك العام من اليوبيل الرسمى. إن إسرائيل قوم بودابست يخجل من إسرائيل الذى أؤمن به. لعله يشعر بالخجل، ولكنه لا يعرف معنى الخجل.

١٠ يوليو

ونظرًا لأننى بدأت من جديد فى أن أمنح ثقتى لهذه الصفحات، فمن الواجب أن يكون بها مكانًا للتنويه إلى أمرين، باختصار؛ الأول يتعلق بدعوة من رئيس تحرير جريدة الأدب الألمانية، الأستاذ هينبيرج ***Prof. Hinneberg***(١)، "الذى سيكون من المحظوظين عند معرفته الشخصية بشيخ المستشرقين الأحياء"- كما علم ذلك من مصدر موثوق به؛ والثانى يتعلق بإهداء كتاب صادر عن "شواللى ***Schwally***"(٢) "للبيهقى ***Baihakî***". ولا شك أن كل هذا لا يزيد عن مبالغة حسنة النية والمقصد.

إننا نستعد الآن للقيام بإجازة لمدة ثمانية أسابيع. وفى يوم ١٦ من هذا الشهر ستبدأ رحلتنا، مرورًا ببريزلاو ***Breslau*** وهامبورج ***Hamburg*** وحتى سيلت ***Sylt***. ومن هناك سأتوجه مع "لاورا ***Laura***" فى بداية سبتمبر إلى هامبورج لحضور مؤتمر المستشرقين. للأسف لن أتمكن من استغلال وقت الإجازة فى البحث بدرجة مكثفة. وسآخذ معى أشياء متنوعة، منها الجزء الثالث من مقالاتى وأبحاثى، وبعض من المقالات الصغيرة، من بينها: مقال

---

(١) ***P. Hinneberg*** هو رئيس تحرير جريدة الأدب الألمانية (١٨٩٢ – ١٩٢٤).

(٢) *F. Schwally* (١٨٦٣ – ١٩١٩) مستعرب، تلميذ نولدكه.

بعنوان "الإسلام" للموسوعة اليهودية[١]، وآخر عن "الخرافة الإسلامية بشأن قوة الذاكرة *Muhammedanisher Aberglaube über Gedächtniskraft*" وأشياء أخرى (للكتاب الاحتفالى ببرلين)[٢]، وثالث بعنوان: "القرين فى الإسلام *Der Seelenvogel im Islam*" لمجلة جلوبوس *Globus* [٣]، وآخر عن "أعداء الكلام فى الفلسفة واللاهوت *Theologiscche und philosophische Feinde des Kalâm*" (لمجلة *WZKM*)[٤] والتى لم أكملها بعد. ولكننى أشعر بالإجهاد العضوى والفكرى، فضلا عن الإرهاق، عدم أخذ الحق فى الراحة أيضًا.

سبتمبر ١٩٠٢

مؤتمر المستشرقين فى هامبورج.

فى العام الماضى كانت هناك دلائل غير عادية على الاعتراف بإنتاجى العلمى. سأذكر على سبيل المثال لذلك ما ذكره إدوارد لامبيرت *Eduard Lambert* فى مدينة ليون *Lyon* فى مؤلفه عن تاريخ الفقه، وكذلك ما كُتب فى مقدمة كتاب "النظرية الدستورية فى الإسلام" لماكدونالد *Macdonald*، والانتحال المقبول لأعمالى فى كتب بيتزى *Pizzi*. وغير ذلك.

وقد ظهر كتاب "الحكومة الملكية" لروبرتسون سميث *Robertson Smith* بما زيد عليه من إضافات. ويجرى التفاوض معى على كتاب مختصر فقه

---

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٥٨.

(٢) المرجع السابق، تحت رقم ٢٤٨.

(٣) المرجع السابق، تحت رقم ٢٤٩.

(٤) لم يُعثر عليه فى الببليوغرافيا.

اللغة السامية (تروبنر *Trübner*)، حيث تتجه الرغبة لأن أتولى تحريره، وهو ما اضطررت إلى رفضه. كما أن تويبنر *Teubner* يشيد بى لدرجة التملق فى كتابه "الثقافة الفكرية"، وهناك خطاب خاص بهذا فى حزمة تبادل رسائلى لمن يرغب فى الاطلاع عليه، وهو خطاب يعطى انطباعا كما لو أن العالم أجمع ينظر إلى الآن على أننى أصبحت شيخًا لعلوم الإسلام. وبهذا المعنى تلقيت فى يوليو ١٩٠٣ دعوة باسم الباحثين الأمريكيين تفوق الوصف فى الإشادة بى، حيث وُصفت بها "ضيفًا رسميًا" على مؤتمر العلم والفنون المرتبط بالمعرض الدولى المقام فى سانت لويس *St. Louis* (انظر المراسلات الخاصة ب: أمريكا). كما أن جامعة كونجزبيرج *Königsberg* / قد طرحت [٢٣٣] اسمى فى "المقام الأول" لنيل درجة الأستاذية فى العلوم الشرقية منها فى هذا العام. أما عن علة رفضى الذى أعلنته من البداية فترجع إلى أن صوت الوزارة البروسية لم يصل إلىَّ.

عام ١٩٠٣

الأول من نوفمبر

منذ قيامى بتدوين يومياتى الأخيرة عشت بعضًا من التجارب التى زادت حياتى ثراءً، ولدى الرغبة فى تسجيلها على هذه الصفحات باختصار، وتحديدًا فى هذا التوقيت الذى أعانيه فى منصبى الرسمى أشد ألوان الهوان والذل والتحقير والمضايقات. إنهم يسلكون الآن منهجًا خاصًا تجاهى، وهو يتسم بالإقصاء وتحقير آرائى والتهكم وهز الأكتاف والتعامل معى ليس أكثر من خادم ليس له من الحقوق سوى أدناها، ثم نشر هذا الأمر فى جميع أنحاء

العالم بغرض عدم الاعتراف بيهوديتى ولا ممارستى لشعائرها، وكأننى لم أفعل شيئًا على مدار ثمانية وعشرين عاما مليئة بالخوف والذل والهوان. وفوق هذا وذاك يستهدفون النيل من كيانى الشخصى بتلويث سمعتى وتشويهها، ولصق كل ما يمكن تخيله من المصائب والأفعال الفاشلة بشخصى.

وفى خضم هذا الوضع الباعث على اليأس والشك وخيبة الأمل أرادت الأقدار أن تخرجنى مما أعانيه، فتنفتح أمامى طاقة صغيرة من الأمل فى الحياة وتخليص نفسى من البؤس الذى أعايشه، كان ذلك فى خريف عام ١٩٠٢. فقد تلقيت عرضًا بتولى منصب الأمانة العامة للمكتبة الكبرى للأكاديمية، سواء فى منصب الرئيس أو الأمين العام. ثم إن كل الرواد بالمكتبة قد رشحونى لهذا المنصب، وكما يتبين من الأوراق أن الطلب قد لاقى تفهمًا من الأمين العام ومن الرئيس، وأنه بات من المؤكد إعلان اختيارى للمنصب على العالم دون أدنى شك، وأنهم وضعونى فى أصعب موقف من خلال التهانى التى سألتلقها مبكرًا. وهنا فوجئت بأن المسألة قد أخذت فى شهر مايو من عام ١٩٠٣ منحى لا أفهمه حتى هذه اللحظة: فقد سقط ترشيحى للمنصب دون شغل المنصب حتى يومنا هذا. ومن تصريحات الرئيس التى أعرب عنها للأستاذ ريدل ***Prof. Riedl*** [١] تبينت الحقيقة التالية: "اليهود لا يرغبون فى ذلك"[٢]. ولا أعلم أى تفسير لهذه الجملة يمكننى أن

---

(١) ***F. Riedl*** (١٨٥٦ - ١٩٢١) مؤرخ للأدب وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) ذكرت العبارة باللغة المجرية فى النص.

أخلص إليه؛ إن تفكيرى يتجه أيضًا فى المؤامرات التى تحتوى خلاصتها هذه الجملة، وليس هناك من تفسير آخر.

فى هذا العام أيضًا نُشرت رسالة ابنى كارل *Karl* الفريدة فى الرياضيات؛ وفى شهر سبتمبر جاء حصوله على درجة تمهيدى الأستاذية (دبلوم). وقد أجلت المآسى الحربية أن يبدأ مسيرته الوظيفية، وهذا الموضوع ساعد على زيادة تشاؤمى وعدم إخراجى من وضعى المحزن./

[٢٣٤] فى هذين العامين كان نشاطى الأدبى أشبه بمن أصيب بحالة من الشلل من خلال أوضاع متعددة. فلم تنهض حالتى النفسية مما هى عليه. فقد التهمت محاضراتى فى الدرس اليهودى كثيرًا من وقتى، كما دفعتنى أيضًا إلى اتجاه معوق لمواصلة دراساتى الأصيلة. على الجانب الآخر نتج عن ذلك خروج منشورات لى فى المجال اليهودى، نُشرت فى "مؤلف الدراسات اليهودية *Revue des Etudes Juives*" (وهى أخلاط من الدراسات العربية-اليهودية، بلغت حتى اليوم ١٦ مقالة)[١]، كما نُشر بعضها فى "المجلة اليهودية ربع السنوية *Jewish Quarterly Review*" (ومن بينها مقالات عن الشعر العبرى الحديث)[٢]. وقد أبحرت فى أعماق الأفلاطونية الجديدة اليهودية، وقدمت معالجة للنص الأصلى لكتاب ["معاني النفس المنسوب لباتشيا خطأً؟] مع ضم ملحقات، وأعتقد أننى سأقوم بنشر البحث فى العام

---

(١) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٢٥٢.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٣٤

المقبل فى أى مكان[١]. والذى لا تقل أهمية عما سبق أن قمت بنشره – أغلبها فى مجلة *WZKM* – من سلسلة مقالات بحثية فى الاتجاه العربى الإسلامى، ومقالات نقدية موسعة نُشرت فى مجلة "جمعية المستشرقين الألمان *ZDMG*"، وهناك مقالات نُشرت فى غيرهما. كان الموضوع الرئيس معالجتى لشعر الرثاء العربى[٢]. كما أن لى كتابًا عن "موضوع القسم" عند العرب فى الجاهلية (وهو بكل تأكيد سيظهر فى شكل بحث فى الجزء الثالث من مجلدات فقه اللغة العربية) لا يزال فى شكل مخطوطة كتابية لم تُنشر[٣]. وأيضًا لم تغب عن هاتين السنتين المنشورات المجرية: تاريخ الأدب العربى (فى سلسلة الأدب العالمى لجمعية فرانكلين *Franklin*)، ومقال بعنوان: "عن تأثير البوذية على الإسلام" والذى يرجع فى أصل فكرته كمحاضرة أكاديمية بمناسبة جلسة تأبين كوروزى سوما *Körösi Csoma*[٤].

بمحض الصدفة اكتشف السيد المستشار الملكى الكونت جيزا ف. كوون *Géza von Kuun* وضعى الذى لا يليق بى بالجامعة، فوجه فى يونيو من العام ذاته مذكرة تفاهم إلى وزير المعارف. والحقيقة إننى أعتبره أول رجل فى وطنى يكتشفنى. ويبدو أن السيد فلاسيكس *Wlassics* لم ينظر إلى الموضوع على اعتباره عاجلا، والآن صرف نظره هو الآخر عنه وأحاله لمن بعده، الذى لا علاقة له بالمذكرة. يا رب رحمتك! وقد أعلن رئيس

---

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٧٧.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٥٣.

(٣) وهو موجود حتى الآن كمخطوطة.

(٤) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٢٤٢.

الوزراء الجديد، شتيفان تيتشا Stephan Tisza بشكل رسمى أنه لن يسمح فى فترة حكمه بارتكاب أى ظلم تجاه أحد. ولا توجد قاعدة بدون استثناء. أما الاستثناء فسيكون بكل تأكيد شخصى بلا شك. وهذا يتطلب استمرارية الفكر العلمى فى المجر. لقد أرهقنى وأجهدنى هذا الصراع الذى يدور منذ ثلاثين عامًا إلى أبعد الحدود، وحان وقت الاستسلام.

عام ١٩٠٤

لم تمر تلك الفترة دون أخبار سارة. وهذه الأخبار السارة تقتصر دائما فى الوقت الراهن على ما يصل إلى من دلائل الاعتراف بما أقدمه من نشاط وبحث علمي فى حياتى. أما فيما يتعلق بأى شيء آخر، فإن سفينتى الصغيرة ترتطم دوما بالصخور التى تقذف بها الأرواح الشريرة لتتصدى/ لمسيرة [٢٣٥] حياتى. ولا يتصدى هنا لمآربى سوى الشيطان المقيت الغاضب الذى يتمثل بنسبة كبيرة فى بنى عقيدتى الذين يعيشون معى على أرض واحدة، ورغم ما أقدمه لهم من خدمات فى كل ما يربطنى بهم من روابط وعلى مستوى جميع المصالح الخاصة، فإن شهوة الشيطان فى الشر لا تحدها نهاية فى إلحاق الأذى بى، فضلا عن الهم والغم والذل والإذلال. ولا يخفف من كل هذا العذاب والذل سوى ما يصل إلى من إعجاب واستحسان من الخارج، فهو بمثابة البلسم فى مقابل الشر الذى يواجهنى.

فى شهر يناير نُشرت فى الجزائر مقدمتى التى كتبتها لطبعة كتاب "محمد بن تومرت *Mohammed ibn Tumert*" وحازت إعجاب جميع النقاد الأكفاء فى الأرجاء الثلاثة بالعالم، وكان من أوائل رسائل التقريظ ما وصلنى من نولدكه *Nöldeke* ودى خويه *de Goeje*. وفى الأول من مارس لهذا العام

وقع اختيار "الجمعية الآسيوية بالبنغال" - وهى ذاتها التى كلفت قبل ثمانية عقود زميلى وبلدياتى سوما كوروزى *Csoma Körösi* ببحث أدب التبت - على للعضوية الشرفية بها. ولكن ما من شرف نلته فى حياتى أعظم من رسالة نولدكه *Nöldeke* التى تسلمتها قبل أيام يستأذننى فيها بأن "أكون" صاحب الإهداء فى أحدث إصداراته. إن فكرى يتجه فى هذه اللحظة إلى الشاب اليهودى المسكين الذى وقت أن قلت له إن نولدكه هو أهم وأفضل من يشتغل فى المجال العلمى لتخصصنا، غادر مدينة شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* على الفور ليقع فى يد محتال سيئ السمعة، وأعتقد أنه من أغرب الشخصيات التى ستصادفنى فى حياتى بطولها وعرضها. وفى اليوم الذى تلقيت فيه رسالة نولدكه المؤثرة شرعت فى التفكير فى إعداد مادة المقال الذى عقدت العزم على كتابته لإلحاقه بالكتاب التذكارى الذى سيصدر بمناسبة بلوغه السبعين عاما وأشارك فى بدايته بنصيب مهم.

وكان يوم الخامس من مارس يوم فرح وسرور عندنا، حيث حل على منزلنا ضيفًا صديق عمرى "كاوتش *Kautzsch*" فى طريق رحلته للقسطنطينية وفلسطين. تذكرت بهذه المناسبة السعيدة صداقتنا التى يمر عليها الآن ثلاثة وثلاثون عامًا بالضبط حين كانت بدايتها فى عام ١٨٦٩ بدراستنا كل ليلة للبيضاوى، واستمرت حتى يومنا هذا دون أن يعكر صفوها شيء.

وفـــى هذه الأثناء قضيت الشتاء فى الدراسات التالية: كتابة بحثين لـــ "ثقافة الحاضـــر"[١]، وتأليف محاضـــرة سألقيها علـــى مؤتمر سانت لويس *St. Louis* وعنوانها "آفاق تقدم العلوم الإسلامية فى الثلاثين عامًا الأخيرة"[٢]،

---

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقمى ٢٦٩ ، ٣٠٥.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقمى ٢٦٢، ٢٦٢ *a*.

كتابة ملحوظات وملحقات لمخطوطة الأفلاطونية الجديدة المنسوبة خطأ "لباتشيا *Bachja*" والتى تتحدث عن حياة الروح. وهناك أشياء أخرى صغيرة – منها أيضًا ترجمة لحياة فلايشر *Fleischer* (السيرة الذاتية الألمانية العامة) – قمت بطباعتها فى هذه الفترة الزمنية ونشرها[1]. وكنت فى سعادة جمة فى هذا الوقت فيما يتعلق بابنى كارل *Karl*. الحمد والشكر لله على ذلك! بعد حصوله على درجة تمهيدى الأستاذية حظى أيضًا بقلنسوة الدكتوراه مع مرتبة الشرف العليا، وهو الآن – بتكليف من اتحاد الجمعيات المجرية للتأمين على الحياة بفيينا – فى بؤرة اهتمام ناحية عملية ذات صلة بمعارفه الرياضية. وبهذا تتوفر لديه بدايات للحصول على مكانته فى الحياة التى من شأنها أن تمنحه استقلالاً ماديًا.

وقد تألمنا كثيرا بسبب المرض الشديد/ لشقيق زوجتى الدكتور باول ميتلر *Paul Mittler* والذى شرعت زوجتى على أثر مرضه القيام بمحاولة انتحار، تجاوزتها بشجاعة الأبطال. أما هو فقد تُوفى فى يوم ٢١ يناير – هذا الأخ الجميل الذى أظهر لى من اللحظة الأولى للقائنا دلائل سامية على حبه وإخلاصه، وهو يُعد واحدًا من هؤلاء الذين لا يُعوضون بفقدانهم. ٢٣٦

٨ مايو

أحد أيام الآحاد اللعينة فى حياتى، حيث أجلس أمامهم فترة قبل الظهر كالعبد الفقير أمام سيده، ومكتوب إذ ذاك على جبينى أن أنصت لثرثرتهم وطنين كلامهم الأجوف الخاص بموضوعات غاية فى الشر والدناءة، فضلا عن العذاب والألم الذى ألاقيه فى هذا الوقت، لكى أقوم بتدوين كل شىء فى

(١) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٢٨١.

"محاضر". كان أمره لى اليوم كالتالى: "وعليك أن تنتبه إلى مجرى أفكارى، وتقوم بتدوين كل شيء، ولا تختصر منه شيئًا مثلما تفعل فى كل مرة". هذا فضلا عن توبيخه لى بأننى قمت بتقفيل الملفات قبل أن تكون موضوعاتها واضحة المعالم، حيث إن الكلام والنقاش - الذى سيستمر قرابة ثلاث ساعات وفقًا للأوامر - مثل مذاق الطعام - له بهاراته". وجلسة اليوم بدأت فى التاسعة والنصف صباحا واستمرت لما بعد الظهر. وحين عدت للمنزل، ورأسى متصدعة ونفسى مثقلة، وجدت كما من الرسائل فى انتظارى؛ كان من بينها خطاب من مستشار نائب رئيس جامعة كامبريدج، يخبرنى فيه صاحب هذا المقام الرفيع أن الجامعة وقع اختيارها على لنيل "الدكتوراه الفخرية فى الأدب"، وتذكرنى بأنه تحدد يوم ٢٨ من هذا الشهر لنيلى هذا الشرف النادر حدوثه.

"واهتم من فضلك بترتيب بمسار فكرى، فإننى أريد أن تكتب كل شيء تفصيلا، ولا تختصر منه شيئًا مثلما تفعل فى كل مرة".. هكذا قال "فخامة ابن الحسب والنسب"(١).

٥ يونيو

عُدت إلى بلدى من رحلتى إلى إنجلترا (من ١٨ مايو وحتى ٣ يونيو) وأنا أحمل "الدكتوراه الفخرية فى الأدب من جامعة كامبريدج". ولا أحب أن أخوض هنا محاولة وصف البريق الذى أحاطنى فى تلك الأيام؛ فانطباعاتى المباشرة عنها قمت بتسجيلها فى مراسلاتى التى بعثت بها إلى زوجتى، والتى يمكن أن تُستخدم فى هذا الموضع. كما أن ملف المراسلات الخاص بهذه الفترة الزمنية يحتوى على حكايات ذكرياتى عن الجلسة التى عقدتها

---

(١) ذكرها باللغة المجرية.

منظمة الأكاديمية بلندن، حيث كنت ومعى "ك. تان *K. Than*"[1] ممثلين لأكاديمية العلوم بالمجر.

اليوم ظهرتُ "بالمكتب"، وكان فى انتظارى "تل من الأعمال"، ومهمات كبرى تتحدى عزيمتى: كان على أن أقوم بإعداد "تصور" خاص بتغيير اللائحة استعدادًا لاجتماع الجمعية العمومية، ولهذا الغرض قام المستشار الملكى بتطوير مجرى أفكاره. "عليك أن تنتبه جيدًا لكى تدرك مقاصد أفكارى". "كتبت خطأ الحرف الأول من كلمة، ولا أقصد بها مخاطبة سيادتك". إننى أبدو الآن فى عيون هؤلاء القوم أننى شخص غير مؤهل لهذه الوظيفة، فالشخص المؤدب لا يحمل درجة دكتوراه فخرية لجامعة كامبريدج./

١٤ يونيو

٢٣٧

"بالفعل كان من الممكن أن تفعل سيادتك كل شىء على نحو جيد، ولكن حضرتك لا ترغب فى فعل شىء" – وجه "فخامة ابن الحسب والنسب" هذا النقد ظهر اليوم لأداء عملى، وهو خلاصة التفانى فى العمل بعد مرور تسعة وعشرين عامًا.

قارن خطاب المتحدث العام لجامعة كامبريدج بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٠٤.

لا يمكن من الناحية النفسية أن يُعقل ألا يكون لدى هؤلاء المفتخرين بأموالهم وكنوزهم ومن يقلدونهم كالببغاوات رد فعل آخر عن كل ما يصدر عنهم من تصريحات سوى أسلوب هز الأكتاف الحقير. وهذا ليس من اليهودية فى شىء، لأن التراث اليهودى يبالغ فى تقدير القيم العلمية. فما

---

(١) *K. Than* (١٨٣٤ – ١٩٠٨) أستاذ الكيمياء بجامعة بودابست.

السبب وراء التغير الجوهرى فى نفوس هؤلاء المتفاخرين بأموالهم فى هذا الزمان؟ العلم – إنه العدو.. يبدو أنه شعارهم الانتخابى. ولكن ليس كل علم ينطبق عليه ذلك، بل فقط ذاك العلم الذى لديه جذور فى التطور الأخلاقى للإنسان ويقود شخصيته إلى الترسيخ الأخلاقى. علم الأخلاق– هذا هو العدو.

١٦ يونيو

تلقيت من السيد المستشار الملكى الدكتور فاينمان ***Dr. Weinmann***[١]، وهو أحد أعضاء مجلس إدارة الجالية اليهودية، استفسارًا عن مدى صدق أننى أفكر فى ترك الجالية، وذلك لأن المدينة بأسرها تتحدث عن التفعيل بالجامعة. وتحدث السيد عن استمرارى فى هذا المنصب المهين، وذلك فى نبرة صوت كما لو أننى سأضحى بذلك بأكبر امتياز حصلت عليه فى حياتى. ماذا يمكن أن يكون أكثر تشريفًا لأى شخص عن أن يكون الحذاء الذى يقتلعه بعض المتفاخرين بالأموال الجهلاء المحليين؟ ومن المفيد أن نعلم أن هؤلاء فى الواقع على قناعة بهذا الأمر بدرجة التقديس.

فى هذه الأثناء انزلقت حياتى العلمية كلها إلى ركام رملى. ففى الوقت الذى يستمتع فيه بالإجازات كل من يعمل فى مجال العلم والتدريس، سواء كبير أو صغير، بل وحتى الخادمين بالمدارس والشماسين بالكنائس، كان على أن أخرج يوميًا من مقر سكنى الصيفى الذى أعيش به مع أسرتى، والجو شديد الحرارة، وأتوجه بالقطار إلى "مقر عملى"، بل وأعمل به ساعتين إضافيتين عن الوقت الرسمى للعمل كأن الوقت لا قيمة له. هذا هو أسلوب حياة الإجازات لعالم فى اليهودية المجرية.

---

(١) ***F. Weinmann*** (١٩٠٦ – ١٩١١) فيما بعد رئيس الجالية الإسرائيلية ببودابست.

على أن ذلك يمكن أن يكون مقبولا، لو أن هناك بالفعل أشياء تأتى من الحين للآخر واجبة الأداء، ولكن الأمر يتعلق بنمط متكرر ويبلغ تأثيره لدرجة رؤيته فى الأحلام. لا يأتى شىء يبشر بخير من ناحية مكتب عملى بتريفورت **Trefort**. إن أرضية هذا المكان أصبحت لا تعرف فى زمن الخسة إلا الكذب والدناءة./

١٢ يوليو

٢٣٨

بعد كثير من التكريم والتشريف عايشته فى إنجلترا جاءنى اليوم خطاب رسمى يوضح أن الأكاديمية البريطانية بلندن فى اجتماع أعضائها فى جمعيتهم العمومية المنعقدة بتاريخ ١٩ يونيو قد اختارتنى عضوًا بها من الخارج. ويكفى أن يقرأ الجميع قائمة أعضاء هذه الجمعية ليتبين مدى الشرف الرفيع أن أكون واحدًا من هؤلاء وفى مقامهم، وأننى خرجت من أعماق "حارة بفايفر ***Pfeifergasse***" إلى النور.

٢٨ يوليو

الاطلاع على رسائل "ريدل ***Riedl***" و"هاينريش ***Heinrich***" الوارده من تاترافيريد ***Tátrafüred*** بشأن هذا التوقيت.

١٢ يوليو

بعد كثير من التكريم والتشريف عايشته فى إنجلترا جاءنى اليوم خطاب رسمى يوضح أن الأكاديمية البريبطانية بلندن فى اجتماع أعضائها فى جمعيتهم العمومية المنعقدة بتاريخ ١٩ يونيو قد اختارتنى عضوًا بها من

الخارج. ويكفى أن يقرأ الجميع قائمة أعضاء هذه الجمعية ليتبين مدى الشرف الرفيع أن أكون واحدًا من هؤلاء فى نفس مقامهم، وأننى خرجت من أعماق "حارة بفايفر *Pfeifergasse*" إلى النور.

٢٨ يوليو

الاطلاع على رسائل "ريدل *Riedl*" و"هاينريش *Heinrich*" الواردة من تاترافيريد *Tátrafüred* بشأن هذا التوقيت.

٣١ يوليو

نما لعلمى اليوم حقيقة مميزة، ويكفى عدم تسجيلها وتركها كما هى دون التعليق عليها بأى رد فعل. فبمناسبة عقد امتحانات شهادة الثانوية الأخيرة أصدر مدير المدارس العليا الدكتور "بونيفاتس بلاتس *Bonifatz Platz*"، وهو راهب كاثوليكى، بصفته مشرفًا عامًا على اللجان الحكومية، أمرًا إلى لجان امتحانات الثانوية بمدرسة الطائفة الكاثولوكية فى "بايا *Baja*" بإيفاد إيجناس جولدتسيهر إليها. أما الوزارة - ومقرها بحارة هولد - فيبدو أنها أكثر تشددًا فى عقيدتها الكاثوليكية عن الراهب، لأنه تراءى لها أن هذا الأمر سيكون سببًا فى إثارة جدل، فكيف لراهب أن يرسل مفتشًا يهودى الديانة لمدرسة كاثوليكية. على أن طائفة السيسترسيان ذاتها أعربوا عن سعادتهم فى استقبالى لديهم، بل وكان الأمر محل اندهاش وتعجب عندهم، حيث إننى كنت فى سابق العهد ربيبًا لهم، فضلا عن أنهم لم يجدوا فى إيفادى إليهم ثمة غضاضة لطبيعة عقيدتهم. ويا للعجب أن رجال الوزارة "الليبراليين" متشددون فى الكاثوليكية بدرجة تفوق الرهبان أنفسهم!

١٠ أغسطس

بمناسبة إبلاغي بالقيام برحلة إلى أمريكا، جاء خطاب أحد رؤساء المصلحة لي بقوله" أي إنك ستقوم بإجازة لمدة خمسة أسابيع كاملة! هذا عمر آخر!". ويا ليتني أجد من يقدم لي تفسيرًا على هذه الجملة المهمة، حيث إن قائلها هو الذي تحدثت عنه سابقا بتاريخ ١٦ يونيو من هذا العام.

بريمن – الأول من سبتمبر من عام ١٩٠٤

هل أراد الله لي تلك الرحلة إلى أمريكا، والتي بدأت مسيرتها بوصولي إلى هنا بالأمس؟ أم إنها بمثابة تأديب على رفضي لقدر أراده الله لي؟ إنني أبدأها في حقيقة الأمر بعدم رغبة بالغة إليها، وأشعر كما لو أنها ستكون سببًا في حلول الوبال والشؤم علي. إن قبولي لها يعني أنني لن أحضر الأعياد بسبب وضع طارئ؛ وهذا فضلا عن فراقي المؤلم لزوجتي وأولادي في الوقت الذي لم أفارق فيه تجمعنا وصحبتنا المباركة التي شرعت من أجلها – منذ نحو ثمانية عشر وتسعة عشر عامًا– في تأسيس شعيرة دينية خاصة بنا، وهي تعتبر أهم لحظات التأمل والصلاة المباركة في حياتنا العائلية التي حافظت على استقامتها ورعايتها رغم التصدع القاسي الذي لحق بحياتنا العائلية على نحو متواتر./

قمت بكبت شعوري بعد الرغبة، واعتقدت أنه لا يصح أن أتراجع، [٢٣٩] حيث إن أصوات رجال العلم على الجانب الآخر من المحيط قد أدرجوا اسمي من بين قلائل تم اختيارهم يعولون على قيمة حضورهم. لقد تبلد حسي

أمام كل أنواع التكريم كما تبلد تجاه كل ألوان الإذلال، ولكننى شعرت بأن ما يقودنى هو شرف وطنى وعزة ديانتى. وهل سيحظى اسم رب إبراهيم بتقدير واحترام حين أكون بين هؤلاء الصفوة المختارة؟ اللعنة على كل هاجس وتردد ينتابنى من جديد! والسؤال الآن: هل هذه الرحلة التى تأباها نفسى هى إرادة الله ومشيئته؟ يا رب أجبنى برسالة من عندك ليطمئن قلبى وتهدأ نفسى - بوحى من عندك أو بخيال أو برؤية أو ببشارة خير، أو بأى وسيلة من وسائل الوهم والخرافة أهتدى بها فى ضالتى ويمكن من خلالها أن تمد خيالى بشىء أرتكز عليه، ويهدأ بالى وضميرى، وتكون نقطة مضيئة للظلام الذى يحيط إدراكى فى هذه الموضوع!

ولكن هل يمكننى أن أخطو خطوة واحدة، إلى اليمين أو إلى اليسار، دون إرادة الله؟ وهل إرادتى أقوى من إرادة الله التى تهدى قلبى، ومشيئته التى دونها لا تطيق نفسى الشدائد؟ هل لى إذًا أن أؤمن يقينًا بأن الله أراد هذا السفر، وأعقد الأمل على أنه سيمدنى بالخير من عنده؟ أسألك أن تبعث الشجاعة والتفاؤل، وأن تهدى نفسى الحائرة، وأسألك العيش فى كنفك الكريم، وأن تصرف بعنايتك عنى كل سوء قدرته لى!

١٧ أكتوبر

أمام تشيربورج *Cherbourg*

كانت رحلة العودة من نيويورك إلى بريمن *Bremen* فى اليوم الحادى عشر من الشهر على ظهر سفينة "القيصر فيلهلهم الكبير". وأذكر من بين

الكتب الكثيرة التى توفرت بمكتبة السفينة وقرأتها على الأخص: السيدة "فون بونزن *von Bunsen*". صورة حياة من واقع رسائلها. إعداد "أوجستوس هاره *Augustus J.C. Hare*"، وأشرف على الطبعة السادسة الألمانية "هانز تارين *Hans Tharin*"، دار نشر جوتا *Gotha*. إننى لا أقتبس شيئًا من المحتوى الثرى الذى يتسم بالأصالة، ولكننى أضع عينى هنا، كما فى الجزء الأول ص ٣٨٥، على كلمات التكريم التى تلقتها "يوسياس بونزن *Josias Bunsens*" (ولكنها كانت فى السابق رفيعة المقام) فى أوكسفورد حيث نالت الدكتوراه الفخرية بتاريخ (٢ يوليو ١٨٣٩): "إن معطف الدكتوراه بلونه القرمزى والمقصب أسفل الأكتاف أحاط بها – مع وقار عمداء مدن رمبراند *Rembrand* الحاضرين – بتكريم رفيع المستوى لا يناله سوى أحد العلماء ورجال الدولة الأجلاء".

لقد نلت هذا الشرف والتكريم ذاته، ولكن أراد صبية "حارة بفايفر" ببودابست أن يقللوا ويحطوا من شأنه، وألا يُلقى عليه أى ضوء.

يقول ميلتون *Milton*: "الحقيقة مثل شعاع الشمس، من المستحيل أن تلطخ من قبل أى اتصال خارجى."/

١٥ ديسمبر ٢٤٠

لقد تلقيت دعوة سفر إلى أمريكا لكى ألقى سلسلة من المحاضرات عن الفلسفة اليهودية(١).

عام ١٩٠٥

٣ يناير

مجال اختصاص جديد: يتحتم على فى كل لحظة أن أكتب ملحوظات "بيان رسمى" للصحف. بعيدًا عن الجلسات هناك من أرسلنى إلى غرفة

---

(١) *A. Schreiber* ١٩٦٢.. الصفحات من ٢٥٥ حتى ٢٧٥.

جانبية لكى أضع "التصور"، ولكن سرعان ما وُجهت سهام النقد فيما قمت به وكشف العيوب والأخطاء. وكان ذلك فى نظر البعض غير كاف على الإطلاق، وفى رأى الآخر أكثر من كاف. وكان يتحتم على بعد ذلك أن أوجه عنايتى أن يُنشر "صباح الغد فى جميع الصحف".

منذ عودتى من رحلتى لأمريكا ذائعة الشهرة لا أزال أعانى من ضيق الوقت، ولم يعد لدى أى شجاعة ولا راحة بال وهدوء فى أن أقترب من الأبحاث العلمية. ولكن لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو أكثر من ذلك.

١٢ يناير

أخيرًا عزمت عصر اليوم على تسجيل حضورى لدى سلطان "حارة بفايفر"، لأتقدم باستقالتى من وظيفة سكرتير.

٢٠ يناير

قمت بكتابة استقالتى تحريريًا.

٢٧ يناير

الاحتفال بعيد ميلاد الحاخام "بلوخ ***Bloch***" لبلوغه عامه التسعين، وهو مقصد صلاتى الصادقة[١]. وقد قام زميلاه "ريباخ ***Rebach***" ورفيقه المبجل "بلاو ***Blau***" بإرباكه بوابل من الإساءات له. وبنفس هذا القدر يتألقان الآن قبل هذه الاحتفالية فى النيل منه بتوجيه اتهامات له. وفى مساء هذا اليوم أقام الزملاء والحواريون حفل عشاء كنت مشاركًا به. وعند لحظة شرب النخب شعرت بالاستفزاز، فتحدثت عن قيمة دراسة التلمود ووجهات نظره

---

(١) انظر الكتاب التذكارى لتكريم موسى بلوخ ***Moses Bloch***، بودابست ١٩٠٥.

الأخلاقية، قائلاً: فكم من منحنيات بلا مكافأة، وكم من أجزاء بلا دعم، وكم من رجال بلا رفقاء خلصاء!" ويبدو أن ذلك هو ما يبقى.

٩ فبراير

بعد تأجيل من جلسة لأخرى شرعوا اليوم أخيرًا فى النظر فى التماسى الذى تقدمت به بشأن استقالتى والتفاوض فيما بينهم بصددها. فيما بعد علمت أن المفاوضات تركزت فى توجيه النقد المخزى لتعذيبى على مدار ثلاثين عامًا كعذاب الشهداء،/ ودون ذكر لاسمى، وتباروا فى الخطاب عن الأحوال الأكثر ترويعًا فى إدارة الجالية. ولم يتطرقوا إلى موضوع إنهاء التماسى بعد كل ذلك. [٢٤١]

١٤ فبراير

فى الجلسة التى عقدتها اليوم كلية الآداب تقرر - بناء على تقرير - إرسال لجنة بشأن شغل منصب "أستاذ كرسى" مكان "هاتالا *Hatala* " الذى أحيل للمعاش.

٢٢ فبراير

أخيرا قرروا من الناحية الشكلية أن يقبلوا استقالتى. أعمل الآن بهمة ونشاط على الانتهاء من "تقريرى" الأخير. لقد كنت فى هذه الأثناء تحت ضغط بالغ الجدية من قبل الإسكتلندى "هاستنجس *Hastings*" - المكلف بمراجعة موسوعة تاريخ الأديان - فى أن أكتب دراسة إسلامية على هيئة مقالات فى موضوع واحد[١]. ولا شك أيها السادة الأعزاء أننى قادر على أن أفعل كل شيء، فقط حين أتخلص من النير الموضوع على كتفى.

---

(١) انظر *B. Heller*: مرجع سابق، ص ١٢.

٢ مارس

تلقيت طلبًا عاجلا من منتدى الأدب البروتستانتى فى بريسبورج *Pressburg* بشأن إلقاء محاضرة عندهم. فماذا تبقى مما لا ينبغى أن أقوم به!

٦ مارس

جاءنى بعد ظهر اليوم الأستاذ الدكتور "جيدون بيتس *Gedeon Petz*"(١) بصفته مقررًا للجنة الموفدة بتاريخ ١٤ فبراير، لكى يتحصل على المعلومات الخاصة بتقريره. وكان على أن أضع بين يديه مثالاً عن حكم وتقدير "العالم" لشخصى.

١٦ مارس

قبل ظهر اليوم جلسة الكلية. كان الموضوع غير العادى محل التشاور بها هو الاستماع إلى تقرير اللجنة بشأن شغل منصب مستشار التعليم الشاغر. وبدون مناقشة أو جدال تم ترشيحى لهذا المنصب بموافقة جميع الأعضاء وعددهم ٣٣ عضوًا فى تصويت سرى. وكما تكرر الأمر فى حياتى – لن يقف فى طريقى من جديد سوى النزعة المعادية للسامية. إن من يعرف الكلية وأسلوب عملها، ربما يصعب عليه فهم إعلان الثقة هذا الذى نلته منها: أن أحصل على جميع الأصوات دون استثناء وتسميتى للمنصب فى تصويت سرى! وكما نما لعلمى أن النتيجة، التى لا يتذكر أقدم الأعضاء مثيلاً لها، قوبلت بتصفيق جميع الأطراف بحماس. /

---

(١) *G. Petz* (١٨٦٣– ١٩٤٣) أستاذ الآداب الألمانية بجامعة بودابست.

١٨ مارس

٢٤٢

بعد مرور أكثر من عام قابلت ظهر اليوم صدفة بالشارع "الكذاب الأعرج"[١] مرة أخرى، وسألنى: متى سيرضى عنك الله ويتم تعيينك؟ هو! وفى سياق حديثه كان لسانه ينطق بكثير من البذاءات التى تسكن نفسه السوداوية الكاذبة. وودع كل منا الآخر بجفاء ودون أى مودة، ليس أكثر من كلمة "سلام". وأعتقد أنه لو كان حاضرًا جلسة يوم ١٦ سابقة الذكر، لما حصلت على جميع الأصوات بكل تأكيد. كنت لن أحصل على صوت هذا الجاهل البغيض.

٢٣ مارس

وصل إلى رسالة رسمية من سكرتير المعهد المصرى يبلغنى بها بأن هذا المجمع العلمى قد اختارنى فى اجتماعه السنوى المنعقد فى يوم ٦ من هذا الشهر لأن أنضم إلى عضويتهم بصفتى "عضوًا شرفيًا".

٢ إبريل

يوم الأحد قبل الظهر! اجتمعوا مرة أخرى فى "حارة بفايفر" وراحوا يغتابوننى بثرثرتهم الغبية. كانوا يتشاورون فيما بينهم بشأن أزمة الرايخ المنذرة بالخطر. لقد نقلوا غطرستهم وتكبرهم إلى الأمور العامة القابضين عليها بأيديهم، وكان هذا سببًا فى حدوث انهيار تام لخزانة وأموال الجالية، ويتحتم عليهم الآن أن يضعوا فى حسبانهم وجود عجز سنوى يقدر بمبلغ ٣٠ إلى ٣٥ ألف جولدن- وكما أقروا بذلك بأنفسهم، فإن السبب فى ذلك يرجع

(١) *A. Vámbéry*.

إلى جشع كبرائهم الذين يشبهون الحيتان الكبرى، وبدون أن يعترفوا بذلك، فإن ذلك حدث من خلال ما يمارسونه من تحقير لكل ما ينتجه الفكر. كما يدور الحديث الآن حول الخطط المستقبلية: شغل "المنصب" اليتيم بعد خروجي! لعل هذا من شأنه أن يمنح إحدى سلالات المرابين - والكلام يدور حول اسم "باوم جارتن *Baumgarten*" ومكان يطلق عليه "لوفاسبيريني *Lovasberéreny*" حيث مسقط رأسه - فرصة النظر إلى الماضي، ثم - وكل شيء في عدم حضوري- يقوم بإلقاء خطبة عصماء، يشرح فيها متلعثمًا مدى تدهور هذا "المنصب" على يد إنسان تقلده ولم يفعل شيئًا على الإطلاق لصالح "الجالية".

جميع الحضور ينصتون الآن - وكأن على رؤوسهم الطير - إلى خطبة المتلعثم الحكيم، إلى هذه الطلاوة لواحد من الرعاع الحاضرين. وأما أنا! إنني مثل عالمنا الحاخام "طرفون *Tarphon*" الحكيم!

٤ إبريل

خطاب من "د. شيشتر *Dr. Schechter*"[١] بنيويورك. هناك ثلاثة معاهد عليا يهودية - بنيويورك *New York*، وفيلادلفيا *Philadelphia*، وسينكيناتي *Cincinnati* - ترغب في الاستماع لمحاضراتي على وجه السرعة. كما يوجه القاضي "سالسبرجر *Sulzburger*"[٢] دعوة استضافة لي بمنزله العامر في فيلادلفيا. وفي انتظاري مكافأة مغرية (قارن يوم ٢ إبريل آنفًا)./

---

(١) *M. Schechter* (١٨٥٠- ١٩١٥) مدير معهد الدراسات اللاهوتية اليهودية بأمريكا في نيويورك. انظر *M. Ben-Horion, Salo Wittmayer, Baron Jubilee* الجزء *I*، القدس ١٩٧٤، ص ٢٠٣.

(٢) *M. Sulzburger* (١٨٧٤- ١٩٢٣) أحد رواد اليهودية بأمريكا.

١٠ إبريل

توفى صديقى المستشار الملكى الخاص الكونت "جيزا ف. كوون *Géza von Kuun*" (قارن هذه الكراسة *89/b*)، وطلب منى رئيس الأكاديمية أن ألقى خطبة بالأصالة عنها فى حفل تأبينه الذى سيقام ببهو الأكاديمية. وبسبب التخوف من إمكانية تفسير هذا الأمر على نحو خاطئ واحتمالية ظهور شخص أو آخر، والقول بأن اليهودى يقدم نفسه بمناسبة تأبين السيد العظيم وينجرف نحو هذا الأمر، فقد رفضت. وليس هناك سبب آخر وراء الرفض.

١٦ إبريل

مرة أخرى يوم أحد قبل الظهر، من الساعة العاشرة والنصف وحتى الواحدة والنصف. بين أيديهم اليوم تقريرى السنوى، وأحمد الله على أنه الأخيـــر، ومـــرة أخـــرى يوجه إليه النقد من ناحية الأسلوب الذى كُتب به. لا ضيم، فهو الأخير، ولكن أعتقد لن يستمر الأمر هكذا على الدوام.

٢٤ إبريل

من جديد افتقدت صديقًا عزيزًا. اليوم كان دفن الدكتور "م. كايزرلينج *Dr. M. Kayserling*". كنا قد تجولنا هنا وتحدثنا معًا بكل صدق وإخلاص، وأعرب عن تألمه وتحمله لإساءات صادرة عن المحقرين للعلم. وها هم اليوم يبكون ويذرفون دموع التماسيح – فقط من أجل الصحف. لم يدخروا أى إشارة لتمثيل جو الحزن والتعبير عنه. فلابد أن يُكتب فى الصحف ويقرأ الناس أن المحدثين من بنى إسرائيل يكرمون علماءهم – بعد موتهم. وهذه الجهود التى يبذلونها فى نفاقهم تعنى ضرورة تكبدى المعاناة فى حضور

جلسات كثيرة وتدوينى لها، كما يجب على أن أقوم بتأليف "تصور" للموضوع يكون بالغ التأثير والبلاغة والحيوية بحيث تكون مشاعر رئيس الديوان عن هذا الحزن محل تقدير وإجلال.

٢٥ إبريل

اليوم وافقت لجنة المعاش والتقاعد التابعة للجالية على موضوع طلبى لإحالتى إلى المعاش.

٩ مايو

قامت النخبة الأولى بالأكاديمية المجرية بانتخابى - بموافقة ٢٧ صوتًا (مقابل صوتين غير موافق)- رئيسًا لهم. هل ورد على فكر اليهود فى عصر "شتيفان شيتشينى *Stephan Széchenyi*" أن يأتى على رأس نخبة من علماء اللغة بمؤسسته القومية الوطنية مستخدم بالجالية اليهودية جاء من أكثر الحوارى ظلامًا، لا سيما أنه لم يسع مطلقًا لينال مثل هذا الشرف، ولم يطمح إليه، ولكنه خرج من ظلام وجوده وقدرته على التحمل ليبلغ هذه الدرجة من التكريم؟/

١١ مايو ٢٤٤

فى الحفل السنوى للأكاديمية اتجه إلى "كولومان شيلى *Koloman Szily*"[١] لقرع الكؤوس وشرب النخب على شرفى بصفتى رئيسًا منتخبًا للفئة حديثًا، وجاءت تلبيتى له بذكر قول مأثور حاز إعجاب "الصحف" وحكمت عليه بأنه بمثابة الدليل على ثراء الفكر(!)، فى حين أنه كان يُقال فى الاحتفال بعيد

---

(١) *K. Szily* (*1838-1924*) باحث لغوى ومن علماء الطبيعة وأستاذ بكلية الهندسة بجامعة بودابست.

ميلاد "بول جيولاى *Paul Gyulai*"[(١)] – سكرتير الطبقة، وكان يُستقبل –ملء السمع والبصر– بتصفيق حار.

١٣ مايو

اعتقدت أننى سأحصل على إجازتى عن بقية العام، عقب اجتماع الجمعية العمومية للجالية اليهودية. ولكن مجلس الأمناء وصفنى بقوله "لا يمكن الاستغناء عنه"، والحقيقة إنه لم يتم العثور حتى الآن على "من سيخلفنى"؛ فقد استعرضوا أمامهم جميع المغفلين ممن لا حياء ولا خجل عندهم لكى يجدوا من بين صفوفهم "خليفة" جدير بالاحترام والتقدير؛ ولكن لم يتوفر فى أى شخص منهم صفة عدم الخجل والجهل بالدرجة التى تنال قناعتهم، ويكون جديرًا بهذا المنصب. وأنا شخصيًا لم أبلغ من وهن الأعصاب الدرجة الكافية بعد لتحملنى على القيام بإجازة. وبناء على هذا فإن الامتياز الذى أحظى به من حيث قصر عملى على فترة زمنية محدودة لا يزال مستمرًا حتى إشعار آخر.

١٧ مايو

اليوم قمنا بدفن المسكين "م. شيلاسى *M. Szilasi*"[(٢)]، الأستاذ بجامعة كلاوزنبورج *Klausenburg*. لقد كان الموقف شديد التألم ومفعما للقلوب حين شاهدت الأبناء الصغار السبعة والأرملة المسكينة البائسة. وفى ظل هذا الجو المثير للأعصاب قمت بالأصالة عن الأكاديمية بإلقاء خطبة توديع أمام التابوت.

٢٢ مايو

اليوم ترأست أولى الجلسات عن النخبة الأولى بالأكاديمية. قام "باباى *Pápay*"[(٣)] بإلقاء محاضرات، صاحبها مناقشة من الكونت "أويجن تسيشى

---

(١) *P. Gyulai* (*1826-1909*) مؤرخ الأدب وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) *M. Szilasi* (*1854-1905*) باحث لغوى وأستاذ بجامعة كلاوزنبورج *Klausenburg* (وهى اليوم *Cluj*).

(٣) *J. Pápay* (*1873-1931*) باحث لغوى وأستاذ جامعى فى ديبريسن *Debrecen*.

"Eugen Zichy"[1] و"باديكس Badics"[2]، ثم أعقب ذلك جلسة مغلقة وجدول أعمال: قرار بإقامة احتفالية بمناسبة بلوغ "فرانس تولدى Franz Toldy" مائة عام على مولده.

٢٧ مايو

تلقيت اليوم من وزير الثقافة "بيرزيفيتشى Berzeviczy"[3] تهنئة خاصة بمناسبة تعييني أستاذًا عاملاً، قائلا: "تهنئتى لسيادتك وللجامعة"[4]. وبناء على هذا فقد تحقق الأمر، وكان أول من تلقى الخبر على الفور هو "تولدكه Nöldeke" ببرقية إلى شفابنبيرج Schwabenberg.

٢٨ مايو

جلسة يوم الأحد كمثيلاتها من قبل: لهجة ورطانة غريبة للألسن وللأرواح. والأكثر تصادفا حين أبلغتهم بحدث يوم ٢٧ مايو. "ومن العجيب إن هناك من يُكن لسيادتك كل ألوان التقدير منذ أن رحلت عنا"./ "وهل نشرت الجريدة الرسمية هذا الخبر؟".. ليس بعد. [٢٤٥]

٤ يونيو

اليوم نشر الخبر فى الجريدة الرسمية، كما أن المرسوم الصادر عن فخامته مؤرخ بتاريخ ٢٤ مايو.

---

(١) E. Zichy (1837-1906) مؤرخ وسياسى، قام برحلة استكشافية علمية بآسيا.

(٢) F. Badics (1854-1939) مؤرخ للأدب، وأستاذ بالمدارس العليا ببودابست وأويفيديك Ujvidék.

(٣) A. Berzeviczy (1853-19936) مؤرخ ورئيس الأكاديمية المجرية للعلوم فى الأعوام (1905-1936).

(٤) ترجمة عن التهنئة المذكورة باللغة المجرية.

٥ يونيو

استحوذت صحافة اليوم موضوع التعيين وقامت بالتعليق عليه فى مقالات كبرى بأسلوب غاية فى المجاملة.

٧ يونيو

اليوم ظهرًا قمت بزيارة تعارف لدى وزير التعليم، وذلك بعد أن عبرت له عن شكرى كتابة فى السابع والعشرين من مايو. وقد استقبلنى بحفاوة بالغة، وعبر عن سعادته الخاصة بأنه تمكن من إزاحة هذا الخطأ القديم، كما يعتبر أنه من حسن الطالع أن ترتبط هذه الحقيقة ارتباطا وثيقًا باختيارى رئيسًا للنخبة، وأن يلقى هذا الأمر قبولا من الجميع بلا استثناء وصدى واسعًا لدى الرأى العام.

فى هذه الأثناء تلقيت بطاقات وخطابات وبرقيات تهنئة من الدانى والقاصى؛ وكان على أن أرد على كل ذلك بعناية ودقة.

٨ يونيو

أمعنوا التفكير والتأمل فى كوميديا الأقدار، من حيث:

١) إننى خليفة "بيتر هتالا ***Peter Hatala***".

٢) وأن "خليفتى"... هو "فايتسبورج ***Weiszburg***[1]"، ويحصل تقريبا على نفس المخصصات المالية التى منحوها لى فى خدمتى بعد مرور ٣٠ سنة.

٣) أليس فى ذلك سخرية تبعث على الضحك حتى الموت؟.

---

(١) ***J. Weiszburg*** (*1866-1919*) حاخام؛ انظر كتاب ***R. W. Weiss***: ***The Weissburgs. A social History. Chicago 1975***، ص ٢٨ – ٢٩.

١٠ يونيو

بعد حصولى على مرسوم التعيين الرسمى من الجامعة، كان اليوم موعد مثولى أمام رئيس الجامعة السيد "ديمكو *Demkó*"[١] وأمام رؤساء الجامعات الأربع المجتمعين لأداء القسم. وقام رئيس الجامعة بإلقاء خطبة بها كلمات غاية فى المدح والمجاملة، ويوجها لى بقوله "صديقى العزيز"[٢]، وكان على أن أرد "ببعض كلمات ملائمة لذلك"، على أن ذلك لم يضعنى مطلقا فى حيرة وارتباك.

١١ – ١٢ يونيو

قضيت يومى عيد العنصرة مع ابن أختى الدكتور "بوشلر *Dr. Büchler*" فى كيستيلى *Keszthely*./

١٤ يونيو [٢٤٦]

إن كل "وسام" قادم من الخارج على ثمة شخصية فردية كاملة تشكلت بصورة متناغمة ومتصالحه مع ذاتها يُعد بمثابة عائق لها؛ فهو أقرب إلى تعطيل التعبير عن تكامل وجمال الشخصية عن تدعيمها وتشجيعها. وأما الشخصيات الفردية التى بها نواقص وعيوب فقط هى التى لا تتحقق نظرتها إلى العالم الخارجى إلا من خلال مثل هذه التوافه والبهرجة. ولا يتلاشى النقص بالنسبة للتأمل الحقيقى للقيم.

---

(١) *G. Demkó* (*1856-1914*) أستاذ القانون الكنسى بجامعة بودابست.

(٢) ذُكرت باللغة المجرية فى النص.

١٥ يونيو

اليوم نما إلى علمى التالى: قبل شهر مضى وقفت - بصفتى رئيسًا لنخبة الأكاديمية - بمستودع الأموات الخاص بمدافن اليهود أمام نعش أحد الأعضاء الذى وافته المنية، وهو السيد "شيلاسى *Szilasi*"، وكان من الواجب أن ألقى بضع كلمات لفراقه لنا؛ وفى هذه المدافن التى تضم بنى إسرائيل يتحتم أن يُدفن الموتى فى غرف مختلفة عن بعضها، كلٌ حسب قدرته المالية، وأن يُعزف اللحن الأخير للفرقة الموسيقية. وبعد الانتهاء من المراسم المقدسة وقفت - ومن بعدى رئيس جامعة كلاوزنبورج ***Klausenburg*** أمام النعش لكى ألقى كلمات الوداع، وخلع كل منا قبعته من على رأسه. كان ذلك بمثابة فضيحة كبرى فى نظر بنى إسرائيل. إنه انتهاك لحرمة الأماكن "المقدسة"- وهى الأماكن التى تساوم فيها "الرابطة المقدسة" بجثث بنى العقيدة. ولم يكتفوا بذلك. قاموا بكتابة شكوى فى حق "السكرتير" وبعثوا بها إلى إدارة الحاخامات" يلتمسون فيها وقف المساعدة عن "النموذج البغيض" الذى ألحق مثل هذا العار ببنى إسرائيل. علاوة على ذلك أعربوا فى الوقت نفسه عن مشاعر الحزن والأسى لديهم من أن خُدام الرابطة "المقدسة" لم يتصدوا "لى" "للحيلولة" دون تدنيس وانتهاك حرمات قدسية المكان. لم يكن بوسعى أن أفعل شيئًا آخر سوى أن أتقدم لمجلس إدارة الجالية اليهودية بطلب رسمى فى فتح تحقيق فى هذا الشأن وآدابه، وعما إذا كان "السكرتير" قد ألحق بالفعل العار والخزى بالعقيدة من خلال فعلته النكراء التى ارتكبها. واستدارت الأمور بشكل متناغم، فلا يمكن أن تكون غير ذلك، وليس من الطبيعى أن يحدث غير ذلك.

٢٥ يونيو

لو حدثت مثل هذه الحكاية المخزية وقرأناها فى كتاب من طراز "طبقات الحنابلة" لشرعت التهامها على اعتبارها ملحوظة شيقة تفوق الوصف، ولكنت فى غاية السرور بها. ولكننى استقبلتها على اعتبارها آخر وسيلة تستخدم للتقزز والتقيؤ ضد هذه العلاقات "الرسمية". لم يهل على أحد بأى سحنة فى أن يفسح المجال للمنافقين على أن يفهموا أن أى تعد على كرامتى الشخصية هو مشروع محاولة لن يخلو من الضرر بشكل كامل، بل على العكس. إن بنى إسرائيل بأكملهم على الجانب الرسمى يرون أنهم على حق فى نباح هؤلاء الحقراء الجهلاء، وأنه ينبغى ذلك./

٢٤٧ لهذا شرعت بكتابة خطابين:

ا) أحدهما موجه إلى رئيس الديوان الملكى، وأشرت فيه إلى الوضع الخانق الذى انزلقت فيه من حيث أعمالى الرسمية التى تقدمت على أثرها بالتماس لإعفائى من الخدمة بشكل قطعى اعتبارًا من الأول من يوليو ١٩٠٥،

ب) وأما الخطاب الثانى – وهى رسالة تبدو جادة لأبعد الحدود، ولكنها فى نظر العارفين تتضمن سخرية لاذعة– وجهته إلى السيد "كوبى بوشان *Kóbi Boschan*" الذى وقع على تلك الشكوى دون أن يدرك الكلام المناقض لنفسه وأنه يعبر عن أكبر خلل عقلى بالبلاد، وأنه يرتدى قميص الكرامة كرئيس "الرابطة المقدسة". وفى هذه الرسالة رفضت – بالنظر إلى الكرب الذى لحق ببقائى فى الاتحاد التمثيلى لهذه الرابطة التى أنتمى إليها منذ ٢٨ عامًا– "وجهات النظر على مستوى علم الأديان" التى يمثلها السيد "بوشان" فى حديثه عن تلك الكرامة العليا.

٢٩ يونيو

هذا يوم خير بحق بطرس وبولس.. تحت رقم ٨٥٥ تم إعداد مرسوم إعفائى من الخدمة بشكل نهائى، وتضمن كلمات غاية فى المجاملة.. وإذا جمعنا الأرقام ٨٥٥ نجدها تساوى ١٨، وهو رقم يدلل على الخير تمامًا.

الأول من يوليو

أصبحت بناء على ذلك من تاريخ هذا اليوم فصاعدًا من الأحرار.. متحررًا من أى ارتباط بتلك العلاقات القذرة التى تشوه حياة أى رجل متعلم ومثقف.

لعل ذلك بداية جزء صغير جديد فى الحياة جدير بالذكر.

٢ يوليو

وصلت إلى اليوم من نيويورك الدعوة الرسمية من كل من نيويورك وفيلادلفيا، وهى مؤرخة بتاريخ ٢١ يونيو، بشأن إلقاء محاضرات (عددها ٢ X ٨) فى الخريف القادم عن الفلسفة اليهودية، مع التأكيد على حصولى على مكافأة مجزية. واضطررت إلى الرد بإرجاء الموعد نظرًا لاستحالة مغادرة البلاد أثناء فترة العمل الأكاديمى، حيث إننى الآن أتصدر منصب رئيس نخبة الأكاديمية.

٦ يوليو

تلقيت اليوم رسالة من رئاسة الجمعية الآسيوية بباريس تفيد بأن الجمعية قد اختارتنى فى اجتماع جمعيتها العمومية المنعقدة بتاريخ ١٥ يونيو

"عضواً منتسباً من الخارج"، وتضمنت الرسالة الكلمات التالية باللغة الفرنسية: "تقديراً لخدماتك الجليلة التى قدمتها للدراسات الشرقية، فإن الجمعية ترغب فى التعرف على جدارة العمل الذى حصلتم من خلاله على شهرة فائقة تتحدث عنها الأوساط العلمية فى العالم". هل بكل هذه الشهادات الرسمية البديعة سيسمح لى بدخول الجنة حين أقف على أبوابها؟/

٢٤٨

٢٨ أغسطس

سافرت فى الفترة من ١٦ يوليو وحتى ٢٥ أغسطس إلى ويسترلاند ***Westerland*** حيث نصحنى الأطباء بالتوجه إليها للاستشفاء والعلاج على أثر تعرضى لتوتر مفرط فى الأعصاب. وسعدت بصحبة طيبة مع مكتبة "كاوفمان ***Kaufmann*** " التى بها وثائق الجنيزا العربية اليهودية، وعكفت على دراسة وتصوير ٣٠ وثيقة. ولم يتوان الدكتور "ياهودا ***Yahuda***[١]" اللطيف المهذب فى أن يأتى إلى، وأن يكون بين صحبتنا فى إخلاص ووفاء أثناء فترة وجودى بجزيزة "سيلت ***Sylt***" رغم أن حالته الصحية فى حاجة إلى علاج واستشفاء آخر كما هو واضح عليه، بل إنه ممنوع بشدة من شاطئ البحر هذا. لا شك أن فى الدنيا أيضاً أوفياء، وهذا الآسيوى واحد منهم.

عدت الآن إلى "أوفينكل ***Auwinkel***" وتنتابنى المخاوف من معاودة الألم بقدمى، والذى أعانى منه منذ فترة طويلة وصاحبنى حتى وصلت إلى هنا.

٥ سبتمبر

للأسف حدث أيضاً ما توقعته.

ديسمبر

فى هذا الشهر قمت برحلتين صغيرتين. فى يوم ٣ ديسمبر سافرت إلى مدينة مسقط رأسى بصفتى موفداً من قبل الأكاديمية لحضور الاحتفال بإزاحة

---

(١) ***A.S. Yahuda*** (*1877-1951*) مستشرق وأستاذ ببرلين ومدريد ونيويورك.

الستار عن تمثالين تذكاريين لكل من "فيراج *Virág*" و"أنيوس *nyosÁ* اللذين كان لهما دور مؤثر فى نهاية القرن الثامن عشر فى التدريس بالمدارس الثانوية، واللذين أدين لهما شخصيًا فى تلقى بدايات تعليمى. وكان هناك استقبال غاية فى الحفاوة والمحبة وكرم الضيافة بدار طائفة السيسترسيان، وستبقى تلك الأيام الجميلة فى ذاكرتى.

وبطبيعة الحال قرعنا الكؤوس، وشربنا النخب، تارة وقت مأدبة الاحتفال، استجابةً إلى شرب النخب الذى رفعه الرئيس - الكونت "أويجن تسيشى *Eugen Zichy*" - على شرف الموفدين؛ وأما شرب النخب الثانى كان بمناسبة عشاء فى جو مريح للنفس بدير طائفة السيسترسيان. سرت فى جو مقدس عبر الأبهاء التى كثيرًا ما خطوت بها فى صباى، وقفزت إلى ذاكرتى كثير من ذكريات باكورة الشباب.

فى يوم ٢٦ من الشهر ذاته سافرت إلى سيجدين *Szegedin* لحضور حفل زفاف كريمة صديقى الدكتور "لوف *Dr. Löw*".

عام ١٩٠٦

إليك أتوجه يا الله، بعينى وقلبى، سائلا إياك أن تتغمدنى برحمتك فى هذا العام، وتجعله عاما مملوءا بالخيرات والحرية عوضا عما لاقيته من عناء فى الأعوام السابقة! إننى لن أكون عبدا من الآن فصاعدا، إننى حرٌّ بين الأحرار. حقا إن خيالى لايزال يسمع رنين صلصلة الأغلال القديمة، كما أن فكرى لم ينفك بعد من عناء الأوقات السابقة./ لقد خارت قواى، وتحتم على [٢٤٩] أن أتمهل لبرهة من الزمن قبل أن أتنفس من جديد، ويمتلئ صدرى تماما بهواء الحرية.

منذ عودتى من ويسترلاند لم أنشغل بشيء آخر سوى ممارستى لعملى فى التدريس. كما أن الأكاديمية من بواعث سرورى؛ أذهب إليها لأداء مهمة الرئاسة منتعشاً، واشارك بجميع الجلسات، بل لا يفوتنى حضور كل ما ليس له قيمة تذكر أيضًا، ولكنه يدخل فى إطار الشكليات التى تتعلق بمثل هذه المكانة. هذا فضلا عن شعورى بالاحترام والتقدير المتبادل عند قيامى بهذا العمل. ولكن بنى عقيدتى الذين ضحيت بنفسى من أجلهم، لم يتوقفوا عن "تلويث سمعتى ولصق كل ما هو كريه بشخصى"، على أنهم لا يملكون الآن إلحاق أى ضررٍ أو سوء بى. وقد دعانى أحد أفعالهم الوضيعة التى ارتكبتها حثالة قياداتهم فى حقى، أن أخرج من لجنة المحاضرات على وجه السرعة (يوم ٨ ديسمبر من عام ١٩٠٨)، وبالتالى يمكننى القول إننى أصبحت أكثر نقاء وطهرًا من كل تلك الأمور.

أما الشرف العظيم الذى نلته فى العام المنصرم، الذى حظيت فيه بالتكريم والحفاوة بضمى لكثير من العضويات الشرفية، فهو خطاب "نولدكه *Nöldeke*" المؤرخ فى ١٥ ديسمبر. قريبًا سيبلغ الرجل العظيم عامه السبعين وسيحيا حياة أصحاب المعاشات. وقد تمنى أن أخلفه فى موقع عمله، وكتب للمسئولين بالجامعة رسائل أعرب فيها عن هذا المعنى، ووافقوا جميعًا على طلبه بلا استثناء. وهذا شرف لى، ليس بعده شرف أعظم منه يمكن أن أناله فى العلم، ورغم أننى بطبيعة الحال لن أذهب فى الوقت الراهن إلى أى مكان بعيدًا عن المجر، فإن هذا التفكير لا يغير الحقيقة المسجلة هنا على الإطلاق. فالوعى الذى يمنح مثل هذا التصويت من شأنه أن يجعلنى أستقبل العام الجديد مرفوع الرأس.

لهذا أتوجه إليك يا إلهى وأسألك أن تمنحنى السعادة والتوفيق مع زوجى وأبنائى، وأن تهب لعقلى القدرة على نسيان كل شيء مررت به ! آمين!

١٤ يناير

الحجر الذى يزدريه البنائون! اليوم كنت أتحدث بصفتى رئيسًا لنخبة الأكاديمية بمناسبة الاحتفال بيوم ميلاد "باول جيولايس *Paul Gyulais*" وبلوغه الثمانين من عمره. وقد امتدح الكُتّاب الذين أترأسهم – وبعض منهم من أفضل الأسماء بيننا– خطابى الصحيح الذى هنأت فيه أديبنا العجوز بوصفه أمينًا لنخبتنا.

شتراسبورج فى ٣ مارس. ليلاً

تقرر منذ فترة طويلة أن آتى إلى هنا بمناسبة إقامة حفل تكريم لنولدكه *Nöldeke* فى يوبيل عمره. وفى يوم ٢٦ فبراير غادرت بودابست، ووصلت إلى هايدلبرج *Heidelberg* فى اليوم التالى. كان فى إنتظارى بمحطة القطار "بيتسولد *Bezold*[١]" وحرمه. وقضيت يومين هنا مع بيتسولد، و"بيكر *Becker*[٢]". وقد رأيت كلاً من "ميركس *Merx* [٣]" و"دايسمان *Deissmann* [٤]"، وتعرفت

(١) *C. Bezold* (*1859-1922*) عالم فى اللغات الشرقية القديمة وأستاذ بهايدلبرج.

(٢) *C.H. Becker* (*1876-1933*) أستاذ التاريخ وحضارات الشرق بهامبورج.

(٣) *A. Merx* (*1838-1909*) عالم لاهوت إنجيلى ومستشرق. أستاذ بجامعات توبنجن *Tübingen* وجيسن *Giessen* وهايدلبرج*Heidelberg*.

(٤) *A. Deissmann* (*1866-1937*) عالم لاهوت إنجيلى وباحث أناجيل ومؤرخ أديان، وأستاذ للعهد الجديد فى هايدلبرج وبرلين.

شخصيًا على "البريشت ديتريش Albrecht Dieterich[1]"، وهو مؤرخ الأديان./ ٢٥٠ وقد حققت إفادة كبرى بمشاهدة البرديات العربية التى يعالجها "بيكر Becker".

فى اليوم الأول من مارس سافرت مع "بيتسولد Bezold" إلى شتراسبورج Strassburg حيث وصلنا فى المساء وتقابلنا مع "دى خويه de Goeje" بالفندق، وانضم إلينا فيما بعد كل من "ريكندورف Reckendorf[2]" (بجامعة فرايبورج)، و"بارت Barth"، و"شولتيس Schultess[3]" و"اندرياس Andreas[4]" من جوتنجن Göttingen وآخرين. قضينا المساء الأول معًا فى هناء وسرور. وفى صباح يوم الثانى من مارس توجهنا إلى صاحب اليوبيل، حيث سادت الفرحة بوصولى ومعى" دى خويه de Goeje"، وقدَمنا بعد ذلك الكتاب التذكارى إلى صاحب اليوبيل، وهو الكتاب الذى ترجع فكرته إلى قبل عامين وشارك فيه عدد من المتخصصين بلغ ٨٦ مشاركًا، وأشرف على تحريره فى شكل رائع "بيتسولد Bezold". والكتاب التذكارى يحمل عنوان "دراسات شرقية – إهداء لتيودور نولدكه فى عيد ميلاده السبعين Orientalische Studien. Theodor Nöldeke zum siebzigsten Geburtstag. I-II. Giessen 1906". لقد كنت شاهد عيان على كل تكريم. وفى حفل العشاء رفع الحضور الكؤوس وشربوا النخب الأول على شرفى وعلى شرف حضور صاحب اليوبيل. لقد كانت ساعات مؤثرة للغاية فى الوجدان والمشاعر. وفى الصباح واصلنا السفر.

---

(١) A. Dieterich (1866-1908) أستاذ فقه اللغات القديمة ومؤرخ أديان، وأستاذ فى جيسن Giessen وهايدلبرج Heidelberg.

(٢) H. Reckendorf (1863-1923) مستعرب ومن تلامذة نولدكه.

(٣) F. Schultess (1868-1922) أستاذ اللغات السامية ويقوم بالتدريس فى كل من كونيجسبرج Königsberg وشتراسبورج Strassburg.

(٤) F.C. Andreas (1846-1930) أستاذ اللغة الفارسية وفقه اللغات الشرقية بجوتنجن.

٤ مارس

مع "بيتسولد *Bezold*" حتى مدينة كارلسروهه *Karlsruhe*، حيث توقفنا وتناولنا معًا عشاء الوداع. وفى المساء وصلت إلى مدينة شتوتجارت *Stuttgart*؛ هناك تعرفت على القنصل الفرنسي، وعلى الفقيه اللغوى المالى "جبرييل فيراند *Gabriel Ferrand*"(١).

فى يوم ٥ مارس مواصلة السفر إلى ميونيخ *München*. فى المساء كنت مع "هوميل *Hommel*" و"هيل *Hell* (٢)"؛ وفى الأيام من ٧– ٩ من الشهر كنت فى فيينا، ومن يوم ٩ – ١١ من الشهر فى بريسبورج *Pressburg*. حيث ألقيت فى مساء يوم ١٠ مارس محاضرة بمنتدى الأدب البروتستانتى عن "جوهر الطوائف فى الإسلام *Sektenwesen im Islam*" (انظر مراسالاتى مع: بوتسونى *Pozsony*). وسأتذكر بكل محبة وود ما عايشته من كرم الضيافة فى دار "هورنيانسكى *Hornyánszky*"(٣). وقد فاقت المحاضرة التى ألقيتها فى بهو الألعاب الرياضية بالمعهد الأدبى أمام جمهور من الحضور بلغ عدة مئات كل التوقعات. وتلا ذلك إقامة مأدبة طعام على شرفى، دعا إليها الدكتور "دوبروفيتش *Dr. Dobrovics*" – رئيس جالية الكنيسة الإنجيلية. كما قام الأستاذ "ماتسنيك(٤) *Masznyik*" – مدير أكاديمية الدراسات اللاهوتية الإنجيلية – برفع الكؤوس وشرب النخب على شرفى، ووصفنى "بالنصير الوفى للعقيدة اليهودية". هذا ما يُقال عنى فى أوساط علماء لاهوت بروتستانت

---

(١) *G. Ferrand* (*1864-1935*) أحد تلاميذ "باسيه *R. Basset*".

(٢) *J. Hell* (*1875-1950*) أستاذ فقه اللغات الشرقية فى ايرلانجن *Erlangen* ، وهو معروف بإنجازاته فى مجال الشعر العربى الجاهلى على وجه الخصوص.

(٣) *A. Hornyánszky* (*1873-1939*) عالم لاهوت إنجيلى وأستاذ بأكاديمية اللاهوت الإنجيلى فى بريسبورج (المعروفة الآن ببراتسلافا).

(٤) *E. Masznyik* (*1857-1927*) عالم لاهوت إنجيلى.

وأصحاب هذه العقيدة؛ ولعل القارئ الذى يدرك العلاقات بين اليهود أن يعقد مقارنة فى ذهنه بينها وما لديه من أفكار. ويمكن قراءة كل الأشياء الأخرى على صفحات جرائد بريسبورج بدءا من يومى ١٠ و ١١ من الشهر وما بعدهما.

٢٠ مارس

تسلمت اليوم عن طريق اتصال أجراه وزير التجارة المجرى شهادة تقدير صادرة عن المعرض العالمى بسانت لويس، وهى مزودة بعناصر زخرفية.

٢٣ مارس

سألقى تقريرًا بالأكاديمية عن مكتبة "كاوفمان ***Kaufmann***"[١]. /

٢٥١ **٦ إبريل**

اليوم تلقيت من جامعة "أبردين ***Aberdeen***" دعوة شخصية لحضور احتفالاتها باليوبيل فى سبتمبر؛ وهى دعوة مكتوبة باللغة اللاتينية القديمة على لوحة تذكارية بالخط القوطى القديم، وهى شكل من أشكال التكريم له دلالة خاصة للغاية.

٢٠- ٢١ إبريل

اضطررت للسفر إلى "آراد ***Arad***" و"سيماند ***Simánd***" على أثر تلقى نبأ وفاة زوج أختى الطيب "سيجموند ***Siegmund***".

---

(١) انظر ***B. Heller***، مرجع سابق، تحت رقم ٢٦٦.

١٦ مايو

تلقيت الدعوة الخاصة بجمعية تاريخ الديانات بأمريكا لإلقاء سلسلة من المحاضرات في ثماني جامعات (في كل منها ٦ محاضرات) في عام ١٩٠٨ عن تاريخ الإسلام. وسأحصل على مكافأة قدرها ٢٥٠٠ دولار. وأعتقد أن هذا سيمنحني الشعور بالارتياح فأنام نومًا هادئًا هذه الليلة.

من ٢٨ مايو وحتى ٢ يونيو

وجدت في فيينا (ومعي تان *Than*) موفدًا من المجر للتحضير لمؤتمر الزمالة الأكاديمية. وكنت أعلم بخبرتي بفيينا بتنامي أجواء الحماقة الأخلاقية؛ ومع ذلك فقد قضيت بضعة أيام طيبة وسط حلقة دولية من الصفوة واستقبالات (من الكونت لانكوروفسكي *Lanckorovsky*) وحفلات عشاء وغير ذلك. وفي إحدى المرات جلست إلى طاولة الأرشيدوق "راينر *Rainer*" ذاتها. وفي المساء كنت في قصر الكونت لانكوروفسكي، والتقيت الأستاذ "ليو *Prof. Leo*[١]" الذي اتفقت معه على أن أقدم لجمعية جوتنجن معالجتي لكتاب باتشيا المستعار *Pseudo-Bachja* التي نحيتها جانبا فترة طويلة ولم تخرج إلى النور بعد، وكان يرى أن الجمعية ستقبل الكتاب بكل سرور.

٧ يونيو

ردًا على استفساري أعرب لي "فيلهاوزن *Wellhausen*" في رسالة منه عن "سروره" في تقديم كتابي.

---

(١) *F. Leo* (*1851-1914*) أستاذ اللغات القديمة بجامعات روستوك *Rostock* وشتراسبورج *Strassburg* وجوتنجن *Göttingen*.

٨ يونيو

علمت لتوى أن الجامعة (فى جلسة الكلية المنعقدة يوم ١ يونيو) قد قررت أن أكون موفدها فى احتفال أبردين *Aberdeen*، وذكرت فى محضر الجلسة قولها "إن جامعة بودابست ستنال شرفًا خاصًا فى أن أكون ممثلاً لها". لم يخطر ببال بنى عقيدتى مطلقًا أن أنال مثل هذه الامتيازات. إن كل ألوان التكريم والاعتراف بقدرى تترى على من جميع الأنحاء، بدءًا من إسكتلاند وحتى وطنى! وما كنت أتمناه فى شبابى لم يتحقق إلا وأنا كهل. الحمد والشكر والمجد لربى ورب آبائى./

٢٥٢ ١٠ يوليو

فى يوم ٣٠ يونيو وضع "فيلهاوزن *Wellhausen*" كتاب "معانى النفس" فى جدول أعماله، فضلا عن أنه أشرف شخصيًا وبذل قصارى جهده من أجل وضعه على بدايات أعمال الطباعة وإخراجه على أفضل طريقة شيقة. كيف إذن اشتهر هذا الإنسان الرائع بسمعة غير طيبة من حيث الصرامة فى التعامل وعداوته للناس!

٢٠ يوليو

دعانى شخص يُدعى السيد "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" (هكذا قرأت اسمه) لاستضافتى أثناء توقفى فى أبردين *Aberdeen* واستقباله لى بمنزله.

١٠ أغسطس

وردت التصحيحات الأولى لكتاب "معانى النفس" من جوتنجن (مطبعة كستنر).

فى هذه الأثناء قمت أثناء وجودى فى "أوفينكل *Auwinkel*"[١] بإعداد خطبتى التذكارية عن المرحوم الكونت "جيزا كوون *Géza Kuun*" بشكل أوسع وأعم لإلقائها فى الأكاديمية، حيث إن جميع بحوثى المتخصصة تدور دائما فى فلك ما يطلق عليه عند العرب علم "الكلام *Kalâm*". إننى أطمح أن أتوصل لنظام فكر المعتزلة فى تطوره وطبقيته.

٢٤ أغسطس

تلقيت على التو رسالة من رئيس جامعة أبردين *Aberdeen* يخبرنى بها أن الجامعة قررت منحى درجة الدكتوراه الفخرية فى الحقوق، وأنهم يعتزمون – حين أتواجد أمامهم – تقليدى المنصب وتسليمى الشهادة فى حفل مهيب فى يوم ٢٦ سبتمبر. وبالتالى لدى الآن الدرجات التالية: دكتوراه الفلسفة؛ دكتوراه الأدب؛ دكتوراه الحقوق. ماذا بعد كل ذلك. من بين ذلك أيضًا: سكرتير بالمعاش بالجالية الإسرائيلية ليهود المجر!

٢٨ أغسطس

إلى جانب الرسالة السابقة تلقيت أيضًا خبرًا آخر من أبردين *Aberdeen* يرجونى مجلس المستشارين بجامعتها أن ألقى عند إقامة الاحتفاليات كلمة ترحيب صغيرة باسم مجلس جامعات النمسا والمجر. وما حدث أننى رفضت بدون تردد طلب جامعات "النمسا والمجر" فى ضرورة إحضار توكيل من رئيس جامعة المجر ليس أكثر. ولكى أقوم بفعل ذلك، تحددت لى مقابلة اليوم مبكرًا مـــع فخامـــة رئيس الجامعـــة، المستشار الخـــاص الدكتـــور "لانج

---

(١) وهى بالمجرية: *Zugliget*.

(ومن المصادفات أن رئيس جامعة أباردين يحمل اسم "لانج" *Dr. Lang*"[1] أيضًا). كان رأى سيادته أن المتحدث الموكل إليه إلقاء كلمة الجامعات هو عالم اللاهوت "ديمكو *Demkó*". وسوف أرد عليه بأن تقليد جامعتنا يحرص على أن يقوم الأعضاء المفوضين عن الأشخاص بأنفسهم باختيار المتحدث عنهم. ويبدو أنه من الضرورى ذكر اسم "ديمكو" لما له رنين جيد فى إنجلترا./

٢٥٣ ٣٠ أغسطس

اليوم سيكون "ياكوب *Jacob*" بيننا فى أوفينكل *Auwinkel* قادمًا من إيرلانجن *Erlangen*. وقد زارنى قبله "كوون *E. Kuhn*" قادمًا من (مونستر) و"بوتسنانسكى *Poznanski*" من (وارسو)[2] و"بولاك *Pollak*"[3] من (براغ). وقد جاء الأخير من براغ مباشرة لكى يأخذ عنى تعاليم الفلسفة العربية اليهودية.

اليوم بلغ ابنى "كارل *Karl*" - الذى قضى ثمانية أسابيع فى جوتنجن *Göttingen* وهولندا لأغراضه الدراسية - بلغ ما يصبو إليه من هدف فى الحياة، وأحمد الله على ذلك. فقد تسلم اليوم بكل حماسة عمله فى التدريس مدرسًا تحت التدريب بالمدرسة الثانوية فى ألت أوفن *Altofen*، حيث أثبت - منذ فترة طويلة - جدارته من خلال تجارب مشرقة. وفى الوقت الذى أنشغل فيه هنا بالتأليف والكتابة، سيتولى عمله فى المؤتمر الأول. اللهم أيد الشاب الجميل بتوفيق من عندك دائمًا أبدا، وأصرف عنه كل سوء من بشر! اللهم أفض عليه بنعمتك وأرزقه حبك وحب الناس له، واجعله راضيًا عما يخصه.

---

(١) البارون *L. Láng* (*1849-1918*) عالم اقتصاد وسياسى، وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) *S. A. Poznanski* (*1864-1921*) حاخام المعبد اليهودى الكبير بوارسو، وعالم يهودى.

(٣) *I. Pollak* (*1874-1922*) أستاذ اللغات السامية بالجامعة الألمانية براغ.

١٥ سبتمبر

بعد كثير من المتاعب والرد عليها وصل إلى أخيرًا قرار الوزارة، ومفاده أنه سيتم إيفادى –ومعى الأسقف "يوهان كيس *Johann Kis*"[١] – إلى أبردين ممثلين للجامعة: ومن الطبيعى أنهم أخذوا فى الاعتبار أننى تنازلت عن المهمة التى كُلفت بها (٢٨ أغسطس) لهذا الجاهل الذى يظهر أمام الناس بملبسه وزينته أكثر بهاءً وحفاوة من فقير يهودى مثلى يحمل دكتوراه فخرية فى القانون.

١٨ سبتمبر

فى مساء يوم ١٦ سبتمبر غادرت بودابست. لم أشعر بلوعة فراقى لزوجى وأولادى مثل هذه المرة. وصلت يوم ١٧ ليلاً إلى لاهاى *Der Haag* ومكثت بها لقضاء بضعة أيام مع صديقى "سنوك *Snouck*" الطيب. لقد مر علينا الآن نحو عشرين عاما لم ير كل منا الآخر، وكانت المرة الأخيرة فى فيينا بمؤتمر المستشرقين الذى انعقد بتاريخ سبتمبر ١٨٨٦. ومنذ ذلك الوقت قام بدور كبير وفعال فى الهند وفى مجال العلم، وهو لم يُمنح لقب الرجل "العظيم" من فراغ.

كان تلاقينا استعادة لزمن الصداقة فى شبابنا الذى نعتز به حيث كان معى هنـــا فـــى كـــل خطـــوة. أيضًا كنت قد تعرفت إذ ذاك على "دى بور *de Boer*"[٢] وكنت أقضى الوقت بأكمله مع هؤلاء الرجال الطيبين، ولم يذهب الوقت فيما بيننا دون تشجيع علمى.

---

(١) *J. Kiss* (*1857-1930*) أستاذ بكلية اللاهوت جامعة بودابست.

(٢) *T. J. De Boer* (*1866-1942*) المعروف بكتابه ذائع الصيت "تاريخ الفلسفة فى الإسلام".

١٩ سبتمبر

سافرت إلى لايدن *Leiden* لكى أرى "دى خويه *de Goeje*"، وقضيت معه بمنزله، وفى وجود أصدقاء له، اليوم بأكمله حتى الساعة الرابعة، كما رافقنى هو وتلامذته من الشباب الصاعد إلى المكتبة،/ حيث تعرفت على "يوينبول *T.W. Juynboll*"(١) وعلى "ساير *Seyer*"، وإلى دار "بريل *Brill*" وحتى هرتسزون *Herzsohn*. بعد ذلك اصطحبنى العجوز الطيب إلى محطة السكة الحديد، وأكد لى أن زيارتى له هذه المرة بمثابة "يوم عيد" عنده.

٢٥٤

٢٠ سبتمبر

اضطر أصدقائى أن يتركوا لى فترة قبل ظهر اليوم تحت تصرفى. فاليوم يوافق عيد رأس السنة. انتابنى شعور بالحنين إلى المعبد اليهودى. توجهت لزيارته وبدأت بزيارة لتمثال "سبينوزا *Spinoza*" المقدس، وهو النبى الموفى لكلمة الرب وبدده شعبه. بعد ذلك توجهت إلى المعبد اليهودى الألمانى الموجود بحارة فاجن *Wagengasse*: كأنك فى بلدك. سؤلت عن بطاقة الدخول، وهى ليست معى، ومن وقت لآخر أرى سدنة المعبد يقصدوننى ويقاطعوننى أثناء صلاتى بما يفيد بأنه من غير الممكن أن أدخل هنا فى يوم كيبور بدون بطاقة دخول لأقف أمام "يهوا". وإذا بأحد الأفراد يقوم بحل بنية القصى عندما تقدم خادم ثالث بالمعبد نحوى ليشير بعدم أحقيتى فى دخول المعبد بدون بطاقة. تمالكت نفسى ممسكًا بالميشناة، فقد

---

(١) *T.W. Juynboll* (*1866-1948*) من تلاميذ دى خويه وأستاذ فى أوتريخت *Utrecht*.

جئت إلى هنا للصلاة ولا يمكن أن يخرجنى أحد من المكان المبارك. وانتهى ميزان وجدانى بعجز محسوس فى مشاعرى.

فى الظهيرة كنت مع "دى بور *de Boer*" واصطحبنى إلى منطقة "كيرك الجديدة *Nieuwe Kerk*" (الواقعة بوسط الجيتو) حيث قبر أحد علماء اللاهوت. أما ما تبقى من هذا اليوم فقد قضيته مع "سنوك *Snouck*" الذى سأودعه ظهر غد. كان قراره لفترة بعد الظهر أن نتوجه لملكة هولندا فى مقابلة خاصة ولمشاهدة لوحة البلاط الملكى.

أبردين فى يوم ٢٢ سبتمبر

وصلنا فى وقت متأخر من ليلة أمس إلى أبردين *Aberdeen* بعد سلامة اجتيازنا لمضيق "هوك *Hoek*" الهولندى فى اتجاه "هارفيش *Harwich*" – ليلاً؛ ومن هنا قضينا اليوم بأكمله فى رحلة بالأتوبيس حتى بلغنا محطة السكة الحديد. استقبلنى السيد "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" بكل دفء للمشاعر، واعتبرنى من لحظة قدومى فى هذا اليوم الأول لنزولى عليه ضيفًا أننى أحد أصدقاء منزله. والسيد "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" أحد العلماء المتبحرين فى العهد الجديد، وحصل من خلال أبحاثه على درجة الدكتوراه فى اللاهوت، وهو من خلصاء "كلفن *Calvin*" الأسكتلندى، ولكن صاحب سماحة ونقاء قلب تجاه الضيف اليهودى.

بعد وصولى بيوم واحد حضرت قداسًا فى كنيسة "هولبورن *Holborn*" واستمعت إلى خطبة الوعظ. ولو أنهم استغنوا عن عملية صلب المسيح التى أراها غير واجبة، لكان من الجائز لنا أن نصلى ونرتل معهم. فكيف لى أن

أتناول فى كل مرة وأرى أمامى اللافتة المكتوب عليها "من أجل المسيح". فهذا الطعام لا بر فيه لأنه - وفقًا لمفهوم العقيدة الإسلامية- "ذبح لغير الله". ولكن ما الذى سيعود على من إله كل منهما! إن شيمة هؤلاء الناس الطيبة والإخلاص لضيوفهم. لقد ضمتنى "الحاخامة" إلى صدرها على نحو خاص، وستقوم اليوم بعمل جولة لى بأباردين،/ وستبين لى سوق السمك الفريد، [٢٥٥] وسترافقنى فى زيارة نائب رئيس الجامعة الذى سأقدم نفسى له، وينتهى الأمر بها بمرافقتى على ظهر السفينة فى عند ملاعب الجولف، حيث سأضطر أن أشاركها هذه اللعبة الأصيلة. أى عناية ربانية على البحر!

فـــى المساء تناولت طعام العشاء لدى أستاذ التشريح، الدكتور "رايد *Dr. Reid*" فى صحبة أحد الأكابر - السير... "ايفان *Sir... Evan*" - وهو مدير متحف أشموليان *Ashmolean*، ووالد العالم الشهير بجزيرة كريت. وجدت اهتمامًا بالغًا بشخصى من قبل كل هؤلاء الناس، وسأكون محط أنظار هذا المجتمع فى أقرب وقت حين أتحدث.

٢٥ سبتمبر

بدأت الاحتفاليات، على المستوى الكنسى والأكاديمى. وقد أودعت تفاصيل كل ما يتعلق بهذا الحدث بملف المراسلات الخاص بأباردين. ألقى الدكتور "كيس *Dr. Kiss*" خطبته باللغة اللاتينية، ولاقت استحسانًا كبيرًا من الجميع. كانت "اللغة" التى كتبت بها هى كل ما احتوته من أهمية، وأما المضمون فاتسم بالسطحية والتظاهر بالورع. جاء فى خطبته قوله إن جامعتنا "بودابست" لديها الهدف ذاته الذى يبتغيه أساتذة جامعة أباردين: إن الدين والعلم يمثلان وحدة واحدة، ونقرأ فى أمثال الكتاب المقدس "مخافة

الرب رأس المعرفة[1]. كلاهما من دعائم الكنيسة الكاثولوكية والبابا، وهناك الكثير مما يشبههما. ومن الأشياء المميتة أننا صعدنا إلى خشبة المسرح فى الوقت ذاته مع النمساويين على إيقاعات موسيقى "حفظ الله" فما الذى يدعونى للتراسل مع ذلك ونحن فى مشهد يفصلنا عن النمسا! ونتيجة ذلك أن جاء العطف بــ "و" بين النمسا والمجر. على أن الدكتور "كيس *Dr. Kiss*" كان لديه آلامًا أخرى. فممثل البابا يرمز لإيطاليا. كانت هناك خروقات لقانون الدولة والكنيسة.

٢٦ سبتمبر

تشجيع حافل للشاب اليهودى القادم من، شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* لحصوله على درجة الدكتوراه الفخرية فى القانون. كل ما يتعلق بتفاصيل هذه الاحتفاليات وغيرها أودعتها بملف المراسلات الخاص باباردين. كم كنت أشعر بالارتياح النفسى وأنا أرتدى روب القضاة وعلى رأسى القبعة والقلنسوة وأسير فى الشوارع متمهلاً، ومعتليًا فى هذا الموكب المناصب الرسمية (وأيضًا بسطت الموائد فى الطريق)!

يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر

غادرت أباردين، واستقلنى "ماك كليمونت *Mc. Clymont*" وعائلة "بيترسون *Petersons*" القادمة من أدينبورج *Edinburgh* – وهم من الضيوف الذين أقاموا معى فى الفندق ذاته– إلى محطة القطار. لقد أتيت إلى إدينبورج

---

(١) الأمثال *I*, 7.

لكى أكرس يوم كيبور وفقًا لطريقتى؛ أكتب الآن مع نهاية أحد الأيام الصعبة. ذهبت بالفعل فى المساء قاصدًا المعبد اليهودى الواقع بشارع جراهام لأصلى فى مساء ليلة يوم كيبور، وأيضًا لأشارك أثناء فترة قبل الظهر وأتمتع -على قدر ما تسمح به نفسى من مشقة- فى الحياة الدنيوية الصاخبة حيث يقام لأهل البلد قداس الكاهن الأعظم. وبين هذا وذلك قضيت وقتى فى مشاهدة المدينة البديعة،/ ثم اقتصرت فى غرفتى الصغيرة على القنوت فى الصلاة حتى شعر بدنى فى المساء بحاجته إلى السكون والراحة، وهذا ما فعلته مع جماعة الأستاذ "دايسمان *Prof. Deissmann*" الأقل جوعًا.

[٢٥٦]

عام ١٩٠٧

٣ فبراير

بوازع من الخبرات الجادة للغاية مع تلاميذ مدرسة الحاخامات، شرعت فى كتابة رسالة إلى "ريباخ *Rebach*"، منكرًا لذاتى إلى حد ما، راجيًا إياه لقاء للتحدث معه عن الأوضاع السيئة السائدة. وها هو يرد على بأسلوب أكثر فجاجة، قائلا إنه يمتنع عن أى لقاء معى. لقد اعتاد على طريقة تعامل أخرى؛ فهو يرفع شعار الانتخاب: فليحيا الرجل الذى لا يطرق أبواب نصيحة المؤمنين بالعدل، ولا يناصر إلا الآثمين. دعهم وشأنهم.

٨ إبريل

إن أداء مهامى الوظيفية رئيسًا للنخبة فى الأكاديمية جعلنى قريبًا من تأمل الأشياء بجدية. اليوم كنت قادرا على أن أوجه خطاب الترحيب للمراقب

العام الإصلاحى "باكساى *Baksay*" [1] بصفته عضوًا عاملاً. فالشاب اليهودى الذى خرج من شتولفايسنبورج *Stuhlweissenburg* وخلع لتوه رداء العبودية الذى كان يرتديه لدى "كون *Kohn*" – ووضع "تصورات" لهذه الحثالة – قادر على أن يقتلع أسقف الكنيسة الإصلاحية من عمادة الأكاديمية.

٣٠ إبريل

فى اجتماع الجمعية العمومية السنوى للأكاديمية اختارتنى النخبة الأولى بالإجماع – مرة أخرى –رئيسًا للدورة القادمة ومدتها ثلاث سنوات.

٥ مايو

ألقيت اليوم ظهرًا أمام جمهور من صفوة المجتمع (وبحضور أرشيدوق وحرمه) فى الجلسة السنوية الاحتفالية خطبة تأبين لصديقى المرحوم الدوق "جيزا كوون *Graf Géza Kuun*" [2]. شعرت بأن الخطبة نالت الإعجاب العام.

٨ مايو

تلقيت رسائل بالغة الامتنان ومرهفة المشاعر من البارونة أرملة الدوق "كوون" ومن أطراف آخرين بالعائلة يعربون فيها عن شكرهم لى على

---

(١) *A: Baksay* *(1832-1915)* كاتب ومترجم، وأسقف إصلاحى فى كونسنتميكلوس *Kunszentmiklós*.

(٢) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٧٦.

خطبتى المليئة بالمشاعر المؤثرة وكلمات التنوير وحسن الخلق. وسيزيد من شعورى بالرضا والقناعة أن هناك آخرين أكفاء ممن توفرت لهم قراءة هذا العمل المطبوع، سيعبرون بكل الحب عن الشيء ذاته./

٢٥٧ من ٢٧ مايو وحتى ٢ يونيو

كنت فى فيينا مبعوثًا من الأكاديمية لحضور الاجتماع العام الثالث لاتحاد الأكاديميات.

٨ سبتمبر

تهيأنا لاستقبال الاحتفالات برأس العام الجديد؛ وبذلك تقترب أيضًا نهاية فترة الإجازات الصيفية، حيث قضيناها بمنطقة فيلاجياتور ***Villagiatur*** الواقعة فى مقاطعة أوفينكل ***Auwinkel***. ولا يفوتنى فى هذا الصدد أن أتوجه بنظرى إلى ربى بالحمد والشكر له على ما وهبه لى من نعمة العافية فى بدنى وعقلى تجعلنى قادرًا على مواصلة الحياة والعمل.

لقد استطعت العودة إلى العمل فى الصيف. فى يوم ٢٢ يونيو تمكنت من إنهاء محاضراتى لأمريكا حتى آخر نقطة ختامية: ستة فصول غنية بالمضمون تناولت بها تاريخ تطور الإسلام حتى خارت قواى(١). بعد ذلك اتجهت إلى تأليف أعمال أخرى ستنشر قريبًا فى مجلات متخصصة. وفى هذا الإطار قمت بإنجاز بعض الأشياء المتبقية من محاضراتى. وحيث إننى

---

(١) المرجع السابق، تحت رقم ٣٠٦.

تمكنت من العودة إلى العمل والإنتاج، فلا يسعنى إلا أن أتوجه إليك يا إلهى بالحمد والشكر لك على ذلك.

ورغم ذلك كان هناك بكل تأكيد بعض المنغصات لنفسى أثناء هذه الفترة الصيفية. فقد تنامى لعلمى عن طريق زائر أجنبى أن عصابة "باخر *Bacher*" قامت بتغذية جميع الجيتوهات بالعالم بما يكفى من تلطيخ سمعتى والنيل من شرفى، بدءا من الاغتياب والقذف وحتى نشر أكاذيب منحطة، بحيث أكون من خلالها- على أقل تقدير فى نظر بنى عقيدتى- محل احتقار وازدراء. فقد أشاعوا عنى كذبًا وافتراءً أننى أطعن - فى أحاديثى بالأكاديمية - فى حق التلمود (لكى أحول دون إنتخاب المبجل "باخر")، وقاموا بالترويج لهذه الأكذوبة المنحطة فى جميع أنحاء العالم. وبعد ذلك قالوا: أننى استقبلت مديرًا كانت الحكومة قد أقالته من منصبه - على أثر سلوكياته المعادية للسامية - وأننى قمت بتكريمه وأقمت له الولائم فى منزلى!!!. ولم يكتفوا بذلك، فقد زيفوا الحقيقة ذاتها التى حكيت عنها بتاريخ ٣ فبراير من هذا العام لتستغل ضدى، وتولت عصابة من المتطفلين من الرجال والنساء بلصق قصص من حكايات اللصوص الحقيقية بشخصى وقاموا بإرسالها لجميع أنحاء العالم. وتترى هذه الأكاذيب على أننى قادمة من برلين تارة، ومن باريس تارة أخرى.

فى هذه الأثناء ظهر بالأسواق فى شهر يوليو كتابى "معانى النفس"، وجاءنى من السلطات الرسمية لجامعة كامبريدج رسائل تهنئة تذكر فيها إهداء كتاب لى لجامعة كامبريدج والأيام المليئة بالفخر والاعتزاز فى مايو عام ١٩٠٤.

الأول من ديسمبر

اليوم قام بنو عقيدتى ببودابست بانتخاب من يمثلونهم من نواب؛ وفى قوائم الانتخابات نعتونى بالوصف "سكرتير جالية مُقال للمعاش". وهذا لون من ألوان "التحريض على العنف تجاه من يراد التلطيخ بسمعته". لم ينتقوا من بين جميع ما حصلت عليه من ألقاب سوى هذا اللقب البغيض الكريه/ الذى يحمل فى طياته جميع الذكريات السيئة فى حياتى. وقد منحونى هذا اللقب فى قوائمهم الرسمية، وتجاه هذا المستوى لا يوجد شيء آخر أكثر دلالة سوى حقيقة القول، إنهم لا ينظرون عند اختيارهم لعبيدهم إلى سنوات عمرهم التى أفنوها فى خدمتهم. فماذا فعلوا بى بعد أن قضيت ثلاثين عامًا فى خدمتهم عبدًا طيعًا لهم.

٢٥٨

٩ ديسمبر

اليوم قرأت نبأ وفاة الملك "أوسكار ***Oskar***" – ملك السويد – على صفحات الجرائد، وصارت زوجته وحيده. لقد كانت مثل الحية الرقطاء التى أتطلع إليها لسنوات عديدة حينما كنت أتعرض للدغات الأشرار، فيصيبنى جرح أو يسرى السم فى بدنى. كانت روحى تتغذى عند تذكرى لنظرتها المليئة بالعطف والحنان التى أولتنى إياها فخامتها المبجلة فى يوم من الأيام. تاه فكرى كأنى أسبح فى بحر تلك الذكريات لأواسى نفسى. فما الذى قدمته لى هذه الفكرة على مدار تسعة عشر عامًا مضت! والآن هوت شجرة البلوط من علٍ، ولكن أبدًا لن تموت حتى آخر العمر ذكرى الأمير العظيم النبيل.

١٣ ديسمبر

بعد تبادل خطابات سابقة مع "كرسماريك *Krcsmárik*"[(١)] فى سرايفو، تناقشت اليوم مع "تالوتشى *Thallócz*"[(٢)]، رئيس ديوان وزارة المالية، ثم قدّم لى طلبًا رسميًا بشأن تكليفى بتأليف كتاب تعليمى خاص بتاريخ الأدب العربى[(٣)] للعامين الأخيرين لطلبة المرحلة الثانوية العليا فى البوسنة، وملحق بالطلب استبيان لنحو ١٠ – ١٢ نقطة. وهذا الطلب المقدم لى باسم الوزير "ف. بوريان *v. Burian*" (وهو من أصدقائى فى مرحلة الشباب) يُعد شرفًا عظيمًا لى، ولهذا قبلت المهمة.

عام ١٩٠٨

تلقيت الترجمات الإنجليزية لمحاضراتى على التوالى. إنه عمل بائس، لاسيما ذلك الذى حصلت عليه من برلين بوساطة من "يهودا *Yahuda*". علاوة على ذلك فإن المرض قد عاودنى بشدة، ولا أطيق أى لون من الإثارة أو التعب، بل يكفينى أداء عملى المعتاد. الآن أتدبر الأمر ما إذا كنت بسبب الاهتمام بصحتى أن ألغى رحلتى إلى أمريكا فى اللحظات الأخيرة، إذ إن المقارنة بين العمل الإنجليزى غير المتقن بعملى فى الشكل والمضمون عمل أصلى تسبب فى شعورى بقلق مفزع، أتأكد منه عند قيامى بهذه المقارنة./ ولكننى لا أقوى على ذلك، فإننى أتألم كثيرًا عندما أقدم عملى الجميل بإثبات [٢٥٩] ذلك من سطر إلى سطر. كيف أحسن تدبير ذلك الأمر؟

---

(١) *Krcsmárik (1857-?)* عالم فى القانون.

(٢) *L. Thallóczy (1854-1916)* مؤرخ ومسؤول أرشيف بفيينا.

(٣) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٣٠٠.

٦ – ٧ إبريل

جاء من هايدلبرج لزيارتنا "بيتسولد *Bezold*" وترافقه حرمه.

٢٣ إبريل

لم أغادر فراشى أسبوعًا كاملاً على أثر مرضى الشديد. هكذا قضيت أيام عيد الفصح اليهودى.

اليوم بعثت زوجتى برسالة إلى أمريكا تبلغ فيها إلغائى المؤكد للرحلة.

جاء لزيارتنا صديقى "كارل بوده *Karl Budde*"، وأظهرت له جمال مدينتنا وهامات علومنا. وفى يوم الاثنين شاركنى تناول العشاء بالأكاديمية.

١٠ مايو

هلت علينا منذ يوم ٦ من هذا الشهر نسمات الصيف فى أوفينكل *Auwinkel*. وفى الأيام الأولى من الشهر تلقيت رسالة من أكاديمية العلوم الملكية بأمستردام تفيد بأن هيئة العلماء هذه الأكاديمية قد اختارتنى عضوًا بها فى اجتماع جمعيتها العمومية المنعقدة بتاريخ ١٣ إبريل. وبعثوا لى بشهادة رسمية بهذا الأمر بعد موافقة الملكة على ذلك.

١٥ يونيو

اليوم توليت رئاسة الجلسة العمومية للأكاديمية نيابة عن فخامة السيد "بيرزيفيتشى *v. Berzevicy*".

٢٠ يونيو

مع نسمات الصيف المنعشة، وقيامي بدراساتي في هدوء، تلقيت من جديد صفعة من بني عقيدتي المخلصين أصحاب الإبداع اللغوي، كنت قد تقدمت بطلب التماس بشأن إعفائي من تدريس محاضراتي في فترة غيابي للسفر إلى أمريكا. كل هذه الأمور تسير من خلال الوزارة. فإذا "بأعضاء هيئة التدريس" يتقدمون للوزارة باقتراح – دون علمي أو سؤالي عن ذلك – يطلبون فيه تعيين نائب عني في التدريس في الشهور من سبتمبر وحتى يناير، وأما النائب المقترح بالإسم (حصريًا) فهو الحاخام الدكتور "فينيتيانر ***Venetianer***[١]"، كما طلبوا إيقاف مخصصاتي المالية عن هذه الفترة الزمنية وتحويلها إلى النائب المذكور. وأيضًا وافقت على ذلك بالفعل الإدارة المالية – وكل شيء من خلال الوزارة. لقد أراد "الزملاء المدرسون" الأنقياء – وعلى رأسهم المحترم "ريباخ ***Rebach***" – / من خلال هذا الفعل أن يحصلوا [٢٦٠] على مستند لمساواتي بأي حاخام مرغوب فيه ولو كان غير مؤهل. ولو قرأ أي إنسان هذه الرسالة فلن يصفه إلا بالحقارة والوضاعة.

ولو قبلت البقاء في ظل هذه الأوضاع، فسيكون مرجع ذلك ما أسداه لي أصدقائي من نصيحة بألا أرضخ لممارساتهم تجاهي بالمكائد لإخراجي من دائرة النفوذ التي أسديت لها نفعًا كبيرًا، وسأنقذ بعض الأشياء من الضرر، ذلك الضرر الذي يحرض عليه هؤلاء الحثالة المبدعون في الحيل. ومن الأفضل أن أنتظر حتى يبعدوني على نحو مفضوح، ثم أشرح – من أجل الصالح العام

(١) ***L. Venetianer*** (*1867-1922*) حاخام في "أوجبست ***Ujpest***" ومؤرخ، ومؤرخ للأديان.

– الأوضاع بلا تحفظ على المستوى الرسمى، وأكشف المستور أمام "الرأى العام". ولكن هل أستطيع القيام بتنفيذ النقطة الأخيرة فعلا؟

فى هذه الآونة لازمنى المرض، ولم يفارقنى الكدر من خلال ممارسات أفراد من عائلتى المقيمين بناحية كيستيليه *Keszthely* حيث إنهم يشلون قدراتى بالكامل ويعكرون صفو حياتى. لم يقف إلى جوارى مرة أخرى سوى أخى الدكتور "كون *Dr. Kohn*" الذى أثبت أنه بمثابة ملاك مبعوث لى من الله لحمايتى بتقديمه خدمة جليلة لنا، إذ وقانا من وقوع كارثة.

٢٩ يوليو

أجريت الاستعدادات لانعقاد مؤتمر المستشرقين فى كوبنهاجن، الذى سأشارك به بصفتى مبعوثًا لأكاديميتنا. قمت بإعداد موضوع بحثى لقراءته على الحاضرين بالشعبة التى سألتحق بها، وعنوانه "عناصر الأفلاطونية الجديدة والغنوصية فى الأحاديث النبوية القديمة *Neuplatonische und gnostische Elemente im alten Hadith*"(١). وفى الأسابيع الأخيرة قمت بإعداد الملحوظات الخاصة بالنص الألمانى "للمحاضرات"، وذلك احترازًا "لعدم الاكتراث" بظهورها فى الطباعة.

٣٠ يوليو

فى المساء زارنا السيد "ماكس هرتز بك *Max Herz-Bey*" قادمًا من القاهرة. وكانت لى – على مدار أسبوع من هذا الشهر المنصرم – مراسلات

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٢٩٧.

مع المستشار البولندى الكبير بديوان القصر الملكى – الحاخام "د. ه. م"[١]، الذى تملك زمام خصميه – المتوفى "جلازر *Glaser*" والحى "هوميل *Hommel*"، فركعا نادمين على ما ارتكباه فى حقه من إثم. وكان قد بعث لى برسالة فى هذا الشأن، يلقى فيها على باللوم زاعما أننى دائما ما أقف "فى صف خصومه"، وفى رسالة أخرى شرح فيها هذه الأكذوبة، وذكر بها أن موقفى يتحقق عمليا داخل "بنات أفكارى". إنه فى هذا الصدد بمثابة قارئ للنقوش المحفورة وقارئ للأفكار. وحقيقة الأمر أننى كنت إذ ذاك أعمل على تهدئة خصومه وكبح جماحهم، ولكن ما أثار حفيظة المغرور "بولاك *Polak*" أننى لم أنفخ فى نفير الشهرة حين خرج علينا بأشعاره التى تهتز لها الدنيا وأخرج للعالم اكتشافات حمورابى، وأننى لم أرحب قط باكتشافاته. وفى الوقت ذاته قدَم "بولاك" الماكر ورقة لدى أكاديمية فيينا ضدى،/ استنكر فيها [٢٦١] أننى لم أؤكد فى مقالى المنشور بمجلة "جلوبوس *Globus*" عن "موزيل *Musil*"[٢] خدمات الأكاديمية الجليلة التى قدمتها بصدد أعمال موزيل، وهو ما يعنى – كما يتبين من بطاقته المؤرخة بيوم ١٦ يونيو – عدم ذكر الحاخام "د.ه. م" فى مقالى وتمجيده لموزيل. ولذلك – كما يتضح لى الآن – قام باستنكارى وممارسة النميمة والوشاية بى لدى أصحاب الأمر هناك.

٣ أغسطس

سفرى من بودابست إلى ساسنيتس *Sassnitz* على جزيرة ريجن *Rügen* حيث مكثت بها إلى يوم ١٢ من الشهر للسفر منها نحو كوبنهاجن لحضور مؤتمر المستشرقين. وفى المؤتمر التقيت وأصدقائى القدامى من جديد:

---

(١) *D. H. Müller*.

(٢) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٥١٨.

أصدقاء جامعة كامبريدج، والبارون "اوبينهايم *Oppenheim*"[١]، و"ماكس بيرشيم *Max Berchem*"، و"هارتمان *Hartmann*[٢]، و"باسيه *Basset*"، و"إدوارد ماير *Ed. Meyer*" وآخرين، كما تعرفت على أصدقاء جدد، وأخص منهم بالذكر العالمين اليسوعيين "شيخو *Cheikho*[٣]"، و"لامينس *Lammens*"[٤]، وقد أعربا عن عظيم تقديرهما لي. وقد وقع الاختيار على لأن أترأس شعبة الإسلام، الذى كان يرأسه حتى الآن العالم "دى خويه *de Goeje*" الذى تغيب عن المؤتمر الذى يرقد على فراش الموت لمرض لا شفاء منه. ويبدو أن هذا الاختيار قد أغضب بلاط فيينا – "آل كارابتشيك *Aal Karabaček*"؛ فقد كان تصرفه تجاهى يتسم بالبرود. ومن دواعى سعادتى جاءتنى – فى إحدى الاحتفاليات – بحة الصوت التى تحدث لى أثناء المؤتمرات، ولكن – رغم ذلك – نالت محاضرتى عن "عناصر الأفلاطونية الجديدة والغنوصية فى الأحاديث النبوية القديمة *Neuplatonische und gnostische Elemente im alten Hadith*" إعجابًا كبيرًا.

أود أن أذكر من بين الأشخاص الذين اقتربت منهم فى هذا المؤتمر المبعوث الألمانى فى المغرب، الدكتور "روزين *Dr. Rosen*" الذى أبدى علامات تقديره لى. وكذلك أعرب أصدقائى من كوبنهاجن أنفسهم عن تقديرهم لشخصى، فقد أبدى رئيس المؤتمر السيد "تومسن *Thomsen*[٥] كل

---

(١) *Max von Oppenheim* (*1860-1946*) هو الذى جمع نقوش عربية من سوريا وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى.

(٢) *Max Hartmann* (*1851-1918*) يقوم بتدريس اللغة العربية منذ عام ١٨٨٧ بالسيمينار الشرقى ببرلين.

(٣) *L. Cheikho* (*1859-1927*) مستعرب فى بيروت.

(٤) *H. Lammens* (*1862-1937*) أستاذ بجامعة سانت جوزيف ببيروت.

(٥) *V. L. P. Thomsen* (*1842-1927*) عالم لغوى فى كوبنهاجن.

ألوان الاحترام والمجاملة نحوى. كما قام "فرانتس بول *Frants Buhl*"(١) بتوجيه الدعوة لى ولآخرين من الصفوة على العشاء، واختصنى بكل أساليب الترحيب ووجب على توجيه الشكر لهؤلاء السادة فى اقتراحهم بتوجيه الدعوة لى على المائدة الملكية فى يوم ١٨ أغسطس. جلست إذ ذاك بين السير "شارلس لايل *Sir Charles Lyall*" وفخامة السيد "مول *Mohl*"، وهو ابن أخ "يوليس مول *Jules Mohl*" بحيث كانت جلستنا جميعًا وجهًا لوجه من الملكة وبعض الأمراء.

وأثناء قيامنا برحلة ترفيهية إلى فريدريكسبورج *Frederiksborg* وماريا ليست *Marya List* اقترب منى صاحب دار النشر (فينتر *Winter*) بمدينة هايدلبرج *Heidelberg* واتفق معى على إصدار محاضراتى الأمريكية. لم يقف موقف العداء تجاهى أثناء إنعقاد هذا المؤتمر سوى فريق غزو من الحاخامات ممن وطدوا أنفسهم هنا أكثر من أى مكان آخر وأظهروا نزعة انفصالية غريبة المنحى عند إقامتهم مأدبة كبرى لتناول الطعام المقدس وفقا للشريعة اليهودية. وفى يوم ٢٠ من أغسطس سارعت بالعودة إلى وطنى حاملا معى أفضل الانطباعات وأجل الذكريات، ولم أتوقف للمبيت أثناء عودتى سوى مرة واحدة فى ميكلنبورج شتريليتس *Mecklenburg Strelitz*. فقد استدعيت من قبل سكرتير الدولة "توت *Tóth*" ومستشار الشعبة السيد "نيمينى *Neményi*" فى بلدى للحضور والتحدث معهما بخصوص مسألة تتعلق بابنى كارل *Karl* وأخذ الوعود منهما، وهما جديران بتحقيقها ما لم يتأثرا بالفكر

---

(١) *F. Buhl* (*1850-1932*) أستاذ كرسى بجامعة كوبنهاجن، عالم لاهوتى ومستعرب.

[٢٦٢] الرجعى المسيطر على المبنى الذى يعملان به؛/ فهذا مقر ينطبق عليه ما ذُكر فى سفر الأمثال "ذكر الصديق للبركة، واسم الأشرار ينخر"[١]، فلا يخرج منه إلا ما هو كاذب وما هو ظالم.

٢٤ – ٢٥ سبتمبر

جاء لزيارتنا فى أوفينكل ***Auwinkel*** صديقنا "سنوك ***Snouk***". وهذه الفترة جلبت علينا السعادة فى يومين.

عام ١٩٠٩

١٥ يناير

أدركت اليوم دلالة الشرف الذى نلته فى شهر يوليو من العام الماضى فى تسميتى عضوًا بالأكاديمية الملكية للعلوم بأمستردام، لأن على أساس ذلك تم إبلاغى باختيارى عضوًا شرفيًا بالجمعية المجرية الفنلندية فى هلسنجفورس ***Helsingfors***. فى يوم ٢٧ من مايو كنت قد قمت برحلة إلى روما لحضور اجتماع لجنة المبعوثين الخاص باتحاد الأكاديميات. وأتاح لى هذا الاجتماع مرة أخرى فرصة التواصل مع أفضل ممثلى العلم فى الوقت الراهن. وفى الوقت ذاته قضيت أسبوعا كاملا فى التعرف على أغرب معالم المدينة الخالدة؛ حضرت بها إذ ذاك أحد عيد العنصرة فى كل من كنيسة سانت بيتر،

(١) الإصحاح ١٠ الآية ٧.

وكنيسة اللاتيران *St. Peter/Lateran*. كما أن إقامتى بالمدينة كان لها أهمية خاصة عندى، حيث كان لى لقاء شخصى مع "ليونه كيتانى[١] *Leone Caetani*"، وهو واحد ممن يعشقون بشدة علمى ومن المبجلين له. وقد أتيحت لى فرصة التحدث معه حديثًا مطولاً خلال الدعوة التى وجهتها الكونتيسة "لوفاتيللى *Lovatelli*" لحضور عشاء عائلى يوم ٣ يونيو. والمراسلات التى كانت فيما بيننا توضح تفاصيل كثيرة خاصة بهذا اللقاء.

فى صباح اليوم ذاته استقبل الملك أعضاء الوفد فى المقر الرسمى للدولة. وفى يوم ٥ من الشهر توجهت ومعى "سالمان *Salemann*" إلى أسيسى *Assisi* حيث قمنا أيضًا بزيارة بيروجيا *Perugia* لكى نصل إلى بودابست معًا يوم ١٠ يونيو ويقضى معنا يومًا فى أوفينكل *Auwinkel*.

٢٩ يوليو

على أثر مرض ابنى كارل *Karl* وقلقى عليه اضطررت للسفر إلى جوتنجن *Göttingen*، وأحمد الله أننى حين وصلت وجدته فى مرحلة النقاهة. كما استطعت أن ألتقى بالمدينة "فيلهاوزن *Wellhausen*" لبضع ساعات.

١٥ أغسطس

ربطت بشكل جوهرى بين قيامى بإجازة الصيف وضرورة إعداد المدونات والملحقات الخاصة بمحاضرتى عن الإسلام، نظرًا لأن الناشر لها "فينتر *Winter*" فى هايدلبرج يلح على ولا يرغب بكل أسف فى التأخير أكثر

---

(١) *L. Caetani* (*1869-1935*) مستشرق إيطالى، وباحث فى تاريخ الإسلام.

[٢٦٣] من ذلك./ بعد ذلك انتهيت من جملة محاضرات جديدة، وبخاصة ما نشر حديثًا من أجزاء كتاب "إبن سعد *Ibn Sa•d*" الغنية بمادتها للغاية وآمالى القالى *Amālī al-Kālī*(١).

١١ سبتمبر

مكثنا فى أوفينكل *Auwinkel* حتى ينتهى وقت الأعياد الكبرى. وقد أقام بنو عقيدتى الذين لم يغادروا المدينة مثلنا - كما فعلوا قبل عامين - قداسًا تقليديًا فى أيام العام الجديد وفى يوم كيبور. بالأمس، طلبوا مني أن أكون إمامًا لهم فى صلاة نهاية عيد الغفران "*Ne•ilah*"، وطبيعى لا يصح أن أرفض.

٤ أكتوبر

اليوم بداية جلسات الأكاديمية عقب إنتهاء الأجازات. ونظرًا لغياب الرئيس تحتم على أن أجلس فى مقعد الرئاسة فى الجلسة الأولى المكتملة. ولا أعتقد أن مؤسسى الأكاديمية سيعتبرون هذه الحالة مسموحًا بها.

١١ نوفمبر

وقفت أمام نعش "باول جيولاى *Paul Gyulai*" - صديقى القديم المحسن والفاعل للخيرات - أستدعى ذكريات شبابى المعذب التى أخذت تتراءى أمام

---

(١) انظر جولدتسيهر: محاضرات عن الإسلام. هايدلبرج ١٩١٠ - ٧٨، ١٨٩، ٢٦٠.

عينى، إذ تربطنى بهذا العجوز الطيب منذ عام ١٨٧٤ علاقة حميمة، ولى أن أعتز بتقديره لى الذى تلقيت كثيرًا من الأدلة عليه بصفتى مساعدًا فى مجلته "شملة البودابستية ***Budapesti Szemle*** !، كما أعتز باحترامه لى.

كان هذا العام بحق عام وفاة أعز أصدقائى: فوللرز ***Vollers***، دى خويه ***de Goeje***، فرينكل ***Fränkel*** وغيرهم.. جميعًا انتقلوا إلى الدار الآخرة. ومن بين هؤلاء كان حزنى الشديد على العجوز الغالى "موزيس بلوخ ***Moses Bloch***" الذى حُمل إلى قبره يوم ٢ أغسطس. وكان سفرى إلى جوتنجن حائلا لحضورى تشييع جنازته. وها هى عائلته تطلب منى أن أقوم بمراجعة النص التوراتى الذى سيُكتب على شاهده؛ إنهم لم يرغبوا أن يعهدوا بهذه الوثيقة الدالة على البر لرجال دائرة الأكاذيب الزائفة الخاصة بالمدرسة اليهودية الأم التى كان للرجل العجوز أثره البالغ بها على مدار ثلاثين عامًا، ثم قاموا بإزاحته من الدار بأدب. بالأمس قمت بعمل النص وإرساله.

٢٤ نوفمبر ١٩٠٩

بالأمس تلقيت – عن طريق "سودربلوم ***Söderblom*** [١] فى أوبساله ***Upsala*** – دعوة باسم الجامعة الأهلية بها، تحمل طلب الجامعة فى: أ) أن ألقى محاضرة فى شهر سبتمبر من العام القادم باستوكهولم بمناسبة الاحتفال السنوى للجمعية العلمية، ثم: ب) عقب ذلك مباشرة إلقاء ثلاث محاضرات عن الإسلام بجامعة أوبساله ***Upsala***.

---

(١) ***N. Söderblom*** ***(1866-1931)*** أسقف فى أوبساله ***Upsala*** ، مؤرخ أديان.

٢٠ – ٢٩ ديسمبر

كنا فى لوفرانا ***Lovrana*** /

٢٦٤ **عام ١٩١٠**

٢٣ يناير

ارتباطا بالدعوة السويدية بعث اليهود باستوكهولم دعوة أخرى حملها إلى الحاخام الأستاذ الدكتور "كلاين ***Prof. Klein***" يطلبون فيها أن ألقى فى الوقت ذاته محاضرة ذات مضمون يهودى؛ "وسأحصل على مكافأة قدرها ٢٠٠ كرونة على الأقل".

٢٢ فبراير

اليوم اضطررت أن أبعث برسالة تتضمن شيئًا من الجرأة والصفاقة. تعلق الأمر بامتحان الحاخامات، وكان المرشح السيد "شبيجل ***Spiegel***"[١] يفوق كل معايير الجهل، وقدّم فى الامتحان الدليل على أمية جامعة، بل إنه يجهل أوليات الأشياء تمامًا؛ فلم تبلغ معارفه عن الموضوع الذى قمت بامتحانه فيه بعد مستوى تعليم متوسط لأحد الأشخاص العاديين من غير اليهود. وعلى غير عادتى ونزعتى وجب على أن أعلن وجهة نظرى فيه وأبين أنه غير كفء على الإطلاق. ومع ذلك وجدت الجالسين معى فى اللجنة، ممن يتصفون بالسوء وعدم الضمير، وعلى رأسهم أحد الحاخامات – وهو "هيفيزى ***Hevesi***"[٢] – وهو بالمناسبة لا يملك سوى أهلية المرشح،

---

(١) ***A. Spiegel*** *(1883-1944)* حاخام فى إسترجوم *Esztergom (Gran)*.

(٢) ***S. Hevesi*** *(1868-1943)* حاخام، فيما بعد كبير الحاخامات ببودابست، وأستاذ بمدرسة الحاخامات الإقليمية ببودابست.

يعلنون عن عدم كفاءة صوتى، ويمنحون الرجل الشاب الجاهل شهادة الدبلوم على النقيض من حكمى عليه، بل ويشرعون أيضًا فى إتمام تكريسه(!!!). أما زعيم هذه الضربة فكان بطبيعة الحال العجوز الصفيق المحتفى به "ريباخ *Rebach*".

٥ مارس

تلقيت اليوم رسالة تهديد وقذف من جانب يهودى مجهول، يُفهم منها أن الأوباش يعتزمون أن يضعونى فى سلة أعداء السامية لكى يدمروا مكانتى بالجامعة. ولا أشك فى أن هذه العصابة التى تملك المكائد والحيل قادرة على فعل وتنفيذ هذا الاعتداء الغادر. وتخمينى هذا لا يخدعنى لو سلَمت بأن هذه المؤامرة قد خرجت من عقل "جاعون بلاو *Gaon Blau*"- ابن أختى الذى أحبه كثيرًا؛ فرائحته العفنة تشير بشكل مباشر إلى هذه العقلية منبعًا للأفكار.

وقد ألحقت هذه القمامة المجهولة بسجل مراسلاتى الخاص "بالسيرة الذاتية" تحت عنوان "تمامًا". لعل الأجيال القادمة تنقب عنه فى هذا المكان.

فى هذه الأثناء كانت عملية طباعة محاضراتى عن الإسلام (بدار نشر فنتر *Winter* بهايدلبرج) تسير بسرعة مذهلة لدى دار نشر "برايتكوبف وهرتل *Breitkopf und Härtel*" فى لايبسيج *Leipzig*.

٨ مارس[١]

يجب أن أكمل ما قمت بتدوينه بتاريخ ٢٢ فبراير. فقد بلغنى أن العصابة نشرت "الحدث" بطريقة وأسلوب فى غير صالحى. إنهم منعدمو

---

(١) كُتب هذا الجزء من اليوميات باللغة المجرية – بكل تأكيد بسبب ما تعرض له المؤلف من حالة اضطراب وقلق. ونقوم من جانبنا بترجمته إلى اللغة الألمانية.

٢٦٥ الضمير./ وعليه: بعد أن أطلعت هيئة الأساتذة على نتيجة الامتحان، هاجت الدنيا وماجت ضدى، واستندوا فى حجتهم من أن مرشحين آخرين أيضًا لا علم لهم بطرح أسئلتى، وأنهم يطالبون بإرغامى على الموافقة بتمرير الشاب الجاهل. إن ضميرى يأبى مثل هذه الوضاعة. لم أخش أن أقول لهم مباشرة من أن أسلوب تقريرهم ينم عن جهله أيضًا فى باقى الموضوعات. ولو صدر الحكم بأهلية مثل هذا الشاب، فينبغى أن نعلق على صدارة السيمينار لافتة تحمل المثل (כי רבים חללים הפילה ועצומים כל הרוגיה) "لأنها طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء"[1]. ورغم ذلك أصروا أيضًا على تمرير الشاب، واتجهت نيتهم على إجبارى من أجل الحصول على موافقتى. ولكى نضع نهاية لهذا الموضوع طالبت بأخذ الأصوات. وكان ذلك خطأ منى. فلم يخطر ببالى أن الجرأة تصل بهم إلى حد أن يقوموا بالإجماع على إبطال صوت أستاذ ممتحن؛ ولكنهم كانوا فى حالة سرور من طلبى. وعلى الفور، قام الرئيس بإعلان النتيجة بناء على غالبية الأصوات وقرر إثبات كفاءة المرشح "شبيجل". مع ملاحظة: لم يطرح الرئيس ثمة إشكالية قط يؤخذ عليها التصويت؛ نعم، لم يكن هناك تصويت مطلقًا. وحين أجاز النتيجة طالبت بأن يذكر إلى جانب ذلك إعادة وتكرار حججى التى تعبر عن موقفى الخاص من قبول المحضر. كما أننى لم أوقع على الشهادة؛ فإننى كممثل لموقف خاص غير مُلزم بذلك؛ وقد أرادوا من خلال رسالة رسمية أن يلزمونى بالتوقيع. وطبيعى أنه من المستحيل أن أكتب اسمى على مستند حقير كهذا - سواء من حيث الشكل أو بالنظر إلى جوهره- يقف تجاه العقيدة على نحو غادر. أما من حيث الجوهر: فنحن أمام كوميديا خالصة حين نمنح مرشح جاهل شهادة دبلوم؛ وأما من حيث الشكل: فالإقرار بالأهلية بناء على غالبية الأصوات فلم

---

(١) سفر الأمثال، الإصحاح ٧، الآية ٢٦.

يحدث أصلا تصويت على طرح لإشكالية. والأمر كله يبدو كأننا نرفع له الراية. فذلك هو الحال الصحيح للواقعة، وهم قادرون على عدم تسجيل رأيي الخاص فى المحضر، ولم أسع فى تحرى الأمر، وكل ما يعارض ما قمت بسرده هنا أو يحيد عما قلته فهو كذب لا حياء فيه؛ تشويه سافر للحقيقة.

١٣ مارس

من يرغب أن يغوص ببصره فى هوة الحقارة، عليه أن يقرأ المرسوم الذى وصل إلى مساء أمس من مقر رئاسة لجنة السيمينار (ألحقته فى الملف الخاص بالسمينار تحت عنوان "لومة لائم")، والمحزن أننى اضطررت أن أقضى اليوم – النهار بأكمله – فى الرد على هذه الرسالة المخزية./

٢٦٦

١٤ مارس

عشاء فى فندق "رومباور *Rombauer*" بمناسبة إحياء ذكرى مرور مائة عام على ميلاد "باول هانفالفى *Paul Hanfalvy*"، وقد تم توجيه الدعوة إلى أصدقاء المرحوم: "م. تشيلينسكى *Mich. Zsilinszky*" و"ك. تشيلى *K. Szily*" و"ج. هاينريش *G. Heinrich*" و"ز. بوتى *Z. Beöthy*" والطبيب الأستاذ الدكتور "هابر *Prof. Haber*" وشخصى المتواضع.

١٥ مارس

حضور شخصى لدى البارون "دويتش *Deutsch*"(١) بشأن المسألة المؤرخة بتاريخ ١٣ مارس.

---

(١) *Baron J. Hatvany* *(1858-1913)* عالم اقتصاد.

٢٦ إبريل

اليوم بعد الظهر حضر لدى السيد البارون "يوزف هاتفانى-دويتش *Josef Hatvany-Deutsch*"، وهو العضو الرئاسى لما يطلق عليها اللجنة الرئيس لسيمينار الحاخامات، وهو على ما يبدو رجل محدود الأفق وغير عليم بالأمور، رغم أنه بالمفهوم الإنسانى "شريف"، وألح على – مع اعترافه وإقراره التام بعدالة وجهة نظرى – فى أن أوقع على شهادة الدبلوم الخاصة بالحاخام شبيجل، حيث إن الشهادة غير مكتملة الأركان ولم تستخرج منذ ثمانية أسابيع إلى الآن لضرورة توقيعى مع الآخرين، ولا غنى عنه فى الديوان. وأضاف بقوله، إن الموضوع يمكن أن يتسبب فى فضيحة على المستوى الخارجى إذا ما عرف العالم شيئا عن مجريات الأحداث التى كانت سببًا فى رفضى التوقيع، وأنه (أى السيد البارون) سوف يعلن استقالته من منصب الرئاسة ما لم أوقع على الشهادة. لم استطع أن أفلت من الضغط الواقع على بشىء آخر سوى أن أذيل شهادة أهلية الحاخامات الموقعة من جميع "الأساتذة الدكاترة" (أفٍ لهؤلاء الأبالسة!!) بالكلمات التالية: "وبحضورى جولدتسيهر"

وهذا يعنى أنهم ارتكبوا سفالتهم فى حضورى. فى الوقت ذاته وعدنى السيد البارون أن يوجه إلى خطابا فى أقرب وقت، سوف يقر لى فيه بأننى أوضحت له بعدم تغيير رأيى بإضافتى لهذا التذييل مطلقا بالنظر إلى الكفاءة. قبل ذلك كان يحادثنى عن التدبير الاحتياطية التى من شانها أن تمنع وقوع مثل هذه الفضيحة مستقبلا وعدم تكرارها إلى الأبد.

٢ مايو

السفر إلى نابولى *Neapel*، وبها أقمت ثلاث ليال حتى اليوم السادس من الشهر، فضلاً عن زيارة بوزيليب *Posylip*، وجزيرة كابرى *Capri* وبومبيجى *Pompeji*.

٦ - ١٧ مايو

كنت فى روما وختمت رحلتى فى أوستيا *Ostia*.

٢٢ مايو

الانتقال إلى أوفينكل *Auwinkel*./

٢٢ يونيو ٢٦٧

اليوم أقام لى أصدقائى حفل يوبيل بمناسبة عيد ميلادى الستين. وصفحات الجرائد فى هذا اليوم، وألبوم العناوين والكتاب التذكارى[١] الذى ألفه تلامبذى - كل ذلك يحكى عما حدث فى هذه المناسبة. وأثناء ساعات الليل قمت بكتابة المقدمة الخاصة بكتاب "محاضرات عن الإسلام".

٢ يوليو

وصل إلى فى الأيام الأخيرة ٦٠٠ رسالة تهنئة، منها ما هو شخصى (كما هو الحال فى رسالة وزير المالية بالدولة الملكية القيصرية)، ومن هيئة التدريس، بل ومن الأساتذة الحاخامات القائمين على التدريس، ومن الجاليات اليهودية. ولا يوجد اسم يحمل "المعهد البودابستى" من بين حلقات درس الحاخامات، ولكن يتألق اسم "يهود المجر" بين الجاليات اليهودية. وهناك غياب حكيم لطائفة الأمراض العصبية. وكلاهما بمثابة شهادة على صدرى جديرة بالثناء والتمجيد حين يمكننى أن أضع عرائض الإفك والكذب الخاصة بهذه "المؤسسة العفيفة الطاهرة" فى الأرشيف الخاص بى!

---

(١) *Keleti tanulmányok* (دراسات شرقية) ، بودابست ١٩١٠.

ولكن ينبغى قراءة ما كتبه لى "فيلهاوزن *Wellhausen*" وعظماء آخرون، فهذا جدير بأن يستغنى به المرء إذ ذاك عن مشاعر الشائنين الظالمين.

١٩ يوليو

عيد ميلادى وفقا للتقويم اليهودى. وقد وقع اختيار "بوزنانسكى *Posnanski*" على هذا اليوم السنوى لوقف أعمال "أ. جايجر *A. Geiger*" على المخطوطات اليهودية.

٢٦ يوليو

عمت السعادة والفرحة دارنا باستلامى اليوم شهادة دبلوم عضوية "الجمعية الملكية للعلوم" بجوتنجن *Göttingen*.

٢٧ أكتوبر

ظهور مجلد "المحاضرات" إلى النور.

١٦ نوفمبر

ألقى اليوم ابنى كارل *Karl* محاضرة على سبيل التجربة لحصوله على وظيفة مدرس خاص بدرجة الدكتوراه فى كلية الفنون، وكانت قمة فى النجاح. ومن خلال هذه المكانة ستزداد دائرة نفوذه وسيحوز مجال عمله على مزيد من التقدير والفخر.

١٠ ديسمبر

تسلمت مساء اليوم شهادة الدبلوم بصفتى عضوًا مراسلا بأكاديمية بروسيا الملكية للعلوم ومقرها برلين./

١٥ ديسمبر

نشرت اليوم الجريدة الرسمية خبر تعييني "مستشارًا بالبلاط الملكي المجري". وتعجبت من صدور هذا المرسوم بأعقاب تكريمى السابق ذكره مباشرة! وفيه ذُكرت به العبارة التالية "اعترافًا بخدماته الجليلة فى مجال التعليم العالى".

١٨ ديسمبر

قام شباب الدارسين بسيمنار الحاخامات بالترحيب والاحتفاء بى بشغاف قلوبهم. وقد اعتبرت أن ما يتلاءم مع ذلك أن أعهد إليهم فى إجابتى عليهم بالقول السديد למוד מאהבה וסוף הכבוד לבוא "علينا أن نعنى بالعلم بالممارسة المثالية له، أما التكريم فهو آخر شيء يمكن أن نضعه فى حسباننا".

٣١ ديسمبر

فى هذه الأثناء انهالت على رسائل التهنئة بما يشبه الحملة – سواء مكتوبة أو منطوقة. فى جلسة كلية الفلسفة المنعقدة بتاريخ ١٦ ديسمبر وجه العميد السيد "بيكيفى *Békefi*"(١) لى خطبة تقريظ وتمجيد، وكان يرافقه الزملاء مهللين، حيث وصف فيها بشكل مؤثر جانبًا من سيرة حياتى، بدءًا من المرحلة الثانوية لدى طائفة السيسترسيان ***Cisterciens*** فى شتولفايسنبورج ***Stuhlweissenburg*** وحتى أكاديمية برلين. كما وجه مدير المدرسة الثانوية على عنوانى رسالة تهنئة مليئة بالمشاعر باسم دار الطائفة. وأعترف بأن هاتين التهنئتين وحدهما من بين مئات التهانى هما اللذان مسا شغاف قلبى.

---

(١) ***R. Békefi*** (*1858-1924*) مؤرخ وأستاذ جامعى فى بودابست.

ولعل عام ١٩١٠ هذا قد لحق بالأعوام السابقة عليه فى التكريمات الكبرى. وهكذا تخطيت عام الستين من عمرى - بتوقير وتبجيل للدوائر العلمية بجميع أنحاء العالم - باستثناء حلقة درس الحاخامات فى بودابست (برئاسة المحترم ريباخ *Rebach*): لعل السبب عدم وجود أكاليل بها! فضلاً عن منحى شهادتي دبلوم لأبرز الأكاديميات، يضافان إلى جميع رسائل التكريم ووسائله السابقة عليهما. كما أن "محاضراتى" نُشرت ونالت إعجاب "تولدكه *Nöldeke*" و"سنوك *Snouk*". وشهد العام حصول ابنى "كارل *Karl*" على درجة الدكتوراه. وختامًا جاء تعيينى فى منصب مستشار بالبلاط الملكى المجرى!

أليس كل ذلك من شأنه أن يجعل هذا العام هو عام المجد والحصاد المثمر؟ وتتوالى الحياة.

عام ١٩١١

١٠ إبريل

ودبلوم آخر هدية بمناسبة عيد القيامة. فقد بعثت لى الأكاديمية الملكية للعلوم بالدنمارك بشهادة دبلوم باعتبارى عضوًا عاملاً.

٢٥ أغسطس - با. توفيسيجهازا *Pa. Tövisegyháza*

قضينا شهور الصيف مرة أخرى بفيلا "فيليش-أوفينكل *Villa Wellisch-Auwinkel*". اتجه عملى - بغض النظر عن كتابة بعض المقالات - إلى

٢٦٩ تأليف مقالة مستفيضة للغاية لصالح موسوعة "هوتسما ***Houstma***" /: تعليم (مسلم) من أجل هستنجس ***Hastings***[١]، قراءة فى خطة ثقافتى الراهنة: الفلسفة اليهودية والإسلامية، للطبعة الثانية الخاصة بالجزء المخصص لذلك[٢]، فضلا عن بعض الأشياء البسيطة ذات الطابع الخفيف، مثل عرض ونقد لها وغير ذلك.

وقد استهل إبننا فى هذه الأثناء قيامه برحلة من جوتنجن ***Göttingen*** إلى بورنهولم ***Bornholm*** وتوقف للإقامة فى كل من ستوكهولم واوبساله ***Upsala*** حيث بعث إلينا منها برسائل شيقة للغاية عن إقامته لدى أصدقائى وزملائه فى التخصص. وكان من بين أول من ذكرهم لنا من "المعجبين بى لدرجة التعبد فى محرابى" على الأخص "سيدربلوم ***Söderblom***" الذى رجاه أن يكون وسيطا فى تنظيم سلسلة من المحاضرات لى بالسويد، حيث إننى دُعيت إليها منذ وقت طويل. ويجب أن أسافر إلى السويد لكى ألقى محاضرات عن تاريخ الديانات – وبطبيعة الحال أيضًا من أجل المال الوفير (بماذا سيعود على ذلك؟). هذا علاوة على أننى تلقيت فى السابق رسالة من أحد أعضاء جمعية البعثة الكنسية الموقرين والمتبحرين فى المعرفة والعلم، وهو السيد المحترم "جاردنر ***W. H. T. Gairdner***"[٣] الذى يتخذ القاهرة مقرًا له منذ أحد عشر عامًا، وقد أعرب فى رسالته عن رغبته الشديدة فى السفر إلى أوفينكل ***Auwinkel*** لكى يقف على نصيحة واستشارة جميع المختصين فيما

---

(١) انظر ***B. Heller*** ، مرجع سابق، تحت رقم ٣٢٧.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٣٣٨.

(٣) انظر كتاب"بادفيك ***C. E. Padwick***: ***Temple Gairdner of Cairo. London 1930*** ص ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣.

يطرحه من أسئلة، ولكي يتلقى على يدي العلوم الإسلامية. وعلى مدار شهر كنت أقوم بتدريس علم الكلام والفلسفة والفقه والتصوف وغير ذلك بمنزلي وأثناء التنزه في كل مساء. وكانت تقيم في جواري عائلة "ريباخ ***Rebach***"؛ ولم يتوقف هذا المسكن عن أن يكون المقر الرئيسي للهمز واللمز واغتيابي. ورغم كل ذلك فقد أصبحت في النصف الأخير من العام عضوا بأكاديميات جوتنجن وبرلين وكوبنهاجن. إن هذا شيء مزرٍ. علاوة على ذلك تجد من يأتي من الشرق والغرب لكي يستقي العلم على يدي. ولهذا بالضبط فإن ذلك شيء حقير. ويكفيني أن جاردنر كان سببًا في تحقيق كثير من السعادة، بل وأعترف بأنني شخصيا قد حققت إفادة من خلال تعاملي معه. وبمناسبة توديعه لنا (أول أمس) وجه لي ولحرمي قصيدة عربية بديعة، فضلاً عن كلمات الشكر المليئة بالمشاعر. كل هذه الأشياء يمكن الاطلاع عليها في أوراقي.

في الوقت ذاته وصل إلي كثير من الخطابات من مصر تناشدني بأن أقوم بعقد حلقة دراسية في الفلسفة بالجامعة الجديدة في القاهرة في الشتاء القادم (مرة أخرى من أجل حب المال والثراء!!). ويأتي على رأس المؤسسين لهذه الجامعة الأمير أحمد فؤاد بصفته رئيسا للجامعة. وقد أمر سكرتيره الخاص في تكليفه لي أن يسخر "كل ما هو ممكن وغير ممكن" من أجل الحصول على موافقتي على المشروع.

وفي نهاية الأمر تسلمت أيضًا خطابا من الأمير شخصيًا، مرسل من باريس بتاريخ ١٦ من هذا الشهر، ويمكن الاطلاع على أصل هذا الخطاب لدي. وقمت – قبل سفري إلى هنا – بكتابة ردي عليه بالرفض. لماذا؟ ولأي سبب؟ ينبغي على كلٍ منا أن يستحضر آثار الضرب بالسياط عليه، وإنني

لأحملها إلى الآن من جراء حياة العبودية التى عايشتها فى الفترة من عام ١٨٧٥ وحتى عام ١٩٠٥، بل لا تزال علاماتها واضحة على جسدى، لكى أدرك أننى أشعر بعدم قدرتى على كـــل الأشيـــاء غير المعتادة، وإننى الآن لا أحب شيئًا آخر سوى أن أشعر بالراحة من عناء عملى اليومى وأن أحتجب./ لقد بلغ هذا العمل اليومى إلى قمة الهرم فى التتويج، كما أن [٢٧٠] محاضراتى تنال أفضل التقدير والتكريم فى كل مكان؛ وآخرها كانت مقالتين من الأستاذ الدكتور "روسكا ***Prof. Ruska***"[(١)] (هايدلبرج) تم نشرهما فى صفحة الأدب بجريدة فرانكفورت، وعددين أيام الآحاد (أغسطس) من "م. فان بيرشم ***M. van Berchem***" نشرا فى عدد يوليو من جريدة "سافان ***Journal des Savants***" حيث تم الحديث عنى بالفعل ووصفى "بالأستاذ الكبير بلا منازع فى العلوم الإسلامية".

١٣ أكتوبر

اليوم تم الإعلان عن وصول الأمير المصرى أحمد فؤاد وزيارته لجامعتنا. وقد كلفنى رئيس الجامعة بأن أكون فى استقباله. وأثناء الحفل والتعريف بكل منا ومرافقته إلى المكتبة ألمح لى الأمير والمرافقين له، وهما الدكتور "فورتى ***Dr. Forti***" – أمين مكتبة جامعة القاهرة، والقنصل "بوندى بك ***Bondy Bey***"، بأنه زيارة الأمير لبودابست لم تكن إلا تقديرًا لشخصى. وأثناء تناول الغداء الذى دعانى إليه فؤاد باشا بالفندق الذى يقيم به، انتقل الحديث إلى موضوع قبول الدعوة المذكورة آنفًا، وذكر قوله: "لم آت إلى هنا

---

(١) ***J. Ruska*** (*1867-1949*) باحث فى العلوم الطبيعية فى الإسلام.

إلا لإقناعك بقبول هذه الدعوة" وأضاف: "فأنت أكبر مستعرب على مستوى العالم.. والواجب يفرض عليك أن تنقل ثقافة وعلم الغرب إلى الشرق".

وفي فيينا قام فخامته برجاء الوزير الكونت "أيرنتال *Graf Aehrenthal*"، بل ووجه هذا الرجاء إلى الملك ذاته، بألا يتوقف كل منهما عن الإلحاح على لتحقيق هذا الغرض، وأبلغهما أننى سأستقبل فى مصر استقبال الفاتحين، وسوف أنال أعلى درجات الرضى والسرور. هكذا دار الكلام على مدار ثلاث ساعات. وأيضًا جرت محاولات تجاهى فى هذا الشأن من جهة عناصر وطنية مقربة من الرجال الثلاثة. وفى أثناء رحلتى بأكملها فى أوربا كان جميع الميخصصين الأكفاء يشيرون إلى شخصى على أننى الأكثر حرفية فى مجال عملى، ووجب على أن أنحنى أمام تعظيم الكون لشخصى.

فى الوقت ذاته قرأت فى الصحيفة الرسمية الصادرة اليوم عن ترقية جملة من أساتذة الجامعات إلى المراتب الأعلى، وشهد هذا الاعتراف والترقية من هم فى المرتبة الأدنى والأقل كفاءة. ولم يكن اسمى مدرجًا فى القائمة. وسأتمم فى هذه السنة عامى الأربعين من فاعليات عملى بالجامعة، بعد مرور أربعة وثلاثين عاما على عملى مدرسا بالجامعة بدون أجر. ينبغى أن أرحل إلى مصر لكى أحضر أكاليل الغار./

[٢٧١] ١٧ أكتوبر

اليوم تلقيت رسالة من رئيس ووزرائنا – الكونت "خوين هيدرفارى *Graf Khuen Héderváry*"[١] حاول فيها فخامته – بالنظر إلى رجاء الأمير فؤاد الذى تلقاه – أن يقرب لى من وجهة نظره، حيث إن تلبية النداء بالسفر

---

(١) *Graf Khuen Héderváry* (*1849-1918*) رئيس وزراء.

إلى مصر محل اهتمام المكانة العلمية المرموقة بالمجر. والخطاب وردى عليه موجودان بين الأوراق الخاصة بهذه المسألة[1].

٢٨ أكتوبر

أخبرنى وزير الدولة السيد "بالوغ ***Balogh***"[2] الذى التقيته مساء اليوم - بشأن مسألة فى تخصصه - أن أمامه خطابًا رسميًا من وزير الخارجية، السيد "أيرنتال ***Graf Aehrenthal***" موجه إلى وزير التعليم بالوزارة ومؤشر عليه للتنفيذ. وفى الخطاب يتوجه "أيرنتال" بالرجاء لوزير التعليم تحديد موعد تلبية اهتمام المملكة لنداء السفر إلى مصر.

هكذا فجأة يرى الإنسان نفسه على هذا القدر من الاهتمامات الكبرى.. لابد وأن كل ذلك قد تم اكتشافه من خلال أمراء مصر.

٣١ ديسمبر

أودع هذا العام بقلب يمتلئ بالحمد والشكر. فقد حمل ختامه لى كل الرفعة والسمو، على غير العادة فى حياتى. كما أن أصدقائى فى أوربا أخذوا العهد على أنفسهم بأن يفاجئونى بإقامة حفل يوبيل لى يوم ٢٠ ديسمبر، وهو اليوم الذى اكتشفوا فيه مرور أربعين عامًا على مسيرة عملى مدرسًا بالجامعة. وحضر لى شخصيًا إلى هنا كل من "سنوك ***Snouck***" و"بيتسولد ***Bezold***" وحرمه، و"ياكوب ***Jacob***" وأحضروا لى "كتابًا تذكاريًا لجولدتسيهر"[3] وكتب مقدمته "نولدكه ***Nöldeke***".

---

(١) تتواجد هذه الأوراق بمكتبة الشرقيات لأكاديمية العلوم المجرية.

(٢) ***E. Balogh*** (*1864-1953*) عالم قانونى وأستاذ جامعي.

(٣) الكتاب التذكارى لجولدتسيهر، شتراسبورج ١٩١١ ***Festschrift Ignaz Goldziher,.Strassburg***

كما أن الأساتذة الذين يقيمون بالمناطق المجاورة لنا هنا لم يتأخروا عن الحضور، وجاءوا بأعداد غفيرة ويتقدمهم رئيس الجامعة، وعميد كلية الفلسفة وعميد كلية اللاهوت، وألقوا على سمعى خطبًا لا تخلو من التملق لشخصى، واحتفلوا بمرور أربعين عامًا على عملى بالجامعة الإقليمية، وهم الذين كانوا سببًا فى أن أكون مدرسا خاصًا فقيرًا على مدار خمسة وثلاثين عاما. وتقدم أحد الأشخاص وقرأ علىّ إلتماسى للأستاذية بدءًا من عام ١٨٧٠، وأكد أننى كنت أعنى ما قلته بالحرف الواحد ووفيت بوعدى الذى تضمنه التماسى.، ولكنهم جاءوا الآن ليحتفلوا بى ويعرفوا منى ما الذى يقوله العالم الكبير عنى. وفى المساء أقيمت مأدبة عشاء. وتناثرت الورود التى أرسلها زملائى الأجانب فى كل مكان بغرفتى وأضفت على المكان بهاءً. كما شارك فى الكتاب التذكارى أفضل زملاء لى من جميع دول العالم.

ماذا يعنى هذا اليوم بالنسبة لى.. لا يمكننى أن أصف إذ ذاك الشعور الذى انتابنى من المفاجأة، حين رأيت الذين يزوروننى فى منزلى "سنوك" و"بيتسولد" وآخرون.. إنه لحدث نادر.. كيف تحقق فى عمرى هذا كل تلك الآيات الربانية التى كنت أتلوها فى سنوات عذابى ومعاناتى السابقة، وكانت تواسينى فى محنى!

أمضيت الأيام الأخيرة من العام فى الرد على خطابات التهنئة والبرقيات الكثيرة. كما أننى وجهت شكرى - وهذا واجب علي - إلى زملائى الذين شاركوا فى الكتاب التذكارى - فردًا فردًا. لقد ساعدنى العامان الأخيران على القيام بتدريب جيد فى الأسلوب التعبيرى.

وأحمد الله على بلوغى عام ١٩١٢ /

عام ١٩١٢

٤ يناير

تلقيت اليوم خطابا رسميا يحيطنى علمًا بأن جمعية الاستشراق الألمانية DMG– بمشاركة "فيلهاوزن **Wellhausen**" قد اختارتنى للعضوية الشرفية.

١٩ فبراير

أرسل لى "هورتن **Horten**"[(١)] كتابًا موسوعيًا "الأنساق الفلسفية... ***Die philosophischen Systeme etc.***" حاملا إهداءه لى بعبارة: "مع خالص الاحترام والامتنان".

١٤ مارس

وصل إلينا اليوم السيد "يوهانس بيدرسن **Johannes Pedersen**"[(٢)] من كوبنهاجن، بعد مراسلات مطولة معى فى الفترة السابقة كى يبقى هنا لفترة طويلة لينهل من علمى.

استعدادات للسفر إلى أثينا، حيث يتعين على موفدًا من الجامعة التوجه إلى هناك لحضور مؤتمر المستشرقين، فضلاً عن تمثيل جامعتى فى احتفال جامعة أثينا بيوبيلها. وسآخذ معى للمؤتمر بحثًا شغل فكرى أثناء الخريف

---

(١) **M. Horten** *(1874-1945)* مستعرب ألمانى وباحث فى تاريخ الفلسفة الإسلامية.

(٢) **J. Pedersen** *(1883- ?)* عالم باللغات السامية، ومؤرخ للأديان، وأستاذ فقه اللغات السامية فى كوبنهاجن.

الأخير، وهو: "علم الكلام عند فخر الدين الرازى *Theologie des Fachr al-din-al-Râzi*"[١] وستبدأ رحلتى يوم ٢٩ من هذا الشهر عبر تريست *Triest*، ومنها سأبحر إلى أثينا.

١٦ مارس

تلقيت من بيترسبورج *Petersburg* (مكتبة بروكهاوس & إفرون *Brockhaus & Efron*) الترجمة التى قامت بنشرها "لمحاضراتى"[٢].

٢٤ نوفمبر

أقيم اليوم حفل عشاء خاص للاحتفال بعيد ميلاد "إويجن راكوزى *Eugen Rákosi*"[٣] السبعين. وقد حضر هذه الاحتفالية كل من الوزير "تسيشى *Zichy*"[٤] وكل من سكرتيرى الدولة ورئيس مجلس النواب "شتيفان تيتشا *Stephan Tisza*"[٥] وآخرون من مستشارى الدولة وأصحاب الفخامة. وبعد تناولنا العشاء جلس إلى جوارى سكرتير الدولة السيد "أويجن بالوغ *Eugen Balogh*" وأخبرنى بأن الحاخام "فريدمان[٦] *Friedmann*" فى فاجيلى *Vágujhely* تقدم بتقرير إلى الوزير يعترض فيه على أن أعداء الديانة مثل

---

(١) انظر *B. Heller*، مرجع سابق، تحت رقم ٣٢٩.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٣٢٥.

(٣) *E. Rákosi* (١٨٤٢ – ١٩٢٩) كاتب وصحافى.

(٤) *Graf J. Zichy* (١٨٦٨ – ١٩٤٤) وزير ثقافة.

(٥) *Graf S. Tisza* (١٨٦١ – ١٨١٩) رئيس الوزراء فيما بعد.

(٦) *I. Friedmann* (١٨٦٠ – ؟) حاخام وكاتب فى فاجيلى *Vágujhely*.

مؤلف كتاب "أسطورة عند العبرانيين *Mythos bei den Hebräern*" ينتمى لهيئة تدريس حلقة الدرس الخاصة بالحاخامات. وقد سُلمت الشكوى إلى السيد البارون "جوزيف هاتفانى *Josef Hatvany*" وهو من المفترض أن يكون حكمًا بشأن موقف الديانة الخاص بإجناس جولدتسيهر.

وهذا يعنى أنه بعد مرور ٣٦ عاما (١٨٧٦) وجدت أخيرًا "أسطورتى" أحد القراء اليهود؛ وهذا مكسب. والعجيب إن يصبح السيد "جوزيف" الألمانى حكمًا للأديان! وهذا شيء عظيم للغاية!/

٣١ ديسمبر. ليلاً ٢٧٣

فى اللحظات الأخيرة من ختام عام وقدوم عام آخر جديد، لم أسجل – كما أرى – على صفحات تلك الذكريات الجديرة بالتدوين إلا النزر القليل؛ ولكن حدثت هناك بعض الأمور لا يليق تركها دون تسجيل، لا سيما ما يتعلق بالمشاهد الدالة على الحفاوة والتكريم فى استقبال"محاضراتى" التى بات أثرها واضحًا فى كل مكان فى الوقت الراهن. فهناك أحاديث بشكل يفوق الوصف اعترافًا بقدرها فى كل اللغات؛ وصار كل مكان يقر بأننى معلم لجميع علماء الإسلاميات فى عصرنا (!) وأن أبحاثى دشنت لحقبة جديدة لهذا العلم. فالجميع يقرأ ما يسجله "بيكر *Becker*" فى أرشيف علم الأديان بالمدونة *3/4* عن أعمالى فى العامين الأخيرين. ولكن ألا يُعد كل ذلك من جانب شعور الصداقة نوعا من المبالغة المملاة؟ إننى أرى ذلك يقينًا.

ثم جاء وقت قيامنا برحلتين: السفر إلى أثينا فى شهر إبريل للاحتفال بيوبيل الجامعة ومؤتمر المستشرقين، حيث تعين على أن أكون ممثلاً عن جامعتنا الإقليمية، وهى مهمة قمت بتنفيذها بخطاب ألقيته باللغة الفرنسية فى جلسة الاحتفالية لليوبيل[1]. وكان هذا الخطاب سببًا فى طلب ملك الإغريق التحدث معى، حيث استغرق استقباله لى نحو ربع الساعة. وقد توقفنا أثناء الرحلة من تريست **Triest** إلى باريس فى كورفو **Korfu**، إذ إنها تُعد من أروع معايشاتنا؛ واستمتعنا بالفعل أثناء تلك الرحلة البحرية الهادئة بصحبة بعض الأصدقاء من ألمانيا وفرنسا. وأخيرًا جاد على الدهر بالصعود إلى الأكروبول ومشاهدة آثار العالم القديم للحضارة الهيلينية بعينىَ! حدث كل ذلك بصحبة كل من "سنوك **Snouk**" و"بيتسولد **Bezold**" و"بيكر **Becker**" و"ماسنيو **Massignon**"[2] و"لامينس اليسوعى **Lammens**" و"رونزفال اليسوعى **Ronzevalle**" و"شور **Schorr**"[3] و"زكى باشا **Zaki Pascha**"[4] و"بوده **Budde**" وأصدقاء آخرين من الشباب الأعزاء، والرسامين الذين قاموا بتنظيم الرحلة بأكملها وكانوا عونًا لنا منذ بدايتها وحتى نهايتها؛ تلك الرحلة الساحرة التى بدأت بزيارة ومشاهدة منطقة كهوف جبال النبلاء البديعة **Die Adelsberger Grotten**، وذلك لأن الرحلة لم تنته عند أثينا فقط، بل انطلقنا منها للقيام

---

(١) انظر كتاب "شيبر": فى ذكرى جولدتسيهر *A. Scheiber, Ignace Goldziher Memorial, Volume I, Budapest 1948, p. 424. No. 636*.

(٢) *L. Massignon* (١٨٨٣ – ١٩٦٢) مستشرق، وأستاذ بالجامعة الفرنسية *Collége de France* ومدرسة الدراسات العليا *École des Hautes Études*

(٣) *M. Schorr* (١٨٧٤ – ١٩٤٤) حاخام فى وارسو وأستاذ اللغات السامية بجامعة وارسو.

(٤) أحمد زكى باشا الذى صار وزيرًا للمعارف فيما بعد.

برحلة بحرية من ميناء بيريه ***Piraeus*** فى اتجاه الدردنيل. وقد أتيحت لى الفرصة الآن لأن أزور - مرة ثانية - اسطمبول التى لم أراها منذ عام ١٨٧٣، حيث قمنا بزيارة للمساجد، ثم واصلنا رحلتنا البحرية مرورًا بالقرن الذهبى وحتى كاواك وإيوب ***Kawak und Ejjub***. إنها ذكرى فريدة من نوعها سأعيش عليها ما تبقى لى من حياتى فى هذه الدنيا!

وبعد عودتى من هذه الرحلة مكثت فى أوفينكل ***Auwinkel*** عدة شهور حيث انشغلت فيها بدراسات تفسير القرآن، على الأخص كتاب الكشاف ***Kaššaf*** وابن عربى ***Ibn'Arabî*** اللذين قمت بدراستهما جيدًا وتقييمهما. وقد كان هذان العملان بمثابة قوام درسى للدكتور "بيدرسين ***Dr. Pedersen***" العالم الشاب الدنماركى الذى قضى الصيف كله لتحصيل العلم على يدي.

وفي يوم ١٥ أغسطس قمنا برحلة إلى هولندا، عبر مدينة بون ***Bonn***، وقضينا مع عائلة "هورتن ***Horten***" يومين بديعين على نهر الراين، وقمنا برحلات إلى منطقة الجبال السبعة. وبعد ذلك قضينا ثلاثة أسابيع فى بلدة حمامات كاتويك ***Seebad Katwijk***، ومنها توجهنا فى فترة ما قبل الظهر إلى منطقة رينزبرج ***Rhynsberg*** لنحج إلى بيت سبينوزا ***Spinoza*** وهو أحد الأماكن الأكثر تقديسًا على الأرض.

[٢٧٤] لقد قمنا برحلتنا إلى هولندا بغرض المشاركة فى/ المؤتمر الرابع لتاريخ الأديان فى الفترة من (٩ - ١٥ سبتمبر). وقد وجهت الدعوة لي و"لبيتسولد ***Bezold***" معًا لأن نحل ضيفين على منزل "سنوك ***Snouk***". وقد كان ذلك بمناسبة احتفالنا بمرور ثلاثين عامًا على علاقة الصداقة التى بيننا،

وهذا دليل المحبة على هذه الروح النبيلة. ستبقى هذه الأيام البديعة التى قضيناها فى هذا المنزل والجو العام الذى أحاط بنا فى كرم الضيافة، عالقة فى ذاكرتى إلى الأبد. ومن الأشياء التى لن أنساها أحاديث التبحر فى العلم التى دارت فيما بيننا على الموائد المستديرة، فقد وجدت فيها ما يثير فكرى ويحفزه على الإنتاج خلال هذه الأسابيع. كان لقاؤنا مخصصا للحديث عن العالم الإسلامى. ولكن هل لى أن أتطرق للحديث عن أعلى التكريم الذى حظيت به وأحاطنى من كل جانب. وهل يمكن أن أحظى بهذا كله دون أن أشعر بالغرور دون تواضع ولو بداخلى فقط ؟ لقد وقع الاختيار على لأكون المتحدث العام عن المبعوثين من إحدى وخمسين جامعة وهيئة كبار العلماء الذين اجتمعوا هنا؛ وألقيت خطبة ترحيب تكرم على بها الرئيس "شانتبيه دى لا سوسى ***Chantepié de la Saussay***" ! لقد صار بدهيا أن أكون دائما رئيسًا لشعبة العلوم الإسلامية، كما حدث فى أثينا ومثلما كان فى المناسبات السابقة، ولأنهم سبق أن أطلقوا على لقب "المُعلم الشيخ"، تحتم علىَّ الآن أن أتقلد هذا الدور.

تخلل فترة إقامة المؤتمر قيامنا برحلات إلى مدينة لاهاى ***Der Haag*** ومدينة روتردام ***Rotterdam*** مع جولة حول الميناء. وغادرت المدينة حاملا معى أجمل المشاعر، تلك المدينة التى تعلمت بها الكثير فى عام ١٨٧١ وكانت سببًا فى وضع لبنات فيض من علم منح حياتى فيما بعد مضمونًا وجعلت لها معنى، واستطعت به أن أتخطى الأزمات النفسية التى مررت بها فى الأعوام من ١٨٧٦ – ١٨٩٥. ولكن لا تزال المواقع التى شغلها كل من "دى خويه ***Goeje*** " و"كونين ***Kuenen***" و"تيله ***Tiele***"[1] وآخرون شاغرة منذ

---

(١) ***C.P. Thiele*** (١٨٣٠ – ١٩٠٢) عالم لاهوت وأستاذ فى ليدن ***Leiden***.

أن وافتهم المنية. كما قمنا – بصحبة "بيتسولد *Bezold*" – قبل توديع هذه البلدة المباركة بزيارة أمستردام لمدة يومين، وهو ما دعانا إلى أن نقوم أيضًا برحلة لا ينبغي تركها إلى مدينة زاندام *Zaandam* (حيث ورشة بيتر الأكبر *Peter der Grosse*).

في يوم ١٧ من سبتمبر قمنا بتوديع الأصدقاء الأعزاء وسافرنا بالقطار حتى بودابست. وفي اليوم الحادي والعشرين توقفت في تسوجليجت *Zugliget* للصلاة مع جمع من الناس – بصفتي إمامًا لعيد الغفران "*Ne•ilah*"، وقد حظيت بإعجاب الناس هنا بذات القدر الذي نلته في ليدن *Leiden* في اليوم التاسع من الشهر ذاته بعد خطابي الذي ألقيته بالمؤتمر باللغة الفرنسية للترحيب بالحضور!

هناك أيضًا بعض الملحوظات عن عام ١٩١٢ ينبغي تدوينها. في شهر يوليو تلقيت خطابًا مطولاً من الأمير أحمد فؤاد يجدد فيه دعوته لي للحضور إلى القاهرة. كما وصلتني رسالة تهديد مجهولة التوقيع، وهي من جانب عصابة "ريباخ *Rebach*". لم ترغب زوجتي أن أرى هذه الرسالة، ولم أعلم شيئًا عن مضمونها، ولكن من خلال ردودها المفاجئة المبتورة استنتجت الكثير بشأن نيتهم فيما يتعلق بعملي بالجامعة. فقد عقدت هذه العصابة العزم على هدم عملي بالجامعة. من مجهول.. كيف ذلك! فليحيا ريباخ *Rebach*!

هكذا سأستقبل عام ١٩١٣ وعلى صدري كل ألوان التكريم من الأخيار.. وأما الأشرار فسوف يزينون صدري بكل ألوان الخزي والعار!

وسيكون ذلك باسم الرب ومن أجل تعظيمه وتوقيره!/

[٢٧٥] عام ١٩١٣

٦ مارس

لا أتصور مطلقًا أن هناك عملا يمت إلى شجاعة الأبطال فى شىء على صفحات تلك الذكريات فى أن أحتفظ رغم ما حدث بمنصبى مندوبًا عن الأكاديمية المحلية فى تمثيلها لمنظمة الأكاديميات التى سوف تنعقد فى إبريل فى سانت بيترسبورج *St. Petersburg*، وذلك مرجعه إلى أننى لا أدخل العاصمة الروسية إلا بتصريح استثنائى، حيث إن اليهود عادة لا يسمح لهم بدخول المملكة المسيحية. وكان من البدهى بالنسبة لى ألا أقبل امتيازًا لا يملكه بنو عقيدتى، وبدون أى تدخل من جانبى إذ بالصحف فى بلاد عديدة (بل فى روسيا ذاتها) تتناول هذا الموضوع بشدة، كما تحتفل بالصحف اليهودية تحتفل بى من جراء هذا الفعل المروع الرخيص، وكأننى أحد أبطال العقيدة. ولا جدال فى أننى قد تحملت ما هو أشد من ذلك بسبب عقيدتى... وليت ذلك قد جاء من آخرين، بل من بنى عقيدتى! وهناك ورقة مرفقة تعرض توجه هذا الحدث المبالغ فى التقدير(١).

٢٧ مارس

فى يوم ١٣ من هذا الشهر قمنا على مضض برحلة، بمناسبة عيد القيامة إلى دالاماتيا *Dalmatien*، وقضينا يومين فى سبالاتو *Spalato* فى ظل الإعجاب بالآثار الديوكلتيانوس *Die Diokletianischen Denkmäler*، ثم قضينا أسبوعًا فى راجوزا *Ragusa*، قمت فيه بكتابة فصل عن تفسير القرآن والحديث. وقد استمتعنا بمناخ رائع للغاية، سواء بحرًا أو برًا.

---

(١) انظر *Hazefirah 28 II. 1913; 12 III. 1913; Die Welt 1913, pp. 337-338. Egyenlöség, 9. III. 1913*

٩ إبريل

لم تتوقف مراسلات الإعجاب والتأييد من بلدان مختلفة من قبل بنى عقيدتى المثقفين، بخصوص موقفى من مسألة بيترسبورج؛ وكان من بينها رسالة من السيدة "سيرف *Serf*" من باريس وآخرين (انظر المراسلات).

١١ إبريل

عبد البهاء عندنا. قام النبى بزيارتى فى منزلى، وكان معه سكرتيرة الخاص. تحدثنا سويًا عن أمور تخص العقيدة البهائية. لقد جاء من شتوتجارت *Stuttgart* حيث قام بزيارة جالية ألمانية تؤمن بعقيدة بهاء (يبلغ عدد أفرادها نحو ١١٠ أفراد) منهم الشخص المرافق له، وهو "ف. هريجل *W. Herrigel*". وفى غرفتى أحضرت له مفاجأة ليراها – جزءا من رسائل والده الروحى لم يعرفه من قبل. فقد كنت حاضرًا حينما كان يلقى محاضراته هنا. /

١٢ إبريل

[٢٧٦]

تلقيت منذ قليل رسالة من الكونت "بوديسين *Graf Baudissin*"[١]، رئيس جامعة برلين الحالى، تحمل ذكرياته مع "كونراد أوريللى *Conrad v. Orelli*" الأستاذ الأورثودكسى ببازل *Basel* الذى وافته المنية منذ فترة وجيزة، وكان فى صدر حياته زميلى فى الدراسة بمدينة لايبسيج *Leipzig*. وفى الرسالة يتحدث عن "الشاب المجرى النشط فى ذلك الوقت إيجناس جولدتسيهر" الذى كان إذ ذاك بمثابة "نجم" محاضرات فلايشر. كان ذلك فى عام ١٨٧١.

---

(١) *Graf W.W. Baudissin* (١٨٤٧ – ١٩٢٦) مؤرخ للأديان وعالم للأناجيل، وأستاذ بجامعة برلين.

١٧ إبريل

قام عبد البهاء بزيارتى اليوم قبل الظهر لتوديعى، حيث أعرب بكلمات مليئة بالحيوية والحماسة عن مدى سعادته بلقائى وقوله: "لا أنساكم أبدا". كما ألح عند توجيه الدعوة إلى بأن أكون ضيفه فى فلسطين.

١٢ مايو

فى اليوم الثامن من الشهر كنا فى مقر إقامتنا الصيفية فى تسوجليجت *Zugliget*. وفى اليوم الحادى عشر تسلمت رسالة مؤرخة بتاريخ ٣ من هذا الشهرعن طريق القنصل الإسبانى، كانت قد وصلته من حكومته، وهى تخص الأستاذ بمدريد "ميجال أسين بلاسيوس *Miguel Asin Placios* [١] الذى بعث بها إلى ملتمسًا إياى ما يلى:

١) تقديم توصية بشأن تكوين هيئة تدريس ملائمة لقسم الحاخامات الذى يؤسسون له.

٢) أن أقوم بتكريس هذا الفرع الجديد فى الدراسة بإلقاء سلسلة من المحاضرات عن الأدب اليهودى بإسبانيا؛ فذلك من شأنه أن يمنح هذا التجديد والإحياء "رونقا وبهاء *sollenitá*" (انظر المراسلات الخاصة بـــ: إسبانيا)

١٣ مايو

أعتقد أن "يهودا *Jahuda*" هو المرشح السفارديمى الذى أرسلته العناية الإلهية لهذه المهمة، ولهذا توجهت إليه بالسؤال عن مدى قبوله لها.

---

(١) *M. A. Placios* (١٨٧١ – ١٩٤٤) باحث الأفكار الدينية فى الإسلام، وأستاذ بمدريد.

إن الجريمة التى حدثت عام ١٤٩٢ ينبغى أن يُكفّر عنها فى عام ١٩١٤ على طريق العلم.

١٤ مايو

تكررت الدعوة لأن أتوجه إلى أوبساله ***Upsala*** بإلحاح من جهات متعددة، وقد أعربت عن موافقتى بأن أقوم بإلقاء سلسلة من المحاضرات بجامعة أوبساله – وعددها ثمان – تلبية لدعوة مؤسسة "أولاوس بيترى ***Olaus-Petri-Stiftung***"، وذلك فى النصف الثانى من شهر سبتمبر. من هنا شرعت فى العمل بهمة ونشاط فى تحضير المحاضرات الثمانية. أما موضوعها، فهو: "تعدد المذاهب فى تفسير القرآن ***Die verschiedenen Richtungen in der Korānexegese***". ولكن كيف لاى أن أحقق ذلك مع كثير من الدعوات التى توجه إلىّ: فى السنوات الخمس الأخيرة تلقيت دعوات من: أمريكا، وأوبساله، والقاهرة، ورابطة أورانيا بفيينا، ومدريد. ولكن كل ذلك ليس له أى جانب من الهول والترويع النفسى مقارنة بمقاطعة عصابة ريباخ هنا!/

٢٧٧

١٦ مايو

خطاب إلى مدريد أوصى فيه بأن المرشح الوحيد الذى يوفى بأغراضهم فى الدراسة هو "يهودا ***Jahuda***".

٢٢ يونيو

أخيرًا عادت أيام السعادة والفرح! فى مساء يوم ٢٣ من هذا الشهر، فى حوالى الساعة التاسعة احتفلنا هنا بحديقة دار "فيليش ***Wellisch***" بخطوبة

الآنسة الفاتنة الجذابة "ماريسكا فرويدنبرج *Mariska Freudenberg*"[١] على ابنى، وكنت سعيدا بموافقتها. لقد أصبحت الآن هذه الفتاة الفاتنة التى تتحلى بكل المزايا زوجة لابنى. وإننى على يقين بأنه من خلال هذا الرباط مع هذه الكينونة المثالية وعائلتها التى تعتبر من أنبل عائلات مدينتنا، ستهل على نفوسنا حقبة من السعادة الأسرية. (כי מיהוה היה הדבר) إن روحى على قناعة تامة بهذه الفتاة التى صارت من الآن ابنتى، وإنها ستكون سببًا فى أن ننسى كل أتراحنا التى واجهتنا فى الحياة.

٢٧ يونيو

كتبت إلى "ماسنيو *Massignon*" أبلغه بأن ابنتى "ماريسكا مثقفة وتتحلى بكل فضائل الأخلاق الحميدة"، بل إنها تستحق أكثر من ذلك فى وصفى لها: فهى حسنة وطيبة القلب وبعيدة كل البعد عن كل ما هو سيئ فى الإنسان، وتميل إلى كل معانى النبل والأصالة والتأصل. وهى الآن كل شىء فى حياتنا. وأخيرًا جاد علينا الدهر بما يغنينا عن كل ما هو مؤلم، وينسينا كل من فارقناه بألم فى حياتنا: أقاربنا. إن وجود مثلها معنا هو كل ما تمنيته بحق منذ عشرات السنين.

٤ يوليو

من خلال وجود ماريسكا معنا شعرت بعودة الروح لي، وانبعثت الحيوية فى نفسى. تلقيت دعوة من جمعية "رايدبرج *Rydberg*" باستوكهولم،

---

(١) (١٨٩٠ – ١٩١٨) عالمة مصريات.

يطلبون فيها أن ألقى محاضرة لديهم أيضًا أثناء فترة وجودى فى أوبساله، فى يوم ٢١ سبتمبر. وحتى هذا الحين لم تواتنى الشجاعة للرد بالموافقة؛ فقد ارتفع سقف عدد المحاضرات التى سأقوم بإلقائها فى أوبساله إلى تسع محاضرات كبرى، وهذا يعنى أننى أمام عمل ضخم، وهو ما جعلنى أشعر بالإجهاد. على أن قدرتى الذهنية على العمل قد تنامت منذ أن جاد الزمان على بأن أتطلع يوميًا إلى وجه ماريسكا وعينيها اللذين يمنحان كل معانى الراحة النفسية. ومنذ يوم الخطوبة أعمل على كتابة دراسة ليوم "رايدبرج"، عنوانها: "المخالفة والإجماع فى الإسلام ***Dissens und Konsens im Islam***"، وانتهيت منها صباح اليوم. لقد صارت زوجة ابنى "كارل ***Karl***" بالفعل بمثابة إلهة الوحى بالنسبة لى، أو هى تقوم على شئونى كأنها "حورية". فكم من أناس يمكن أن يكون لديهم زوجات لأبنائهم يفتخرون بهن فى مثل هذه الفضائل الأخلاقية التى تملكها ماريسكا؟ وقد سمحت لنفسى اليوم أن أقول لها إننى كنت أختلس النظر بالتطلع لعينيها الجذابتين عند كل كلمة أكتبها بشأن البحث السابق "المخالفة والإجماع"، وذلك لأن روحها كانت تحوم أمامى دائما حين أمسك بالريشة للكتابة. وكان ابنى يطير من الفرح والسعادة لسماعه ذلك منى. وأعتقد أنه لا يوجد شخص آخر مثله يستحق هذه النعمة التى منحته إياها العناية الإلهية فى أن تكون رفيقة له فى حياته. اللهم بارك فيهما وأفض عليهما بالسعادة، وأدم حبهما فيما بينهما!/

٩ يوليو ٢٧٨

بالأمس توجه الأرشيدوق "جوزيف ***Josef***" إلىّ بالرجاء فى رسالة تسلمتها باليد بأن أكتب له باللغة العربية خطابًا يرغب أن يبعث به إلى "سيدى

إبراهيم *Sidi Brahim*"، وهو أحد المرابطين بواحة كناسة *Kanaśa* (بالمغرب).
وقد وفيت اليوم بهذا الرجاء، وبعثت بالخطاب العربى إلى الأرشيدوق.

١٥ يوليو

تلقيت من عبد البهاء رسالة غاية فى المجاملة، بعث بها من بورسعيد، حيث أعرب فيها عن شوقه لرؤيتى؛ كما أرسل لى فى الوقت ذاته سجادة فارسية تذكارًا لتعارفنا.

تأتى ماريسكا - الجوهر الفريد - كل مساء إلينا فى تسوجليجت *Zugliget*. وهى تبدو كأنها نجمة السماء المتلألئة. إنها أسعد أوقات حياتى. إنها فتاة تمتلئ روحها بالنفائس، وهى كنز للفضائل المتواضعة. وغاية سعادتنا أن نطلق عليها "ابنتنا". أسألك يا ربى يا كريم أن تحرس هذا الرباط بجنودك الأخيار!

٢٠ يوليو - ليلاً

إنه أسعد أيام حياتى حتى الآن. بعد أمسية حفل زفاف رقيقة المشاعر، أقيمت اليوم مراسم الزواج، أتممنا أولاً مراسم الزواج المدني، ثم ذهبنا بعدها إلى منزل عائلة فرويدنبرج، حيث أتممنا المراسم الدينية لزواج ابننا على ماريسكا. وقد ألقى خطبة المراسم الدينية الصديق كوون *Kohn* فى أسلوب بليغ ومؤثر فى نفوس جميع الحاضرين؛ ثم بارك الزوجين بخطبة خالصة من أعماق قلبه، حتى اغرورقت عيناه بالدموع. كانت ماريسكا تشبه إحدى الإلهات تشع جمالاً وفتنة لا يملكهما غيرها من الكائنات. لم أر مثل هذه الوجاهة وقد تجسدت فى عُرس على هذا النحو المثير. فقد نالت إعجاب

وإجلال جميع الحضور. بعد ذلك أقيمت وليمة العائلة، وفى الختام ابتهلت بالدعاء لهما على المائدة. وسرعان ما ظهر الزوجان وهما يرتديان ملابس السفر، وقاما بتوديعنا ليقوما برحلة الزفاف إلى تورنجن ***Thüringen*** عبر فيينا ***Wien***.

٢١ يوليو

أتوجه فى صلاتى اليومية فى الصباح بالدعاء لأولادى – العروسين المسافرين. وفى مساء اليوم نفسه قامت عائلة فرويدنبرج بزيارتنا، كما فعلت فى اليوم الرابع لأسبوع الخطوبة. سيصبح يوم الإثنين هذا عيدا، إذ إن فيه (يوم ٢٣ يونيو) أعربت الفتاة الجميلة عن موافقتها على طلب ابننا "كارل ***Karl***" لتكون رفيقة حياته.

١٠ أغسطس

حقيقة الأمر إننى أعتبر أهم مهمة أقوم بها الآن هى كتابة رسالتى اليومية إلى العروسين المسافرين فى تورنجن ***Thüringen*** واستقبال ما يكتبانه لنا فى رسائلهما اليومية إلينا./ واليوم تسلمنا الخطاب رقم ٢١. كيف لى أن [٢٧٩] أصف ما تضمنته هذه الرسائل من ثراء فى الفكر، وهمة فى الروح، وعمق فى الوجدان.. خلاصة القول إنها تعبر عن ثقافة أصيلة لشخصية ابنتنا ماريسكا الجميلة التى لا مثيل لها! بل إننى شخصيًا أشعر بعودة الشباب إلى بعد الزواج السعيد لابنى، وصغر عمرى بما لا يقل عن عشرين عامًا. فضلاً عن ذلك – ولعل هذا الأمر يكون موضع أمانة فى هذه الصفحات– فإن هذه

المرحلة فى حياتى الآن تكشف لها سرًا من الأسرار – كلمة السر. ماذا أراد الرب لى من وراء فعل يبدو فى ظاهره بصورة حمقاء، حينما خضعت لكل ألوان الضغط والخزى وما ألمَ بي من حزن عميق على مدار عشرات السنين، وما عانيته من أوقات بائسة طويلة بعثت على البكاء، وصمدت بكل قوة وعناد أمام الأنواء حتى انفتحت لى كل أبواب النجاة بألمانيا وإنجلترا ونلت كل ألوان التكريم؟

لقد عرضت لى على مدار سنوات طويلة واجبات، كان من الممكن أيضًا تحقيقها دون وجودى الشخصى، إذ إنها مجرد أسباب مباشرة. ولكننى الآن تكشفت لى العلة من وراء ما أرادته العناية الإلهية. أراد الرب ألا أرحل إلى مكان آخر، وأن أرضى بما يقدره لى من البقاء هنا، كل ذلك كى أظفر فى النهاية هنا بماريسكا. ولأجل ذلك فقط "تحتم" على أن أبقى هنا. وحقيقة الأمر إن كل ما عانيته من ألم وعذاب وسوء حظ، كان الثمن الذى توجب على أن أدفعه من أجل الحصول على هذا المكسب فى نهاية المشوار، وهو يستحق هذا الثمن.

١٣ أغسطس

كتبت خطابًا باللغة العربية إلى "عباس أفندى ***Abbās Efendi***" ردا على رسالته إلى.

٢٠ أغسطس

جاء لزيارتنا الدكتور "شيختر ***Dr. Schechter***" من نيويورك ومكث لتناول طعام العشاء معنا. كم يحتوى هذا الصندوق المتسخ من العلم وبحوره!

عندما يقابل المرء صدفة أحدًا له روح نقية غير عفنة، فلابد أن يشمئز من المصطلحات عديدة اللغات. إن التلموديين ينتقدون بقسوة عالمًا دينيًا لم يلطخ ثوبه أى بقع، مثل من يكره اسم الرب. والآن تجد أن أكبر عالم يهودى فى عصرنا يبدو فى هيئة ملطخة كهذه، ويتحدث بطريقة لا تليق فى خطاب مهمل كهذا بأى لغة يستخدمها.

٢٨ أغسطس - توفيسجيهاز *Tövisegyház*

وصلنا إلى هنا يوم ٢٥ من هذا الشهر كى نقيم يوم ٢٧ من الشهر حفلا تذكاريا، سويًا مع شقيقات وأشقاء زوجتى بالمعبد اليهودى الصغير بسيمندر *Simánder*. اكتسب تجمع العائلة هذا العام أهمية خاصة، نظرًا لأن ابنى وزوجته ماريسكا وصلا أيضًا إلى هذا المعبد لكى يختتما رحلة زواجهما الجميلة بتورنجن وبرلين *Thüringen-Berlin* بمشاركتهما حفل البر والإحسان الذى نقيمه. فبعد فراق دام خمسة أسابيع/ الآن يسطع النور عندنا [٢٨٠] مرة أخرى بعودة ابنتنا ماريسكا وهى فى قمة الفتنة والجمال - جسدًا وروحًا، أرى كمالا بلا أى نقيصة. وقد عرفت قدرها بحق خلال تبادل الخطابات معها لمدة خمسة أسابيع، فإننى أصبحت أقدر فى أعماقى الآن علو قدرها وسموها، إذ يغمرها الجلال والعظمة الهادئة تتضح على هيئتها.

بالأمس - بمناسبة عيد ميلاد "جوته *Goethe*" - استمتعنا بجمال قراءتها علينا من الجزء الثانى لفاوست، ولا يمكن مقارنة كمالها المتواضع وإيقاعها الدقيق بشىء آخر، إذ كانت عيناها - أثناء القراءة - تفصحان فى جدية عن هذا الكمال المتواضع الذى لا يحدوه شىء. إنها جوهر فريد،

حاضره يوقظ الشعور بالسعادة على كل من يدخل دائرتها. كما أنها تحتل أعلى معيار فى نفسي التى يسكن فيها هذا الجوهر النفيس.

فى يوم ٣٠ من الشهر غادرنا بوتسا *Puszta* لكى نستعد عقب عودتنا للمنزل لرحلة السويد.

قمنا بهذه الرحلة يوم العاشر من سبتمبر، وعدنا يوم السابع من أكتوبر. وأحداث هذه الأيام الرائعة فى كوبنهاجن **Kopenhagen** وأوبساله **Upsala** واستوكهولم **Stockholm**، ونجاح محاضراتى التى ألقيتها فى أوبساله واستوكهولم، ثم محاضرتى فى المعبد اليهودى باستوكهولم فى اليوم الثانى من رأس السنة الموافق ٣ أكتوبر[١] - كل ذلك قمت بقصه على ابنى فى خطاباتى اليومية إليهما، بالإضافة إلى ما نشرته بعض صحف استوكهولم التى جمعتها على وجه الخصوص فى ملف خاص.

٩ أكتوبر

بداية محاضرات الجامعة. بلغنى خبر من عميد كلية الحقوق بأن الوزارة تكلفنى بالتدريس بكلية الحقوق لمادة الفقه الإسلامى. وقد قمت بتدريسها فى الفصل الدراسى الثانى من العام.

١٠ أكتوبر

بالأمس - فى يوم الصفح الجميل - قمت مرة أخرى - بإحدى غرف الصلاة فى تسوجليت *Zugliget* - بدور الإمام فى صلاة عيد الغفران "*Neila*".

---

(١) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٣٣٩.

٢٣ أكتوبر

احتفلنا اليوم بمرور أربعة شهور على الخطوبة بالجلوس حول مائدة عائلة فرويدنبرج. إننى أتذكر ذلك المساء يوم ٢٣ يونيو، وكم أحمد ربى الذى وهب لنا جميلتنا ماريسكا!

١١ نوفمبر

زارنى بالأمس العالم المصرى منصور فهمى ***Mansur Fahmy*** الذى أبلَغنى تحيات الأمير أحمد فؤاد، وتحيات سنوك ***Snouk*** الذى قضى لديه عدة شهـــور، ثم أعطانى موضوع رسالته بپارس، وعنوانها: "مكانة المرأة.... ***La condition de la femme etc.*** "/. وكان يرافقه الطبيب العراقى "بهجت مسجه ***Bahgat Mesajjah***". واليوم تطلعت إلى كل منهما عندما حضرا حضرا للاستماع لدرسى عن البخارى. وعند مرافقته لى إلى منزلى أعرب فهمى عن امتنانه وإطرائه، معبرا عن أن معرفته بشخصى تُعد بمثابة الإشراق لرحلته الكبرى بأوربا. [٢٨١]

اقتنعت اليوم أيضًا بجدية تكليفى بالتدريس بكلية الحقوق. فقد طلب العميد منى رسميًا نص الإعلان عن جدول محاضراتى للفصل الدراسى الثانى.

١٢ نوفمبر

هذا يوم له وضع خاص، فهو يوم الارتياح والرضى التام، ولكن عليكم أن تبحثوا عن السبب: فقد زارنى لأول مرة الحبر الأكبر "هيفيسى ***Hevesi S. J.***"(١) بعد ثمانية أعوام من وجوده بيننا. جاء ليطلب منى أن ألقى محاضرة فى "الرابطة

---

(١) *S. J.* أى اليسوعى.

القومية الثقافية الإسرائيلية بالمجر *OMIKE*" التى يرأسها – وبشكل دائم. قال لى إنه علم من الصحف أننى ألقيت محاضرة واسعة الشهرة باستوكهولم، وإنه بهذا اكتشف وجودى هنا، وإنه يرغب فى أن يحقق إفادة من اكتشافه هذا لصالح الرابطة الثقافية التى يرأسها.

على هذا فالأمر من قبيل الاكتشاف! ويا له من شرف! أما ما هى إجابتى على الوصولى الخاوى، فلا تحتاج لأن أخلدها على وجه الخصوص.

١٦ ديسمبر

وثمة مدونة أخرى عظيمة القدر. فقد اكتشفتنى أيضًا الجالية اليهودية. لقد وقع اختيارها على لأن أنضم لهيئة ممثليها. حقًا: أيها السادة، إننى لا أستحق ذلك!

عام ١٩١٤

ملصق بالمخطوطة الكتابية القصاصة الصحفية التالية، ونصها:

(محاضرات لعالم من بودابست فى باريس. حظى الأستاذ بجامعة بودابست الدكتور أجناس جولدتسيهر بامتياز نادر الحدوث، حيث وجهت هيئة الأساتذة العاملين بالكلية الفرنسية بباريس إليه الدعوة لإلقاء سلسلة من المحاضرات أثناء هذا العام برعاية مؤسسة ميشونيس *Michonis*، حيث إن مهمة المؤسسة تقتصر على إتاحة الفرصة أمام العلماء الأجانب ذائعى الصيت للتفاعل والتعاون مع الكلية المذكورة.)/

انظر خطاب الكلية الفرنسية *Collége de France* (توقيع كرويست *Croiset*) بتاريخ ٩ يناير ١٩١٤.

٢٦ يناير

بدأت اليوم محاضراتى بكلية الحقوق بالقاعة الكبرى رقم *III.* كان من المتوقع أن يُحصى عدد المستمعين بالمئات،/ ولكن لم يتجاوز عدد الحضور الثلاثين شخصًا. هل ستستحق قاعة المحاضرات المقزمة الجهد الذى بُذل ووافق الوزير على منحى ٣٠٠٠ كرونة مكافأة سنوية فى مقابله! يتحتم علىّ شخصيًا أن أراجع تفكيرى فى هذا الأمر.

٩ فبراير

توقف السيد "على كردى *Alî Kurdi*" - محرر المكتبة فى دمشق - خلال سفره إلى القسطنطينية فى بودابست من أجل - وفقا لتعبيره- أن يتعرف شخصيًا على شيخ "الملل والنحل". قمنا بدعوته على العشاء، وكان ذلك مناسبًا بشكل كبير، نظرًا لأن اليوم يتوافق "اثنين الخطوبة" حيث يقضى المساء معنا أولادنا والأب "رفائيل *Rafael*" و"ترسى *Tercsi*". استرجعت ذكرياتى مع الدمشقيين من جيلى الذين عرفتهم فى عام ١٨٧٣. /

وعلى كردى تلميذ صديقى السابق الشيخ طاهر، والذى عرفت عنه [٢٨٢] الآن الكثير. وأكثر قيمة عرفتها أن هذا الصديق المسلم الذى قضيت معه قبل ما يزيد عن ٤٠ عامًا أيامًا وليالى فى دمشق، كانت غاية فى النفع والإفادة، لا يزال يتذكرنى ويذكرنى بكل حب. وقد حكى لي على كردى عن مكانة

أبناء أصدقائى المتوفين. واستطعت أن أظهر له كتبًا حصلت عليها من آبائهم فى شكل هدايا وموقع عليها الإهداءات. وقد أخبرنى ويا للعجب! – صديقى "مصطفى أفندى السباعى *Mustafa Efendi Sba•i*" (انظر: المناظرة الشيعية) لا يزال على قيد الحياة – فهو يبلغ من العمر ١٠٠ عام، وفى صحة وهمة!

١١ فبراير

كان يوم أمس مثيرًا بدرجة مفزعة. جلسة مجلس الكلية. أحد الموضوعات التى كانت منظورة ترقية ابن أختى الدكتور "بوشلر *Dr. Büchler*" لدرجة الأستاذية. وعرض علينا التقرير الشخصى الأول الذى كتبه "بالاجى *Ballagi*"[١]. ماذا أستطيع أن أفعله للكهنة والمعادين للسامية لكى أوقف تحريضهم للحاخام ولأصحاب الدعاوى وللقسم (تاريخ اليهودية) على الكراهية؟ والنتيجة: موافقة ٣١ مقابل ٣ اعتراض؛ بل إن الثلاثة منحونى بطبيعة الحال صوتهم (موافقة)! ولكن أخيرًا وافقوا بأغلبية عظمى. والآن فى انتظار مجال الدراسة الثانى (بحث جدير بالتقدير).

٩ أغسطس – كاتويك على البحيرة *Katwijk ann Zee*

أخذنا قرارنا أن نتوجه أثناء الإجازة إلى شاطئ بحيرة هولندية لا يزال حيًا فى ذاكرتنا. فقد تدهورت حالتى الصحية فى الشهور الأخيرة لدرجة أن نصحنى الجميع بالراحة على شاطئ بحيرة. وإننى أعرف كاتويك *Katwijk*

---

(١) *A. Ballagi* (١٨٥٣ – ١٩٢٨) مؤرخ، أستاذ بجامعة بودابست.

منذ عام ١٨٧١ حين كنت طالبًا فى ليدن *Leiden* وأقمت بها بعض الوقت؛ وفى عام ١٨٨٣ جئت إلى هنا مع لورا *Laura* لحضور مؤتمر المستشرقين؛ وفى عام ١٩١٢ انتظرنا عقد المؤتمر الرابع لتاريخ الأديان بها./

[٢٨٣] غادرنا بودابست فى مساء يوم ٢٤ يوليو، بعدما احتفلنا فى اليوم السابق بمرور عام على خطوبة ابنينا الطيبين بمنزل فرويدنبرج، وغمرتنا الفرحة. والحمد لله على أن يكون لدينا من الأسباب ما يجعلنا فى حالة فرح وسرور ونقيم احتفالات. وبعد احتفالنا صاحبنا ابنينا وعائلة فرويدنبرج إلى محطة القطار الذى سيقلنا مباشرة إلى ليبزيج *Leipzig* التى يقام بها معرض "بوجرا *Bugra*" وكان لدينا رغبة فى مشاهدته. وقد حزم صديقى "شتومه *Stumme*"(١) أمره على تدبير أمسية عشاء جماعية بحضور الزملاء المستشرقين على شرفى، وذلك فى مساء يوم ٢٥ بمطعم قبو أورباخ الشهير. وبخلاف أهل لايبسيج - والذى انضم إليهم أيضًا الصديق "سيدربلوم *Söderblom*" وتم اختياره مؤخرًا أرشيدوقًا للسويد - كان هناك من الحضور كل من الكونت "فون مولينن *Graf von Mülinen*" و"كاله *Kahle*"(٢) و"بروكلمان *Brockelmann*"(٣)، الذين جاءوا من مدينة هاله *Halle* مباشرة على شرفى. كانت أمسية مليئة بالمشاعر والراحة الوجدانية، وسأظل أذكر ما لقيته من حفاوة بها.

---

(١) *H. Stumme* (١٨٦٤ - ١٩٣٦) مستشرق ألمانى وخبير بلغات البربر.

(٢) *P. Kahle* (١٨٧٥ - ١٩٦٥) مستشرق وباحث فى الأناجيل، وأستاذ بجامعات هاله *Halle* وجيسن *Giessen* وبون *Bonn*.

(٣) *C. Brockelmann* (١٨٦٨ - ١٩٥٦) مستشرق وأستاذ فى كونجزبرج *Königsberg* وهاله *Halle* وبرلين *Berlin* وبريزلاو *Breslau*.

منذ يوم ٢٨ من يوليو ونحن هنا نستمتع بجمال الطبيعة وروعة ما يقدمه لنا البحر العظيم، وكنا تحت رعاية الأصدقاء من مدينة ليدن **Leiden**، ولحسن تعاملهم تجاهنا ورقة مشاعرهم تحمسنا للبقاء لفترة أطول. كنا نستقبل يوميًا تقريبًا ضيوفا من الأصدقاء الأوفياء، ومنهم "سنوك **Snouck**" وحرمه، و"فينسينك **Wensinc**"[(١)] وحرمه، و"يوينبال **Th. W. Juynball**" وحرمه، و"فان لأرندونك **van Arendonk**"، والروسى "كراتشكوفسكى **Kratschkowski**"[(٢)] الذى قضى بضعة أسابيع هنا، وقضيت معه أيضًا وقتًا ممتعًا نتحادث فى تخصصنا. وقد بدا لى الأمر فى مجمله نوعا من رحلة حج، إذ كان يزورنا يوميا أناس أوفياء بفندق "دى رين **Hotel du Rhin**" لكى يتسامروا معى. كما كان كل من عالم الآشوريات "تيرى **Thierry**" وعالم اللغة السنسكريتية "فوجل **Vogel**" يتبادلان زيارتى بانتظام، إذ كان كل منهما يأتى لزيارتى على حدة.

وأما بالنسبة للبحث العلمى أثناء هذه الفترة فقد انشغلت بكتاب (المستظهرى) "للغزالى **Ghazâlî**"[(٣)]، وكانت مشاركة "سنوك **Snouck**" لى فى موضوع الكتاب مشجعة للغاية. إذ أنجزت كل الموضوعات الرئيسة فى هذا الكتاب، ولم يبق إلا القليل، وسأتركه لغرفة الدارسين ببودابست.

---

(١) **A. J. Wensinck** (١٨٨٢ - ١٩٥١) مستعرب وأستاذ بجامعة ليدن **Leiden** ومحرر وأحد فريق الناشرين لموسوعة الإسلام.

(٢) **I. Kratschkowski** (١٨٨٣ - ١٩٥١) مستعرب وأستاذ بلينينجراد.

(٣) انظر **B. Heller**، مرجع سابق، تحت رقم ٣٥٦.

(أو فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية) أهداه إلى الخليفة المستظهر العباسى، نشر منه جولدتسيهر قسما كبيرًا، وكتب له مقدمة ودراسة بالألمانية ١٩١٦ (عدد صفحات المتن العربى) ٨ صفحة، والقسم الألمانى ١١٢ صفحة [***Streitschrift des Gazali gegen die Batinija Sekte, Leiden 1918***]

فجأة أفزعنا اندلاع الحرب العالمية، وأشعل نارها وخطط لها مخزون من البربرية - القيصرية الروسية التى يحكمها، وتسبب فى وضع أساس نصب تذكارى سخيف للنفاق والرياء، وتأسيس قصر السلام فى لاهاى ***Haag*** على وجه السرعة. وبعد تردد طويل حزمنا أمرنا على ضرورة العودة إلى وطننا. وتقطعت كل التعاملات البريدية مع أرض الوطن، وتخلفت منذ يوم ٣٠ يوليو الخطابات اليومية التى يبعث بها أولادنا الأعزاء إلينا، وقد كانت تمثل لنا أثناء إقامتنا هنا إكسير الحياة. لقد نفد صبرنا؛ فرغم ما يبلغنا من تقارير عن صعوبات السفر فإنه تحتم علينا التفكير فى العودة إلى أرض الوطن، لأن القلق والخوف بكل ألوانه جثما على صدورنا. فكم كنا سعداء من جراء رحيلنا فى يوم ٢٤ يوليو.

لن يتمحى من ذاكرتى مشهد الوداع الرهيب المؤثر وتفكيرنا الدائم فيه، حين ركبنا القطار وكانت تودعنا ماريسكا مع تحرك القطار، وتجرى معه وتلوح لنا بالمنديل حتى آخر لحظة ممكنة لرؤيتنا. تلك الجوهر الفريد: كم كانت رسائلها التى كنا نقرأها يوميا - بقدر ما منحنا الرب من وقت لها - ممتعة وروعة. لقد بلغ عددها ٣٥ رسالة.

أخيرًا تحتم علينا العودة إلى أرض الوطن، ولكن كان يلزم لذلك/ - فى ظل تلك الأوقات المجنونة الهائجة غير المستقرة - جوازات سفر. وتولى الأمر "سنوك ***Snouck***"، فاصطحبنى فى اليوم الرابع من الشهر إلى المبعوث النمساوى المجرى - البارون "جيسكرا ***Giskra***" فى لاهاى ***im Haagen*** لإنهاء تلك المستندات. وقد وعدنى الدبلوماسى الرقيق الذى استقبلنا بترحيب خاص

٢٨٤

(وقدمنا أيضًا للبارون) أن يرسل لنا الأوراق فى أقرب فرصة ممكنة. واليوم، وبعد مرور أربعة أيام، لم تصل بعد، حيث إن وصولها يعنى إشارة لسفرنا الكئيب. ماذا ينتظرنا فى أرض الوطن؟ أيها الصديق الطيب "سنوك هوجرونيه *Snouck Hurgronje*" كم كنت - وزوجك النبيلة معك- صديقًا وفيا مخلصًا لنا - أثناء إقامتنا فى بلدك طوال ستة أسابيع! لقد قدمتما لنا كل ما يفوق الوصف من مشاعر طيبة تجاوزت ما علمته عنكم.

بودابست فى ٢٠ أغسطس

فى يوم ١٢ من الشهر غادرنا كاتويك *Katwijk*. وحتى آخر لحظة أحاطت بنا أسمى علامات الحب من قبل أصدقاء لايدن *Leiden*. سافرنا فى قطارات تسير فى بطء بدرجة لا يمكن تصديقها، وتتوقف فى محطات كثيرة، مرورا بأمستردام *Amsterdam*، وأولدنتسال *Oldenzaal*، وبنتهايم *Bentheim*، ولونه *Löhne*، وشتندال *Stendahl*، وبرلين *Berlin*، ودريسدن *Dresden*، وفيينا *Wien* ولمدة ثمانية أيام حتى وصلنا إلى هنا. ولو أردنا أن يكون لدينا تصورعن مدى التقدم فى السرعة فعلينا أن نعرف الحقيقة التالية، وهى أننا قطعنا المسافة من دريسدن إلى فيينا فى ٤٠ ساعة، وإلى حد كبير كنا بديوان غير مريح للغاية بالدرجة الثالثة. أيامًا وليالى. وأخيرًا وصلنا أمس مبكرًا - الساعة *6.34*- محطة بودابست الشرقية، وكان فى استقبالنا ولدانا العزيزان. وفى الطريق أحاطت بنا على الدوام كل دلائل الشراسة والغضب لاندلاع حرب عالمية. فلا ترى سوى قطارات عسكرية فى ألمانيا والنمسا -المجر. ويبدو للعيان أن هناك ولعًا ورغبة عارمة فى القتال من قبل المجموعات

القتالية الوطنية الذين يستقلون عرباتهم وعليها الأكاليل، وشاهدنا الفرحة الحقيقية للرجال الراحلين لساحات القتال، كل ذلك من أجل وطنهم، ومن أجل العدالة، ومن أجل حضارة وتقاليد فى مواجهة البربرية؛ والموضوع فى هذه الحالة لا يتوقف فقط على الانتصار أو الموت فى وجه رعاع القتل من الجنس السلافى، بل ضد فرنسا الغادرة وإنجلترا المنافقة.

١٩ نوفمبر

لا شيء يمكن أن يُسجل عن هذا الوقت الشرير للحرب، فقط خوف وهلع من القتل العام العالمى الذى لا يعنى سوى إفلاس حقيقى للمسيحية. فماذا تمخض عن هذا النظام بعد قهر عالمى دام تسعة عشر قرنا من الزمان؟ لا شيء سوى عقائد جامدة وجبال من الفشل.

اليوم "أرى نفسى فى الصحيفة". وهذا شيء من أجل بودابست، لاسيما ما نُشر فى صحيفة المساء للويد "*Abendblatt des Pester Lloyd*". حضر الدوق "اويجن *Eugen*" إلى الأكاديمية لإزاحة ستار نصب إليزابيث التذكارى. وكنت محط "تكريم" فى دائرة الموجه إليهم الخطاب. فيما عدا ذلك كان بحثى عن الباطنية/ عند (الغزالى *Ghazâlî*) يسير ببطء شديد من خلال جميع المعوقات. هو فى واقع الأمر قد انتهى، ولكن لا أجد فى نفسى رغبة أو عزيمة. ٢٨٥

٢٧ نوفمبر

استقبلت اليوم شيخين من المغرب، جاءا إلى برلين فى مأمورية سياسية. وقد قدما إلى فى صحبة الدكتور "شابينجر *Dr. Schabinger*"، وهو

ترجمان البعثة القيصرية الألمانية بطنجة. إنهما يحييان بكل ثقة فى الله من انتصار كل ما يتعلق بالإسلام.

عام ١٩١٥

فى يوم ٢٢ يونيو

جاء تلاميذى – ويتزعمهم "المعلم" "مالر *Mahler*"[١] – فى أوفينكل *Auwinkel* ليعربوا لى فى حماس وتصفيق حار عن تهانيهم بمناسبة عيد ميلادى الخامس والستين.

٢٨ أغسطس – توفيسجيهاز *Tövisegyház*

منذ يوم ١١ مايو ونحن نقضى الصيف فى ركننا المعتاد بمدينة تسوجليجت *Zugliget*، حيث تناولت أعمالا متعددة بهمة ونشاط. فقد انتهيت فى شهر يونيو من بحثى عن الباطنيين؛ كما كتبت – فى الفترة من شهر يوليو وحتى منتصف أغسطس – بحثين آخرين بديعين: أحدهما خاص "بالإسلام" عن "سفور الرأس"[٢]، والآخر خاص بأكاديمية برلين عن "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة"[٣]. وقد احتفظت[٤] بالنصف الثانى من شهر أغسطس للقيام بتأليف خطاب سألقيه فى ذكرى "فامبيرى *Vámbéry*"، وقد انتهيت منه فى الوقت الذى جاءت فيه "لاورا *Laura*" والأولاد لاصطحابى لحضور الاحتفال الخيرى التذكارى السنوى.

---

(١) *E. Mahler* (١٨٥٧ – ١٩٥٤) مستشرق وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٣٥١.

(٣) المرجع السابق تحت رقم ٣٥٥.

(٤) المرجع السابق تحت رقم ٣٤٧.

٣ سبتمبر

جاء اليوم الأخير لنا فى توفيسجيهاز ***Tövisegyház*** حاملا لنا معه نبأ مفزعًا عن وفاة السيدة الطيبة "مالناى ***Málnai***"- هذه الصديقة المخلصة لمنزلنا. وقد أصابنا حزن بالغ للغاية من جراء حالة الوفاة تلك مثل لوعة قلوبنا على وفاة شخص من أعز أقاربنا شاركنا الأفراح والأتراح من كل قلبه فى منزلنا الذى وضع فيه أولادنا ثقتهم فيه طيلة تسع سنوات. وقد رافقناها فى يوم ٣٠ من أغسطس لمثواها الأخير.

٥ سبتمبر

أسفرت الأحداث العالمية فى الوقت الراهن عن تدفق كم هائل من الكتب والأعمال الإسلامية فى دور النشر بألمانيا. وأغلب هذه الكتابات اتخذت أعمالى مرجعا لها/ وأضفت على ألقابًا من المدح والتمجيد والإشادة [٢٨٦] يفوق كل تصور؛ وها هو - على سبيل المثال - أحد الكتب التى نشرها المبعوث التركى فى برلين - محمود مختار باشا، وآخرين يقتبس "فريدريش ديليتش ***Friedrich Delitzsch***" مواضع من "محاضراتى" ويصفنى بقوله: "ويُعد الأستاذ ا. ج. أفضل العارفين بالإسلام باعتراف العالم له". كما أن "إى. جاك ***E. Jâckh***" الذى تواصل معى بالخطابات، يسعى لكسبى فى ضمى لفريق المعاونين بمكتبته - "مكتبة الشرق الألمانية".

٨ أكتوبر

لطمة وراء لطمة. عدنا اليوم من أراد ***Arad*** حيث قمنا بدفن شقيق زوجتى "إيزيدور ***Isidor***". فى نهاية أغسطس كان قد استضافنا فى بهجة

وحب للحياة فى توفيسجيهاز توسكولوم *Tövisegyház Tusculum*. ولم يمر أكثر من شهر على ذلك وكنا نرافقه إلى مثواه الأخير الذى اختاره ليكون فى سيماند *Simánd* حيث سيرقد تحت أقدام والديه المرحومين!

١٧ أكتوبر

ألا يكفى ما نتلقاه من أخبار مؤلمة للمشاعر؟ رافقنا اليوم أيضًا أفضل صديق لى فى الشباب – موريس كارمان *Moriz Kármán* – إلى مثواه الأخير. وبوفاته انطوت معه صفحة من زمن حياتى دامت نصف قرن. وقد وصفت علاقتى به فى كلمات قليلة على صفحة إهدائى له لكتابى "أسطورة *Mythos*". فى بهو المدرسة الثانوية التى قام بتأسيسها تحدث زملاؤه الذين يعتصرهم الحزن عن إحدى خدماته الجليلة الباقية مع الزمان، عن قيامه بوضع حجر أساس جديد لكيان مدرستنا وهيئتها الوطنية... ولكن – ويا للعجب – لا حديث عن مدى تعذيبهم للرجل وتجاهلهم له عن عمد! لقد عاش الرجل حتى انتقل إلى جوار ربه حياة الشهداء بينهم، وهم يمجدون الآن ذكراه بكثير من القول الذى يجعل صاحبه من المشاهير. لقد عذبوه نفسيًا، كما أنهم ألحقوا به خسارة مادية فادحة وأبخسوا حقه فى منحه ما يكفيه من وسائل معيشة محتملة، تسد على الأقل رمق أسرته. هكذا نرى لدينا من البشر من يموت مقابل ما يؤدونه من خدمات ومن أعمال خير لا تفنى مع مرور الزمان، بينما يعيش السذج والأغبياء السطحيون الذين يعملون وفقا لمتطلبات العصر وفى أريحية من العيش حياة مزدهرة. ولكن ماذا يفيد ذلك؟ بعد قضاء حياة بائسة مليئة بألوان العذاب من جراء سفالات أصحاب المكانة العليا يساق المرء إلى قبره فى أبهة وبهاء، ويمجد بالأكاليل والاختصاصيين بسجلات الموتى والثرثرة على القبور. وهم يعتقدون بذلك أنهم غسلوا أيديهم من الشر الذى فعلوه مع الميت وهو حى.

٢٥ أكتوبر – ليلاً

ألقيت اليوم بالأكاديمية محاضرتى فى ذكرى "فامبيرى *Vámbéry*"، وقد نالت إعجابا كبيرا. وقد أديت هذا العمل المنهك على نحو يتسم بالأدب. وبذلك أتممت الفصل الخاص بسيرتى الذاتية الذى يحمل عنوان "فامبيرى". /

٤ نوفمبر

٢٨٧

نجحت فى أن أقنع العضو الذى تم اختياره من الخارج للالتحاق بأكاديميتنا، وهو الأستاذ "شتومه *Prof. Stumme*" فى أن يُلقى أول خطاب له على مائدة القراءة بالأكاديمية باللغة المجرية، حيث إنه على دراية بها. وفى اليوم الثانى من الشهر كان هذا بمثابة حدث. فقد ترأست الجلسة، ثم قدمت الضيف الذى سيقرأ خطبته، ورحبت به فى خطاب نال إعجاب الحاضرين[1]. وعقب المحاضرة أقيمت وليمة على شرف الضيف. وكان معنا أيضًا "هاينريش *Heinrich*" بلونه الأخضر على الدوام.

١١ نوفمبر

[ملصق بالنسخة المكتوبة باليد القصاصة التالية، وهى مأخوذة هنا من صحيفة "فوس *Vossische Zeitung*":

من *أكاديمية العلوم* فى جلسة لجنة التاريخ والفلسفة المنعقدة بتاريخ ١١ نوفمبر، والتى ترأسها الأستاذ "ديلز *Prof. Diels*" تحدث الأستاذ "بورداخ *Prof. Burdach*" عن:....

(١) المرجع السابق تحت رقم ٣٤٩.

قام العضو المتواصل معنا من الخارج -الأستاذ "اجناس جولدتسيهر *Prof. Ignaz Goldziher*" - في بودابست بإرسال بحث له بعنوان: "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة *Die Stellung der islamischen Orthodoxie zu den antiken Wissenschaften*". إن المسلمين يقصدون بمفهوم "العلوم القديمة *al-ulum al-kadima*" أو "علوم الأوائل *Ulum al-awa'il*" فروع العلوم التي غزت ثقافتهم من جراء الأعمال التي وصلوا إليها عن طريق ترجمة المصادر اليونانية. مع تفاقم هيمنة الأصولية فإن موقفها المتشكك من تلك العلوم قد تزايد باطراد، وبلغت ذروة هذا السلوك المنحرف في القرن الثالث عشر بعد الميلاد على يد "فتوى" ابن الصلاح الشهرزوري" الذي وقف موقف العداء من دراسة وتدريس "علم المنطق". وقد ألحقت بهذا أيضًا نصوصا عربية أخرى تبين سلوك الأصولية العدائي من العلوم القديمة.]

١٢ نوفمبر

في طريق رحلته إلى القسطنطينية، حيث تقلد منصب أستاذية بجامعتها، قام "بيرجشترسر *Bergsträsser*"[١] بزيارتي مساء اليوم. وقد رثى أخين أصغر منه على قطعة من القماش، كانا قد سقطا في الحرب التي دارت بمنطقة فلاندري الهولندية، كما رثى أمه التي سارعها الموت على أثر تلقيها نبأ فقدانها لولديها ولم تتحمل الصدمة. وقد علمت منه أيضًا أن السيد الفاضل المتفوق "شاده *Schaade*"[٢] والذي كان قد زارنا أيضًا في الشتاء الأخير، صار بكل أسف من المفقودين/، حيث كان يرغب على أثر احتلال بولندا، في الرحيل من منطقة جبال كارباثيان إلى الحدود الروسية. ٢٨٨

---

(١) *G. Bergsträsser* (١٨٨٦ - ١٩٣٣) مستعرب ومن تلامذة فيشر *A. Fischer*.

(٢) *A. Schaade* (١٨٨٣ - ١٩٥٢) مستشرق ألماني ومن تلامذة فيشر *A. Fischer*.

١٧ نوفمبر

استدعانى الوزير "يانكوفيتش *Jankovic*"[١] لكى يتشاور معى بشأن إرسال أحد العلماء الشبان لدينا إلى القسطنطينية لشغل منصب الأستاذية لفقه اللغات التركمانية. ويتحتم على أن أعترف بأننى لم أكن الناصح المناسب لهذه المشورة، رغم أن الأمر بدا لى بجدية الأخذ برأيى؛ إن حاوية ذاكرتى تمتلئ بذكريات مكدرة للغاية من قبل وزارة الثقافة هذه، ولا أستطيع أن أدخلها دون استدعاء لمواقف وأحداث تريفورت التى تجعلنى أشعر بالغم.

١٨ نوفمبر

قام القنصل العام لهولندا بتوسط حميد عن طريق البعثة الهولندية بفيينا، وأرسل لمؤسسة "دى خويه *de Goeje*" نسخة بخط يدى لمخطوطة "فضائح الباطنية" للغزالى من أجل نشرها لديهم.

٢ ديسمبر

كان لابد – بناء على دعوة خاصة عاجلة من مركز البوسنة بمدينتنا – أن أشارك فى جلسة تكلم بها أشخاص عديدون يثرثرون عن آرائهم بشأن الأموال التى من شأنها أن تتوسع المجر فى نشاطها الثقافى فى دول البلقان. وقد تحدث فى هذا الشأن كل من "جوستاف شفارتس *Gustav Schwarz*" و"بيلا أرودى *Béla Erődi*" و"ريزو هافاس *Rezső Havas*". وكان على أيضًا أن أدلى بدلوى".

٦ ديسمبر

غشاوات! تلطيخ وغشاوة سيئة القصد!

---

(٣) *B. Jakovich* (١٨٦٥ – ١٩٣٩) وزير الثقافة وعالم اقتصاد.

٣٠ ديسمبر

قمت ظهر اليوم بزيارة الأديب المريض البالغ من العمر ثمانين عامًا، الدكتور "إجاى *gaiÁ*"(١). وعند دخوله غرفة الاستقبال لم يتعرف على فى البداية حين وقع بصره على، وقال مشيرا إلى شعر رأسى الأشيب: "أعتقد أن حضرتك تضع على رأسك قلنسوة الموتى"! علامة شؤم! ولكن حالتى النفسية فى الوقت الراهن تعطى مبررا لهذا الخداع البصرى لأديبنا المريض. هل أضع بالفعل قلنسوة الموتى على رأسى؟/

[٢٨٩] **عام ١٩١٦**

٣ يناير

تعرفت اليوم أثناء حضورى جلسة اللجان النوعية بالأكاديمية على "سليمان البارونى *Sulejmán el-Baruni*" الذى يتردد اسمه كثيرا فى هذه الأيام لارتباطه بحركة "سنوسى *Senusi*" الذى يشاركنا الجلسة. وهو الآن عضو مجلس الشيوخ بالقسطنطينية، قبل قيام إيطاليا باغتصاب سلطة المبعوثين الأتراك لدى طرابلس.

٦ يناير

فى الوقت ذاته أقوم اليوم بأعمال التصحيح الخاصة بعمل برلين (انظر ما ذكرته آنفا بتاريخ ١١ نوفمبر) وما يتعلق بمخطوطتى عن الغزالى

---

(١) *A. gaiÁ* (١٨٣٦ - ١٩١٦) كاتب وصحفى.

(مؤسسة دى خويه)، إلا أن حالة المعاناة التى أشعر بها عند قيامى به لا تتناسب وهذا العمل الدقيق. ورغم ذلك فإن أصدقاء أعزاء قد وفروا على نير التصحيح الأول على أقل تقدير (من هنا "ميتفوخ *Mittwoch*"[1] وهناك "سنوك *Snouck*")، وهو ما خفف على الأمر بشكل أساسى.

٣١ يناير

أطلعنى أحد المستمعين على عدد صحيفة "هيرلاب البودابستية *Budapesti Hirlap*" الصادرة بتاريخ ٣٠ من هذا الشهر. فى هذا العدد جرت مقابلة للمراسل الحربى لتلك الصحيفة مع رئيس جامعة القسطنطينية – أحمد صلاح الدين *Ahmed Salā al-dîn*، حيث قال فيه: "نتمنى أن نكسب أستاذا عظيما فريدا من نوعه " – ثم أردف بقوله: "وهو ابن بلدكم العظيم الأستاذ أيجناس جولدتسيهر، وهو أفضل محلل لفكر الإسلام[2]". وفى نهاية الأمر سيتم اكتشافى فى بودابست أيضًا عن طريق القسطنطينية. يعيش قطار البلقان!

١ فبراير

بدأت مساء اليوم محاضراتى بكلية الحقوق، حيث يحضر أمامى عشرون مستمعا مقيدا بالكلية. وقيل إنه ربما يكون هذا العدد من المستمعين كبيرا، وفى موضوع ليس إلزاميا لهم أثناء فترة الحرب، حيث تم استدعاء زهرة شباب الطلبة للخدمة العسكرية فى هذه الفترة.

---

(١) *E. Mittwoch* (١٨٧٦ – ١٩٤٢) باحث فى فقه اللغات الحبشية والسبأية، وأستاذ بجامعتى جرايفسفالد *Greifswald* وبرلين *Berlin*.

(٢) ذكرت العبارة (باللغة المجرية).

بعد عودتى للمنزل وجدت أمامى عضوا برئاسة تحرير مجلة "تابلو البودابستية *Pesti Napló*". وذكر لى أن زميلاً لهم – ويدعى "لازار *Lázár*"– قد عاد منذ فترة وجيزة من اسطمبول وأخبر بأن جميع الدوائر الرسمية بالباب العالى تتحدث عنى وعن شهرتى (!). ثم استطرد بقوله، ولذلك فإن رئاسة التحرير تهتم اهتماما بالغا بى أن تجرى حوارا معى لينشر فى عدد الغد، لكى تعرف وجهة نظرى بشأن الوضع السياسى والاقتصادى لعلاقاتنا مع تركيا.

وكموقفى الذى لا يتغير فى غير ذلك من المواقف، فإننى لا أعبأ بمثل هذا الخداع./

٢٩٠ ٦ فبراير

لا تدعنى لقاءات الصحفيين وشأنى، ولا تتركنى أعيش فى هدوء. دائما يطلبون مقالات ولا يدركون أننى قررت أن أصون مهامى العلمية النبيلة، وأن أحافظ على هدوئى مع ما لدى من "ثروة ستبقى معى" أمام الخداع والنصب الإعلامى.

١٢ إبريل

أحد الصحفيين الصغار واسمه "أرمين ساسفارى *Ármin Sasváry*"(بالطبع من أصل عائلة شوسبزجر *Schossberger*)[1] حضر لدي وأزعجنى

(١) *Ármin Sasváry* (١٨٥٣–١٩٢٤) مترجم وصحفى. رئيس تحريـــر *Revue d'Orient et de Hongrie* (١٨٨٦ – ١٨٩٨).

طــوال بعــد ظهــر اليوم من أجل حصوله على مقال لي لصحيفته "*Junges Europa*". وكذلك فوجئت بسيل من الصحف الأجنبية تطالبنى بمقالات ذات لون سياسي؛ ومؤخرًا جاءنى رجاء من إحدى الصحف المتخصصة بشئون الدول والاقتصاد بأوربا قام بتأسيسها الوزير "فرويندورفر ***Freuendorfer***" بميونيخ، وغيرها.

٢٠ إبريل

تلقيت اليوم صفعة مدوية من جديد. السادة الزملاء بالكلية الأعزاء ومن تولوا المناصب من بعد "جوزيف اتفوس ***Josef Eötvös***" لم يكتفوا من إلحاقهم الأذى والمذلة بشخصى على مدار ٤٥ عاما. فقبل أربع سنوات كانوا قد تمكنوا – دون علم مسبق لي – من عرض أوبريت خاص باحتفالية مرور ٤٠ عاما على عضويتى بالتدريس بالجامعة، حيث ألقوا خطبًا مؤثرة وتمس المشاعر بشأن خدماتى التى قدمتها للجامعة. كانوا مضطرين أن يفعلوا ذلك لوجود زملاء أجانب جاءوا من أقاصى الدنيا إلى هنا من أجل تعبيرهم عن حبهم الجم واحترامهم لى. واحتفل كل من السيد رئيس الجامعة والسيد العميد بمرور أربعين عاما على خدمتى بالتدريس بالجامعة فى منتهى السلاسة، ولكنهم التزموا الصمت بذكاء بأنهم تعاملوا معى على مدار خمسة وثلاثين عاما من السنوات الأربعين كأننى مدرس نكرة لا وجود لي. وفضلا عن ذلك لم تحسب لي الحكومة الفاضلة من سنوات خدمتى التى دامت أربعين عاما سوى ثلاث سنوات – على حد قولهم – بينما أعتقد أنهم شهران فقط. وفى هذه السنوات قاموا بترقية جميع من سبقونى فى الخدمة من الأساتذة المتفرغين إلى الدرجة الخامسة؛ ثم جاءوا عند اسمى وتوقفوا كأنهم أمام

شخص غير جدير بالتقدير بأن يتساوى مع هؤلاء الذين سبقوني في تحصيلهم للعلم (مع أن منهم جملة من المنتحلين له والجهلاء به). واليوم قاموا بتتويج ما قاموا به.. إنهم لم يقفوا أمام اسمي فقط بالتحقير، بل تعدوا ذلك بمراحل. ها هي الصحيفة الرسمية تنشر اليوم ترقية الأستاذ الذي يليني إلى الدرجة الأعلى. إن النية مبيتة لديهم أن يلقوا بصفعة رسمية ومعلنة على وجهي، ويتحتم عليّ أن أقبلها. هكذا اكتملت دائرة الأذى والمذلة التي لحقت بي منهم منذ ٤٥ عامًا، وشارك فيها بنسب مختلفة جميع الوزراء الذين جاءوا من بعد "جوزيف إتفوس *Josef Eötvös*". وعلى هذا الدرب تتوافر لديهم النية في الحث على البحث العلمي والعمل على تشجيعه!

صار من الواضح كل الوضوح بأن ما قاموا به من وحشية تجاهي شخصيًا كان الهدف منها – رغم كل ألوان العذاب والهوان النفسي – تجميدي في هذا المكان الموحش وعدم مغادرته. ولو أنني تمكنت من الانتقال للعيش– إلى هايدلبرج/ أو كامبريدج أو شتراسبورج – أو إلى أي مكان آخر حيثما تم تكريمي به، لما لحق بي مثل هذا الخزي والعار.

٢٩١

١٨ أغسطس

ولكن هناك أمارة ما في الحياة تدل على أن هذا الصيف غير مثمر ومحمل بالهموم بالنسبة لي. منذ السابع من مايو انتقلنا مجددًا إلى ركننا المعروف في منطقة تسوجليجت *Zugliget*. وحتى نهاية شهر يونيو كان شغلي الشاغل أن أنتهي من طباعة النسخة المنقحة للأصل الألماني الخاص

بمحاضراتي في أوبساله *Upsala*[1]؛ وفي هذه الأثناء لم يرغب الناشرون من الاقتراب من طباعة هذا العمل لأسباب فنية أثناء فترة الحرب. فلم يكن هناك ورق ولا منضـــدة حروف الطباعة. وكان من الضروري الانتظار أولا لحلول السلام. وكان لدي ثمة تصحيحات خاصة بكتاب "مناظرة الغزالي *Streitschrift des Ghazālī*"، والآن خرج هذا الكتاب الصغير إلى النور. وتلقيت كل ألوان المجاملات بشأن بحثي عن "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة *Stellung der alten islamischen Orthodoxie*" وعن "سفور الرأس *Entblössung des Hauptes*".

لقد سادت حياتنا الرتابة، كما غاب عنها أخبار "كارمان *Kármán* " المثيرة، وأخبار تلامذتي من الأجانب. ولا شك أنني وجدت ما يعوضني عن ذلك، باهتمامي مرتين في المساء من كل أسبوع بأحد التلاميذ النجباء والناهمين للعلم، وهو الدكتور "شرايبرز *Dr. Ign. Schreiber*"[2] الذي منحته الدكتوراه في يونيو، حيث أطالع معه باهتمام كتابي "إحياء *Ihjā* والكشاف *Kaśśaf*". كما أن زيارة أبنائنا الأحباء لنا في المساء تضفي علينا الفرحة الحقيقية، رغم أننا سنحرم منها لمدة ثلاثة أسابيع حيث سيسافرون إلى رايشناو *Reichenau*.

في يوم ١٦ يونيو تلقيت طلبًا من دار الثقافة بفيينا "*Wiener Urania*" لإلقاء محاضرة لديهم في الخريف أو الشتاء. ونظرا لتكرار رفضي نفس

---

(١) انظر *B. Heller* مرجع سابق، تحت رقم ٣٧١.

(٢) *I. Schreiber* (١٨٩١ –١٩٢٢) حاخام في أوبودا *Öbuda*، وهو مؤلف كتاب "عن الـسببية *Liber de Causis* – المنسوب لأرسطو – بودابست ١٩١٦.

الطلب فى السنوات السابقة، كان من الواجب على أن أُلبى لهم هذه المرة طلبهم. وقد أعربوا عن رغبتهم فى أن يكون موضوع المحاضرة يتعلق بما هو محل "اهتمام فى الوقت الراهن"، ولدى مقال يمكن إدراجه تحت هذا العنوان، وهو "الفقه الإسلامى ومكانته فى الوقت الراهن ***Das muslimische Recht und seine Stellung in der Gegenwart***"، وقد أرسلت لهم هذا العنوان، وأهتم الآن بوضع وكتابة التصورات المألوفة عنه والنقاط الرئيسة به(١).

بلغنى خبر نشر الترجمة الإنجليزية لمجلد "محاضراتى" (منشورات جامعة ييل ***Yale University Press***)(٢)، ولكننى لم أتلق بعد نسخة منه، وأتمنى ألا يكون ضحية سارقى رسائل البريد الإنجليزى التى اشتكى منهم أيضًا كل من له مراسلات من هذا النوع. فقد تسلمت فى يوم ٣ يوليو بطاقة كانت قد أُرسلت من فيلادلفيا بتاريخ ٢٣ مارس. كما أن الخطابات المرسلة من إسبانيا وإليها لا يمكن وصولها على نحو مباشر. ومما يجعلنى فى حالة تشاؤم أيضًا قرب حلول بداية الفصل الدراسى، حيث إن "طلبة السيمنارات" - على ما يبدو - يخططون لعمل "إضراب" ضدى. والأسباب: صعوبة وعدم جدوى ما أقوم موضوع التدريس؛ وشدة المعلم.

ونادرا ما تجد شخصا فى مثل حالتى، يقوم بالتدريس منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان ويستحوذ موضوع التدريس على اهتمامه العاطفى المفرط، ويضعه فوق اعتباراته الصحية والنفسية، ثم يتخلى عنه الجميع فى مثل هذه المواقف! /

---

(١) انظر ***B. Heller*** مرجع سابق، تحت رقم ٣٦٠.

(٢) نفس المرجع السابق، تحت رقم ٣٦٣.

[٢٩٢] صار الآن الاهتمام بالشرق لا حدود له لدينا، حيث بات من الحكمة وبعد النظر التوقع بأننا سننضم بعد الحرب العالمية من الناحية الاقتصادية والسياسية إلى أصدقائنا الأتراك على نحو متزايد وأكثر عمقا. ومن هنا نشأت – ولا شك بدون تخطيط أو نسق محدد – سلسلة من الاتحادات من شأنها أن تعمل على التحضير لمثل هذا الضم. كان هناك تحرك على الجانبين الاقتصادى والعلمى. فقد تأسس مركز "اقتصادى" للشرق؛ ثم أقيم مركز ثقافى شرقى. ولا شك أنه كان ينبغى أن يتم التحضير لكل هذه المشروعات، وإقامة قواعدها على نحو علمي، كما حدث فى ألمانيا، ولكن هذا ما لم يحدث لدينا، بل اتسم الأمر بالتهكم والاستهزاء (نوع من الهطالة!)، وراح الناس يرتجلون على درب الهواة. وفى حديث مباشر لى مع الدوق "باول تيليكى *Paul Teleki*"[1] الذى قام بزيارتى بمنزلى لهذا الغرض، طلبت منه أن يشركنى فى المركز الثقافى. وقد اختارنى أحد أقسامه – وهو قسم علم اللغة – لأكون رئيسا له، إلا أننى لم أتحمل هذا التكريم إلا لفترة وجيزة؛ فلم تمر علينا سوى جلستين إلا ووجدت نفسى لا أطيق ما يدور حولى من ثرثرة بلا نهاية للأعضاء الهواة، بل ومشوبة بالتطاول، ولم أملك سبيلا آخر سوى أن تقدمت بإعفائى من مهمة هذا الشرف الذى قبلته أيضًا طواعية منى. ومن الواضح أنه بات يروق للناس ألا أكون بينهم، ومن الأفضل أن يكون لديهم مراكز ثقافية دون وجودى.

علاوة على ذلك فإن وزارتنا قامت بوضع حجر أساس "لمعهد علمى" بالقسطنطينية. وفى يوم ٢٨ يوليو قام الوزير بتعيينى باللجنة الإدارية للمعهد التى سوف تدار شئونها من بلدنا. ولم أعرف ما ينبغى علىّ فعله، وما

---

(١) *Paul Teleki* (١٨٧٩ – ١٩٤١) عالم فى الجغرافيا، أستاذ بجامعة بودابست، ورئيس وزراء.

إسهامى فى هذا الشأن. فالدور الرئيس يقوم به أشخاص من أمثال التركى "ميزاروس جيولا *Mészáros Gyula*[1]، وغير ذلك فلا أرى غير ماكينة لغوية جاهلة. فما عساى أن أقوم به؟

عدت للقراءة بنهم فى "الكشاف *Kaśśaf* "، كما قرأت كثيرا "لابن المنير *Ibn al-Munajjir*"، ولكن لم يفتنى أيضًا أن أقرأ "فاوست" بأكملها مرة أخرى، وفى أوقات الليل كنت أقرأ كتاب "بدون عقيدة *Ohne Dogma*" التى ألفها "زينكيفيتش *Sienkiewicz*" – وأيضًا قصة "الصلصال السحرى للإنسان *Der Golem*" التى ألفها "جوستاف مايرنك *Gustav Meyrink*".

وقد جاءت العبارة التالية على لسان تلميذ القبلانية الفقير "شيمايه هيلل *Schemaja Hillel*" الذى عمل بأرشيف الجالية فى المجلس المحلى اليهودى (فى براغ): "والإنسان الذكى يشرع فى البناء مبكرا، وأما الأذكى – على ما يبدو لى – فهو الذى ينتظر ويضع عينيه على كل شىء أولاً ".. وهذا ما كنت عليه أيضًا طيلة ثلاثين عاما.

يجب أن أنتظر حدوث "إضراب طلاب السيمنارات".. وبعد ذلك علىّ أن أنتظر أيضًا ابن أختى الجميل "ساس *Sas*"[2]. ماذا فعلت فى دنياى حتى ينهش فى لحمى وينغص حياتى كل هؤلاء! لقد بلغت من عمرى الآن ٦٧ عامًا، ولا يمكن أن يدوم هكذا هذا الوجود المشوه. ينبغى أن أحصل – وفقا لنظرية المعتزلة – على ما يعوضنى عن ذلك (عوض *'iwad*).

---

(١) *Mészáros Gyula* (١٨٨٣ – ١٩٥٧) عالم باللغات التركية، ومدير المتحف الإثنوجرافى.

(٢) *L. Blau*.

١٩ أغسطس

تلقيت اليوم خطابًا من أمين المكتبة العامة "*Public Library*" بمدينة نيو أولم *New-Ulm* بالولايات المتحدة، ومدون عليه "تم فتحه بمعرفة الرقابة". وقد استغرق الخطاب ١٣٥ يوما/ حتى تسلمتهِ فى يدى؛ وفيه ترجونى المكتبة أن [٢٩٣] أبعث إليهم بصورة كاملة لى – لمجموعة الخنافس عندهم. إن "كرامة" الولايات المتحدة لا تزال تتحمل مثل هذه المذلة.

٢٣ أغسطس

أعاد لى أحد معارفى القدامى – وكان فى السابق "أحد الإخوة الماسونيين"[١] – النسخة التى كانت لديه عن محاضرتى التى ألقيتها فى قاعة "هومبولد *Humboldt*" فى فبراير من عام ١٨٧٧، وعنوانها: "لا تمسنى". لم أفكر على الإطلاق فى هذا الموضوع الذى يعود إلى أربعين عاما مضت.

١٠ سبتمبر

تلقيت من المجلة الشهرية المصورة "شرق وغرب" التى تصدر فى برلين، وهى متخصصة فى شئون اليهودية رجاء – متضمنا مقدمات تتسم بالتملق الزائف كلية – بأن أبعث إليهم بمقال عن مراحل تطور تحرير اليهود فى المجر. كما تلقيت فى الوقت ذاته رجاء آخر من الدوق "باول تيليكى *Paul Teleki*" فى أن أكتب مقالا للمجلة حديثة الإصدار الخاصة بالمركز الثقافى الشرقى الذى أسسه – وكذلك رسالة أخرى من مجلة "إسلام" تذكرنى بكتابة مقال جديد. وبالطلبات التالية يكون وقتى قد اكتمل عن آخره: رسالة من

(١) وهو *L. Wekerle*.

"هانزليك *Hanslik*" بفيينا من أجل مقال سينشر فى "مجلته الشهرية". وقد أحلت "شرق وغرب" إلى ما كتبه "بوشلر ساندور *Büchler Sándor*"[1] فى هذا الشأن، كما حاولت أن أغرى "تيليكى *Teleki*" بأن يقوم بترجمة مجرية لمحاضرتى فى أوبساله *Upsala*، حيث إن المقال قد تم نشره فى مجلة "ليلويد البودابستية *Pester Lloyd*" ويحوى تفاصيل كبيرة فى معالجته. وقد تكرمت حبيبتى "ماريسكا *Mariska*" بأن أخذت على عاتقها عملية تحرير وتنقيح النسخة السيئة.

١٥ سبتمبر

علمت اليوم بطريق غير مباشر – عن طريق "زيجيد *Szeged* (لوف *Löw*)" – بأنه وفقا للتقرير الذى قدمه محامى هيئة الإصلاح الأمريكى بتاريخ ٢٤ يونيو مـــن هذا العام، فقد قررت "الأكاديمية التاريخية بمدريد" بتاريخ ١٩ مايو اختيارى عضوا من الخارج بها. وهذا يعنى أننى أحظى بهذا التكريم منذ أربعة أشهر كاملة دون إدراك من الأكاديمية ذاتها، ولا شك أن المراسلات مع إسبانيا المحايدة "مستحيلة".

لقد نلت الآن عضوية ثمان أكاديميات، وحصلت على عضويات شرفية من الخارج من تسع جمعيات علمية مرموقة، فضلا عن نيلى لعدد اثنين من الدكتوراه الفخرية، وتسع عشرة شهادة دبلوم شرفي. ولعل من يطالع كل هذا العدد يصدقنى بأننى على استعداد تام لأن أستبدل كل هذه الشهادات بيوم "واحد" هادئ أنعم فيه بالراحة فى حياتى.

---

(١) *A. Büchler*: تحرير اليهود فى المجر. "شرق وغرب" – العدد *XVIII.* عـــام ١٩١٨ – ص ٢٢–٣٦

فيينا فى الأول من نوفمبر

فى يوم ٢٨ من الشهر الماضى وصلت إلى دار ضيافة شقيق زوجتى "ألبرت *Albert*"، وقمت فى اليوم التالى ببعض الزيارات لأقارب "ماريسكا"، وفى يوم ٣٠ عنيت بموقف نشاط محاضراتى./

٢٩٤ إن إدارة "دار الثقافة الشعبية – اورانيا فيينا *Wiener Urania*" تعتبر أسوأ كيان يمكن أن يتخيله إنسان؛ لم يهتم أحد بها بالقيام بالدعاية اللازمة لمحاضرة ضيف عليهم جاء بدعوة ملحة منهم، حتى إننى اندهشت من وجود ما يقرب من ٢٠٠ مستمع لمحاضرتى رغم هذا التقصير، بل إن زملائى المتخصصين لم يعلموا عن محاضرتى التى نالت إعجاب المستمعين شيئا.

بعد ذلك قمت بزيارة المكتبة الملكية؛ وتقابلت مع: "كاربانتشيك *Karabaček*" و"متشيك *Mžik*" و"موزيل *Musil*"[١] الذى أرانى الخرائط التى يملكها عن بلاد ما بين النهرين وشمال ووسط جزيرة العرب، كما عرض علىّ نتائج رحلاته العجيبة الأخيرة.

وبعد المحاضرة كان لدي زيارة لطيفة. إنه الحقوقى الرومانى الأستاذ الدكتور "إرليش *Ehrlich*"[٢] الذى يدرس فى (تشرنوفيتش *Czernowicz*) حيث تناقش معى بشأن نتائج محاضرتى من وجهة نظر قانونية بحتة. بعد ذلك قضيت عدة ساعات مع العبقرى "تورتشينر *Torczyner*"[٣] –الملقب بمجال بحثه "طور سينا". وفى مساء يوم ٣١ أقام "معهد أبحاث الشرق" حفل ترحيب

---

(١) *A. Musil* (١٨٦٨– ١٩٤٤) مستشرق تشيكى، وأستاذ فى جامعات أولمتس *Olmütz*، وفيينا وبراغ.

(٢) *E. Ehrlich* (١٨٦٢– ١٩٢٢) أستاذ قانون فى تشرنوفيتش.

(٣) *H. Torczyner- Tur-Sinai* (١٨٨٦– ١٩٧٣) فقيه لغوى وباحث فى الأناجيل؛ وأستاذ فى برلين والقدس.

بي على شرفي (وحضره المدير "جاير *Geyer*")، ولم نتفارق إلا عند منتصف الليل. وقد أتاح لي هذا اللقاء فرصة التعرف على بعض زملاء نجباء فى التخصص من الشباب الصاعد، أسعد بذكر بعض منهم على الأخص: "جرومان *Grohmann*"[(١)] ومجال تخصصه (جنوب جزيرة العرب)، و"ب. جايجر *B. Geiger*"[(٢)] (فقيه فى اللغة الفارسية)، و"هروزنى *Hrosny*"[(٣)] (عالم فى اللغة الآشورية وباحث فى الحيثيين)، والملازم أول"ديتس *Diez*"[(٤)] (باحث فى الفن وأثرى).

وقد تبين لى اليوم أن *P. Ll.* قد قام بنشر محاضرتى فى (*extenso*)، إلى جانب تمهيد لم يحل لي ولا يستحق التقريظ، فى ذاك العدد الصادر بتاريخ ٣١ أكتوبر.

بودابست – ٣ نوفمبر

لم يرغب أقاربى الذين قاموا تجاهى بكرم الضيافة على أكمل وجه فى التفريط في بسهولة، وأبقوا على معهم حتى اليوم فى فيينا، كما قاموا بدعوتى (ثلاث مرات) لزيارة المسرح. وفى اليوم السابق لرحيلى تعرفت على عالم شاب من وارسو، وهو الدكتور "اوبرمان[(٥)] *Dr. Obermann*" الذى نشر أشياء مهمة عن الفلسفة العربية.

---

(١) *A. Grohmann* (١٨٨٧ –) مستعرب وأستاذ علم الخطاطة العربية فى براغ.

(٢) *B. Geiger* (١٨٨٨ – ١٩٥٦) عالم لغة فارسية وأستاذ بجامعتى فيينا ونيويورك (المعهد الآسيوى).

(٣) *B. Hrozny* (١٨٧٩ – ١٩٥٢) مستشرق وأستاذ فى براغ.

(٤) *E. Diez* (١٨٧٨ – ١٩٦١) مؤرخ فن فى فيينا.

(٥) *J. J. Obermann* (١٨٨٨ – ١٩٥٦) مستشرق وأستاذ فى هامبورج، ونيويورك (المعهد الدينى اليهودى) ، ونيو هافن (جامعة ييل)*New Haven (Yale University)*.

٤ نوفمبر

قبل ظهر اليوم واصلت محاضرات تدريسى فى السيمينار (والخاصة بـــ *Sa • adjah*) والتى قطعتها بسبب سفرى إلى فيينا. لم أر فى حياتى - على مدار خمسة وأربعين عاما من عملى بالتدريس - من مستمعين مثل هؤلاء الرعاع المنحطين الحاضرين فى هذا الفصل الدراسى (وأيضًا بالجامعة).

وبعد المحاضرة جاءنى الدكتور "شرايبر **Dr. Schreiber**"[١] (وهو الوحيد الذى له قيمه من بين المستمعين) وأظهر لى حديثا صحفيا لأحد الصحفيين المجريين مع "سنوك **Snouk**"، نُشر فى صحيفة "*Világ*" بتاريخ يوم ٣ من هذا الشهر. وقد اهتم التقرير فى هذا اللقاء إلى حد كبير بإبراز شخصى المتواضع وعرض صداقتنا على مدار خمسة وثلاثين عاما.

أفيما يفكر أهل بودابست إذًا حين يتم الكشف هكذا عن جوانب شخصيتى/

٢٩٥

١٦ نوفمبر

احتفلنا مساء اليوم بعيد ميلاد عزيزتنا الغالية "ماريسكا" (١٥ نوفمبر). وبلغنى مع احتفالنا بهذه المناسبة خبر مفاجىء: حصولى على شهادة دبلوم أكاديمية العلوم ببفاريا؛ وهو الدبلوم الفخرى رقم ٢٠ (انظر ما ذكرته آنفا فى هذا الشأن بتاريخ ١٥ سبتمبر). وكانت أكثر من شعر بالفرحة العارمة هى ابنتنا صاحبة عيد الميلاد التى اعتبرت ذلك الخبر بمثابة هدية عيد ميلادها.

---

(١) انظر *A. Schreiber*: يوميات اجناس جولدتسيهر، المجلد الأول، بودابست ١٩٤٨، ص ٤٢٤، تحت رقم ٦٣٨.

٢١ نوفمبر

انعقدت بعد ظهر اليوم تحت رئاسة الدوق "جوزيف فرانس ***Josef Franz***" لجنة مجلس إدارة المعهد العلمى بالمجر التى تشكلت بشأن القسطنطينية. وبعد الجلسة أدار الأمير الشاب المحبوب محادثات مع الأعضاء، ثم تناقش معى مستفسرا عن "الحرب المقدسة" وعن "قبائل شعب البربر بشمال شرق الجزائر ***Die Kabylen***".

٢٢ نوفمبر

على مدار الأسبوعين الأخيرين، منذ عودتى من رحلة فيينا، انشغلت بدراسة وعمل اقتباسات من كتاب الباطنيين للغزالى. وقد حصلت على صورة فوتوغرافية للمخطوطة اليدوية التى نشرتها (يونيكوم ***Unicum***) وهى التى ترجع إلى جنوب الجزيرة العربية (وهى نسخة شديدة الصعوبة حيث لا تحتوى على علامات التنقيط)، وبعث لى بها بكل احترام وحب من زيوريخ (هرتز باشا ***Herz Pascha***)، وقد حصل عليها من مالكها الأستاذ "جريفينى ***Prof. Griffini***"[١] (ميلانو) حيث البلد الأكثر شقاء فى العداء، ومرفق بها خطاب (باللغة الإيطالية) بأسلوب دمث كأن كل شىء بين بلداننا على ما يرام. واليوم انتهيت من هذا الكتاب العصيب.

عام ١٩١٧

٢٠ يناير

[ملصق بالنسخة المكتوبة باليد[٢] فى هذا الموضع القصاصة الصحيفة التالية:

---

(١) *E. Griffini* (١٨٧٨ - ١٩٢٥) مستعرب إيطالى.

(٢) وهى مدونة باللغة المجرية.

أعلن بالصحيفة الرسمية الصادرة اليوم أن "فرانس هانوى *Franz Hanuy*" – أستاذ علم اللاهوت بجامعة بودابست قد قرر رفع درجة المرتب التى يحصل عليها الأستاذ الجامعى "أجناس جولدتسيهر" المستشرق الشهير، بناء على أمر من الملك".

٢٧ يناير

اعتقدت أنه ينبغى على أن أقنع – من حيث الشكل – بالعزف على نغمة هذا الحدث الجلل، وأن أقوم بزيارة شكر لوزير المعارف. ولحسن الحظ التقيت فى حجرة السكرتارية – حيث يتحتم على كل زائر التعبير/ عن [٢٩٦] آداب الزيارة بالانحناء وكلمات التملق – من أصدر القرار، وشريكنا الخامس "هانوى *Hanuy*"[١]، رئيس الدير وأستاذ بكلية اللاهوت، وتمكنا من الذهاب سويا إلى طريق صلب المسيح. استقبلنا الوزير "يانكوفيتش *Jankovich*" – بالمكتب الذى كان البارون "اتفوس *Eötvös*" يجلس به – بحفاوة وترحاب. وقال إنه استقبل مشروع الجامعة باندهاش. فقد اعتقد – وفقا لقوله – أننى ترقيت إلى هذه الدرجة بالفعل منذ زمن طويل. وهذا ما يعرفه عن شئون جامعته، ولكن من الهطالة تجاهل جولدتسيهر! وفى هذه الأثناء كنت أتلقى أيضًا التهانى، ومن بينها خطاب تهنئة رقيقة من وزير العدل "بالوج *Balogh*"، وكان فى السابق سكرتير الدولة بوزارة المعارف عندما سعى الأمير أحمد فؤاد[٢] لدى كل من الأرشيدوق "فرانس فرديناند *Franz*

---

(١) *F. Hanuy* (١٨٦٧ – ١٩٥٣) مؤرخ كنسى، وأستاذ جامعى ببودابست.

(٢) الملك أحمد فؤاد الأول، ملك مصر بعد ذلك، وكان أنذاك رئيس الجامعة المصرية. [عونى]

"*Ferdinand*" والوزير "أرينتال *Aerenthal*"، والوزير "خوين هيدرفارى *Khuen Hédervàry*" لتوفير الإمكانات لي للسفر إلى القاهرة لعقد سلسلة من المحاضرات. "يا جلالة الملك "فيسفاميترا *Visvamitra*" – إننى كنت المعنى بذلك – يا لك من ثور أحمق!

٢٨ يناير

أمر آخر عن حجرة السكرتارية لوزير المعارف: التقيت هناك الدوق "فون كليبلزبرج *Graf von Klebelsberg*"(١) الذى ترقى مؤخرا لمنصب سكرتير الدولة، وهو فى السابق ربيب مدرسة "شتولفايسنبورج *Stuhlweissenberg*" الثانوية، وعلمت منه أنه يرغب فى إقامة احتفال بيوبيل هيئة تدريس طائفة السيسترسيان. وكتلميذ سابق بمدرسة شتولفايسنبورج فقد رجانى أن أنضم إلى الرياسة الشرفية لهذا الاحتفال، وقد لزم على بطبيعة الحال قبول ذلك الشرف كسليل دائم الامتنان لانتمائى ذات يوم لهذه الطائفة الدينية الطيبة محل التقدير بالدولة.

لم أعبأ بالمديح الفياض الذى قوبلت به من عباس *Abbas* الذى كان يرافقنى، والذى لم يكف عن ترديده فى حجرة الوزير، حيث قال إنه قد طوّف من قبل بمدن إنجلترا، ولما علم القوم بقدراته باعتباره أستاذا مجريا، كان عليه أن يجيب عن الأسئلة التى وجهت إليه مرارًا عما إذا كان يعرف جولدتسيهر، وماذا يفعل جولدتسيهر. وعليه فقد اكتشفنى هو الآخر فى إنجلترا!

---

(١) *Graf K. Klebelsberg* (١٨٧٥ – ١٩٣٢) أصبح وزير الثقافة بعد ذلك.

٨ فبراير مساءً

زارنى منذ عدة ساعات واحد ممن استمعوا إلى أثناء المناقشة بقاعة السيمنار (*Seminar*)، وهو أحد من يعدون للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة، اسمه "ريشوفسكى *Reschofsky*"[١] لتوجيه بعض الأسئلة بشأن رسالته. وفى ثنايا حديثه معى قدّم أعظم افتتاحية تشخيصية: لم يكن هؤلاء المستمعون بالسيمنار (سيمنار الحاخامات) يزورونه للإفادة مما ينفع وظائفهم الدينية. ولم يكن لدى أى منهم رغبة فى استماع هذه المحاضرات التى يعتبرونها مضيعة للوقت، وأن لا فائدة منها، ولهذا السبب لم تلق عندهم قبولا حسنا، ولكن لأسباب خارجية لا صلة لها بالعلم والتعلم (وأغلبها تحمل دوافع مستنكرة) كانوا يلتحقون بالمعهد الذى لا يهتمون بمواد الدراسة به أى اهتمام. وقد أغلق الطابق العلوى للسيمنار - بعد وقت قصير - لقلة عدد الطلاب. ولهذا لم يكن هناك داع لشغل كراسى للوظائف الجامعية بالمعهد، [٢٩٧] وكذلك الكرسى/ الجامعى الذى أشغله لأن أكثرية المستمعين يعتزلونه.

وبهذا الأسلوب كانت نظرة المسئولين أيضًا والإجراءات التى اتبعوها بشأن تعليم مذهبنا المجرى، وبمثل هذه النتيجة كنت قد تنبأت قبل ٣٥ عاما أو ٤٠ عاما، وقمت بإبلاغها لبعض القوم، ولكنهم أنكروا على القول بذلك.

١٢ مارس

تسلمت من الأستاذ "فيلهلم روشر *Wilhelm Roscher*"[٢](من دريسدن *Dresden*) كتابه الجديد "العدد ٥٠ فى الأساطير" إلخ " *Die Zahl 50 in*

---

(١) *A. Reschofsky* (*1889-1944*) حاخام فى كل من *Nagyatád* و *Abony* و *Losone*.

(٢) *W. Roscher* (١٨٨٩ - ١٩٤٤) عالم فقه اللغات القديمة وموجه دينى، أستاذ بجامعة جوتنجن.

Mythos...etc.". وقد اندهشت من كتابة ملاحظته بأن الكتاب إهداء "لي" (باعتبارى مشجعا لأعماله).

٢٢ مارس

ثانى مسلم يدعى بكير صدقى - وله هيئة مغولية - يقوم بالتسجيل مستمعا لحضور سيمنار الزمالة.

٢ مايو

أسبوع عظيم لأكاديميتنا. الأمور تسير هنا ببعض اضطراب فى التفكير. لقد اقترحت أن يعين الأستاذ "ياكوب *Jacob*" عضوا من الخارج بالصف الأول الذى أقوم بالإشراف عليه للأسباب التى ذكرتها بملحق العرض. ولم تبد هذه الأسباب كافية لدى مجموعة الجهلاء، ومن ثم كانت النتيجة التصويت بالصف فرفض الاقتراح، وعدم تعيين هذا الرجل الذى يخدم المجر. ولا أريد أن أعد هذه الفضيحة إهانة لي شخصيا، وعلى أية حال لم يكن مثل هذا الأمر غير متوقع.

٧ مايو

يبين الملحق أننى قمت بدعوة النخبة الأكاديمية لجلسة مغلقة فى هذا اليوم كى أعلن استقالتى من مهمتى، إذ إن المرء سيكون مذنبا فى حق وظيفته، لو تقبل مكائد - مثل تلك التى دبرت "لياكوب *Jacob*" وهوت به - بمنتهى الهدوء. ومن ثم وضحت للقوم الأمر فى خطبة اتسمت بالشجاعة فى الحديث والرصانة فى الخطاب، وعارضتهم فى قرارهم. وقد ترأس "بوتى

"*Beöthy*" هذا الجزء من الجلسة، نظرا لأننى لم أرد أن أكون أثناء التفاوض على رأسها فى مسألة تتعلق بى شخصيًا.

وبعد أن انتهيت من كلمتى أعلن الحاضرون بالإجماع عن ثقتهم فى شخصى، ورجونى أن أسحب استقالتى، فامتثلت لذلك، وشعرت بأن ذلك أعاد لى كرامتى، بخاصة أن استقالتى أحدثت إثارة بالصحف المعادية للأكاديمية، وراحت تشنع تشنيعًا على جلستنا. ورغم الكراهية السائدة، فظنى أن المسئولية تقع فى هذا الأمر على عاتق المعهد./

٢٩٨

١٠ مايو

موجز وفقا لما ورد فى تسوجليجت

تحتم علىّ صباح كل يوم أن أشارك "اللاهوتيين" فى مؤتمر لسيمنار الأحبار لمناقشة الأحوال الراهنة بالمعهد (٨ فبراير)، وعرض الحاخام الغبى "هيفيسى *Hevesi*" نظرية مضمونها أن الأحبار لا حاجة لهم بالعلم، بل إنه خطر عليهم. كذا!! وأضاف إنه يجب عليهم فقط أن يستطيعوا الوعظ باللغة المجرية. وكلما كانت معلومات الواعظ أكثر سطحية أصبحت قدرته على التاثير أفضل – بالنسبة له وللعالم.

أول يوليو

جلسة الكلية لانتخاب عميد سنة ١٩١٧ – ١٩١٨. دار الحوار بالجلسة بأكملها فى ظل موضوع لم يعرض بالجلسات السابقة؛ معاداة السامية. وكان

الهدف الرئيس التصويت على تسجيل ثلاثة يهود بالدراسات العليا؛ حصل أولهم بالكاد على الأصوات المطلوبة بصوتين مرجحين، وأما الآخران فكان الرفض مع التهكم على تجاسرهما للتقدم للتسجيل. وكان أحدهما، وهو "روهايم **Róheim**"(١) يريد أن يقدم رسالة فى علم الشعوب البدائية **Ethnologie** للحصول على درجة دكتوراه الأستاذية *Dr. Habil.*، ولم يوافقوا على طلبه، ولم يتجاوز عدد الأصوات التى ألقيت بصندوق الاقتراع السرى على الربع بالنسبة لهذا الشاب اليهودى.

وقد سيطرت روح المعاداة للسامية على انتخاب العميد أيضًا. كان الدور علىّ لأكون المرشح لهذا المنصب من الناحية الرسمية. وقد أظهرت نتائج فرز الأصوات السرية بعد التصويت عن أن ثمة ثمانية عشر صوتا فقط ضدى. وحيانى العميد، وهنأنى باعتبارى التالى له فى العمادة فى الخريف القادم، معبرا عن ذلك بطريقة مجاملة. وكان لزاما علىّ أن ألقى كلمة شكر، رغم ما يمليه على شعورى الداخلى بأن ألقى فى وجوههم رفضى لهذا التوقير المزعوم بفوزى لعمادة هذه الكلية المتميزة؛ إذ أسفرت النتيجة عن أن ثلث الأعضاء ضدى - باعتبارى يهوديا. كما حدث قبل إجراء التصويت أن أفزعنى بعض الأعضاء من جمعة الأموال من توقعهم بأننى سأعانى عدم الاعتبار فى عام الحرب هذا عند تولية هذه المكانة المرموقة فى غير هذا التوقيت، ولهذا كان من المتوقع رفضى لتقلد شرف هذه العمادة، حيث ستكون بالنسبة لى حكما بالعبودية والإذلال، وكان من

---

(١) **G. Róheim** (١٨٩١- ١٩٥٣) محلل نفسى، وعالم بالسلالات البشرية والأجناس (أنثروبولوجى)، وعين بعد ذلك بمستشفى بولاية وركستر، وبمعهد التحليل النفسى / بنيويورك.

المفترض أن يستند رفضى للمنصب إلى هذه النبوءة، فضلا عن إنه سيتحتم علىّ ألا أشتغل بأى عمل علمى طوال السنة، وسأخضع على الدوام لنوايا شريرة، وسأعانى أمورًا بائسة، وبيئة وضيعة. ليتهم قدموا لى التعازى وليس التهانى.

٦ – ٧ يونيو

توفى الرجل الطاعن فى السن "بينكاس بوشلر ***Pinkas Büchler***"[١]، وهو الحبر القدير، ووالد ابن أختى "ساندور ***Sándor***". وهذا يجعلنى مضطرًا أن أسافر إلى مور ***Mór***./ ولم يكن الأمر سهلا، لأن السكة الحديدية من [٢٩٩] شتولفايسنبرج ***Stuhlweissenberg*** إلى مور ***Mór*** كانت معطلة. واضطررت إلى استخدام سيارة السيد "روزن سفايج ***Rosenzweig***" فى صحبة الحاخام "شتاين هرتس[٢] ***Steinherz***". وفى العودة قبلت دعوة الصديق القديم "هيرمان فون فيرتهايم ***Hermann von Wertheim***" لقضاء الليلة بفندقه، ولكنى لم أشاهد مدينة والدى، إذ إننى وصلت المدينة الساعة العاشرة مساءً، وكنت أرجو أن أسترجع ذكرياتى الجميلة فى صباى.

وعند دفن الجثمان ألقى كثير من الأحبار كلمات وداع، وألقيت أنا أيضًا – أمام القبر المفتوح – بعض كلمات تأبين أودع بها الميت وأهديها له، إذ كان إنسانا نموذجيا، كما كان رجل دين نموذجيا أيضًا، وطالما رحب بى فى محبة واحترام.

---

(١) ***P. Büchler*** (١٨٤١– ١٩١٧) حبر فى فيلك– سالجوتارين ***Fülek-Salgótarjan***.

(٢) ***J. Steinherz*** (١٨٥٦– ١٩١٧) حبر ناجيتاد وشتولفايسنبرج ***Nagyatad und Stuhlweissenberg***

١٨ يونيو

كان علىّ فى الثانية عشرة صباحًا أن أقوم بامتحان الطلاب الراغبين فى الحصول على درجة الدكتوراه من شباب اليهود الذين يحضرون السيمنار، وأصبت بخيبة أمل لما لقيته من فضيحة الجهل العلمى الذى يعانيه بعض الطلاب. ووقعت اليوم على أقصى درجات الجهل عند امتحان "ريشوفسكى *Reschofsky*". كان الرجل على درجة مفضوحة من الغباء، رغم أننى لم أسأله إلا عن أمور عبرية أولية. ولم يكن عند ممتحن الدراسات الدينية اليهودى أى معرفة عن هذه الأوليات، كان جهله مطبقا، وبذلك تركته يرسب فى الامتحان مثل الممتحن الذى سبقه.

ما هــذا التجديف على الله! من الذى يتحمل انتهاك قداسة الجلالة[١] ولا يشعر بالذنب؟ هل هو الشاب (*Bocher*)[٢] أم ممتحنه اليهودى المشتبه فى أنه ينتمى إلىّ الحزب المذهبى المعادى للجامعة المتهم بالخيانة عندما يوجه مثل هذا الجاهل إلى شرف التقدم لامتحان دكتوراه الفلسفة؟

٢٣ يونيو

عيد ميلاد. أرسلت إلى "ماريسكا *Mariska*" (أغلى طفل بالنسبة لى) سيفا هدية يتناسب مظهره مع حُلة العمادة الرسمية ويكتمل به هندامها. وفى هذه الأثناء بدأ رفاق العقيدة (اليهودية) يطرقون عنقى بالمديح ليزيدوا حياتى مرارة بسبب العمادة. عاد "إيجينلوزيج *Egyenlóség*"[٣] مرة أخرى يهاجمنى

---

(١) "قداسة الجلالة" = كتبها بالعبرية *Chillul ha-schem* (تركيب إشكنازى [خلليو هاشيم] – (عونى)

(٢) الشاب = *Bocher* بالعبرية *Bachur* – (عونى)

(٣) *Egyenlóség* – ١٩١٧ رقم ٢٣.

بطريقة غير مستساغة. لم يتركـــونى قـــط أعيش حياة هادئة بكراهيتهم لى أو بتوقيرهم.

٢٨ يونيو

إلحاقا بما سبق جاءنى جميع أنواع التهانى التحريرية، ووصل إلىّ أيضًا شعر باللغة العبرية من الحاخام "فيلدمان *Feldmann* "[١]، ولكن أعجب ما وصل إلىّ جاءنى يوم ٢٧ يونيو- محررات موجزة/ من مضبطة ٢١ [٣٠٠] يونيو لهيئة تدريس سيمنار"فرانز جوزيف *Franz- Josef*" يعبر عن افتخاره بأن رجلا مثلى أصبح عميدًا فى معهده. وحدثت بعض الإشارات والعجائب، ولكن أمرًا جللا مثل هذا الحدث ونقل مستخلص من تقرير جلسة أمر لا صلة له بالمنطق وغير مفهوم.

٢٤ يوليو

قرأت بالصحيفة اليومية عن موت إنسان تضافر اسمه فى زمنه بتاريخ معاناتى فى سنوات الطفولة، واسمه فى غاية البساطة: "إمرى *Imre*"، وهو البارون "سيزالاى *Baron Szalay*"[٢] – مدير المتحف المجرى الوطنى. وهو رجل لا قيمة له وبلغ أعلى مكانة بالمحسوبية، فهو زوج ابنة المرحوم غير المأسوف عليه "تريفورت *Trefort*"، وكان سكرتيرا لمكتب رياسته فى تلك الآونة التى أوقعنى فى حبائله وأطاح بكرامتى، وفضلت أن أتوارى بمحض إرادتى. وكانت دعوة تريفورت إلى للمثول أمامه لمواجهة خديعته مرتبطة باسمه

---

(١) *M. Feldmann* (١٨٦٠- ١٩٢٧) حبر فى بودابست، وأستاذ بمدرسة اللاهوت المحلية.
(٢) *Baron I. Szalay* (١٨٤٦- ١٩١٧) مدير المتحف المجرى الوطنى.

وبتكليف من رئيسه. وقد ذكرتنى الصحيفة بهذا عندما قرأت نعيه، وجعلت من هذا القزم بطلا يستحق الشكر لما قدمه لتاريخ الوطن وحضارته. أما عن سبب وفاته فقد قيل ارتجاج فى المخ، ومن المرجح أن يكون هذا هو السبب.

٣ أغسطس

زارنى اليوم الأستاذ "هيللر *Prof. Heller*"[١]، وكان تلميذى النبيه. علمت منه المعلومة الأدبية التالية التى لم أعرفها مطلقًا: جاء فى عدد من أعداد المجلة الطائفية المصورة "*Múlt és Jövő*„ ما يتعلق بأحكام لرجال يهود فى الحياة العامة عن قيمة مذهب التجديد الدينى *Neologism* وممثليه، وذكر بها "أن إجناس جولدتسيهر، وهو من الشخصيات المجرية اليهودية المشهورة، ذكر فى تصريحاته: إن دين التجديدية ليس إلا بمثابة جثة فى وضع تحلل، وتسهر الغربان على ألا تستوطن روح فى الجيفة".

وفى العدد التالى للصحيفة ذاتها نشر عنى خطاب صريح باعتبارى البطل الذى يحاول أن يكون ضمن الشخصيات الرائدة فى التجديد، وأننى أنكر هذا التصريح".

إننى لم ألمس هذه الصحف الطائفية بإصبعى (سفر اللاويين ١١، ٤٣)[٢]، لذلك لم أعلم بهذه الأمور إلا عندما أخبرنى بها هيللر، ولم أطالع هذا كله بعينى.

---

(١) *B. Heller* (١٨٧١ – ١٩٤٣) أستاذ أدب شعبى ومستشرق، أستاذ بمدرسة الأحبار ببودابست.

(٢) إشارة إلى الموضع التالى بسفر اللاويين: "لا تُدنسوا أنفسكم بدبيب يدب، ولا تتجنسوا به، ولا تكونوا به نجسين".

هل صدر عنى هذا التصريح حقا، ومن هو هذه الشخصية الرائدة اليهودية المجهولة الكفيلة بكتابة التصريح بهذه الصورة. لا علم لى بذلك./ على أية حال فإننى قمت بالرد على هذا السؤال بكتابى "محاضرات عن [٣٠١] الإسلام" على صفحة ٤٧، السطر ٣٠[١].

١٣ أغسطس

قضيت فترة الصباح كلها - خلسة من عملى المحبوب - فى صحبة العميد "كوفيسليجيتى *Kövesligethy*"[٢]، وذهبنا لنتوسل لدى وزارة الدفاع ووزارة التعليم فى مسألة إعفاء "سارفارى *Sárváry*" - وهو موظف بسيط بإدارة العمادة - من الخدمة العسكرية. أى وقت ضائع يتعذر تعويضه! وألقى ضياع وقت العمادة بظله بطريقة وحشية. ترى ما الذى سيعترينى فى العام المقبل (أى سنة العمادة) ! وأى معاناة سأمر بها!

١٥ أغسطس

فى الدورات الحرة التى يعقدها المركز الاقتصادى المجرى الشرقى ألقيت بالأمس (من الساعة ٩ مساءً إلى العاشرة إلا ربعا) محاضرة عن الإسلام والحياة الاقتصادية "*Islam und Wirtschaftsleben*" وفقا لما طلب منى. وكان من المفترض أن يكون موضوع المحاضرة (الذات الجوهر للإسلام "*Hauptbegriffe des Islam*")، إلا أن ما كان محل تمهيد للموضوع قد تحول فى خضم النقاش الحر للمحاضرة إلى الموضوع الرئيس. وكان عدد

---

(١) إن هذا التصريح يقترب من أسلوبى فى الحديث والكتابة، ولكننى لا أستطيع أن أؤكد أننى قائله.

(٢) *Kövesligethy* (*1862-1934*) فلكى، أستاذ بجامعة بودابست.

المستمعين يبلغ ١٦٠ - ١٨٠ مستمعًا، وكانوا ينصتون بانتباه شديد، مستحسنين ما يسمعون. وقد أكدت لى "لاورا *Laura*" [زوجة جولدتسيهر] - التى كانت حاضرة - أننى أفلحت فى عرض ما تناولته بصورة سليمة، رغم أنه فى الحقيقة لم يكن فى صلب الموضوع.

١٦ أغسطس

تلفنت لى السيدة "كوفيسليجيتى *v. Köveslígethy*" بتكليف من زوجها لتسألنى إن كانت حُلتى الرسمية التى أرتديها بالمناسبات جاهزة أم لا، إذ ينبغى أن أمثل زوجها باعتبارى العميد للكلية - فى الاحتفال بموكب "شتيفان *Stephan*" مرتديا هذه الحُلة، ولم تكن الحُلة جاهزة، ومن ثم لا أستطيع رسميا أن أكون بين يدى القديس شتيفان، ولكن ماذا يخفى عنى بمستقبلى فى هذه السنة القادمة [الذى سيكون عميدًا فيها]- حماقة وخديعة.

١٨ أغسطس

مارست اليوم - بعد الظهر - أول عمل بحكم وظيفتى بالعمادة ممثلا للكلية بدلا لسلفى مؤقتا، لعدم استطاعته حضور حفل تأبين أستاذ علم الحفريات النباتية "لورنتاى *Lőrenthey*"(١) الذى توفى فجأة. فارتديت حُلتى، ووضعت سلسلة العمادة الذهبية حول عنقى، وسرت على يسار رئيس الجامعة الذى يرتدى ثوب كهنة السيسترسيان - الأستاذ "ميهاليفى *Mihályfi*"(٢). وقد اعترض القسيس الكاثوليكى المتعصب (ولعله عدو لليهود أيضًا) على

---

(١) *R. Lőrenthey* (١٨٦١- ١٩١٧) أستاذ علم النباتات بجامعة بودابست.

(٢) *A. Mihályfi* (١٨٦٣- ١٩٣٧) رجل دين، أستاذ بجامعة بودابست.

رؤيتى أسير بجانبه، كتفا إلى كتف وأخطو بجواره. وكان يمكننى أن أشعر بهذا من تعبير على قسمات وجهه. وبهذا كان أول عمل أزاوله بالعمادة نذيرا بالشؤم – السير بجنازة!/

٣٠٢

أول سبتمبر

تسلمت بعد ظهر الأمس العمادة من سلفى، أى كل ما يتعلق بالمذكرات، ومصروفات العمادة، ودفاتر السجلات، وأى أوراق أخرى تصل إلى العمادة. وبدأت من اليوم أتقلد مهمتى وأصرف شئون العمادة فى أوقات العمل الرسمية (أى خمس ساعات فى الصباح ممتدة إلى ما بعد الظهر) بفهرسة السجلات الجديدة والتوقيعات، والإجابة عن أسئلة الذين يحضرون للاستفهام عن الأمور الرسمية بالكلية. والترحيب بزيارات الأساتذة الزملاء. والحق أن هذه الزيارات كانت أكثر الأشياء مضايقة.. يا إلهى! آه لو علمت ما يبطنون!

وعلى هذه الوتيرة ستمر السنة القادمة، وقد تحفل أحيانا ببعض المشاكل المزعجة. آه.. يا حسرتى على حياتى العلمية!

٧ سبتمبر

كان ظهورى لأول مرة عميدا للكلية صباح اليوم، وكان الأمر محتملا، ولكن ما لم أحتمله وقاسيت منه صامتا الهذيان الذى لا يمكن احتماله، والذى لا ينقطع من هؤلاء الثرثاريين. أى وقت ضائع يتعذر تعويضه!

١٠ سبتمبر

كان الظهور صباح اليوم لأول مرة رسميا فى مجلس إدارة الجامعة بملابس الرؤساء الرسمية، وبطبيعة الحال يغلب عليه طابع الحزن، بلا أى

زينة لحضور صلاة الجنازة على المرحومة الملكة "إليزابيث *Königin Elisabeth*" بكنيسة ماتياس.

وقد أخذنى حاجب فى ملابس فرسان الهوزار من حى الهوللو *Holló* فى عربة مفتوحة معه، وهو يجلس فوق كرسى الحوزى عبر سقيفة حارة الطبل *Trommelgasse* بين صفين من الرهبان البولنديين مصطفين فى هندام أصيل. ترى أى أمر فكروا حينما طلعت عليهم بمظهرى، ولكن من المؤكد أننى ظهرت فى مدينة جولوز *Golusz*، وكأنى شخصية مجرية محترمة.

١١ سبتمبر

فى الوقت الذى كنت أعانى فيه بعد ظهر يوم أمس متاعب إدارة الجامعة، قام بزيارتى هنا فى أوفينكل *Auwinkel* أستاذ اللغات السلافية بمدينة ليبزيج *Leipzig* السيد "موركو *Prof. Murko*"(١) واستطعت معه أن أستعيد ذكريات ليبزيج. وعلمت منه أن ليبزيج أنشئ بها معهد للدراسات الإسلامية، وكان من الأولى أن تكون بودابست هى المركز لهذه الدراسات. ولكننى هنا بما لدى من نوعية المستمعين "المساكين" الذين لم يتقبلوا علمى منذ ثلاث سنوات/ لا أستطيع أن أغريهم بالدراسات الإسلامية، وماذا سيكتب بكل البلاد بالنسبة لمكانتى تجاه هذا العلم سنة بعد أخرى.

١٤ سبتمبر

تضافرت مع الموقف البشع الذى وجدت نفسى فيه بهذه العمادة حالة غير مريحة من تأنيب الضمير التى تسببت فى قضائى ليالى قلقة محمومة،

---

(١) *M. Murko* (*1861-1952*) أستاذ اللغات السلافية بجراتس، وليبزيج ، وبراغ *Graz, Leipzig, Prag*

ومرجعها: المناسبات الخاصة بالأعياد اليهودية وعلاقتى بها، ثم المشاركة فى احتفالات الكنيسة بالمسئولين بالدولة، وهى تتسم بالغنوصية والأفلاطونية الجديدة ولا تؤمن بالتوحيد، ويتحتم على عمداء الكليات المشاركة بها على المستوى الرسمى وبالثياب الرسمية. ويتساوى ضميرى (ولا أظن أن هذه المعادلة ضرب من التصوف) مع تأنيب الضمير هذا حين يوضع فى الحسبان أن عدم المشاركة فى كل هذه الأمور يستغلها الأعداء باستمرار، ويقدمونها دليلا على أنه من المستحيل داخل الديانة اليهودية أن تتوافر المشاركة فى مناصب الدولة بكامل الكفاءة. وهذا ما يبرهن عليه جدل العجوز "هامان *Haman*" فى حجته القائلة: [عبرى][1]. لكن القلق المؤلم للنفس لا يفارق قلبى.

١٥ سبتمبر

قرأت اليوم – كى أشغل فكرى بموضوع آخر – الرسائل التى نشرها "فينيكه *Wieneke*" عن "كارولينا ودورتيا *Caroline und Dorothea*" شليجل *Schlegel* (هل الحقيقة: عن برايندل *Breindel* وكذلك عن فيرونيكا *Veronica*؟). والأخيرة ابنة "موزيس مندلسزون *Moses Mendelssohn*"، وبعد انفصالها عن "سيمون فايت *Simon Veit*" أصبحت صديقة لفريدريش شليجل، ثم زوجة له، وكانت بروتستنتية ثم عُمدت كاثولوكية. يا لها من رواية غير صحية! فالقارئ أمام رواية تدور أحداثها فى دائرة مجموعة من اليهوديات بالتعميد – رومانسيات ومثقفات ثقافة عالية تبلغ حد العالمية، يتنقلن من يد إلى أخرى– كما تدور فى فلك الديانة اليهودية اللائى يدن بالشكر فى فكرهن لها، ورغم ذلك لم يعزفن عنها فقط، بل يتهكمن ويسخرن بحماقة بنفس القدر

---

(١) سفر إستير، الإصحاح ٣، آية ٨.

عليها؛ إذ إن ابنة موزيس مندل (وهى تدعى أنه جدها الأكبر) تمقت اليهودية القديمة، ولهذا اعتنقت البروتستنتية ثم الكاثولوكية، وغررت بأبناء أبيها وقادتهم إلى الهاوية، ثم انغمست بفكرها وقلمها - وبخاصة بعد وفاة زوجها فريدريش - فى يم نصوص الأرض المقدسة. أهذه ابنة مندلسزون! وكانت تؤرخ خطاباتها وفقا لتقويم القديسين الكاثوليك، فنقرأ نعيها فى وفاة زوجها مقرونا بإقامة "قداسات أرواح الموتى" المقدسة، إلخ. كما دعت لأخ من أبيها ذاته بالهداية وأن تحل عليه الروح القدس الكاثولوكية حين قام برحلة ترفيهية إلى روما، وافترضت بدافع داخلى لا شعوري أن اليهودى المسن يقوم برحلته إلى روما من أجل ذلك.

ويبدو أن خصوم "حركة التنوير" التى قادها مندلسزون كانت لديهم نظرة ثاقبة تجاه ما أسفرت عنه نتائج طموحاته الجيدة والصالحة./

٢٢ سبتمبر ٣٠٤

المشاركة لأول مرة فى امتحان مواد إجازة الدكتوراه.

٢٣ سبتمبر

ظهرت باحتفال بدء العام الدراسى للمعهد العالى للصناعة والهندسة - ممثلا لمجلس الجامعة، وفى عنقى ميدالية رئيس الجامعة الذهبية.

٢٤ سبتمبر

على إثر حالة الغم التى أصابتنا من السفريات الإجبارية إلى المدينة لقضاء أمور تتعلق بالعمادة، وجب علينا اليوم بطقسه الخريفى الرائع أن نسلم

أنفسنا إلى مكان راحتنا بأوفينكل، وننتقل إلى حى مدينتنا النتن الملوث بالهباب. وذاك أيضًا نعمة من ربنا الذى ابتعدنا عنه بما حملناه من شرف الأعباء. أهل هناك أكثر من كل هذه الهموم والمضايقات!

٢٧ سبتمبر

الاحتفال بعيد الأضحى لدى عائلة عبد اللطيف، مهللين "الله أكبر"!

٣٠ سبتمبر

العودة من تمثيل مجلس الجامعة فى تومبا *Tompa*[١] بالاحتفال المئوى لجمعية "بيتوفى *Petőfi*". ركبت العربة الحنطور - يقودها هوزار بملابسه الأنيقة المزركشة. وحول رقبتى سلسلة الميداليات الذهبية، وسار بى فى حارة هوللو- والملك ***Holló- und Königsgasse***، فحملق اليهود الفقراء فىَّ- وهم يمرون بجوارى بما يحملون فى أيديهم من شارات محبة إعدادا للاحتفال "بعيد الأكواخ" غدا.

ماذا يعنى الوزير العجوز بهذه القلادة الذهبية حول عنقه، والحوذى الهوزارى المزركش يقود حنطوره؟

أقسم أنه كان أحب إلىّ أن أسير معهم، وشارة المحبة فى يدى عن أن أركب الحنطور مع الحوذى الهوزارى، والقلادة فى عنقى.

---

(١) ***M. Tompa*** (١٨١٧- ١٨٦٨) شاعر مجرى.

عام ١٩١٨

ليلة رأس السنة

منذ قليل غادرنا أطفالنا الأحباء وعائلة "فرويدنبرج **Freudenberg**"، وكنا احتفلنا بالجمع بين آخر السنة المنصرمة وبدء السنة الجديدة بنية خالصة. وكنت قبل ذلك بعدة ساعات قمت بالإراف على دفن أستاذنا العظيم دكتور"فانجل **Vángel**"(١) باعتباري العميد./

٣٠٥

منذ أن كتبت آخر يومياتي كانت وظيفتي عميدا، واهتماماتي الرسمية سببا لمتاعبي. ولكي أعرض هذا تفصيلا فإنني لست في حاجة للحديث عن العبودية المنهكة والتي لا فائدة فيها، إذ إن العمل العلمي هو السبب فيما وصلت إليه من حالة جمود، ولكنني أطالع على وجه السرعة كل ما يمكن قراءته في ساعات فراغي، وغالبا ما كانت هناك أشياء أقوم بإعدادها بالفعل منذ سنوات؛ ولكن أحيانا تتطلب الأشياء القديمة إسهاما لا يستهان به – تدوين بعض الملحوظات البسيطة تخص كتاباتي. على أية حال كتبت في شهر نوفمبر عملا صغيرا جديدا: "العشق الإلهي في اللاهوتية الإسلامية ***Die Gottesliebe in der mohammedanischen Theologie***"(٢). وربما لن يخرج كتابي عن القرآن إلى النور إلا بعد موتي، ووصل إلى طلبات بشأن نشره من "معهد المستعمرات بهامبورج ***Hamburger Kolonialinstitut***" ومن "مؤسسة دي خويه الخيرية ***de Goeje Stiftung***". ومن الممكن أن يلحق نشر هذا الكتاب بكتابي عن "الإسلام"، ولكنني أرجو أن أحصل على ناشر ألماني لديه مكتبة لبيع الكتب مثل دار نشر فيديريمو ***Vederemo***، ولكن هذه المكتبة لم يكن لديها ورق وأدوات طباعة إلا الآن.

---

(١) ***E. Vángel*** (١٨٦٤– ١٩١٨) باحث علم الحيوان. أستاذ بجامعة بودابست.

(٢) انظر ***B. Heller***، مرجع سابق، تحت رقم ٣٦٧.

قوبلت أمس بترحاب من رفاق فى العقيدة، وكنت أتمنى أن أبتعد عنهم، فإذا بأقربهم منى يشير إلى ملحق بالجريدة المسائية (*P. Ll.*) الصادرة بتاريخ ٣١ ديسمبر، وكتب فيه صاحبه عنى مقالا يصفنى فيه بأننى عالم مجرى، "وأننى سأكرم فى نصفى الكرة الأرضية" (حرفيا). ولكن يبدو أن صاحب هذه الكلمات قد نسى أن طرفى نصفى الكرة الأرضية ينتهيان عند نقطتين محددتين، وهى حارة "*Síp*" من ناحية، وحارة "*Laudon*" من الناحية الأخرى، حيث يتعرض كل "تكريم" منذ عام ١٨٧٦ إلى كل ألوان الحقارة والطعن والمكايد، بل ولا يزال مستمرًا بعد أن أنقذت عنقى (يوليو ١٩٠٥) من نيرهم. ولكن يمكنهم التصفيق لى فقط. فينبغى على كل من يقرأ الصحف أن يتأكد من أنهم لا يقفون خلف نصفى الكرة الأرضية عند أى "تكريم" فى مواجهة – إنسان مسكين، لم يسع مطلقا إلى تكريم له، سواء فى نصفى الكرة الأرضية، ولا فى حارة "*Síp*" أو حارة "*Laudon*".

[الجزء المذكور آنفا بالصحيفة مأخوذ من المقال الذى يحمل عنوان:

"الاحتفال بتحرر اليهود"، وجاء بالخبر ما يلى: "وعليه أخذ الحاخام دكتور "إلياس أدلر *Dr Dr. Elias Adler*"[1] الكلمة ليتحدث باسم اتحاد اليهود المجريين، ويرحب بالضيوف العديدين، ومن بينهم رائد اليهودية المجرية، والمؤلف "ميزاى *E. Mezai*"[2]، والوزير الأسبق دكتور "ليوبولد فاداتز *Dr. Leopold Vadász*"[3]، والعميد الأستاذ دكتور إيجناس جولدتسيهر وآخرون فى صيحات الجمهور "يعيش يعيش..". وقد قدم الأستاذ دكتور "كارل

---

(١) *E. Adler* (١٨٦٨- ١٩٢٤) الحبر الأكبر فى بودابست.

(٢) *E. Mezai* (١٨٥١- ١٩٣٢) كاتب صحفى.

(٣) *L. Vadász* (١٨٦١- ١٩٢٤) وزير ورئيس الجمعية الأدبية اليهودية.

سيبستين *Prof. Karl Sebestyén*"[1] محاضرة تحدث فيها عن دور اليهود فى الدراسات العلمية بالأمة المجرية فى نصف القرن الماضى.. ولم تتنه الصيحات "يعيش يعيش.." عندما استعاد ذكر المكاسب/ التى اكتسبها الوزير الأسبق ليوبولد فادتز الذى كان حاضر، والتى تجاوزت شهرتها حدود الأمة المجرية، فعرف العالم كله اسم العالم المبجل الأستاذ جولدتسيهر"]. ٣٠٦

١٦ مارس

تعيش أسرتى منذ أسابيع فى حالة هيجان، إذ إننا طولبنا بإخلاء مسكننا فى حديقة فيلش *Wellisch-garten* الذى نسكنه منذ ثلاث عشرة سنة – بطريقة تعسفية – مع التنبيه على وجوب قبول عش مؤقت – لأحد الأقارب – وضع تحت تصرفنا. وقد حرمتنا العمادة من التمتع برحلة ترفيهية بسبب واجباتها التى يجب أن أؤديها، وكذلك بسبب الدراسات الصيفية، مما جعل غيابى عن الجامعة ولو لفترة قصيرة مستحيلا. وليس من الميسور أيضًا أن نجد مسكنا بديلا بجوار المدينة بسبب الغلاء الفاحش للإيجارات، إذ يبلغ إيجار المسكن ذى الغرف المتواضعة خمسة آلاف كرونا، وهو أمر لا يمكن احتماله. ومن ثم أرغمنا على أن نقضى الصيف المرهق "بحارة هولو" ذات الرائحة الكريهة، والضجة الصاخبة.

يا لسوء حظى! لقد تمكنت فى اثنى عشر عاما من أن أفرغ من كتابة ثلاثة كتب فى الحديقة الصغيرة، فضلا عن كثير من الدراسات الأخرى، والآن – نتيجة ما اكتسبته من خبرة فى العمل بهذا المكان الشعبى الكريه – لا أستطيع ذلك.

---

(١) *K. Sebestyén* (١٨٧٢- ١٩٤٤) مدرس علم الجمال وأستاذ بمدرسة ثانوية.

١٤ إبريل

لوحظ علىّ أن جسدى ضمر وأننى أعطى انطباعا بالإجهاد المصاحب بالعصبية. ويبدو أن هيئتى تثير القلق، ولذلك خضعت للعلاج. وكل ذلك من جراء منصب العمادة، فلا شك أننى أعمل فى محيط خارج نطاق الإنسانية. ولا أرى أملاً فى راحة!

٢ مايو

فرغت من أداء مهمة أليمة وأحمد ربى على أننى أنجزتها دون أن يشعر بها أحد. فقد انشغلت طوال الأسابيع السابقة بمراجعة مكاتبات أكاديمية أمستردام المرسلة إلى عام ١٩١٦، ولاحظت أن معهد بودابست والمعاهد المجرية الأخرى مسجلة بالكتاب السنوى - بفهرس المعاهد التى تتبادل مراسلاتها مع أكاديمية أمستردام تحت عنوان *Oosterrijk* - دون أى تفرقة. واستنادا إلى أنه لم يلاحظ أحد لسبب أو لآخر - هذا الغباء منذ سنوات، الذى كان من الممكن أن يؤدى إلى "فضيحة" مدوية/ يستغلها المتطرفون -وهذه [٣٠٧] المرة عن حق- فى التنديد بنا، ومن ثم كان لزاما علىّ الإسراع فى تلافيها. وقد رأيت عدم جدوى اتخاذ خطوة رسمية لدى أكاديمية أمستردام، وسيحدث تغيير لهذا الوضع - على الأقل فى المستقبل - فى هدوء تام ودون طبل أو زمر. ولجأت إلى "سنوك *Snouk*" رجاء مساعدتى، وعندها علمت بأن الكتاب السنوى لعام ١٩١٧ قد تم طبعه وجاهز للإرسال بالبريد. فأصررت على ضرورة استبعاد الورقة المعنية فى هذا المجلد لعام ١٩١٧، واستبدل بها ورقة أخرى جديدة يوجد بها عمود خاص للمجر. وانتهى الأمر بأن كللت

جهود "سنوك" بالنجاح، ولله الحمد. وقد وصل إلىّ من الأكاديمية – رسميا – منذ قليل أن تغيير الورقة تم وفقا للمراد فى الكتاب السنوى لعام ١٩١٧. وبهذا تكون المعلومة قد صُححت فى هدوء بالنسبة للمستقبل، ولم تحدث أية فضيحة.

٢١ مايو

فى يوم ١٨ مايو نشرت الجريدة المسائية (*P. Ll.*) بصفحة الأدب ما كتبته عن الدراسة الفريدة التى نشرها "هيللر *B. Heller*" منذ أيام عن شخصية "عنترة – *Antar-Monographie*"[١]. وقد أهدى إلىّ الكتاب مرة أخرى.

٢٨ مايو

اشتد شعورى بالتعاسة. شعرت بآلام جسدية ونفسية حتى بدوت مريضا، واكتأبت، كما أن صحة زوجتى العزيزة "لاورا *Laura*" تبددت، وتملكنى الخوف والقلق عليها حين شاهدت علامات الضعف والهزال على وجهها. لم نكن نستطيع أن نستنشق هواءً منعشا. لقد أصبحت ضحية للعمادة الكرية التى جعلتنى أتهيج بلا سبب، إذ تأثرت بتعرف الأمراض الخلقية التى تصيب الزملاء، وتكاد تطرحنى أرضا، لم أشاهد فيهم سوى خلق وضيع تبخرت معه كل المعانى الطيبة، ولكن علىّ أن أعمل معهم، وفضلا عن ذلك فهم أعداء للسامية. وفى الأيام الأخيرة كان على – مع ضرورة التوقيع مئات المرات – أن أنفق وقتا طويلا فى جلسات لجان عديدة، ومع الأساتذة

(١) انظر *B. Heller* ، مرجع سابق، تحت رقم ٥٨٠.

المساعدين والزملاء وامتحانات الصيادلة، وإن كنت أجد ما يُسرّى عنى ويشرح صدرى فى خطاب أرسله إلىّ العالم المحبوب "نولدكه *Nöldeke*".

وفى اليوم الثلاثين من هذا الشهر (مايو) كان ينبغى علىّ مرافقة "موكب عيد القربان المقدس" مرتديا ثيابى الرسمية، ولو فعلت ذلك لمت فزعًا. فهل يصح – وأنا اليهودي المخلص لعقيدتى الموحد بالله – أن أشارك فى الاحتفال بإنسان قد أصبح إلهًا؟ كان علىّ أن أتخلص من هذا الموقف غير السار. إذ إننى سأكلف وكيل الكلية بذلك بنية خالصة، فهو كاثوليكى مؤمن، ويمكنه باقتناع أن يصاحب جثمان الإنسان الإله بأفخر ثيابه المجرية. / وبذلك نجوت عن هذا الإجبار المهين لعقيدتى، بل ولعقيدة الآخرين (لأننى أعتبر – من وجهة نظرهم أيضًا – مشاركتى ووجودى معهم فى هذا الأمر مهانة ووقاحة). وأحمد ربى على أن هدانى لهذه الفكرة. [٣٠٨]

١ يونيو

الخطوة الأولى على طريق الخلاص: أجريت انتخابات العميد لعام ١٩١٨ – ١٩١٩، وتم اختيار "مشوماد دافيد أنجيال *Meschummad David Angyal*"[1] الذى قاد فى العام الماضى حملة معاداة للسامية ضدى. وقمت بإلقاء خطبة توديع، والتى استقبلت استقبالا حافلا من الجميع.

٧ يونيو

ترأست وفدا من الأساتذة وتوجهت به إلى وزير التعليم بهدف التأثير عليه فى ترك كل من الأستاذين "بوتى *Beöthy*" و"هيجيدوس *Hegedüs*"[2] فى

---

(١) *D. Angyal* (١٨٥٧– ١٩٤٣) مؤرخ وأستاذ بجامعة بودابست.

(٢) *S. Hegedüs* (١٨٤٨– ١٩٢٥) أستاذ اللغات القديمة، ومترجم، وأستاذ بجامعة بودابست.

عملهما بالتدريس بعد تقاعدهما على المعاش. وقد نجحت المهمة بامتياز، إذ إننى قريبا سيأتى على الدور، ولن يتوجه أى وفد إذ ذاك للتحدث مع الوزير.

فى هذه الأثناء وقع على عاتقى عمل مجهد فوق طاقة البشر فى أعمال العمادة بشأن إرسال خطابات مسجلة للطلاب المصرح لهم بالتغيب عن الدراسة لأداء الخدمة العسكرية. كدت أسقط مغشيا علىّ من أعمال السخرة هذه. ويا ليت بعد كل ذلك نقابل بالشكر، بل بكثير من الغضب والقرف.

٣١ يوليو

لعل اليوم هو "يوم عيدى" – اليوم الذى كان يدق فيه جرس أجناس الكبير بمدرسة السيسترسيان الثانوية ببلدى شتولفايسنبورج ***Stuhlweissenburg*** للاحتفال بمنحنا الإجازة. كنت أشعر بكثير من الفخر فى الاحتفال بنهاية الدراسة بالمدرسة حين أتسلم الكتب المهداة لى من يد ابينا المسن "جيرلاخ ***Gerlach***". إننى احتفظ بهذه الكتب كوثائق على بهاء هذا الزمان حتى يومنا هذا. نعم.. كان يوم فخر بصبية تتراوح أعمارهم بين ١٢ – ١٥ عاما! لا يفى أى فخر وشعور بالاعتزاز بعد هذا مثل هذا الفخر بنجاح هؤلاء الصبية، فضلا عن الكتب والهدايا التى شكلت عقلى ووجدانى وصارت جزءا من رأسى العجوز.

منذ بداية هذا الشهر بدأت تهدأ حدة المهام الخاصة بالعمادة، ورغم ذلك كنت أقضى ساعات طوال كل يوم بمكتبى فى إدارة العمادة لأداء الأعمال، ويا لها من إنجازات!

استقبلت فى الأيام الأخيرة زيارتين ممتعتين. كانت الزيارة الأولى من الأمير السورى "شكيب أرسلان *Schakīb-Arslân*" الذى أراد أن يتعرف على "صاحب كتاب الملل والنحل". وجدته إنسانا غاية فى المعاصرة، وهو أيضًا يقرض الشعر فى شكل قصائد عربية قصيرة عذبة،/ ويذوب عشقا فى الأدب [٣٠٩] الإسلامى. وقد حكى لى عن كتاب تركى صدر حديثا للكاتب "محمود باشا غازى *Mahmud Pascha Ghāzī*" (والد جنرال أدرنة ومبعوث برلين)، وهو فى هذا الكتاب يتحدث عن دلائل الإعجاز القرآنى فى الاختراعات الحديثة. قام شكيب بدعوتى على طعام الغداء بفندق "بريستول آن دى" ولبيت دعوته بكل سرور.

كان لى أيضًا كثير من اللقاءات مع دكتور "يونجه *Dr. Junge*" الذى حضر إلى هنا ليلقى بالدورة الصيفية التى يعقدها المركز الاقتصادى الشرقى سلسلة من المحاضرات عن الاقتصاد القومى التركى حيث كنت رئيسا لها.

٢ أغسطس

منذ ثلاثة أسابيع يستجم أولادنا فى منطقة "السار *Szár*"، حيث حلوا ضيوفا على عائلة "كرونبرجر *Kronberger*"، وقد تسلمت منهم اليوم رسالة تهنئة عزيزة على نفسى، وضمنتها ابنتنا المحبوبة الغالية "ماريسكا" بطاقة مصرية من ورق البردى تهنئة لى فى "يوم عيدى".

١٧ أغسطس

منذ مدونتى الأخيرة السابقة فى يومياتى وأنا أعيش أسوأ أفعال اضطهادية من إدارة العمادة، وكأنهم بذلك أرادوا أن يجملوا لى طعم مرارة

هذه المهنة عند خروجي منها: جلسات عاجلة بالكلية مسبوقة بلقاءات ونقاشات مع أعضاء لا قيمة لها بهيئة التدريس. أما موضوعهم: مطالب مالية للتدريس أثناء فترة الفصل الدراسي. دائما وأبدا لا حديث عن شيء آخر سوى المال ثم المال! وأما دوري فيتلخص في ضرورة أن أكون متحدثا عنهم لدى المسئولين، والمعبر عن غضبهم في حرب مقدسة للقضاء على الإفتقار الشديد إلى المال. وبعد ذلك يأتي رد الوزير بأنه يعتزم قريبا جدا تأسيس كلية تقوم على اقتصاد قومي جديد. والأكثر إلحاحًا رغبة الكلية في تحقيق الهدوء وراحة البال، ثم فجأة وعلى غير موعد: عقد جلسة لإحدى اللجان وجلسة غير عادية بالكلية بمناسبة الإجازات.

اليوم يوافق عيد ميلاد الملك. ولحسن حظي تغيبت "إعفاء قانونيًا" عن حضور حفل الكنيسة (أما الدافع الداخلي: توافق ذلك مع يوم "السبت"؛ وأما الحجة الظاهرة: ضرورة حضوري بإدارة العمادة لإنجاز أمور رسمية لا تحتمل التأخير بخصوص إجازات الطلاب المطلوبين بالخدمة العسكرية). وأحمد الله على أنني تمكنت –بطلوع الروح– من العثور على شخصية من ينوب عني – الأستاذ "فيناتشي *Prof. Finácz*y"[1]– يوم ٢٠ من الشهر الجاري في حضور الاحتفال بموكب القديس شتيفان الذي يتحتم على جميع العمداء المشاركة في المراسم المقدسة. لا شك أنه من المبالغة أن أشعر بالاغتراب في حضوري هذا الحفل الذي نساق فيه خلف الكاردينال وموكبه الكاثوليكي (وهو في الأساس احتفال وطني لا علاقة له بطبيعة الدين)، ولكن أليس من

---

(١) *E. Finácz*y (١٨٦٠– ١٩٣٥) باحث علوم التربية وأستاذ بجامعة بودابست.

العجب على موحد بالله أن يسير جنبا إلى جنب مع الصليب! (وهذا هو الدافع الداخلى؛ وأما الحجة الظاهرة: لاعتبارات صحية، وهى على أية حال واضحة للعيان). وقد سبق عثورى على من ينوب عنى رفض من أربعة زملاء تحدثت معهم،/ ولله الحمد لن أقوم بذلك شخصيا، ولن أثقل على نفسى [٣١٠] بعمل لا أرتاح إليه.

وفى هذه الأثناء سررت بالزيارات التى كررها "إمانويل ليف *Immanuel Löw*" الذى يقيم هنا فى الوقت الراهن، وبحديثه معى عن بحثه العبقرى – مخطوطا – عن زهور ألوان الصبغة(١) السامية.

[ملصق بهذا الموضع فى النسخة اليدوية قصاصة من صحيفة بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩١٨: "محاضرة". يلقى رئيس النخبة الأولى بالأكاديمية، الأستاذ الجامعى دكتور إجناس جولدتسيهر المستشرق النابه، الساعة السابعة مساء يوم الأربعاء بالجلسة الختامية للدروس الصيفية للشرقيات محاضرة بعنوان: "أثر الإسلام على العلاقات الاقتصادية لأتباعه *Die Wirkung des Islams auf die wirtschaftlichen Verhältnisse seiner Anhänger*". ويتشرف المركز الاقتصادى الشرقى بدعوة حضراتكم للمحاضرة التى تلقى بساحة مدرسة الحدائق (*ut 27*).

---

(١) *I. Löw: Semitische Färberpflanzen. Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete. I. 1922. Pp. 97-162* زهور ألوان الصبغة عند الساميين.. مجلة العلوم السامية والمجالات التطبيقية.

٣١ أغسطس بعد الظهر

الخلاص! تعقد اليوم – بعد الظهر – آخر جلسة لمجلس الجامعة؛ إذ أعيد – أمس قبل وبعد الظهر – النظر فى الرسوم التعليمية، واحتفل بتسليم العمادة إلى خلفى الأستاذ "إنجيال *Angyal*" الذى أصبح أخيرا التالى لى فى تسلم المنصب. وقد قمت – بكل سرور – بتسليمه إمارات سلطاتى، وخزانة العمادة، والسجلات، ومحاضر الجلسات، وكل المتعلقات والمفاتيح.

لقد انتهى عصر التعذيب بالنسبة لى، وغادرت – بقامة مرفوعة – القاعة الرائعة (قاعة العمادة). ويسعدنى فى الأمر أننى لم أشارك فى السير فى أى موكب جامعى، ولم أكن فى معية أى احتفال بالصليب أو المصلوب أو أى احتفال كنسى.

احتفل بتوديعى كل الموظفين والعاملين احتفالا مؤثرا، مؤكدين أننى عاملت كلا منهم بلطف. واهتممت بتحقيق كل شئونهم، واشتهرت بينهم بأننى رئيس إنسانى المعاملة لطيف المعشر. وقالوا لى بأننى كنت أشد أزرهم، وأساعدهم فى الإخلاص بأداء واجباتهم بطريقة لم يعهدوها من عميد قبلى، فكانت شهادة مخلصة من أتباع مخلصين، وكانت غالية عندى.

استمتعت مع "لاورا *Laura*" [زوجته] بقضاء فترة استجمام فى فينوهازا *Fenyőháza* الرائعة، حيث انتهزت تحررى من أعمال العمادة فى إعداد دراسة ألقيها فى مؤتمر الاستشراق، وتصفحت الجزء الثالث من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد مرة أخرى، وامضيت الأمسيات فى قراءة رواية دون كيشوت *Don Quijote* باشتياق – مرة أخرى – بعد أن كنت أحن إلى قراءتها سنوات طويلة.

٧ أكتوبر

كان آخر عمل لى بالعمادة حضور الاحتفال الرسمى ببدء العام الجامعى، حيث وجب علىّ أن أرتدى الملابس المجرية المعدة للاحتفالات، واستمعت فى ملل إلى كلمات رئيس الجامعة وعميد كلية الطب.

انتهت فترة العمادة بالنسبة لى نهائيا، وأصبحت ذكريات مباركة. وأصبحت بعدها نائبا للعميد وعضوا بمجلس الجامعة./

٨ أكتوبر

٣١١

بدأت المحاضرات بالجامعة، وكان بين المستمعين – فضلا عن الأعداد الكثيرة من الشباب اليهود – ثلاثة كهنة كاثوليكيين؛ أحدهم من الموصل، وبالإضافة إليهم طالبان من البوسنة، وإحدى الطالبات أيضًا.

٩ أكتوبر

بدأت المحاضرات كذلك فى الحلقة الدراسية التى تعقد للأخبار عن علوم الدين العامة. كان الطلاب يحملقون فى صمت، وتبدو من نظراتهم عدم المبالاة. كان يبدو لى أننى عانيت تلك النظرات بجامعات كامبريدج، وهايدلبرج، وشتراسبورج أثناء إلقائى المحاضرات بهذه الجامعات. وكنت أتعامل مع الطلاب بوحشية كى أتمكن من البقاء معهم، وأن أهيل عليهم التراب، وأتركهم يحملقون فىّ.

١٠ أكتوبر

فرغت من تلاوة الدراسة الشرقية الشاملة التى أعددتها فى فينوهازا ***Fenyőháza*** أمام اللجان المرسلة ولحضور المؤتمر، ودوى تصفيق

واستحسان غير معتاد يعبر عن تقبل إجماعى لما سمعوه. والآن أبعث بهذا العمل إلى الكلية.

٢١ أكتوبر

تلوت اليوم الدراسة الشرقية نفسها فى جلسة مجلس الكلية. واستمرت القراءة ساعة كاملة، ولكن السادة الزملاء لم يصغوا تماما لما بُح صوتى عند تلاوته، ولكنهم أجمعوا على ضرورة إرساله إلى الوزارة.

٤ ديسمبر

"سقط التاج من فوق رأسى.. وقعت محبوبتى "ماريسكا" ضحية الوباء المنتشر بإسبانيا. لقد تحطمت روحى، وانكسرت نفسى وصارت كقطع الزجاج المتناثر هنا وهناك. قلبى ينفطر على حالك يا بنى.. مسكين يا "كارل"![١]

[أرفق بهذا الموضع فى النسخة اليدوية إعلانان عن وفاة شخصيتين، وقصاصة من صحيفة جاء فيها:

"تلقى المدير السابق للبنك التجارى وتغيير العملة – بالمعاش – السيد "رفائيل فرويدنبرج *Rafael Freudenberg*" خبرا مفجعا آخر بعد فقدانه لابنه الوحيد قبل وقت قصير. فقد توفيت أمس كريمته "مارى *Marie*" فى ريعان شبابها على أثر سقوطها ضحية الوباء بإسبانيا. والفقيدة تبلغ من العمر ٢٨ عامًا، وهـى سيدة عالية الثقافة العلمية، وزوجة دكتور "كارل جولدتسيهر *Dr. Karl Goldziher*" المدرس الجامعى، نجل الأستاذ الجامعى دكتور "إجناس جولدتسيهر...إلخ]./

---

(١) الترجمة الألمانية للأصل المجرى.

٤ فبراير

لم يدع لى شدة حزنى – لرحيل الكائن الحبيب إلى العالم الآخر [أى زوجة ابنه] – فرصة لفهم ما ذكر بالصحيفة. أينبغى أن أبكيه بالدمع؟ إننى لا أقوى على التلفظ بأية كلمة. إن الأنوار المشعة التى كانت الشابة الوحيدة تبعثها فى حياتنا قد انطفأت الآن بعد موتها. استطاعت هذه الشابة بكيانها الرفيع حل لغز مسار حياتى النكد، ولكنه ارتد إلى بعد وفاتها.

أهدتنى الشعور بالعناية الربانية بعد أن كنت أشعر بالرثاء لحالى. كانت تواسينى وتخفف من مشاعرى القلقة، وأصبحت الآن دون بديل لها، وبلا مواساة لما تحل بى فى مصابى بوفاة عائلة "فرويدنبرج" بعد أن تحدد مسيرها بوحشية فى مدى شهرين بفقد الابنين الجميلين، فحرمت الأسرة من فخرها وبهجتها، ومن أمل كبارها. أما بالنسبة "لكارل" فقد انحنى ظهره بشدة حتى يكاد يلمس الأرض! لقد تبدل صاحب القامة الشامخة [ابنه] بعد وفاة زوجته التى كانت بمثل هذه الروح وهذا الخلق.

هل ينبغى أن تستمر على هذه الحال بضعة أشهر من بداية السنة دون التمادى فى أية إشارة أو تجميع لما دونته؟ (أى مضمون لها يمكن أن يساعدنى على مواصلة الحياة بعد ذلك؟)

ينبغى أن ينشر عملى العظيم أخيرا بمؤسسة "دى خويه *de Goeje-Stiftung*" بمدينة ليدن. لقد تكفلت الإرسالية الهولندية بإعداد وإرسال كل شيء، ثم تدخلت دولتنا ممثلة فى تشيكوسلافيا وفالاشين *Cyecho-Slovaken und Walachen* فأصبح التفاهم غير ممكن، وأصبح الإرسال إلى فيينا غير مؤكد حتى يمكن أن ترسل المخطوطات بطريق البريد الدبلوماسى إلى

هولندا، ومن ثم بقي لديَّ المخطوط ذو ٤٠٦ صفحات. وفى أثناء ذلك كان عليّ أن ألوذ بالفرار إلى غرفتى بالجامعة هربا من خطر اضطهاد اليهود الذى أعلن عن نفسه بشكل خطير، كى أحمى مخطوطى من أى تدمير من قبل أيديولوجية العداء المسيحية.

فى يناير حضرت – إلى مدينتنا – لجنة أمريكية برئاسة الأستاذ "كوليدج ***Prof. Coolidge***" من جامعة هارفارد. وكانت تريد أن تتعرف على أحوالنا، ولهذا عقدت مؤتمرا لمعرفة مخاطر السلام. ووجد "كوليدج" أن مقابلتى تستحق أن يسعى من أجلها. ودعانى لمقابلته يوم الأحد الموافق التاسع عشر من يناير، من الساعة الثالثة إلى الرابعة بعد الظهر. ولم أكن فى حالة نفسية تتيح لى أن أقابل الضيف النبيل، وأن أتبادل معه الحديث، والإجابة عن أسئلته. ولكننى فوجئت بحديث ابنى تليفونيا ليذكرنى بموعد الأمريكى، ومن ثم لم أستطع أن أعتذر عنها. وطلبت من "كارل" أن ينبئه بقبولى الدعوة، ولكن بعد فوات الأوان، لأن الأمريكى كان عليه أن يفرغ من كتابة مراسلاته – قبل رحيله بست ساعات. / ولذلك لم تتم المقابلة، وهو ما تقبلته بكل ارتياح. [٣١٣]

وبهذا انفضت يدى من هذه الأمور وعاودت استسلامى لحزنى على وفاة حبيبتى وقرة عينى مع نهاية الشهر الثانى على رحيلها.

أول سبتمبر

منذ أن سجلت يومياتى السابقة مرت بى فترة من أسوأ ما عانيت بحياتى؛ بعد أسبوعين من تسجيلى آخر مرة انزلقت قدمى، ونتيجة لإهمالى للأمر تعرضت لمرض مصاحب بحرارة شديدة، مما ألزمنى عدم مغادرة الفراش أسابيع طوالاً، أمضيت بعدها فترة نقاهة نفسية وجسدية تعيسة لم أستطع التخلص منها، وما زالت تنخر فى روحى.

منذ اليوم الأول من أغسطس انبعث عداء وحشى للسامية عندنا، وانتقل إلى الجامعة والأكاديمية بصورة بربرية، واضطررت يوم الثامن عشر من الشهر من أن أرتجل محاضرة أرد فيها على نبوءات "لودفيج لوتشى ***Ludwig Lóczy***"[١] بالنسبة لعداوة السامية بالأكاديمية (انظر خطاب "لوتشى" يوم ١٩ من أغسطس، ومسودة الرد الذى كتبته). وفى اليوم الثلاثين من أغسطس قدمت استقالتى من وظيفة نائب عميد الكلية – التى تثقل على أعباؤها – كى أتحرر من لهيبها المكروه، والذى كان من الممكن أن يتزايد، وأمضيت مع زوجتى "لورا" الفترة من ٢٨ يوليو إلى ٢٨ أغسطس بجزيرة مارجريت كى نقضى فترة النقاهة مما عانينا من أمراض. وكان حفيدى الغالى يقضى معنا فترة نقاهة بعد إجراء عملية جراحية أليمة له. وعندما عدنا إلى مسكننا بالمدينة فى الثامن والعشرين من أغسطس ألقيت بنفسى فى خضم العمل الذى أهملته طوال الشهر الماضى.

ولا أحب أن أصف ما عانيته من حالة نفسية طوال نصف العام التالى، وما أحاط بى من جميع الجهات من خوف ورهبة من المستقبل، وإن كنت قد تمكنت بوساطة الحكومة البلشفية من إرسال مخطوطتى فى شهر إبريل إلى هولندا حيث بدأ طبعها على الفور. وتأخر إرسال بروفات الطبع إلى نظرا لحالة الشلل الذى تمر به هيئة البريد، إلا أن "سنوك ***Snouck***" وفينسنك "***Wensink***" ساعدا فى إرسال البروفات كاملة عدا عشر أوراق[٢].

---

(١) ***L. Lóczy*** ***(1849-1920)*** عالم جيولوجيا وباحث جغرافيا، أستاذ بجامعة بودابست.

(٢) يعنى مخطوطة كتابه "مذاهب التفسير" ***Die Richtungen der islamischen Koranauslegung, Leiden 1920***

فهرس اليوميات(*)

(*) الفهرس وفق صفحات الأصل الألمانى.

الجزء الثاني

الدراسة

عرض وتعليق[1]

د. عوني عبد الرءوف

---

(١) أرقام الصفحات المذكورة بالدراسة هي أرقام صفحات الأصل الألماني.

ملخص ما جاء باليوميات
عن ثقافة جولدتسيهر العامة والشرقية

كتب مقدمة اليوميات المستشرق المجري إلكسندر شـــايبر ***Alexander Scheiber*** عندما نشرها بعد وفاة جولدتسيهر؛ إذ توفي عام ١٩٢٠، وقد بدأ جولدتسيهر في كتابة هذه اليوميات في ٢٢ من يونيو سنة ١٨٩٠، في ذكرى ميلاده الأربعين، مستخدمًا فيها ما كتبه في يومياته عن رحلته إلى الـشرق الأوسط (١٨٧٣- ١٨٧٤) في شبابه. وزار آنذاك تركيا وسوريا ومصر.

وهي اليوميات التي نشر ترجمة إنجليزية لها رافائيل باتاي ***Raphael Patai*** عام ١٩٨٧ بمدينة ديترويت بالولايات المتحدة، عن مخطوطة ألمانية قدمها له "شايبر" ***Scheiber***، ونشرها في ديترويت عام ١٩٨٧.

يقرر له "شايبر" في المقدمة أن قيمة هذه اليوميات ترجع إلـــى أنهـــا تُعَرّف بجميع علماء الإسلام الشرقيين واللغويين؛ الذين قابلهم جولدتسيهر في رحلته إلى الشرق الأوسط.

والحق أن هذه اليوميات تبيِّن أيضًا ما رجع إليه جولدتسيهر، وما قرأه من كتب التراث العربي، وتُعَرّف بأعلام المستشرقين الذين قابلهم، أو رجـــع إلى كتبهم ناصًا على قيمتهم العلمية، ومناقشًا مـــا ذهبـــوا إليـــه مـــن آراء ونظريات.

وإنني أحاول بعد تقديم ترجمة عربية لأصل اليوميات باللغة الألمانية- التي يشاركني فيها دكتور عبد الحميد مرزوق- أن أقدم تلخيصًا لمـــا جـــاء

باليوميات بالنسبة إلى جهود جولدتسيهر في اكتشاف المعارف طوال حياته، وبخاصة تعلمه اللغات الشرقية، واهتمامه باللغة العربية وآدابها، والدين الإسلامي، شريعةً وفقهًا وقرآنًا وحديثًا.

وفضلاً عن ذلك كله، أحاول أن أشرح ما ينبغي أن أقدمه للقارئ العربي مما أوجزه جولدتسيهر في تقديمه لنجليه وأحفاده، وبخاصة ما نقله شايبر إلى القارئ الأوربي بعد ذلك، وكذا ما يشير إليه جولدتسيهر من أمور أو أحداث أو مصطلحات اكتسبها من معارفه الواسعة، وثقافته التي شملت كل ما يهتم به العالم العربي المتبحر في عصره، وما أفاد منها في قراءاته ورحلاته، من أمور قد يعزر على القارئ العربي الرجوع إليها.

وحرصت أيضًا على أن أزود الترجمة بملاحق، أقدم فيها سيرة لأعلام المشرقيين الذين ورد ذكرهم باليوميات أو قابلهم جولدتيسهر في رحلاته، كما أشير إلى كتب ألفها العلماء منهم أو صنفوها.

وقد حاولت ما أمكن أن أشرح ما أشار إليه من مصطلحات في الديانة اليهودية ونصوصها التي يكثر من استخدامها؛ إذ إنه كان وثيق الصلة بالكتابات اليهودية القديمة وبمصطلحاتها، وتاريخها، وإن كان يبدي تأففه واستنكاره لكل ما يمارسه اليهود في عصره في حياتهم وشئون دينهم.

***

ص١٥- ذكر الشعارين اللذين يتحكمان في حياة جولدتسيهر:

الأول: ما ورد بسفر ميخا بالإصحاح السادس، آية ٨.

الثاني: ما ورد بالقرآن الكريم: ﴿فصبر جميل، والله المستعان﴾[١].

---

(١) سورة يوسف (٨١ : ٨٣).

ص١٨- نص جولدتسيهر على أنه تعلم منذ طفولته كتاب هارزان "قلب الباشا" *Herzen-Pflicher Bechj*، وهو كتاب باجيا بن فاقودا، يتناول فيه ما يجب على الإنسان اليهودي القيام به؛ للتقرب إلى الله تعالى[1]. وباجيا بن فاقودا هو من أهم فلاسفة اليهود، في النصف الأول من القرن الحادي عشر.

- التلمود: تعاليم. وهو مجموعة الشرائع اليهودية (الهالاكا) التي يتناقلها اليهود شفويًا عبر القرون، ثم جمعها في كتاب واحد عام ٥٠٠ ميلادية.

ويوجد من التلمود كتابان:

التلمود الفلسطيني الذي جمعه الفلسطنيون اليهود الذين بقوا بها بعد أن دمر البابليون أورشليم عام ٥٨٦ ق.م.

التلمود البابلي الذي جمعه يهود بابل، الذين أخذهم البابليون إلى الأسر البابلي[2].

ص١٩- ويسمي كتاب الكازاريم *kuzarim* الذي يبحث فيه علاقة الدين بالفلسفة، وتأثر في هذا العمل بكتاب "المنقذ من الضلال" للإمام أبي حامد الغزالي الذي انتقد فيه الأثر الأرسطي المبالغ فيه على الفلسفة الإسلامية- *Moreh Nebuchim* = دليل الحائرين- كتاب جامع للأجاداه *Ein Jacob Aggada*.

والأجاداه *Aggada*= نصوص تعالج المواعظ الدينية والتشريع الأخلاقي، وتشرح أدب الأحبار القدماء الكلاسيكي، وبخاصة المدون بالتلمود

---

(١) سفر التثنية، ١٨: ٣.

(٢) يرجع في التعريف بكل المصطلحات اليهودية بعد ذلك إلى الملحق الثالث (عن المصطلحات العبرية).

والمدراش، وتعّد خلاصة وافية لعظات الأحبار، ويتضمن نصوصًا شـعبية، ومواد تاريخية، وعظات ومواعظ أخلاقية، ونصائح عملية.

المدراش: سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ، بتقسيم وتقييم مختلفين من مجموعة إلى أخرى، لإيضاح النقاط القانونية لتقديم تعليم أخلاقي.

ص٢٢- عبادة الرب تتصل بواجبات اليهودي المتدين ***Barmizwahtag*** تبدأ بمرحلة من العمر مع بداية يوم بارتيسفا (أي ذكرى الأحداث النازية عند اليهود) ***Sabbath Balak***- تعلم جولدتسيهر اللغة العبرية في سن الرابعة.

ص٢٣- ٢٤- ما درسه في صباه من دراسات دينية ولغات، وحياتـه مع أسرته، وما لقيه من أحوال معيشية وأحـداث، وانتقـال الأسـرة إلـى بودابست.

ص٢٥- تسجيل اسمه مستمعًا غير نظامي بالجامعة، والتـردد علـى مكتبتها قبل الحصول على شهادة الثانوية- الاستماع إلى محاضرات الجامعة لبعض الأساتذة والقراءة بمعجم جيزينيوس للغة العبرية (عبريـة التـوراة)، وتعرف الحروف السريانية.

ص٢٦- بدء تعلم الفارسية والتركيـة، وقـراءة "جلـستان" للـشاعر الفارسي السعدي- تعلم اللغة العربية، والتلمذة علـى المستـشرق فـامبيري ***Vámbéry***.

ص٢٧- ترجمة جولدتسيهر لمختارات تخصصية تركية إلـى اللغـة الألمانية (١٨٦٦)، وكان عمره آنذاك ستة عشر عامًا، كما تـرجم بعـض النصوص عن تاريخ العلاقات التركية المجريـة، والمـصادر الألوهيميـة، والمصادر الياهوية بأسفار موسى الخمسة.

ص٢٨- دراسة اللغة اللاتينية واللغة اليونانية، وتقدمه في دراستهما، ومواصلة دراسة التلمود.

ص٢٩- ٣٠- حديثه عن أستاذه فامبيري، ومينشهاوزن (١٧٢٠-١٧٩٧) أول من قص حكايات لا تصدق أو مغامرات قام بها في البر والبحر والجو وغزوات ومغامرات.

ص٣١- تلمود خوليه: يعالج قوانين الذبح، واستهلاك الحيوانات يوميًا، وفي المناسبات المقدسة- إعداده لامتحان الأبيتور (شهادة الثانوية العامة)- إعطاؤه دروسًا خاصة.

ص٣٢- دراسة فقه اللغة المجرية- مواصلة دراسة العربية والسريانية دون معلم- الفوداشيم= الأشياء المقدسة- فيلهلم باخر[١].

ص٣٣- الاحتجاج على فساد الروح والخلق، وعدم طهارة في القلب والفكر المتأصل في اليهودية المجرية آنذاك بعد دراسة الأدب اليهودي، وتأثره بما قرأه عن الوحي بكتابات جايجر *Geyger*، فاتبع نظامه في التفكير، وهو ما زال في السابعة عشرة من عمره.

-ترشيحه للدراسة بالجامعات خارج الوطن في برنامج "إعداد وتكوين هيئة تدريس بجامعة بودابست"، بعد حصوله على شهادة الأبيتور مباشرة. وكان عمره ثمانية عشر عامًا، واختيار الوزير له.

ص٣٥- اعتراض أستاذ ريدز (أستاذ الدراسات العليا)، على حصول غلام يهودي على منحة للدراسة بالخارج، واعتباره أن هذا سيكون عارًا على الحكومة المجرية الجديدة، فرفض العرض الذي قدم لجولدتسيهر- قضاء بضعة أيام ببرلين.

(١) يرجع لمعرفة ترجمات الأعلام الغربيين إلى الملحق الثاني.

ص٣٦- المعيشة في برلين، وسخرية الأساتذة منه، ومن رغبته في دراسة فقه اللغات، والدراسات الإسلامية، ولكنه سجل بالجامعة- إلى جانب دراسته- فرعًا من فروع الفلسفة- دراسة الكتاب المقدس واللغتين العربية والسريانية.

ص٣٧- موسى ميندلسون.

ص٣٨- التعليق على كيفية تدريس بعض الأساتذة- تعمقه في دراسة المؤلفات النحوية والفلسفية- إقامته في السكن مع أسرة عطفت عليه ورحبت به- ابن حيوج، وابن جناح، وموسى بن ميمون، وجيزنيوس.

ص٣٩- توديع برلين في أغسطس ١٨٦٨، والعودة إلى بودابست- جوستاف بان، وهيجل، وفلايشر.

ص٤١- الذهاب إلى ليبزج للالتحاق بالجامعة، والدراسة على فلايشر ***Fleischer***.

-تسجيل رغبته في حضور جميع محاضرات فلايشر عن اللغة العربية واللغتين التركية والفارسية، كما سجل محاضرات كريل ***Krel***، وبروك هاوس ***Brockhaus***، ودروبش ***Drobisch***- واهتم بخاصة بتاريخ الإسلام ومؤسساته- درس الشريعة الإسلامية والتقى تلاميذ فلايشر، وهم كثيرون، وأصبحت لهم جميعًا شهرة في الاستشراق- درس تفسير البيضاوي للقرآن- قرأ مخطوطات عن الرفاعية- درس مادتي التاريخ والفلسفة.

ص٤٤- الحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة في ديسمبر عام ١٨٦٩، وكان عمره تسع عشرة سنة- الاحتفال بهذه المناسبة.

ص٤٥- مطالعة الدوريات الألمانية والفرنسية والإنجليزية- قراءة المخطوطات بمكتبة جامعة ليبزج.

ص٤٦- الاهتمام بالدراسات اللغوية، والتاريخ اللغوي، والدراسات الدينية- دراسات في التلمود والفلسفة اليهودية على ديليتش *Delitzsch*- ابن حزم، والثعالبي، وابن السكيت، والهمذاني- التقدم للحصول على درجة دكتور هابيل *Habilition* درجة الأستاذية، ولكن رفض الطلب؛ لأنه كان أول مدرس يهودي في الكلية، ولأنه كان تلميذًا لفامبيري المحتال، واعترض البعض على أن يكون زميلاً لغلام حدث أن صرح له بالتقدم للحصول على هذه الدرجة.

-دراسة الأدب المجري والتاريخ- الاضطرار لإعطاء دروس خصوصية لسوء حال الأسرة- فهرست الكتب بمكتبة ناجشمين.

-الحديث عن معركة سيدان *Sedan* التي وقعت بين الفرنسيين والبروسيين عام ١٨٧٠، ونتج عنها أسر نابليون الثالث، وعدد كبير من جيشه.

ص٤٧- دراسة المصريات وتعلم الهيروغليفية والهيراطيقية، وتعرف كيفية التغلب على صعوبات طباعتها- حضور محاضرات في جامعة ليدن (بهولندا)- مواصلة الدراسات في تاريخ علم اللغة- الاطلاع على المخطوطات الموجودة بمكتبة الجامعة.

-التعرف على كتب ابن حزم، وعن طريقه عرف أدب الجدال الذي ساعدته المراجع الموجودة في ليدن على تبينه كاملاً- قراءة كل ما وجد منها بالكتب الأدبية المماثلة- نسخ كتاب ابن السكيت[١]، وكتاب الهمذاني[٢]، وكتاب فقه اللغة للثعالبي[٣].

---

(١) لا أدرى أي كتاب من كتب ابن السكيت يقصد، فالسكيت له أربعة كتب: إصلاح المنطق، وتهذيب الألفاظ، والقلب والإبدال، وقد حققه أوجست فيشر ١٩٠٣، والأضداد ١٩١٢.

(٢) لعله يقصد بديع الزمان الهمذاني الذي طبعت مقاماته في ليبزج سنة ١٨٤١.

(٣) أي أبي منصور الذي نشره الكونت رشيد الدحداح بفرنسا (باريس ١٨٤١).

ص٤٨- ٤٩- السفر إلى ليدن للإفادة من مدرستها العلمية مباشـــرة، والتنقيب عن كنوزها بعد أن درس اللغة الهولندية- التعرف على المستشرقين بها، والاستماع إلى محاضراتهم، وبخاصة المحاضرات الدينية وفقه اللغـــة- قراءة بعض المخطوطات والمطبوعات بالمكتبة- إلقاء بعض المحاضـــرات عن البيضاوي وتفسيره للقرآن الكريم.

- كانت ليدن عنده مدرسة للفروع الدينية، ولتاريخ الديانة الإســـلامية، تعامل معها بمفهوم التحليل للنصوص كما ينبغي، والالتزام بالتقاليد الفلـــسفية الهولندية في نقد الوثائق الدينية التي تختلف في دلالتها عن تلـــك الطريقـــة المعتادة لقراءة هذه النصوص التي يسهل بها تصديق النص التاريخي تـــارة، والتحيز ضده تارة أخرى، وقد تأثر تأثرًا شديدًا بهذه الطريقة، واتخذها أساسًا للطريقة العلمية التي اتبعها بعد ذلك- التمكن من إدراك الأســـس الأساســـية للإسلام وبوضوح تام، وتعرف مذاهبه، والتطور التاريخي للإسلام وذلك من أقدم المصادر- التقرير بأن الكتابات الجدلية بما فيها من خلاف أساسي فيما بينها حقيقة الإسلام- بدأ دراسة الحديث النبوي بعد أن فـــرغ مـــن قـــراءة البخاري كله بانتباه ووعي، وبداية التدفق في ملاحظة ما يتصل به من مواد في كتابات أخرى- قـــضاء نـــصف عـــام بليـــدن- المزهـــر للـــسيوطي- كلمة ***Toébha*** العبرية بمعنى نجس (سفر التثنية ٤٨: ٣).

ص٥٠- الموافقة على إعطائه منحة دراسية للحصول على الأستاذية، وإلقاؤه محاضرات عن "تطور التاريخ الأدبي عند العرب" (وكان ما يزال في العشرين من عمره).

ص٥١- الرحيل إلى فيينا للإفادة من مخطوطات البلاط الملكي- تنقيح كتاب "قواعد اللغة العربية" الذي ألفه بالاجي ***Ballagi***- بـــدأ المحاضـــرات بالجامعة.

ص٥٢- ٥٥- الدراسة بالجامعة وأساتذتها- كتابات ومقالات عن تاريخ تعلم اللغة، وعن الأدب الصوفي، وعمر المغربي والسيوطي- كتابة الجزء الأول من دراسات "الإصلاح الديني بالمجر" للرجوع إلى الأسس الأصيلة التي بنى عليها تاريخ العالم (أي الدراسات التوراتية الإنجيلية)- الحديث عن دراسات المذهب البروتستانتي المسيحي بالمجر، ونقد هذه الدراسات، وما يقوم به المصلحون الدينيون- الحصول على الموافقة بسفره في بعثة إلى سوريا ومصر، وسفره في أغسطس ١٨٧٣.

ص٥٦- ٥٨- السفر إلى الشرق الأوسط والحديث عن الرحلة بالباخرة إلى اسطنبول، ثم دمشق، ولقاؤه مع عزت باشا محافظ مدينة دمشق، وبطرس البستاني، وخليل الخوري، والشيخ الذهبي التاجر- الحديث عن مبادئ المسيحية واليهودية- الظاهرية- نظرة إلى الإسلام- الشيخ الميداني هو عبد الغنى الميداني (١٢٢٢- ١٢٩٨هـ/١٨٠٨- ١٨٨١م)، وهو قاض حنفي دمشقي الموطن، وكان صوفيًا على طريقة ابن عربي ***Abdul-ghani al-Maydani***- هاشم الوراق، وصالح شاهبندر.

ص٥٩- الأخوان المنير- التعرف بأسد الإسلام عبد القادر وابنه محمد.

والأمير عبد القادر ابن محي الدين (ت١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) هو القائد السابق للمقاومة الجزائرية الذي حضر إلى دمشق منذ عام ١٨٥٥. كان من أتباع محي الدين بن عربي. طبع كتابه "الفتوحات المكية"، ولما توفي دفن بجواره في المسجد الذي دفن فيه ابن عربي، والذي بناه السلطان سليم بضاحية الصالحية. وقد أرسل ابنه إلى أوربا وإيطاليا، وإلى فرنسا التي كان يحاربها، ثم أصبح هذا الابن من عظماء الرجال بسوريا. وهو محمد بن عبد

القادر بن محي الدين (١٢٥٦- ١٣٣١هـ/ ١٨٤٠- ١٩١٣م) وهو الذي كتب سيرة والده "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر". توفي في اسطنبول، وعرف باسم محمد باشا.

-قراءة ميزان الشعراني- التجول في دمشق، والتعرف على الكثيرين من تجارها وعلمائها- فرخي وكتاب ابن مدارس (أي دار الدراسة حيث تدرس مدارس دينية عن علم الحاخامات اليهود، ومبادئ الديانة اليهودية).

ص٦٠- ميزان الشعراني- رئيس الأساقفة مقاريوس.

ص٦١- معاملة اليهود له بارتياب؛ لأنهم شكوا في أنه مبشر مسيحي، رغم أنه حدثهم عن التلمود، وعن معرفته به- لقاء الجراف لندنبرج ومساعدته له في تعلم العربية.

ص٦٢- ٦٥- التنزه في ربوع الشام مع من تعرف عليهم من عرب وأوربيين- السفر إلى مصر- مناطق الموآبيين.

ص٦٦- القاهرة وملاحظة الفرق بينها وبين دمشق- بنيوتي اليوناني الذي تعرف عليه بدمشق، والبحث عنه بالقاهرة- زيارته للكتبخانة (دار الكتب المصرية)، ولقاؤه مع شترن ***Stern*** مدير المكتبة.

زيارته لأسواق الكتب- تعرفه على صالح بك مجدي ودور بك ***Dor***، ثم على السيد علي باشا مبارك، والسيد عبد الخالق- تعرفه على السيد جمال الدين الأفغاني، وسماعه لحديثه مع شباب الأزهر، ووصفه له ولحديثه- تعرفه على مصطفى رياض باشا، وزيارته لمنزله عدة مرات- توصية رياض باشا لشيخ الأزهر طالبًا السماح لجولدتسيهر بزيارة الأزهر واستماعه للدروس به- حضور جولدتسيهر لجلسة المشايخ عند شيخ الأزهر، والسماح

له بالزيارة بعد اختبار معلوماته عن الفقه ومسائله- الدراسة علــى مـشايخ الأزهر وترحيبهم به وترحيب الطلاب أيضًا به، بعد قراءة خطــاب شــيخ الأزهر عنه.

ص٦٧- قراءة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني- تفسير الرازي- مخطوطة القسطلاني- شرح النووي على صحيح مسلم- سيرة عنتــرة بــن شداد- سيرة سيف بن ذي يزن- حضور حلقات صالح مجدي عن الحضارة الإسلامية وانتشارها أمام الوباء الأوربي المتحكم في الشرق- كتاب سيبويه- المفتي العباسي المهدي.

ص٧٢- الرغبة في مشاركة الشيوخ في صلاة الجمعة؛ رغبــة فــي الانحناء معهم والركوع والسجود أمام الله، والمناداة "الله أكبر"، وتعفير وجهه في التراب مع الآخرين، وتنفيذ ذلك.

ص٧٣- الرحيل عن مصر بعد التزود بمعرفة العلــوم الإســلامية- الحديث عن رحلته التي اعتبرها من أجمل أيام حياته.

ص٧٤- نشر مقالات كثيرة بالصحف ومجلات الاستشراق للحصول على مصادر رزق تزيد من دخله- الانشغال بكتابته عن الأساطير- الكتابة عن الأدب الشعبي- وفاة والده- لقاؤه مع وزير التعليم، وعدم حصوله على الأستاذية.

ص٧٦- نشر يوميات رحلته ووصفه للأزهر، واعتبار زيارته له بأنها كانت معينًا يغرف منه ما تعلمه عن الشريعة الإســلامية، وعــن حــضارة المسلمين، وما قرأه في كتاب الأغاني للأصفهاني.

ص٧٧- الحصول على منحة دكتور فلايشر- عرض لشغل وظيفــة مدير الكتبخانة المصرية بالقاهرة بعد رحيل شترن *Stern*، ولكنــه رفــض لارتعابه من فكرة الابتعاد عن الوطن.

ص٧٨- تقديم طلب بالتعيين بالجامعة، ورفض الطلب.

ص٧٩- زيارة فلايشر بمدينة ليبزج- نشر كتاب الأساطير.

ص٨١- ٨٣- عرض من رئيس الجالية المجرية ببودابست لشغل وظيفة سكرتير الجالية، وقبول العرض- سوء معاملة كبار القائمين على العمل له- القيام بمهام الوظيفة.

ص٨٤- الحديث عن الشماسين والطريقة اللادينية التي يتصرفون بها- عدم اتباع قواعد ربابنة موسى أو الرجوع إلى أسفار موسى.

ص٨٥- الحديث عن علم العقيدة- انتشار شائعة أنه ملحد.

ص٨٦- إنشاء وظيفة موجه مدرسي- نشر كتاب الأساطير- ظهور ترجمة إنجليزية للكتاب والترحيب به- ورد في مقدمة الكتاب أنه يعترف بكل الديانات العالمية وأنبيائها الممثلين لها، وهو ما يشعر به منذ ولادته يهوديًّا- تجاهل اليهود والألمان لكتابه، مع ترحيب الإنجليز به.

ص٨٩- الحديث عن استيائه من ترك أكوام ما نقل عن ابن حزم من جزازات، وعن الجدليين المسلمين الآخرين- فوق مكتبته.

ص٩٠- قصة زواجه.

ص٩٢- ٩٤- الحديث عن أعماله التي أنجزها في الفترة الزمنية (١٨٧٦- ١٨٩٣) ونشرها- مخطوطات القسطلاني- مسلم، وابن حزم- ألف ليلة وليلة- مواصلة دراسة تاريخ الأديان بهمة، وعقد حلقات النقاش بالجامعة، والدراسات الإسلامية والفقه الإسلامي.

الرجوع إلى تفسير الفخر الرازي بمجلداته المخطوطة العشرة- القراءة في كتاب شرح النووي على صحيح مسلم، وغير ذلك من كتب ومخطوطات- كتابة مقالات ودراسات بمجلة المستشرقين الألمان.

ص٩٣- أدب الجدل في الإسلام.

ص٩٤- حضور مؤتمر المستشرقين بليدن، واختيـــاره أمـــين عـــام المؤتمر- الترحيب به وبكتبه.

ص٩٧- حياته الوظيفية وسوء معاملة رؤسائه له- حياته الأسرية.

ص١٠٤- صداقاته مع المستشرقين وبخاصة سنوك وأوجست ميللر- صلته بفامبيري والتخلص منها.

ص١٠٨- تعرفه على رينان بباريس، ومقابلته لجمال الدين الأفغـــاني والشيخ محمد عبده عنده.

ص١٠٩- فان دايك، وبطرس البستاني، وفولتير.

ص١١٠- الإشاده بأعمال سنوك التي جعلته ينـــشط لفهـــم مـــشكلات جدلية- ارتفاع صورة التطور التاريخي للإسلام أمامه من بـــين الدراســـات بمقالة جديدة- الأغاني، والطبري، واليعقوبي- ستة من كتب الحديث- بعض الكتب غير الشرعية- كتابته عن حركة الموحدين، والجـــزء الثـــاني مـــن دراسات محمدية سنة ١٨٨٦.

ص١١٢- الترشيح للعمل بجامعة بـــراغ (١٨٨٥ - ١٨٨٦)- عـــدم قبوله عرض جامعة براغ لرغبته في حضور مؤتمر الاستشراق في فيينا في سبتمبر ١٨٨٦- حضور المؤتمر وسروره بلقاء زملائه المستشرقين والعلماء الشرقيين.

ص١١٣- اتهام دكتور هـــ. ميللر *Dr. D. M. Müller* لـــه بأنـــه وإن كان رجلاً مجتهدًا جدًا، وعالمًا جادًا إلَّا أن ميدان أبحاثة بعيد عن اهتمامـــات

المستشرقين وعن دراساتهم. ويعني بذلك أبحاثه في علم الفقه؛ ولــذلك لــم يقض وقتًا طيبًا بالمؤتمر– نشر كتاب عن الظاهرية– مصطفى السباعي.

ص١١٥– نشر كتابه عن بقايا الوثنية العربية (قبل الإســلام)– وفــاة فلايشر أستاذه في عام ١٨٨٨ عن ثمانية وثمانين عامًا.

ص١١٦– سلافة العصر شرح ابن حديد.

-الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨- ١٣٣٨هــ/ ١٨٥١- ١٩١٩م): من أسرة الأدارسة بالمغرب، رحل والده السيد محمد صالح بن أحمــد بــن موهوب الجزائري الإدريسي إلى دمشق عام ١٨٤٦. ولــد الــشيخ طــاهر بدمشق ١٨٥١، وتلقى علوم العربية وآدابها على مشاهير علمــاء عــصره، وعنى بجمع الكتب والمخطوطات منذ حداثته. يرجع إليه الفضل في إنــشاء كثير من المؤسسات في دمشق؛ مثل الجمعية الخيرية. أنشأ مدارس عديــدة ومطبعة قامت بطبع كثير من الكتب المدرسية. هاجر إلــى مــصر ١٩٠٥، وحمل معه أكثر محتويات مكتبته، وأوقف الباقي على المكتبة الظاهرية. ومن أعماله:

- بديع التلخيص وتخليص البديع ١٨٧٨.
- منية الأذكياء في قصص الأنبياء، وعَرّبه عن التركية ١٨٨٣.
- تمهيد العروض إلى فن العروض ١٨٨٦.
- كتابان في مصطلح الحديث.
- كتاب في التجويد "تدريب اللسان على تجويد البيان".

ص١١٧- ١١٩– نشر الجزء الأول من كتاب دراســات إســلامية، وإعداد كتابه عن تاريخ تطور الحديث– حضور مؤتمر الاستشراق بستوكهلم

١٨٨٩- الاعتراف بقدراته العلمية- لقاء أوجست فيشر، وساليمان- زيارة لاندنبرج في استوكهلم؛ حيث التقى المستشرق جوزيف هاليفي وبقاضيين من تلمسان بالجزائر، وعبد الله فكري باشا، والشيخ حمزة فتح الله من مصر.

- حضور الملك أوسكار الثاني *Oskar II* المؤتمر، وترحيبه بجولدتسيهر، ومنحه إياه أعظم وسام للمؤتمر، كما منحه للمستشرق تيودور نولدكه أيضًا- معاملة الملك لجولدتسيهر بلطف، ودعوته له بأن يصحبه إلى عربته عند مغادرته لمبنى المؤتمر.

- سرور جولدتسيهر بالجائزة وبخاصة أن زميله في الحصول عليها كان دكتور تيودور نولدكه المستشرق العظيم (إذ حصل كلاهما على الميدالية الذهبية).

ص١٢٠- الاحتفالات بالمؤتمر.

ص١٢١- عدم الترحيب به بعد عودته إلى بودابست- عدم حصوله على أي تهنئة من أي شخص خلافًا لأسرته، وعدم مشاركة أصدقائه له مشاركة وجدانية- لم يجد أي تقدير من مجلس الجالية اليهودية التي يعمل بها.

ص١٢٣- البدء في العمل بتحقيق ديوان الأخطل، وقراءة شعر زهير بن أبي سلمى، وعنترة- الأمير عبد القادر طاهر الجزائري.

نشر الجزء الثاني من دراسات إسلامية (محمدية)، واستحسان القرَّاء لما اشتمل عليه مضمونه، وإعجابهم بطريقة دراسته للأحاديث وفقًا للمصادر الدينية بنظرة جديدة- تكليفه بتحرير مواد إسلامية وعربية للطبعة الرابعة عشرة من دائرة معارف بروك هاوس- مواصلة العمل على تحقيق ديوان الحطيئة.

ص١٢٤– لقاء أوجست ميللر بميونخ– ولقاء إيبرس ***Ebers*** بقرية توتسنجر– الظاهر بيبرس، وصالح منير– الشيخ عبد الغني– مخطوطة ابن فارس.

ص١٢٥– وفاة زوج أخته ***Glück*** (جليك)، وشعوره بأنه أصبح مهملاً في وطنه.

العمل على إعداد الجزء الثاني من كتاب دراسات إسلامية، وتنقيحه قبل النشر– دراسة الكتالوج البرليني الذي وضعه آلفارت ***Ahlwardt Berliner Katalog***.

قراءة الخطط التوفيقية الذي أهداه له صاحبه "علي باشا مبارك".

الشعور بالراحة النفسية بعد اعتراف العالم به رغم زيادة إهمال مواطنيه اليهود بالجالية له– دراسة شعر ما قبل الإسلام– استعانته بمكتبة المستشرقين الألمان، ومكتبة جامعة فيينا أثناء عطلاته– حضور اجتماع مندوبي المجموعات اليهودية في برلين.

عيد الشابوت– زيارة مدينة هاللي للاحتفال بعيد الشابوت– لقاء ميللر وكاوتس وماير وأساتذة بجامعة هاللي– زيارة مكتبة جمعية المستشرقين الألمان لمطالعة مكتبة توربك، وانتقاء مخطوطات ديوان كعب بن زهير لدراستها– الاتفاق مع أوجست ميللر على كتابة تاريخ الأدب العربي في جزأين كي يسدًا نقصًا أدبيًا في هذا التاريخ، ولإحياء ذكرى أوتولوت الذي ترك عند أوجست ميللر ما كان يعده من كراسات لهذا الغرض.

ص١٢٧– إتمام تحقيق ديوان الحطيئة– طلب مخطوطة ديوان كعب بن زهير– مطالعة في كتب دانتي ***Dante*** الشاعر الإيطالي صاحب "الجحيم"،

وشوبنهاور الفيلسوف الألماني- لقاء المستشرق جان *Jahn*- حضور دفن كبير الكهنة فريدمان.

ص١٢٨- قراءة في أعمال جوتا *Goethe* الشاعر والأديب الألماني.

الانتقال من المبنى القديم إلى المبنى المركزي الجديد للجالية اليهودية المسمى بالبوابة العالية.

ص١٢٩- دراسة عن رؤية العرب قبل الإسلام عن الجن التي تلهم الشعراء- الدعوة لإقامة حلقة تدريس محاضرات عن الاستشراق وتجاهله، رغم أنه دعى للقيام بذلك عام ١٨٧٢، وهو في الثانية والثلاثين، ولكن لم يدع وهو في الحادية والأربعين رغم أنه أصبح من المتخصصين في الاستشراق.

ص١٣١- وفاة والدة زوجه- الدعوة لحضور مؤتمر الوفد الثاني للجنة المركزية المهتمة بشئون اليهود الروس ببرلين.

ص١٣٢- الانشغال بالقراءات اللاهوتية- القول بأن موسى لم يكن أبًا للأنبياء، بل كان الحفيد الذي خرج معهم. وهو الحلقة الأخيرة في سلسلة النبوة، وأن التوراة التي جاء بها هي ختام القوة النبوية في بني إسرائيل- وفاة هيرشلر *Hirscler* الذي اعتبره جولدتسيهر مثل "الحصان الطائر تحت النير" في قصيدة شيللر *Pagasus im Joche*.

ص١٣٣- تحذير لابنيه وأحفاده من الوقوع في أيادي الأغنياء اليهود- هجومه على أعضاء من إدارة الجالية اليهودية المجرية- جمعية الإثنوجرافي.

ص١٣٤- تعيينه بالجمعية نائبًا للرئيس- ذكر للمزامير ٥٥، ٥٦، ٨٨، ١٠٩، كي يتبين أفراد أسرته الجو النفسي الذي وضعه عضو مجلس إدارة الجالية به.

ص١٣٥- إلقاء محاضرة عن الحقب العظمى للتطور العالمي للإسلام.

"Die grassen Epochen der weitlichen Entwickelung des Islam".

ص١٣٨- ترشيحه لشغل وظيفة عضو عامل بأكاديمية "سيموني المجرية"؛ لخدمة العمل القومي، وحصل على ١٨ صوتًا مؤيدًا ضد صوت واحد معارض، وألغى الترشيح حتى لا يتم تعيينه- اختياره عضوًا عاملاً بالأكاديمية المجرية- تعليق جولدتسيهر على ذلك بقوله: "إن المسيحيين يغفرون لي أنني يهودي، وأن اليهود لا يقدرون أنني إنسان محترم وعفيف"- التصريح بأنه يقبل على الاشتغال بالعلم كلما ازداد اليهود في تكديره.

ص١٣٩- كتابة مقالة عن "صالح بن عبد القدوس والزنادقة".. أثناء حكم الخليفة المهدي- بدء دراسة عن "تراث الشعر العربي القديم".

ص١٤٠- الإنيادة: ملحمة فرجيل نظمها للتغني بنشأة روما. وصف فيها هروب إينتاس الطروادي من طروادة إلى قرطاجة ليقابل ديدو، ويروي لها مغامراته، ثم تركها وأبحر إلى صقلية، وزار العالم الآخر. وبعد ذلك أبحر إلى إيطاليا، ووضع الأساس الأول للدولة الرومانية. والإنيادة أروع ملحمة لاتينية نظمها فرجيل على غرار الإلياذة لهوميروس- شبّه جولدتسيهر بها قصة عن الشاعر اليهودي سيمون باخر الذي كان يعمل أمينًا لصندوق تلك الجالية، كما قدم سيرة الشاعر نفسه حتى وافته المنية.

ص١٤٣- السفر إلى لندن لحضور مؤتمر الاستشراق التاسع، ومقابلة بعض الشخصيات أثناء الرحلة.

ص١٤٤- في مدينة روبيه ***Roubaix*** كان الكاثوليك المتشددون ينظرون إليه معتبرين إياه السليل المباشر للشيطان؛ لأنه يأكل اللحم أيام الجمع، وهذا ما لا يفعلونه أبدًا، ثم يعرض الموضوع من وجهة نظر الميثولوجيا الكاثوليكية.

ص١٤٥- سماعه عن مرض أوجست فيشر، وكان يجري تصويبات عن تحقيق ديوان الحطيئة الذي أرسله جولدتسيهر إليه.

ص١٤٦- ١٤٧- التهاني التي وصلت إليه، وبخاصة من نولدكه، لما كتبه في مقدمة تحقيقه لديوان الحطيئة- تخيل جولدتسيهر وفاته حين يكون بين الكاثوليكيين، وكيفية تدبير تغسيله وفقًا لمراسيم اليهود ***Chevra Kaddischa***- وصول ما كتبه عن "مذكرات مدام ملك" قرينة معالي محمد كيبرزلي باشا، وغيره من قسم الاستعارات بالمكتبة، ومنها كتاب "كارل ماي" عن سوريا، ومجموعة كتب رحلات أخرى- كتاب "معركة الإيمان" دراسات في السيرة الذاتية وغيرها- كارل ماي مؤلف ألماني الجنسية (١٨٤٢- ١٩١٢) كتب قصص مغامرات خيالية على طريقة مغامرات الغرب الأمريكي، ومنها فنيتو ***Venitu***.

ص١٤٩- قضاء ليلة في بروجس، وزيارته مكتبة العروض الكاثوليكية- الوصول إلى لندن- رؤية بعض المستشرقين، وإلقاء محاضراته عن "صالح بن عبد القدوس والزندقة".

ص١٥٠- لقاءات أحاديث عن المؤتمر وما حدث به- رؤية أحدث كتب اقتنتها المكتبة ومنها كتاب الوصايا، وكتاب المعمرين للسجستاني،

وأمثال المفضل الضبي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر- المستشرق بيفان- نشأة فكرة عمل موسوعة متخصصة عربية إسلامية مع روبرتسون.

ص١٥١- ١٥٢- إقامة حفل على شرفه في كمبردج- السفر إلى أكسفورد وزيارة جميع المكتبات- ثم السفر إلى لندن- تقرير دافيد هاينزيس ميللر عن المؤتمر، وإهماله ذكر جولدتسيهر ومحاضراته بالمؤتمر، وحوار جولدتسيهر معه بسبب ذلك- الحديث عن ميللر الذي ينقل عن تلميذه جاير، وينسب الأعمال لنفسه (أي ينتحل أعماله) ورأي جلازر فيه- تقديم جولدتسيهر تقريره إلى الأكاديمية المجرية، وإعجاب الحاضرين به.

ص١٥٢- ١٥٣ – تكليف الأكاديمية له بإلقاء خطاب في ذكرى رينان الذي كان عضوًا فخريًا بها- اقتصاره في الحديث عن رينان باعتباره مستشرقًا فقط حتى لا يتعرض لنقده باحثًا، أو تلميذًا لشتراوس وباور- لا يوجد بالشعر العربي من يدعى *Addscadsch*[1]- وفاة آخر عم لجولدتسيهر، وكيف كان أقارب أبيه يبتعدون عنه وعن أمه وعائلتها- تأسيس مدرسة يهودية في مسقط رأسه، وهي مدينة صغيرة- إلقاء محاضرة عن العلاقات الإثنوجرافية لعلم الأديان المقارن.

ص١٥٥- إرسال مقالات في علم الآشوريات إلى مكتبة جلوبوس، ومقالات عن فلسطين- وفاة رئيس الجالية فارمات إثر نوبة قلبية- يتحدث جولدتسيهر عن صبره على ما يوجه إليه من رئيسه طوال فترة رئاسته قبل أن يصاب بالنوبة القلبية (أي ظل يعاني ذلك تسع سنوات من عمره /أي

---

(١) ولعله يقصد العجاج؛ إذ إن جاير قدم دراسته عن عجاج ورؤبة. وقد رجعت إلى كل الدراسات التي قام بها جاير بكتاب Bär، فلم أجد هذا الاسم (جـ٢، ص٩٦). (عوني).

٣٣- ٤٢)، ويستشهد بالشعار الذي تمسك به طوال حياته "الصبر مفتاح الفرج"- الحديث عن جنازة الرجل وتكريمه.

ص١٥٦- المشاركة في العمل على إدخال اللغة المجرية إلى الجالية، بعد أن تمكن من إدخال الاصطلاح على درس الدين بها- الحديث عن أفضال غيره في الإصلاح، وعن أعماله هو، وما قام به.

ص١٥٨- اختياره عضوًا شرفيًا بالجمعية الملكية الآسيوية بلندن.

ص١٥٩- كتابة بحث صغير عن "سكينة" في المراجع الإسلامية، ومقالة عن "ابن هود والحي اليهودي بدمشق في القرن الثالث عشر"- الشروع في كتابة المقالة عن "رينان" الذي وصفه بأنه أخطر معاد للسامية- اختياره رئيسًا أولاً لقسم الشرقيات.

ص١٦٠- ١٦١- تذكر فكرة ملك السويد "أوسكار الثاني" أثناء المؤتمر الذي عقد باستوكهلم برغبته في استبقائه بالسويد، وتعيينه أستاذًا بالجامعة، وما أثارته الفكرة من هجوم الكاثوليكيين عليه.

ص١٦٢- الانتهاء من كتابة المقالة عن رينان.

ص١٦٣- الطوطمية: كان لكل عشيرة عند الشعوب البدائية حيوان يرتبط باسم العشيرة عندها، وبخاصة في إفريقيا واستراليا وأمريكا الشمالية. وكل عشيرة تحترم الحيوان الذي يكون طوطما لها، فلا تؤذيه، ولا تقتله، ولا تمسه بشيء. ويعتبر أفراد العشيرة أنهم ينحدرون من الطوطم. ويزعمون أن جدهم الأول أحد توأمين، والتوأم الآخر هو الحيوان الذي غدا للعشيرة طوطمًا. ولذلك فإنه يجب عليهم القيام نحوه بشعائر وطقوس معينة

في مواسم خاصة. وتتخذ بعض العشائر طوطمًا من النبات أو الكائنات المادية أو من الظواهر الطبيعية (وهذا نادرٌ جدًّا).

ص١٦٤- ١٦٥- نص الإنيادة- وفاة أوجست ميللر- تصحيح المقالة البحثية، ومحاضرة "الزنديق".

- أوفيد *Ovid* (٤٣ ق.م- ١٧ أو ١٨م) شاعر روماني قديم، من أشهر أعماله التحولات *Metamorph oses* وهي عن الميثولوجيا الإغريقية والرومانية، اشتهر بكتابته عن الحب مثل قصيدته "فن الحب" *Ars Amatoria*، كتبها في السنة الأولى قبل الميلاد. كانت له شعبية، وكان الإمبراطور أوغسطس يقدره، إلى أن أبعد من روما لأسباب غير معروفة في العام الثامن الميلادي. ترجم الشاعر أدونيس قصيدة له إلى العربية. ولشعره تأثير على الأدب الغربي، وبخاصة مجموعة قصائده أموريس *Amores*، وهي ثلاثة أجزاء من قصائد الحب.

ص١٦٦- عرض جامعة هيدلبرج ليكون أستاذًا بها.

ص١٦٨- الحديث عن ستراك، وهيللر- تفضيله لمؤانسة المسلمين عن علماء اليهود. يقول: "إنني أشعر بالاشمئزاز والنفور من مجتمعكم، حتى إنني أفضل مؤانسة أتباع محمد عنكم، وذلك تضحية كبرى من جانبي لا يدفع ثمنها أي فرد عن أن أحيا معكم ولكم".

- عرض عميد كلية الآداب بالجامعة الإقليمية على جولدتسيهر أن يعمل بالكلية أستاذًا عاملاً بالتكليف.

ص١٧٠- ثيوجنيس *Theognis* شاعر غنائي يوناني بالقرن السادس قبل الميلاد.

ص١٧٢- عرض من جامعة كمبردج لمنصب أستاذ كرسي الاستشراق بالجامعة بعد كتابة ثلاث مقالات صغيرة: عن العناصر العبرية في صياغات السحر عند المسلمين، وعن الحرف اليدوية عند العرب، وعن حرب علي المتين ***Alis Kampf mit den Drachen***.

ص١٧٤- كتابة مقالة عن الدعاية المحمدية في أمريكا ***Muhammedadanische Propaganda in America***، ويلاحظ أنه يوجد تبشير في الإسلام (إنه كان يعني ذلك بقوله "الدعاية").

زيارة مدينة ميونخ وقصر توتسنج ضيفًا على الكونت لاندبرج، ومقابلة عدد كبير من الضيوف بالقصر.

ص١٧٩- ١٨٠- حلول طغريني باشا وزير الشئون الخارجية بمصر سابقًا ضيفًا بقصر توتسنج.

- عائلة روتشلد ***Rothschild*** إحدى العائلات ذات الأصول اليهودية الألمانية، تأسست بجهود إسحق إكانان. أما لقب روتشيلد فهو يعني "الدرع الأحمر" إشارة للدرع الذي ميّز باب قصر مؤسس العائلة في فرانكفورت في القرن السادس عشر.

- حديث عن المسيحية واليهودية، وقيل: "إن أخلاقيات اليهود تختلف عن أخلاقيات العالم أجمع"- الشريف المكذبورجي هو لندبرج- الحديث مع الوزير عن رياض باشا، وعلي مبارك، ودور- سؤال الباشا المصري: "هل يعتبر اليهود يسوع المسيح منتحلاً، مثلما ننظر نحن لمحمد؟"

ص١٨٠- ١٨٢- الإجابة من جولدتسيهر بإلقاء محاضرة في تاريخ الأديان ***Vortrag über dies Iakonoscher Frage***.

الرحيل عن توتسنج إلى ميونخ ومقابلة هوميل بمحطة السكة الحديد، والانتقال إلى مدينة لنداو، حيث استلم جولدتسيهر من مكتب البريد خطابًا يخبره بتعيينه أستاذًا جامعيًا بجامعة بودابست، بهذا أصبح أول أستاذ يهودي يعين بجامعة بودابست.

باندورا *Pandora*: أول امرأة يونانية وجدت على الأرض طبقًا للعقيدة اليونانية. باندورا خلقت بأمر زيوس من الماء والتراب، ومنحت العديد من المزايا مثل الجمال والإقناع وعزف الموسيقى. نزلت باندورا إلى الأرض، وألقت شباكها حول بروميثيوس الذي منحه زيوس الأرض كلها، ولكنه لم يأبه لها، وهام بها أخوه ابيميتوس وتزوجها. وأرسل زيوس صندوقًا إلى الزوجين هدية. وكان الصندوق مغلقًا. رفض ابيميتوس فتحه، لكن زوجه ألحت عليه أن يفتحه لعل به كنوزًا وفتحه، فأظلم العالم، وخرج من الصندوق أرواح شريرة يحمل كل منها اسمًا مثل: "النفاق"، و"المرض"، و"الجوع"، و"الفقر"، فحاولت أن تغلق الصندوق فلم تفلح إلا بعد أن حلت الكارثة، وتحولت الجنة إلى جحيم حقيقي للبشر.

الحديث عن الكنيسة الحقيقة التي تستحق الشكر، وما صارت إليه من مسخ في أبغض صوره للإنجيل؛ لأنها لم تحافظ على الإنجيل في صورته النقية.

- التنزه مع الباشا.

ص١٨٣- عازف آلة النفخ هو الشاعر فيكتور شيفل *Victor Scheffel* ورد ذكره بالصفحة نفسها- الحديث عن الشاعر شيترون (١٠٦- ٤٣ ق.م) واسمه كاركوس توليوس (خطيب وكاتب ومحام وسياسي روماني)- أبيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م) فليسوف يوناني، عَرّف الفلسفة بأنها فن إسعاد الذات بالمتعة العقلية، وهي الخير الأوحد.

ص١٨٥ – لقاء أحد شيوخ جماعة الإخاء البيض بإفريقيا واعتقاده بأن جولدتسيهر مسلم؛ لدفاعه عن الإسلام في حديثه معه، كما دافع عن القرآن فيما نسب إليه من نصوص مغلوطة واستشهاده بالصحيح منها.

ص١٨٦– انعقاد مؤتمر المستشرقين في جنيف، ولقاؤه مع الأصدقاء المستشرقين– اختياره ليكون نائبًا لرئيس شعبة العلوم الإسلامية مع دي خويه وزاخاو– إلقاؤه محاضرة بالمؤتمر عن الأصول التاريخية للشعر العربي*(Zur Urgeschichte der arabischen Poesie)*

ص١٨٧– زيارة وزير التعليم المجري– سوء معاملة اليهود له، وتقريرهم بأن تعيينه أستاذًا لا قيمة فعلية له، وفي مقابل ذلك قابلته الجامعة بكل ترحيب وتكريم– ترحيب عميد الكلية به في أول جلسة عقدتها الكلية– قراءة تقريره بشأن مؤتمر المستشرقين في جنيف.

ص١٨٨– وصف معاناته مع اليهود– إلقاء محاضرة تلبية لطلب رئاسة الأكاديمية والتعليق عليها.

ص١٨٩– التوجه إلى الديوان الملكي لشكر الملك على اللقب والوظيفة وترحيب الملك به وإطراؤه عليه– فراغه من كتابة دراسات فقه اللغة العربية *Abhandlungen zur arabiscchen philologic*– حديثه عن الكتاب، وعن تطور المصدر التاريخي للعرب في ظل التأثير الفارسي، وعن الروافد الفارسية وعن المزدكية والزرادشتية.

– والمزدكية ديانة فارسية قديمة أسسها الداعية الفارسي مزدك، ووفقًا للعقيدة المزدكية يدين المزدكيون بوجود مبدأين (الخير والشر)، و(النور والظلمة). وأقرت العقيدة النظام الاشتراكي في الأموال والنساء. وأيد الملك الفارسي قباذ الأول عام ٤٨٨م المذهب، وظل المذهب معترفًا به إلى أن خلعه الملك أنوشروان. وأعاد المذهب الزرادشتي.

- الزرادشتية: أسسها زرادشت، وهي ديانة قديمة، تعد أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم. تأسست منذ ٣٠٠٠ سنة. يعتقد معتنقوها بوجود إله واحد أزلي هو أهورامزدا بمعنى الإله الحكيم. وهو خالق الكون. بشّر زرادشت بالقوة الشافية للعمل الصالح والقوة الخيرة، والنار والشمس هما رمزا المجوسية، ولذلك فإن النار مقدسة لأنها تمثيل عن نور أو حكمة أهورامزدا، ولهذا يحرص الزرادشتيون على ألا تنطفئ في معابدهم، وتزعم الديانة أن أهورامزدا خلق العالم الذي هو خير في سبع مراحل، ولكن أنكرامينو دخل فيه ليفسده، ومن ثم يتصارع الخير والشر في العالم. ويعتقد الزرادشتيون أن الخير سينتصر في النهاية، ويعتقدون أيضًا بالحياة الآخرة حيث تمتد الأرواح مع الأجسام، ويصب النهر الملتهب في جهنم فيطهرها، وتعود الأرض إلى حالتها الأولى الخيرة. أمر زرادشت أتباعه بالصلاة أمام النار التي هي (رمز) للنظام والعدل في معتقدهم. وهم يصلون خمس صلوات في اليوم، عند شروق الشمس، وعند الظهر، وعند المغرب، وفي منتصف الليل والفجر، ويصلون وقوفًا وهم يربطون ويحلون زنارًا مقدسًا حول وسطهم وتسبق الصلاه طهارة[1]. وكتابهم الديني هو الأفستا، ومعناه الأساسي أو الأصل أو المتن. وهي عندهم وحي من أهورامزدا، وتشتمل على خمسة أسفار: ١) سفر اليسا ومعناها العبادة، ٢) سفر الوسيرو أو الفسبرد، ٣) اليشتان أي الترنيمات أو المزامير، ٤) الوانديداد أو الفانديداد أي القانون، ٥) الخودة افستا[2]. وقد انحسرت الديانة الزرادشتية بشكل كبير،

---

(1) Ejabal google com.

(2) Goldziher Memorial conference, Edited Eva Apor and Istvan Ormos, Buda Pest, 2005.

حيث لم يبق من أتباعها في العالم سوى ٢٠٠ ألف نسمة ينتشرون في الهند والباكستان وأمريكا الشمالية(١).

وقد ورد ذكر الزرادشتية وزرادشت لدى الشهرستاني بالملل والنحل ولدى ابن حزم بالفصل، وعدَّهم فقهاء مسلمين من أصحاب الكتاب الذميين، وما زالوا يعدونهم كذلك في الدولة الإيرانية الحديثة، ويرى ابن حزم الأندلسي أن زرادشت من الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم.

ص١٩٠- اكتشاف يهودي اعتنق الإسلام اسمه سعد بن حسن الإسكندر، ألف كتابًا دفاعًا عن الإسلام- تكليفه بتنظيم وترأس رحلة دراسية لأساتذة جيل الوسط المجريين إلى مصر، وترحيبه بذلك؛ لأنه سيخطو بقدميه مرة أخرى بوابات الأزهر بعد مرور ٢٢ عامًا على زيارته الأولى للأزهر ودراسته به.

ص١٩١- إجراء امتحان لأحد المسلمين بالبوسنة يرغب في تعيينه أستاذًا لفقه اللغة العربية بسراييفو- فكرة تنظيم محاضرات عن موضوع "المؤسسات الإسلامية" ببودابست ومرور ٢٠ عامًا على خدمته للجالية اليهودية في سودوم.

ص١٩٢- ١٩٣- زيارة لندبرج في توتسنج وبقاؤه بالمكتبة فترات طويلة للقراءة، وتعرف ما بها من مخطوطات نفيسة، وكتب عربية مهمة (مدة ستة أسابيع)، منها مؤلف عن أبي نواس، وسيرة الطبري، والبخاري، والشافعي لابن عساكر، ومخطوطات لابن حزم- تبادل خطابات مع نولدكه.

طبع ديوان أبي نواس بتحقيق فون/ كريمر، فيينا ١٨٥٥، وطبع في مصر/ طبع حجر مشروحًا بقلم محمد واصف بمصر ١٢٧٧، ويتقدمه فصل

---

(1) SKjoervo. P. Okto: Goldziher and Iranian Elements in Islam, P. 245-250.

لجامع الديوان حمزة بن الحسن الأصفهاني في شعر أبي نواس، طبعة العمومية ١٨٩٨[١].

ص١٩٤- إرسال خطاب إلى جمعية المستشرقين الألمان التي طلبت منه- مع غيره- تأليف موسوعة متخصصة عن الإسلام، ومع الخطاب قصيدة على وزن بحر الرجز.

ص١٩٥- توديعه عند مفارقة قصر توتسينجن في مدينة ميونخ، والتقى هوميل وجلازر، وأمضوا وقتًا بالمدينة- الحديث عن جلازر وكيف أنه يلاقي الاضطهاد بجامعة فيينا باعتباره يهوديًا بولنديًا وتحاك ضده الدسائس- الشروع في كتابة بحث عن المدائح المحمدية.

ص١٩٦- وصفه لصديق الطفولة الذي انقلب عليه- وليام باخر- مقالة عن ابن عساكر الذي كتب عن سيرة الطبري- وإرسال مقالة: "المدائح المحمدية" *Enlogie der Muhammedaner*- قراءة دراسة عن "تطور الأدب التاريخي على يد العرب" باللغة المجرية:

Studie über die Entwicklung der historischen Literatur unter den Arabern.

- الكتابة عن قصة الراهب بارصيفا (القديس بارصيفا. كان في زمن بني إسرائيل يعيش في قرية صغيرة، وكان مسيحيًا حقيقيًا موحدًا ومؤمنًا بعيسى-عليه السلام - وأنه رسول الله، ويحكى عنه أن ثلاثة إخوة تركوا في رعاية أختهم، ولكن الشيطان وسوس له مرة أخرى، وفي كل مرة ينفذ ما

(١) لم أجد لدى سركيس أي ذكر لما نسبه جولدتسيهر إلى ابن عساكر؛ إذ لم أجد له بسيرته إلاّ التاريخ الكبير لدمشق، وتبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي حسن الأشعري.

يوسوس به الشيطان حتى حملت هذه الأخت منه، وقتل طفلها ودفنـــه فـــي غرفتها ثم قتلها، ولما عاد الإخوة الثلاثة أخبرهم أنها مرضت مرضًا خطيرًا ثم توفيت. ولكن الشيطان وسوس للإخوة الثلاثة حتى عرفوا القصة كلهـــا، وحفروا القبرين، وأخذوا الحاكم، فوسوس له الشيطان بأنه يستطيع أن ينقـــذه من تنفيذ الحكم عليه بالرجم إذا كفر بالله. فلما كفر بـــالله وســـجد لـــه (أي للشيطان) قال الشيطان: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين. فـــذلك قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بـــريء منك إني أخاف الله رب العالمين. القصة موجودة لدى ابـــن كثيـــر "بدايـــة ونهاية"، بالجزء الثاني.

بيفان يرسل إليه صورة فوتوغرافية لمخطوطة كتاب "المعمرين" لأبي حاتم السجتاني الموجودة بكمبردج.

ص١٩٣- الاستعداد للرحلة إلى مصر، وأخبار عن انتـشار مـــرض الكوليرا بها، تأجيل مشروع السفر- رسالة المستشرق اليهودي البولندي إليه (يقصد د. هـــ ميللر *D. H. Müller*، ومعها كتابه الذي نشره عن بناء الشعر المقطعي عند أنبياء الكتاب المقدس والقرآن الكريم والكتابات السماوية.

Der Strophenbau der biblischen Propheten, des Korans und der Keilschriften.

وطلب نولدكـــه منـــه أن يكتـــب نقدًا عنه، ولكنه لم يرسل النقد حتى لا يصاب كاتبه (أي د. ميللر) بالإحباط.

ص١٩٨- الرحيل إلى مصر ورؤية أمـــين فكـــري باشـــا (محـــافظ الإسكندرية آنذاك)؛ لأنه تعرف عليه في زيارته السابقة لمصر، واستـــضافه أمين باشا يومًا بمسكنه بالزيتون، والتقى فـــوللرز *Vollers* عنـــده- زيارتـــه

للأزهر ولكن لم يعجبه ما يدرس به مثلما أعجبه بالمرة الـسابقة قبـل ٢٣ عامًا- زيارة معالم القاهرة وبعض المساجد والمقابر- تجوله بالإسماعلية- زيارة دار العلوم بتصريح من يعقوب أرتـين باشـا (١٨٤٢- ١٩١٩)[١]- زيارة درب الجماميز- لقاء عميد دار العلوم أمين بك سامي الذي أطلعه على النظام المدرسي للدار، وطاف معه بقاعاتها، وحضور بعض المحاضـرات- تعليق جولدتسيهر على ما رأى وسمع- زيارته للمدرسـة الناصـرية التـي يلتحق بها أبناء الطبقة الراقية- زيارة جيلاردو بك رئيس تحرير مجلة أخبار مصر له- زيارة تكية المغاوري بالأزهر والحديث عـن سـاكنيه- زيـارة الإسكندرية والرحيل بالباخرة.

ص٢٠٠- ما لقيه في موطنه من مضايقات بـسبب الرحلـة ماديًّـا وإداريًّا- وما لقيه بإدارة الجالية أيضًا.

ص٢٠٣- الكتابة عن "الحركة في مملكة المهدى".

über die Bewegung im Reiche des Mahsi.

وعـن مظـاهر تقـديس الأوليـاء بمـصر *Muhammedanische Heiligenlcultus in Ägypten*، وهذه ثمرة رحلته إلى مصر- لقاء د. هـ. ميللر *D. H. Müller* الذي كان غاضبًا منه لعدم تأييده لما يراه عـن شـعر المقاطع- حضور دكتور شيستر *Chester* من بوسطن للتتلمذ عليـه- نـشر المجلد الأول من كتاب "أبحاث ومقالات" *Abhandlung*، وامتداح نولدكـه، وجويدي له بالمجلات الأدبية.

---

(١) من أبرز رجال التعليم في مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر - شغل منصب وكيل نظارة المعارف العمومية ١٨٨٤- ١٩٠٦ وهو أرمنى الجنسية بذل جهودا مشكورة في تطوير التعليم في مصر، وكان من الرعيل الأول الذين بذروا فكرة إقامة أول جامعة مصرية. (عونى)

ص٢٠٤- الاستشهاد بسطرين من شعر بلاتن.

ص٢٠٦- جولدتسيهر يتذكر ما لقيه من إطراء الملك أوسكار ***Oskar*** ملك السويد ومديحه له في المؤتمر الاستشراقي الذي عقد بستوكهلم، عندما اشتد عليه الهجوم من أبناء وطنه واليهود ببودابست- تدريس صحيح البخاري وشرح القسطلاني لتلميذه شيستر الأمريكي.

ص٢٠٧- خطاب البارون روزن ***Rosen*** طالبًا منه السماح لأحد المستشرقين- ويدعى شميدت ***Schmidt***- بالحضور إليه في بودابست ليتعلم منه لأنه من المقرر أن يعين أستاذًا للدراسات الإسلامية بجامعة بيرزبورج- قراءة في كتاب المعمرين للسجتاني لينتهي من تحقيقه وتزويده ببعض الملحقات- المرصع لابن الأثير.

ص٢٠٨- طلب دكتور أخيلس ***Achelis*** منه مشاركته في تأسيس مجلة خاصة بعلم الأنثروبيولوجي وعلم الأديان المقارن- تدشين المدرسة اليهودية الجديدة.

- الحديث عن تقديم المساعدة لرفقاء تخصصه وتصويب أخطائهم، ولم يعترف منهم بمساعدته لهم في التصويب إلَّا نولدكه، وفان بريشم، وزايبولد. وهو الذي أصر على ذكر مساعدة جولدتسيهر إلى جوار جويدي ونولدكه وإهدائه تحقيقًا لكتاب المرصع لابن الأثير[١]، وافتخار جولدتسيهر بوضع اسمه مع المستشرقين المشهورين.

ص٢٠٩- انشغاله بوضع تصور عن دواوين القبائل العربية التي أعاد فيها نصًّا مفقودًا من الأدب العربي، ومنح بسببها العضوية الشرفية لصحيفة ***RAS***.

---

(١) وهو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم بن الأثير الجرزي، وكتابه "المرصع في الآباء والأميات والبنين والبنات والأنواء والذوات"، الذي حققه زيبولد C. T. Seybold عام ١٨٩٦.

ص٢١٠- حضور السيد ف. شميدت إليه للتتلمذ عليه في العلوم الإنسانية- كان يجلس سعيدًا بالتدريس لهذين الطالبين (الأمريكي والروسي) ثلاث مرات أسبوعيًا، ودرَّس لهما صحيح البخاري وميزان الشعراني- الانشغال بالحقبة الجاهلية وفرسانها وشعرائها- الاستشهاد بالمزمور الأول.

ص٢١١- الحديث عن العهد الجديد (أي الإنجيل)، وأوضاع الدرس والتربية فيه، وعن التجار والحاخامات الجهلاء والمدرسين الذين لا ضمير لهم- الاستشهاد بسفر حزقيال (١٣: ١٢).

ص٢١٢- تمثيل الحكومة والجامعة في مؤتمر الاستشراق بباريس.

ص٢١٣- جلسات هيئة اللجنة اليهودية وما يجري بها- مقالة عن حماسة البحتري.

ص٢١٤- كتابة التقرير السنوي للجنة اليهودية، وتصويبات رئيس المجلس المزعومة للتقرير- الاعتراض على لغة جولدتسيهر المجرية، وعلى أسلوبه في الكتابة وتصويبات الرئيس له.

ص٢١٥- كتابة نعي للمرحوم بريل بتوقيع غير توقيعه- اقتراح فامبيري على العميد إعطاء جولدتسيهر مكافأة تدريس وليس مرتبًا- الاستشهاد بنص لياقوت الحموي. وقد راجعت الحديث النبوي في كتابي ياقوت الحموي الاثنين: "معجم البلدان"، و"المشترك وضعًا والمفترق صقعًا" وكلاهما من تحقيق فيستنفلد *Wüstenfeld* (١٨٠٨- ١٨٩٩)، لأول مرة نشر معجم البلدان (١٨٦٦- ١٨٧٣)، ونشر "المشترك وصفًا والمختلف صقعًا" عام ١٨٤٦، فلم أجد الحديث النبوي بهما تحت "حماة" كما جاء باليوميات.

ولكنني وجدت الحديث كاملاً، وليس مطابقًا تمامًا لما جاء بترجمة جولدتسيهر، وإنما نص الحديث كما جاء في صحيح البخارى: كتاب العلم،

باب فضل من علم وعلَّم (طبعة الشعب)، وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي جـ١، ص١٩ (دار الشعب)، وصحيح مسلم (كتاب الفضائل)، رقم ٢٢٨٢، وهو كالتالي:

مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وبقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها ضائقة قيعان لا تمسك ماءً ولا نبت فيها، فذلك من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعلِم وعلّم، ومثل من لو يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به.

وجاء الحديث رواية عن أبي موسى الأشعري، وقيل حديث متفق عليه.

ص٢١٦- التماس معونة للجالية من البارونة هيرش.

ص٢١٧- تعيينه عضوًا من الخارج بأكاديمية فيينا- كتابة تمهيد لمقالة عن أبي حاتم السجتاني- كتابة مقالة عن إبداع وفوضوية جونكل.

ص٢١٨- السفر إلى باريس ولقاء أصدقاء مستشرقيين- تعيينه مديرًا عامًا للجنة دولية استشراقية- الانقطاع فترة عن تدوين يومياته لبلوغ ولديه فترة النضوج التي تجعلهما قادرين بأنفسهما على مراقبة أحداث حياته.

ص٢١٩- السفر إلى باريس لحضور مؤتمر المستشرقين- برقيات تهنئة لاختياره عضوًا بالأكاديمية الملكية للعلوم بسانت بيترسبورج، وعدم اهتمام رؤسائه بالجالية اليهودية بذلك، وعدم اهتمام أصدقائه اليهود.

ص٢٢٠- موافقة الأكاديمية المجرية على منحه ٣٠٠ فلورين- ونشاطه في كتابة مقالات عن تاريخ الأدب العربي وغيره لجمعية فرانكلين-

مشاركته في وضع خطة لكتابة تاريخ الأدب العربي- تعيين شخص مكان كاوفمان، واقتراح تقسيم ما كان يتقاضاه بين باخر، وبلاو.

ص٢٢٢- سحب هيئة التعليم العرض ليتشارك باخر وبلاو في العمل في المكان الذي كان يشغله المرحوم كاوفمان على أن يقتسما المكافأة الشهرية التي كان يحصلها من اللجنة.

- السفر مع زوجته إلى إيطاليا- حضور مؤتمر الاستشراق ممثلاً للحكومة والجامعة والأكاديمية بروما، واحتفاء أعضاء المؤتمر به- لقاؤه مع كاوتش، وبوده، ونوفال، وكون، وهولسينجر، ومصادقته لهم.

ص٢٢٣- معاناته مع المسئولين عن الجالية اليهودية- بارميزوا *Bar-Mizwah* بالعبرية معناها ابن الواجب: "تدل على الصبي البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة، ويقوم بالواجبات الدينية التي يكلف بها- وخداع الجالية له ليبقى القيام بمثل تلك الواجبات رغم معاملتهم القاسية له.

انتحار بيترفاي خبوا بإطلاق الرصاص على نفسه بقطار السكة الحديد- ترحم جولدتسيهر عليه وعلى من ماتوا من الأصدقاء قبله.

ص٢٢٤- زيارة إدوارد نويمان له بعد إلقائه محاضرة بمنتدى الأدب اليهودي *Abraham Geiger* (١٨١٠- ١٨٧٤) وهو حبر يهودي ألماني تناول بالدراسة المشابهة بين القرآن الكريم وبعض الكتب المقدسة عند اليهود (موسوعة المستشرقين لدكتور بدوي)- فريدريش نيتشه (١٨٤٤- ١٩٠٠) *Friedrichl Nietzsche* فيلسوف وشاعر ألماني، كتب نصوصًا وكتبًا عن المبادىء الأخلاقية والنفعية.

ص٢٢٥- حفل استقبال مسائي عند بائع الكتب ريفاي، وسعادة جولدتسيهر أن يكون ضيفًا مع علية القوم.

- عرض السيدان كرنوس وมونكاشي على جولدتسيهر أن يضعا اسمه على صدر غلاف صحيفة جديدة ليتشرفا به، ورفضه.

- تحسره على ما فات من عمره لِمَا عاناه من مضايقات وألــم فــي سنوات شبابه- عرض تدريس مادة الفلسفة الدينية علـــى جولدتـسيهر؛ لأن القائم على تدريسها وجد أنه غير قادر على تدريسها.

ص٢٢٦- مواصلة العرض مــع الإغــراء بــأن المقابــل ســيكون ١٥٠٠جولدن.

حديثه مع فامبيري الذي يصفه بأنه درويش عن قيمة المــال وفــضله على العلم- وصف للمستشرق فامبيري المستشرق مومزن ***Mommsen*** بأنه حمار وهو تيودور مومزن ***Mommsen, Teodor*** مستشرق عالم بالدراســات اليهودية، والتاريخ اليهودي.

- الكونت د. جيزا فون كوون يرغب في الاستفــسار عــن فهــارس المراجع الجغرافية، ومقتطفات من الجغرافيين العرب- مؤتمر تاريخ الأديان بباريس ودعوته لجولدتسيهر لإلقاء محاضرة.

ص٢٢٨- البحث عن تمويل للسفر إلى باريس لحــضور المــؤتمر- إصدار مرسوم وزاري بتكليفه رسميًّا بتــدريس محاضــرات للحاخامــات- استقبال القراء لكتاب "دراسات إسلامية"، وامتداحهم له.

ص٢٢٩- تصريح جولدتسيهر بأنه لا يستطيع أن يــستودع شــعوره بالتعاسة إلَّا لكتابة يومياته- وفاة مساعده- معاملة مجلس إدارة الجاليــة لــه بغلظة وسوء أدب.

ص٢٣٠- طلب حاكم الجزائر العام منه أن يكتب مقدمة لطبعة خاصة عن "ابن تومرت" ستصدرها الحكومة.

وابن تومرت هو محمد بن تـومرت (١٠٨٧- ١١٣٠) مـصلح ديني وزعيم من البربر يسمى مهدي الموحدين، اتصل عن قرب بـآراء ابـن حـزم والغزالي، وتأثر بها. وبعد عودته من زيارة الأندلس ومـصر والحجـاز إلـى المغرب، أخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولاقى في ذلك عنتًا، وبخاصة لأنه استنكر المعتقدات وطريقة الحكم. كوّن أتباعًا علمهم ونظمهـم، وسـماهم المؤمنين أو الموحدين، وبدأ يحمل على دولة المرابطين، ووضع أسـاس دولـة الموحدين التي أقامها تلميذه عبد المؤمن بن علي. وكانت دعوته سياسية دينيـة، سفكت فيها دماء كثيرة، وآراؤه مزيج من تعاليم الشيعة وأهل السنة.

- أرسلته الأكاديمية اليهودية مبعوثًا لها لحضور الجمعيـة العموميـة للمنظمة الدولية للأكاديميات بباريس حيث قوبل بالتكريم- ألقى محاضرة عن انتشار الإسلام في فارس- قيامه برحلة في أوربا بإجازة الصيف، ولقاؤه من فيلهاوزن في جوتنجن.

ص٢٣١- الاحتفال بمرور أربعين عامًا على مشوار عمله في الكتابة (١٦ من مايو ١٨٦٢)- تقويمه لأعماله- عنايته بالأدب المجـري أيـضًا- الرضا عمًا كتب- عدم الرضا عن وظيفته التي استمرت ٢٧ عامًا- التنويه بدعوة رئيس تحرير جريدة الأدب الألمانية وامتداحه لـه باعتبـاره شـيخ المستشرقين الأحياء- سعادته أيضًا بإهداء شواللي كتابه عن البيهقي إليه.

والبيهقي (١٠٧٧- ١١٥٠) هو أحمد بن علي بن محمد. لغوي ألـف كتاب المحيط بلغات القرآن، وينابيع اللغة، وتاج المصادر (الثلاثي المجـرد، الثلاثي المزيد وغير الثلاثي). وقد حقق فريدريش شفاللي (١٨٦٣ - ١٩١٩) *Friedrich Schwally* من كتبه: "المحاسن والمساوئ" ووضع له فهـارس. وشفاللي هو الذي أعاد تهذيب كتاب نولدكه عن تاريخ القرآن (الجزء الأول) *Geschichte des Qorans*.

-البدء في كتابة دراسات عن الإسلام، الخرافة الإسلامية بشأن قوة الذاكرة، القرين في الاسلام، أعداء الكلام في الفلسفة واللاهوت.

- حضور مؤتمر المستشرقين في هامبورج- الاعتراف بإنتاجه العلمي بالمؤتمر- كتاب الحكومة الملكية لروبرتسون سميث (١٨١٩- ١٨٩٤) ***Robert Payne Smith***، عالم لاهوت، كتب عن محمد- صلى الله عليه وسلم- وظهور الإسلام، وعن تطور مبكر للإسلام، وكان أستاذًا بجامعة كمبردج

- ***Muhammed and the Rise of Islam, 1905.***

- ***Erly development of Mohammedanism, 1914.***

أما كتاب "النسب" ***Kinsip*** الذي يذكره جولدتسيهر فقد سبق ذكره في صفحة ٢٠٧ بتاريخ ١٥ من يونيو ١٨٩٧، يستعجل فيه دار النشر ***Black*** في لندن بضرورة الاهتمام بالطبعة الجديدة لكتاب روبرتسون سميث "النسب". وفي ٢٨ من إبريل ١٨٩٤ عرض على جولدتسيهر شغل مكان سميث بجامعة كمبردج بعد وفاته.

ص٢٣٢- التفاوض على كتابة مختصر لفقه اللغات السامية- ووصف أحد الكُتّاب له بأنه "شيخ العلوم الإسلامية"- دعوة باسم الباحثين الأمريكان له ووصفه بأنه "ضيف رسمي" على مؤتمر العلوم والفنون بالمعرض الدولي المقام في سانت لويس- جامعة كونجزبيرج طرحت اسمه لنيل درجة الأستاذية في العلوم الشرقية.

- معاملة المسئولين بالجالية له معاملة مزرية- عرض لتولي منصب بالأمانة (الأمين العام للمكتبة الأكاديمية)، ثم سحب العرض دون ذكر السبب- تعيين ابنه الأصغر أستاذًا للرياضيات- نشر ست عشرة مقالة بالمجلات المختلفة.

ص ٢٣٥- نشر مقدمة كتاب محمد بن تومرت وإعجاب النقاد بها، ومنهم نولدكه، ودي خويه- الجمعية الآسيوية للبنجال تعرض عليه العضوية الشرفية بها، كما عرضتها على زميله سزوما كوروزي ***Csoma Körösi*** من قبل.

وساندور كوروزى سزوما (١٧٨٤- ١٨٤٢) ***Csoma, Sändor Körösi*** لغوي مجري ومستشرق- خاطب نولدكه يستأذنه في أن يجعل الإهداء في أحدث إصداراته له فاعتبر ذلك أعظم شرف- زيارة كاوتش له في طريق رحلته إلى القسطنطينية- حصول ابنه كارل على الأستاذية في الرياضيات، وحصوله على وظيفة باتحاد الجمعيات المجرية للتأمين على الحياة بفيينا.

ص٢٣٦- خطاب مستشار نائب رئيس جامعة كمبردج باختياره لنيل "الدكتوراه الفخرية في الأدب"، وأن الاحتفال به سيكون ٢٨ من شهر يونيو، وذهابه إلى كمبردج وعودته مظفرًا.

ص٢٣٧- معاملة رؤسائه في الجالية السيئة- السؤال عن اعتزامه الاستقالة من منصبه بالجالية.

ص٢٣٨- خطاب الأكاديمية بلندن بتعيينه عضوًا من الخارج.

- إيفاد لجان امتحانات الثانوية بمدرسة الطائفة الكاثوليكية في بايا ***Baja***.

-جولدتسيهر مفتشًا على امتحانات المدرسة، وتعجب الوزارة (وزارة التعليم) كيف يرسل مفتش يهودي الديانة إلى مدرسة كاثوليكية- وصول خطاب مصلحة الجالية، تتعجب من حصوله على إجازة مدة خمسة أسابيع كاملة ليقوم بزيارته لأمريكا- سفره إلى أمريكا عن طريق بريمن بالباخرة- "القيصر فيلهلم الكبير"، وإلقاء محاضرات عن الفلسفة اليهودية.

ص٢٣٩- قراءته أثناء الرحلة من بريمن، والتعليق على ما قرأ.

ص٢٤٠ – كتابة بعض الملحوظات عما رآه بأمريكا بالصحف– كتابة استقالة من وظيفة السكرتارية بالجالية اليهودية– الاحتفال بعيد ميلاد الحاخام بلوخ *Bloch* لبلوغه التسعين– جلسات مجلس الجالية، والنظر في شأن استقالته.

ص٢٤١– قبول الاستقالة من الناحية الشكلية– مطالبه بكتابة دراسة إسلامية على هيئة مقالات– ترشيحه لشغل منصب مستشار التعليم بجلسة الكلية.

ص٢٤٢ – مقابلة فامبيري بالشارع، وقد أطلق عليه لقب "الكّذاب الأعرج"، الذي سأله "متى سيرضى الله عنك ويتم تعيينك؟"– وصول رسالة من سكرتير المعهد المصري يعلمه فيها بأن المعهد ضمه إلى عضويته بصفته "عضوًا شرفيًا"– العجز المالي في خزانة أموال الجالية، والتفكير في تعيين من يشغل منصب سكرتير الجالية بعده– ورود خطابات من نيويورك تبلغه رغبة ثلاثة معاهد عليا يهودية بنيويورك في الاستماع إلى محاضراته على وجه السرعة، مع إبلاغه بعرض القاضي سالبرجر باستضافته في فيلادلفيا.

ص٢٤٣ – انتخابه رئيسًا للأكاديمية المجرية.

ص٢٤٨ – حضور احتفال بإزاحة الستار عن تمثالين تذكارين لفيراج وانبوس اللذين كان لهما دور مؤثر في نهاية القرن الثامن عشر في التدريس بالمدارس الثانوية، واللذين علماه وهو صغير، موفدًا من الأكاديمية.

العشاء مع طائفة السيسترسيان *Cistercien*، وهي طائفة كهنوتية لها مدارس منتشرة في أوربا آنذاك، باسم *Cistercien Congregation of St Bernard*.

– الشكر لله إذ أصبح حرًا بين الأحرار بعد طول معاناة عندما كان سكرتيرًا للجالية اليهودية.

ص٢٤٩- الانشغال بالتدريس- كراهية بني عقيدته له- خطاب نولدكه إليه- الدعاء لله رجاء أن يمنحه السعادة والتوفيق مع زوجه وأبنائه- الاحتفال بيوم ميلاد جولايس الذي بلغ الثمانين من عمره.

حفل تكريم لنولدكه في هايدلبرج وقضاء يومين مع زملائه المستشرقين.

ص٢٥٠ - التعرف على البريشت ديترش أستاذ اللغات القديمة ومؤرخ الأديان- السفر إلى شتراسبورج ومقابلة بعض المستشرقين وتقديم الكتاب التذكاري لنولدكه.

-السفر إلى عدة بلدان بألمانيا- محاضرة عن كتابه "جوهر الطوائف في الإسلام"، وإعجاب السامعين به.

ص ٢٥١ - تسلم خطابًا من جامعة إبردين لحضور احتفالها باليوبيل- دعوته لإلقاء محاضرات في ثمانية جامعات بالولايات المتحدة عن تاريخ الإسلام.

-الاتفاق على تقديم معالجته لكتاب باتسيه ***Pseudo – Bachja*** (هو كتاب معاني النفس لجولدتسيهر).

-أما بنيامين بن يوسف بن باقودا ***Benchja ben Josef ben Pakuda*** فقد كان ممثلاً مهمًا للفلسفة اليهودية. عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وألف أول نظام يهودي للأخلاق بعنوان ***Pflichten des Herzen*** "واجبات القلب".

ص٢٥٢ - تأبين الكونت جيزاكون- منحه الدكتوراه الفخرية في الحقوق من جامعة أبردين وتسلمه الشهادة في حفل مهيب. وهي ثاني دكتوراه فخرية تمنح له، (والأولى كانت في الأدب).

ص٢٥٣ – حضور بعض المستشرقين إليه، ومنهم بولاك الذي حضر إليه من براغ لكي يأخذ عنه تعاليم الفلسفة اليهودية.

–تسلم ابنه كارل عمله مدرسًا تحت التدريب بالمدرسة الثانوية "ألت أوفن".

– قرار الوزارة بإرساله مع الأسقف كيس إلى أبردين لتمثيل الجامعة.

– قضاء بضعة أيام مع سنزك في هاج ***Haag***، وتعرفه على دي بور صاحب "تاريخ الفلسفة في الاسلام".

ص٢٥٤ – السفر إلى ليدن لمقابلة دي خويه، ثم إلى أبردين.

ص٢٥٥ – الاحتفالات على المستوى الكنسي.

ص٢٥٦ – اختياره رئيسًا للدور القادمة للجمعية العمومية للأكاديمية، ومدتها ثلاث سنوات.

ص٢٥٧– السفر إلى فيينا مبعوثًا من الأكاديمية لحضور العام الثالث لاتحاد الأكاديميات– الانتهاء من إعداد المحاضرات التي يلقيها بأمريكا– تلطيخ سمعته بجميع الجيتوهات بالعالم– ظهور كتابه "معانى النفس" بالأسواق.

ص٢٥٨– وفاة أوسكار ملك السويد– تكليفه بتأليف كتاب عن تاريخ الأدب العربي– اختياره عضوًا بأكاديمية العلوم الملكية بأمستردام– طلب إعفائه من تدريس المحاضرات في فترة غيابه للسفر إلى أمريكا– اختياره عضوًا بهيئة العلماء بأكاديمية العلوم الملكية بأمستردام.

ص٢٥٩– رئاسة الجلسة العمومية للأكاديمية نيابة عن رئيسها بيرزيفتشي– طلب هيئة تدريس المعهد تعيين نائب له في شهور (سبتمبر–

يناير) عند سفره إلى أمريكا، وتحويل مخصصاته المالية في هــذه الأشــهر الخمسة إلى من ينوب عنه؛ كي يتساوى مع أي حاخام مرغوب فيه، ولو كان غير مؤهل.

ص- ٢٦٠- ٢٦١- مرضه وشكواه من عدم مساعدة عائلته له عــدا دكتور كوون- الاستعداد لعقد مؤتمر المستشرقين في كوبن هاجن- دراســة عن عناصر الأفلاطونية الجديدة والغنوهية في الأحاديث النبوية القديمة.

الأفلاطونية الجديدة: مذهب فلسفي صوفي يقوم على أصــول فلــسفية وغير دينية، وانفراد بعدم التعرض للأفراد للأخلاق، نشط في القرون الأولى بعد الميلاد. ظهر في الإسكندرية، ويعد أفلوطين مؤسسه الحقيقي في القــرن الثالث الميلادي. عارض حجج الماديين السائدة آنذاك، وفرّق بــين الــنفس وشتى الأجسام المادية، فوجود العلم المرئي قائم على "الواحد" الذي هو علة العلل والمبدأ الأول. وفوق كل تقليد وكل وجود. ومن هــذا الواحــد فــاض "العقل الإلهي" أو الذكاء الخالص، ومنه فاضت نفس العــالم. ومــن الــنفس الكونية فاضت أنفس جزئية وأشياء مادية قابلة للتغيير.

- الغنوصية: نسبة إلى غنوصيص *Gnosis* الإغريقية بمعنى المعرفة. وهي حركة فلسفية دينية. نشأت في العصر الهليني. وأساسها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة. ويقول الغنوصيون بالثنائية؛ أي بالتمييز بين الخير والشر المعتبرين عنصرين أساسيين للوجود. وأدمجوا في تعاليمهم شيئًا من السحر والشعوذة.

- تأثرت بالغنوصية بعض الفرق اليهودية مثل الأسينيين الذين رفضوا فكرة العهد القديم عن الإله العادل، واستبدلوا به الحكمة الإلهية.

- زيارة السيد ماكس هرتز بك (ثم باشا) الرجل الذي أنقــذ القــاهرة. وهو مجري، درس بالمجر والنمسا، وأمضى حياته العملية بمصر. وتــوفي

بسويسرا ودفن بإيطاليا. درس بمصر الآثار الإسلامية والقبطية. كانت زيارته الأولى بمصر ١٨٨٠. عينه فرانز باشا (مدير المكتب الفني بوزارة الأوقاف) رسَّامًا، ثم عُين مهندسًا ومديرًا للمتحف الإسلامي عام ١٨٩٢. وفي عام ١٩٠٠ عين مديرًا لجمعية صيانة التماثيل. حصل على لقب "بك" عام ١٨٩٥، ولقب باشا ١٩١٢. وقد رمم الكثير من المباني الأثرية بالقاهرة وأعاد بناء ما انهار منها.

- جلازر ***Glaser*** (١٨٥٥- ١٩٠٨) اهتم بجنوب الجزيرة العربية، ورحل إليها أربع مرات (١٨٨٢- ١٨٩٤)، ووُضِع ما جمعه منها (من صور النقوش) بأكاديمية فيينا، أسفرت رحلاته عن اكتشاف ١٠٣٢ كتابة قديمة منقوشة على الأحجار (باعها للمتحف البريطاني ومتحف فيينا)، واقتنى ٢٥٠ مخطوطًا من مؤلفات الزيديين وضعت بمكتبة فيينا الوطنية.

- هوميل ***Hommel*** (١٨٥٤- ١٩٣٦) من تلاميذ فلايشر. تعلم اللغات السامية وعلّمها في جامعة ميونخ. وأهدى إلى فلايشر كتابه لتكريمه بعنوان الدراسات الشرقية في جزأين (١٩١٧- ١٩١٨).

- حمورابي ***Hammurabi***: حكم بابل بين عامي (١٧٢٨- ١٦٨٦) ق. م. سادس ملوك بابل، وأول ملوك الإمبراطورية البابلية. كان قائدًا عظيمًا، وكان له قدرة إدارية وتنظيمية. وله مسلة مشهورة منحوتة من حجر الديوريت الأسود بمتحف اللوفر بباريس، وألواح لقانونه (قانون حمورابي).

- الويرموزيل (١٨٦٨- ١٩٤٤) ***Musil*** مجري، تخرج في جامعة براغ، وأشرف على الدراسات العربية بها، ودرس اللغات السامية. تكررت رحلاته إلى الشرق العربي (١٨٩٦- ١٩٠٢)، (١٩٠٨ - ١٩٠٩)، (١٩١٢)، (١٩١٤- ١٩١٥). تعلم في معهد الآداب الشرقية ببيروت، وعلّم في مدرسة الكتاب المقدس للآباء الدومينيكين بالقدس.

- لويس شيخو (١٨٥٩- ١٩٢٧) ***Cheikho***، راهب يسوعي كلداني، وأديب ومؤلف، كان مدرسًا في مدرسة الآباء اليسوعيين. تنقل في بلدان أوربا والمشرق. أكثر من كتابة المقالات منذ كان في سن الخامسة والعشرين. من تصانيفه "المخطوطات العربية لكَتَبة النصرانية، ومَعرض الخطوط العربية، ومجلة الأدب العربي، وعلم الأدب".

- روزين (١٨٥٦- ١٩٣٥) ***Rosen, Fr***: أتقن اللغة العربية كتابة وخطابة. عين أستاذًا للغة الهندستانية في معهد اللغات الشرقية ببرلين، ثم سفيرًا إلى طهران، وقنصلاً في بغداد (١٨٩٨)، وفي القدس (١٨٩٩)، وسفيرًا في طنجة حتى عام ١٩١٠، وفي بوخارست (١٩١٠- ١٩١٢)، ولشبونة (١٩١٢ - ١٩١٦)، ولاهاي (١٩١٦ - ١٩٢٠) ومدريد. واعتزل السياسة في عام ١٩٢١؛ لينصرف إلى الفنون والعلوم.

ومن آثاره: أتتكلم الفارسية (برلين ١٨١٩)، وقصص فارس مع معجم (١٩١٥)، والمفاهيم من خلال الكلمة والصورة (١٩٢٥)، وتاريخ الأدب الأوردي، في كتاب معرفة الأدب ١٩٥٢.

- تشالز لايل (١٨٥٤- ١٩٢٠) ***Lyall, Charles***، تخرج في كمبردج، وعمل بالهند، ودرس العربية وأتقنها، وعنى بالشعر قبل الإسلام. وشرح المعلقات السبع للتبريزي (١٨٨١- ١٨٨٤)، وحقق دواوين عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل بشرح الأنباري متنًا وترجمة (١٩١٣)، والمفضليات للمفضل الضبي بشرح الأنباري متنًا وترجمة وفهارس (١٩٠٨- ١٩٣٤).

- الاتفاق مع دار النشر (فينتر) على إصدار محاضراته الأمريكية.

ص٢٦٢- زيارة سنوك ***Snouk*** له في مدينة أوفينكل- اختياره عضوًا شرفيًا بالجمعية المجرية الفندنلية - حضور اجتماع لجنة المبعوثين الخاص باتحاد الأكاديميات- لقاء فيلهاوزن بمدينة جوتنجن.

ص٢٦٣- قراءة ما نشر من أجزاء الطبقات الكبير لابن سعد الذي حققه فليجل وتلاميذه، وكتاب أمالي علي القالي- رئاسة بداية جلسات الأكاديمية لغياب الرئيس- وفاة فوللرز ودي خويه وفرينكل وبلوخ- طلب جامعة أوبسالا منه إلقاء ثلاث محاضرات عن الإسلام.

ص٢٦٤- طلب يهود استوكهولم منه إلقاء محاضرة ذات مضمون يهودي- امتحان شبيجل للتعيين حاخام، وتبين جهله بأوليات الدراسات الكهنوتية، ومنحه الشهادة رغم معارضته في قرار لجنة التحكيم- نشر محاضراته عن الإسلام بدار فنتر.

ص٢٦٦- اضطراره للتوقيع على شهادة شبيجل وإقراره بكتابة "بحضوري والامضاء جولدتسيهر".

ص٢٦٧- وصول التهاني إليه على صدور محاضراته عن الإسلام، وعدم وصول تهنئة من الحاخامات اليهود- إشادته بتهنئة فيلهاوزن وآخرين له- عيد ميلاده وفقًا للتقويم اليهودي يوم ١٩ من يوليو- وقف أعمال جايجر على المخطوطات اليهودية- شهادة دبلوم عضوية الجمعية الملكية للعلوم بجوتنجن- ظهور مجلد المحاضرات- عضوية مراسلة بأكاديمية بروسيا الملكية للعلوم ببرلين.

ص٢٦٨- تعيينه مستشارًا بالبلاط الملكي المجري اعترافًا بخدماته الجليلة في مجال التعليم العالي- تعيينه عضوًا عاملاً بالأكاديمية الملكية للعلوم بالدانمارك.

ص٢٦٩- تدريس العلوم الإسلامية للسيد جاردنر من القاهرة (علم الكلام والفلسفة والفقه والتصوف) بمنزله- وصول دعوة من القاهرة (في أغسطس ١٩١١) تناشده بعقد حلقة دراسية في الفلسفة بالجامعة الجديدة في

القاهرة– تسلمه خطابًا من الأمير أحمد فؤاد (ملك مصر بعد ذلك) رئيس الجامعة بتكليفه بذلك، بتاريخ ١٦ من أغسطس.

ص٢٧٠– وصول الأمير أحمد فؤاد إلى بودابست وزيارته للجامعة، وتكليف رئيس الجامعة لجولدتسيهر أن يكون في استقباله– الاحتفال بزيارة الأمير بالجامعة بحضور فورتي بك أمين مكتبة جامعة القاهرة، والقنصل بوندي بك القنصل بالقاهرة، والتصريح بأن الزيارة لم تكن إلا تقديرًا لشخص جولدتسيهر– دعوته لغداء مع الأمير بالفندق الذي يقيم به، وقول الأمير له: "لم آت إلى هنا إلا لإقناعك بقبول هذه الدعوة... فأنت أكبر مستعرب على مستوى العالم.. والواجب يفرض عليك أن تنقل ثقافة وعلم الغرب إلى الشرق".

– رجاء الأمير للوزير الكونت إيرنتال (ولملك المجر أيضًا) بألا يتوقف كل منهما عن الإلحاح على جولدتسيهر لتحقيق هذا الغرض– تسلم جولدتسيهر في ١٧ من أكتوبر من رئيس الوزراء (كونت خوين هيلدفاري) طالبًا منه أن يلبي طلب الأمير أحمد فؤاد.

ص٢٧١– في ٢٨ من أكتوبر أخبره وزير الدولة السيد بالوغ أن أمامه خطابًا رسميًا من وزير الخارجية (السيد إيرنتال) بالرجاء لوزير التعليم تحديد موعد لتلبية اهتمام المملكة لنداء السفر إلى مصر– الاحتفالات به والتهاني بمرور أربعين عامًا على عمله مدرسًا بالجامعة وزيارة سنوك له.

في ٢٠ من مايو ١٩٠١ صدقت الجمعية العمومية للمكتتبين لتأسيس الجامعة المصرية، على قانونها. وتم اختيار مجلس إدارة الجامعة في ٢٤ من مايو من خمسة عشر عضوًا، وعقد أول اجتماع للمجلس مكونًا من الأمير أحمد فؤاد باشا، وأربعة عشر عضوًا من بينهم مسيو ماسبيرو عالم الآثار

المصرية (وكان من المستشرقين الذين استعان بهم الأمير أحمد فؤاد باشا في شئون الجامعة المصرية).

وفي الأيام الأولى للجامعة زار الأمير أحمد فؤاد إيطاليا طالبًا المساعدة والعون، فوعدت إيطاليا بإمداده بأساتذة في كل المجالات، والمساعده أيضًا في دفع مرتباتهم.

وكان الأمير أحمد فؤاد يرى الاستعانة بأساتذة من المستشرقين الأوربيين لتدريس العلوم التي تعهد إليهم باللغة العربية في قسم الآداب، ومن ثم تابع رحلاته إلى البلاد الأوربية المختلفة ملتقيًا ملوكها ورؤساء حكوماتها ملتمسًا منهم المعاونة، والمساعدة في إرسال أساتذه في مختلف العلوم، ومستشرقين للتدريس بالجامعة، وأن تستمر حكوماتهم في دفع مرتباتهم الأصلية، في المدة التي يكونون فيها في خدمة الجامعة، وبهذه الطريقة لا يكلفون الجامعة إلَّا مرتبات يسيرة جدًّا، فتستطيع الجامعة بهذا تنظيم قسم الآداب بما لا يتجاوز مواردها.

وقد أورد أحمد بدير بعض صور للمكاتبات التي أرسلها بعض المستشرقين ردًا على دعوة الأمير أحمد فؤاد لهم للتدريس بالجامعة المصرية، ومنها: رد الأستاذ جولدتسيهر المستشرق المجري في ٢٧/١٠/١٩١١ من بودابست، مع رد كون هدروفاري من بودابست للاعتذار عن عدم قبول عرض الأمير[١].

٢٧٢- عام ١٩١٢ واختياره عضوًا شرفيًا بجمعية المستشرقين الألمان *DMG*- أرسل إليه هورتن كتابًا موسوعيًا "الآفاق الفلسفية" بإهداء "مع

---

(١) أحمد بدير: الأجانب في الجامعة المصرية، ص٤٧، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨.

خالص الاحترام والامتنان"– زيارة يوهانس بيدرس له؛ لينهل مــن علمــه– الاستعداد للسفر إلى أثينا لحضور مــؤتمر المستــشرقين، وتمثيــل جامعــة بودابست في احتفال جامعة أثينا بيوبيلسل– تلقيه ترجمة لمحاضراته، نشرتها مكتبة بروكهاوس– الاحتفال بعيد ميلاد أديجن راكوزي السبعين– اعتراض الحاخام فريدمان على تدريس جولدتــسيهر فــي حلقــة الــدرس الخاصــة بالحاخامات؛ لأنه ألَّف كتاب "الأسطورة عند العبرانيين" وهوفيمــا يــرى أن جولدتسيهر من أعداء الديانة– إرسال الشكوى إلى البارون جوزيف هاتفيًّا في للتحكيم.

٢٧٣– علَا صيت جولدتسيهر بين المثقفين، وأقرّ الكثيرون بأنه معلــم لجميع علماء الإسلاميات في عصره– تسجيل بيكر ***Becker*** في أرشيف علم الأديان أعمال جولدتسيهر– الرحلة إلى أثينا لحضور الاحتفال بيوبيل الجامعة بأثينا، ومؤتمر المستشرقين– استقبال ملك الإغريق له بعد إعجابه بالخطبــة التي ألقاها جولدتسيهر بالفرنسية– التوقف في كورفو– رؤيــة الأكروبــول ومشاهدة آثار العالم القديم للحضارة الهيلينية بــصحبة ســنوك، وبتــسولد، وبيكر، وماسنيو، ولامينس، وشور، وزكي باشا، وبوده– رحلة بحرية مــن ميناء بيريه في اتجاه الدردنيل وزيارة اسطنبول، والقرن الذهبي– دراســات تفسير القرآن، وعلى الأخص كتابا الكشاف، وابن عربي اللــذان درســهما بيترسن الدنماركي– رحلة إلى هولندا.

٢٧٤– عبر بون ***Bonn***، وزيارة عائلة سنوك– المشاركة في المؤتمر الرابع لتاريخ الأديان (٩– ١٥ سبتمبر) بهولندا، وضيافة سنوك لــه؛ حيــث احتفلوا بمرور ثلاثين عامًا على علاقة الصداقة بينهم– القيام برحلات إلــى مدينة لاهاي وروتردام– السفر إلى بودابست– التوقف في تسوجليجت لصلاة

عيد الغفران بإمامة جولدتسيهر- استلام خطاب مطول من الأمير أحمد فؤاد يجدد فيه دعوته لجولدتسيهر للحضور إلى القاهرة (١٧ سبتمبر ١٩٠٢).

٢٧٥ – عام ١٩١٣ ورحلة بمناسبة عيد القيامة إلى دالاماتيا- قضاء أسبوع في راجوزا حيث كتب فصلاً عن تفسير القرآن- عبد البهاء وزيارته لجولدتسيهر في منزله مرتين.

٢٧٦- تسلمه خطابًا من المستشرق الإسباني بلاسيوس طلبًا للمساعدة في تكوين هيئة تدريس لقسم الحاخامات بإسبانيا، وأن يقوم جولدتسيهر بتدريس الفرع الجديد بإلقاء محاضرات عن الأدب اليهودي- الاستعداد لتدريس عدد من المحاضرات عن "تعدد المذاهب في تفسير القرآن" بأوبساله.

٢٧٧- إرسال خطاب إلى مدريد بتزكية يهودا للقيام بتدريس المحاضرات المطلوبة بقسم الحاخامات- الاحتفال بخطبة ماريسكا فرويندبرج لابنه كارل- خطابه إلى ماسنيو يصف فيه خطيبة ابنه- مديحه لماريسكا ومساعدتها له في أعماله.

٢٧٨- كتابة خطاب باللغة العربية؛ بناء على طلب الأرشيدون جوزيف؛ لإرساله إلى سيدي إبراهيم المرابط بواحة كناسة بالمغرب- تلقى رسالة من عبد البهاء بعث بها من بور سعيد- إتمام مراسم الزواج المدني لابنه وماريسكا وقيامهما برحلة الزفاف إلى تورنجن- الكتابة إلى العروسين رسائل يومية وتسلم مثلها منهما.

٢٧٩- كتابة خطاب إلى عباس أفندي ردًا على رسالته- زيارة دكتور شيختر من نيويورك له- إقامة حفل تذكاري بمدينة توفيسجيهاز بالمعبد اليهودى الصغير بسيمندر، مع الزوجين السعيدين- الاحتفال بعيد ميلاد

الشاعر جوته بقراءة من الجزء الثاني لروايته "فاوست"- الرحلة إلى السويد لإلقاء محاضراته التي طولب بها في المدن السويدية المختلفة.

٢٨٠- بداية محاضرات جامعة بودابست- طلب عميد كلية الحقوق منه تدريس مادة الفقه الإسلامي بالفصل الدراسي الثاني من العام، وقيامه بالتدريس- الاحتفال بمرور أربعة أشهر على الخطوبة بالجلوس حول مائدة عائلة فرويدنبرج- زيارة منصور فهمي له مبلغًا إياه تحيات الأمير أحمد فؤاد، وتحيات سنوك الذي كان لديه (بالقاهرة) وقضى عدة شهور، وكان معه الطبيب العراقي بهجت مسجة- حضور الاثنين محاضراته عن البخاري- الاقتناع بجدية التكليف بالتدريس بكلية الحقوق وطلب العميد منه رسميًا نص الإعلان عن جدول محاضراته للفصل الثاني- طلب الحبر الأكبر هيفيسي منه إلقاء محاضرة في الرابطة القومية الثقافية الإسرائيلية بالمجر بشكل دائم- اكتشاف الجالية اليهودية لقدره واختياره للانضمام بهيئة ممثليها- إعلان عن محاضراته بصحيفة عن محاضراته بالكلية الفرنسية بباريس ووصفه بأنه متميز نادر الوجود- إلقاء المحاضرات بكلية الحقوق- توقف محمد كرد علي ببودابست وطلبه أن يتعرف على جولدتسيهر ملقبًا إياه "شيخ الملل والنحل"، وزيارته لمنزل جولدتسيهر حيث استرجعا ذكرياته عن الدمشقيين من جيل جولدتسيهر في عام ١٨٧٣.

ص٢٨٢- تحدث جولدتسيهر عن صداقته للشيخ طاهر أستاذ كرد علي، وعن صديقه مصطفى السباعي الذي يبلغ من العمر مائة عام، وهو في صحة وهمة- قضاء الإجازة على شاطيء بحيرة هولندية- السفر إلى ليبزج حيث يقام معرض "بوجرا"- أمسية عشاء جماعي بحضور الزملاء المستشرقين على شرفه، ومنهم فون مولينن، وكاله، وبروكلمان الذين جاءوا

من مدينة هاله- انشغاله بكتاب المستظهري للغزالي- اندلاع الحرب العالمية الأولى- تقطع كل التعاملات البريدية مع أرض المجر.

ص٢٨٣- ٢٨٤- صعوبات السفر- السفر بالقطار والعودة إلى بودابست ثمانية أيام- رؤية الكثير من القطارات العسكرية في ألمانيا والنمسا والمجر، تحمل المجموعات القتالية.

ص٢٨٥- الانتهاء من بحث الباطنية- حضور شيخين من المغرب كانا في برلين لأمور سياسية- في صحبة دكتور شابينجر لزيارته وهما واثقان في الله بانتصار كل ما يتعلق بالإسلام- حضور تلاميذه وعلى رأسهم المعلم مالر إلى أوفينكل؛ ليعربوا له في حماس عن تهنئتهم بمناسبة عيد ميلاده الخامس والستين- انتهاؤه من بحثه عن الباطنية، ومن مقالتين؛ الأولى عن سفور الرأس والأخرى عن موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة.

ص٢٨٦- تدفق كم هائل من الكتب والأعمال الإنسانية في دور النشر بألمانيا- المبعوث التركي في برلين محمود مختار يمجد جولدتسيهر ويشيد به في كتابه، وآخرون يقتبسون نصوصًا من كتبه- إلقاء محاضرة في ذكرى فامبيري.

ص٢٨٧- ترأس جلسة الأكاديمية وإلقاء الأستاذ شتومة محاضرة بالمجرية- في جلسة لجنة التاريخ والفلسفة ألقى بحثًا بعنوان "موقف الأصولية الإسلامية من العلوم القديمة- فتوى ابن الصلاح الشهرزوردي المعادي لتدريس علم المنطق- زيارة برجشتراسر له في طريقه إلى القسطنطينية- وفاة الأستاذ شاده.

ص٢٨٨- إرسال نسخة خطية من "فضائح الباطنية" للغزالي إلى مؤسسة دي خويه.

ص٢٨٩- التعرف على سليمان الباروني الذي يرتبط اسمه بحركة السنوسي- تصويب ميتفوخ وسنوك لطبعة مخطوطته "فضائح الباطنية" (وهو التصحيح الأول)- محاضرته الأولى بكلية الحقوق.

ص٢٩٠- مطالبة كثير من الصحف له بمقالات ذات لون سياسي- سوء معاملة زملائه اليهود بالجامعة له.

ص٢٩١- تصويبات كتاب "مناظرة الغزالي" ونشره- التهاني بصدور بحثي "مواقف الأصول الإسلامية من العلوم القديمة"، و"سفور الرأس"- الاهتمام بقراءة إحياء علوم الدين، والكشاف- طلب دار الثقافة بفيينا إلقاء محاضرة في الخريف أو الشتاء وإرسالها بعنوان: "الفقه الإسلامي ومكانته في الوقت الراهن"- نشر الترجمة الإنجليزية لمحاضراته.

ص٢٩٢- الاهتمام بالشرق في أوربا- تأسيس مركز اقتصادي للشرق، ثم مركز ثقافي، اختير جولدتسيهر؛ ليكون رئيسًا لقسم علم اللغة به، استقال منه بعد جلستين- وضع حجر أساس لمعهد علمي بالقسطنطينية تابع لوزارة المجر- قراءة الكشاف، وكتب لابن المنير.

ص٢٩٣- تلقى عددًا من مجلة "شرق وغرب" التي تصدر في برلين (متخصصة في الشئون اليهودية) مع رجاء للكتابة بها- كذلك رسالة من مجلة إسلام بالطلب نفسه- اختياره عضوًا من الخارج بالأكاديمية التاريخية بمدريد، وبذلك أصبح عضوًا في أكاديميات ثمان فضلاً عن دكتوراه فخرية مرتين، وتسع شهادات دبلوم شرفي.

ص٢٩٤- إلقاء محاضرة بدار الثقافة الشعبية بفيينا وزيارة المكتبة الملكية- لقاؤه مع إيرلش أستاذ القانون.

ص٢٩٥- حصوله على شهادة دبلوم أكاديمية العلوم ببافاريا (وهو الدبلوم الفخري رقم ٢٠)- انعقاد لجنة مجلس إدارة المعهد المجري العلمي

المشكل بشأن القسطنطينية- الانشغال بدراسة وعمل اقتباسات من كتاب الباطنيين للغزالي- رسالة هرتز باشا إليه (المقيم بمصر)، ومعه صورة فوتوغرافية لمخطوطة فريدة ترجع إلى جنوب الجزيرة العربية لا يوجد عليها علامات تنقيط- رفع مرتب جولدتسيهر بناء على أمر الملك- زيارة وزير المعارف لشكره.

ص ٢٩٦- لقاؤه مع الوزير الذي رحب به، وبمكتبه التقى بالبارون إيتفوس- خطابات التهنئة ومنها تهنئة رقيقة من وزير العدل الذي كان سكرتير الدولة بوزارة المعارف عندما سعى الأمير فؤاد لدى الأرشيدوق فرانس فرديناند، والوزير إيرنال والوزير خوين هيدوفاري لتوفير الإمكانات لجولدتسيهر للسفر إلى القاهرة.

ص٣٠٢- ممارسة أعمال عميد الكلية بدلاً من سلفه بحضور حفل تأبين أستاذ علم الحفريات النباتية- اعتراض القس الكاثوليكي على سيره بالجنازة؛ لأنه يهودي- تسلم كل ما يتعلق بالمذكرات ومصروفات العبادة ودفاتر التسجيلات- بقاؤه بالكلية لتصريف أمور العمادة مدة خمس ساعات- عدم احتماله ثرثرة من يزورونه باعتبار أنه وقت ضائع- حضور صلاة الجنازة على الملكة إليزابث- زيارة ميركو أستاذ اللغات السلافية بجامعة ليبزج، الذي أحاطه بإنشاء معهد للدراسات الإسلامية بليبزج.

ص ٣٠٣- الأعياد اليهودية وعلاقته بها والمشاركة في احتفالات الكنيسة (التي تتسم بالغنوصية والأفلاطونية الجديدة، ولا تؤمن بالتوحيد)، ووجوب مشاركة العمداء بملابسهم الرسمية- قراءة الرسائل التي نشرها فينيكه كارولينا ودوروتيا. وهي تعد رواية تدور أحداثها في دائرة مجموعة من اليهوديات بالتعميد، وهن مثقفات ثقافة عالية.

ص٣٠٤- المشاركة لأول مرة في امتحان إجازة الدكتوراه- تمثيل مجلس الجامعة في احتفال بدء العام الدراسي للمعهد العالي للهندسة والصباغة- السفر الإجباري إلى المدينة لقضاء أمور تتعلق بالعمادة- الاحتفال بعيد الأضحى لدى عائلة عبد اللطيف- تمثيل مجلس الجامعة في تومبا بالاحتفال بجمعية "بينوخي"- ليلة رأس السنة لعام ١٩١٨- الاشراف على دفن دكتور فانجل.

ص٣٠٥- ٣٠٦- عبودية العمل عميدًا- تدوين بعض الملحوظات عن كتاباته- كتابه "العشق الإلهي في اللاهوتية الإسلامية"- الاحتفال بتحرير اليهود- ذيوع شهرته- المطالبة بإخلاء شقته- حرمانه من رحلة ترفيهية بسبب واجبات العمادة والدراسات الصيفية، وإجهاده، وعصبيته، نتيجة ذلك- غلاء إيجار المساكن- كتابة عمل عن "العشق الالهي في اللاهوتية الإسلامية"- ترحيب اليهود بعد صدور ملحق بجريدة مسائية يوصف فيها بأنه عالم مجري، وأنه سيكرم في نصفي الكرة الأرضية.

ص٣٠٧- اللجوء إلى سنوك في ذلك- كتاب هيللر عن شخصية عنترة- زيادة شعوره بالمرض ومرض زوجه، واحتياجهما للسفر للترفيه والنقاهة، ولكن كان عليه إنفاق أوقات طويلة في لجان عديدة بالجامعة- إرسال نولدكه خطابًا إليه خفف عنه شعوره بالاكتئاب.

ص٣٠٨- إجراء انتخابات العمادة واختيار مشوماد انجيال الذي قاد حملة العداء للسامية ضد جولدتسيهر في العام الماضي- إلقاء جولدتسيهر خطبة توديع وترحيب به- زيارة وزير التعليم ورجاؤه أن يترك أستاذ يـن بلغاش المعاش، للتدريس بالجامعة ونجاحه في ذلك- طلب الوزير منه إرسال خطابات مسجلة للطلاب المصرح لهم بالتغيب عن الدراسة لأداء الخدمة

العسكرية- انتهاء العام الدراسي بمدرسة السسترسيان الثانوية في الاحتفال بهذه المناسبة- هدوء العمل بالعمادة- زيارة الأمير السوري "شكين أرسلان" للجامعة القادم لزيارة جولدتسيهر صاحب الملل والنحل.

ص٣٠٩- الحديث عن محمود باشا أرسلان، والحديث عن كتابه عن دلائل الإعجاز القرآني- عيد ميلاد جولدتسيهر وإهداء زوج ابنه تهنئة له على ورق البردي- القيام بأعمال العمادة التي أصبحت كثيرة وثقيلة.

ص٣١٠- زيارات إمانويل ليف وحديثه معه عن زهور ألوان الصبغة السامية- إلقاء محاضرة عن "أثر الإسلام على العلاقات الاقتصادية لأتباعه"- عقد آخر جلسة لمجلس الجامعة وتسليم العمادة لخلفه- الاحتفال بانتهاء العام الدراسي الجامعي- بدء فترة إنابته للعميد وتعيينه عضوًا بمجلس الجامعة.

ص٣١١- بدء الدراسة بالجامعة في ٨ من أكتوبر- وجود كثير من المستمعين، وثلاثة كهنة كاثوليك، ورجل من الموصل، ومسلمين من البسنة، وفتاة- اللامبالاة عند الطلاب في محاضراته عن علوم الدين- تلاوة الدراسة الشرقية الشاملة التي أعدها في فينوهازا أمام اللجان المرسلة، والاستحسان الذي قوبل به- إعادة تلاوتها في جلسة مجلس الكلية- مرض زوج ابنه ووفاتها.

ص٣١٢- عبارات يندب بها زوج ابنه- إرسال مخطوطة كتابه عن "مذاهب التفسير" إلى هولندا- حضور لجنة أمريكية من جامعة هارفارد لتعرف الأحوال في بودابست.

ص٣١٣- مرض جولدتسيهر، وقضاء فترة نقاهة- عداء السامية وانتقاله إلى الجامعة والأكاديمية، والرد بارتجال محاضرة- تقديم استقالته من

وظيفة نائب العميد– قضاء فترة نقاهة مع زوجه بجزيرة مارجريت، ومعها حفيد له بعد إجراء عملية جراحية له– إرسال مخطوطة كتابه عن مـــذاهب التفسير، ومساعدة سنوك وفيشنك في إرسال البروفات. وظهور الكتاب فـــي عام ١٩٢٠.

***

الملاحــق

أولاً: الأعلام:

١- أعلام المشرقيين:

فهرس أعلام المشرقيين:

-الهمداني: ص٤٦، ٤٩.

-ياقوت الرومي الحموي: ص٢١٥.

-اليعقوبي: ص١١٠.

***

التعريف بأعلام المشرقيين:

الشيخ إبراهيم السقا (١٧٩٨- ١٨٨٠):

درس بالأزهر الشريف، وتولَّى التدريس به، كما تولَّى خطبة الأزهر مدة تربو على عشرين سنة.

من مؤلفاته:

- حاشية في مجلدين على شرح الشيخ إبراهيم البيجرمي لعقيدة الشيخ محمد السباعي.
- شرح على منظومة السيد محمد بليحة في التوحيد.
- رسالة في الطب للنووي مستخرجة من المواهب اللدنية.
- رسالة في مناسك الحج على المذاهب الأربعة.
- حاشية على فضائل للأجهوري.

ابن الأثير الجزري، ضياء الدين (٥٥٨- ٦٣٧هـ/ ١١٦٢-١٢٣٩م):

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، استكثر من حفظ الشعر؛ فحفظ شعر أبي تمام وشعر البحتري،

وشعر أبي الطيب المتنبي. ووزر للملك الأفضل نور الدين بن السلطان صلاح الدين، ثم انتقل معه إلى صرخد وسمياط، وانتقل إلى خدمة الملك الظاهر غازي صاحب حلب. وعاد إلى الموصل واتخذها دار إقامته. وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين بن نور الدين أرسلان شاه. توفي ببغداد.

من كتبه:

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أدلة الأحكام. بولاق، ١٢٨٢.
- المرصع في الأبيات، الأستانة ١٣٠٤، وطبع في فرنسا/ ديمار، ١٨٩٦.
- الوشي المرقوم في حل المنظوم، بيروت ١٢٩٨.

أحمد زكي باشا (١٨٦٧- ١٩٣٤):

أحد أعيان النهضة الأدبية في مصر، ومن رواد إحياء التراث العربي الإسلامي. اشتهر في عصره بلقب شيخ العروبة. وشارك في مؤتمرات المستشرقين، وعمل بالجامعة المصرية.

يعد أول من استخدم مصطلح تحقيق على أغلفة الكتب العربية. وأدخل علامات الترقيم في العربية، وعمل على اختصار عدد حروف الطباعة العربية.

أنشأ مكتبة تعد من كبريات المكتبات في الشرق الإسلامي.

تأثر بحركات رفاعة الطهطاوي في الترجمة ونقل الآثار الأدبية والفكرية عن الفرنسية، وبنهضة جمال الدين الأفغاني في تحرير الفكر

والإيمان بالشرق، وبالنهضة التي تصدر لها محمد عبده في تحرير الأسلوب العربي من التقليد، وتوجيه الكتابة إلى المضمون والهدف دون الاعتماد على السجع والزخارف والمقدمات. وحضر المؤتمر التاسع في لندن ١٨٩٢ بترشيح من الخديوي إسماعيل، وكان يصاحبه الشيخ محمد راشد.

من أعماله:

- أسرار الترجمة.
- قاموس الجغرافيا القديمة.
- موسوعات العلوم العربية.
- ذيل الأغاني.
- نتائج الإلهام في تقويم العرب قبل الإسلام.
- تاريخ المشرق.
- الدنيا في باريس.
- عجائب الأسفار في أعماق البحار.

واهتم في حياته العلمية بميادين ثلاثة:

- إحياء التراث العربي وتحقيق مخطوطات التراث ونشرها.
- العناية بالآثار العربية، والبحث عن القبور والمواقع المندثرة، والدعوة إلى تكريم أصحابها.
- تحقيق أسماء الأعلام والبلدان والوقائع والأحداث في مجال اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا.

أحمد عزت باشا (١٢٤٤- ١٣١٠هـ/ ١٨٢٨- ١٨٩٢م):

ولد بمدينة الموصل في العراق ونشأ بها ودرس العلوم الدينية والعربية. وسافر إلى بغداد، وأقام عند عمه الشاعر عبد الباقي باشا العمري، وكان يشغل منصب كتخدا بغداد (أي منصب الوالي بالوكالة)، وقرأ عليه ألفية ابن مالك. ودرس علم الأدب وفنون الشعر عليه أيضًا.

رحل إلى الأستانة، وولي بعض الأعمال. وعين متصرفًا في شهروز، ثم في الأحساء، ثم في تعز باليمن. وعاد بعدها ليقيم بالأستانة منشغلاً بالعلم والأدب ونظم الشعر والتأليف.

من مؤلفاته:

- ديوان شعر ما زال مخطوطًا في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية.
- العقود الجوهرية، وهو كتاب فيه تراجم شعراء عصره.
- رحلة إلى نجد.
- رسالة في التصوير الشمسي.
- أحكام الأراضي (ترجمه عن التركية).

أحمد فؤاد ملك مصر (١٨٦٨ – ١٩٣٦):

ابن إسماعيل باشا خديوي مصر. ألحقه والده بالمدرسة الخاصة بقصر عابدين، وبعد عزل والده عام ١٨٦٩ صحبه معه إلى المنفى في إيطاليا، والتحق بالمدرسة الإعدادية الملكية في تورينو، ثم انتقل إلى تورين الحربية، ثم انتقل إلى الأستانة مع والده وعين ياورًا فخريًا للسلطان عبد الحميد الثاني،

ثم ملحقًا حربيًا لسفارة الدولة العليا في فيينا. وعاد إلى مصر ١٨٩٠، وكان كبير الياروان في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، وتدرج في الوظيفة حتى أصبح ياورًا للخديوي ثلاث سنوات متتالية، وعنى بالشئون الثقافية؛ فـرأس اللجنة التي قامت بتأسيس وتنظيم الجامعة المصرية الأهلية.

وعند وفاة السلطان حسين كامل اعتلى عرش مصر، وفي عهده قامت ثورة ١٩١٩، واضطر الإنجليز إلى رفع حمايتهم عن مصر والاعتراف بها مملكة مستقلة ذات سيادة، فأعلن الاستقلال في ١٥ من مارس ١٩٢٢، وتـم في عهده تأليف أول وزارة شعبية برئاسة سعد زغلول، وذلـك فـي ينـاير ١٩٢٤. وعقدت معاهدة بين مصر والمملكة المتحدة اعترفت إنجلترا بمصر دولة مستقلة. وتوفي في ٢٨ من إبريل ١٩٣٦.

أرتين باشا يعقوب (المتوفى ١٩١٩):

كان وكيل نظارة المعارف بمصر.

من أعماله

-الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية، ترجمه إلى العربيـة سعيد أفندي عمون، بولاق ١٣٠٧.

- القول التام في التعليم العام، ترجمة علي بك بهجت، بولاق ١٨٩٤.

الأصفهاني، أبو حمزة (٢٨٤- ٣٥٦هـ/ ٨٩٧- ٩٦٦م):

الكاتب الأصفهاني البغدادي مصنف كتاب الأغاني.

من كتبه:

- الأغاني، وبه المئة صوت المختارة لهارون الرشـيد، جمـع فيـه الأغاني العربية قديمها وحديثها (آنذاك)، وهي عشرون جزءًا، بـون ١٢٨٥. والجزء الحادي والعشرون بتحقيق برونو رودلـف، ليـدن ١٣٠٥. وطبع فهرس به باعتناء جويدي بعنـوان: "جـداول كتـاب الأغاني".

- مقائل الطالبين وأخبارهم، طهران ١٣٠٧.

الأصمعي (١٢٣- ٢١٦هـ/ ٧٤٠- ٨٣١م):

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي من أهل البصرة. قدم بغداد في خلافة هارون الرشيد، وهو صاحب النحو واللغـة والغريـب والأخبار والملح.

من آثاره:

- الإبل، بيروت ١٣٢٢، ضمن كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي.

- أسماء الوحوش وصفاتها، تحقيق جاير، ومعه كتاب ما قال قطرب ١٨٨٨.

- الأصمعيات، قصائد للعرب، رواية الأصمعي، وتحقيـق آلفـارت "مجموع أشعار العرب".

- الأضداد، تحقيق هفنر، بيروت ١٩١٢.

- الخيل، تحقيق هفنر ١٨٩٥.

- الدارات، مقالة مفيدة لمعرفة جزيرة العرب، تحقيق هفنر، بيروت ١٨٩٨.

- الشاء، تحقيق هفنر، بيروت ١٨٩٦.

- الفرق في اللغة مع شروح وفهرست، تحقيق ميللر ١٨٧٦.

امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي (٥٢٠- ٥٦٥م):

صاحب المعلقة المشهورة. كان من فحول شعراء الطبقة الأولى مقدمًا على سائر شعراء الجاهلية. سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعت عليها الشعراء. كان أبوه حجر ملكًا على بني أسد فقتلوه غيلة، فهب امرؤ القيس لأخذ الثأر فخذله قومه، فاستعان بقيصر الروم بواسطة الحارث بن أبي شمر الغساني من أبناء الملوك؛ ولكن رجلا وشى به إلى قيصر، فأرسل إليه القيصر رجلاً معه حلة مسمومة، فلما وصلت إليه لمسها، فأسرع فيه السم وسقط جلده وتوفي.

من أعماله:

- ديوان امرئ القيس، طبع في باريس ١٨٣٦.
- معلقة امرئ القيس وهي أشهر المعلقات، طبعت مع تعليقات وشروح باللغة الألمانية، تحقيق أوجست ميللر ١٨٦٣.

أمين سامي باشا (١٨٥٧- ١٩٤١م):

ابن الشيخ محمد حسن البرادعي المصري من قرية البرادعة بمركز القناطر الخيرية. تخرج من مدرسة المهندسخانة ١٨٧٤، وعمل مفتشا بنظارة المعارف، وفي دار المحفوظات المصرية منذ ١٨٨٠، قبل أن يتولى نظارة مدرسة الناصرية "المبتديان" لمدة ربع قرن، ثم اختير عضوًا في مجلس الشيوخ. ويوجد باسمه شارع بحي السيدة متفرع من شارع قصر العيني.

من مؤلفاته:

-كتاب تقويم النيل في ستة مجلدات اشتملت على تقويم شامل لحال النهر، ومقدمة توضح أسس مشروعه، وتتحدث عن جهوده وأهدافه في هذا العمل.

البخاري (٨١٠- ٨٧٠هـ/ ١٤٠٧- ١٤٦٥م):

أبو عبد الله بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، وهو الواضع الحقيقي لعلم الحديث. حفظ الحديث وهو في العاشرة، ولما بلغ السادسة عشرة استن في جمعه سنة جديدة. رحل إلى الأقطار والأمصار في طلب الرواة والحفاظ، وقضى ١٦ عامًا، زار فيها مصر والشام والحجاز وخرسان والعراق، وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته مميزًا بين الحديث الصحيح والضعيف. وضع كتابه "الجامع الصحيح" في ستة عشرة سنة.

بطرس البستاني (١٨١٩- ١٨٨٣م):

تعلم السريانية واللاتينية والإيطالية إلى جانب اللاهوت والفلسفة والشرع الكنسي، ودرس الإنجليزية. وذهب عام ١٨٤٠ إلى بيروت واتصل ببعض المبعوثين الأمريكيين يعلمهم العربية، ويعرّب لهم الكتب، واستعانوا به على إدارة الأعمال في مطبعتهم. وعين أستاذًا في مدرسة عربية عام ١٨٦٠، فمكث فيها سنتين، ثم عين مترجمًا للقنصلية الأمريكية في بيروت. أنشأ في عام ١٨٦١ جريدة "نفير سورية"، وفي عام ١٨٦٣ أسس المدرسة الوطنية فيها.

من آثاره:

- دائرة المعارف التي عرفها بقوله: "إنها قاموس عام لكل فن ومطلب"، صدر منها في حياته ستة أجزاء، وبعد وفاته خمسة أجزاء.
- معجم محيط المحيط وهو أول قاموس عام في اللغة العربية، طبعه في مجلدين كبيرين في بيروت عام ١٨٧٠.

البيروني "أبو الريحان" (٣٦٢- ٤٤٠هـ/ ٩٧٢- ١٠٤٨م)

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي. والبيروني نسبة إلى بيرون (مدينة في السند). له في السبق في الرياضيات. صنف القانون

المسعودي، وله شرح شعر أبي تمام والتعليل بإجالة الوهم في معاني نظم أولي الفضل، والمساورة في أخبار خوارزم، أما تصانيفه في النحو والهيئة والمنطق والحكمة فهي تفوق الحصر.

من آثاره:

- الآثار الباقية في القرون الخالية، حققه زاخاو (١٨٧٦- ١٨٧٨م) بليبزج، وترجمه إلى الإنجليزية مع تعليقات وفهرست ١٨٧٩.
- تاريخ الهند، أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، حققه زاخاو، لندن وجوتا ١٨٨٧، مع الترجمة إلى الإنجليزية، لندن ١٨٨٥.
- القانون المسعودي في الهيئة والنجوم (غير مطبوع)، ويقال إنه طبع في ليبزج ١٨٧٨.
- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم (مخطوطة في دار الكتب المصرية/ من كتب أحمد زكي باشا).

البيضاوي (١٢٢٦- ١٢٨٢هـ):

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي. ولد بفارس بالمدينة البيضاء قرب شيراز. مفسر ومتكلم. ولي قضاء شيراز مدة، ثم صرف عنه، فرحل إلى تبريز وعاش فيها.

أهم كتبه:

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وهو تفسير لغوي، نحوي، تاريخي، بلاغي، جدلي، مختصر ومركز.

- منهاج الوصول إلى علم الأصول.

- طوالع الأنوار من مطالع الأفكار، في الإلهيات.

- نظام التواريخ، بالفارسية.

- الغاية القصوى في دراية الفتوى، في فقه الشافعية.

- رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها.

- لب الألباب في علم الإعراب.

البيهقي "إبراهيم بن محمد" (٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٧- ٩٣٢م):

من آثاره:

- المحاسن والمساوئ، طبع بليبزج باعتناء د. فريدريك شفاللي (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) في ثلاثة مجلدات.

البيهقي "أبو بكر" (٣٨٤- ٣٥٨هـ/ ٩٩٤- ١٠٦٥م):

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، الفقيه الشافعي، الحافظ المشهور. أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر المروزي. غلب عليه الحديث واشتهر به.

من كتبه:

- كتاب الأسماء والصفاة (رجال الحديث)، طبع حجر بالهند.

- القراءة خلف الإمام.

الثعالبي (٣٥٠- ٤٢٩هـ/ ٩٦١- ١٠٣٧م):

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري.

قال عنه ابن بسام في الذخيرة: "كان في وقته راعي تطلعـات العلـم، وجامع لشتات النثر، والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفي بحكم أقرانه". أخذ عن أبي بكر الخوارزمي.

من مؤلفاته:

- فقه اللغة وسر العربية: حققه الكونت رشـيد الدحـداح ببـاريس ١٨٦١، ثم طبع في مصر ١٨٨٠.
- يتيمة الدهر في شعر أهل العصر، طبعة المطبعة الحنفية في أربعة أجزاء ١٣٠٣هـ.

جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨– ١٨٩٧م):

محمد جمال الدين الأفغاني أحـد الأعـلام البـارزين فـي النهـضة المصرية، ومن أعلام الفكر الإسلامي بالنسبة إلى التجديد. جاء إلى مـصر لأول مرة سنة ١٨٧٠، واتجهت إليه أنظار النابهين من أهل العلم.

زار الأزهر الشريف واتصل به كثير من الطلبة، وأقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ثم رحل إلى الحجاز والأسـتانة. ورجع إلى مصر بعد أن ابتعد عنها عام ١٨٧١. ورغب رياض باشـا فـي بقائه بمصر، وأجرت عليه الحكومة راتبًا مقداره ألف قرش شـهريًا، وزاره كثير من الطلاب يأخذون عنه العلم، ويقتبسون الحكمة مـن بحـر علمـه، فظهرت على يده نهضة في العلوم والأفكار؛ أنتجت أطيب الثمرات، ثم أكرم إسماعيل باشا مثواه.

واتصل به الشيخ محمد عبده ولازمه، وتأثر به؛ لكن نتيجـة لتـأثير الأفغاني الأخلاقي والسياسي، كان الاستعمار الأوربي ينقم عليه روح الثورة

والدعوة إلى الحرية والدستور، فأوعز إلى الخليفة توفيق إخراجه من مصر في أغسطس ١٨٧٩. ورحل معه الشيخ محمد عبده إلى فرنسا، وأصدرا جريدة العروة الوثقى، وكان لجمال الدين مع المستشرق الفرنسي رينان أبحاث في العالم الإسلامي، وقال عنه رينان: "كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه ابن سينا أو ابن رشد أو واحدًا من أساطين الحكمة الشرقيين".

والأفغاني كاتب وخطيب ومصلح ديني واجتماعي وسياسي، حضر إلى مصر وأقام دعوته على دعائم مستمدة من فكرته عن الجامعة الإسلامية، وكان منزله بالقاهرة ملتقى لتلاميذه ومريديه. واستطاع بدروسه في الدين والفلسفة والأخلاق والاجتماع والسياسة وبمقالاته- أن يثير الشعور الوطني، ويحيي الشعور الديني في قلوب المسلمين. وتوفي عام ١٨٩٧.

من آثاره:

- رسالته في الرد على الدهريين.
- إصدار جريدة العروة الوثقى مع تلميذه الإمام محمد عبده.

ابن حزم (٣٨٤- ٤٥٦هـ/ ٩٩٤- ١٠٦٤م):

أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، كان جده من أصل فارسي، وأول من أسلم من أسلافه جد يدعى يزيد، مولى ليزيد بن أبي سفيان (ابن خلكان، جـ١، ص٣٤٠).

هو عالم عربي أندلسي، مؤرخ وفقيه ومحدث وأديب مؤلف في علم الكلام والعقائد والفلسفة.

كان شافعي المذهب، ثم أصبح ظاهريًا. له مصنفات في مختلف العلوم: منها طوق الحمامة، وفضل الأندلس، وإبطال القياس والرأي والاستحسان،

والتقليد والتعليل، والأحكام والأصول، ورسالة في أصول الفقه، والفصل في الملل والأهواء والنحل، والتقريب في حدود المنطق، والناسخ والمنسوخ، والأخلاق والسير في مداراة النفوس. وبلغت كتبه نحو أربعمائة مجلدًا.

ومؤدى مذهبه الفقهي الظاهري أن كل قياس لا يستند إلى القرآن والحديث باطل. وهو يأخذ بظاهر المعنى لألفاظ القرآن والحديث.

قال جولدتسيهر عنه (اليوميات، ص٤٩): "عرفت (عنه) أدب الجدل الذي ساعدتني المراجع الموجودة في ليدن على تبنيه كاملاً".

الحطيئة (المتوفى ٤٥هـ):

أبو مليكة جرول بن أوس بن مخزوم العبسي من الشعراء المخضرمين، من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متين الشعر، شرود القافية، منصرف في جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسب.

- ديوان الحطيئة، حققه جولدتسيهر، ليبزج ١٨٩٣، بشرح أبي الحسن السكري.

حمزة الأصفهاني "ابن الحسن" (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م):

من أهل أصفهان. كان أديبًا مصنفًا. وكان يتعصب لغير العرب وعوّل فيما كتب على المصادر الفارسية.

من كتبه:

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (وصل فيه إلى سنة ٣٥٠هـ)، ومعه ترجمة لاتينية لجوتفالد *Gottwaldt*، في جزأين، الأول طبع في ليبزج ١٨٤٤- ١٨٤٨م، والثاني طبع في برلين ١٣٤٠هـ.

حيوج (٩٤٥- ١٠٠٠م):

يحيى بن حيوج الفاسي من أهم النحويين العبرانيين. ويعتبره الكثير من المتخصصين أول نحوي عبري بمعنى الكلمة.

ولد في مدينة فاس بالمغرب عام ٩٤٥م، وتوفي عام ١٠٠٠م في قرطبة بأسبانيا.

وضع كتيبَيْن في النحو العبري: "كتاب الأفعال ذوات حروف اللين"، و"كتاب التنقيط"، عالج في الكتيب الأول الأفعال المعتلة، وفي الثاني نظام الإعجام والتشكيل في العبرية. ولكنه أخفق في استنباط بنيوية اللغة العبرية المطابقة تقريبًا لبنيوية العربية، وذلك رغم اعتماده الكلي على نظام التحليل وسيبويه في النحو العربي.

الخطيب البغدادي (٣٩٢- ٤٩٣هـ/ ١٠٠١- ١٠٧٠م):

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، صاحب تاريخ بغداد. وهو عشرة مجلدات، وبه ترجمة أحوال علماء بغداد إلى زمانه، وذَيَّله محب الدين بن نجار بذيل أطول من التاريخ نفسه في بضعة عشر مجلدًا، وكتب في ذيله أيضًا أبو سعد السمعاني مجلدًا.

وطبع تاريخ بغداد، الذي يشتمل على أهل بغداد واسمها وتاريخ أبنائها وأقسامها، باعتناء المستشرق سلمون ***Salmon***.

خليل الخوري (خليل بن جبرائيل بن يوحنا بن ميخائيل):

شاعر وكاتب وأديب، ولد في الشويفات بلبنان. وتعلم في بيروت وأنشأ بها جريدة "حديقة الأخبار" سنة ١٨٥٨. وعُين مديرًا للجريدة الرسمية ومطبعتها في سوريا، ثم مديرًا للأمور الأجنبية بها.

توفي في بيروت، وله ديوان شعر في ستة أجزاء، وقصص، ورسائل.

الرازي "فخر الدين" (٥٤٣ أو ٥٤٤- ٦٠٦هـ/ ١١٤٨ أو ١١٤٩-١٢٠٩م):

الإمام أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازي الملقب فخر الدين. أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وكثر تلاميذه. وكان يلقب بشيخ الإسلام.

من مؤلفاته:

- أساس التقديس في علم الكلام، طبعة كردستان ١٣١٨.
- شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا للنصير الطوسي، وشرح آخر للفخر الرازي.
- لباب الإشارات، طبعة مطبعة السعادة ١٣٢٦.
- اللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، طبعة الشرقية ١٣٢٣.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، طبعة الحسندية ١٣٢٣.
- مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير، ستة أجزاء، بولاق ١٢٧٩-١٢٨٩.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، طبعة الآداب ١٣١٧.

الزمخشري "أبو القاسم" (٤٧٦ـ ٥٣٨هـ):

هو محمود بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي المعتزلي، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، من أكابر الحنفية. فرغ من تأليف الكشاف ٥٢٨هـ، وطُبع بكلكتا في جزأين.

السجستاني "أبو حاتم" (ت٢٥٠ أو ٢٥٥هـ/ ٨٦٤ أو ٨٦٨م):

أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني النحوي اللغوي المقري نزيل البصرة وعالمها.

من كتبه:

- الأضواء، باعتناء لويس شيخو (طبعة اليسوعيين ١٩١٣).
- كتاب المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، تحقيق جولدتسيهر، ليدن ١٨٩٩، ثم بتصحيح أمين الخانجي، طبعة السعادة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.
- النخلة أو كتاب النخل، بعناية لاغوفينا، باليرمو ١٨٧٣.

ابن سعد (١٦٨- ٢٣٠هـ/ ٧٨٤- ٨٤٥م):

كاتب الواقدي. هو أبو عبد الله محمد بن سعد منيع الزهري البصري. صحب الواقدي زمانًا، وكتب له، وعرّف به، وجاء بالفهرست أنه ألّف كتبه من تصنيفات الواقدي. وله:

- كتاب الطبقات الكبير (أو الطبقات الكبرى)، صدر منه من سنة ١٩٠٥ إلى ١٩٢١ تسعة مجلدات بأربعة عشر قسمًا، اشترك في تحقيقه وتصحيحه المستشرقون: زخاو، وهودوفنتش، وليبرت، وستراستين، وبروكلمان.

السعدي الشيرازي (١١٨٩- ١٢٩١هـ):

أحد الشعراء الفرس الثلاثة الكبار (الآخران هما الفردوسي وأنسوري)، له غزليات أطلق عليها "الطيبات"، وله شعر في الهزل باسم "الخبيثات".

عاصر محنة غزو المغول للعالم الإسلامي ودخولهم بغداد التي رثاها. تــرك بغداد، وطوّف بالبلاد، ثم استقر بعد ثلاثين سنة بشيراز. وكتب فيها كتابيــه؛ الجلستان (وهو كتاب نثري)، والبستان (وهو ديوان شعري). ولــه أشــعار بالعربية.

ابن السكيت (١٩٦– ٢٤٤هـ / ٨١١– ٨٥٨م):

أبو يوسف يعقوب بن إسحق الشهير بــابن الــسكيت اللغــوي. كــان يتصرف في أنواع العلوم. قال أبو العباس المبرد: "ما رأيت للبغداديين كتابًا خيرًا من كتب يعقوب بن السكيت في المنطق".

من كتبه:

- إصلاح المنطق.
- الأضداد، نشره أوجست هفنر، طبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٢.
- تهذيب الألفاظ، مع ضبط وتعليق حواشيه وفهارسه للأب لويس شــيخو ببيروت.
- القلب والابدال، على نفقة أوجست هفنر، الآبــاء اليــسوعيين، بيــروت ١٩٠٣.

سيبويه (٧٦٥– ٧٩٦هـ/ ١٣٦٣– ١٣٩٣م):

عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، إمام نحاة البــصرة. درس النحو على الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وعيسى بن عمر.

ألف كتابه المسمى "كتاب سيبويه"، الذي يعد أصل النحو وأشهر كتبه، واعتمد عليه نحاة المدارس جميعًا.

- طبع "الكتاب" بعناية الأستاذ ديرنبورج **_Derenbourg_** (كلكتا ١٨٨١)، ثم بمطبعة بولاق (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨)، ولعلها كانت الطبعة الثانية ببولاق حين كان جولدتسيهر بمصر في أوائل عام ١٨٧٤.

سيف بن ذي يزن (ولد ٥١٦م):

هو آخر الملوك من دولة التبابعة في اليمن.

كتب عنه سيرة في ١٧ جزءًا، طبعة بولاق ١٢٩٤، وطبعة شرف ١٣٠٥، وطبعة الخيرية ١٣١٠.

السيوطي "جلال الدين" (٨٤٩- ٩١١هـ/ ١٤٤٥- ١٥٠٥م):

جلال الدين السيوطي صاحب المؤلفات الحافلة الجامعة. ولد بالقاهرة، وحفظ القرآن وهو دون الثامنة من عمره، ودرس بالأزهر، وسمع من البلقيني ومن أبيه وغيرهما. وسافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب.

من كتبه:

- الإتقان في علوم القرآن، كلكتا ١٢٧١هـ/ ١٨٥٢م.
- إتمام الدراية لقراء النقاية.
- الأشباه والنظائر النحوية.
- الاقتراح في علم أصول النحو، حيدر آباد ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جعله خمسين نوعًا؛ ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر من حيث المعنى، وخمسة من حيث

لطائفها، والباقية راجعة إلى رجال اللغة ورواتها، طبع بتصحيح نصر الهوريني، بولاق ١٢٨٢، في جزأين.

الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ/ ٧٦٧- ٨١٩م):

أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المكي. صاحب المذهب. وهو أول من أظهر أصول علم الفقه ودوّنه. أخذ العلم عن مالك بن أنس ومسلم بن خالد الرنجي وسفيان بن عينية. وسمع الحديث من إسماعيل بن علية وعبد الوهاب عبد المجيد بن الثقفي، ومحمد بن الحسن الشيباني.

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر. وقدم على مالك وهو ابن خمسة عشر سنة.

سافر إلى بغداد سنة ١٧٥هـ فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه، ثم عاد إلى مكة. وخرج إلى بغداد ثانية ١٧٨هـ، ومنها إلى مصر، وصنف بها كتبه؛ كالأم، والأمالي الكبرى.

من كتبه:

- اختلاف الحديث، رواية أبي محمد الربيع بن سليمان الجيزي.
- أصول الفقه أو رسالة الشافعي، برواية الربيع.
- كتاب الأم، برواية الإمام أبي محمد الربيع بن سليمان المرادي.
- رسالة (الإمام الشافعي) في أصول الفقه، وهو أول كتاب ألف في هذا العلم، الطبعة الأولى بمصر ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.
- سنن الإمام الشافعي- في الحديث- رواية أبي إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل عنه رواية أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الطحاوي بن أخت الإمام المزني، مصر ١٣١٥.

- مسند (الإمام محمد بن إدريس)، طبعة الخيرية ١٣٢٨، والهند ١٣٠٦.

الشعراني (٨٩٨- ٩٧٣هـ):

أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي. كان إمامًا في العلوم الشرعية. أخذ العلم عن مشايخ عصره؛ كالشيخ جلال السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشيخ محمد الشناوي، والشيخ علي الخواص من علماء الباطن. سلك طريق التصوف بعد تضلعه في علوم الشريعة. وجاهد نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية.

من آثاره:

- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية.
- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير.
- تنبيه المفترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.
- الجواهر والدرر الكبرى.
- الميزان، الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين وتعديلهم وتقليدهم في الشريعة المحمدية (فقه شافعي)، طبعة بولاق ١٢٧٥ (جزآن).

الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م):

ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصري.

أحد علماء الحديث، وتفقه على والده بشهرزور، ثم اشتغل بالموصل مدة، ثم درّس بالمدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ونزح إلى الشام، فدرّس

بالروحية في دمشق عندما أنشأها الواقف، فلما أنشئت الدار الأشرفية صار شيخها، ثم ولّى تدريس الشامية الصغرى.

من أعماله:

- علوم الحديث أو معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح.
- أدب المفتي والمستفتي.
- فوائد الرحلة.
- صيانة صحيح مسلم.
- الأمالي.
- الفتاوى (جمعه بعض أصحابه).
- شرح الوسيط في فقه الشافعية.
- صلة الناسك في صنعة المناسك.

شيخو "الأب لويس" (١٢٧٥- ١٣٤٦هـ/ ١٨٥٩- ١٩٢٧م):

رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح شيخو. تلقى العلم وخدمة الدين والأدب، فزار أبوه القدس، وبقي في لبنان حيث درس رزق الله وهو ابن ثماني سنوات، ثم أبحر إلى أوربا ليدرس العلوم في مدارس الرهبانية اليسوعية، وتعلم اليونانية واللاتينية والفرنسية، وأصبح مدرسًا للغة العربية بمدرسة غزير اليسوعية، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية، وانتقل بالتأليف ونشر الآداب العربية، وأنشأ مجلة الشرق التي خدمها مدة خمس وعشرين سنة، وشرع في نشر الكتب العربية النفيسة بهمة.

وله رحلات كثيرة إلى أوربا لزيارة مكتباتها والبحث عن المخطوطات العربية القديمة، وكذلك رحل إلى بلاد المشرق كالشام وحلب والموصل وبغداد.

من مؤلفاته وتحقيقاته:

- الآداب العربية في القرن التاسع عشر، جزآن، ١٨٠٠-١٩٢٦.
- الأحداث الكتابية والتشابه النصرانية في أقوال بعض شعراء الجاهلية، ١٩٠٤.
- أسباب الطرب في نوادر العرب.
- الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني.
- انتقاد كتب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ١٣٢٠هـ.
- أنيس الجلساء في ديوان الخنساء.
- البلغة في شذور اللغة (مع د. هفنر).
- تهذيب الألفاظ لابن السكيت.
- شعراء النصرانية ١٨٩٦.
- فقه اللغة للثعالبي مع شرح له.
- كتاب كليلة ودمنة ١٣٣٠هـ.
- نبذة في ترجمة وتأليف أبي الفرج المعروف بابن العبري ١٨٩٨.
- كتاب الهمز لأبي سعيد بن أوس الأنصاري.
- مختصر تهذيب الألفاظ لابن السكيت.

صالح بن عبد القدوس (ت١٦٧هـ/ ٧٨٣م):

من حكماء الشعراء، متهم بالزندقة، كان قوي الحجة، وله منزلة كبرى عند أهل مذهبه. نشأ بالبصرة، وكان يقص على الناس ويعظهم. بلغ المهدي خبر زندقته، فاستقدمه من دمشق، وكان آنذاك شيخًا طاعنًا في السن، فسأله المهدي ألست القائل: "والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثَرى رَمسه". قال: "بلى يا أمير المؤمنين". قال: "وأنت لا تترك أخلاقك حتى تموت". فأمر بقتله، فقتل وصلب على جسر بغداد عام (١٦٧هـ/ ٧٨٣م).

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء: وله في الزهد في الدنيا والترغيب في الجنة والحث على طاعة الله والأمر بمحاسن الأخلاق وتذكر الموت والقبر ما ليس لأحد. وكان شعره كله أمثالاً وحكمًا.

وكانت أشعاره في الحكم الفلسفية. (يرجع إلى أخباره في فوات الوفيات، جـ١، ص١٩١).

صالح مجدي بك (١٨٢٦- ١٨٨١م):

من تلاميذ رفاعة الطهطاوي، ألحقه أستاذه بقلم الترجمة، ثم عهد إليه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية في المدرسة الهندسية الخديوية.

ترجم الكثير من كتب الجيولوجيا والميكانيكا والحساب والجبر والهندسة.

تولى رئاسة قلم الترجمة، ثم جعله إسماعيل باشا في المعية السنية، وولاه مناصب أخرى، وكان آخر ما عهد إليه قضاء القاهرة، فلزمه حتى وفاته. وقد اشتغل بتأليف مطول لتاريخ مصر مع علي باشا مبارك.

له ديوان شعر طبع في بولاق (١٣١٢هـ/ ١٨٥٦م).

الشيخ طاهر الجزائري (١٢٦٨- ١٣٣٨هـ/ ١٨٥٢- ١٩٢٥م):

الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري. سوري الجنسية ومن أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره. هاجر إلى مصر (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م). أولع باقتناء المخطوطات وحافظ عليها. وكان مديرًا لدار الكتب الظاهرية بعد عودته من مصر ١٩١٩.

من مؤلفاته:

- التبيان لبعض المصطلحات المتعلقة بالقرآن.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر.
- الملتقى من الذخيرة لابن بسام.
- تفسير القرآن الكريم (مخطوط).

الطبري، ابن جرير (٢٢٤- ٣١٠هـ/ ٨٨٨- ٩٢٢م):

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير. قرأ الفقه على داود، وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد. أخذ الفقه (فقه مالك) عن يونس بن عبد الأعلى، وابن عبد الحكم محمد، وعبد الرحمن وسعد. وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري. وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق (الكوفة).

من آثاره:

- تاريخ الأمم والملوك الشهير بتاريخ الطبري، (١٣ جزءًا)، طبع في ليدن (١٨٧٦- ١٩٠١) بعناية دي خويه وغيره من المستشرقين. وله مقدمة باللغة اللاتينية، وفهارس بالعربية، وتعليقات بجزأين.

- اختلاف الفقهاء، صححه د. فريدريك كيرن المستشرق الألماني.

- الاعتقاد، الهند ١٣١١هـ.

- جامع البيان في تفسير القرآن (ويعرف بتفسير الطبري)، طبعة بولاق (١٣٢٢- ١٣٣٠هـ)، في ثلاثين جزءًا.

عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧- ٦٢٩هـ/ ١١٦٢- ١٢٣١م)

الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد علي بن سعد البغدادي الشافعي المعروف بأبي اللباد. موصلي الأصل، بغدادي المولد، وكان معروفًا بالعلوم، عارفًا بعلم الكلام والطب.

من كتبه:

- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، طبع في باريس ومعه ترجمة فرنسية باعتناء سلفستر دي ساسي ١٨١٠، وترجمه الأستاذ هيل إلى الألمانية، أكسفورد ١٧٩٠م، وترجمه هويت، أكسفورد ١٨٠٠.

ذيل الفصيح (فصيح ثعلب)، مصر ١٢٨٥هـ.

ابن العربي، أبو بكر (٤٦٨- ٥٦٤هـ/ ١٠٧٥- ١١٥١م):

أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي.

ولد بإشبيلية وسافر إلى دمشق، ولقى بها أبا بكر الطرطوشي وتفقه عنده. ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من أعيان مشايخها. ثم حج عام ٤٨٩، وارتحل إلى بغداد فصحب أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي وغيرهما

من العلماء والأدباء. ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين، فكتب عنهم وأفاد منهم، ثم عاد إلى الأندلس سنة ٤٩٣هـ، وقبل ٤٩٥هـ.

من أعماله:

- أحكام القرآن، جزآن، مطبعة السعادة ١٣٣١هـ.
- عارضة الأحوزي في شرح الترمزي، رواية عمر بن الحسن بن دحية.

ابن عساكر (٤٩٩- ٥٧١هـ/ ١١٠٥- ١١٧٦م):

أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعي الملقب ثقة الدين.

كان محدث الشام، وإمام أهل الحديث في زمانه، وحامل لوائهم.

سمع في بغداد عام٥٢٠هـ من أصحاب البرمكي والتنوخي والجوهري، ثم رجع إلى دمشق، ورحل بعد ذلك إلى خرسان، ودخل نيسابور، وهراة، وأصبهان.

من مصنفاته:

- التاريخ الكبير لدمشق، في ثمانين جزءًا، نشره ورتبه وصححه الشيخ بدران.
- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي حسن الأشعري، طبع بعض نبذ منه باعتناء ميرن (١٨٢٢- ١٩٠٢م) ***Mehren***، ليدن ١٨٧٨.

علي سليمان الباروني:

هو سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن سليمان الباروني (١٨٧٠م)، الذي تعرف على الشيخ المجاهد من علماء الأباجية في القرن العشرين.

أبو علي القالي صاحب الأمالي (٢٨٨ـــ ٣٥٦هـــ):

كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين، أخذ عن ابن دريد، وابن الأنباري ونفطوية وابن درستويه. وله من التآليف:

"كتاب الأمالي" في اللغة والأدب مع ذيله ونوادره. طُبع في جزأين ببولاق ١٣٢٤هـ، ووضع له الفهرس الأستاذان كرنكو وبيفان، وطبع في ليدن ١٩١٣.

علي باشا مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣م):

-درس بمدرسة المهندسخانة في بولاق ١٨٣٩م، حيث درس الجبر والهندسة والكيمياء والمعادن والجيولوجيا والميكانيكا والفلك والأراضي وغيرها، حتى تخرج عام (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م).

-اختير ضمن مجموعة من الطلاب النابهين للسفر إلى فرنسا في بعثة دراسية عام ١٨٤٤. وبعد عودته إلى مصر عمل بالتدريس، ثم التحق بحاشية عباس الأول وأشرف مع زميلين له على امتحان المهندسين، وصيانة القناطر الخيرية.

-عرض على عباس الأول مشروعًا لتنظيم المدارس، فأحاله إلى علي مبارك وزميليه، وكلفهم بوضع إدارة ناظر واحد وإلغاء مدرسة الرصدخانة.

- تولى إدارة ديوان المدارس وأعاد ترتيبها وفق مشروعه، واشترك مع عدد من المدرسين في تأليف بعض الكتب المدرسية، وأنشأ لطبعها مطبعتين.

- عزله سعيد باشا من ديوان المدارس في يوليو ١٨٥٤، ومن نظارة مدرسة المهندسخانة، وألحقه بالقوات المصرية التي تشارك الدولة

العثمانية في حربها ضد روسيا، وانتصر بانتصار العثمانيين في حرب القرم.

- تعلم أثناء إقامته باسطنبول مدة سنتين ونصف اللغة التركية، وشارك في المفاوضات التي جرت بين الروس والدولة العثمانية.
- عاد إلى مصر وعمل بديوان الجهادية، ثم التحق بمعية سعيد، وكون فريقًا لتعليم الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة والحساب، ووضع المناهج وطريقة التدريس، ثم أدخل مادة الهندسة وقربها إليهم، حتى فصله سعيد باشا في مايو ١٨٦٢.
- عند تولي الخديوي إسماعيل الحكم في ١٨ من يناير ١٨٦٣ عهد إليه قيادة مشروعه المعماري العمراني، وأسند إليه أيضًا نظارة القناطر الخيرية، ثم عهد إليه بتمثيل مصر في النزاع بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس.
- في ٢٣ أكتوبر ١٨٦٦ عينه الخديوي وكيلاً عامًا لديوان المدارس أيضًا، وغير ذلك من الوظائف المهمة.
- أنشأ دار العلوم، وتولى نظارة المعارف في وزارة رياض باشا إلى أن استقالت ١٨٩١.

من مؤلفاته:

- الخطط التوفيقية.
- كتاب علم الدين، في أربعة أجزاء.

عنترة بن شداد (٥٢٥- ٦٠٨م):

عنترة العبسي بن شداد أحد أغربة الجاهليين، ومن شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية.

- له ديوان عنترة بن شداد، طبع بعناية أبكاريوس، ببيـــروت ١٨٨١، وبالمطبعة الحسينية بشرح محمد العناني ١٣٢٩هـــ. وبشرح رشـــيد عطية ببيروت ١٨٩٣.

- أما سيرة عنترة بن شداد. وهي سيرته الحجازية قصة خيالية فيهـــا أشعار وأحوال كثيرة عن عنترة، ولا يعلم واضعها بالتحقيق. طبعت في ٣٢ جزءًا بمطبعة شاهين ١٢٨٦هـــ. وطبعـــت فـــي بيـــروت ونسبت إلى يوسف بن إسماعيل المـــصري (وقيـــل لعلهـــا الـــسيرة الشامية) سنة ١٨٦٩م، وترجم مختصر لها إلى الفرنسية دوفيك عام ١٨٦٤- ١٨٧٠م.

الغزالي (٤٥١- ٥٠٥هـــ/ ١٠٥٩- ١١١١م):

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الملقب بحجة الإسلام زين الطوسي الفقيه الشافعي.

أصله من غزّالة من أعمال طوس، كان والده يغزل الـــصوف، تعلـــم بطوس وعمل بها، ثم قدم نيسابور، واتصل بإمام الحـــرمين أبـــي المعـــالي الجويني، ثم خرج إلى المعسكر، ولقى الوزير نظام الملك، وحضر اللقاءات التي كان يعقدها، فجرى بينه وبين جماعة من الأفاضل جدال ومناظرات في مجالسه. ثم فوض إليه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية. وتوجه بعـــد ذلك إلى الشام وأقام بها عشرين عامًا، ثم رحل إلى بيت المقـــدس، وقـــصد مصر، وأقام بالإسكندرية، وعاد بعد ذلك إلى طوس. توفي بالطبران، وهـــي قصبة طوس.

من كتبه:

- الأجوبة الغزالية في المسائل الأخراوية.

- إحياء علوم الدين، بولاق ١٢٦٩هـ، في أربعة أجزاء.
- الأدب في الدين.
- أربع رسائل للغزالي.
- كتاب الأربعين في أصول الدين.
- أسرار الحج.
- الجام العوام من علم الكلام.
- تهافت الفلاسفة.
- المضنون به على غير أهله.
- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال.

ابن فارس (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م):

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي القزويني المالكي.

كان من أكبر أئمة اللغة. أخذ عن ابن الحسن الخطيب وأبي الحسن علي ابن إبراهيم القطان، وأحمد بن طاهر المنجم. وأخذ عنه أحمد بن الحسين المعروف بالبديع الهمذاني.

كان مقيمًا بهمذان فَحُمل منها إلى الري ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدولة ابن بوبة الديلمي.

من كتبه:

- الاتباع والمزاوجة، باعتناء رودلف برونو ***Brünnow*** ١٩٠٦.

- الصاحبي (في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها)، طبعة المؤيد ١٣٢٨هـ، واعتمد ناشرها على نسخة بخط الأستاذ الشنيطي نقلها عن مخطوطة بالقسطنطينية عام ٣٨٢هـ.
- المجمل في اللغة (معجم التزم فيه الصحيح والواضح من كلام العرب)، مطبعة السعادة ١٩١٤ (الجزء الأول فقط).

فتح الله حمزة (١٢١٦- ١٣٣٦هـ/ ١٨٤٩- ١٩١٨):

أحد مشايخ الأزهر، وأحد أعلام اللغة العربية في العصر الحديث، وله مؤلفات متنوعة. درس بالأزهر علوم الفقه والتفسير والأدب واللغة، وكان مهتمًّا باللغة العربية حريصًا على الحفظ والقراءة في علومها.

شغل وظيفة المفتش الأول للعلوم العربية بنظارة المعارف العمومية ثلاثين عامًا. أسهم في تحرير جريدة الكوكب الشرقي وعمل في تحرير جريدة البرهان الأسبوعية في الإسكندرية، كما عمل مفتشًا للغة العربية، وتولى قلم الإنشاء والترجمة، واستعان به علي مبارك في تطوير المناهج في مدرسة دار العلوم.

ألقى بالمؤتمر الثامن للمستشرقين في استوكهلم ١٨٨٩ محاضرة عن الإسلام.

من كتبه:

- باكورة الكلام عن حقوق النساء في الإسلام، بولاق ١٣٠٨.
- العقود الدرية في العقائد التوحيدية، ١٣٠٨.
- قصيدة بهية في مدح حضرة أوسكار الثاني ***Oskar II*** ملك السويد والنرويج، ليدن ١٨٨٩.

- الكلمات غير العربية في القرآن الكريم، بولاق ١٩٠٤.

- المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية. بولاق ١٣٠٩، ١٣١٢، ١٣٢٦/ ١٨٩٢، ١٨٩٥، ١٩٠٩.

- هداية الفهم إلى بعض أنواع الوسم، بولاق (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م).

القسطلاني (٨٥١- ٩٢٣هـ/ ١٤٤٧- ١٥١٧م):

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن ميمون القسطلاني المصري. نشأ بمصر وحفظ القرآن والشاطبية والوردية. ذكر له السخاوي عدة مشايخ منهم: خالد الأزهري، والفخر المقسمي، والجلال البكري.

قرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على العلوي، وتلمذ له وقرأ عليه السخاوي بعض مؤلفاته. وكان علامة في الحديث.

من أعماله:

- شرحه على صحيح البخاري بعنوان "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، عشرة أجزاء، بولاق ١٢٧٦، ١٢٨٥، ١٢٩٢هـ، بهامشه صحيح مسلم مع شرح النووي.

- المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية، رتبها على عشرة مقاصد، طبعة مصطفى شاهين ١٢٨١هـ.

كعب بن زهير (ت ٢٤هـ/ ٦٤٤م):

من الشعراء المخضرمين. كان شاعرًا مجيدًا، مقدمًا في طبقته. وكان من أكثر الشعراء هجوًا للنبي، ثم جاءه وأسلم ومدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها

وقد حققها جويدي (١٨٧١- ١٨٧٣) مع ترجمة فرنسية للمستشرق روكسي مع شرح الباجوري في باريس ١٩٠٤م.

محمد الأشموني (١٢١٨- ١٣٢١هـ/ ١٨٠٣- ١٩٠٣م):

- تلقى عن شيوخ الأزهر: القويسني، والبولاقي، والفضالي، والأمير، والباجوري، والمرصفي.
- اشتهر بالذكاء، وإتقان التحصيل، والتعليق على ما يقرأ.
- لم يؤلف كتابًا، وإنما كتب عنه بعض الطلبة تقييدات للعقائد النسفية، ومختصر السعد.
- هو والد أبي الحسن نور الدين علي بن محمد الأشموني صاحب التآليف الجليلة في النحو والمنطق وغيره.
- عمّر عمرًا طويلاً، وتوفي عام ١٣٢١هـ، عن مائة سنة وثلاث سنوات هجرية.
- لم ينقطع عن التدريس والإفادة إلّا قبل وفاته ببضع سنوات؛ لضعف أصابه من الكبر، وأبطل حركته.
- هو الذي يعنيه جولدتسيهر، وليس الشيخ الأشموني (ابنه) صاحب شرح الألفية.

محمد العباسي المهدي (١٢٤٣- ١٣١٥هـ/ ١٨٢٧- ١٨٩٧م):

تولى إفتاء الديار المصرية عام (١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م)، وهو في نحو الحادية والعشرين من عمره بفرمان من إبراهيم باشا. وتعرض للنفي في

عهد عباس الأول وأعاده الخديوي إسماعيل إلى منصبه (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م)، ونصبه أيضًا على مشيخة الأزهر (١٢٩٩هـ/ ١٨٧١م) استجابة لطلب عرابي باشا، وأعيد في السنة نفسها إلى المشيخة. ولم يكن جده رابين كما ذكر جولدتسيهر بل كان مسيحيًا وأسلم.

محمد كرد علي (١٢٩٣- ١٣٧٢هـ/ ١٨٧٦- ١٩٥٣م):

اسمه محمد كرد علي ولد في دمشق (١٢٩٣هـ /١٨٧٦م). مفكر سوري، ومن رجال الفكر والأدب والصلاح والمدافع عن اللغة العربية. أول وزير للمعارف والتربية في سوريا، وصاحب مجلة المقتبس، ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان رئيسًا لمجمع اللغة العربية منذ تأسيسه ١٩١٩ حتى وفاته.

اتصل بعدد من علماء دمشق المعروفين مثل: الشيخ سليم البخاري، والشيخ محمد المبارك، والشيخ طاهر الجزائري، وقرأ عليهم كتب الأدب واللغة والبلاغة والفقه وعلم الاجتماع والتاريخ والفقه والتفسير والفلسفة. وتوفي في دمشق ١٩٥٣م.

من كتبه:

- تاريخ الحضارة (ترجمة). تأليف شارل سنيبوبوس أحد أساتذة السربون بباريس، في جزأين، مطبعة الظاهر ١٩٠٨.
- الرحلة الأنورية إلى الأصفاع الحجازية والشامية، بيروت ١٨٩٦.
- رسائل البلغاء. فيها قسم من رسائل ابن المقفع، وأربع رسائل لعبد الحميد بن يحيى الكاتب باعتناء الشيخ طاهر الجزائري ومحمد كرد علي، مطبعة الظاهر ١٣٢٦هـ.
- غرائب الغرب، دمشق ١٩١٠م.

محمد مختار باشا المصري (١٢٦٢- ١٣١٥هـ = ١٨٤٦- ١٨٩٧م):

تلقى الفنون العسكرية بمدرسة البوليتكنيك، وخدم في الجيش المصري حتى نال رتبة لواء سنة ١٨٨٦م. شارك في فتح إقليم هرر بالسودان، وعين رئيس عموم أركان حرب السودان.

اخترع دليل القبلة الإسلامية في العالم بآلة دقيقة. وعين مأمورًا خاصًا للخديوي. وله تآليف باللغة الفرنسية وبالعربية.

ومن أعماله:

- التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية (من سنة الهجرة إلى سنة ١٥٠٠)، بولاق (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م).
- جدول لتحويل المسطحات المترية إلى ما يقابلها من الفدن وكسورها وبالعكس، بولاق ١٣١٤هـ.
- رسالة في تحديد أطول المقاييس والموازين والمكاييل المستخدمة في مصر، ويليها جدول لمقارنة المقاييس المصرية بالمقاييس الإنجليزية والفرنسية، بولاق ١٨٩١م.
- المجموعة الشافية في علم الجغرافيا، ومعها أطلس جغرافي، بولاق ١٢٨٩هـ.

مسلم بن الحجاج (٢٠٦- ٢٦١هـ/ ٨٢٠- ٨٧٤م):

الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري الشافعي، صاحب الجامع الصحيح، وأحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين.

رحل إلى الحجاز والعراق وسمع من أئمتها وقدم بغداد مرارًا، وأخذ عن النجاري، وعن أحمد بن حنبل، وإسحق بن راهوية. جمع صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث.

من كتبه:

- صحيح مسلم أو الجامع الصحيح، بولاق ١٢٩٠هـ، ١٣٢٧هـ، كلكتا ١٢٦٥هـ.

-المتفردات والوحدان (من رواة الحديث) ومعه الضعفاء الصغير للبخاري والضعفاء والمتروكون للنسائي، حيدر أباد ١٣٢٣هـ.

مصطفى السباعي (١٣٣٣- ١٣٨٤هـ/ ١٩١٥- ١٩٦٤م):.

هو أحد الرجال الأفاضل، من أسرة تولت الخطابة في مساجد دمشق. كان صديقًا لجولدتسيهر عندما زار دمشق. وهو ابن حسني السباعي. وهو مؤسس حركة الإخوان المسلمين في سوريا. أول مراقب للإخوان المسلمين ولد في حمص في سوريا.

من أسرة معروفة بالعلم منذ مئات السنين وكان أبوه وأجداده يتولون الخطابة في الجوامع. درس بالجامع الأزهر، وشارك زملاءه المصريين عام ١٩٤١ في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني، كما أيد ثورة رشيد غالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز، فاعتقلته السلطات المصرية بأمر من الإنجليز مع زملائه قرابة ثلاثة أشهر ثم نقل إلى معتقل صرفند بفلسطين حيث بقى أربعة سنوات ثم أطلق سراحه بكفالة. وأثناء دراسته بالأزهر اعترض على ما قاله أستاذه د. علي حسن عبد القادر عن جولدتسيهر وبين أخطاءه، ثم كتب عنه كتاب "الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم".

تعرف أثناء دراسته بمصر بمؤسس جماعة الإخوان حسن البنا، وظلت الصلة قائمة بعد عودته إلى سوريا، وأسس جماعة الإخوان بسوريا.

عين عام ١٩٥٠ أستاذًا بكلية الحقوق بالجامعة السورية. أسس كلية الشريعة بجامعة دمشق ١٩٥٥ وكان أول عميد لها.

في عام ١٩٥٦ طلب من الحكومة السورية السماح لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا بالمشاركة إلى جانب المصريين، فقامت حكومة الشيشكلي بحل الجماعة، واعتقال السباعي وإخوانه، ثم فصل من الجامعة وأبعد خارج سوريا إلى لبنان.

بعد اعتقال حسن الهضيبي في مصر خلال مواجهة الإخوان مع حكومة بعد ثورة يوليو، شكل الإخوان في البلاد العربية مكتبًا تنفيذيًا تولى د. مصطفى السباعي رياسته.

كان من العلماء المحققين الذين استوعبوا الفقه الإسلامي من أصوله المعتمدة ودرسوا قضايا العصر المستجدة وقاسوها على ما سبق من أحكام مستمدة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وأصيب بالشلل النصفي، وتوفي في أكتوبر ١٩٦٤م.

مصطفى رياض باشا (١٨٣٤- ١٩١١م):

اختلف المؤرخون في جنسيته، فيرى بعضهم أنه كان يهوديًا من سميرنا (مدينة على الشاطئ الشرقي لبحر أيجة)، وينتمي إلى أسرة من المرابين ووزاني الذهب. وأن اسمه الحقيقي هو يعقوب، بينما يرى آخرون أنه تركي مسلم، وأنه نجل ناظر الضربخانة المصرية (مصلحة سك العملة).

عينه الخديوي إسماعيل حاملاً للختم في يناير ١٨٦٣، ثم أصبح عضوًا بمجلس الأحكام (يوليو ١٨٦٤)، فناظرًا لخاصة إسماعيل في أكتوبر ١٨٦٤،

وتولى مناصب ناظر (وزير) المدارس والأوقاف في أغسطس ١٨٧٣، ثم مستشارًا لناظر الداخلية، ورئيسًا لمحكمة الوصاية على الأيتام (مارس ١٨٧٤)، ورئاسة المجلس الحسبي ١٨٧٥.

شكل وزارته الأولى (٢١ من سبتمبر ١٨٧٩- ١٠ من سبتمبر ١٨٨١)، والثانية (٩ من يونيو ١٨١٨- ٢ من مايو ١٨٩١)، والثالثة (١٩ من يناير ١٨٩٣- ١٥ من إبريل ١٨٩٤)، وعين فيها ناظرًا للمعارف العمومية.

من أهم أعماله:

- أوقف ١٥٠٦ فدانًا بالوجه البحري مساهمة منه في إنشاء دار الكتب.
- أصبحت جريدة الوقائع المصرية في عهده يومية بعد أن كانت تصدر مرتين أسبوعيًا.
- وضع خطة مع دور بك *Dor* خبير التعليم السويسري للنهوض بالتعليم الشعبي.
- نشر التعليم في أنحاء القطر المصري عن طريق إصلاح الكتاتيب.

المفضل الضبي (١٦٨ أو ١٧٠هـ/ ٧٨٠ أو ٧٨٦م):

أبو العباس المفضل بن محمد الضبي.

كان عالمًا بالنحو والشعر والغريب وأيام الناس. وكان ثقة من أكابر الكوفيين. وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري.

له من الكتب:

- كتاب أمثال العرب.

- كتاب معاني الشعر.
- كتاب العروض.
- كتاب المفضليات (حققه توربك *Turbuke*، ليبزج ١٨٨٥، وتشارلز لايل *Lyall*، بيروت ١٩١٢).

منصور فهمي باشا (١٨٨٦- ١٩٥٩م):

أحد أساتذة الفلسفة. درس الحقوق عامين بمصر، ثم أرسل إلى باريس مع عدد من زملائه للتأهيل للتدريس بالجامعة التي أُنشئت عام ١٩٠٨؛ حيث حصل على درجة دكتوراه في الفلسفة من السوربون، وكانت رسالته عن "أحوال المرأة في الإسلام"، وكان لها صدى واسع عام ١٩١٣. وعاد للتدريس بالجامعة بعد ثورة ١٩١٩، وتدرج في عمله إلى أن كان عميدًا لكلية الآداب/ جامعة القاهرة، ثم اختير مديرًا لدار الكتب ثم مديرًا لجامعة الإسكندرية، وعضوًا في مجمع اللغة العربية منذ إنشائه.

ابن المنير السكندري (٦٢٠- ٦٨٣هـ):

أبو العباس ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبي بكر منصور بن منير السكندري المالكي قاضي الإسكندرية وخطيبها وفقيهها وأديبها. ألف كتاب المقتفي تبع فيه الشفا للقاضي عياض. كان مدرسًا، وولى الأحباس والمساجد وديوان النظر، ثم ولى القضاء نيابة عن القاضي ابن التنسي، ثم ولى القضاء استقلالاً عام ٦٥٢هـ.

من آثاره: الانتصاف من صاحب الكشاف، طبع ١٣١٨هـ.

الميداني (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م):

أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. أخذ عن أبي الحسن علي بن أحمد الواجدي.

من كتبه:

- السامي في الأسامي.
- مجمع الأمثال، تحقيق فرايتاج، جزآن، بون ١٨٣٨- ١٨٤٣م.
- نزهة الطرف في علم الصرف. طبعة الجوائب ١٢٩٨هـ.

أبو نواس (١٤٥ – ١٩٥هـ / ٧٦٢ – ٨١٠م)

أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي، ولد بالأهواز. كان أبوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية. وكان من أهل دمشق أسلمته أمه إلى بعض العطارين، فرآه أبو أسامة من بني الحباب فأعجبه، فقال له: "إني أرى فيك مخايل أرى أن لا تضيعها، وستقول الشعر، اصحبني أخرجك". فسأله: "ومن أنت؟". فقال "أنا أبو أسامة والبه بني الحباب". فقال: "نعم أنا والله في طلبك. ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسببك لآخذ عنك واسمع عنك شعرك". فسار أبو نواس معه فقدم به بغداد.

قال أبو نواس الشعر وهو صبي واختلف إلى أبي زيد الأنصاري وكتب عنه الغريب. وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أيام الناس، ونظر في نحو سيبويه. توفي في القمنة قبل قدوم المأمون من خرسان.

- له ديوان أبي نواس، حققه آلفارت في جريفالد ١٨٦١، (الجزء الأول)، ويلتوه الجزء الثاني شعره في الطرد، باعتناء فون كريمر ١٨٥٥، وحققه جريجور شيلر، وإيفالد فاجنر، وفوكريمر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، عدد ٦١- ٦٥.

النووي أو النواوي (محيي الدين) (٦٣١- ٦٧٧هـ):

أبو زكريا يحيى بن شرف محيي الدين النووي الشافعي.

برع في العلوم، وكان مدققًا في عمله حافظًا للحديث، عارفًا بأنواعه.

من أعماله:

- الأربعون حديثًا النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، بولاق ١٢٩٤هـ.
- التبيان في آداب حملة القرآن، مصر ١٢٨٦، ١٣٠٧هـ.
- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، اختصره من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح، طبع جزء منه مع ترجمة فرنسية وشرح للأستاذ مرسة، باريس ١٩٠٢م.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصر ١٣٨٣هـ، في خمسة أجزاء.

الهمداني (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م):

أبو محمد الحسن بن أحمد، ويعرف بابن الحائلة، جغرافي عربي ومؤرخ، ومشابه وشاعر.

ولد بصنعاء (باليمن). وعني بدراسة الأدب الشعبي القديم في جنوب شبه الجزيرة العربية.

من مؤلفاته:

- صفة جزيرة العرب. تناول فيه مظاهرها الطبيعية، وأجناسها وقبائلها، وعلاتها الحيوانية والمعدنية وطرقها ومواطن الاستقرار البشري بها.

ياقوت الرومي الحموي (٥٧٥- ٦٢٦هـ/ ١١٧٩- ١٢٢٨):

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين.

طالع كثيرًا من كتب الخوارج، بعد تعصبه على عليّ بن أبي طالــب، فاشتبك في ذهنه منها طرف قوي. ولما توجه إلى دمشق ٦١٣هـــ نــاظر بعض من يتعصب لعليّ، فثار الناس عليه ثورة وكادوا يقتلونه، فخرج إلــى دمشق ثم إلى حلب ووصل إلى إربل وخراسان، وساح في البلدان العربية، ثم استقر في حلب وأقام بها إلى أن مات.

من كتبه:

- معجم البلدان، جعله هدية لجمال الدين القفطي. حققه فيستنفلد فــي ستة أجزاء، ليبزج ١٨٦٦– ١٨٧٣.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ويعرف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء. حققه مرجليوس وطبع على نفقة لجنة جب التذكارية بمطبعة هندية بالقاهرة (١٩٠٩ – ١٩١٦) في سبعة أجزاء.
- المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، حققه فستنفلد، جوته ١٨٤٦م.

اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ٧٩٨م):

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي. كان رحالــة ساح في بلاد الإسلام شرقًا وغربًا.

زار أرمينيه عام ٢٦٠هـ ثم رحل إلى الهند وعاد إلى مصر وبلاد المغرب. ألف في سياحته: "كتاب البلدان"، وله التاريخ المعــروف بتــاريخ اليعقوبي.

من كتبه:

- كتاب البلدان، حققه جوينبول، ليدن ١٨٦٠.

- تاريخ ابن واضح الكاتب العباسي المعروف بــاليعقوبي، ويعــرف بالتاريخ اليعقوبي، تحقيق هوتسما في جزأين، ليدن ١٨٨٣.

***

٢- أعلام الغربيين.

فهرس أعلام الغربيّين:

***

التعريف بأعلام الغربيين:

فيلهلم آلفارد (اللورد) *Ahlward, W.* (١٨٣٨- ١٩٠٩):

ابن اللورد البروسي، ولد في جرايفسفالد، وتعلم العربية، ورحل إلى عواصم الاستشراق؛ لنسخ مخطوطاتها، وعمل على تحقيقها وشرحها والتعليق عليها. ووضع فهرس مكتبة برلين.

آثاره:

- نشر ديوان طهمان الكلابي (ليدن ١٨٥٨).
- نشر الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (جوتنجن ١٨٦٠).
- نشر ديوان أبي نواس على مخطوطتي برلين وفيينا (جرايفسفالد ١٨٦١).
- نشر فتح البلدان للبلاذري في ثلاثة أجزاء بمعاونة دي خويه (جرايفسفالد ١٨٦٣- ١٨٦٨).

- نشر العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين، مع مقدمة إنجليزية (لندن ١٨٧٠، باريس ١٩٠٢).
- نشر الجزء الحادي عشر من أنساب الأشراف للبلاذري، (جرايفسفالد ١٨٨٣).
- وضع فهرست المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية، في عشرة أجزاء كبيرة، وصف فيها ما يربو على عشرة آلاف مخطوطة (برلين ١٨٨٧- ١٨٩٩).
- نشر مجموعة أشعار للعرب في ثلاثة أجزاء وذيول تفسير وفهارس (برلين ١٩٠٢).

المكفست *H. Almkvist* (١٨٣٩- ١٩٠٤):

تلميذ فليشر. عين أستاذًا بجامعة أوبالا، تخصص في اللغات السامية، ودرس غيرها أيضًا. زار مصر والشام والسودان.

تعلم لغة أهل بجاوة "البشارية" (يضربون خيامهم بين العرب والحبش)، ولغة البرابرة. جمع الكثير من المفردات بلهجتي مصر والسوريا.

من آثاره:

- نشر جزءًا من رحلة ابن بطوطة.
- كتب عن الخصائص لضمائر اللغات السامية.
- صنف ثلاثة كتب عن لغة بجاوة (١٨٨٥)، تشتمل على مفردات وفيرة (١٨٨١- ١٨٨٥).
- كتب عن اللهجة العامية بمصر والشام (١٨٩٢ - ١٩٢٥).

- كتب عن البربر (١٩١١).

Aristotalis أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ ق. م)

فيلسوف يوناني تتلمذ لأفلاطون، وكان يحاضر ماشيًا فسمي وأتباعه بالمشائية. من مؤلفاته:

- "الأورجانون" عن التصورات.
- "كتاب العبارة" عن الأقوال المؤلفة من التصورات.
- "كتاب التحليلات" ومبحثه الاستدلال.
- "السماع الطبيعي" ومبحثه الموجود الطبيعي.
- "الكون والفساد".
- "السماء".
- "النفس".
- وله كتب في الأخلاق والسياسة والخطابة والشعر.

Arnold, T. W. أرنولد (١٨٦٤- ١٩٣٠):

سير توماس ووكر أرنولد. قضى سنوات طويلة في الهند. كان أستاذًا للفلسفة في الكلية الأنجلو- شرقية التي أسسها سيد أحمد خان ١٨٧٥، ثم انتقل إلى الكلية الحكومية في لاهور (١٨٩٨- ١٩٠٤)، واتصل بحركة عليكرة للتحديث الإسلامي الهندي، وصادق بشبلي النعماني أهم من يمثلها، ومن ثم تمكن من إصدار كتابه عن الدعوة الإسلامية ***The Preaching of Islam*** (١٨٩٦)، تناول فيه انتشار العقيدة الإسلامية بالتحليل، وذكر الأسباب

التي أدت إلى ذلك. وقد أعطاه أحمد خان وأتباعه الحافز لأن يهتم بالمعتزلة، ويحقق السير المتعلقة بذلك من كتاب "المنية والأمل" للزيدي بن المرتـــضى. وبعد عودته إلى إنجلترا في المكتب الهندي (١٩٠٤- ١٩٢٠) كتـــب حـــول موضوعات إسلامية، فاشترك في موسوعة الدين والأخلاق *Encyclopedia of Religion and Ethics* وكتب عن الخلافة. (يرجع إلى كتاب يوهان فيك "الدراسات العربية في أوربا"، ص٢٨٤- ٢٨٥).

أسين بلاثيوس *Asin Palacios, M.* (١٨٧١- ١٩٤٤):

تلقى العربية على ريبيرا (١٨٩١). حصل على الدكتوراه من جامعـــة مدريد ١٨٩٦. ونشر رسالته عن العقيدة والأخلاق والتصوف عند الغزالـــي (١٩٠١)، وخلف كوديرا على كرسي العربية في جامعة مدريد (١٩٠٣).

انضم إلى مجمع العلوم الأخلاقية والسياسية في مدريد. وألقى خطابًـــا عن ابن مرة ومذهبه (١٩١٢). وانضم إلى المجمع اللغـــوي فـــي مدريـــد وحاضر عن المصادر الإسلامية في الكوميديا الإلهية لدانتي (١٩١٩)، وإلى مجمع التاريخ في مدريد وحاضر عن دراسة الفِصَل لابن حزم (١٩٢٣)، ثم حققه فيما بعد ونشره في خمسة أجزاء. وعـــين رئيـــسًا للمجمـــع اللغـــوي (١٩٤٣)، وفي مجامع علمية عديدة، منها المجمع العربي في دمشق. ومثـــل بلاده في معظم مؤتمرات المستشرقين.

واشتهر الأب أسين بلاسيوس بدراسة حركة التفاعـــل الثقـــافي بـــين المسيحية والإسلام وتخصص في الفلسفة والتصوف.

آثاره:

- العقيدة والأخلاق والتصوف لدى الغزالي (١٩٠١- ١٩٣٤).

- مذهب ابن رشد ولاهوت توما الأكويني (تكريم كوديرا، سرقسطة ١٩٠٤).

- دراسات متنوعة عن محيي الدين بن عربي.

- دراسة عن ابن مسرة ومدرسته وأصول الفلسفة الأندلسية (مدريد ١٩١٤).

- نشر كتاب المدخل إلى صناعة المنطق لابن طملوس، الجزء الأول، وكتاب المقولات وكتاب العبادة، متنًا وترجمة إسبانية (مدريد ١٩١٦).

- ترجم إلى الإسبانية كتاب الأخلاق والسلوك لابن حزم (مدريد ١٩١٦).

- صنف كتابًا عن ابن حزم (مدريد ١٩٢٤). ونشر له الفصل في الملل والنحل متنًا وترجمة أسبانية مع تحليل الأفكار الدينية ونقدها في خمسة أجزاء (مدريد ١٩٢٧ - ١٩٣٢).

***Bacher, Wilhelm* باخر (١٨٥٠- ١٩١٣):**

تعلم في جامعة بودابست، والمعهد اليهودي في برسلاو، وتخرج من جامعة ليبزج. عين أستاذًا للغات السامية في جامعة بودابست، وفي المعهد اليهودي (١٨٧٧)، وأصبح مديرًا للمعهد، وعنى بدراسة العلوم اليهودية والأدب العربي اليهودي.

من آثاره:

- موسى بن ميمون في جزأين (ليبزج ١٩٠٨- ١٩١٤).

- التطور التاريخي للغات السامية (١٩٠٩).
- المستعمرات اليهودية في البلاد العربية (الفصول اليهودية ١٩٠٥).

Basset, René رينيه باسيه (١٨٥٥- ١٩٢٤):

عين عام ١٨٨٢ بمدرسة الدراسات العليا بالجزائر ثم أصبح مديرًا لها. قام برحلات عديدة في شمال إفريقيا، ودرس لغة البربر.

من آثاره:

- دراسات عدة بالمجلة الإفريقية، ومجلة المراسلات الإفريقية، ومكتبة الآثار الإفريقية، ووصف شمال إفريقيا.
- مجموعة من المذكرات والنصوص صدرت بتوصية من مؤتمر المستشرقين الدولي السادس عشر بالجزائر.

Becker, Carl Heinrich بيكر، كارل هينريش (١٨٧٦- ١٩٣٣):

تعلم الأشوريات على بتسولد ***Bezold***، وبارت ***Barth***. وتأثر بمؤلفات فلهاوزن وجولدتسيهر، وسنوك هورجرونية عن الإسلام، وتعرف مشكلات الإسلام في العصر الحديث من قراءة بحوث هارتمان ***Hartmann***.

- شغل كرسي تاريخ الشرق وحضارته بجامعة هامبورج بعد أن درس على بتسولد وبارت الأشوريات، ثم اتجه إلى بحث الإسلام بعد قراءته مؤلفات فيلهاوزن، وجولدتسيهر وسنوك ومورجرونيه.
- باشر دراساته عن تاريخ الإدارة والاقتصاد بمناهج النزعة التاريخية النقدية.
- أسس معهدًا لتاريخ الشرق وحضارته في هامبورج.

- أحيا في عام ١٩١٠ مجلة "الإسلام" Der Islam، وهي مجلة متخصصة في الإسلام.

- زار فرنسا عام ١٩٠٠ حيث أقيم المعرض الدولي في باريس.

- وارتحل إلى إسبانيا؛ حيث بدأت دراساته في المشرقيات، واشتغل بمكتبة الإسكوريال بالمخطوطات العربية.

- زار القاهرة مرتين وتعلم العربية على أستاذ مصري. وقام برحلة طويلة بالصعيد، واصلها حتى الخرطوم وأم درمان (إبريل ١٩٠١). والزيارة الثانية في ديسمبر ١٩٠١ عرف فيها بعض الشخصيات المصرية مثل الإمام محمد عبده.

من آثاره:

- نشر مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي مع مقدمة ألمانية (ليبزج ١٨٩٩).

- مصر في عهد الإسلام (ستراسبورج ١٩٠٣).

- مجموعة بحوث في الإسلام بالألمانية (١٩١٦ – ١٩١٨).

Bergsträsser, G برجشتراسر (١٨٨٦– ١٩٣٣):

التحق بجامعة ليبزج (١٩٠٤) حيث درس الفلسفة، واللغات السامية على أوجست فيشر، ونال الدكتوراه عام ١٩١١، وشهادة الأستاذية في اللغات السامية والعلوم الإسلامية ١٩١٢.

رحل إلى تركيا وفلسطين ودرس لهجاتها العامية، ومرّ بمصر في طريق عودته إلى ألمانيا. وفي أوائل الحرب الكبرى انتدب للتدريس في

جامعة الأستانة. ثم درس اللغات السامية والعلوم الإسلامية في جامعات كونجسبرج وبرسلاو، وهايدلبرج، وميونخ. وتولى تحرير المجلة الألمانية للدراسات السامية.

قدم إلى مصر أستاذًا زائرًا وألقى في جامعتها (١٩٣١- ١٩٣٢) سلسلة محاضرات في تطور نحو اللغة العربية، ومحاضرات في قواعد نشر النصوص العربية (نشرها د. حمدي البكري ودكتور خليل عساكر. وهما من تلاميذه الذين ألقيت عليهم هذه المحاضرات). وفي القاهرة استمع إلى القرآن الكريم من مقرئ مشهور فذهب إليه، ودون أنغامه بالنوتة.

وكان مولعًا بتسلق جبال الألب، وقد سقط عن أحد جباله سقطة أودت بحياته.

من آثاره:

- حروف النفي في القرآن، رسالة الدكتوراه.
- ما لم ينشر من الترجمات العربية لأبقراط وجالينوس (ليبزج ١٩١٣).
- حنين بن إسحق وتلاميذه وترجماتهم للكتب من اليونانية إلى العربية (ليبزج ١٩١٤).
- كتاب الأسابيع لأبقراط (١٩١٤).
- اللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين (الجمعية الألمانية للدراسات الفلسطينية ١٩١٥).
- نصوص باللهجة الآرامية الحديثة للمعلولا ١٩١٥، ومعجم تلك اللهجة (١٩٢١).

- راجع كتاب قواعد اللغة العبرية لجيزنيوس في طبعته التاسعة والعشرين (١٩١٨- ١٩٢٩).
- رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى متنًا وترجمة ألمانية (ليبزج ١٩٢٥).

***Bevan, A. A.* بيفان (١٨٥٩- ١٩٣٣):**

تلقى العلم في لوزان، وعلى نولدكه في ستراسبورج، وحصل على درجة الليسانس في دراسات اللغات السامية في كمبردج ١٨٨٧. وكان قد نال منحة دراسية في العبري، وظفر بجائزتها (١٨٨٢).

عين محاضرًا للغات الشرقية في كلية ترنيتي (١٨٩٠)، واختير أستاذًا للغة العربية في كمبردج (١٨٩٣- ١٩٣٣).

من آثاره:

- نشر نقائض جرير والفرزدق في ثلاثة مجلدات (ليدن ١٩٠٥- ١٩١٢).
- وضع فهرس الأمالي لأبي علي القالي، بمعاونة كرنكوف (لندن ١٩١٣).
- وضع فهارس المفضليات التي نشرها لايل سنة ١٩٢٤.

***Bezold, Carl* بيتسولد (١٨٥٩- ١٩٢٢):**

تعلم في جامعات ميونخ، وليبزج، وستراسبورج، ونال شهادة الليسانس من ميونخ ١٨٨٣. وذهب إلى لندن لتصنيف تقويم الألواح المسمارية في المتحف البريطاني (١٨٨٨- ١٨٩٤). ورجع إلى ألمانيا ليشغل وظيفة أستاذ لفقه اللغات الشرقية بجامعة هايدلبرج، ويصبح مديرًا لمعهدها الشرقي ١٨٩٤. وأسس المجلة الآشورية.

من آثاره:

- عهد آدم– تاريخ ملوك الحبشة– كهف الكنده (١٨٨٣– ١٨٨٨).
- تقويم الألواح المسمارية لمكتبة آشور بنيبال في المتحف البريطاني، في خمسة مجلدات.
- الدبلوماسية الشرقية في الخطوط المسمارية وألواح مصر، واكتشافات تل العمارنة (١٨٩٣).
- دراسات في فقه اللغات السامية في ألمانيا (١٩١٦).

كارل برروكلمان *Brockelmann, C.* (١٨٦٨– ١٩٥٦):

ولد في روستك. ودرس على نولدكه وغيره، وعرف بإتقانه لفقه العربية، وقدرته على قراءتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة، وبمعرفته بتاريخ الأدب العربي.

عين أستاذًا للغة العربية في جامعات: برسلاو (١٨٩٣– ١٩٠٣)، كونسبرج (١٩٠٣– ١٩٠٩)، هاللي (١٩٠٩– ١٩٢٠)، برلين (١٩٢٠– ١٩٢١)، برسلاو (١٩٢١– ١٩٣٧)، هاللي (١٩٣٧– ١٩٤٧).

انتخب عضوًا في مجامع برلين، وليبزج، وبودابست، وبون، ودمشق.

من آثاره:

- تاريخ الآداب العربية في مجلدين (فايمر ١٨٩٨– ١٩٠٢)، وأكملها بثلاثة أجزاء (ليدن ١٩٣٧– ١٩٤٢).
- تاريخ الشعوب والدول الإسلامية في خمسة أجزاء (ميونخ، برلين ١٩٣٩).

- ديوان لبيد تحقيقًا وترجمة ألمانيـــة، ومـــزودًا بالحواشـــي (ليـــدن ١٨٩١).

- عيون الأخبار لابن قتيبة، في أربعة أجزاء (١٩٠٠- ١٩٠٨).

براون *Browne, E. G.* (١٨٦٢- ١٩٢٦):

إدوارد جرانفيل براون. درس الطب في كلية بمبروك فـــي كمبــردج (١٨٧٩)، ودرس العربية على بالمر، وتعلــم الفارســية أثنـــاء العطـــلات الدراسية.

قصد الأستانة ١٨٨٢ بعد حصوله على شهادة الطب، وعندما عاد إلى كمبردج درس اللغات الشرقية، وحصل على مرتبة الشرف في اللغات الهندية (١٩٨٤).

وزاول الطب في كمبردج وإيران إلى (١٨٨٧- ١٨٨٨)، وعند عودته عين محاضرًا للغة الفارسية في كمبردج، ثم خلف ريو في كرسي العربيـــة حتى وفاته (١٩٠٢- ١٩٢٦).

من آثاره:

- مقالات في التاريخ الفكري والأدبـــي، أربعـــة مجلـــدات (١٩٠٢- ١٩٢٤).

- نشر مختارات من قصائد ديوان "شمس تبريز" لجلال الدين الرومي مع ترجمة إنجليزية وتعليقات.

- نشر ديوان ابن عربي "ترجمان الأشواق".

-"تذكرة الأولياء" لفريد الدين العطار (١٩٠٥- ١٩٠٧).

- كتبت مجلة العالم الإسلامي تحت عنوان: ثلاثة أساتذة في الدراسات الإسلامية مارت هارتمان، وسنوك هرجرونيه، وإدوارد براون (١٩١٠).

فرانتس بول (١٨٥٠- ١٩٣٢): ***Buhl, Frants***

خلف ميرن ***Mehren*** على كرسي الدراسات السامية في كوبنهاجن، بعد أن درّس العهد القديم بكليات اللاهوت بكوبنهاجن (١٨٧٨- ١٨٩٠)، وليبزج (١٨٩٠- ١٨٩٧) خلفًا لديليتش ***Delitzsch***. ودرس العربية على ميرن، وفلايشر.

من آثاره:

حياة محمد *Muhammad's live* (١٩٠٣)، ثم أعاد طباعته باللغة الألمانية *Das Leben Muhammads*.

كايتاني (١٨٦٩- ١٩٢٦): ***Caetani, Leone***

مستشرق إيطالي، ولد في روما، ودرس سبع لغات شرقية منها الفارسية والعربية. كان سفيرًا لإيطاليا بواشنطن. ورحل إلى الهند وزار مصر وسوريا ولبنان وإيران.

من آثاره:

- انتشار الإسلام وتطور الحضارة (بولونيا ١٩١٢).
- سيرة الرسول (ميلانو ١٩١٤).
- تاريخ الإسلام من العام الأول الهجري إلى عام (٩٢٢هـ- ١٥١٧م).

Carra de Vaux كارّا دي فو (ت ١٨٦٧):

مستشرق فرنسي، من آثاره:

- كتب عن الغزالي سنة ١٩٠٢.
- كتب عن ابن سينا ١٩١٠ (نشر في خمسة مجلدات ١٩٢٦-١٩٢٧).
- كتب عن الإسلام: العبقرية السامية والعبقرية الآرية ١٨٩٩:

Le Mohamétisme le genie semitiquie et le genie aryen, 1899.

Casanova, P. كازانوفا (ت ١٩٢٦):

مستشرق فرَنسي. تعلم العربية في معهد فرنسا ١٩٢٠، وانتدبته مصر ليدريس بالجامعة المصرية فقه اللغة العربية.

من آثاره:

- ضمن مشوارات المعهد الفرنسي بالقاهرة.
- كرة سماوية (٦٨٤هـ/ ١٦٨٨م).
- أواخر الفاطميين (١٨٨٩).
- تاريخ ووصف قلعة القاهرة ١٨٩٤.
- ترجمة كتاب الخطط للمقريزي، وتحقيقه.

Delitzsch ديلتش، فرانس (١٨١٣- ١٨٩٠):

من تلاميذ فلايشر. درس اللغات السامية على فلايشر، ودَرّسها في برلين وليبزج. ورحل إلى دجلة والفرات.

اشتهر بمصنفاته عن الآثار البالية. وشرح الأسفار المقدسة العبرية والآرامية.

من آثاره:

- الشعر العربي اليهودي (ليبزج ١٨٧٤).
- أصول اللغة الآشورية (برلين ١٩٠٦).
- العلوم الآشورية (ليبزج ١٩١٤).
- ساعد في نشر ٢٥ مجلدًا للمكتبة الآشورية (ليبزج ١٩٢٠).

Derenbourg, J. **جوزيف ديرنبورج (١٨١١– ١٨٩٥):**

تخرج على فرايتاج، وقصد باريس، وعين مصححًا في المطبعة الوطنية (١٨٥٢– ١٨٧٧)، وعنى بالتلمود عناية شديدة، وأصبح من كبار علماء العبرية والعربية.

من آثاره:

- أمثال لقمان، حققه اعتمادًا على عدة نسخ (ليبزج ١٨٥٠).
- رسائل لابن جني (باريس ١٨٥٠) بمعاونة ابنه.
- كتاب اللمع لابن جني (١٨٨٦).
- كتاب "ليس" لابن خالويه (١٨٩٤).

Dozy, W. Reinhart **دوزي (١٨٢٠– ١٨٨٣):**

مستشرق فرنسي درس في جامعة ليدن، ودرس على أستاذه فايجر ***Weiger, Hendrik Engelin*** (١٨٠٥– ١٨٤٤)، وتعمق في دراسة الشعر الجاهلي. ودرس تاريخ إسبانيا تحت حكم المغاربة.

رحل إلى ألمانيا عام ١٨٤٥؛ حيث عثر على الجزء الثالث من كتاب الذخيرة لابن بسّام فاستأذن في حمله إلى ليدن.

تعرف بفلايشر. وفي عام ١٨٤٦ قصد إنجلترا فنسخ الجزء الثاني من الذخيرة وغيرها. وهو أول من درس الأندلسيات. وعين أستاذًا للعربية بجامعة ليدن (١٨٥٠- ١٨٧٨).

من آثاره:

- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان نقلاً عن المصادر العربية.
- المعجب في تلخيص أخبار الغرب لعبد الواحد المراكشي مع مقدمة بالإنجليزية (ليدن ١٨٤٧- ١٨٨١).
- البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذاري المراكشي، مع مقتطفات من تاريخ عريب بن سعيد الكاتب في جزأين (اعتمادًا على مخطوطة بالأسكوريال/ ليدن ١٨٤٨- ١٨٥١).
- تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى فتح المرابطين لها في أربعة أجزاء (ليدن ١٨٤٩- ١٨٦١).

إيفالد *Ewald, H.* (١٨٠٣- ١٨٧٥):

درس اللغات الشرقية بألمانيا، وذهب إلى فرنسا للدراسة على دي ساسي مع فلايشر، ولما رجع عين أستاذًا للغات الشرقية في جوتنجن، فوجهها وجهة تاريخ العرب وآدابهم وأديانهم. ومن تلاميذه فيلهاوزن.

آثاره:

- العروض العربية (براونشفيج ١٨٢٥).

- فتوح أرمينيا وبلاد ما بين النهرين للواقدي، متنًا وترجمة (جوتنجن ١٨٢٧).
- قواعد اللغة العربية بالألمانية في مجلدين (ليبزج ١٨٣١– ١٨٣٣).

أوجست فيشر *Fischer, August* (١٨٦٥– ١٩٤٩):

درس اللغات الشرقية على توربكه، وخلف سوسين عليها في ليبزج (١٨٦٩– ١٩١٢). وتلمذ له: شاده، وجراف، وبرجشتراسر.

عنى بفقه اللغة أساسًا؛ لدراسة النصوص وتحقيقها. وتناول أصول اللغة، وفن المعجمات، والشعر القديم، ولهجات الشعوب.

أنشأ مجلة الساميات في ليبزج (١٩٣٢). وننتخب عضوًا في المجمع العلمي بدمشق، والمجمع اللغوي بمصر.

آثاره:

- كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (ليبزج ١٨٩٦).
- مخارج الأصوت اللغوية في اللهجات العربية (ليبزج ١٩٣٧).
- نشر "زمام الغناء المطرب من النغم السائر في أقاصي المغرب" متنًا وترجمة (ليبزج ١٩١٨).
- ألف ليلة وليلة (ليبزج ١٩١٨).
- القرآن لأبي العلاء (ليبزج).
- تذكرة الحفاظ للذهبي.
- معجم اللغة العربية القديمة مرتبًا على المصادر. أصدر منه كراسة الجزء الأول مبتدأ بحرف الكاف.

هينريش فلايشر *Fleischer, H. L.* (١٨٠١- ١٨٨٨):

تخرج في جامعة ليبزج، ورحل إلى باريس، ودرس على دي ساسي، وتعلم على برسفال العربية الفصحى والفارسية والتركية. وبعد عودته إلى ألمانيا، عين أستاذ اللغات الشرقية في جامعة درسدن ١٨٢٦. وأسس الجمعية الشرقية الألمانية في هاللي ١٨٤٥ ***DMG*** التي أصدرت مجلة باسمها ***ZDMG***.

من آثاره:

- صوب ما كتبه دي ساسي عن قواعد اللغة العربية.
- نشر القسم الخاص بالجاهلية من تاريخ أبي الفدا، متنًا وترجمة لاتينية، وعلق عليها بالحواشي (ليبزج ١٧٣١).
- حقق المفصل وأطباق الذهب للزمخشري (١٨٣٨).

أبراهام جيجر *Geiger, Abraham* (١٨١٠- ١٨٧٤):

حبر يهودي ألماني حاول بالدراسة المشابهة بين القرآن وبين الكتب المقدسة عند اليهود. من آثاره:

Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen.

ويعد هذا الكتاب أول كتاب في موضوعه كتبه الباحثون الأوربيون المحدثون، وتتوالى الكتابة في هذا الموضوع عند اليهود الأوربيين بشكل متواصل حتى اليوم، ومن أبرز من كتبوا في هذا الاتجاه نذكر: جولدتسيهر- هرشفيلد- هوروفتش- اشباير- سيدرسكي.

وكما أقر هؤلاء أنفسهم فإن كتاب جيجر حافل بالأخطاء، وبالآراء المتحيزة غير القائمة على أسانيد وثيقة، وفيه نزعة مغالية إلى تلمس أشباه

ونظائر بين المثناويين والقرآن على أسس واهية وعبارات شكلية، وبالجملة فلم تعد لكتاب جيجر هذا أي قيمة علمية اليوم.

جيزينيوس *Gesenius* (١٧٨٦- ١٨٤٢):

حجة في اللغة العبرية، فنشر نصوصًا منها (١٨٣٧)، وله دراسات عن السريانية والكنعانية والفينيقية والحميرية والسامرية.

من آثاره:

- معجم المفردات العبرية بالكتاب المقدس.
- كتاب عن حضرموت مشاركة مع ريديجر الأب.

رودلف جاير *Geyer, Rudolf* (١٨٦١- ١٩٢٩):

مستشرق نمساوي من تلاميذ دافيد هاينريش ميللر *Müller, David Heinrisch*، من آثاره:

- أصدر دراسة معجمية لكتاب الأصمعي "الوحش".
- ثم عمل في مجال الشعر العربي. فحاول إعادة بناء قصائد أوس بن حجر من استشهادات سنة ١٨٩٢؛ لوضع البحث وطبيعة الموضوع، بعد أن جمع مجموعة من المصادر المخطوطة والمطبوعة.
- أضاف بعض الملحوظات على طبعة ألفارت *Ahlwardt* لمجموعة أشعار العرب في *Altarabische Dilamben* (أراجيز العجاج، ديوان رؤبة، الأصمعيات).
- بحوث في ديوان رؤبة.
- قصيدتان للأعشى ثم طبع الديوان كله.

إدوارد جلازر (١٨٥٥- ١٩٠٨) *Glaser, E.*:

تخرج من جامعة فيينا. وعين أستاذًا للغة العربية بها، ومشرفًا على المرصد القيصري.

اشتهر بارتياد بلاد العرب وشمالي إفريقيا من قبل مجمع الكتابات والآداب، والتنقيب عن آثار اليمن في رحلاته العلمية (١٨٨٢- ١٨٨٨) أسفرت عن ١٠٣٢ كتابة قديمة منقوشة على الأحجار باعها للمتحف البريطاني ومتحف فيينا، واقتناء ٢٥٠ مخطوطًا من مؤلفات الزيديين وضعت في مكتبة فيينا الوطنية.

من آثاره:

- نشر كتابات حميرية قديمة كشف بها عن ملوك التبابعة وملوك الحبشة الذين استولوا على اليمن بعد نكبة نجران (المجلة الأسيوية الفرنسية، الصحيفة المشرقية لفيينا)، ونقوش صنعاء (برلين ١٨٩٣).

دي خويه (١٨٣٦- ١٩٠٩) *Goeje, M. de*:

تخرج في جامعة ليدن بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الآداب والفلسفة. تتلمذ على دوزي *Dozy*. اشتهر بمعرفته باللغة العربية. وقصد أكسفورد حيث أتم دراسته، واكتشف مخطوطة تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبزي، وأخطر جمعية المستشرقين الألمان بذلك ***DMG***. ونسخ مخطوطة قديمة من أساس البلاغة للزمخشري بمعاونة أستاذه دوزي. ونسخ المسالك والممالك لابن حوقل، وقسمًا من نزهة المشتاق في وصف إفريقيا والأندلس لابن حوقل. ونشر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (من أقدم المخطوطات العربية في أوربا إذ يعود إلى عام ٣٥٢هـ).

عندما رجع إلى هولندا عين مترجمًا للغات الشرقية، ثم عـين أسـتاذًا للعربية بجامعة ليدن.

من آثاره:

- وفيات الأعيان لابن خلكان (ليدن ١٨٤٠).
- تهذيب الأسماء للنووي (ليدن ١٨٤٧).
- طبقات الحفاظ للذهبي (ليدن ١٨٤٧).
- البيان والإعراب مما في أرض مصر من الأعراب للمقريزي (ليدن ١٨٤٧).
- عجائب المخلوقات للقزويني (جوتنجن ١٨٤٩).
- فتوح البلدان الصغير للبلاذري بمعاونة ألفارت ***Ahwardt*** في ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦١ – ١٨٧٠) (جرايفسفالد ١٨٦٣ – ١٨٦٨).
- سيرة الرسول لابن هشام متنًا وترجمة لاتينية بمعاونـة دي يـونج (ليدن ١٨٦٥)[1].

Guidi, Ignazio إجناتسيو جويدي (١٨٤٤– ١٩٣٥):

مستشرق إيطالي. تعلم العربية في جامعة رومـا وقارنهـا باللغـات السامية، ودرس تاريخ الحبشة ولغاتها حتى انتدبته الجامعة المصرية أسـتاذًا للأدب العربي جغرافيًا وتاريخيًا (١٨٠٨).

عين عضوًا بمجلس الأعيان بروما، وعُدّ شيخ المستشرقين في اللغات السامية، ولا سيما السريانية والحبشية والأمهرية.

---

(١) يرجى الرجوع إلى آثاره الكاملة لدى نجيب العقيقي، المستشرقون، جـ٢، ص٦٦٣– ٦٦٦.

من آثاره:

- دراسة نص كليلة ودمنة (روما ١٨٧٣).
- نشـــر قصيـــدة "بـــانت سعاد" لكعب بن زهير بشرح جمال الـــدين بن هشام (ليبزج ١٨٧١- ١٨٧٤).
- كتب دراسة عن علاقة النحو العربي بمنطق أرسطو.
- عاون في نشر الطبري (ليدن ١٨٧٦- ١٩٠١).
- نشر الجزء الحادي والعشرين من كتاب الأغاني (١٨٨٨).
- نشر كتاب الاستدراك على سيبويه لأبـــي بكـــر الزبيـــدي (رومـــا ١٨٩٠).
- نشر كتاب الأفعال لابن القوطية (ليدن ١٨٩٤).
- عاون في تصنيف فهرست كتاب الأغاني (ليدن ١٨٩٥- ١٩٠٠).
- محاضرات أدبيات الجغرافيا والتواريخ واللغة عند العربي (الجامعة المصرية ١٩٠١).
- لغة الحبشة وآدابها (باريس ١٩٠٨).

جويار *Guyard, Stainlaus Guyar* (١٨٢٤- ١٨٨٤):

درس العربية والفارسية بمعهد فرنسا، وفي مدرسة الدراسات العليـــا، وعنى بالسنسكريتية والأشورية.

من آثاره:

- بحث في صلاح الدين (باريس ١٨٧٠).

- ترجمة فتوى ابن تيمية في النصيرية (١٨٧٢).

- ترجمة رسالةِ في القضاء والقدر للسمرقندي (١٨٧٣)، نشرت بالمتن العربي (١٨٧٩).

- نصوص في مذهب الاسماعيلية، متناً وترجمة مع حواشٍ (١٨٧٤).

تيودور هاربريكر *Haarbrücker, Th.* (١٨١٥- ١٨٨٠):

تخرج من جامعة هاللي، وعمل مدرسًا. وقال عنه فيك ***Fück***: "قدم ترجمة بها عيوب إلى حَدّ ما، ولكن لم تحل مكانها ترجمة أخرى لكتاب الشهرستاني في الملل والنحل".

من آثاره:

- نشر بالعربية تفاسير الأنبياء لنحوم بن يوسف الأورشليمي، وهي رسالة الدكتوراه (هاللي ١٨٤٢)، وترجمها إلى اللاتينية (١٨٤٤).

- سفر يشوع بن نون- أسفار الملوك الأربعة (برلين ١٨٦٢).

- ترجم إلى الألمانية كتاب الملل والنحل للشهرستاني في جزأين (١٨٥٠-١٨٥١).

- إرشاد القاصد لابن ساعد الأنصاري الأكفاني (برلين ١٨٥٩).

همر بورجشتل *Hammer-Purgstall* (١٧٧٤- ١٨٥٦):

تخرج من مدرسة اللغات الشرقية. وتكلم العربية والفارسية والتركية قبل أن يبلغ العشرين. وأوفدته حكومته إلى الآستانة (١٧٩٧) مترجمًا، فأرسله السفير بنين إلى إيران لتحقيق كنز اللغات الشرقية (وهو المعجم العربي التركي الفارسي) بترجمة لاتينية فرنسية ألمانية بولونية.

عمل قنصلاً ومستشارًا في باريس (١٨١٠)، ومستشارًا للحكومة (١٨١٥)، ومستشارًا للإمبراطور فرانز الأول، فمنحه لقب بارون (١٨٣٥)، وأصبح عضوًا بمجلس الشورى.

تنقل في أوربا بحثًا عن المخطوطات الشرقية، وطوّف بمصر وفلسطين وسوريا ولبنان وإيران.

قاوم الفرنسيين عندما استصفوا من المكتبة الوطنية- بعد استيلائهم على النمسا- ثلاثة مخطوطات، واستعاد منها مائة، ثم مائة أخرى بمعاونة دي ساسي.

من آثاره:

- تاريخ الشرق وآدابه.
- تاريخ الغساسنة (١٨١٦-١٨٢١).
- ترجم مقدمة ابن خلدون عن التركية إلى الفرنسية (الكنوز الشرقية- فيينا ١٨١٨).
- سيرة عنترة بن شداد (فيينا ١٨٢٣).
- ترجم ما لم يترجم من ألف ليلة وليلة. وديوان المتنبي شعرًا بالألمانية (فيينا ١٨٢٣).
- البردة للبوصيري (فيينا ١٨٢٤- ١٨٦٠).
- أطواق الذهب للزمخشري، متنًا وترجمة ألمانية (فيينا ١٨٣٥).
- أيها الولد للغزالي، متنًا وترجمة ألمانية (١٨٣٨- ١٨٣٩).
- تاريخ الأدب العربي في سبعة مجلدات (فيينا ١٨٥٠- ١٨٥٦).

الأب بيتر هاتالا *Hatala, P.* (١٨٣٢– ١٩١٨):

درس الفلسفة في جامعة بودابست، وتخرج من جامعة ليبزج، وأصبح كاهنًا، وأُرسل إلى فلسطين ١٨٥٧.

عين أستاذًا في كلية اللاهوت بجامعة بودابست ١٨٦١، ومديرًا لها ١٨٧٣، وأستاذ اللغات السامية في كلية العلوم.

من آثاره:

- الأجرومية العربية، ضمنها فقه اللغات السامية (بودابست ١٨٧٧).
- حياة محمد وأفكاره (١٨٧٨).

هيجل *Hegel, Georg Wilhelm* (١٧٧٠– ١٨٣١):

فيلسوف ألماني، بسط مذهبه في مؤلفات أهمها:

- علم المنطق، موسوعة العلوم الفلسفية.
- كتب في الأخلاق والجمال والتاريخ والدين.
- فلسفته مثالية مطلقة. فعنده أن للكون روحًا يتبدى في مراحل تطورية يعينها المنطق الجدلي، ومحصلة فكره أن ما تولد نقيضها، ومن تفاعل النقيض تنتج فكرة جديدة تؤلف بينهما، ثم تأخذ الفكرة الجديدة المراحل الثلاث. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم، ومن تآلفهما تنتج الصيرورة.

ودراسة الطبيعة والعقل تبين أن المنطق يكشف عن نفسه في الوجود، وفي مراحل التاريخ. خالصًا لما يسير متطورًا من الجماد إلى النبات فالحيوان، والمجتمع يسير نحو الملكية، وهذه تستتبع القوانين، ومن علاقة

الفرد بالقوانين تنشأ مبادئ الأخلاق، حيث تتفاعل حرية الأفراد مع التزامهم، فتنشأ فكرة الدولة التي تسمو على الأفراد، والتي يتجسد فيها المطلق.

فريتز هوميل *Hommel, Fr.* (١٨٥٤- ١٩٣٦):

تعلم اللغات السامية على فلايشر، ودرّسها بجامعة ميونخ.

أهدُي كتاب لتكريمه بعنوان "الدراسات الشرقية" في جزأين (١٩١٧-١٩١٨).

من آثاره:

- النسخة الأثيوبية لعلم الأعضاء.
- أسماء الحيوانات ذات الثدي بين الشعوب السامية (١٨٧٩).
- الشعوب السامية ولغاتها (ليبزج ١٨٨٣).
- جمهرة أشعار العرب (١٨٨٥).
- عبيد بن الأبرص (ميونخ ١٨٩٠).
- قواعد اللغة العربية الجنوبية/ مع ثبت بالمراجع والنصوص ومعجم (ميونخ ١٨٩٣).
- دراسة عن فقه اللغات السامية (تكريم زاخاو ١٩١٥).

هوتسما *Houtsma, Martin Theodor* (١٨٥١- ١٩٤٣):

درس اللغة العربية والفارسية والتركية بجامعة أوترخت، وتولى تعليمها بالجامعة نفسها وفي جامعة ليدن. ثم اعتزل التدريس (١٩٠٧)، وانصرف للتأليف.

كلف بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية (١٨٩٥)، وأشرف عليها (١٩١٣- ١٩٢٤). وانتخب عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي غيره من المجامع والجمعيات.

من آثاره:

- العقيدة الإسلامية والأشعري (ليدن ١٨٧٨).
- مقصورة ابن دريد، والأضداد لابن الأنباري (ليدن ١٨٨١).
- تاريخ اليعقوبي في جزأين مع فهرس وحواشٍ (ليدن ١٨٨٣).
- ساعد في نشر الطبري في خمسة عشر جزءًا (ليدن ١٨٧٦- ١٩٠١).
- فهرست الكتب الشرقية المحفوظة في أكاديمية ليدن الجزء السادس.
- فهرست الكتب العربية والتركية الموجودة عند بريل صاحب مكتبة ليدن الجزء الثاني (ليدن ١٨٨٦- ١٨٨٩).

عنى بنشر:

- كتاب الأضداد لأبي بكر الأنباري.
- زبدة النصرة ونخبة العصرة لعماد الدين الكاتب الأصفهاني.

كتب عن:

- مخطوطات الفهرست لابن النديم (الصحيفة الشرقية لفيينا ٤، ٢١٧).
- نشر نصوصًا عن تاريخ السلاجقة في أربعة أجزاء.

جوستاف يان *Jahn, G.* (١٨٣٧- ١٩١٧):

تلقى اللغات الشرقية في جامعات ألمانيا على ريدجر وفلايشر، وفيستنفلد، وإيفالد.

آثاره:

- شرح المفصل لابن يعيش الحلبي في مجلدين (ليبزج ١٩٨٢- ١٩٨٦).
- كتاب سيبويه بشرح السيرافي، متنًا وترجمة ألمانية وتعليقًا، وترجمة ديرنبورج (برلين ١٨٩٤- ١٩٠٠).

كانت، إيمانول *Kant, I.* (١٧٢٤- ١٨٠٤):

فيلسوف ألماني، ولد في كونجزبرج، وتعلم في جامعتها، ثم عين بها لتدريس المنطق والميتافيزيا.

فند مذهب الشك الذي انتهى إليه الفيلسوف هيوم ***David Hume***؛ لأنه لم يحلل المعرفة الإنسانية تحليلاً وافيًا. ففي نظرية المعرفة، بعد أن كان صواب فكرة ما، متوقفا على كونها مطابقة لخارج ثابت، أصبح الواقع الخارجي نفسه هو الذي يتشكل وفق ما تقتضيه مبادئ العقل ومقولاته، فإذا كانت خبرة الحواس تأتي بالمواد الخام للمعرفة، فالعقل هو الذي يصوغها في مكان وزمان.

وعنى أيضا بالتربية، وقام بتدريسها، وفيها دافع عن التجريب في المسائل التربوية، وحدد وظيفة التربية بأنها المساعدة على تنمية استعدادات الإنسان حتى يستطيع التمتع بالحرية والوصول بعقله إلى تحقيق أغراض وجوده.

Kaufmann, D. **دافيد كوفمان (١٨٥٢- ١٨٩٩):**

تخرج من جامعة برسلاو، عين مدرسًا في المعهد اليهودي في بودابست (١٨٧٧). وعنى بأصول الدين اليهودي وعلومه وتاريخه، ووقف مكتبته على مجمع العلوم.

آثاره:

- نشر سلمون بن جبيرول (بودابست ١٨٩٩).
- وخلف مجموعة آثار نشرت في ثلاثة مجلدات بعد وفاته (فرانكفورت ١٩٠٨).

Kraft **كرافت (١٨١٦- ١٨٧٤):**

ولد في فيينا. درس اللغات الشرقية بمدارس الرهبان البندقيين، ثم درس النقود، والنقوش والأيقونات وصنف لها فهرسًا (فيينا ١٨٤٠). وفي العام التالي عين أمين مكتبة الإمبراطور، ومترجمًا للغات الشرقية في المحكمة العليا، ومصححًا للمطبوعات الشرقية في المطبعة الإمبراطورية النمساوية. فوضع فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة الجمعية المشرقية بفيينا.

Kremer, A. von **البارون فون كريمر (١٨٢٨- ١٨٨٩):**

مستشرق نمساوي تخرج بالجامعة النمساوية. وأرسلته دولته قنصلاً لها إلى مصر، ثم إلى بيروت (١٨٧٠). عمل بوزارة الخارجية وغيرها من الوزارات. وقد ابتاعت مكتبة المتحف البريطاني مكتبته الشرقية.

من آثاره:

- نشر الاستبصار في عجائب الأمصار (فيينا ١٨٥٢).

- المغازي للواقدي، مع مقدمة وشروح إنجليزية (كلكتا ١٨٥٥ – ١٨٥٦، وبرلين ١٨٨٨).
- الأحكام السلطانية للماوردي، والقصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري (ليبزج ١٨٦٥).
- مقالات عن: أبي نواس ونشر شعره في الطرد بعنوان "أبو نواس، أكبر شعراء العرب" (فيينا ١٨٥٥)، وعن أبي العلاء وكتب عنه "أشعار أبي العلاء المعري (فيينا)، وترجم بعض أشعاره إلى الألمانية.
- كتب عن تاريخ الفرق في الإسلام (ليبزج ١٨٦٨).
- كتب عن تاريخ الحضارة في المشرق تحت حكم الخلفاء، في جزأين (فيينا ١٨٧٥– ١٨٧٧) ونقله إلى العربية د. مصطفى بدر.
- كتب تاريخ العرب وعاداتهم قبل الإسلام، مستعيناً بالتذكرة الحمدونية.
- كتب عن "ابن خلدون وتاريخ الحضارة بالدولة الإسلامية".
- كتب "تاريخ الفكر الإسلامي، ومفهوم الألوهية والنبوة، والدولة".

***Krel, Ludolf* كريل (١٨٢٥– ١٩٠١):**

تلميذ فلايشر بجامعة ليبزج.

من آثاره:

- عاون على نشر الجزأين الأولين من نفح الطيب للمقري بمقدمة فرنسية (١٨٥٥– ١٨٦١).
- نشر من الجامع الصحيح للبخاري ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦٢– ١٨٦٨).
- صنف كتابًا بعنوان "حياة محمد ودعوته" (ليبزج ١٨٨٥).

Land, J.P.N. **لاند (١٨٣٤– ١٨٩٧):**

من آثاره:

- نشر معظم كتاب الموسيقى الكبير للفارابي (من أعمال مؤتمر المستشرقين السادس، ليدن ١٨٨٤). وترجم فقرات منه إلى الفرنسية وإلى الهولندية (ليدن ١٨٨٠).
- صنف كتابًا بعنوان "أبحاث في تاريخ الموسيقى العربية" (ليدن ١٨٨٤).

Landberg, Carlo **لندبرج (١٨٤٨ـ ١٩٢٤):**

اعتنى بالدراسات السامية، وصار أحد نبلاء لاندبرج– هاليرجر من ١٨٤٨– ١٩٢٤. كان عضو بعثة جنوب الجزيرة العربية التي أرسلتها أكاديمية فيينا سنة ١٨٨٨– ١٨٨٩ إلى عدن وسوقطرة وساحل المهرة. ورغم أن البعثة لم تتمكن من التوغل إلى الداخل لخلاف بين هاينريش ميللر (١٨٤٦– ١٩١٢) ***Heinrich Müller*** رئيس البعثة ولاندبرج قائد الرحلة في هذه البلاد، فإنها حصلت على تسجيلات للنصوص من لغات المنطقة التي ما تزال حية في جنوب الجزيرة العربية، وهي المهرية والسوقطرية والشحرية، والصومالية أيضًا.

- ورد بكتاب يوهان فيك "الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين"، أنه من تلاميذ فلايشر ***Fleischer***.
- وجاء لدى نجيب العقيقي جـ٣، ص١١٠٠، أنه كان من العلماء الذين زاروا اليمن لدراسة ما بها من نقوش وكتابات لدول المعينيين والسبأيين والحضرميين والقتبانيين في حياتها التاريخية والدينية والسياسية والثقافية.

***Mendelson, Moses* موسى مندلسون (١٧٢٩ــ ١٧٨٦):**

فيلسوف ألماني، وصديق الشاعر لسينج ***Lessing***. عمم مبادئ التنوير، وأفكاره، وأثّر بذلك في تحرير اليهود الألمان.

- ألف حوارًا بعنوان ***Phädom*** سنة ١٧٦٧ عن الخلــود أو الأبديــة. وهو حوار لأفلاطون بالعنوان نفسه.

***Müller, August* أوجست ميللر (١٨٤٨ــ ١٨٩٢):**

ابن الشاعر الألماني فيلهلم ميللر. تخرج باللغات الشرقية في ليبــزج. ورحل في طلب الاستزادة إلى برلين، وباريس، وإنجلترا. وعــين لتــدريس العربية بجامعة فيينا. وتسمى بامرئ القيس الطمان وأنشأ دوريــة بعنــوان: المكتبة الشرقية في برلين (للناشرين رويتر وريتاشرد ١٨٨٧).

من آثاره:

- معلقة امرئ القيس مع تعليقات وشروح بالألمانية (هاللي ١٨٦٣).
- أتم ما حققه فليجل من كتاب الفهرست مع يوهانز ريدجر.
- حقق عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبي أصيبعة بمعاونة الأستاذ مصطفى وهبه.
- أعد كتاب تاريخ الحكماء للقفطي فنشره (ليبرت ١٩٠٣).

***Müller, D. H.* دافيد هنريخ ميللر (١٨٤٦ــ ١٩١٢):**

- درس في برسلاو، وفيينا، وستراسبورج، ونال درجة الدكتوراه من فيينا (١٨٧٥)، والأستاذية (١٨٧٦).

تتلمذ للمستشرق زخاو، وخلفه في جامعة ميونخ أستاذًا (١٨٨١)، ثم عين أستاذًا للغات السامية (١٨٨٥).

درس مجموعات المخطوطات في مكتبات لندن، وباريس، واسطنبول.

تولى رئاسة الصحيفة الشرقية بفيينا. ورأس بعثة علمية إلى اليمن (١٨٩٨)، وعنى بفقه اللغة والكتابات الأثرية.

من آثاره:

- نشر كتاب الفرق للأصمعي، مع شرح وفهارس (فيينا ١٨٧٦-١٨٩١).
- جزء من كتاب الإكليل لابن الحائك الهمداني متنًا وترجمة ألمانية، مع تعليقات (ليبزج ١٨٧٩).
- صفة جزيرة العرب لابن الحائك الهمداني، الجزء الثاني، مع تعليقات وحواشي وفهارس تاريخية وجغرافية وشرح بالألمانية (ليدن ١٨٨٤).
- اشترك في نشر الطبري، ونشر له جزءًا مستقلاً (ليدن ١٨٨٥-١٨٨٩) والذيل (ليدن ١٨٩١).

ماكس ميللر *Müller, Max* (١٨٢٣- ١٩٠٠):

عالم ألماني اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة.

أسهم في الدراسة المقارنة في مجالات الدين وعلم الأساطير رغم أن علماء العصر الحديث نبذوا الكثير من نظرياته.

من مقولاته: "إن فكرة التعبد من الغرائز التي فطر عليها الإنسان منذ نشأته الأولى".

نولدكه *Nöldele, Th.* (١٨٣٦– ١٩٣٠):

مستشرق ألماني تعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على إيفالد *Ewald* في جوتنجن. وحصل على الدكتوراه عام ١٨٥٦، واستكمل دراسته في ليبزج وفيينا وليدن وبرلين. ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس على رسالة أصل وتركيب سور القرآن (١٨٥٦– ١٨٦٠). وزار إيطاليا ١٨٦٠.

عين أستاذاً للغات السامية والتاريخ الإسلامي في جوتنجن ١٨٦١، وأستاذ التوراة واللغات السامية والسنسكريتية والآرامية في كيل (١٨٦٤)، وخلف ديلمان وأستاذ اللغات الشرقية في ستراسبوج، ثم جوتنجن وكارلسرده. من تلاميذه زخاو، وياكوب، وبروكلمان، وشفاللي.

من آثاره:

- أصل وتركيب سور القرآن– وهي رسالته (جوتنجن ١٨٥٦).
- عاون شبرنجر في كتابه: سيرة محمد (برلين ١٨٦١– ١٨٦٩).
- اللغات السامية (دائرة المعارف البريطانية ١٨٨٧– ١٨٩٩).
- معجم اللسان العربي الفصيح، رتبه وبوبه ونشره كرايمر في جزأين (برلين ١٩٥٢– ١٩٥٤).
- تاريخ النص القرآني (جوتنجن ١٨٦٠).
- ديوان عروة بن الورد متناً وترجمة بشروح (١٨٦٣).
- تاريخ الشعوب السامية (١٩٠٣).
- قواعد اللغة العربية الفصحى (فيينا ١٨٩٦).
- ترجمة كليلة ودمنة (ستراسبورج ١٨٩٦).

Orelli, K. Von **أورللي (١٨٤٦– ١٩١٢):**

مستشرق روسي. من آثاره:

- كتب مقدمة لكتاب "قصص لكتّاب الشرق" (١٩٥٨).

Platon **أفلاطون (٣٤٧- ٤٢٧):**

فيلسوف يوناني تلمذ لسقراط.

أسس الأكاديمية حيث علم الرياضيات والفلسفة وحاول تطبيق (جمهوريته) في صقلية.

مؤلفاته عبارة عن محاورات تقسم في مجموعات ثلاث وفق زمان تأليفها:

الأولى: المجموعة المعروفة باسم المحاورات السقراطية.

الثانية: مجموعة فيدرون في البلاغة وجورجياس في الصواب والخطأ "ومينون" في صعوبة تحصيل المعرفة.

الثالثة: من المادية وموضوعها حب الجمال، وفيدون في خلود الروح... إلخ.

Pollak **بولاك:**

من آثاره:

- نشر كتاب أرسطو في العبارة لإسحق بن حنين مع مقدمة بالألمانية، وفهرس المفردات مع الأصل السرياني واليوناني (ليبزج ١٩١٣).

Renan, E. رينان (١٨٢٣– ١٨٩٢):

تضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها. أخذ بمذهب حرية الفكر، ورحل إلى المشرق، ونزل لبنان حيث صنف كتابه حياة يسوع في دير الآباء اليسوعيين بغزير. وعني بالعقائد الإسلامية. انتخب عضوًا في المجمع اللغوي الفرنسي ١٨٧٨. وكان بينه وبين جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده في باريس جدل ديني.

من آثاره:

- كتاب ابن رشد والرشديين (باريس ١٨٥٢– ١٨٦٩). قال: لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو.
- تاريخ اللغات السامية؛ تناول فيه علاقة النحو العربي بمنطق أرسطو في جزأين (١٨٥٣– ١٨٦٢).
- تاريخ الأديان (١٨٥٧).
- كتاب القديس بولس (١٨٧٠).

Ritterhausen, H. W. ريترهاوزن:

نشر طبقات الشعراء لابن قتيبة بمقدمة فلمنكية (ليدن ١٨٧٥).

Rödiger, E. إميل ريدجر (١٨٠١– ١٨٧٤):

اشتهر بفقه اللغة، وعُيّن أستاذًا للغات الشرقية في برلين ١٨٦٠.

من آثاره:

- شارك جزينيوس في تأليف مصنف عن حضرموت (هاللي ١٨٢١).
- أمثال لقمان (هاللي ١٨٢١).

Baron Rosen V. R. **روزن (١٨٤٩ ـ ١٩٠٨):**

ولد بلبيزج، وقَضى صباه في القدس، وأتقن العربية كتابة وخطابة.

عين أستاذًا للغة الهندستانية في معهد اللغات الشرقية في برلين (١٨٨٧). وشغل مناصب عديدة في السلك الدبلوماسي.

من آثاره:

- أنتكلم الفارسية (برلين ١٨٩٠)، وترجمة إنجليزية (١٨٩٨).
- الخيام من خلال الكلمة والصورة (١٩٢٥).
- تاريخ الأدب الأوردي، في كتاب معنون بمعرفة الأدب (١٩٢٥).

Sachau, Ed. **زخاو (١٨٤٥ـ ١٩٣٠):**

تعلم اللغات الشرقية على ديلمان في كيل (١٨٦٤)، وعلى فلايشر في ليبزج. عين بجامعة فيينا (١٨٦٩)، ثم أستاذًا بجامعة برلين (١٨٧٢– ١٨٧٦). زار سوريا والعراق موفدًا من الحكومة الروسية (١٨٧٩– ١٨٨٠)، وأسس معهد اللغات الشرقية في برلين (١٨٨٨).

من آثاره:

- المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي (ليبزج ١٨٦٧).
- حقق الجزء الثالث من طبقات ابن سعد، وأشرف على تحقيق أجزائه الأخرى، ٩ أجزاء (١٩٠٤– ١٩٠٧).
- ترجم الآثار الباقية للبيروني (ليبزج ١٨٣٨).
- حقق ما للهند من مقولة للبيروني (١٨٨٧)، وترجمه إلى الإنجليزية في جزأين (لندن ١٨٨٨).

Schopenhauer شوبنهاور، أرثر (١٧٨٨– ١٨٦٠):

تعلم في برلين وفيينا. وأقام فلسفته على مثالية كانت، وبيّن أن جوهر الوجود الحقيقي قوة عمياء تعبر عن نفسها في الأفراد علـــى صـــورة إرادة الحياة. ولما كان كل فرد يحاول تحقيق ما لم يتحقق قط تحقيقًا كاملاً، وهـــو رغبات إرادته القلقة، نشأ عن ذلك صدام مستمر بـــين الإرادات المختلفـــة. فالأحياء في كفاح متصل، وقوام العالم حاجات لم تشبع ولهذا مليء بـــالألم، وما اللذة إلا انتفاء الألم.

Simon, Max ماكس سيمون (١٨٦٣– ١٩٠٩):

نشر من كتاب التشريح لجالينوس ترجمة حبيش للأبواب ٩– ١٥ متنًا وترجمة (ليبزج ١٩٠٦) سبعة كتب. وأرفق بالترجمة معجمًا للمـــصطلحات الطبية (والترجمة الألمانية في جزأين).

Smith, W. R. روبرتس سميث (١٨٤٦– ١٨٩٤):

اسكتلندي، درس اللغة العربية في جامعة إدنبرا ثم في جامعات أوربا. وخلف وليم رايت على كرسي العربية بكمبردج. وانتخـــب رئيـــسًا للجنـــة المعارف البريطانية.

قام برحلات إلى الشرق الأدبي وزار مصر وفلسطين ولبنان وسوريا في عامي ١٨٧٩، ١٨٨١، وزار جدة والطائف.

من آثاره:

- محاضرات عن أديان الساميين (١٨٨٩).
- كتاب في أنساب العرب وزواج الجاهلية وما يتصل بتاريخ العـــرب قبل الإسلام (الطبعة الثانية، لندن ١٩٠٧).

سنوك هورجروني *Snouck Hurgronje, Ch* (١٨٥٧- ١٩٣٦):

درس في ليدن على دي خويه، وفي ستراسبورج على نولدكه. وأقام في جاوة سبع عشرة سنة يعمل بحكومتها، وزار مكة باسم عبد الغفار (١٨٨٤).

عين أستاذًا للعربية في باتافيا، ثم خلف هوتسما للتدريس على كرسي العربية في جامعة ليدن (١٩٠٧- ١٩٢٧).

عدّ عميدًا للعربية بعد جولدتسيهر، وفي طليعة رواد دراسات الفقه الإسلامي والأصول والحديث والتفسير في أوربا.

من آثاره:

- الحج إلى مكة باللغة الهولندية.
- أمثال أهل مكة المكرمة، متنًا وترجمة ألمانية بمقدمة (لاهاي ١٨٨٦).
- الفقه الإسلامي (١٨٨٦).
- مكة وجغرافيتها في القرن التاسع عشر، مع عدة خرائط في جزأين بالألمانية (ليدن ١٨٨٩).
- مقالات عديدة عن الإسلام، وقوانينه.

سوسين *Socin, A* (١٨٤٤- ١٨٩٩):

تخرج دارسأ للعربية على فلايشر.

زار فلسطين وسوريا، ومصر والعراق (١٨٦٨- ١٨٧٠- ١٨٧٩).

وعين أستاذًا للعربية في جامعة بال، ثم في جوتنجن (١٨٧٣)، وخلف فلايشر في ليبزج (١٨٩٠).

من آثاره:

- ديوان علقة الفحل، مع نبذة من سيرته بالعربية والألمانية (١٨٦٧).
- قواعد اللغة العربية، وجدده بروكلمان.
- اللهجات العربية العامة في سوريا وفلسطين، وجدده براجشتراسر.

سبينوزا *Spinoza, Baruch* (١٦٣٢ـ ١٦٧٧):

فيلسوف هولندي، من أسرة يهودية فرّ من إسبانيا والبرتغال؛ بسبب محاكم التفتيش. كان مستقل الرأي، فطرد من الجماعة اليهودية، وحرم من حقوقه الدينية ١٦٥٦.

عرضت عليه الأستاذية بجامعة هيدلبرج، فاعتذر.

خلاصة فكره وفلسفته أن جوهرًا واحدًا (الله) يتمثل في الموجودات كافة. فالعقل والمادة والزمان وسائر الظواهر هي صورة يتبدى بها. والجوهر الواحد يفسر نفسه، لكن يستحيل على شيء متناه ذي حدود مكانية وزمانية أن يكون كافيًا بذاته؛ لأنه وجه من أوجه كثيرة يتبدى فيها اللامتناهي

- ***Bar mizwah tag.***

شتاين شنيدر *Steinschneider* (١٨١٦ـ ١٩٠٧):

تعلم العربية في فيينا (١٨٣٢– ١٨٣٨)، وفي ليبزج، وعمل في المكتبة البودلية (١٨٥٢– ١٨٦٠)، وفي مكتبة برلين الوطنية (١٨٦٩).

آثاره:

- فهارس المخطوطات العبرية في أكسفورد، وليدن، وميونخ، وهامبورج، وبرلين.
- الترجمة العبرية في العصر الوسيط.
- اليهود تراجمة العلوم العربية إلى اللغات الأوربية؛ استنادًا إلى مخطوط (وقع في ألف صفحة)، ونال عنه جائزة المجمع (برلين ١٨٩٣).
- الترجمة العربية عن اليونانية.

دكتور لودفيج شترن *Stern, Dr. Ludwig* (١٨٤٦– ١٩١١):

تولى نظارة الكتبخانة المصرية عام (١٨٧٢– ١٨٧٤)، وهو أحد تلاميذ إيفالد (١٨٠٣– ١٨٧٤)، وتخصص في الدراسات القبطية. درس بجامعة جوتنجن فتعلم العربية والعبرية والحبشية بكلية الفلسفة. وعلم نفسه الإيطالية والإسبانية واللغات السلافية وبخاصة الروسية.

في عام ١٨٦٨ درس المصريات، وواصل دراساته وبحوثه بالقسم المصري بمتحف برلين عام ١٨٦٩.

من مؤلفاته:

- كتاب في قواعد اللغة القبطية ١٨٨٠.
- القاموس الهيروغليفي اللاتيني ١٨٧٥.

توربيك *Thorbecke, H.* (١٨٣٧– ١٨٩٠):

تخرج على فلايشر، وعين أستاذًا للغة العربية وآدابها في جامعتي هايدلبرج، وهاله.

من آثاره:

- نشر كتاب النحو العربي والسوري والمصري لميخائيل صباغ بعنوان: الرسالة التامة في كلام العامة بشرح الشريشي (جوتنجن ١٨٦٦).
- درة الخواص للحريري (ليبزج ١٨٧١).
- كتاب الملاحن لابن دريد (هايدلبرج ١٨٨٢).
- عاون على نشر تاريخ الطبري (ليدن ١٨٧٦– ١٩٠١).
- ترجم نشيد الإنشاد لسعديا.

Vambéry, A. آمن فامبيري (١٨٣٢– ١٩١٣):

تعلم اللغات الشرقية دون معلم. وأقام في تركيا ست سنوات مدرسًا وباحثًا عن وثائق الوطن الأصلي للمجريين.

تزيّا بزي الدراويش واخترق بلاد فارس إلى خيفا وبخارى وسمرقند.

وعُين في المجر أستاذًا للغة التركية والفارسية في جامعة بودابست (١٨٧٠).

وانتخب عضوًا في مجمع العلوم المجري (١٨٧٦)، وعضو مجلس إدارته (١٨٩٤).

آثاره:

- الشعوب الشرقية (١٨٧٦).
- أصل المجريين (١٨٨٢).
- الثقافة العربية في المشرق (١٨٧٦).

فان دايك (١٨١٨– ١٨٩٥) *Van Dyk, E.*:

ابن دكتور نيليوس فان دايك، هولندي الأصل، وأمريكي المولد، وبيروتي الموطن. قدم لبنان مع البعثة الأمريكية طبيبًا لها (١٨٤٠).

تعرف بالمعلم بطرس البستاني وأخذ العربية عنه، وعن الشيخين: الأسير واليازجي.

ودرس السريانية والعبرية. وأنشأ مع المعلم بطرس البستاني مدرسة في عبية (١٨٤٧)، ثم نقلها دكتور دانيال بلس إلى بيروت (١٨٦٦)، ثم عرفت بالجامعة الأمريكية.

درّس فان دايك الكيمياء، والفلك، والأمراض. وأنشأ مرصدًا، ونشرة أسبوعية.

من آثاره:

- شارك بطرس البستاني وناصيف اليازجي، ويوسف الأسير في تكملة ترجمة التوراة إلى العربية التي باشرها سميث (١٨٤٨).
- نشر محيط الدائرة في علمي العروض والقوافي (١٨٥٧).
- النقش في الحجر، في ثمانية أجزاء (١٨٨٦– ١٨٨٩).
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع/ فهرس الكتب القديمة والحديثة التي صدرت عن مطابع الشرق والغرب (الهلال ١٨٩٦).
- نشر ترجمة كليلة ودمنة لكناشيول (أكسفورد ١٨١٩، والقاهرة ١٩٠٥)، ثم نشرها فرنكلين، متنًا وترجمة في جزأين (نيو هيفن ١٩٢٤).
- ترجم مقالة في النفس لابن سينا بعنوان: هدية الرئيس للأمير (دار المعارف بالقاهرة ١٣٢٥هـ)، وترجمها إلى الإنجليزية (فيرونا ١٩٠٦).
- صنف "تاريخ العرب وآدابهم" بمعاونة فيلييبدس (بولاق ١٣١٠هـ).

يوليوس فيلهاوزن (١٨٤٤ـ ١٩١٨) *Wellhausen*:

من أول من بدأ بدراسة نقدية للمصادر الجديدة التي وفرها تاريخ الطبري الذي عرف بأوربا سنة ١٨٧٩، وشاركه في هذا دي خويه، ونولدكه.

كان أول من عرض التاريخ الإسلامي منذ بدايته حتى سقوط الدولة العربية من وجهة نظر جديدة، من خلال ربط المصادر والنقد التاريخي.

بدأ فيلهاوزن بدراسة اللاهوت لنقد التوراة وتخرج باللغات الشرقية على إيفالد في جوتنجن، وخلفه فيها.

من آثاره:

- تاريخ اليهود.
- محمد في المدينة؛ استنادًا إلى الثلث الأول من المغازي للواقدي، بتحقيق كريمر، وإلى ثلاثة مخطوطات بالمتحف البريطاني (١٨٨٢).
- التمهيد للتاريخ الإسلامي، في ٦ أجزاء عن مخطوطي ليدن وباريس، متنًا وترجمة ألمانية (برلين ١٨٨٧)، نشر الجزء الأول كوزيجارتن.
- ديوان الهذليين (مجلة المستشرقين الألمان ٣٩، ٤١١).
- الاستهلال لأقدم تاريخ في الإسلام (برلين ١٨٨٤– ١٨٩٩).
- أدب العرب في الجاهلية، مع دراسة عن الدين الإسلامي (برلين ١٨٨٧– ١٨٩٧).
- دستور المدينة أيام النبي (١٨٨٩).
- السيادة العربية، نقله إلى العربية د. حسن إبراهيم، ومحمد زكي إبراهيم.

- تاريخ الدولة الأموية وحروبها مع الروم (برلين ١٩٠١).
- الخوارج والشيعة، نقله إلى العربية د. عبد الرحمن بدوي.
- الدولة العربية وسقوطها من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية (برلين ١٩٠٢)، ترجمه د. محمد عبد الهادي أبو ريده، وراجعه د. حسين مؤنس.

من أبحاثه:

- نقد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى (التوراة)، فقلب كافة المعايير في بحث العهد القديم ونادى بضم السفر السابع (سفر يشوع)؛ لأنه يشرح ما بها ومكمل لها، لتكون أسفار موسى ستة وليست خمسة فقط.
- كتب عن ذلك "المدخل إلى تاريخ بني إسرائيل" و"تأليف الأسفار الستة، والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس" (١٨٨٥)، و"التاريخ الإسرائيلي اليهودي" (برلين ١٨٩٤).
- تبين بقايا الوثنية العربية فيما وصل إلينا بشعر ما قبل الإسلام، وقارنه بالنقوش القديمة اللاتينية واليونانية، وكتب عن ذلك في "بقايا الوثنية العربية" (١٨٩٧)[١].

فيتزشتاين (١٨١٥- ١٩٠٥) *Wetzstein, Johann Gottfried*:

درس علم اللاهوت والدراسات الشرقية.

وأصبح أستاذًا بجامعة برلين في اللغة العربية ١٨٤٧، وعمل قنصلاً بدمشق (١٨٤٨- ١٨٦٢).

(١) يرجع إلى كتاب يوهان فيك، وكتابي جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة.

جمع مخطوطات عربية في أربع مجموعات، قدم منها مجموعتين إلى مكتبة برلين، وواحدة إلى مكتبة توبنجن، وأخرى إلى مكتبة ليبزج.

موسى فولف *Wolf, M.* (ت ١٩٠٤م):

من آثاره:

-أحوال القيامة لعبد الرحيم بن أحمد القاضي متنًا وترجمة ألمانية (ليبزج ١٨٨٧).

- ثمانية فصول من كتاب موسى بن ميمون.

- كتاب الجمل للزجاجي/ رسالة دكتوراه (يينا ١٩٠٤).

***

٣- أعلام اليهود والمصطلحات اليهودية:

فهرس أعلام اليهود ومصطلحاتهم الدينية:

- عيد الغفران (أقدم الأعياد علـــى الإطـــلاق لـــديهم) *Yom Kippur* (יום כפור): ص٥٦، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٨٠.
- عيد الفصح (פסח): ص٥١، ١١٨، ٢٢٧، ٢٥٩.
- عيـــد رأس الـــسنة (روش هاشـــانا) (חג ראש השנה): ص٢٥٤.
- كتاب الكازاريم *Kuzarim*: ص١٩.
- كتـــاب فـــرائض القلـــوب *Herzen Flicht* (ספר חובות הלבבות): ص٢٥١.
- المدراش (המדרש): ص١٩.
- مدراشيم *Midraschim* (מדרשים): ص١٢٨.
- يحيى بن حيوج الفاسي: ص٣٨.

***

التعريف بأعلام اليهود والمصطلحات اليهودية:

أجاداه *Aggadah* :

نصوص تعالج المواعظ الدينية والتـــشريع الأخلاقـــي، وتـــشرح أدب الأحبار القدماء الكلاسيكي، وبخاصة المدون بالتلمود والموراش. فهي تعـــد خلاصة وافية لعظات الأحبار، تتضمن نصوصًا شعبية، ونـــوادر تاريخيـــة، وعظات ومواعظ أخلاقية، ونصائح عملية.

وأجاداه مدينة في بلاد ما بين النهرين (العـــراق)، أســـسها ســـرجون (٣٣٣٤- ٢٢٤٩ ق. م)، وقيل إنه رممها، ثم أصبحت عاصمة أكد السامية.

إلياس اللفظ الإغريقي لاسم إيليا:

نبي يهودي اشتهر بتصديه لأخاب ملك إسرائيل وزوجه إيزابيل إيتو بعل الفينيقي ملك صوب، بسبب إدخال إيزابيل عبادة بعل إلى المملكة العبرية (القرن التاسع ق. م)

حياة هذا النبي مدونة في سفري الملوك، وكان اليهود زمن المسيح لا يزالون ينتظرون عودته.

وضع كأس نبيذ خاص بالنبي إيليا في الليلة الأولى لعيد الفصح عندما يقيمون الليلة. كذا فهم يقومون بعد المأدبة، وقبل أن يستمروا في قراءة الأجاداه- بفتح باب المسكن، ويصيح المحتفلون "أهلاً وسهلاً" ثم يقرأون الفقرات :"أنزل غضبك على الأغيار الذين لم يعرفوك"[(1)].

البابا بيوس التاسع (١٧٩٢– ١٨٧٨) *Pope Pius I* :

البابا بيوس التاسع المبارك، هو بابا الكنيسة الكاثوليكية التاسع والخمسون. خدم ٣٢ سنة (١٨٤٦– ١٨٧٨).

- حدد عقيدة حمل مريم العذراء بلا دنس (أي أنها كانت بلا خطيئة)، وأنها عاشت حياة خالية من الخطيئة.

بارميز فاتاج *Barmizwahtag*:

عبادة الرب تتصل بواجبات اليهودي المتدين، تبدأ بمرحلة من العمر مع بداية بارمتز (ذكرى الأحداث النازية لليهود بألمانيا).

---

(١) د. رشاد الشامي: موسوعة المصطلحات اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ٢٠٠٣، ص١٦٥.

بنيامين بن يوسف بن باقودا *Pachja ibn Pakuda*

كان من أهم الفلاسفة اليهود. وعاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر.

كتب أول كتاب يهودي عن النظام الأخلاقي "واجبات القلب" ***Herzen Flicht***. وكان يعيش بالأندلس بين المسلمين (وقيل في سراجوستا).

- نظم البيوتيم ***Pijjutim*** (شعر أدبي منظوم).
- كتاب الهداية إلى فرح القلوب (١٠٨٠). وترجمه ياهودا بن طبون إلى العبرية بعنوان: "واجبات القلوب"، سنة ١١٦١.

البوق (شوفار) *Shofar* (שופר):

كلمة بوق تقابلها في العبرية لفظة شوفار. والبوق يكون مصنوعًا من قرن كبش، ويقال إن أول بوق صُنع من قرن الكبش الذي ضحى به إبراهيم افتداءً لابنه. ويبلغ طول البوق في المناسبات ما بين عشر بوصات واثنتي عشرة بوصة. وقد استخدم العبرانيون البوق في المناسبات الدينية، مثل إعلان السنة السبتية، وسنة اليوبيل، وتكريس الملك الجديد عن طريق مسحه بالزيت، كما يُنفخ في البوق في عيد رأس السنة، وتكريس الملك الجديد عن طريق مسحه بالزيت، كما ينفخ في البوق في عيد رأس السنة، وفي يوم الغفران بعد صلاة الختام (نعيلاه)، ويُتلى في رأس السنة مزمور (٤٧): "يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي لأن الرب عليّ مخوف ملك كبير على كل الأرض. يخضع الشعوب تحتنا، والأمم تحت أقدامنا".

تسو بوتليتز، جوستاف هينريش جانز (١٨٢١ - ١٨٩٠م)

Putlitz, Gustav Heinrich Ganz zu

درس في برلين وهايدلبرج. وخدم بحكومة الإقليم بمجدبرج.

- كتب مجلدًا يشتمل على قصص رومانسي على لسان غابــة، طبــع عام ١٨٥٠، وطبع خمس مرات، ولقى قبولاً شعبيًا.
- وفي عام ١٨٥٩-١٨٧٠ كتب "حمامات الاستشفاء المشهورة"

The notably Badekuren, 1859.

- لا تلعبوا بالنار ***Spielt nicht mit Feuer, 1887***.
- عروس الألب ***Die Alpenbraut, 1870***.

التلمود (תלמוד):

هو مصدر التشريع الرئيس الذي يرجع إليه في جميع تفاصيل حيــاة اليهود اليومية، وقد وضعه الحكماء اليهود من أهل الثقة بناء علــى فهمهــم للتوراة الشفوية والمكتوبة. وهو خلاصة ما جاء به موســى وأنبيــاء بنــي إسرائيل، وينقسم إلى قسمين المشنا (משנה)، والجمارا (גמרא).

- المشنا: وهــي مجموعــة القــوانين والــشرائع المعروفــة باســم الهالاخاي،والتي وردت في الشريعة الشفوية، وفي أســفار التــوراة الخمسة. وقام بتدوينها "التنائيم" أو المعلمين، وتتألف من ستة مباحث تعرف باسم سداديم.
- الجمارا: وهي التكملة والتتمة؛ أي الشروح والحواشي التي تحــيط بالمشنا، لتوضيــح القــواعــد والأحكــام الواردة بها بــذكر أمثلــة وحكايات أو مناقشاتها. وغالبًا ما يكون بجانبها الحكم الفقهي.

وتحتوي الجمارا على الهلاخاه؛ أي الجانب القصصي والأسطوري بما يشمله من أقوال مأثورة، وقام بتدوينها الأمورائيم وهــم الــشراح، ولغتهــا الآرامية.

الحاخام أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي:

وُلد في قرطبة بالأندلس، ودرس في لوسينا بعد مغادرة مدينته الأصلية عام ١٠١٢، واستقر في مدينة سرقسطة. وأصبح باحثًا ومعلمًا بارعًا في الأندلس لمعرفته باللغتين العبرية والعربية.

وفضلاً عن ذلك كان طبيبًا ومؤلفًا، وله عناية بصناعة النطق والتوسع في اللسانين العبري والعربي.

تابع أبحاث حيوج، وكتب عمله الأول "كتاب المستلحق" الذي نقد فيه عمل حيوج ووسع نطاقه. و"كتاب التقريب والتسهيل" في تعلم العبرية، و"كتاب التوبة"، و"كتاب التشوير" ضد الحاخام أبي إسحق إسماعيل بن النغريلة الأندلسي حول قواعد اللغة العبرية.

كتب جميع كتبه باللغة العربية، وكتب "كتاب التلقيح"، و"كتاب الأصول" وهو معجم الكلمات في الكتاب المقدس.

توفي في سرقسطة عام ١٠٥٠.

دليل الحائرين *Moren Nebuchim* (מורה הנבוכים):

من أشهر كتب موسى بن ميمون وأهمها، ويتكون من اثني عشر جزءًا، وهو كتاب تشريعي شامل لكافة مناحي حياة اليهودي.

ذكرى المذبحة النازية *Yom Ha-Shoah* (יום השואה):

في ٢٧ نيسان، و"*Shoah*" تعني المذبحة في العبرية. وهذا اليوم لذكرى ضحايا مذبحة *Holocaust* النازية ... وتسمى هذه الذكرى بـ (ذكرى الكارثة والبطولة).

الزرادشتية:

زرادشت:

مؤسس الديـــانة الزرادشتية. عاش في مناطق أذربيجان وكردســـتان، وإيران الحالية وانتشرت ديانته وتعاليمه في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهور الإسلام. عاش بين ١٤٠٠ و١٢٠٠ ق. م. وقيل ٦٢٨- ٥٥١ ق. م.

الزرادشتية:

للديانة الزرادشتية كتاب مقدس عند أتباعها اسمه الأبستاق أو الأفستا، ويحتوي على معتقداتهم وتعاليمهم والتشريعات. وقد ضاع الكتاب بعد غـــزو الإسكندر المقدوني لفارس سنة ٣٣٠ ق. م، وفقدت معه كل تفاسيره.

انتشرت الزرادشتية بعد أن بلغ زرادشت ثلاثين عامًــا فيمـــا يقـــول الشهرستاني بالملل والنحل. ويتمثل جوهرها في فكرة الصراع بـــين الخيـــر والشر. وتزعم أن أهورامازدا خلق العالم الذي هو خير في ســـبع مراحـــل، ولكن أنكرا مينو دخل فيه ليفسده، ومن ثم يصارع الخير والشر في العـــالم. ويعتقد الزرادشتيون بانتصار الخير في النهاية.

- يعتقد الزرادشتيون بالحياة الآخرة حيث تتحد الأرواح مع الأجساد، ويقوم الناس للحساب. ويزعمون بأن الجميع سيعبرون نهرًا من الحمم وفيـــه يهلك الأشرار من الوجود، أما المقسطون فينجون، ويصب النهر الملتهب في جهنم فيطهرها، وتعود الأرض إلـــى حالتهـــا الأولـــى الخيـــرة، ويؤســـس أهورامازدا مملكته الأرضية حيث يعيش الأخيار السعداء حياة سعيدة خالدة.

- أمر زرادشت أتباعه بالصلاة أمام النار التي هي رمز للنظام والعدل في معتقداتهم. وهم يصلون خمس صلوات في اليوم: عند شروق الشمس، وعند الظهر، وعند المغرب، ومنتصف الليل والفجر. ويصلون وقوفاً وهم يربطون ويحلون زنارا مقدسًا حول وسطهم. وتسبق الصلاة الطهارة.

- الأسفار المقدسة ومعناها الأساسي، وهي عندهم وحي من أهورامازدا. وهي أسفار خمسة لا تتعدى في جملتها ربع الأفستا الأصلي. وهي: ١) سفر أليسنا ومعناها العبادة. ٢) سفر الوسبرو. ٣) سفر اليشتان أي الترنيمات أو المزامير. ٤) سفر الوانديداء أي القانون. ٥) سفر الخودة أفستا.

وهناك شروح على الأفستا، وشروح على تلك الشروح يطلق عليها اسم الزند والبازند والأيارة.

- كان الزرادشتيون يعتقدون بأن الله تعالى بعث زرادشت نبيًا ورسولاً لعبادة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث. وأن النور والظلمة أصلان متضادان، "فيزدان" هو النور و"أهرمن" هو الظلمة. وهما مبدأ الموجودات في العالم، والله خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له.

- يعتقد الزرادشتيون بالطوفان الذي حدث زمن نوح وبالميعاد الأخروي، لذلك فإن العالم عندهم له نهاية محتومة، وحينها سينتصر أهورامزدا وسيهلك أهرمان وكل قوى الشر.

- ولابن الجوزي رأي آخر عند الجاحظ يخالف الشهرستاني ويرى أن زرادشت قد جاء من الأساس بعقيدة ضالة.

- ويرى دكتور مصطفى حلمي أن الزرادشتية دعت إلى التوحيد الخالص لله تعالى في بدايتها، ثم تغيرت وانتهت إلى تقديس النار في ذاتها وعبادتها بعد أن كانت رمزًا للإله.

شيفرا كاديّشا *Chevra Kaddischa*:

منظمة يهودية مقدسة مكونة من رجال ونساء، يتأكدون من أن جثمان الميت تكفن وفقًا للتقاليد اليهودية، وأنها محمية من التآكل قبل الدفن، ثم تلقى خطبة الوداع بقراءة نص من التوراة على روح الميت.

عيد الغفران (أقدم الأعياد على الإطلاق لديهم) *Yom Kippur* (יום כפור):

اليوم العاشر من الشهر السابع *Tishri* من التقويم اليهودي. يوم الغفران ترجمة للاسم العبري "يوم كيبور"، وكلمة كيبور من أصل بابلي ومعناها "يطهر"، والترجمة الحرفية للعبارة العبرية هي "يوم الكفارة"، ويوم الغفران هو في الواقع يوم صوم، ولكنه مع هذا أضيف على أنه عيد، يطلق عليه اسم "سبت الأسبات"، وهو اليوم الذي يطهر فيه اليهودي نفسه من كل ذنب. وبحسب التراث الحاخامي، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء، للمرة الثانية، ومعه لوحا الشريعة؛ حيث أعلن أن الرب غفر لهم خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي.

عيد الفصح (פסח):

فوصح: اسم عبري معناه "عبور"، ويمكن تأويلها بمعنى "العفو".

والفصح عيد يحتفل به اليهود في اليوم الرابع عشر القمري من أول أشهر سنتهم الدينية، تذكرًا لخروجهم من مصر (سفر الخروج ١٢).

كان اليهود في عهودهم الأولى يضحون في هذا العيد ببواكير قطعانهم من الأغنام، وطلائع الشعير على صورة خبز فطير.

وقد جعل موسى من هذا الاحتفال السنوي بهذا العيد فرضًا سنويًا دينيًّا يستمر سبعة أيام يحتفل به جميع أفراد "شعب الله المختار"[1].

عيد رأس السنة (روش هاشانا) (חג ראש השנה):

يحل عيد رأس السنة العبرية بعد انتهاء شهر أيلول العبري، وقد حدثت أضحية إسحق حسب العقيدة اليهودية في رأس السنة العبرية، كما أن الملائكة بشروا بشرة سارة بولادة إسحق في مثل هذا اليوم أيضًا.

كتاب الكازاريم *Kuzarim*

وضع يهودا اللاوي كتاب الكوزاري، وبحث فيه علاقة الدين بالفلسفة، وتأثر في هذا العمل بكتاب "المنقذ من الضلال" للإمام أبي حامد الغزالي، حيث انتقد فيه الأثر الأرسطي المبالغ فيه عن الفلسفة الإسلامية.

كتاب فرائض القلوب *Herzen Flicht* (ספר חובות הלבבות):

كتاب بنيامين بن باقودا. وهو كتاب فلسفي صوفي يتناول ما يجب على المرء اليهودي القائم به للتقرب من الله تعالى. (سفر التثنية ١٨ : ٣).

المدراش (המדרש):

سلسلة مجموعة من التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ بتنظيم وتقسيم مختلفين من مجموعة إلى أخرى، لإيضاح النقاط القانونية لتقديم تعليم أخلاقي.

---

(١) معجم الحضارات هنري عبودي، طرابلس– لبنان، جروس برسي، ١٩٨٨.

مدراشيم *Midraschim* (מדרשים):

مصطلح عبري للحكايات التي رواها الربابنة اليهود لشرح التناخ.

مدراشيم الهجاده:

تتضمن تفاسير وتأويل النص المقدس أو التوسع عليه بإضافة أساطير جديدة غير مذكورة في النصوص الشرعية للكتاب المقدس بأسلوب وعظي أو أخلاقي، وأحياناً تكون الأساطير الهاجادية وثيقة الصلة والتشابه، أو حتى التطابق مع الكتب غير الشرعية (الأبوكريفية) كقصة أخنوخ وحياة آدم وحواء، وموت موسى.

يحيى بن حيوج الفاسي (٩٤٥- ١٠٠٠م):

يعد أبو زكريا يحيى بن حيوج الفاسي من أهم النحويين العبرانيين، ويعتبره الكثير من المتخصصين أول نحوي عبري بالمعنى الدقيق للكلمة.

ولد في فاس بالمغرب، وتوفي في قرطبة بإسبانيا، وضع كتابين:

الأول عن الأفعال المعتلة "الأفعال ذات حروف اللين".

والثاني عن التنقيط (عالج فيه نظام الإعجام والتشكيل في العبرية).

***

مصطلحات أخرى:

باريزيس *Pharisaes*:

في الدراسات اليهودية كانت الباريزيس في حقب مختلفة جماعات سياسية، أو حركات اجتماعية، أو مدارس فكرية بين اليهود أثناء فترة المعبد

الثاني، بدءًا من العصر الزموتي *Hasmoneandynasty* (١٤٠- ٣٧ ق.م) أثناء ثورة المؤابيين.

وأول من تحدث عن الباريزيس تاريخيًا اليهودي الرومي المؤرخ زوسيبيوس (٣٧- ١٠٠م) *Josephus* عند وصفه للمدارس الفكرية الأربع (أو المذاهب الأربعة) التي انقسمت إليها اليهود في القرن الأول الميلادي.

بتاج تِكفا (פתח תקוה):

بمعنى فتحة الأمل. سميت به مدينة تقع في الغرب الأوسط من إسرائيل، شرق تل أبيب ويافا. تأسست عام ١٨٧٨ كبلدة زراعية تأسيسًا لكيان إسرائيل، حيث توسعت وأصبحت مدينة صناعية، وجزءًا من كتلة المدن "غوش دان" حول تل أبيب. وفيها يتم تصنيع الأنسجة واللدائن، والأطعمة، وإطارات العجلات، والمنتجات المطاطية، والصابون. كما يوجد فيها بساتين ليمون.

بهجة التوراة (שמחת תורה):

ترجمة لعبارة "سمجة توراه" العبرية، وهو عيد يلي اليوم الثامن الختامي (شميني عتسريت). وهو اليوم الأخير من عيد المظال وداخل فلسطين يدمج العيدان، ويحتفل بهما في يوم واحد، وهو عيد ظهر متأخرًا في العراق (في القرن التاسع والعاشر). وهو أيضًا اليوم الذي تختم فيه الدورة السنوية لقراءة أسفار موسى الخمسة في المعبد، ويحتفل به داخل المعبد بأن تحمل لفائف الشريعة، ثم يتم الطواف بها سبع مرات (أما الأولاد، فإنهم يحملون الأعلام الصغيرة ويسيرون أمام الكبار)، ويسمى كل طواف باسم أحد الآباء، فالطواف الأول باسم إبراهيم، والثاني باسم إسحق، والثالث باسم

يعقوب، والرابع باسم موسى، والخامس باسم هارون، والسادس باسم يوسف، والسابع باسم داود، ويقرأ في هذا الاحتفال آخر سفر من أسفار موسى الخمسة، والمصلي الذي يقوم بالقراءة يطلق عليه اسم "عريس التوراة" ثم يدعى مصل آخر، ويسمى "عريس بسفر التكوين"؛ ليبدأ الدورة السنوية لقراءة أسفار موسى الخمسة مرة أخرى. ويسمى القارئ باسم العريس لأن التوراة عروس جماعة إسرائيل، وكل قراءة جديدة هي بمثابة حفل عرس متجدد. وقد سمي هذا العيد بعدة تسميات؛ إلى أن استقر اسمه على ما هو عليه. ففي فترة التلمود، كان يسمى "آخر أيام العيد" وعلى أيام الفقهاء (جاعوينم) كان يسمى (يوم الكتاب)، و(يوم النهاية)؛ ولم يسم (سمحات توراه)، إلا في آخر أيام هؤلاء الفقهاء.

يأتي في ٢٢ و٢٣ من شهر ***Tishri***؛ أي بعد ***Sukkot*** بسبعة أيام يكون عيد ***Shemini Atzeret***، وهو في الأراضي المحتلة نفس عيد ***Simchat Torah***، وخارجها يكون ***Simchat Torah***، اليوم الثاني فقط من ***Shemini Atzeret***؛ أي يوم ٢٣ فقط.

Tu B'Shevat الخامس عشر من شباط ٦ في الخامس عشر من الشهر ١١ ***Shevat***، ويعرف أيضًا باسم عام الأشجار الجديد.

بيت مدراشي (בית מדרש):

في المصادر اليهودية في القرن الأول قبل الميلاد، والقرنين الأولين للميلاد، تذكر مدارس دينية تسمى مدارس مدراشي "دار دراسة"؛ حيث علم الحاخامات اليهود مبادئ الديانة اليهودية لليهود بطريقة مماثلة لطريقة التعليم في اليشيفات المعاصرة.

وبعد دمار هيكل هيرودس عام ٧٠ للميلاد زادت أهمية المدارس الدينية من هذا النوع؛ لأنها اتخذت طريقة التعليم المفضلة على الفريسيين الذين بقوا الشيعة اليهودية الأقوى بعد دمار الهيكل. واعتبر الفريسيون التعليم الديني بديلاً جديرًا للطقوس التي كانت تقام بها في الهيكل مثل التضحية بالقرابين وغيرها. واعتبروا الكنائس والمدارس الدينية بديلاً للهيكل بذاته.

التدشين (حانوخاه): (*Hnuchah Chanuchah*) (חג חנוכה):

عيد من أعياد اليهود. والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس، وإعادته للشعائر اليهودية في الهيكل، من هنا كانت تسميته بعيد التدشين. اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع *Kislev*، ويستمر ثمانية أيام ولياليهم، ويسمى أيضًا عيد الأضواء.

توعيباه (תועבה):

أي عمل فظيع، رجس، دنس، كريه. لا تأكل أي نجس (سفر التثنية ١٤: ٣).

سمحة توراة *Simhat Tora* (שמחת תורה):

موعد يهودي يشير إلى انتهاء قراءة التوراة وبداية قراءتها مرة أخرى بشكل دوري كل عام.

شولحان عاروخ *Sholhan ´aruch* (שלחן ערוך):

عبارة عبرية تعني "المائدة المنضودة" أو "المائدة المعدة". والشولحان عاروخ هو مُصنف تلمودي فقهي يحتوي على سائر القواعد الدينية التقليدية

للسلوك. ويعد حتى الآن المصنف المعول عليه بلا نزاع للشريعة والعرف اليهوديين، ويشار إليه باعتباره التلمود الأصغر أعده دوزيف كارو ونشره عام ١٥٦٥ مستندًا إلى العهد القديم والتلمود، وآراء الحاخامات اليهود وفتاواهم وتفسيراتهم (الشريعة الشفوية). ومما هو جدير بالذكر أن حياة اليهود تكبلها العديد من الشعائر والقيود والتشريعات، الأمر الذي يضطرهم إلى البحث عن مصدر دائم للفتاوى. ولكن التوصل إلى إجابة على أحد التساؤلات الدينية من خلال التلمود مسألة شاقة جدًا، إذ يتعين على المتسائل أن يقرأ أربع أو خمس فقرات في مجلدات مختلفة منه، ثم يبحث عن التعليقات المختلفة على كل الفقرات، وهي تعليقات تحوي كل واحدة منها تفسيرات مختلفة ومتناقضة. ولتبسيط هذه العملية لجأ مؤلف الشولحان عاروخ إلى إسقاط جميع المناقشات الفقهية الطويلة والآراء المختلفة والأحكام المتناقضة، فلم يدون إلا الأحكام الشرعية المستقرة التي تبين ما هو حلال وما هو حرام، وأوردها في نص واحد أقسامه أربعة.

عيد الأسابيع *Shavu'ot* (חג השבועות):

يشار إليه بالعبرية بكلمة شفوعوت (أي الأسابيع)، وعيد الأسابيع أحد الأعياد اليهودية المهمة، فهو من أعياد الحج الثلاثة مع عيد الفصح وعيد المظلة (أو المظلات) جنبًا إلى جنب. ويأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، ومن هنا تأتي تسميته، ولهذا العيد مناسبة تاريخية، وهي نزول التوراة والوصايا العشر على موسى فوق جبل سيناء.

يتم الاحتفال بعيد الأسابيع- شافوعوت- خلال الفترة ما بين غروب الشمس- يوم [illegible] - وغروب الشمس في اليوم التالي له.

ويزور اليهود فيه هيكل سليمان مثل العيدين الآخرين (عيد الفصح وعيد المظلة).

عيد الاستقلال Yom Ha-Atzmaut (יום העצמאות):

عيد الاستقلال ترجمة لعبارة "يـوم هاعتـسمائوت" العبريـة، وعيـد الاستقلال هو العيد الذي يحتفل فيه الإسرائيليون بإنشاء الدولـة الـصهيونية (يوم ١٤ مايو حسب التقويم الميلادي، ٥ أيار حسب التقويم اليهودي). ويشير له الفلسطينيون بيوم "النكبة"، باعتبار أنه ذكرى ما حل بهم من تشريد نتيجة لاغتصـاب المستـوطنيـن الصهاينة لوطنهم، وإذا كان ٥ آيار يوم جمعـة أو سبت، فإن الاحتفال بالعيد يكون يوم الخميس الذي يسبقه، ويكون عطلـة رسمية في إسرائيل، وتبدأ احتفالات العيد على جبل هرتزل في القدس بجوار مقبرته، ويبدأ المتحدث باسم الكنيست الاحتفال بأن يوقد شـعلة، ثـم اثنتـي عشرة شعلة أخرى رمزًا للقبائل العبرية الاثنتي عشرة؛ ثـم يـسير حملـة المشاعل في استعراض، وفي الاسـتعراض العـسكري للقـوات المـسلحة الإسرائيلية الذي كانت تعرض فيه أحدث الأسلحة التي حصلت عليها، ويعتبر العرض أهم فقرات الاحتفال، ولكنه توقف بعد عام ١٩٦٧، وقد حل محلـه الآن استعراض عسكري لفصائل الجدناع، وتقام احتفالات رياضية وراقصة، كما تمنح جوائز إسرائيل في ذلك اليوم، وينتهي الاحتفال بـإطلاق المـدافع على أن يكون عدد الطلقات مساويًا لعدد سنين الاستقلال.

عيد الثامن الختامي (شميني عتسريت):

الثامن الختامي تطابق العبارة العبرية "شميني عتسريت"، وعيد الثامن الختامي عيد يهودي مستقل عن عيد المظال، ولكنه ضم إليه كيوم ثامن، ولا يعرف السبب في الاحتفال بهذا العيد، وإن كان من الواضح أنه عيد زراعي قديم؛ إذ يتم فيه ترديد دعاء خاص بطلب نزول المطر، وذلك أثنـاء دعـاء الصلاة الإضافية (موساف)، فقد جاء في سفر اللاويين (٢٣/٣٦): "في اليوم

الثامن يكون لكم محفل مقدس". ويضاف يوم تابع للاحتفال خارج فلسطين، وهو يوم بهجة التوراة (سمحات توراه). أما في فلسطين، فإنهم يحتفلون ببهجة التوراة وعيد الثامن الختامي في يوم واحد.

عيد الشجرة (طو بشفاط):

طو بشفاط (الخامس عشر من شهر شباط حسب التقويم العبري). هو عيد الأشجار، ويحل عادة في شهر يناير كانون الثاني أو فبراير شباط. وقد ورد ذكر هذا العيد في مصادر تفسير التوراة على أنه رأس السنة لأشجار الفاكهة، إلا أنه غير مرتبط بأي احتفالات أو طقوس دينية.

عيد الفصح "بيساح": *Pesach* (פסח):

عيد الفصح أو "عيد الفسح" هو المصطلح العربي المقابل للكلمة العبرية "بيساح". ويبدأ عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان، ويستمر سبعة أيام في فلسطين (وعند اليهود الإصلاحيين)، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارج فلسطين. ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير (وفي اليومين الأولين واليومين الأخيرين خارج فلسطين). وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة. أما الأيام الأربعة الوسطى فيلزم فيها بتناول خبز الفطير.

عيد المظال *Sukkot* (חג הסוכות):

يبدأ هذا العيد في الخامس عشر من الشهر السابع *Tishri*، بعد عيد الغفران بخمسة أيام ويستمر يومًا بليلته. عيد المظال ترجمة إلى كلمة "سوكوت" العبرية (סוּכּוֹת) وهي صفة الجمع لكلمة مظلة، وعيد المظال ثالث أعياد الحج عند اليهود إلى جانب عيد الفصح وعيد الأسابيع، وقد سمي هذا

العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء من بينها "عيد السلام"، و"عيد البهجة". وهو يبدأ من الخامس عشر من شهر تشرين (أكتوبر)، ومدته سبعة أيام، بعد عيد يوم الغفران. والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر، وكان هذا العيد في الأصل عيدًا زراعيا للحصاد، وكان يحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنة كلها، ولذا فإنه يسمى بالعبرية "حج ها آسيف"؛ أي "عيد الحصاد"، وفي إسرائيل يُحتفل باليوم الأول من أيام عيد المظال على أنه يوم مقدس.

عيد النصيب (חג הפורים):

هو الاسم العربي لعيد البوريم، و"بوريم" كلمة عبرية مشتقة من كلمة "بور" أو "نور" البابلية؛ ومعناها "قرعة" أي "نصيب". وكان عيد النصيب يُدعى أيضًا "يوم مسروخت" إشارة إلى "الباروكة" التي كان يرتديها الشخص في عيد النصيب في القرن الأول قبل الميلاد، وقد سمى العرب هذا العيد "عيد الشجرة" أو "عيد المساخر". وعيد النصيب يحتفل به في الرابع عشر من آذار "فبراير"، وهو عيد بابلي، كانت الآلهة البابلية تقرر فيه مصير البشر.

ويوم الرابع عشر من آذار هو اليوم الذي أنقذت فيه إستير يهود فارس من المؤامرة التي دبرها هامان لذبحهم، ولهذا ففي اليوم الذي يسبق العيد يصوم بعض اليهود ما يسمى "صوم (تعنيت) إستير"؛ إحياءً لذكرى الصوم الذي صامته إستير وكل اليهود في شوشانه قبل ذهابها إلى الملك تستعطفه لإلغاء قرارات هامان (حسب الرواية التوراتية)، وكان قد تقرر بالقرعة (أي النصيب) أن يكون يوم الذبح في الثالث عشر من آذار، ومن هنا جاءت التسمية.

فيجيل *Vigil*:

من الكلمة اللاتينية *Vigilia* بمعنى اليقظة، وتعني الأمسية السابقة للاحتفال الديني والطقوس التي تقام بها، تتضمن نصوصًا من المزامير، والصلوات، والأناشيد.

وثمة طقوس تماثل ذلك عند وفاة أي إنسان يهودي.

فيلون الإسكندرى (ت ٤٠ م) *Philon von Alexandrie*:

يعد أهم مفكر يهودي في العصر الهيليني. وشغل وظيفة مهمة بالجالية اليهودية بالإسكندرية.

عرف الكثير عن الحياة اليهودية بالأديرة والسيناجوجن، وكان له صلة بيهود فلسطين، وأقام الشعائر الدينية بالقدس.

ومعظم أعماله عبارة عن مقالات فلسفية عما ورد بالعهد القديم.

قوداشيم:

تتحدث هذه الفقرة عن "قوداشيم"، وهو أحد أجزاء المشنا.

قوداشيم بالعبرية (קדשים) تعني الأشياء المقدسة، وهو الجزء الخامس من المشنا، وكذلك التوسيفتا، التلمود، من الستة أجزاء التي تتضمنهما المشنا، ويعد هذا الجزء الثالث من حيث الطول.

قوداشيم يعالج في الأساس الخدمات الدينية متضمنة المعبد والقرابين، وغير ذلك مما يتعلق بالمقدسات.

قيدار *Qedar*:

أحد القحطانيين. قامت مملكة قيدار وسط وشمال الجزيرة العربية وامتد حكم القيداريين حتى فلسطين وسيناء.

وقيدار ثاني من أبناء نبي الله الذبيح إسماعيل، وهو جد العدنانيين الذين منهم نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم).

استمرت المملكة من ٧٥٠ إلى ١٧٣٥، وظهر في النصوص الآشورية غير مرتبط تحديدًا بقيدار.

وورد الاسم بسفر التكوين ٢٥: ١٣.

كازارين *Chasaren, Kazarim*:

جنس تركي نورماندي بالقرن السابع بجوار البحر الميت (بين البحر الميت والبحر الكاسيبي).

احتله الروس في القرن العاشر. والأصل كان شعبًا بدويًا، ثم أصبح نصف بدوي في القرن السابع.

اتخذ في القرن السابع في شمال القوقاز موطنًا *Khoganat* مستقلاً على شاطئ الكسبي. واعتبارًا من القرن التاسع أصبحت الديانة اليهودية أهم ديانة بالإمبراطورية. ولا يعرف إن كانت للطبقة العليا فقط أم للشعب كله. ولكن كان بينهم مسيحيون ومسلمون. وكان الكاسارون حلفاء للدولة البيزنطية، وضد الإمبراطورية الساسانية والخلافة الإسلامية. وأصبحوا أمة قوية لا يستهان بها بفضل اشتغالهم بالتجارة العالمية.

وانتهت دولتهم في نهاية القرن العاشر بعد أن هـــزمهم ***Kiewer Rus***، فلم يذكروا بعد ذلك. واعتنقت البقية منهم في شرق أوربا الديانة المسيحية.

الاسم بالعبرية (כוזרים) وبالتركية ***Hazarkar***، وبالفارسية خزر.

مدارشيم الهاجادة:

تتضمن تفاسير وتأويل النص المقدس، أو التوسع عليه بإضافة أساطير جديدة غير مذكورة في النصوص الشرعية للكتاب المقدس، بأسلوب وعظي أو (أخلاقي).

وأحيانًا تكون الأساطير الهاجادية وثيقة الصلة والتشابه أو التطابق مع الكتب غير الشرعية (أبوكريفية)، مثل قصة أخنوخ وحياة آدم وحواء، وموت موسى.

وهي تقوم بالتأثير على عقل الإنسان وتقنعه بالعيش على أسمى الأفكار والمعتقدات في الفلسفة الدينية والأساطير، والتصوف، والأخلاق.

وهي توجد مخلوطة أحيانًا بعناصر أجنبية وافـــدة مـــن الزرادشـــتية الفارسية واليونانية والرومانية– في كتب الأبوكرفا، والأعمال زائفة النسب، وأعمال المؤرخ اليوناني اليهودي فلافيوس يوســيفوس ***Flavius Josephus***، وأعمال ***Philo*** الفيلسوف اليهودي، والمتبقي من الأدب اليهودي الهيليني.

هل اقتبس اليهود قصصهم المدراشية أم أن العكس هو الصحيح؟

تبين نقاد المدراشيم في القرن الماضي إلـــى أن تـــأريخ النـــصوص المدراشيم القديمة المختلفة كان في عصر متأخر بعد نـــزول القـــرآن، وأن

بعضها، مثل ترجوم أستير الثاني، كتب أساسًا بعد النظر في النص ونقده في فترة ما بعد الإسلام. وهي فترة ظهر فيها اختلاط ثقافي بين المسلمين واليهود، مما يظن أن اليهود هم الذين نقلوا عن النصوص القرآنية، وعن التراث القصصي الإسلامي(١).

إذ إن ثمة بضعة مدراشيم تعود إلى عصر ما قبل الإسلام، وربما أضيفت لها بعض المواد بعد ذلك؛ فقصة آدم وحواء، وسفر أخنوخ تعود إلى ما قبل عصر تدوين التراث الشفهي (أي إلى عصر ما قبل المسيح، أو بعده بقليل).

ولكن ثمة ٦٠٪ من هذه القصص غير مذكورة في الكتاب المقدس، وهي تبدي تشابهًا أكبر مع الإسرائيليات الإسلامية ومع التراث التفسيري الإسلامي. ومن القصص المدراشية ما يبدي انسجامًا أكبر مع التراث اليهودي. فالقرآن يقول مثلاً إن الجن بنوا "محاريب" لسليمان، بينما القصة المدراشية تقول إنهم ساعدوا في بناء الهيكل. ويتكلم القرآن الكريم عن ملكة سبأ فيعلق كعب الأحبار أو (وهب بن منبه)؛ فيقول إن ساقها مشعرة، وهذا موجود في القصة المدراشية.

قال وهب بن منبه: "قرأت نيفًا وتسعين كتابًا من كتب الله منها سبعون ظاهرة في الكنائس، ومنها عشرون لا يعلمها إلّا القليل"، علمًا بأن أسفار الكتاب المقدس اليهودي هي ٤٦ سفرًا فقط.

وربما تحير المرء في بعض القصص الموجودة في القرآن الكريم، ولا توجد في الكتاب المقدس بشقيه، ورغم ذلك كان يهود العرب يوافقون عليه،

---

(1) /http://www.islamic-awareness.org/Quran/Sources

وقد يكون سبب هذا هو ما كانوا يعلمونه من هذه الكتب. وعلى أيّ فإنه من الصعب الجزم بأن أحدهما أخذ عن الآخر.

وفي سورة يونس [آية ٩٤]: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

وبهذا نتبين أن الأمر يرجع إلى أن الديانتين من عند الله. وأن ما جاء بالقرآن الكريم أمكن تفسير بعضه بالإسرائيليات.

ويظهر التأثير الإسلامي العام على سعديا الفيومي في معظم أعماله التفسيرية للتوراة وأسفار العهد القديم الأخرى. وفي كتابه "الأمانات والاعتقادات" الذي يبدو فيه الرؤية المنهجية التفسيرية لمدرسة المعتزلة الإسلامية، التي أسس سعديا من خلالها مدرسة الكلام اليهودية. أما بالنسبة إلى موسى بن ميمون منظم اليهودية وواضع أركانها، فإن التأثير الإسلامي يظهر في كل أعماله وبخاصة في عمله الأساسي "دلالة الحائرين"؛ الذي وصفه الشيخ مصطفى عبد الرازق بأنه عمل في الفلسفة الإسلامية.

وقد كتب دكتور محمد جلاء محمد إدريس في كتابه "التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي"؛ الكثير من هذا التأثير مقتبسًا من كتاب جولدتسيهر في كتابه "العقيدة والشريعة"، والحق أن هذا كله يرجع إلى مقارنة الأديان وينظر إليه في هذه الدائرة، سواء أكان الدين سماويًا أو وضعيًا[١].

---

(١) ويرجع في هذا كله إلى ما ورد بالشبكة الدولية للمعلومات "جوجل"، وإلى ما ورد بالملل والنحل للشهرستاني، والفهرست لابن النديم، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، وإلى ما كتب عنهم عند الدارسين المحدثين.

ميشكان *Tabernacle*:

أي مكان الإقامة، وهي في العهـد القـديم "مـسكن محمـول" *portable dwelling* لحضور ديني *divine presence* أيام الخروج مـن مـصر عبـر أرض كنعان المنزعة أو المفتوحة، بنيت بخاصة لظهور الرب لموسى فـي جبال سيناء أيام تيه الإسرائيليين في الصحراء واستيلائهم على أرض الميعاد (מִנוֹרָה).

المينوراه أو الشمعدان السباعي *Menorah* (מנורה):

هو شمعدان ذهبي، كان موضوعًا في خيمة الاجتماع وفيما بعـد فـي الهيكل. وكان الكهنة يشعلون فيه الشموع كل ليلة.

وتحولت المينوراه في التاريخ اليهودي لتصبح رمـزًا مـن الرمـوز اليهودية، وهي الآن الشعار الرسمي لإسرائيل منذ عام ١٩٤٩.

الهاجاداه (موريا هاجاداه):

أهم النصوص التي يعشقها اليهود في التراث اليهودي في بداية عيـد الفصح، يجمع اليهود في مختلف أنحاء العالم حول الموائد لقراءة أسـطورة الهاجاداه، وهو عبارة عن كتاب يحتوي على نصوص تقليديـة مـن سـفر الخروج من مصر.

وكلمة الهاجاداه تعني السرد أو الرواية بما تحتويه القصة القديمة مـن أغان وحكايات، والتأكيد على تلقين الأطفال. فإنها تمثل كتـاب الـصلوات

اليهودية الأكثر انتشارًا. قام الفنان اليهودي افنمويا بتأليف موريا هاجادا، وقد استلهم النماذج من الرسومات والأشكال الجدارية المصرية الأصيلة لعيد الفصح. استخدم موريا في لوحاته مجموعة من الألوان الزرقاء، والبرتقالية، والذهبية التي تعكس الطابع الشرقي. والنص مكتوب بالعبرية. وكتب الخطوط إيزي بلودفيسكي. وهناك مجلد مفصل باللغة الإنجليزية يحتوي على مقدمة الكتاب، وتعليق لراين شلوموفوكس، وترجمة وشرح الصور.

الهاجاداه

تفسير للمنطلقات الفكرية الدينية والأخلاقية اليهودية، تقوم بالتأثير على عقل الإنسان وتقنعه بالعيش عيشة دينية وأخلاقية، وهي لا تحصر نفسها بالتأثير البسيط للكتاب المقدس، بل تحتوي في حلقات النقاش دائمة الانعقاد على أسمى الأفكار والمعتقدات في الفلسفة الدينية اليهودية والأساطير والتصوف والأخلاق.

وهي تفسر كل التاريخ المذكور في الكتاب المقدس بتفسير ديني وقومي بحيث يصير أبطال الزمن الماضي قدوات محتذاة، بينما يصير مستقبل تاريخ أمة إسرائيل مجيدًا، وقد صارت الهاجاداه إلهامًا مستمرًا عن حب الله وعدله.

يوم التاسع من آب (*Tisha B'Av*):

هو عيد التاسع من آب، وعادة ما يقع في شهر أغسطس التاسع من آب ترجمة لعبارة "تشعاه بآف"، وهو يوم صوم وحداد عند اليهود في ذكرى

سقوط أورشليم وهدم الهيكلين الأول والثاني (وهما واقعتان حدثتا في التاريخ نفسه تقريبًا حسب التصور اليهودي). وتربط التقاليد بين هذا التاريخ وكوارث يهودية أخرى يقال إنها وقعت في اليوم نفسه، حتى وإن كان الأمر ليس كذلك، مثل: سقوط قلعة بيتار (١٣٥م)، وطرد اليهود من إنجلترا (١٢٩٠م)، وطردهم من إسبانيا (١٤٦٢م). وفي التاسع من آب، يحرم الاستحمام والأكل والشرب والضحك والتجمل، ولا يحيي المصلون بعضهم بعضًا في ذلك اليوم. وقد اقترح مناحيم بيجن أن يحتفل بذكرى الإبادة في التاسع من آب، ولكن المؤسسة الدينية رفضت اقتراحه بدعوى أن التاسع من آب مناسبة دينية، أما الإبادة فليست كذلك.

يوم الذكرى *Yom Ha-Zikkaron* (יום הזכרון):

يوم الذكرى هو ترجمة لعبارة "يوم هازيخارون" العبرية، ويوم الذكرى هو يوم يقيمه المستوطنون الصهاينة قبل يوم ٥ أيار، وهو اليوم الذي يحتفل فيه بعيد الاستقلال، ويكرس هذا اليوم لذكرى الجنود الذين سقطوا في حرب ١٩٤٨ والحروب التي تلتها، ويبدأ هذا اليوم بإطلاق صفارة إنذار في كل أنحاء إسرائيل في مغرب اليوم السابق، فتنكس الأعلام، وتغلق دور اللهو بأمر القانون، وتقام الصلوات في المعابد اليهودية، وتوقد الشموع فيها، كما تعلن صفارات الإنذار في الصباح عن دقيقتي حداد يتوقف فيهما النشاط تمامًا في إسرائيل بكاملها، ثم تطلق صفارة إنذار أخرى للإعلان عن انتهاء اليوم وبداية عيد الاستقلال.

***

قائمة الأعياد السنوية وطبيعتها[1]:

طبيعة العيد	التقويم الميلادي	تاريخه في التقويم اليهودي	طريقة لفظ الاسم العبري	اسم العيد بالعبرية	اسم العيد بالعربية السبت
يوما عطلة بمناسبة بداية السنة اليهودية الجديدة وموعد التراث اليهودي	سبتمبر أو مطلع أكتوبر	١-٢ تشريه	روش هشناه		رأس السنة
يوم عطلة وصيام للاستغفار من الخطايا	سبتمبر أو مطلع أكتوبر	١٠ تشريه	يوم كيبور/ يوم هكيبوريم		يوم الغفران
٧ أيام، الأول منها يوم عطلة، لإحياء ذكرى سفر بني إسرائيل في البادية بعد خروجهم من مصر.	نهاية سبتمبر أو أكتوبر	١٥- ٢١ تشريه	سوكوت		عيد المظال/ عيد العرش
يوم عطلة بمناسبة إكمال الدورة السنوية من قراءة فصول التوراة.	نهاية سبتمبر أو أكتوبر	٢٢ تشريه	شميني عاتسيرت وسمحات توراه		الثامن الختامي والفرح بالتوراة

(1) وفقًا لما جاء بشبكة المعلومات الدولية "جوجل" Google.

٨ أيام لإحياء ذكرى إعادة تدشين الهيكل الثاني أيام الحشمونيين	نهاية نوفمبر أو ديسمبر	٢٥ كيسليف والأيام السبعة التالية	حانوكاه/ حاج هاؤريم		عيد التدشين/ عيد الأنوار
صوم في ساعات النهار حدادا على بداية الحصار في أورشاليم (القدس) قبل خراب الهيكل.	ديسمبر أو مطلع يناير	١٠ طيفيت	عساراه بطيفيت		صوم العاشر من طيفيت
ظهور أول الزهور على الأشجار في نهاية الشتاء	يناير أو مطلع فبراير	١٥ شفاط	طو بشفاط / هشناه لإيلانوت		عيد الأشجار
مهرجان لإحياء ذكرى إنقاذ اليهود من الإبادة أيام الإمبراطورية الفارسية (حسب التراث الوارد في سفر أستير).	نهاية فبراير أو مارس	١٤ أو ١٥ أدار	بوريم		عيد الفور / عيد المساخر/ عيد القرعة
٧أيام، الأول منها يوم عطلة، لإحياء ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر	نهاية مارس أو إبريل	١٥ – ٢١ نيسان	بيسح		الفصح

إحياء ذكرى انتصار المتمردين اليهود بقيادة بار كوخفا في إحدى المعارك ضد الإمبراطورية الرومانية (القرن الثاني للميلاد)	نهاية إبريل أو مايو	١٨ أدار	لاج باعومر		لاج باعومر
يوم عطلة بمناسبة نهاية فترة الحصاد والتمتع بأول الأثمار موعد نزول التوراة في جبل السيناء حسب التراث اليهودي	نهاية مايو أو يونيو	٦ سيفان	شافو عوت		عيد الأسابيع (العنصرة اليهودية)
صوم في ساعات النهار بداية فترة الحداد على خراب الهيكل.	يوليو	١٧ تموز	يود زاين بتموز		صوم الـ ١٧ من تموز
صيام لمدة ٢٤ ساعة حدادا على خراب الهيكل.	يوليو أو مطلع أغسطس	٩ آف	تيشعاه بئاف		ذكرى خراب الهيكل

ثانيا: عقد تأسيس الجامعة المصرية

[الصفحة الأولى من قانون الجامعة الأساسي، وترى في ذيل الصفحة الأخيرة من القانون توقيعات الأمير أحمد فؤاد مدير الجامعة إذ ذاك، وحسين رشدي باشا، وابراهيم نجيب باشا وأحمد زكي بك سكرتيرها العام].

عقد التأسيس

تأسست جمعية لأجل إنشاء وإدارة

جامعة مصرية

والغرض من هذه الجامعة ترقية مدارك وأخلاق المصريين على اختلاف أديانهم

وذلك بنشر الآداب والعلوم وتكون هذه الجمعية خاضعة لنظاماتها المرفقة بهذا

وموارد هذه الجمعية هي ما يأتي

أولاً المبالغ المتحصلة أو التي تتحصل بطريق الاكتتاب العمومي

ثانياً الإعانة السنوية المبالغ قدرها خمسة آلاف جنيه مصري التي تبرع بها ديوان عموم الأوقاف

ثالثاً الاشتراك السنوي

رابعاً الهبات والوصايا التي صدرت أو تصدر في المستقبل من منقولات وعقارات باسم الجامعة

خامساً الإعانات الدورية أو غير الدورية التي يمكن أن تمنحها للجامعة الحكومة المصرية أو المصالح الأميرية أو الخصوصية أو الأفراد

ومجلس الإدارة الأول يكون من حضرات

فاذا رفضتها الجمعية العمومية فلا يجوز لاي عضو آخر ان يقيم هذه المنازعة مرة ثانية باسمه الشخصي

الا اذا قبلتها الجمعية العمومية فتعين مندوبا واحدا او اكثر لمباشرة الدعوى وجميع الاوراق القضائية يجب اعلانها الى المندوبين المذكورين والا تكون ملغاة

المادة التاسعة والعشرون

يلغى كل ما خالف هذا القانون من القرارات والاحكام واللوائح الصادرة قبل هذا اليوم

ثالثا: خطابات بعض المستشرقين إلى الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة:

بودابست فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩١١

مولاى :

تشرفت بكتاب دولتكم ، الذى تفضلتم بإرساله إلى فى ١٦ الجارى ، وأبادر بالتعبير من خالص شكرى لعطفكم السامى .

وما أكثر شرفى لو أستطيع العمل على قدر الطاقة ، للجامعة المصرية النظيمة الشأن ، التى تصرف دولتكم فيها الجهد المستطاع لترقيتها .

ولقد قضيت فى حداثة سنى زمنا فى التحصيل بالجامع الأزهر الشريف ، ودار الكتب الخديوية ، وذلك يربطنى بالقاهرة بصلة متينة ، ولا توجد هناك صعوبة من قبل حكومة بلادى ، فى الترخيص لى بأجازة رسمية ، غير أن أمورا تتعلق بشئون مهنتى ، لا تسمح لى الآن أن أترك وظيفة التدريس معطلة أشهرا متوالية ، ولذا أبدى مزيد أسفى الشديد ، على أنى برغم إرادتى ، قد حالت هذه الأسباب التى أبديتها بينى وبين تلبية طلب دولتكم .

وإنى أكرر لدولتكم يا مولاى عبارات الشكر ، ولم أزل خادمكم المطيع

الدكتور

ا . جولدزيهر

بودابست فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١١

مولاى :

أتشرف بإخبار سموكم ، أنى لم أقصر فى السعى لدى جناب الأستاذ غولد زيهر ، لقبول دعوتكم الكريمة ، للحضور للجامعة المصرية بالقاهرة ، وكنت أظن أن أقوم بهذا العمل ، لما فيه من الشرف العظيم ، ليس فقط للأستاذ غولد زيهر ، بل له وللعلم المجرى ، وما تناله منه أيضا جامعة بودابست .

غير أن الأستاذ غولد زيهر أبدى مع مزيد الأسف ، أنه لا يمكنه أن يقبل الآن ذلك ، لأسباب شخصية ، ومع ذلك فإنه يشتغل بجد ، ليمكنى له إجابة هذا الطلب . وقال لى أيضا إنه سبق أن تشرف بتبليغ دولتكم أسباب تردده .

وإنى يسوءنى أن مسعاى لدى الأستاذ جولد زيهر لم يأت بالنتيجة المطلوبة ، ولذا أستسمح دولتكم فى تبليغ هذا الجواب ، وأطلب قبول المعذرة .

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأجدد لدولتكم عبارات الاحترام العظيم .

كون هدروفارى

ليدن فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩١١

مولاى :

تسلمت كتاب دولتكم المؤرخ فى ١٦ أغسطس سنة ١٩١١ ، تثبيتاً للدعوة التى تكرمتم بتشريفى بها ، وخاطبتم فى شأنها حضرتى وزير الداخلية ووزير المستعمرات ، وبما أنهما يقضيان إجازتهما فى السياحة ، فمن المحتمل أن يصلكم جوابهما متأخرين .

هذا ، وأبدى أن أعمالى العديدة ، التى أقوم بأدائها ، لا تسمح لى أن أتغيب مدة السنة الدراسية أكثر من شهرين ، كما أحطت دولتكم علماً بذلك سابقاً .

ومن حيث إن السنة المكتبية المتداخلة فى عامى ١٩١١ ، ١٩١٢ تدعونى استثناء إلى القيام بأشغال جسيمة غير اعتيادية ، لا يتسنى تأجيلها ، وكلها تحتاج إلى عمل وسفر ، ومنها مؤتمر المستشرقين الذى سينعقد بمدينة أثينا ، الذى يجب أن أرأس فيه الجلسة العامة للجنة دائرة المعارف الإسلامية ، وجلسات المجلس الاستعمارى الدولى ، الذى ينعقد ببروكسل ، حيث طلب منى عمل تقرير عن أحد الموضوعات التى سيتناولها البحث ، وفضلا عن ذلك فقد عينت وكيلا للجنة تحضير المؤتمر الدولى لتاريخ الأديان ، الذى سينعقد هنا بمدينة ليدن .

فلهذه الأسباب جميعها ، ترون أنه ليس يتعسر علىّ فقط قبول عمل جديد يعهد به إلىّ فى هذا العام ، وهو يستدعى غياباً طويلا ، بل ينقصنى أيضاً الوقت الذى يمكننى من تحضير دروس أقوم بإلقائها باللغة العربية كما ينبغى .

وحتى لو وجد الوقت الضرورى ، فلا أنكر الصعوبات العظيمة فى تحضير دروس كهذه ، فإذا ضاق الوقت وتكلفت تحضيرها ، فالنتيجة المنتظرة بالضرورة خيبة آمال كلية جامعتكم وآمالى أيضاً ، وأكون بذلك قد استهنت بالثقة التى شرفتنى دولتكم بإحلالها فىّ .

وبما أنه يجب علىّ أن أعرض الاعتبارات المذكورة على ذوى السلطة التى أنا تابع لها ، رأيت من الواجب تبليغها لدولتكم بلا توان ، كى يتسنى لكم اتخاذ التحويلات اللازمة .

وليس من الحكمة أن أعدكم بالتدريس فى جامعتكم فى السنة المكتبية القابلة ، وعداً يعسر على إنجازه ، فيتوجه إلىّ اللوم .

أما فى العام التالى ، فربما تساعدنى الظروف على القيام بهذا العمل ، وذلك إذا لم يكن ثمة موانع من قبل السلطة الإدارية لجامعتنا ، ولست بمجرد تقديم اعتذارى لتخلفى فى هذا العام ، أعتبر مدعواً لسنة آتية بل يتعين تجديد دعوتى من دولتكم ، أما إذا تمكنتم من إيجاد أستاذ للسنة المكتبية المتداخلة فى ١٩١١ — ١٩١٢ ، فيكون من مصلحة الجامعة استمراره فى التدريس .

وكونوا على ثقة يا مولاى من خالص إعجابى بعملكم الجليل ، ورغبتى الشديدة فى خدمة الجامعة ، كلما سنحت الفرصة ، لأن أفيدها بعمل ما .

وتفضلوا بقبول عبارات الاحترام ،،

سنوك هرغرونى

١٠٦/

نظارة الخارجية

نمرة ١٥٢٧

القاهرة في ٥ نوفمبر سنة ١٩١١

مولاى :

طلب مني جناب المعتمد السياسي لحكومة هولندة ، أن أبلغ دولتكم باسم حكومته ، أن ناظر الداخلية بمدينة لاهاى ، إجابة لرغبتكم ، على تمام الاستعداد لأن يمنح الأستاذ سنوك هرغرونى ، مدرس اللغة العربية بجامعة ليدن ، إجازة رسمية ، وأن هذا الأستاذ من جهته لا يتأخر عن الحضور لإلقاء دروس عالية بالجامعة المصرية ، غير أن ظروفا مختلفة تمنعه من الاستفادة بإجازة في السنة المكتبية ١٩١١ — ١٩١٢ ، ويعرض على دولتكم الحضور بالقاهرة ، في السنة المكتبية ١٩١٢ — ١٩١٣ إذا لم تروا ضررا في ذلك .

وتفضلوا يامولاى بقبول خالص احترامي ؟

حسين رشدى

١٠ . . . براغ في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١١

مولاي :

إن ستة الأسابيع السابقة لميعاد التدريس ، قليلة جداً لإعداد المحاضرات المطلوبة ، ولا سيما أنها باللغة العربية ، وقد قال سموكم إنما الغربيين مفرطون في التدقيق في العلم ، أفلا يكون هذا التدقيق هو الذي يجعل علومنا مرغوبا فيها حتى عند الشرقيين .

على أن أشغالي العلمية التي بدأت فيها ، لا تمكنني من تغيبي عن براغ في وقت قريب .

وإني لا أزال في خدمة سموكم في المستقبل . هذا مع إعجابي بنشركم لواء العلم العربي .

وإني يا مولاي المخلص لكم ما

الأستاذ

رودلف دوور ژاك

براج فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢١

مولاى :

طبقا للرغبة التى أظهرتموها عند مباركتكم براج ، قد طلبت بإلحاح إلى الدكتور رودلف دور ثاك ، أستاذ الجامعة البوهيمية بمدينة براج ، أن يجيب دعوة دولتكم ، فى الذهاب إلى مصر ، للقيام بالتدريس بالجامعة المصرية ؛ ولقد بعث لى جنابه جوابا رقيق العبارة ، أظهر لى فيه مبلغ الشرف الذى تناله جامعة براج ، من جراء ذلك ؛ غير أنه لا يمكنه قبول هذه الدعوة ، التى يفتخر بها هو ونحن جميعا ، ويقدم لدولتكم وافر الشكر على كل حال ، فيبدى مسيو دور ثاك ، أنه لا يستطيع البدء بالتدريس فى شهر ديسمبر من هذا العام ، وأن ضيق الوقت هو الباعث القوى لعدم قبوله ، حيث قال ما نصه :

« لا يصدنى عن الإجابة عدم الميل إلى هذا العمل ، ولا قلة الإخلاص فيه ، ولا حب المعيشة السهلة ، وإنما يمنعنى اعتقادى أن هذه المدة الوجيزة لا تفى للقيام بهذا العمل » .

وما أسعدنى أن أعمل على ربط الصداقة بين مصر وبوهيميا بعروة وثقى ، وسأبذل أبدا جهد طاقتى فى هذا السبيل . وإنى سعيد بقدوم دولتكم بمدينة براج .

وأرجوكم أن تتنازلوا بقبول عظيم إجلالى له

عمدة براج

ك . غروس

رابعاً: فهرس الأعلام الكامل بالحروف اللاتينية:

Namenverzeichnis

A

B

C

D

E

F

I

J

K

L

M

S

T

V

W

Y

Z

نبذة عن تاريخ المجر

تقع جمهورية المجر (التى تعرف أيضا "بهنغاريا" وتبلغ مساحتها ٩٣،٠٣٠ كم^2 ويعيش عليها نحو ١٠ ملايين نسمة، وعاصمتها بودابست) في وسط أوربا، يحدها من الشمال سلوفاكيا، ومن الشمال الشرقي أوكرانيا، ومن الشرق رومانيا، ومن الجنوب كرواتيا وسلوفينيا، ومن الغرب النمسا. ونتبين من الخريطة المرفقة أن هنغاريا ليس لها منفذ على البحر. وإلى جانب السكان المجريين أو الهنغاريين الذين يبلغ عددهم حوالي ٨٩,٩% هناك أقلية كبيرة من شعب روما، وتبلغ نسبتهم ٤% من مجموع السكان، وأقليات أخرى من ألمان ٢,٦%، ورومانيين ٠,٧%، وصرب ٢%، وسلوفاك ٠,٨%، وغيرهم. هذا وتعاني البلاد من انخفاض نسبة نمو السكان.

وتنقسم المجر إلى قسمين بواسطة ممرها المائي الرئيس، نهر الدانوب (دونا)؛ وهناك غيره من الأنهار الكبيرة مثل تيسا ودرافا، في حين أن منطقة الدانوب تحتوي على بحيرة بالاتون، وهي مساحة كبيرة من المياه. وتمثل بحيرة هيفيز (منتجع هيفيز) أكبر بحيرة حرارية في العالم، وثاني أكبر بحيرة في حوض بانونيا هي البحيرة الاصطناعية تيسا (تيسا – تو). ومنطقة الدانوب هي منطقة جبلية في المقام الأول مع تضاريس متنوعة من جبال منخفضة. وتحتوي هذه المنطقة على آخر الأمتداد الشرقي لجبال الألب – ألبوكاليا – في غرب البلاد، وجبال منطقة الدانوب المتوسطة، في المنطقة الوسطى من الدانوب، وجبال ميشيك، وجبال فيلاني في الجنوب. وأعلى

نقطة في هذه المنطقة هي إيروت-كو في جبال الألب، التي تبلغ ٨٨٢ مترًا. وتقع أعلى الجبال في البلاد في منطقة الكاربات - فى الأجزاء الـشمالية - في نطاق واسع على طول الحدود مع سلوفاكيا.

والشعب الهنغاري أو المجيار ينتمى إلى الفـصيلة اللغويـة الفينيـة- الأجرية، وكانوا قبائل رحالة، هاجروا من الأورال إلى منطقة القوقاز؛ حيث اتصلوا بالشعوب التركية، ومنهم تعلموا الزراعة، واقتبسوا نظمهم الـسياسية والحربية، ثم أجبرهم شعب البتشنجز على الارتحال غربا، وحطوا رحـالهم واستقروا تحت زعامة أرباد فى هنغاريا حوالى عام ٨٩٥. وكان المجيـار فرسانا محاربين، فتحوا مورافيا، وتغلغلوا فى ألمانيا، حتى تمكن الإمبراطور أوتو من وقف زحفهم فى ليشفلد عام ٩٥٥، ليبدأ تاريخ هنغاريا مع مجـيء الملك ستيفان الأول عام ٩٩٧ م (وهو من أسرة أرباد الذى كان رئيسا لاتحاد القبائل المجرية) في نهاية القرن العاشر. وتتحول المجر مـع مطلـع عـام ١٠٠٠م من إمارة تتألف من شعب أفراده شبه رحال إلى إمبراطورية مستقرة حصلت على استقلالها من الإمبراطورية الرومانية، وأصبح الدين المسيحي هو دين المملكة، وتضم المناطق الحالية للمجـر وسـلوفاكيا وترانـسيلفانيا وكرواتيا وشمال صربيا. وفى عام ١٢٤١؛ تعرضت للغزو المغولى الـذى أضعفها وقضى على الأسرة الحاكمة فى عام ١٣٠١ لتعيش بعد ذلك فترات تتراوح بين الضعف والقوة بين أفراد طبقة النبلاء حتى أواخر القرن الخامس عشر. ومع بداية القرن السادس عشر سيطر العثمانيون على منطقة البلقان، وانتصر سليمان القانونى فى موقعة موهاج على الملك لويس الثانى المجرى، وقضى على ما كان يعرف بمملكة المجر؛ وبذلك تتحول المجر إلى إمـارة عثمانية تابعة. بقيت معظم أراضى المجر تحت سيطرة الدولة العثمانية لمدة

١٥٠ عامًا لحين اندلاع الحروب التركية ١٦٨٣م -١٦٩٩م التي استطاعت فيها النمسا الاستيلاء علـــى هنغاريـــا، وفـــشلت الثـــورة الهنغاريـــة عـــام ١٨٤٨م١٨٤٩م أمام النمساويين. ثم اتفق الهنغار والنمساويون عام ١٨٦٧م على إعلان هنغاريا مملكة ذات سيادة ضمن المملكة النمساوية – الهنغاريـــة (مملكة النمسا والمجر أو المملكة الثنائيـــة المعروفـــة باســـم إمبراطوريـــة هابسبورج) حتى سقوطها في عام ١٩١٨، وكان أشهر ملوكهـــا: فرنـــسيس جوزيف (١٨٦٧ – ١٩١٦)، وشارل الأول (١٩١٦ -١٩١٨). وفيما بعـــد أدت النتائج السلبية للحرب العالمية الأولى إلى إعلان جمهورية هنغاريا عام ١٩١٨ مستقلة. وكانت مملكة النمسا والمجر قد عقـــدت فـــي عـــام ١٨٧٩ معاهدة تحالف مع ألمانيا (انضمت إليها إيطاليا فـــي عـــام ١٨٨٢)، وهـــو المعروف بالتحالف الثلاثي أو الاتفاق الثلاثي، حتى وصل الأمر إلى الصراع المسلح في الحرب العالمية الأولى عقب مقتل الأرشيدوق فرنسيس فرديناننـــد عام ١٩١٤. دخلت هنغاريا الحرب العالمية الثانية في نهاية عام ١٩٤٠ إلى جانب دول المحور، وساعدت في البداية ألمانيا في هجومها على يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتي، ثم دخلت في مفاوضات سرية مع الحلفاء لإنهاء الحرب، مما دعا الجيش الألماني لاحتلال عدة مواقـــع حـــساسة بـــالبلاد وتنـــصيب سياسيين موالين للألمان. واستولى الجيش الأحمر على هنغاريا عام ١٩٤٥، بعد معارك طاحنة، وخاصة حول العاصمة بودابست التي سُلمت شبه مُدمرة تمامًا في فبراير ١٩٤٥.

بعد ذلك دخلت البلاد في حقبة شيوعية تحت السيطرة السوفيتية إلـــى عام ١٩٩٠، إلا أنه في تلك الفترة وبالتحديـــد عـــام ١٩٨٨ بـــدأت عمليـــة الإصلاح السياسي مع بدء انهيار الاتحـــاد الـــسوفيتي. ثـــم فـــاز المنتـــدى

الديمقراطي بقيادة جوزيف انتال بانتخابات عام ١٩٩٠ الحرة. وبدأت هنغاريا مفاوضات مع الاتحاد السوفيتي لسحب قواته من البلاد ومفاوضات أخرى مع الاتحاد الأوربي لمناقشة عضوية البلاد في الاتحاد، التي تمت عام ٢٠٠٤.

كانت بلاد المجر عبر التاريخ مسرحًا للتداخل الثقافي، وخاصة بين الأبعاد السلافية والبلقانية، والمؤثرات المسيحية والإسلامية، والتقاليد الألمانية والعثمانية. وبتتبع جذور الإسلام الضاربة في أعماق هذا البلد نلمس الكثير من المفاجآت التي تتفتق عنها معالم متداعية منذ قرون، أو ما تنطق بها كتب خطها أعلام المؤرخين والرحالة في القرون الغابرة التي امتدت ما يقارب من ١٠ قرون؛ أي ألف عام ضرب فيها الوجود الإسلامي بجذوره في أعماق تاريخ المجر، ويؤكد ذلك وجود ثلاثين بلدة مسلمة قبل ألف سنة!

عرفت المجر الإسلام عن طريق القبائل البلغارية التي هاجرت إلى المجر في أواخر القرن الرابع الهجري/ القرن التاسع الميلادي من المنطقة ما بين الفولجا والأورال. وتضم مدينة بودابست وحدها المساجد والمؤسسات الإسلامية: ٦١ مسجدًا جامعًا، و٢٢ مسجدًا للصلوات الخمس، و١٠ مدارس إسلامية، وعدد من المكتبات الإسلامية.

تأسست بالمجر جالية مسلمة على مذهب الإمام أبي حنيفة، وهاجر إليها بعض علماء الإسلام من الأندلس في القرن السادس الهجري؛ حيث شهد هذا القرن التحول الأهم، عندما تمكّن السلطان سليمان القانوني من الانتصار على المجر؛ ليدخل عاصمتها بودابست. وبذلك لم تصبح المجر ولاية عثمانية فحسب، وإنما باتت بلدًا حافلاً بالمعالم الإسلامية ومنشآت العلوم والصناعة والحضارة أيضًا. وتزايد تعداد المسلمين في هنغاريا مع الغزو التركي للمجر؛ ليبلغ نحو ربع المليون نسمة مع نهاية العهد العثماني. ولكن سرعان ما

تعرضوا للتنكيل والتهجير القسري لتتبقى منهم مئات قليلة، سرعان ما ذابت في المجتمع الرافض للإسلام. ولم يبق بعد انتهاء الحكم التركي في عام ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م سوى جالية إسلامية تركية استقرت بالمجر.

ويعيش في المجر اليوم أكثر من ٣٠ ألف مسلم، معظمهم من الوافدين من العالم العربي، وبشكل خاص من اليمن وبلاد الشام ومصر والعراق، ويكثر من بينهم التجار والطلبة الأكاديميون. ويأتي هذا الوجود المحدود، الذي لا يمثِّل أكثر من اثنين في الألف من سكان البلاد بقايا معالم الحضارة الإسلامية هناك.

وقد كانت العاصمة المجرية ذات طابع معماري إسلامي، إلا أن المؤسسات الدعوية والتعليمية قد تعرضت للتدمير في القرن السابع عشر الميلادي، وبهذا فقدت هذه البلاد- التي تجمع بين بهاء الطبيعة وعراقة التاريخ- معالمها الحضارية الكبرى التي تشير إلى العهد الإسلامي.

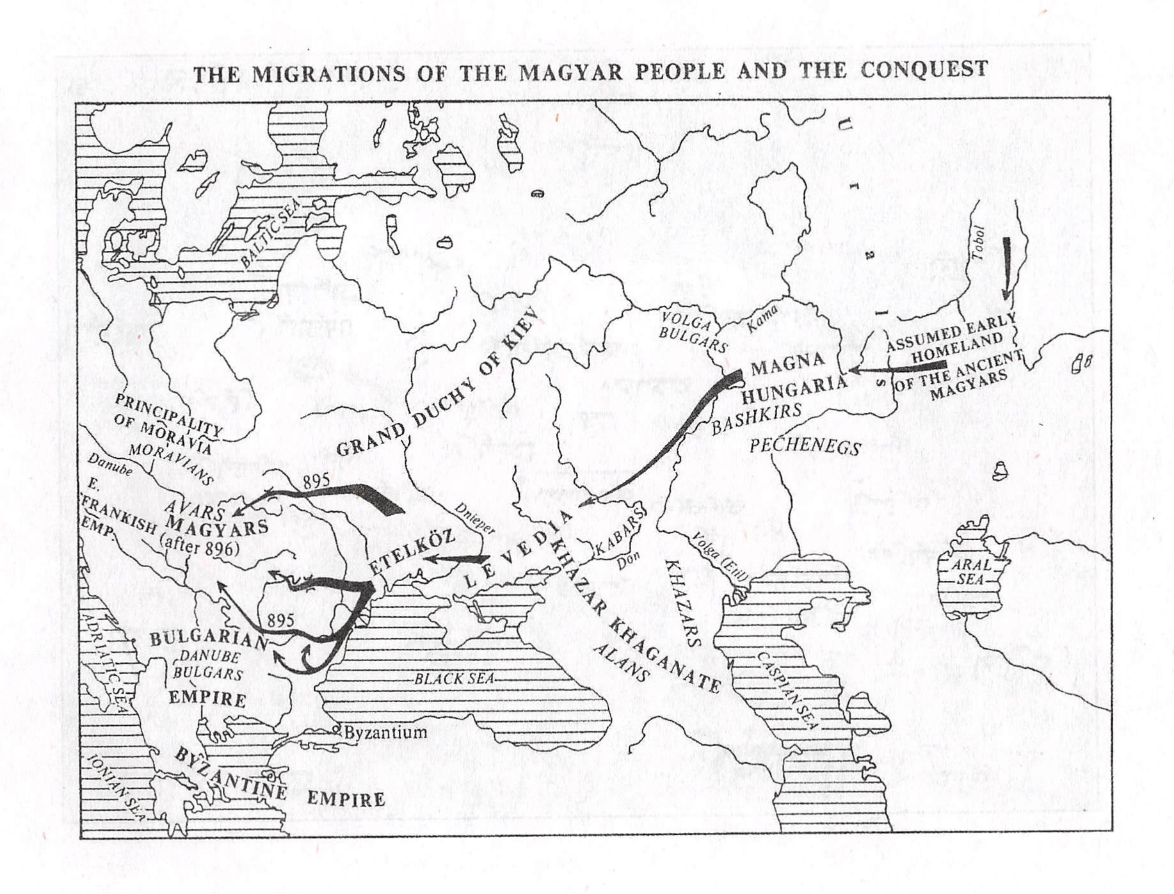
فمن المؤسف أن طالت معاول التدمير مساجد بودابست التي بلغ عددها في أواخر القرن السابع عشر ٨٣ مسجدًا، منها ٢٢ مسجدًا جامعًا.



UKRAINE
SLOWAKEI
ÖSTERREICH
RUMÄNIEN
SERBIEN
KROATIEN
SLO-
WENIEN
Szabolcs-
Szatmár-
Bereg
Hajdú-
Bihar
Borsod-
Abaúj-
Zemplén
Békés
Jász-
Nagykun-
Szolnok
Heves
Csongrád
Nógrád
Pest
Buda-
pest
Bács-
Kiskun
Komárom-
Esztergom
Fejér
Tolna
Baranya
Győr-Moson-
Sopron
Veszprém
Somogy
Vas
Zala


المجر
تشيكوسلوفاكيا
بولندا
أوكرانيا
سلوفاكيا
النمسا
فينا
بودابست
رومانيا
سلوفينيا
كرواتيا
الصرب
و الجبل
الأسود
البوسنه و الهرسك
100 كم
100 ميل

THE MIGRATIONS OF THE MAGYAR PEOPLE AND THE CONQUEST



المحرر في سطور:

أليكسندر شايبر (١٩١٣ - ١٩٨٥م):

باحث ومستشرق يهودي مجري، وهو أيضًا مؤرخ أدبي ولغوي بارز، أخذ على عاتقه استكشاف ماضي اليهودية الهنغارية، كما قام بنشر أعمال كبار المستشرقين الهنغاريين اليهود.

المترجمان فى سطور:

أ.د. محمد عونى عبد الرءوف

- أستاذ اللغويات وصاحب الدراسات العلمية القيمة تأليفًا وتحقيقًا وترجمة.
- حصل على دكتوراه الفلسفة فى اللغات السامية من كلية الفلسفة بجامعة جوتنجن ١٩٦٥.
- عمل عميدًا لكلية الألسن بجامعة عين شمس (١٩٨٧ – ١٩٨٩). كما عمل مدرسًا فمديرًا للمدرسة الألمانية الإنجيلية بالدقى (١٩٥٣ – ١٩٩٤).
- رئيس قسم اللغات السامية (٤/٦/١٩٨٩ – ٢٦/١٠/١٩٩٥).
- قائم بأعمال رئيس مجلس قسم اللغات الأفريقية بكلية الألسن اعتبارًا من نوفمبر ٢٠١١.
- عضو العديد من اللجان والهيئات العلمية منها:

جمعية المستشرقين الألمان – جمعية الكتاب العلمى بألمانيا – لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة – المجالس القومية المتخصصة – اتحاد الكتاب – مقرر لجنة قطاع الآداب العليا لفحص بيانات المتقدمين لقوائم المحكمين، وعضوية اللجان العلمية العاشرة (٢٠٠٨ – ٢٠١١) بالمجلس الأعلى للجامعات.

الجوائز:

جائزة فريدريش ريكرت من ألمانيا الغربية (١٩٨٦) – جائزة جامعة عين شمس التقديرية (١٩٩١) – جائزة اتحاد الكتاب فى مجال دراسات الاستشراق (٢٠٠٣).

من أعماله العلمية:

- قواعد اللغة العبرية (١٩٧٤ ، ٢٠٠٦).
- فريدريش ريكرت عاشق الأدب العربى ١٩٧٤ ، ٢٠٠٦.
- كتاب القوافى لأبى يعلى التنوخى (تحقيق) ١٩٧٥، ٢٠٠٣، ٢٠٠٩.
- بدايات الشعر العربى بين الكم والكيف ١٩٧٦، ٢٠٠٥.
- القافية والأصوات اللغوية ١٩٧٧، ٢٠٠٤، ٢٠١٠.
- جهود المستشرقين فى التراث العربى بين التحقيق والترجمة، بالاشتراك مع إيمان السعيد جلال، (ثلاثة أجزاء) ٢٠٠٤، ٢٠٠٦، ٢٠١٥
- كتاب الفهرست لابن النديم، تحقيق جديد، بالاشتراك مع إيمان السعيد جلال، (جزآن)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٦.
- تأريخ الحكماء للقفطى، تحقيق ليبرت، ترجمة وتقديم وتعليق: عونى عبد الرءوف، ٢٠٠٨.
- تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربى والغرب الأوربى، ٢٠٠٨، ٢٠١٢.

- الله ليس كمثله شيء: ترجمة عن الألمانية لكتاب سيجريد هونكه (المركز القومى للترجمة ٢٠١٠).
- مقدمة ودراسة لترجمة كتاب "مذاهب التفسير الإسلامى" لجولدتسيهر/ ترجمة د. عبد الحليم النجار (المركز القومى للترجمة ٢٠١٣).
- مقدمة ودراسة لترجمة كتاب "العقيدة والشريعة فى الإسلام لجولدتسيهر / ترجمة د. محمد يوسف موسى، د. على حسن عبد القادر، د. عبد العزيز عبد الحق (المركز القومى للترجمة ٢٠١٣).

د. عبد الحميد محمد مرزوق

* من مواليد القاهرة عام ١٩٥٧.
* مدرس الأدب والترجمة بقسم اللغة الألمانية -كلية الألسن / جامعة عين شمس.
* نال درجة ماجستير الألسن بدرجة ممتاز عن موضوع "ملحمة العباسيين" للأديب الألماني أوجست جراف فون بلاتن.
* نال درجة دكتوراه الألسن مع مرتبة الشرف عن موضوع "مصر فى أدب الرحلات الألماني المعاصر".
* قام بترجمات تعريفية إلى اللغة الألمانية عن التراث العربي القديم، منها: "كتاب الصناعتين" لأبى هلال العسكرى، وكتاب "شرح نهج البلاغة" لابن أبى الحديد، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "الزيج الصابى" للبتانى، و"شروح ابن رشد لأرسطو – ما بعد الطبيعة"، و"رحلة ابن بطوطة"- معرض فرانكفورت/ماين ٢٠٠٤.

* قام بترجمـــة كتاب هايكو فلوتاو "الشرق الأوسط والنظام العالمي الجديد – من النيل إلى تورا بورا"، مراجعة د. محمد سليمان، صدر فى دار نهضة مصر عام ٢٠٠٦.

* قام بترجمة الكتاب التذكاري للمتحف المصري بالقاهرة وبرلين عن مؤسس علم المصريات بألمانيا – ليبسيوس، وصدر فيهما عام ٢٠٠٧ تحت عنوان "ليبسيوس – البعثة الاستكشافية الألمانية على أرض النيل".

* قام بترجمة مقال المستشرق الألماني فولفديتريش فيشر "فى نشأة التدوين وضبط كتابة اللغة العربية" عام ٢٠٠٨ والمنشور فى الكتاب التذكاري "فى اللغة والأدب والحضارة" تكريما للأستاذ الدكتور عوني عبد الرءوف.

* قام بترجمة كتاب "مواطن الاقتصاد – مواطن الدولة – المواطن العالمي. الأخلاق السياسية فى عصر العولمة" تأليف أوتفريد هوفه (٢٠٠٩)، بتكليف من معهد جوته الألماني بالقاهرة وإصدارات المشروع القومى للترجمة.

* قام بترجمة رواية "غدا" للأديب النمساوى فالتر كاباخر (٢٠١٠) الحائزة على جائزة جورج بوشنر عام ٢٠٠٩، سلسلة الجوائز بالهيئة العامة للكتاب.

* قام بترجمة النص الخاص بكتالوج إقامة معرض "المجلس الأعلى للآثار المصرية" بقصر الأمير طاز تحت عنوان "مكتشفات الفن القبطى – *Coptic Art Revealed*" فى الفترة من ٩ ديسمبر ٢٠١٠ وحتى ٣١ يناير ٢٠١١.

* قام بترجمة دراسة بعنوان "التحليل الاجتماعى لمسرح برخت فى مصر" ، مراجعة أ. د. محمد العبد- تحت النشر بالمركز القومى للترجمة (٢٠١٢).

* قام بمراجعة كتاب "ماذا يتحمل كوكبنا أكثر من ذلك؟" - المركز القومى للترجمة (٢٠١٥).

* شارك فى مؤتمر الترجمة وتفاعل الثقافات بالمجلس الأعلي للثقافة عام ٢٠٠٤، بمحاضرة عنوانها "ثقافة المترجم وصحة الترجمة"- دوريات المجلس.

* شارك فى الملتقى الدولي الثالث للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٦ بمحاضرة عنوانها "ترجمة الثقافة العربية فى ظل المتغيرات السياسية العالمية"- دوريات المجلس.

* شارك فى ملتقى الترجمة المنعقد فى مدينة ليبزيج بألمانيا عام ٢٠١٠ (*LICTRA*).

* بدعوة من معهد جوته بالقاهرة شارك مترجم الأدب العربى الشهير "هارتموت فيندريش" فى ندوة لهما عن "منهجية الترجمة" فى معرض القاهرة الدولى للكتاب عن عام ٢٠٠٩.

* بدعوة من الهيئة المصرية العامة للكتاب ساهم بمحاضرة عن "الرواية الألمانية المعاصرة - الموضوعات والاتجاهات" فى معرض القاهرة الدولى للكتاب عن عام ٢٠١٠.

* تم اختياره عام ٢٠١٣ لحضور "الملتقى الدولى لمترجمى الأدب الألمانى" ومقره برلين (*LCB*).

الإشـــــراف الفنــــي: حـــــسن كامــــل